

التفسير البسيط

أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الثاني عشر

من أول سورة يوسف إلى آخر سورة الرعد

تحقيق

الدكتور عبد الله بن إبراهيم الرئيس

من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة الحجر

تحقيق

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي

دققه وتقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تُرْكِي بن سَهْوَن بن زَيْد بن العَيْتُون

الأستاذ الدكتور

عَبْدُ الْعَزِيزِ بنُ سَهْوَن بنُ زَيْد بنُ العَيْتُون

ح شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط./ أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ-٢٥م.
٦٣٢ ص؛ ١٦،٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠-٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٣-٣٥-٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٢)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٣، ٢٢٧ - ٢٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦ + فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ . قوله ^(١) عز وجل : ﴿الرَّ﴾ قال ابن عباس ^(٢) : «يريد أنا الله الرحمن» .
والكلام في الحروف المعجمة قد ذكرناه في مواضع ^(٣) ، وهذه الحروف
لا تعد آية كما تعد ﴿طه﴾ ؛ لأن آخرها لا يشاكل رؤوس الآي .

وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ قال صاحب النظم وأبو بكر بن الأنباري :
[تلك بمعنى (هذه) كما كان (ذلك)] ^(٤) بمعنى : هذا في قوله تعالى ﴿الَّذِي﴾ ^(٥) ذلك
الْكِتَابِ ^(٥) ، وقد فسرناه مستقصى في موضعه ، إلا أن ﴿ذَلِكَ﴾ مذكر ؛ لأنه
يؤمى به إلى الكتاب ، و(تلك) تأنيث ذلك ؛ لأنه يؤمى بها إلى الآيات .

(١) في (ب) بزيادة (تعالى) .

(٢) زاد المسير ٤ / ٤ .

(٣) ذكر ذلك باستفاضة في أول البقرة .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) أول البقرة . وقد ذكر هنالك ما ملخصه : أن (ذلك) يكون بمعنى (هذا) عند كثير من المفسرين ،
وذكر عن الفراء أن (ذلك) يجوز بمعنى (هذا) لما مضى ، وقرب وقت تقضيه أو تقضي ذكره .

وقال أبو بكر^(١) : «يجوز أن يكون (تلك) إشارة إلى ما ذكره - عز وجل - في التوراة والإنجيل ، وتلخيصه : هذه الأقاصيص التي تسمعونها ﴿تِلْكَ﴾ الآيات التي وصفت في التوراة ، ﴿أَلَكِنِّبِ الْتُبِينِ﴾ على هذا هو التوراة» ، وهذا معنى قول أبي إسحاق^(٢) .

قال أبو بكر^(٣) : «ويجوز أن يكون (تلك) إشارة إلى ﴿الر﴾ وأخواتها بين حروف المعجم ؛ أي تلك الحروف المفتحة بها السور هي آيات الكتاب المبين ، لأن الكتاب بها يُتلى عليكم ، وألفاظه إليها ترجع» ، و﴿أَلَكِنِّبِ الْتُبِينِ﴾ القرآن المبين في قول ابن عباس ، قال : «والمبين الذي يُبَيِّنُ فيه الحلال والحرام»^(٤) ، وقال قتادة^(٥) : «يُبَيِّنُ فيه الهدى والرشد» ، فكان الكتاب^(٦) مبيِّناً لهذه الأشياء .

٢ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قال أبو إسحاق^(٧) وأبو بكر^(٨) : «هذه الهاء تصلح لشيئين :

أحدهما : أن يكون الكتاب ، ويجوز أن يكون ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ خبر يوسف وقصته» .

-
- (١) زاد المسير ٤ / ٤ .
 (٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨٧ / ٣ .
 (٣) زاد المسير ٤ / ٤ .
 (٤) تنوير المقياس ١٣٠ ، وذكره ابن جرير وعزاه لمجاهد ١٤٩ / ١٢ .
 (٥) أخرجه عبدالرزاق عن قتادة بقوله : «بين الله تعالى رشده وهداه» ٣١٧ / ٢ ، وأخرجه الطبري عنه أيضاً ١٤٩ / ١٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٠٩٩ / ٧ ب . وانظر : الدر ٤ / ٤ ، البغوي ٢١١ / ٤ ، وزاد المسير ١٧٧ / ٤ .
 (٦) في (ب) : (والرشد) . والمبين من نعت الكتاب مبيناً .
 (٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨٧ / ٣ . بتصرف .
 (٨) البحر المحيط ٢٧٧ / ٥ .

قال أبو بكر: «وذلك أن اليهود قالوا للمشركين: سلوا محمداً لم انتقل ولد يعقوب من الشام إلى مصر؟ وسلوه عن خبر يوسف وإخوته؟ فأنزل الله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١) يعني أنزلنا^(٢) خبر يوسف وإخوته الذي طالب اليهود بشرحه»^(٣).

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قال: «ولا يجوز رجوع الهاء على القرآن المتأخر؛ لأن الكناية لا تصح إلا بسبق ظاهر يوضح تأويلها».

وقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ذكرنا معنى العربي والعرب والأعراب في قوله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عباس^(٥): «يريد كي تفهموا»، قال مقاتل^(٦): «لو لم يكن عربياً لما فهموا عنه».

٣. قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية، قد ذكرنا معنى القص والقصص عند قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^(٧) [آل عمران: ٦٢]

(١) ذكر ذلك البغوي ٤/ ١٧٧، وزاد المسير ٤/ ١٧٧، والرازي ١٨/ ٨٣.

(٢) في (ب): ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

(٣) هذا القول رجحه النحاس كما في معاني القرآن ٣/ ٣٩٦، وضعفه ابن عطية ٧/ ٤٣١.

(٤) التوبة ٩٧. قال هنالك: «وقال اهل العلم: إنها سمي العرب عرباً؛ لأن أولاد إسماعيل نشؤوا بعربية، وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان اهلها فهم منهم... والأعرابي: إذا كان بدوياً صاحب نجعه وانتواء».

(٥) زاد المسير ٤/ ١٧٨، البغوي ٤/ ٢١١، والقرطبي ٩/ ١١٨.

(٦) تفسير مقاتل ١٥٠ ب.

(٧) وقال هناك: «القصص مصدر قولهم: قصَّ فلان الحديث يقصة قصّاً وقصصاً، وأصله اتباع الأثر، وقيل للقصص بقص لأتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً، فمعنى القصص الخبر الذي تتابع في المعاني» اهـ.

الآية ، قال الزَّجَّاجُ^(١) : «أي نبين لك أحسنَ البيان ، لا إلى القصة ، ولو قيل : أحسن القصص ، بكسر القاف على جمع قصة ، قلنا^(٢) نحتاج أن نذكر لم قيل هذه القصة أحسن القصص ؟» .

وقوله تعالى : ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال الأخفش^(٣) والفرّاء^(٤) والكسائي والزَّجَّاجُ^(٥) : «أي بوحينا إليك هذا القرآن» ، كأنهم جعلوا (ما)^(٦) مع الفعل بمنزلة المصدر .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتَ﴾ أي ما كنت من قبله ، قال ابن عباس^(٧) : «يريد من قبل أن يوحى إليك» ، ﴿لِمَنْ أَلْغَفَلِينَ﴾ أي إلا من الغافلين ، كقوله : ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] ، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّكَّالِينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] ، قال ابن عباس^(٨) : «يريد لا علم لك بحديث يعقوب ، ولا حديث ولده» ، وقال الزَّجَّاجُ^(٩) : «أي من الغافلين عن قصة يوسف وإخوته ؛ لأنه ﷺ إنما علم ذلك بالوحي» .

٤ . قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ قال ابن الأنباري^(١٠) : «(إذ) صلة لفعل مضمّر معناه : اذكر إذ قال يوسف لأبيه» ، واختلفوا في التاء التي

(١) معاني القرآن وإعرابه ٨٨ / ٣ .

(٢) في (ج) : (كنا) .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٥٨٧ / ٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٢٠ / ٢ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٣١ / ٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٨٨ / ٣ .

(٦) (ما) ساقطه من (ب) .

(٧) تنوير المقياس : ١٤٦ ، وزاد المسير ١٧٩ / ٤ ، والثعلبي ٦٢ / ٧ أ .

(٨) تنوير المقياس ١٤٦ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٨٨ / ٣ .

(١٠) زاد المسير ١٨٠ / ٤ .

في (أبت) ، فزعم الزَّجَّاج^(١) -وهو مذهب البصريين- أن التاء علامة التأنيث دخلت على الأب في باب النداء خاصة ، لتكون بدلاً من ياء الإضافة ، ولأن المذكر قد يدخل عليه علامة التأنيث ، فيقال : رجل ربعة ونكحة وهزأة .

وقال الفرّاء^(٢) وأصحابه : «التاء في (يا أبت) ليست علامة التأنيث^(٣) إنما هي هاء أصلاً أدخلوها للسكت ، وهو قولهم : يا أباه ، ثم سقطت الألف لدلالة فتحة الباء عليها ، وانصرف عن الهاء إلى لفظ التاء ؛ لكثرة الاستعمال تشبيهاً بتاء التأنيث ، وكسرت تقديرأ أن بعدها ياء الإضافة ، ولم يستعمل في غير النداء ؛ لأن هاء السكت مع الألف لا تدخلان إلا في النداء» ، وذكرنا مثل هذا^(٤) في الأم عند قوله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]^(٥) في حكاية مذهب ابن الأنباري ، وأما قول من قال : يا أبتاه ، فإنه زاد الألف والهاء على التاء لما انتقلت عن لفظ الهاء ، فأما قول الشاعر^(٦) :

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْنِي شَاحِبًا
كَأَنَّكَ فِينَا يَا أَبَاتُ غَرِيبُ

(١) معاني القرآن وإعرابه ٨٨/٣ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣٢/٢ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/٢ .

(٣) في (أ) و(ب) : (التأنيث) من غير ألف .

(٤) في (ج) : (إلا في الأم) بزيادة إلا .

(٥) وقد ذكر هناك نقلاً عن ابن الأنباري : «أن الأصل : أم ، ثم يقال في النداء : يا أماه ، فيدخلون هاء السكت» اهـ .

(٦) البيت لأبي الحدرجان كما في نوادر أبي زيد ٢٣٩ ، وفيه :

كَأَنَّكَ فِينَا يَا أَبَاهُ غَرِيبُ

وبلا نسبة في العين ٢٥٣/٤ ، والخصائص ٣٣٩/١ ، واللسان (أبي) ١٦/١ ، والدر ٢١٥/٢ ،

والهمع ٣٤٢/٦ ، وهو من الشعراء المجهولين .

(٧) في (أ) و(ب) : (يا أباة) .

ففيه وجهان :

أحدهما : أن أصله يا أباه فشبهت هاء الموقف بتاء التانيث ، والألف هي التي تزداد للنداء في : يا رباه ويا زيداه ، والآخر : أن الألف هي لام الفعل من الأب التي تجدها في قولك : يا با عمرو ، والتاء بدل من هاء الوقف ، وهذا اختيار أبي علي^(١) ؛ لأنه قال : «القول فيه أنه ردّ المحذوف من الأب ، وزاد عليها التاء كما يزداد فيه إذا كان اللام ساقطاً» . قال ابن الأنباري : «ونظير قولهم : يا أبتة ، في إدخال الألف والهاء على تاء أصلها هاء السكت ، قولهم : أهرقت الماء ، حين أدخلوا ألف أفعلت على هاء مبدلة من^(٢) ألف أفعلت لما كان لفظ الهاء يخالف ، وساغ لهم باختلاف اللفظين أن يقدروا أن الهاء فاء الفعل» .

وردّ الكوفيون مذهب البصريين في هذا ، وقالوا : لو كانت هذه التاء تاء تأنيث لدخلت في النداء وغيره ، كما ثبتت هاء نكحة في جميع الأبواب ، ولو كانت بدلاً من ياء الإضافة لاستعني بها عن الكسرة في التاء في^(٣) يا أبت ؛ لأنها نائبة عن كل ياء إضافة في قولهم : (يا غلام ، أقبل) و(يا رب ، اغفر لي) ، فلما وجدنا الكسرة على التاء علمنا أنها هي الكافية من^(٤) ياء الإضافة دون التاء ، وكان دخول التاء لغير هذه العلة ، وأما الهاء في : نكحة وهزأة ، فلم يدخل للمعنى الذي ذهب إليه البصريون ، لكنهم قصدوا بها قصد المبالغة في الوصف وشبهوا الموصوف بالدهاية ، فاستحق التأنيث لذلك ، ولو كان الموصوف بما فيه الهاء مذموماً ، كان مشبهاً بالبهيمة يؤنث^(٥) نعتة لمعناها ، والاختيار في القراءة كسر التاء لأنها أجريت

(١) الحجة ٣٩٥ / ٤ .

(٢) في (ب) : (عن) .

(٣) (في) ساقطة من (ج) .

(٤) في (ب) : (عن) .

(٥) يؤنث (ساقطة من (ج) .

مجرى تاء التأنيث ، وكسرت على الإضافة إلى نفس المتكلم على معنى : يا أبتى ، ثم حذف الياء ؛ لأن ياء الإضافة تحذف في النداء .

فأما من فتح التاء^(١) فقال علي^(٢) : « له وجهان ؛ أحدهما : أن يكون كقولهم : (يا طلحة ، أقبل) ، ووجه قول من قال : يا طلحة ، أن هذا النحو من الأسماء التي فيها تاء التأنيث أكثر ما يدعى مُرَخًى^(٣) فلما كان كذلك رَدَّ التاء المحذوفة في الترخيم إليه ، وترك الأخرى تجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء ، كما أن من قال : اجتمعت اليمامة ، وهو يريد أهل اليمامة ، رَدَّ الأهل ولم يعتد به ، وقال اجتمعت أهل اليمامة ، فجعله على ما كان يكون عليه عند حذف الأهل ، وعلى هذا ينشد^(٤) :

كَلِّينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ

بفتح التاء .

(١) هي قراءة ابن عامر ، انظر : السبعة ٣٤٤ ، والكشف ٣/٢ ، وإتحاف ٢٦٢ ، والحجة ٣٩٠/٤ .

(٢) كذا والصحيح أبو علي ، انظر : كتاب الحجة ٣٩٠/٤ .

(٣) في الحجة ٣٩٠/٤ : (مُرَخًى) .

(٤) البيت للناطقة الذبياني وعجزه :

وليل أقاسيه ، بطيء الكواكب

وقوله (كليني) : اتركيني ، من وكلت الأمر إليه (ناصب) : (متعب) .

انظر : ديوانه ٢٩ ، وسيبويه ، والشنتمري ٣١٥/١ ، والشعر والشعراء ٢٢ ، والأزهية ٢٤٦ ،

والحجة لابن خالويه ١٦٧ ، والدرر ١٦٠/١ ، والعيني ٣٠٣/٣ ، ومعاني القرآن ٣٢/٢ ، وشرح

المفصل ١٠٧/٢ ، والخزانة ٣٧٠/١ ، والدر المصون ٤٣٥/٦ .

والوجه الآخر : أن يكون أراد بـ (يا أبتى) ، بالياء ، ثم أبدل الياء بالألف ، كما ذكرنا في قراءة من قرأ (يا بني) بفتح الياء^(١) ، فقال : يا أبتا ، ثم حذف الألف كما تحذف الياء ، فتبقى الفتحة دالة على الألف . كما أن الكسرة تبقى دالة على الياء ، والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاء من هذه الكلمة على هذا الوجه ، كقوله^(٢) :

وَهَلْ جَزَعُ إِنْ قُلْتُ وَابِأَبَاهُمَا

ولذلك قال رؤبة^(٣) :

وَهِيَ تُرَبِّي يَابَا وَابْنَاهَا

وقال الأعشى^(٤) :

وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا

فَإِنَّا نَخَافُ بِأَنْ تُخْتَرَمَ

وقال رؤبة^(٥) :

يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَ

(١) هذه قراءة حفص عن عاصم في جميع المواضع ، وقراءة أبي بكر عن عاصم بالفتح في هود ﴿يَبْنِي﴾ **أَرْكَبَ مَعَنَا** . انظر : السبعة : (٣٣٣) ، وإتحاف ٢٦٢ .

(٢) البيت سبق تخريجه .

(٣) روايته في الديوان : «فهى ترثى باب . .» وبعده : «إن تمياً خلقت ملموماً» . انظر : ملحق ديوانه ١٨٥ ، والمفصل ١٢ / ٢ ، وبلا نسبة في الإعراب ٥١ ، والإنصاف ٤٠٣ ، ومجاز القرآن ٧١ / ٢ - ٧٦ .

(٤) ديوانه ٢٠٠ . تخترم : يقال اخترمه الموت : أخذه . وانظر : شرح التسهيل ٤٠٦ / ٣ ، والدر المصون ٤٣٢ / ٦ .

(٥) سبق تخريجه .

وقال آخر^(١) :

يَا أَبَتَا وَيَا أَبَاهُ خَشَنْتَ إِلَّا الرَّقَبَةَ

فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم هذه الكثرة ألزموها القلب والحذف ، على أن أبا عثمان قَدَّرَ^(٢) هذا مطرداً في جميع هذا الباب ، فأجازوا وضع الألف مكان الياء في الإضافة في النداء إجازة مطردة ، فأجاز : يا زيدا أقبل ، إذا أردت الإضافة ، وهذا الوجه الثاني في فتح التاء من (يا أبت) هو اختيار الزَّجَّاج^(٣) وهو مذهب البصريين .

قال ابن الأنباري : «وهذا غلط ؛ لأن مبناه على لغة شاذة ، وهو على لغة مَنْ يقول : قام غلاما ، وهذا ثوباً ، يعني غلامي وثوبي ، وكقراءة من قرأ : (وأقم الصلاة لذكرا)^(٤) أي لذكري ، ولا يحمل كتاب الله على هذه اللغة ، والعلة في فتح التاء أنهم أرادوا : (يا أبتاه) فأسقطوا الألف والهاء ، وأقروا ما قبلها على الفتح ، اختصاصاً لما أكثروا استعمال^(٥) الحرف » ، وهذا أيضاً قول قطرب ، وأنكر البصريون هذا ، قال الزَّجَّاج : «(يا أبتاه) للندبة ، والندبة هاهنا لا معنى لها» ، وقال أبو عثمان : «من قال : يا أبتاه ، فهو نداء على جهة الندبة ، فإذا حذفت الألف والهاء صار نداءً على غير جهة الندبة فلا يجوز فتح التاء » ، وذكر قطرب قولاً آخر في فتح التاء وهو أنه قال : «أراد يا أبةً» ، ثم حذف التنوين ، كما قال الطرماح :

يَا دَارَ أَقْوَتْ بَعْدَ أَحْرَامِهَا

(١) الرجز لجارية من العرب تخاطب أباه ، وجهرة اللغة ١/ ١٧٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٧ ، واللسان ٥٣٣/ ١ .

(٢) في الحجة ٤/ ٣٩٢ : «قدرأى أن ذلك مطرداً» .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٨٩ .

(٤) طه ١٤ .

(٥) في (ب) : (الاستعمال) .

على إرادة التنوين .

قال أبو إسحاق^(١) : «وهذا الذي قاله قطرب خطأ ؛ لأن التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب ؛ لأن النصب إعراب المنادى فلا يكون معرباً منصرفاً غير منون في حال النصب ، وأما قوله : (يا دار أقوت) بفتح الراء فلم يروه أحد من أصحابنا بالفتح ، ولا أعرف له وجهاً» ، وأنشده الخليل وسيبويه وجميع البصريين بضم الراء ، والقول في فتح التاء قول البصريين أن الألف بدل من الياء التي هي للإضافة ثم حذفت وبقيت الفتحة ، يدل عليه من يحذف الياء ويجتزئ بالكسرة ، وإنكار ابن الأنباري عليهم بأنها لغة شاذة لا يلزم ؛ لأنهم أجازوا هذا الإبدال في النداء وهو غير شاذ ، وإنما يكون شاذاً في غير النداء ، كما ذكر من قولهم : قام غلاماً ، وهذا ثوباً ، وأجاز الفراء^(٢) : يا أبتُ ، بضم التاء على أنها آخر المنادى المفرد ، من قبل أنهم لم يلحقوها ياء الإضافة^(٣) ألا وهي عندهم كالدال من زيد ، وأبطل البصريون ضم التاء ، قالوا : هي بدل من ياء الإضافة ، والمنادى المضاف غير مستحق للرفع ، واحتج الكوفيون عليهم بأنها لو كانت بدلاً من ياء الإضافة لما كسرت كما بينا .

قال ابن الأنباري : «وقراءة من قرأ بالفتح يدل على جواز الرفع ؛ لأن الألف والهاء سبيلهما أن يدخل على آخر حروف الاسم المستحق للرفع ، وكان ابن كثير^(٤) يقرأ : يا أبتِ ، بكسر التاء ، فإذا وقف وقف بالهاء ؛ لأن تاء التأنيث يبدل منها الهاء في الوقف ، فيغير الحرف في الوقف بذلك كما غير التنوين في حال النصب بالألف ، وتغييرات الوقف كثيرة ، ولا يلزم اعتبار الإضافة في قراءته ،

(١) معاني القرآن وإعرابه ٨٩ / ٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢ / ٢ .

(٣) في (ب) : (بالإضافة) .

(٤) انظر : السبعة ٣٤٤ ، وإتحاف ٢ / ٢٦٢ ، والحجة ٤ / ٣٩٠ .

لأنه في الوصل بكسر التاء ، وذلك أنه إذا وقف عليها سُكنت للوقف ، فإذا سكنت كانت بمنزلة ما لا يراد فيه الإضافة ، فيساوي ما يراد به الإضافة ما لا يراد في الوقف» .

وأما ابن عامر^(١) فإنه يفتح التاء في الوصل ويقف بالهاء ، فإن قلنا : إنه فتح التاء ك نحو قولهم : يا طلحة ويا أميمة ، فإنه أبدل التاء هاء في الوقف كما تبدل من سائر تاءات التأنيث ، وإن قلنا : إنه أراد : يا أبتا ، فحذف الألف في النداء كما يحذف التاء ، فوقفه بالهاء كوقف ابن كثير بالهاء ، والباقون يقفون بالتاء وهم يكسرون ، وذلك أن من كسر التاء كان الاسم في تقدير الإضافة ، والمضاف إليه على حرف واحد وقد حذف وتركت الحركة تدل عليه ، والحركة لا تكون إلا في تقدير الانفصال من المتحرك على أنه قد حكي أن قوماً يقفون على التاء في الوقف ولا يبدلون منها الهاء . وأنشد أبو الحسن^(٢) :

بَلْ جَوَزَ تَيْهَاءَ كَظَهَرَ الْحَجَفْتُ

- (١) انظر : السبعة ٣٤٤ ، وإتحاف ٢/٢٦٢ ، والحجة ٤/٣٩٠ .
 (٢) ورد البيت منسوباً إلى سُؤر الذئب كما في اللسان . والحجفة : الترس يصنع من جلد الإبل ، وقوله : بل جوز تيهاء ، يريد : رب جوز تيهاء .
 انظر : الخصائص ١/٣٠٤ ، ٢/٩٨ ، والمحتسب ٢/٩٢ ، والمخصص ٩/١٦-٧ ، ٨٤-٩٦ ، واللسان (حجف) ، و(بلل) ٢/٧٨٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/١٧٧ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/١٨١ .

وهذا مما قد مرَّ .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ الآية .

قال وهب^(١) والمفسرون^(٢) : « رأى يوسف وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجداً له » .

قال ابن عباس^(٣) وقتادة^(٤) ومحمد بن إسحاق^(٥) والمفسرون^(٦) : « هم إخوته وأبواه » .

وقال ابن جريج^(٧) : « الكواكب إخوته ، والشمس أمه راحيل ، والقمر أبوه » .

وقال مقاتل^(٨) : « الشمس أبوه والقمر أمه » .

وقال السدي^(٩) : « الشمس أبوه والقمر خالته ، وذلك أن أمه كانت قد ماتت » .

(١) الثعلبي ٦٣/٧ ب ، والرازي ٨٧/١٨ .

(٢) زاد المسير ١٨٠/٤ .

(٣) انظر : الطبري ١٥٢/١٢ ، وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/٤ ، والثعلبي ٦٣/٧ ب .

(٤) الطبري ١٥٢/١٢ ، وتفسير عبدالرزاق ١٢٣/٢ ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٦/٤ .

(٥) انظر : ابن كثير ٥١٣/٢ ، وزاد المسير ١٨٠/٤ .

(٦) الطبري ١٥٢/١٢ .

(٧) الطبري ١٥٢/١٢ ، ولم يذكر اسمه أمه .

(٨) تفسير مقاتل ١٥٠ ب .

(٩) البغوي ٢١٣/٤ ، وزاد المسير ١٨٠/٤ ، والثعلبي ٦٣/٧ ب .

وقوله تعالى : ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ قال ابن الأنباري : «لما تطاول الكلام بين الرؤية والسجود أعيدت الرؤية مع السجود ؛ ليكون ذلك أكشف للمعنى وأدل على التوكيد والبيان» .

وهذا معنى قول ^(١) الفراء ^(٢) والزجاج ^(٣) .

وذكر صاحب النظم أنه يجوز أن يكون أحدهما من الرؤية والآخر من الرؤيا ، وقوله ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ وهي مما لا يفهم ولا يفهم وحسن ذلك ؛ لأنه لما وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل ، فأخبر عنها كما يخبر عمن يعقل كما قال في صفة الأصنام ﴿وَتَرْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] ، وقد مر ، وكذلك قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] ، وهذا معنى قول الفراء ^(٤) والزجاج ^(٥) .

(١) قل ساقطة من (أ) و(ب) و(ج) .

(٢) لم أجده في مظانه ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١٢٣/٢ ، والتبيان للعكبري ٤٦٥ ، والبحر المحيط ٢٨٠/٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٩١/٣ .

(٤) معاني القرآن ٣٥/٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٩١/٣ .

وقيل في معنى سجودهم له قولان ، أحدهما^(١) : أنه السجود المعروف على الحقيقة تكربة له لا عبادة كسجود الملائكة لآدم ، الثاني^(٢) : أن السجود هاهنا بمعنى الخضوع كقوله^(٣) :

تَرَى الْأَكْمَمَ مِنْهُ سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ^(٤)

قال ابن عباس^(٥) : «إن ذلك الزمان كان سجود بعضهم لبعض» ، وقال في رواية الكلبي^(٦) : «رأى يوسف هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر ، فلما قصّها على يعقوب أشفق عليه من حسد إخوته له ، فقال له : يا بني لا تقصص» .

٥ . وهو قوله : ﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رَأْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ ﴾ الآية .

(١) قال به ابن زيد كما في الطبري ١٢/١٥٢ ، وابن الأنباري كما في زاد المسير ٤/٢٩٠ ، وبه قال الطبري ١٢/١٥٢ .

(٢) انظر : البغوي ٤/٢٨٠ .

(٣) عجز بيت لزيد الخيل وصدره :

بِجَمْعِ تَضَلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ

انظر : الكامل ١/٣٥٨ ، والأغانى ١٦/٥٢ ، ومجمع البيان ١/١٤١ ، والطبري ١/٣٠٠ ، ١/٣٦٥ ، وغير منسوب في تأويل مشكل القرآن ٤١٧ ، والصناعتين ٢٩٥ ، والبحر المحيط ١/٥١ . ومعناه : تضل البلق في حجراته : لكثرة لا يرى فيه الأبلق ، والأبلق مشهور المنظر لاختلاف لونه . وحجراته : نواحيه . وقوله : ترى الأكم منه سجداً للحوافر ، لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالأرض .

(٤) في (ب) : (حوافر) .

(٥) ذكر نحوه عند قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ آية [يوسف : ١٠٠] . انظر : زاد المسير ٤/٢٩٠ ، والقرطبي ٩/٢٦٥ .

(٦) البغوي ٤/٢١٣ ، وابن عطية ٧/٤٣٦ .

قال العلماء وأصحاب الآثار^(١) : «أشفق يعقوب على يوسف حسد إخوته بهذه الرؤيا ؛ لأن يوسف كان نبياً في علم الله مذ كان ، ورؤيا الأنبياء وحي لا يبطل منها شيء» .

قال ابن عباس^(٢) : «رؤيا الأنبياء وحي ، وعَلِمَ يعقوب أن إخوة يوسف يعرفون تأويلها ، ويشفقون من علو يوسف عليهم على صغر سنه وتقدم أمرهم أمره ، وسبقهم من العلم إلى ما تأخر عنه» ، بهذا جاءت الآثار .

وقوله تعالى : ﴿رُءْيَاكَ﴾ الرؤيا^(٣) مصدر كالْبُشْرَى والسُّقْيَا والتَّقْيِ والشورى ، إلا أنه لما صار اسماً لهذا المتخيل في المنام جرى مجرى الأسماء ، وخرج من حكم الأعمال فلا يعمل واحدٌ منها أعمال المصادر ، ومما يقوي خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها (رؤى) فصار بمنزلة ظلم ، والمصادر في أكثر الأمر لا تكسر .

وفي الرؤيا أربع لغات : تحقيق الهمز ، وتحقيقها بقلبها واواً من غير إدغامها في التاء وإن كانت ساكنة ؛ لأنها في تقدير الهمز فهي ليست بواو ، وإذا لم يلزم لم يقع الاعتداد بها فلم يدغم ، ومن ثم جاء صنو وشي في تخفيف وشي ، وبقي الاسم على حرفين أحدهما حرف لين ، وجاز تحرك حرف اللين وتصحيحه مع انفتاح ما قبله ؛ لأن الهمزة^(٤) في تقدير الثبات ، وقد أدغم قوم فقالوا : رياءً ، لأنه لما ترك الهمز سكنت الواو وبعدها ياء فتحولتا ياءً مشددة كما يقال : لويته لِيَّاً ، وكويته

(١) الطبري ١٢/١٥٢ ، وزاد المسير ٤/١٨٠ ، والبغوي ٤/٢١٣ ، والقرطبي ٩/١٢٢ ، والثعلبي ٧/٦٣ ب ، وابن عطية ٧/٤٣٧ ، وابن كثير ٢/٥١٣-٥١٤ .

(٢) الطبري ١٢/١٥١ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٠١ ، وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه كما في الدر ٤/٦ ، والبغوي ٤/٢١٣ .

(٣) حديثه عن الرؤيا واشتقاقها منقول عن الفراء والزجاج والفارسي كما سيأتي .

(٤) في (ب) : (الهمز)

كَيًّا ، والأصل كويًا ولويًا . وكسروا الفاء كما كسروا من قولهم : قرن ألقى وقرن لي ، وإن أشرت إلى الضمة فقلت (رُيًّا) فرفعت الراء جاز ، وتكون هذه الضمة مثلها في قوله : و(حيل) و(سيق) .

وأنشد الفراء^(١) :

لَعَرَضُ^(٢) مِنَ الْأَعْرَاضِ تَمَشِي حَمَامُهُ
وَيُضْحِي عَلَى أَفْنَانِهِ الْغَيْنِ يَهْتَفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الدَّيِّكِ رَنَّةٌ
وَبَابٌ إِذَا مَا مَالَ لِلْغُلُقِ يَصْرِفُ

قال : أراد : رؤية ، فلما ترك الهمز أدغم على ما ذكرنا ، وكل ما ذكرنا في الرؤيا^(٣) من كلام الفراء^(٤) والزجاج^(٥) وأبي علي^(٦) .

(١) قال الفراء : «أنشدني أبو الجراح» .

والعرض الوادي فيه شجر . والغين جمع الغيناء وهي الخضراء من الشجر ، وهو بدل من أفنانه . ويصرف : يصوت . وفي اللسان (رنه) ولا شاهد فيه .

اللسان (عرض) ٢٨٨٨ / ٥ ، و(غين) ٣٣٣١ / ٦ ، و(رأى) ١٥٤١ / ٣ ، ومعاني القرآن ٣٥ / ٢ ، والزاهر ٢٠٥ / ٢ ، وديوان الأدب ١ / ١٢٢ ، وتهذيب اللغة (رأى) ١٣٢٣ / ٢ ، و(غين) ٢٧٠٩ / ٣ ، وتاج العروس ٣٨١ / ١٣ ، ومعجم البلدان ١٠٢ / ٤ (العرض) .

(٢) في (ب) زيادة هن فيكون : (لغيرهن) . وفي معاني القرآن ٣٥ / ٢ : «لعرض من الأعراض» .

(٣) (في الرؤيا) ساقطة من (ب) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٥ / ٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٢ / ٣ .

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٣٩٨ / ٤ ، وأغلب النقل السابق عنه .

وقوله تعالى : ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ أي فيحتالوا في هلاكك ، لأنهم يعلمون تأويلها فيحسدوك^(١) ، واللام في قوله ﴿ لَكَ ﴾ تأكيد للصلة ، كقوله ﴿ لِلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ وقيل هي من صلة الكيد ، على معنى : فيكيدوا كيداً لك .

قال أهل المعاني^(٢) : « وهذا يدل على أنه قد كان لهم علم بالرؤيا وتعبيرها ، وأن يعقوب قد علم منهم حسداً له وبغضاً ، فخافهم عليه » .

٦ . كذلك قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ . قال أبو إسحاق^(٣) : « موضع الكاف في (كذلك) النصب ، المعنى : ومثل ما رأيت يجتبيك ربك » ، وعلى هذا قال ابن الأنباري^(٤) : « (ذلك) إشارة إلى قول يوسف : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ فقال له يعقوب : ومثل ذلك التفضيل وتلك الرفعة والحال الجليلة^(٥) التي شاهدها في رؤياك يجتبيك ربك » ، فموضع الكاف نصب بـ (يجتبي) ، [وموضع ذلك خفض بالكاف الزائدة ، والمعنى : وكما أراك الله من هذه الرؤيا يجتبيك]^(٦) .

[وقال الفرّاء^(٧) : ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ جواب لقوله : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ ﴾ فقليل له : وهكذا يجتبيك ربك ، كذلك وهكذا سواء في المعنى » .

(١) هذه عبارة الثعلبي ٦٣/٧ ب ، ومشكل القرآن وغيبيه ٢١٦ ، والقرطبي ١٢٢/٩ ، والطبري ١٥٢/١٢ .

(٢) البغوي ٢١٣/٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩١/٣ .

(٤) زاد المسير ١٨١/٤ .

(٥) في (أ) و(ب) : (الجليلة) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٣٦/٢ .

قال أبو بكر : «وعلى هذا (كذلك) حرف واحد معناها هكذا ، وموضعه نصب بـ (يُجْتَنَبِي)»^(١) .

قال الفرّاء^(٢) : «ومثله في الكلام أن يقول الرجل : قد فعلت اليوم كذا وكذا من الخير ، فيقول له القائل : هكذا السعادة والتوفيق ، وكذلك السعادة والتوفيق ، فيسوي بينهما» ، وقد ذكرنا قبل هذا أن (كذلك) تحقيق لما مضى من الكلام ، ضد كَلَّا .

وقوله تعالى : ﴿يَحْيِيكَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس^(٣) والمفسرون^(٤) وأهل اللغة^(٥) : «يختارك ويصطفيك» .

قال الزّجاج^(٦) : «وهو مشتق من : (جبت الشيء) ، إذا خلصته لنفسك ، ومنه جبت الماء في الحوض» .

وقوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قال ابن عباس^(٧) ومجاهد^(٨) وقتادة^(٩) : «يريد تعبير الأحلام ، وعبرة الرؤيا» .

(١) ما بين المعوفين مكرر في (أ) و(ج) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣٦ / ٢ .

(٣) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١ / ٤ ، وابن جرير وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٧ / ٤ .

(٤) وهو قول عكرمة وقتادة كما في الطبري ١٥٣ / ١٢ ، وعزاه ابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٣ ألقنادة ، وانظر : الدر ٧ / ٤ .

(٥) قال به أبو عبيدة كما في مجاز القرآن ٣٠٢٥ / ١ ، والفرّاء كما في معاني القرآن ٣٦ / ٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزّجاج ٩١ / ٣ .

(٧) تنوير المقياس ١٤٦ ، وزاد المسير ١٨١ / ٤ .

(٨) الطبري ١٥٣ / ١٢ ، وأخرجه ابن أبي شيبه ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٣ أ ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٧ / ٤ ، وزاد المسير ١٨١ / ٤ ، وابن عطية ٤٣٨ / ٧ .

(٩) الطبري ١٥٣ / ١٢ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٣ أ .

قال ابن زيد^(١): «وكان أعبر الناس للرؤيا»، فعلى هذا معنى التأويل: المنتهى الذي يؤول إليه المعنى في الرؤيا، والأحاديث هي أحاديث الناس عما يروونه في منامهم، قال الرّجّاج^(٢): وغير ذلك.

وقيل^(٣): يعلمك تأويل أحاديث الأنبياء والأمم، يعني الكتب والأحاديث في آيات الله ودلائله على توحيده، وغير ذلك من أمور دينه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ قال ابن عباس^(٤): «يريد بالنبوة»، ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾. قال المفسرون^(٥): يعني وعلى النبيين من آل يعقوب، بمعنى^(٦) الخصوص، وإن كان الظاهر ظاهر عموم، كما قال النبي ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»^(٨) يريد البعض، فعلى هذا المعنى: ويتم نعمته عليك وعلى المختصين من آل يعقوب بالنبوة، [كما أتمها بالنبوة]^(٩)، على أبويك.

(١) الطبري ١٢/١٥٣، وابن أبي حاتم ٧/٢١٠٣، وانظر: الدر ٤/٧.

(٢) معاني القرآن ٣/٩٢.

(٣) زاد المسير ٤/١٨١، والقرطبي ٩/١٢٩.

(٤) زاد المسير ٤/١٨١، والقرطبي ٩/١٢٩، والبغوي ٤/٢١٤، وابن عطية ٧/٤٣٨.

(٥) البغوي ٤/٢١٤، وابن عطية ٧/٤٣٨.

(٦) في (ج): (يعني).

(٧) اللهم: ساقطة من (ب).

(٨) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٦٤٦٠) في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتحليلهم من الدنيا، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة (١٠٥٥)، كما في مختصر المنذري ٥٥١ في كتاب الزهد والرقاق تحقيق الألباني، وأحمد ١٩/٢٤، برقم (٩٧٥٢)، و٢٨/٢٠ برقم (١٠٢٤٢) تحقيق أحمد شاكر، والترمذي برقم (٢٣٦١) أبواب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ب).

وقال أبو إسحاق^(١) : «فسر يعقوب الرؤيا ليوסף بهذه الآية ، وذلك أنه لما قال له : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ الآية ، تأول الأحد عشر كوكباً : أحد عشر نفساً لهم فضل وأنهم يستضاء بهم ؛ لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى ، فتأويل الكواكب إخوته ، وتأويل الشمس والقمر أبواه ، تأول له أن يكون نبياً ، وأن إخوته يكونون أنبياء ؛ لأنه أعلمه أن الله - جلّ وعلا - يتم نعمته عليه وعلى إخوته ، كما أتمها على إبراهيم وإسحاق ، فإتمام النعمة عليهم أن يكونوا أنبياء ، وعلى هذه الأقوال إتمام النعمة بالنبوة ، ﴿ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ الأنبياء منهم أو بنوه .

وقال ابن عباس في رواية الكلبي : « ويتم نعمته عليك بتوحيده وعبادته ، كما أتمها على أبويك بتوحيد الله وعبادته وإيثار طاعته » ، وقال مقاتل بن سليمان^(٢) : « ويتم نعمته عليك بإعلانك وتحقيق رؤياك كما أتم النعمة على أبيك إبراهيم ، بإنجائه من النار ، وعلى أبيك إسحاق بالسلامة من الذبح ، والفداء » ، ونحو هذا قال عكرمة^(٣) . وقال الكلبي^(٤) : « كما أتمها على أبويك بأن ثبتهما على الإسلام حتى ماتا عليه » ، وعلى هذا المراد بآل يعقوب ، قال أبو بكر : « يعني أهل دينه » ، فوقع الآل على أهل الدين كقوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] ، يعني أهل دين فرعون ، قال قتادة^(٥) في هذه الآية : « كل ذلك فعل الله به ، اجتباؤه ، واصطفاه ، وعلمه من تأويل الأحاديث ، وأتم النعمة عليه » .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٢/٣ . بتصرف .

(٢) تفسير مقاتل ١٥٠ ب .

(٣) الطبري ١٥٤/١٢ ، والثعلبي ٦٤/٧ ، وزاد المسير ١٨٢/٤ .

(٤) تنوير المقياس ١٤٧ .

(٥) الطبري ١٥٤/١٢ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ يريد حيث يضع النبوة . قاله عطاء عن ابن عباس^(١)، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه .

٧. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ قال المفسرون^(٢): يعني في خبر يوسف وإخوته وقصتهم، ﴿ءَايَتٌ﴾ أي عبر وعزائم^(٣)، وقرأ ابن كثير^(٤) (آيَةً) كأنه^(٥) جعل شأنهم كله آية ، ويقوي هذا ما روي أن في مصحف أبي (عبرة)^(٦) .

قال أبو إسحاق^(٧): «المعنى أنه بصيرة للذين سألوا النبي ﷺ، فأنبأهم بقصة يوسف وهو عنها غافل، لم يقرأ كتاباً»، وقال ابن الأنباري وأبو علي^(٨): «ويجوز أن يكون المفرد المنكور بالإيجاب يقع دالاً على الكثرة، كما يكون ذلك في غير الإيجاب» .

وقوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ لِيْنَ﴾ قال المفسرون^(٩): «سألت اليهود رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فأخبرهم بها كما في التوراة فعجبوا منه، وقالوا: من أين لك هذا

(١) زاد المسير ١٨٢/٤ .

(٢) الثعلبي ١٦٤/٧، والبغوي ٤١٦/٤، وزاد المسير ١٨٢/٤ .

(٣) في (ج): (وعجائب)، الطبري ١٥٤/١٢، والثعلبي ١٦٤/٧ .

(٤) قرأ ابن كثير بالافراد ووافقه ابن محيصن، والباقون بالجمع، انظر: السبعة ٣٤٤، وإتحاف ٢٦٢، والحجة ٣٩٦/٤ .

(٥) في (ب): (كان) .

(٦) البحر المحيط ٢٨٢/٥ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٢/٣ .

(٨) الحجة ٣٩٧/٤ .

(٩) هذه عبارة الثعلبي ١٦٤/٧، والبغوي ٤١٧/٤، وزاد المسير ١٨٢/٤ . وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢٧٦/٦ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن عبدالله بن عباس بنحوه .

يا محمد؟ فقال: علمنيه ربي»، فمعنى قوله: ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ أي عن خبر يوسف وإخوته.

وقال الكلبي عن ابن عباس^(١): ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ «لكل من سأل عن خبر يوسف وإخوته ليعلم علمه».

قال ابن الأنباري: «معنى قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ إلى آخر الآية، أن قوماً سألوا النبي ﷺ عن هذه القصة مُعْتَمِتاً ممتحناً، فكأن الذي ورد من جوابه يضطر عقول أهل التمييز إلى الانقياد لتصديقه؛ لأنه شرح أخبار قوم لم يشاهدتهم، ولم ينظر في الكتب إذ هو معروف بالأمية، وكان في هذا أعجب آية وأوضح دلالة للسائلين وغيرهم على صدق النبي ﷺ، وخص السائلين بكون الآيات لهم اكتفاء منهم بغيرهم؛ لأنه إذا كان لهم آية، كان غيرهم أيضاً يعتبر به اعتبارهم؛ لأنهم^(٢) وإن لم يسألوا فإن سؤال غيرهم نتج لهم الأعجوبة، وكشف المعنى لهم»^(٣).

٨. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿لِيُوسُفَ﴾ هذه لام التأكيد، وهي التي يتلقى بها القسم هاهنا، ﴿وَأَخُوهُ﴾ قال ابن عباس^(٤): «ولد راحيل وهي خالتهم» ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ قال الفراء^(٥): «العصبة عشرة فما زاد».

(١) مروي عن قتادة والضحاك كما في الدر ٧/٤، وانظر: زاد المسير ١٨٢/٤، والقرطبي ١٢٩/٩.

(٢) في (أ) و(ب): (لأنه).

(٣) زاد المسير ١٨٢/٤.

(٤) انظر: الطبري ١٥٤/١٢، وزاد المسير ١٨٣/٤.

(٥) معاني القرآن ٣٦/٢.

وقال أهل اللغة^(١): العصبه من العشرة إلى الأربعين ، وقال المبرّد^(٢): «العصبه الجماعة ، وتعصب القوم : إذا اجتمعوا على هيئة يشد بعضهم بعضاً ، ومنه العصبه في النسب ، وهم الذين يجمعهم التعصب ، فمعنى العصبه : جماعة متعاونة» .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ قال أبو بكر بن الأنباري^(٣) : «أي ضل بإيثاره يوسف وأخاه علينا^(٤) ضلالاً خطأ يلحقه ضرره^(٥) في دنياه ، إذ الذي آثره علينا عناؤنا يزيد على عنائه» ، ذهب إلى هذا الجواب الكلبي^(٦) وغيره من المفسرين^(٧) ، وقال مقاتل بن سليمان^(٨) : «الضلال هاهنا يعني الشقاء» ، وتلخيصه : إن أبانا لفي شقاء واضح ، واحتج بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٤٧] ، يعني في شقاء ، قال أبو بكر : «فكأن مقاتل ذهب إلى أن الضلال عني به شقاء الدنيا ، لأنه لما آثر ولدين صغيرين على عشرة ذوي أسنان عالية ، عاد من ذلك عليه إيغار صدور الجماعة وحملهم على العقوق» .

وقال أهل المعاني^(٩) : إن أبانا في ذهاب عن طريق الصواب الذي فيه التعديل بيننا في المحبة ، وقيل معناه : إنه في غلط في تدبير^(١٠) أمر الدنيا ، إذ كنا أنفع له في القيام بمواشيئه وأمواله من يوسف وأخيه ، وهذا هو معنى القول ، وليسوا

(١) قال به أبو عبيد . انظر : تهذيب اللغة (عصب) ٣ / ٢٤٥٤ ، وابن قتيبة . انظر : مشكل القرآن وغريبه ٢١٦ .

(٢) انظر : القرطبي ٩ / ١٣٠ .

(٣) زاد المسير ٤ / ١٨٣ .

(٤) هذه عبارة الثعلبي في ٧ / ٦٤ ب .

(٥) في (أ) و(ب) : (ضروره) .

(٦) تنوير المقباس ١٤٧ .

(٧) الطبري ١٢ / ١٥٥ ، والبغوي ٤ / ٢١٧-٢١٨ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٣ .

(٨) نقل عنه زاد المسير ٤ / ١٨٣ ، انظر : تفسير مقاتل ١٥١ أ .

(٩) زاد المسير ٤ / ١٨٣ ، والثعلبي ٧ / ٦٤ ب .

(١٠) في (ب) : (تدبر) .

يريدون الضلال في الدين ، قال الزَّجَّاجُ^(١) : «ولو وصفوه بالضلال^(٢) في الدين كانوا كفاراً» .

٩ . قوله تعالى : ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا ﴾ قال النحويون^(٣) : انتصاب الأرض بإسقاط الخافض ، يراد واطرحوه في أرض ، فلما سقط الخافض وصل الفعل إليها فنصبها ؛ لأن أرضاً ليست من الظروف المبهمة .

قال أبو إسحاق^(٤) : «أراد أرضاً يبعد فيها عن أبيه» ؛ لأنه لم يخل من أن يكون في أرض ، ودلَّ على هذا المحذوف قوله : ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ ؛ لأن هذا يدل على أنهم تأمروا في أن يطرحوه في أرض لا يقدر عليه فيها أبوه .

قال ابن الأنباري : «تلخيصه : أو اطرحوه أرضاً بعيدة عن أبيه» ، فلما دلَّ على هذا المضمرة قوله : ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ كان الإضمار سائغاً ، ومعنى قوله : ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ أي يقبل بكليته عليكم ، ويخلص لكم عن شغله بيوسف ، يعنون أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه ، فإذا فقدته أقبل إلينا بالميل والمحبة^(٥) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٩٣ / ٣ .

(٢) في (ج) : (بالضلالة) .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٢٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٩٣ / ٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٩٣ / ٣ .

(٥) الثعلبي ٦٤ / ٧ ب ، وزاد المسير ١٨٤ / ٤ ، والبغوي ٢١٨ / ٤ .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد تحدثوا^(٢) توبة بعد ذلك يقبلها الله منكم» ، وهذا قول عامة المفسرين^(٣) ، وعلى هذا المعنى ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ بإحداث التوبة .

وقال مقاتل بن سليمان^(٤) : «ليس الصلاح هاهنا مقصوداً به^(٥) قصد صلاح الدين ، لكن المعني به : ويصلح شأنكم عند أبيكم وتغلبوا على قلبه بعد فقد يوسف ، والآية بيان عما يوجهه الحسد من قتل المحسود أو تعريضه للقتل بالإلقاء في المهالك» .

١٠ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٦) : «هو يهودا ، وهو أكبر ولد يعقوب وأعقلهم» ، ونحو هذا قال الكلبي^(٧) ومقاتل^(٨) والزجاج^(٩) .

وقال قتادة^(١٠) ومحمد بن إسحاق^(١١) : «هو روبيل» .

-
- (١) نقله عنه في زاد المسير ٤ / ١٨٤ ، وذكره الطبري عن السدي ١٢ / ١٥٥ .
 (٢) في (ج) : (يحدثونه) .
 (٣) ومنهم الطبري ١٢ / ١٥٠ ، والبغوي ٢ / ٢١٨ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٤ ، وابن عطية ٧ / ٤٤٣ .
 (٤) تفسير مقاتل ١٥١ أ ، نقله عنه في زاد المسير ٤ / ١٨٤ ، والثعلبي ٧ / ٦٤ ب .
 (٥) في (ج) : (مقصوداً) .
 (٦) عزاه له القرطبي ٩ / ١٣٢ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٤ .
 (٧) تنوير المقباس ١٤٧ .
 (٨) تفسير مقاتل ١٥١ أ ، وعزاه له زاد المسير ٤ / ١٨٤ .
 (٩) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٩٤ .
 (١٠) الطبري ١٢ / ١٥٥ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٣١٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٦ أ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٤ / ١٣ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٥ .
 (١١) الطبري ١٢ / ١٥٦ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٥ ، والثعلبي ٧ / ٦٤ ب من غير عزو .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾ قال أبو عبيدة^(١) وأهل اللغة^(٢) :
«الغيابة : كل ما غيب شيئاً وستره ، وأنشدوا للمُنَخَّل^(٣) :

فَإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتَنِي غِيَابَتِي

فَسِيرُوا بِسِيرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ

أراد بالغيابة حفرة القبر ، لأنها يغيب المدفون فيها ، وأما الجب فهو الركية قبل أن تطوى ، يقال : جب هذه الركية صلب ، وقال زيد بن كثوة^(٤) : «جب الركية جراً» ، وقال الزَّجَّاج^(٥) : «الجب البئر التي ليست بمطوية ، سميت جباً من أنها قطعت قطعاً ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه» . الليث^(٦) : «والجميع جباب وأجباب وجبية» .

قال الحسن^(٧) : «غيابة قعر الجب» ، قال قتادة^(٨) : «أسفل الجب» .

قال ابن الأنباري : «وإنما ذكرت الغيابة مع الجب دلالة على أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب لا يلحقه نظر الناظرين» ، فأفاد ذكر الغيابة هذا المعنى ، إذ كان يحتمل أن يلقي في موضع من الجب لا يحول بينه وبين الناظرين .

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٠٢ .

(٢) اللسان (غيب) ٦/ ٣٣٢٣ .

(٣) هو المنخل بن سبيع بن زيد بن معاوية بن العنبر ، والبيت في معجم المرزباني ٣٨٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٢ ، وشواهد الكشاف ٩٦ ، والقرطبي ٩/ ١٣٢ ، ومعاني الزَّجَّاج ٣/ ٩٣ ، والمحرر ٧/ ٤٤٤ ، والبحر المحيط ٥/ ٢٨٤ ، والدر المصون ٦/ ٤٤٦ .

(٤) تهذيب اللغة (جيب) ١/ ٥٣٠ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٩٤ .

(٦) تهذيب اللغة (جيب) ١/ ٥٢٩ ، وهو كذا في النسخ ، ولعل (قال) ساقطة .

(٧) نقله في زاد المسير ٤/ ١٨٥ ، وقد ذكره الطبري ١٢/ ١٥٦ ، من غير أن يعزوه لأحد .

(٨) في (ج) : (وقال) بزيادة الواو .

(٩) الطبري ١٢/ ١٥٦ ، والثعلبي ٧/ ٦٤ ب .

وقرأ أهل المدينة^(١) (غيابات الحب) بالجمع على معنى أن للجب^(٢) أقطاراً ونواحي ويكون فيها غيابات ، وأوثر الجمع لذلك ، ومن وحد قال : المقصود موضع واحد من الحب يغيب فيه يوسف فيستره من أبصار المتأملين ، فالتوحيد أحصر وأدل على المعنى المطلوب ، يدل على صحة التوحيد قراءة مجاهد^(٣) (في غيبة الحب) ، انتهى كلامه .

وقال أبو علي^(٤) : «وجه قول من أفرد أن الحب لا يخلو من أن يكون له غيبة واحدة أو غيابات ، فغيابة المفرد يجوز أن يعنى به الجمع كما يعنى به الواحد ، ووجه قول من جمع ، أنه يجوز أن يكون له غيبة واحدة فجعل كل جزء منه غيبة فجمع لذلك ، كقولهم : (شابت مفارقة^(٥) وتغير ذو عثانين) ويجوز أن يكون للجب عدة غياب فجمع لذلك ، والدليل على جواز الجمع فيه قول ابن أحر^(٦) :

أَلَا فَالْبَيْتَا شَهْرَيْنِ أَوْ نِصْفَ ثَالِثٍ
إِلَى ذَاكُمَا^(٧) مَا غَيَّبْتَنِي غَيَّابًا

-
- (١) قرأ بالجمع نافع وأبو جعفر ، والباقون بالإنفراد ، انظر : السبعة ٣٤٥ ، وإتحاف ٢٦٢ ، والحجة ٣٩٩/٤ ، والطبري ١٥٦/١٢ .
- (٢) في (أ) و(ب) : (الجب) .
- (٣) زاد المسير ١٨٥/٤ ، ونسبها إلى الحسن وقتادة ومجاهد ، والبحر المحيط ٢٨٤/٥ ونسبها إلى الحسن .
- (٤) الحجة ٤٠٠/٤ .
- (٥) في (أ) و(ب) و(ي) : (مفاريقه) ، والصواب ما أثبتته كما في الحجة .
- (٦) من قصيدة له في هجاء يزيد بن معاوية ، انظر : ديوانه ١٧١ ، والمحاسب ٢٢٧/٢-٢٢٨ ، والخصائص ٢/٤٦٠ ، وابن الشجري ٣/٧٥ ، ٢٠٧ ، والإنصاف ٣٨٧ ، وشواهد كتاب سيبويه ١٢٩ .
- (٧) (ما) : ساقطة من (ج) .

يريد جمع غيابة ، فجمع مع أن ذا الغيابة واحد ، واختلفوا في هذا الجب ، فقال قتادة^(١) : «في بئر بيت المقدس» ، وقال وهب^(٢) : «هو بأرض الأردن» ، وقال مقاتل^(٣) : «هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب» .

وقوله تعالى : ﴿يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ الالتقاط : تناول الشيء من الطريق ، ومنه اللقط واللقيط ، والسيارة : الذين يسرون في الطريق للسفر . قال ابن عباس^(٤) : «يريد المارة» .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَيْنَ﴾ قال ابن عباس^(٥) : «يريد إن أضمرتم ما تريدون» ، وهذه الآية بيان عن اختيار أنقص الشرين ، كما أشار هذا القائل إذ رأى أنه لا بد من أحدهما .

١١ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ قال المفسرون^(٦) : لما تأمروا بينهم في إيقاع المكروه بيوسف وعزموا على ذلك قالوا^(٧) لأبيهم : ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ والقراء مجمعون^(٨) على إدغام النون الأولى في الثانية ، والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم ، وذلك أن الحرف المدغم بمنزلة الحرف الموقوف عليه من حيث جمعها

(١) الطبري ١٥٦/٢ ، وعبدالرزاق ٣١٨/٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٠٧/٧ ب ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ١٣/٤ ، والثعلبي ٦٤/٧ ب ، وزاد المسير ١٨٥/٤ ، والبحر المحيط ٢٨٤/٥ .

(٢) الثعلبي ٦٤/٧ ب ، وزاد المسير ١٨٥/٤ .

(٣) الثعلبي ٦٤/٧ ب ، وتفسير مقاتل ١٥١ أ ، وزاد المسير ١٨٥/٤ .

(٤) تنوير المقياس ١٤٧ ، والثعلبي ٦٥/٧ أ .

(٥) زاد المسير ١٨٥/٤ .

(٦) الطبري ١٥٧/١٢ ، وزاد المسير ١٨٦/٤ .

(٧) في (أ) و(ب) : (قال) .

(٨) الحجة ٤٠٠/٤ ، وإبراز المعاني ٥٣١ ، والسبعة لابن مجاهد ٣٤٥ . وأبو جعفر يقرأ بالإدغام المحض بلا إشهام ولا روم . إتحاف ٢٦٢ .

السكون ، فكما أشموا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً عند الإدراج ، ليعلم أنه كذلك في الوصل ، أشموا الحرف المدغم ليعلم أنه لو ظهر كان مرفوعاً ، والإشمام ضم الشفتين فقط ، وليس بصوت خارج إلى اللفظ ، إنما هو تهيئة العضو لإخراج الصوت به ، ليعلم بالتهيئة أنه يريد ذلك المهيأ له ، ولا يجوز رَوَم الحركة مع الإدغام ، كما جاز الإشمام ؛ لأن روم الحركة حركة ، وإن كان الصوت قد أضعف بها ، ولا يجوز الإدغام مع الحركة وإن كانت قد أضعفت ؛ لأن اللسان لا يرتفع مع روم الحركة في الحرف المدغم عن الحرفين ارتفاعاً واحدة ، وأما من ترك الإشمام ؛ فلأنه أخف على اللفظ ، وهو قياس الإدغام .

قال أهل المعاني : هذا تلطف منهم مع أبيهم في أمر يوسف ، وتشبيب لمساءلتهم إرساله معهم ، بدؤوا بالإنكار عليه خوفاً إياهم على يوسف ، وثنوا بإظهار النصح له في قولهم : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴾ ، قال ابن عباس^(١) : «يريد في الرحمة والبر» .

١٢ . قوله تعالى^(٢) : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب ﴾ ، قرأ ابن كثير^(٣) (نرتع) بالنون وكسر العين من الارتعاء ، (ويلعب) بالياء ، والارتعاء : افتعال من رعيت ، يقال : رعى الماشية الكلاً يرعاها رعيًا ، إذا أكلته ، والرعي الكلاً ، ومثله ارتعى ، قال الأعشى^(٤) :

تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالْكُثِيبَ فَذَا قَارٍ فَرَوْضَ الْقَطَا فَذَاتَ الرِّئَالِ

(١) انظر : تنوير المقباس ١٤٧ .

(٢) في (ج) : (وقوله) بزيادة الواو .

(٣) الطبري ١٢/١٥٨ ، والحجة ٤/٤٠٢ ، وإبراز المعاني ٥٣٣ ، والنشر ٣/١٢٣ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٥/٢٧٦ ، واللسان (سفع) ٤/٢٠٢٣ ، والتنبيه والإيضاح ١/٢٤٧ ، وتاج العروس (سفع) ٤/٩٠ .

هذا معنى الارتعاء للإبل والمواشي ، وقد أضافوه إلى أنفسهم ؛ لأن المعنى يرتعي إبلنا ، ثم يحذف المضاف فيكون يرتعي ، أو يقال حقيقة الرعي والارتعاء للماشية وينسب ذلك إلى أصحابها ؛ لأنهم السبب في ذلك بإيرادها الكلاً ومواضعه والقيام عليها ، فيسند ذلك إليهم ، وعلى هذا يقول العرب : رعينا روضة كذا ، ومكان كذا ، وهو كثير في أشعارهم ، ويحمل على ما ذكرنا من أحد الوجهين .

وأما فصله بين الارتعاء واللعب بالياء والنون ، فحَسَّنْ ؛ لأنه جعل الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز [الصغر ، وأسند اللعب إلى يوسف لصغره ، ولا لوم] ^(١) على الصغير في اللعب ، وقرأ نافع ^(٢) كلاهما بالياء وكسر العين من يرتعي ، أضاف الارتعاء إلى يوسف على معنى أنه يقوم على ماله في الارتعاء ليتدرب بذلك ، فمرة يرتعي ومرة يلعب كفعل الصبيان ، وقرأ أبو عمرو ^(٣) وابن عامر ^(٤) (نرتع) بالنون وجزم العين ، ومثله (نلعب) ، والعرب تقول : رتع المال ، إذا رعى ماشياً ، وارتعتها أنا ، والرتع لا يكون إلا في الخصب والسعة ، وإبل رتاع ، وقوم مرتعون وراتعون ^(٥) إذا كانوا مخاصيب .

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٢) السبعة ٣٤٥-٣٤٦ ، وإتحاف ٢٦٢ ، والحجة ٤/٤٠٢-٤٠٣ .

(٣) في (ج) : (قرئ ابن عمرو) .

(٤) السبعة ٣٤٥-٣٤٦ ، وإتحاف ٢٦٢ ، والحجة ٤/٤٠٢-٤٠٣ .

(٥) راتعون : ساقطة من (ج) .

وقال ابن الأعرابي: «الرتع الأكل بشره، يقال: رتع يرتع رتعا ورتاعاً»^(١)، ومنه قولهم^(٢): القيد والرتعة، ويقال بسكون التاء ومعناها الخصب ونيل ما يراد.

وقد حصل للرتع معنيان أحدهما: رعي المال في الخصب، فعلى هذا معنى نرتع بالنون كمعنى يرتعي في أنه للمال. ثم يحذف المضاف على ما ذكرنا، الثاني: أن معناه نيل ما يراد، وهذا يوصف به الإنسان كما ذكرنا في المثل، فقرأه أبو عمرو (نرتع) على معنى: نرتع إبلنا، ثم حذف المضاف، أو ينال ما يحتاج إليه.

وأما يلعب فقد روي أنه قيل لأبي عمرو: «كيف يقولون نلعب وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء»^(٣)، على أنه يجوز أن يراد باللعب هاهنا الذي هو ضد التشمير من الأخذ باللهو نيلاً، الذي هو ضد الحق، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال لجابر: «فهلاً بكرةً تلاعبها وتلاعبك»^(٤)، وهذا كأنه تشاغل بمباح وتنفس وجمام.

وقرأ أهل الكوفة^(٥) كلاهما بالياء وسكون العين والياء ووجهه بين، لأن إسناد الرتع بمعنى النيل من الشيء إلى يوسف لا يبعد، كما لا يمتنع أن ينسب إليه

(١) ما سبق كله نقل عن الأزهري في تهذيب اللغة ٢/١٣٥٦-١٣٥٧. بتصرف.

(٢) مثل: وأصله أن عمرو بن الصعق أسرته شاكراً من همدان، فأحسنوا إليه وكان فارق قومه نحيفاً، فهرب من شاكراً فلما وصل إلى قومه قالوا: أي عمرو خرجت من عندنا نحيفاً، وأنت اليوم بادن؟ فقال: (القيد والرتعة) فأرسلها مثلاً، و(الرتعة): الخصب، انظر: الميداني ٢/٣٩، والمفضل الضبي في أمثاله ٦٢، والفاخر للمفضل بن سلمة ١٧٠، ٢٤١، واللسان (رتع) ٣/١٥٧٧، الطبري ١٢/١٥٨، وتعليق شاكراً، ونسبه أبو عبيد في الأمثال ٥٦ إلى الغضبان بن القبعثري، قاله للعجاج عندما حبسه. تهذيب اللغة (رتع) ٢/١٣٥٦.

(٣) الحجة ٤/٤٠٦، وابن جرير الطبري ١٢/١٥٨، والثعلبي ٧/٦٥.

(٤) أخرجه البخاري بنحوه: (٥٠٧٩، ٥٠٨) في كتاب النكاح، باب تزويج الثيات، ومسلم (٥٥/٥١٧) في كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر.

(٥) انظر: السبعة ٣٤٦، وإتحاف ٢٦٢، والحجة ٤/٤٠٣، والطبري ١٢/١٥٨.

اللعب ، على أن أبا عبيدة^(١) فسّر نرتع باللهو ، فقال نرتع : نلهو ، وهذه القراءة آيين من قراءة من قرأ^(٢) (نلعب) بالنون ؛ لأنهم إنما سألوا إرسال يوسف ليتنفس بلعبه لا ليلعبوا هم .

وأما قول المفسرين فقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(٣) : «نرتع : نذهب ونجيء وننشط ونلعب ونلهو» .

[وقال مقاتل بن سليمان^(٤) : «نرتع نفرح ، ونلعب نتلاهى» .

وقال مجاهد^(٥) وقتادة^(٦) نسعى ونبسط^(٧) ، وقال أبو عبيدة^(٨) : «(نرتع ونلعب) معناه نلهو وننعم ، قال : هو من القيد والرتعة» ، وقال غيره : نقم في المرتع ، يقول بعضهم : نرتع نرعى إبلنا ، وقال قوم : نرتع نأكل ، واحتج بقول الشاعر^(٩) :

وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَع

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٠٣ .

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر كما سبق .

(٣) الطبري ٢/ ١٥٨ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٠٨ عن مجاهد ، وانظر : الدر ٤/ ١٣ .

(٤) تفسير مقاتل ١٥١ أنحوه .

(٥) ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٠٨ .

(٦) الطبري ١٢/ ١٥٩ ، وزاد المسير ٤/ ١٨٧ ، والقرطبي ٩/ ١٣٩ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣١٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٨) مجاز القرآن ١/ ٣٠٣ .

(٩) البيت لسويد بن أبي كاهل الشكري من قصيدة في المفضليات ١٩٠-٢٠٢ تعد من أغلى الشعر وأنفسه ، وانظر : ديوانه ٣١ ، والشعر والشعراء ٢٧٠ (٣٨٤) ، والرواية فيها «حبيب لي إذا لاقيته . .» ، وهو في الخزانة ٢/ ٥٤٧ كما هاهنا ، والزاهر ٢/ ٣١ ، والدر المصون ٦/ ٤٥٠ ، واللسان (رتع) ٣/ ١٥٧٧ .

أي أكله، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد^(١) في قوله: (نرتع): نتكالاً ونتحارس بعضنا بعضاً، وعلى هذا فهو افتعال من الرعاية بمعنى الحفظ، لا من رعي الماشية.

وقال بعض أهل المعاني: أصل الرتع للمال، ثم يستعمل في الإنسان على معنيين، أحدهما: الاتساع في البلاد بالذهاب في جهاتها من اليمين والشمال، والآخر: التصرف في الشهوات وضروب الملاذ، يقال: رتع فلان في ماله، إذا أنفق في شهواته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد من كل ما تخافه عليه».

١٣. وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ خبر عما يوجبه شدة الإشفاق من الحزن عن الفراق، فقال يحزني ذهابكم، وأخاف أن يأكله الذئب.

قال الكلبي وغيره من المفسرين^(٣): «إن يعقوب -عليه السلام- رأى في النوم ذئباً عدا على يوسف، فكان حذراً عليه، خائفاً من تناول الذئب له، لرؤياه التي رآها».

وقال آخرون: «إنما خاف عليه يعقوب الذئب، لأن أرضهم كانت مذابة»، ذكره مقاتل بن سليمان وغيره^(٤).

(١) الطبري ١٥٩/١٢، وابن أبي حاتم ٢١٠٧/٧، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ١٤/٤، والثعلبي ٦٥/٧، وابن عطية ٤٤٨/٧.

(٢) القرطبي ١٤٠/٩.

(٣) الثعلبي ٦٥/٧ ب، والبغوي ٢٢٠/٤، وزاد المسير ١٨٨/٤، وتنوير المقباس ١٤٧.

(٤) تفسير مقاتل ١٥١، وزاد المسير ١٨٨/٤، والرازي ٩٧/١٨.

ويقرأ الذئب^(١) مهموزاً ومخففاً ، وأصله الهمز^(٢) ؛ لأنه من قول العرب :
تذابت الريح وتذابت ، إذا جاءت من كل جهة كالذئب يحتل بالحيلة من كل
جهة ، فإذا خففت الهمز منه قلبت ياء ، وكذلك البير ، ويجمع أذوباً وذؤباناً^(٣) كما
قالوا : زق وزقان .

قال^(٤) :

وَأَزُورَ يَمْطُو فِي بِلَادٍ بَعِيدَةٍ

تَعَاوَا بِهِ ذُئْبَانُهُ وَتَعَالَيْتُهُ

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ قال ابن عباس^(٥) : « يريد لاهون
مشتغلون برعيتكم » ، وهذا بيان عما توجهه الشفقة من سوء الظن بحوادث
الزمان وعوارض الآفات .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾
أي إن أكله الذئب ونحن جماعة نرى الذئب قد قصده فلا نرده عنه ،
إننا إذا [لجاهلون في قول الكلبي ، أي]^(٦) : لجاهلون^(٧) بما يُعرفُ فضله

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحزمة بالهمز ، وقرأ الكسائي وحده بغير همز ،
الحجة ٤/٤٠٧ ، والسبعة ٣٤٦ ، والبدور الزاهرة ١٦١ ، والتبصرة ٥٤٥ ، وإتحاف ٢٦٣ .

(٢) هذا النص منقول عن أبي علي في كتابه الحجة ٤/٤٠٨ . بتصرف .

(٣) في (ب) : (وذؤباً) .

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ٤٨ ، والبحر المحيط ٥/٢٧٦ ، والدر المصون ٦/٤٥٢ ، وشرح شواهد
الإيضاح ٥١٧ ، وهو في التكملة ٢٠٠ بلا نسبة . وازور : يعني الطريق فيه عوج . ويمطو : يمد .

(٥) زاد المسير ٤/١٨٨ .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) و(ج) .

(٧) القرطبي ٩/١٤١ .

من إيثار البر وصللة الرحم وتجنب العقوق إن أكله الذئب بحضرتنا ولم نرده عنه .

وقال مقاتل^(١) : «معناه لئن أكله الذئب ونحن حضور ، وعندنا بأس ودفع ، إنا إذاً لعاجزون» .

قال : فالخسران هاهنا محمول على معنى العجز ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُون ﴾ [المؤمنون : ٣٤] ، معناه لعاجزون ، ولا بد^(٢) من إضمار في الآية على تقدير : ونحن عصبهٌ عنده أو بحضرته ؛ لأنه يجوز أن يأكله الذئب وهم عصبه غائبون عنه ، فلا يُنسَبون إلى الجهل ولا إلى العجز ، وإنما يلزمهم العجز والجهل إن أكله الذئب بحضرتهم فلم يردوه عنه .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا ﴾ ذكرنا معنى الإجماع عند قوله : ﴿ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ ﴾ [يونس : ٧١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ هذه الواو مقحمة زائدة عند الكوفيين ؛ لأنه جواب لما ، وجواب لما لا يقتضي واواً ، وعند البصريين لا يجوز إقحام الواو ، وجواب لما عندهم محذوف ، على تقدير لما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيبة الجب عظمت فتنتهم ، أو كبر ما قصدوا ، ثم قال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ وحذف الجواب كثير ، وهذه المسألة ذكرناها في ما تقدم ، قال المفسرون^(٣) : أوحى الله^(٤) إلى يوسف تقويةً لقلبه في البئر : لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوانك بصنيعهم

(١) تفسير مقاتل ١٥١ أنبحوه .

(٢) في (ج) : (لا بد) من غير واو .

(٣) الثعلبي ٧/٦٥ ب ، والطبري ١٢/١٦٠ ، والبخاري ٤/٢٢١ ، وزاد المسير ٤/١٩١ .

(٤) في (ب) : بزيادة (تعالى) .

هذا بعد اليوم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بأنك يوسف في وقت إخبارك إياهم بأمرهم ، وهذا^(١) قول ابن عباس^(٢) والحسن^(٣) وابن جريج^(٤) .

وقال^(٥) مجاهد^(٦) وقتادة^(٧) : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بأنه أوحى^(٨) إليه ، وأجمعوا على أنه أوحى إلى يوسف في البئر .

قال الحسن^(٩) : «أعطاه الله النبوة وهو في الجب» .

وقال قتادة^(١٠) : «أتاه وحي الله وهو في البئر» .

وقال الكلبي^(١١) : «ألقي في الجب وهو ابن ثمان عشرة سنة» .

قال أبو بكر بن الأنباري^(١٢) : «الفائدة في استتار الوحي عنهم ، أنهم لو وقفوا على الوحي وعلموا أن مدة يوسف تطول ، وأن أمره يقوى جاز أن يسبق إلى قلب

(١) في (ب) : (هذا) . من غير واو .

(٢) الطبري ١٢ / ١٦٢ ، الثعلبي ٧ / ٦٦ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١١٠ ، وانظر : الدر ٤ / ١٥ ، وزاد المسير ٤ / ١٩١ ، والقرطبي ٩ / ١٤٣ .

(٣) انظر : الرازي ١٨ / ١٠٠ .

(٤) الطبري ١٢ / ١٦٢ .

(٥) في (أ) و(ج) : زيادة (محمد) .

(٦) الطبري ١٢ / ١٦١ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٩ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤ / ١٥ ، والقرطبي ٩ / ١٤٣ ، والثعلبي ٧ / ٦٦ ، وزاد المسير ٤ / ١٩١ .

(٧) الطبري ١٢ / ١٦١ ، وعبدالرزاق ٢ / ٣١٨ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٩ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٤ / ١٥ ، وزاد المسير ٤ / ١٩١ .

(٨) في (ب) : (أوحى الله إليه) بزيادة لفظ الجلالة .

(٩) تفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٢٥٩ ، والقرطبي ٩ / ١٤٢ .

(١٠) الطبري ١٢ / ١٦١ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٠٩ ، وعبدالرزاق ٢ / ٣١٨ .

(١١) القرطبي ٩ / ١٤٢ .

(١٢) الرازي ١٨ / ١٠٠ .

بعضهم من الحسد ما لعله أن يقدم على إيقاع بلية بيوسف ، في وقت إخبارهم بصنيعهم ، فإن الله -تعالى- ألزم يوسف أن لا يطلع أباه ولا أحداً من إخوته على نسبه وموضعه ، ليوبخهم على ما سلف من عقوقهم ، ويعد عليهم ما فرط من إساءتهم ، فهم لا يعرفون عنه ، ولا يعرفون أنه أخوهم . ولهذا العلة ما كتم يوسف أباه يعقوب نفسه طول تلك المدة مع علمه بوجود أبيه به خوفاً من الخلاف على الله عز وجل ، فصبر على تجرع المرارة بما يعلمه من قلق أبيه ^(١) إثارة لطاعة ربه واتباعاً لأمره ، وكان الله -تعالى- قد قضى على يعقوب أن يوصله إلى درجة عالية لا يصل إليها إلا بعظيم الحسرة التي كان يكابدها ، فلذلك أمر يوسف بكتمان شأنه عن أبيه .

والقولان في قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حكاها الزَّجَّاجُ ^(٢) فقال في قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ : «هذا جائز أن يكون من صلة ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، وجائز أن يكون من صلة ﴿أَوْحَيْنَا﴾ ، المعنى : وأوحينا إليه ^(٣) وهم لا يشعرون ، أي نبأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أوحى إليه» .

١٦ . قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ﴾ قال ابن عباس ^(٤) : «ثم إنهم ذبحوا سَخْلَةً وجعلوا دمه على قميص يوسف ، وكانوا ^(٥) قد ألقوه في الجب عرياناً ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً﴾ ليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار وترويع ما مكروا» ^(٦) ، ﴿يَبْكُونَ﴾ مكرراً لإيهام براءتهم مما عرض ^(٧) ليوسف

(١) في (ب) : (الله) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٩٥ / ٣ .

(٣) في (ج) : (إليهم) .

(٤) الثعلبي ٦٦ / ٧ ب ، والطبري ١٢ / ١٦٣ .

(٥) في (أ) و(ب) و(ج) : (كانا) .

(٦) البحر المحيط ٥ / ٢٨٨ .

(٧) في (ج) : (عرضوا) .

من البلية بأكل الذئب على زعمهم . روى مجالد^(١) عن الشعبي قال :
«خاصمت امرأة إلى شريح وجعلت تبكي ، فقيل له : يا أبا أمية ،
أما تراها تبكي ؟ فقال شريح : قد جاء إخوة يوسف أباهم عشاءً
يكون»^(٢) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ قال أكثر المفسرين^(٣) : نتنصل
في الرمي ، وهذا اختيار الزَّجَّاج^(٤) وابن قتيبة^(٥) ، قال نتنصل : «يسابق
بعضنا بعضاً في الرمي» ، وعلى هذا هو من السباق في النصال ، وفيه قول
النبي ﷺ : «لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر»^(٦) يعني بالنصل :
الرمي ، وأصل السبق في الرمي للسهم ، وهو أن يرمي اثنان أيهما يكون
أسبق بينهما وأبعد غلوة ، ثم يوصف المتراميان بذلك ، فيقول : استبقا
وتسابقا ، إذا فعلا ذلك لتبيين أيهما أسبق سهماً ، ويدل على صحة هذا
التفسير ما روي أن في قراءة عبدالله (إنا ذهبنا نتنصل)^(٧) .

(١) هو مجالد بن سعيد بن عمير الكوفي الهمداني ، لين الحديث ، تغير حفظه في آخره ، توفي سنة ١٤٤ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٦١ / ٨ ، والتهذيب ٢٤-٢٥ / ٤ .

(٢) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ١٥ / ٤ .

(٣) الطبري ١٢ / ١٦٢ ، والثعلبي ٧ / ٦٦ ب ، وزاد المسير ٤ / ١٩١ ، والبغوي ٤ / ٢٢٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٩٥ / ٣ .

(٥) مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢١٧ .

(٦) أخرجه أحمد ٢ / ٤٧٤ ، برقم (١٠١٣٨) ، (ط . الرسالة) ، من حديث أبي هريرة ، والترمذي (١٧٠٠) في الجهاد ، باب ما جاء في الرهان والسبق ، وأبو داود عون المعبود : (٢٥٥٧) في الجهاد ، باب في السبق ، وابن ماجه (٢٨٧٨) في الجهاد ، باب السبق والرهان وصححه الألباني . انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني : (١٣٢٦) ، كتاب الجهاد ، باب السبق والرهان وخرجه الألباني في إرواء الغليل : (١٥٠٦) .

(٧) الثعلبي ٧ / ٦٦ ب ، والقرطبي ٩ / ١٤٥ .

وقال السدي^(١) ومقاتل^(٢) : «نستبق : نشد ونعدو لتبين أيننا أسرع عدواً» ،
فإن قيل كيف جاز لهم أن يستبقوا وهم رجال بالغون ، وهذا من فعل الصبيان ؟
فالجواب ما ذكره صاحب النظم ، وهو أن الاستباق فيهم كان مثل السباق في
الخيال والنصال عندنا ، وكانوا يُجْزُونَ بذلك أنفسهم ويدربونها على العدو ، لأنه
كآلة لهم في محاربة العدو ، ومدافعة الذئب إذا رام ماشيتهم^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَكَعًا يُسُفِّعُهُ مَدًّا مَدًّا مَدًّا ﴾ قال ابن عباس^(٤) : «يريد
ثيابهم» ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ ، قال عامة المفسرين^(٥) وأصحاب
المعاني^(٦) : «مصدق لنا» ، وذكرنا تحقيق هذا في أول سورة البقرة^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ ، قال أبو إسحاق^(٨) : «ليسوا يريدون
أن يعقوب لا يصدق من يعلم أنه صادق ، هذا محال لا يوصف الأنبياء بذلك ،

(١) زاد المسير ١٩٢/٤ ، والرازي ١٠١/١٨ .

(٢) ذكره الثعلبي بقوله ابن حيان ٦٧/٧ .

(٣) الرازي ١٠١/١٨ ، والقرطبي ١٤٥/٩ .

(٤) البغوي ٢٢٢/٤ ، وزاد المسير ١٩٢/٤ .

(٥) الطبري ١٦٢/١٢ ، والثعلبي ٦٧/٧ ، والبغوي ٢٢٢/٤ ، وزاد المسير ١٩٢/٤ ، والقرطبي
١٤٨/٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٩٦/٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٠٣/١ ، ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة
٢١٧/١ .

(٧) ذكر عند قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٣] أقوال العلماء في أن الإييان بمعنى التصديق ،
ونقل عن الأزهرى حكايته اتفاق العلماء على هذا المعنى ، وشرح دلالة اللفظ عليه مع الاستشهاد
بأقوال أهل اللغة ، ثم قال : «والقول في معنى الإييان ما قاله الأزهرى» .

قلت : إن كان المقصود أن ذلك في اللغة ، فالأمر فيه واسع وهو محل خلاف ، وإن كان المقصود المعنى
الشرعي فهو مردود ، والإييان عند علماء السلف : تصديق القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٣٨١ ، ٣٨٢ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٩٦/٣ .

لكن المعنى : لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لاتهمتنا في يوسف ؛ لمحبتك إياه وظننت أنا قد كذبناك» .

ونحو هذا قال أبو العباس^(١) في معنى هذه الآية ، قال : «معناه : ولو كنا صادقين في كل الأشياء لاتهمتنا في هذه القصة ولم يقرب قولنا من قلبك ، لغلبة استغشاشك لنا وتهمتك إيانا في أمر يوسف» .

وقال أبو بكر : «أرادوا نحن صادقون عند أنفسنا ، وأنت غير مصدق لنا ، إن لم تقم أمارات صدقنا عندك ، فلو كنا صادقين عند الله أولاً ثم عند أنفسنا ما صدقتنا ، إذ لم يقم عندك براهين صدقنا» .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِهِ يَدْمِرُ كَذِبٌ ﴾ قال ابن عباس^(٢) ومجاهد^(٣) وعامة المفسرين^(٤) : «كان ذلك دم سَخْلَة» ، وقيل جدي^(٥) ، وقيل : حل ، كل هذا من لفظهم .

(١) لعله أبو العباس الأصم محمد بن يعقوب السناني النيسابوري الوراق ، أحد أئمة الشافعية ، إمام ثقة حافظ ، توفي سنة ٣٤٦ هـ . انظر : طبقات فقهاء الشافعية ١/ ٧٦ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٢/١ .

(٢) الطبري ١٢/ ١٦٣ ، ابن أبي حاتم ٧/ ٢١١١ ب وانظر : الدر ٤/ ١٦ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣١٨ .

(٣) الطبري ١٢/ ١٦٣ ، والقرطبي ٩/ ١٤٩ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١١١ ب .

(٤) الطبري ١٢/ ١٦٣ ، والبغوي ٤/ ٢٢٢ ، وزاد المسير ٤/ ١٩٣ ، والرازي ١٨/ ١٠٢ .

(٥) قاله السدي كما في الطبري ١٢/ ١٦٣ ، والشعبي كما في الطبري ١٢/ ١٦٤ .

قال الفرّاء^(١) وأبو العباس^(٢) والرّجّاج^(٣) وابن الأنباري^(٤) وأصحاب العربية^(٥) ﴿يَذْمِرُ كَذِبٍ﴾ أي مكذوب فيه ، إلا أنه وصف بالمصدر على تقدير : ذي كذب ، ولكنه أجري على الوصف بالمصدر للمبالغة ، وهذا معنى قول الأخفش^(٦) : جعل الدّم كذباً لأنه كذب فيه ، كما قال : ﴿فَمَا رِيحَتِ بِحَثَرِثُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] قالوا : والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر كما يقال : ماء سكب ، أي مسكوب ، ودرهم ضرب الأمير ، وثوب نسج اليمن ، والفاعل كقوله : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] ، ورجل عدل وصوم^(٧) ، ونساء نوح ومنه^(٨) :

... وجاوي نوحاً قياماً

ولما سميتا بالمصدر ، سُمِّي المصدرُ بهما ، فقالوا للعقل : المعقول ، وللجلد : المجلود ، ومنه قوله تعالى : ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَفُتُونُ﴾ [الفلم: ٦] ، وقالوا للكذب الكاذبة ، وللخيانة الخائنة ، ومثله العاقبة والعافية .

-
- (١) معاني القرآن ٣٨ / ٢ .
 (٢) تهذيب اللغة للأزهري ٣١١٥ / ٤ .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ٩٦ / ٣ .
 (٤) الرازي ١٠٢ / ١٨ .
 (٥) معاني القرآن ٥٩٠ / ٢ ، ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢١٧ / ١ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٦٧ / ١٠ .
 (٦) معاني القرآن للأخفش ٥٩٠ / ٢ .
 (٧) (صوم) : ساقطة من (ج) .
 (٨) بعض بيت من الوافر وتماهه :
 هَرِيقِي مَنْ دَمَوْعُهَا سَجَالَا ضَبَاعَ وَجَاوِي نَوْحاً قِيَامَا
 ولم ينسبه الواحدي هنا ، وهو بلا نسبة أيضاً في مجاز القرآن ٤٠٤ / ١ ، والطبري ٢٤٩ / ١٥ (العلمية) ،
 والقرطبي ٤٠٩ / ١٠ .

قال الحسن^(١) وسعيد بن جبير^(٢) : «لما جاءوا يعقوب بالقميص ملطخاً بالدم ، قال : كذبتُم ، ما عهدي^(٣) بالذئب حليماً ، لو كان أكله لخرق قميصه» .

وقال الكلبي عن ابن عباس^(٤) : «قال لهم : لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يخرق قميصه ، قالوا : فقتله اللصوص ، قال : كيف قتلوه وتركوا قميصه ، وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله» .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ قال ابن عباس^(٥) وعامة المفسرين^(٦) : «زينت لكم أنفسكم أمراً» .

قال أهل المعاني : التسويل تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه . وقوله ﴿بَلْ﴾ ردّ لقولهم : أكله الذئب ، كأنه قال : ليس كما تقولون ، بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمراً غير ما تصفون .

قال الأزهري^(٧) : «وكان التسويل تفعيل من سَوَّلَ الإنسان ، وهي أمنيته التي يطلبها ، فيزين لطالبها الباطل وغيره من أمر الدنيا ، وأصله مهموز غير أن العرب استثقلوا فيه الهمز لما كثر في كلامهم» .

(١) الطبري ١٦٤/١٢ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ١٦/٤ ، وانظر : تفسير الحسن ٢٩/٢ .

(٢) أخرجه الطبري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ١٦٤/١٢ وكذا ابن أبي حاتم ٢١١/٧ ب .

(٣) في (أ) و(ج) : (ما عهدي) .

(٤) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣٨/٢ ، وزاد المسير ١٩٣/٤ ، والقرطبي ١٤٩/٩ .

(٥) تنوير المقياس ١٤٧ .

(٦) الثعلبي ٦٧/٧ ب ، والطبري ١٦٥/١٢ ، والبغوي ٢٢٣/٤ ، وزاد المسير ١٩٣/٤ ، القرطبي ١٥١/٩ ، ومشكل القرآن وغيره ٢١٧ ، ومجاز القرآن ٣٠٣/١ .

(٧) تهذيب اللغة ٦٧/١٣ ، وهذا السياق نص نسخة (ج) ، وفي الأصل : (فيزين لطالبها الباطل والغرور) .

وقوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ قال مجاهد^(١) ، والمفسرون^(٢) : «أي صبر ليس فيه جزع ولا شكوى» ، وروي مرفوعاً أن النبي ﷺ ، سئل عن الصبر الجميل فقال : «هو صبرٌ لا شكوى فيه»^(٣) .

وقال أهل المعاني : الصبر الجميل هو أن يصبر حتى لا يظهر فيه تغير بعبوس وجه وانقباض عما كان يتبسط^(٤) فيه قبل المصيبة .

واختلفوا في وجه ارتفاع الصبر ، فقال الخليل^(٥) : «معناه : فالذي أعتقده صبر جميل» .

وقال قطرب^(٦) : «معناه : فصبري صبر جميل» .

وقال الفرّاء^(٧) : «فهو صبر جميل» ، وقال أبو عبيد^(٨) : «تقديره : فليكن مني صبر جميل» .

وقال الزّجاج^(٩) : «فشأني صبر جميل» ، قال ابن الأنباري : «والمعاني متقاربة» . وقال بعضهم : فصبر جميل أولى بي ، وعلى هذا هو ابتداء وخبره محذوف .

(١) الطبري ١٢/١٦٥ ، وعبدالرزاق ٢/٣١٨ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٢ ، والفريابي وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ٤/١٩ .

(٢) الطبري ١٢/١٦٥ ، والثعلبي ٧/٦٧ ب ، والبخاري ٤/٢٢٣ ، وزاد المسير ٤/١٩٣ .

(٣) أخرجه الطبري ١٢/١٦٥ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٢ . قال المناوي : «هو من حديث حبان بن حيلة وهو مرسل» ، والفتح الساموي ٢/٧٢٧ .

(٤) في (ب) : (تبسط) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزّجاج ٣/٩٦ ، وزاد المسير ٤/١٩٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٩٦ ، وزاد المسير ٤/١٩٣ ، والقرطبي ٩/١٥١ .

(٧) معاني القرآن ٢/٥٣ ، وزاد المسير ٤/١٩٣ .

(٨) انظر : البحر المحيط ٥/٢٨٩ ، والدر المصون ٦/٤٥٧ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/٩٦ .

وقال أبو إسحاق^(١) : « ويجوز في غير القرآن : فصبراً جميلاً ، وأنشد^(٢) :
يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمُشْتَكَى
قال : وروي : صبراً ، على فاصبر صبراً » ، قال أبو عبيدة^(٣) وغيره : « الأحسن
إذا وصف الصبر الرفع ، وإذا أفرد النصب » .

وأنشدوا^(٤) :

أَلَا انْمَامِي فَصَبْرًا بَلِيَّةً وَقَدْ يُبْتَلَى الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ قال أهل المعاني : هذا بيان عما
يوجهه التقى من الصبر الجميل عند المصيبة ، والاستعانة بالله - عز وجل - عند ما
يعرض من الأمور الهائلة .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ قال المفسرون^(٥) : يعني رفقة تسير
للسفر ، ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ وهو الذي يرد الماء ليستقي للقوم .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٩٦/٣ .

(٢) الأبيات للمبد بن حرمة ، في ابن السيرافي ٢٢٨ وبلا نسبه في معاني الفراء ٥٤ / ٢ ، ومعاني الزجاج ٩٧ / ٣ ، وتأويل مشكل القرآن ١٠٧ ، ومجاز القرآن ٣٠٣ - ٣٠٤ ، واللسان (شكا) ٢١١٤ / ٤ ، وتهذيب اللغة ١٩٠٩ / ٢ ، والقرطبي ١٥٣ / ٩ ، وكتاب سيبويه ٣٢١ / ١ ، وفي شواهد الكشاف : «شكا إلي جلي» .

(٣) مجاز القرآن ٣٠٣ / ١ .

(٤) كذا في النسخ ولعل البيت : (ألا يا نمامي فصبراً . .) وبه يستقيم الوزن ، وهو من الطويل ، ولم أقف عليه .

(٥) الثعلبي ٦٧ / ٧ ب .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ قال عامة أهل اللغة^(١) : يقال : أدلى دلوه ، إذا أرسلها في البئر ، ودَلَّأها : إذا نزعها من البئر ، يقال : أدلى يدلي إدلاءً إذا أرسل ، ودلى يدلو دلواً ، إذا جذب وأخرج .

قال الشاعر^(٢) :

يَنْزِعُ مِنْ جَمَّاتِهَا دَلْوَ الدَّالِي

أي ينزع النازع ، والدلو معروف ، والجمع الدلاء ، والعدد إدل ودلي ، ويقال للدلو دلاة .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلْمٌ ﴾ قال ابن عباس^(٣) وقتادة^(٤) والسدي^(٥) : « لما أدلى المدلي تشبث يوسف بالرشا فأخرجه الوارد ، فقال : يا بشراي » . قال الحسن^(٦) : « يا بشراي مثل : يا فرحتنا ، وهو في موضع نصب ؛ لأنه نداء مضاف » .

قال ابن الأنباري : « وقع النداء في اللفظ بالبشرى ، وهو في المعنى واقع لغيرها ، تأويله : يا هؤلاء تنبهوا لبشراي » . وهذا معنى قول أبي إسحاق^(٧) ، ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تحيب تنبيه المخاطبين ، وتوكيد القصة إذا قلت : يا عجباه ، فكأنك قلت : اعجبوا ، وذكر وجهاً آخر ، وهو أن يكون

(١) تهذيب اللغة للأزهري (دلا) ١٢١٣/٢ مع تقديم وتأخير .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) زاد المسير ١٩٤/٤ .

(٤) عبدالرزاق ٣٠٢/٢ ، والطبري ١٦٧/١٢ ، وابن أبي حاتم ٢١١٣/٧ ، وابن المنذر كما في الدر ١٧/٤ ، القرطبي ١٥٣/٩ .

(٥) الطبري ١٦٧/١٢ ، والقرطبي ١٥٣/٩ .

(٦) تفسير كتاب الله العزيز ٢٦٠/٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٩٧/٣ .

المعنى : يا أيتها البشرى هذا من إيانك وأوانك ، وزاد أبو علي ^(١) لهذا الوجه بياناً ، فقال : «المعنى فيه أن هذا من أوانك ولو كنت ممن يخاطب لخطبت الآن ، وهذا في كل منادى لا يجيب ولا يعقل» .

وقرأ أهل ^(٢) الكوفة ﴿يَبْشُرَى﴾ من غير إضافة ، وهذه القراءة كالأولى في أنه نداءً لمن لا يجيب ، إلا أن هذا نداءً غير مضاف فيكون رفعاً ، قال السدي ^(٣) : «نادى المدلي صاحبه وكان اسمه بشرى ، فقال : يا بشراي ، كما تقول : يا زيد» .

وروي عن الأعمش ^(٤) أنه قال : «دعا امرأة اسمها بشرى» .

قال أبو علي ^(٥) : «من جعل البشرى اسماً للبشارة وهو الوجه ، جاز أن يكون في محل الرفع مثل : يا رجل ، لاختصاصه بالنداء ، وجاز أن يكون في موضع نصب على أن يجعله نداءً شائعاً في جنس البشرى ولم يخص كما فعلت في الوجه الأول ، كما يقول : يا رجلاً ، و﴿يَنْحَسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس : ٣٠] ، فالوجه الأول على أنه بشرى مختصة ، والآخر أن ينزله من جملة كلها مثلها في الشيع ، إلا أن التنوين لم يلحق بشرى لأنه لا ينصرف» .

(١) الحجة ٤/ ٤١٢ .

(٢) السبعة ٣٤٦ ، والنشر ٣/ ١٢٤ ، وإبراز المعاني ٥٣٣ ، وإتحاف ٢٦٣ .

(٣) الطبري ١٢/ ١٦٧-١٦٨ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١١٣أ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٧ ، وزاد المسير ٤/ ١٩٤ ، والقرطبي ٩/ ١٥٣ .

(٤) الرازي ١٨/ ١٠٦ ، وزاد المسير ٤/ ١٩٤ .

(٥) الحجة ٤/ ٤١١ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً﴾ ، قال مجاهد^(١) والسدي^(٢) وأكثر المفسرين^(٣) : أسره الوارد وجاءوا من كان معه من التجار من الذين معهم في الرفقة ، وقالوا لهم : هو بضاعة استبضعناها بعض أهل الماء إلى مصر ، خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة ؛ لرخص ثمنه .

قال إسحاق بن بشر^(٤) : « قالوا في ما بينهم : إن قلنا لهم التقطناه شاركونا ، وإن قلنا اشتريناه ، سألونا الشركة ، فنقول : إن أهل الماء أبضعوه معنا على أن نبيعه لهم بمصر » ، قال ابن عباس^(٥) في رواية عطية : « (أسروه) يعني : إخوة يوسف أسروا شأنه أن يكون أخاهم ، وقالوا : هو عبد لنا أبق منا ، وتابعهم يوسف على ذلك ؛ لأنهم توعدوه بالقتل بلسان العبرانية » .

وقوله تعالى: ﴿بِضْعَةٍ﴾ البضاعة : القطعة من المال تجعل للتجارة ، من : بضعت الشيء ، إذا قطعته ، قال الزجاج^(٦) : « وبضاعة منصوب على الحال ، كأنه قال : وأسروه جاعليه بضاعة » ، [وعلى القول الأول في أسروه ، الجاعلون هم الواردة ، جعلوه بضاعة على ما بينا وعلى القول الثاني الجاعلون إخوته ، جعلوه بضاعة]^(٧) حيث باعوه كما تباع البضائع .

(١) الطبري ١٢/١٦٨ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٤ وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٨ ، وزاد المسير ٤/١٩٥ ، والثعلبي ٧/٦٨ ، والبغوي ٤/٢٢٤ .

(٢) الطبري ١٢/١٦٩ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٤ .

(٣) الطبري ١٢/١٦٨ ، والثعلبي ٧/٦٨ ، والبغوي ٤/٢٢٤ ، وزاد المسير ٤/١٩٥ ، والرازي ١٠٦/١٨ .

(٤) هو إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري ، له كتاب المبتدأ ، تركوه وكذبه ابن المديني ، وقال الدارقطني : كذاب متروك . توفي سنة ٢٠٦ هـ . انظر : ميزان الاعتدال ١/١٨٤ ، والأعلام ١/٢٩٤ ، ومعجم المؤلفين ١/٣٤٠ . وانظر : الرازي ١٨/١٠٧ .

(٥) الطبري ١٢/١٦٨ ، والثعلبي ٧/٦٨ ، وزاد المسير ٤/١٩٥ ، وابن عطية ٧/٤٦٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٩٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد يوسف»^(٢) .

قال أهل المعاني : هذه الآية بيان عما يوجهه حسن تدبير الله - تعالى - من التسبب لنجاة من يشاء نجاته .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ قال ابن عباس^(٣) في رواية الكلبي : «لما طرح يوسف في الحب وانصرفوا رجعوا بعد ثلاث ، يتعرفون خبره ، فلما لم يروه في الحب رأوا آثار السيارة اتبعوهم ، فحين أبصروا يوسف قالوا : هذا عبدنا أبق منا ، فقالوا لهم : فبيعونا ، فباعوه منهم باثنين وعشرين درهماً ، وهم أحد عشر» ، ونحو هذا قال مجاهد^(٤) : «باع يوسف إخوته باثنين وعشرين درهماً» .

قال الزَّجَّاج^(٥) : «أخذ كل واحد من إخوته درهمن» .

(١) تنوير المقياس ١٤٧ .

(٢) في (ج) : (يوسف) . من غير باء .

(٣) الرازي ١٨/١٠٧ ، وابن عطية ٧/٤٦٤-٤٦٦ .

(٤) الطبري ١٢/١٧٣ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٦ وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٨ ، وزاد المسير ٤/١٩٧ ، والقرطبي ٩/١٥٦ ، والبغوي ٤/٢٢٤ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٩٨ .

وقال ابن عباس^(١) في رواية عطاء : «باعوه بعشرين درهماً ، فأخذ كل واحد منهم ، إلا يهودا فإنه لم يأخذ شيئاً» ، وهذا قول ابن مسعود^(٢) والسدي^(٣) ، فذلك قوله : ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ أي باعوه ، يقال : شريت الشيء ، إذا بعته وإذا اشتريته ، قال الشماخ في البيع^(٤) :

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً

وَفِي الصَّدْرِ خَزَازٌ مِّنَ اللَّوْمِ حَامِزٌ

يريد : باعها ، وقال قتادة^(٥) في رواية معمر : «السيارة هم الذين باعوه» .

(١) الطبري ١٢/١٧٣ ، لكنها من رواية ابن جريح ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٦ وأبن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٩ ، وزاد المسير ٤/١٩٦ ، والقرطبي ٩/١٥٥ ، والبغوي ٢/٢٢٤ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب .

(٢) الطبري ١٢/١٧٢ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب ، وابن أبي شيبه والطبراني ، وقال في المجمع ٧/٣٩ : «رجال الصريح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه» ، والحاكم ، وصححه ابن المنذر كما في الدر ٤/١٩ ، والبغوي ٤/٢٢٤ ، وزاد المسير ٤/١٩٦ ، والقرطبي ٩/١٥٥ .

(٣) الطبري ١٢/١٧٢ ، وزاد المسير ٤/١٩٦ ، والقرطبي ٩/١٥٥ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب .

(٤) وهو الشماخ بن ضرار الغطفاني ، شاعر فحل مخضرم ، شهد القادسية وتوفي في خلافة عثمان . انظر : الشعر والشعراء ١٩٥ ، والإصابة ٢/١٥٤ ، والأعلام ٣/١٧٥ ، وديوانه ١٩٠ ، والزاهر ١/٣٧١ ، ٢/٢٥٦ ، والبيت قاله في رجل باع قوسه من رجل ، ومعنى (حامز) : عامر وقيل : ممض محرق ، ويروى (من الوجد) كما في اللسان (حزز) ١/٦١٢ ، والقرطبي ٩/١٥٥ . وكتاب العين ٣/١٧ ، ١٦٧ ، وتهذيب اللغة (حز) ١/٩١٨ ، وجمهرة اللغة : (٥٢٩) ، ومقاييس اللغة ٢/٨ ، ومجمل اللغة ١/٢١٢ ، وأساس البلاغة (حزز) ١/١٧١ .

(٥) عبد الرزاق ٢/٣٢٠ ، وزاد المسير ٤/١٩٦ ، والطبري ١٢/١٧١ ، والدر ٤/١٨ .

وقوله تعالى: ﴿يَشْمَنِ بِخَيْسٍ﴾ يريد حرام ، وهذا قول الضحاك^(١) ومقاتل^(٢) والسدي^(٣) ، وعلى هذا سمي الحرام بخساً ؛ لأنه لا بركة فيه ، فهو منقوص البركة .

وقال قتادة^(٤) : «بخس ظلم» ، والظلم : النقصان ، يقال : ظلمه حقه ، أي نقص . وقال عكرمة^(٥) والشعبي^(٦) : «قليل» .

وقال مقاتل بن حيان^(٧) : «زيوف من دراهم اليمن» ، وعلى الأقوال كلها ، البخس مصدر وضع موضع الاسم ، والمعنى : بثمان مبخوس ، أي منقوص البركة ؛ لأنه حرام ، أو منقوص لقلته عن ثمن مثله ، أو منقوص القيمة لأنه زيف .

وقوله تعالى: ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من الثمن وتفسير له وواحد درهم ، ويقال^(٨) : رجل مدرهم ، أي كثير الدراهم .

-
- (١) الطبري ١٢/١٧١ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٨ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب ، وزاد المسير ٤/١٩٦ ، والقرطبي ٩/١٥٥ .
 - (٢) تفسير مقاتل ١٥٢ أ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب ، والبغوي ٤/٢٢٤ .
 - (٣) الثعلبي ٧/٦٨ ب ، والبغوي ٤/٢٢٤ ، والقرطبي ٩/١٥٥ .
 - (٤) الطبري ١٢/١٧٢ ، وعبد الرزاق ٢/٣٢٠ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٨ ، والقرطبي ٩/١٥٥ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٦ ب .
 - (٥) الطبري ١٢/١٧٢ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٦ ب ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٨ ، والبغوي ٢/٢٢٤ ، وزاد المسير ٤/١٩٦ .
 - (٦) الطبري وابن المنذر كما في الدر ٤/١٨ ، والبغوي ٤/٢٢٤ ، وزاد المسير ٤/١٩٦ .
 - (٧) الثعلبي ٧/٦٨ ب ، وعزه البغوي لابن عباس وابن مسعود ٤/٢٢٤ .
 - (٨) تهذيب اللغة (درهم) ٢/١١٨١ .

وقوله تعالى: ﴿مَعْدُودَةٌ﴾ قال ابن إسحاق^(١): «كانوا يعدون الدراهم ، حتى يبلغ أوقية ، فقال الله عز وجل : ﴿دَرَهُمَ مَعْدُودَةٌ﴾ ، ليعلم أنها أقل من أوقية ، وذلك أنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهماً ، إنما كانوا يعدونه عدداً» ، وقال أصحاب المعاني^(٢) : يعني معدودة قليلة ، وذكر العدد عبارة عن القلة ، وذلك أن الكثير قد يمتنع من عدده لكثرتة ، والقليل يعد لقلته ، وذكرنا الاختلاف في عدد الدراهم .

وقوله تعالى: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ قال الليث^(٣) : «الزهد : الزهادة في الدنيا» ، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة ، والزهادة في الأشياء كلها ، ومعنى الزهد قلة الرغبة ، يقال : زهد فلان في هذا ، إذا لم يرغب فيه ، وأصله من القلة ، ومنه يقال : رجل زهيد ، إذا كان قليل الطعم ، رجل مزهد قليل المال ، ومصدر قوله ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ الزهادة لا الزهد ، قال ابن عباس^(٤) : «يريد إخوة يوسف» ، كانوا في يوسف من الزاهدين .

قال الضحاك^(٥) : «لم يعرفوا نبوته ، وموضعه من الله ، وكرامته عليه» ، ويجوز أن تعود الكناية في قوله ﴿فِيهِ﴾ إلى الثمن^(٦) ، والمعنى : أن إخوة يوسف كانوا من الزاهدين في الثمن إما لذاته ، وإما لأن قصدهم تبعيد يوسف لا الثمن .

(١) الطبري ١٢/١٧٣ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب ، وزاد المسير ٤/١٩٦ عن ابن عباس ، والقرطبي ٩/١٥٦ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/٤٠ ، ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢١٧ .

(٣) تهذيب اللغة (زهد) ٢/١٥٦٨ .

(٤) زاد المسير ٤/١٩٧ ، والقرطبي ٩/١٥٧ ، والبغوي ٤/٢٢٥ .

(٥) الطبري ١٢/١٧٤ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٨ أ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١٩ ، وزاد المسير ٤/١٩٧ .

(٦) زاد المسير ٤/١٩٧ .

قال الزَّجَّاج^(١) : وقوله تعالى : ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (فيه) ليست من صلة الزاهدين ؛ لأنها لو كانت من صلته ما جاز أن تقدم عليه ، لا يجوز أن تقول : كانوا زيدا من الضاربين ؛ لأن زيدا^(٢) من صلة الضاربين فلا يتقدم الموصول ، وهذا في الظروف جائز ؛ لأنها أقوى في حذف العامل من غيرها ، والتقدير : كانوا زاهدين فيه من الزاهدين ، ثم حذف زاهدين الأول ؛ لأن العامل في الظروف كثيراً ما يحذف ، هذا معنى قوله وبعض لفظه . وأكثر المفسرين^(٣) على ما ذكرنا في الآية أن إخوته باعوه .

وقال قتادة^(٤) : «باع يوسف الذين استخرجوه من البئر بعشرين درهماً» .

وقال محمد بن إسحاق^(٥) : «يقال : إن يوسف باعه إخوته ، فربك أعلم إخوته باعوه أو السيارة»^(٦) ، وقيل : شروه ها هنا بمعنى اشتروه ؛ أي السيارة اشتروه من إخوته ، وكانوا فيه من الزاهدين ؛ لأنهم قالوا لهم : إنه عبد آبق .

قال مجاهد^(٧) : «كانوا يقولون شددوه لا يآبق» ، وعلى هذا الزهادة فيه من صفة السيارة ، ويجوز أن يعود الكناية في قوله (فيه) إلى الثمن ، والمعنى أن السيارة كانوا من الزاهدين في ذلك الثمن ، لقلته ورداءته .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٩٨/٣ .

(٢) في (أ) و(ب) : (زيدٌ) .

(٣) الطبري ١٧٤/١٢ ، والدر المنثور ١٨/٤ ، والبعوي ٢٢٥/٤ ، وزاد المسير ١٩٦/٤ .

(٤) عبدالرزاق ٣٢٠/٢ ، والطبري ١٧٣/١٢ ، وزاد المسير ١٩٦/٤ .

(٥) الرازي ١٠٧/١٨ .

(٦) في (ب) : (والسيارة) .

(٧) الطبري ١٨٦/١٢ ، وابن أبي حاتم ٢١١٧/٧ ب ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ١٨/٤ .

٢١. قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ قال جوير عن الضحاك^(١) :
«الذي اشتراه من مصر هو العزيز ملك مصر» .

وقال محمد بن إسحاق^(٢) : «باعه مالك بن ذعر وهو الذي استخرجه من
البئر من العزيز وهو اطفير بن رويح ، وكان على خزائن الملك وأمره ، وكان
الملك في ذلك الدهر الريان بن الوليد رجلاً من العمالة» .

وقال الكلبي عن ابن عباس^(٣) : «العزيز لم يكن الملك ، إنما كان وزير الملك
وصاحب أمره» .

وقال مقاتل بن سليمان^(٤) : «باع مالك بن ذعر من قطفير بن ميثا بعشرين
ديناراً ، وزاده حلة ونعلين» ، ومعنى الاشتراء والشراء هاهنا الاستبدال لا المنعقد
بيعاً وشراء كقوله : ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾^(٥) ، وقد مر ، وقوله : ﴿لَا مَرَاتَهُ﴾
اللام من صلة القول ، أي قال لامراته .

(١) الطبري ١٢/١٧٥ ، والقرطبي ٩/١٥٨ .

(٢) الطبري ١٢/١٧٥ ، والقرطبي ٩/١٥٨ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب .

(٣) تنوير المقباس ١٤٨ ، والثعلبي ٧/٦٨ ب .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٢ ب .

(٥) البقرة ١٦ ، ١٧٥ وقال هناك : «حقيقة الاشتراء الاستبدال ، وكل شراء استبدال ، وليس كل استبدال
اشتراء» .

قال ابن عباس^(١) في رواية الكلبي: «اسم امرأة العزيز زليخا»، وهو قول مقاتل^(٢)، وقال شعيب الجبائي^(٣): «اسمها زليخة»، وقال محمد بن إسحاق^(٤): «اسمها راعيل».

وقوله تعالى: ﴿أَكْرَمِي مَثْوًهُ﴾ أي أكرمي منزله ومقامه عندك، من قولك: ثويت بالمكان، إذا أقمت به، ومصدره الثواء، يقال: ثوى يثوي^(٥) ثوىً. قال ابن عباس^(٦): «يريد أكرمي ما كان عندك».

نحو هذا قال الزَّجَّاج^(٧) المعنى: أحسني إليه في طول مقامه عندنا، فالمثوى على هذا بمنزلة الظرف، كأنه قيل: أحسني إليه مدة مقامه عندنا، والمثوى على هذا مصدر، ومن المفسرين من يجعل المثوى الموضع الذي يقيم فيه، وهو قول قتادة^(٨) وابن جريج^(٩)، وعلى هذا أمر العزيز امرأته بإكرام مثواه، دون إكرام نفسه فقط، ومعنى الإكرام، إعطاء المراد على جهة الإعظام.

(١) تنوير المقباس ١٤٨، وزاد المسير ١٩٨/٤، والبغوي ٢٢٥/٤.

(٢) تفسير مقاتل ١٥٢ب، وزاد المسير ١٩٨/٤.

(٣) لم أجده في مظانه، وهذا القول هو قول مقاتل، وانظر: زاد المسير ١٩٨/٤، والرازي ١٠٩/١٨، والبغوي ٢٢٥/٤، والقرطبي ١٥٨/٩.

(٤) الطبري ١٢/١٧٥، وابن أبي حاتم ٧/٢١١٧ب، وانظر: الدر المنثور ٤/١٩، والثعلبي ٧/٦٩أ، وزاد المسير ١٩٨/٤.

(٥) في (ج): (يثوى ثواء) وهو الصحيح كما في تهذيب اللغة ١/٥١٠.

(٦) انظر: البغوي ٢٢٥/٤، وزاد المسير ١٩٨/٤، والقرطبي ١٥٩/٩.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٩٨.

(٨) الطبري ١٢/١٧٥، والثعلبي ٧/٦٩أ.

(٩) الطبري ١٢/١٧٥، والثعلبي ٧/٦٩أ.

وقوله تعالى : ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي يكفيننا -إذا بلغ وفهم الأمور^(١) - بعض شؤوننا ، ﴿أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا﴾ قال ابن عباس^(٢) : «وكان لا يولد له وكان حَصُورًا» .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس^(٣) : «يريد ملكناه في أرض مصر» ، قال الزَّجَّاج^(٤) : «أي ومثل الذي وصفنا مكنا لـيوسف في الأرض» . وعلى هذا وجه التشبيه في ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا﴾ أنه شبه التمكين له في الأرض بالتوفيق للأسباب التي صار بها إلى ما صار بالنجاة من الهلاك ، والإخراج من البئر ، يعني : وكما أنجيناه من إخوته حين هموا بقتله وإهلاكه ، وأخرجناه من ظلمة البئر ، مكنا له في الأرض حتى بلغ ما بلغ ، قال ابن عباس^(٥) والمفسرون^(٦) : «يعني أرض مصر» .

وقوله تعالى : ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ اختلفوا في هذه الواو ، فقال أكثرهم^(٨) : إنها مستأنفة وخبرها مضمرة على تقدير : ولنعلمه من تأويل الأحاديث فعلنا ذلك ، أو مكنا له في الأرض ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيْنَبًا الدُّنْيَا بِنْتِ الْكَوْكِبِ ۖ وَحَفْظًا﴾ [الصفات : ٦ ، ٧] أي وحفظاً زيناها ، وعند الكوفيين يجوز أن يكون الواو مقحمة .

(١) هذه عبارة الثعلبي ٦٩/٧ أ .

(٢) القرطبي ٩/١٦٠ ، وابن عطية ٧/٤٦٨ .

(٣) تنوير المقياس ١٤٨ ، وزاد المسير ٤/١٩٨ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/٩٩ .

(٦) تنوير المقياس ١٤٨ .

(٧) الطبري ١٢/١٧٦ ، والبغوي ٢/٤١٧ ، والرازي ١٨/١٠٩ ، وزاد المسير ٤/١٩٨ ، والثعلبي

٦٩/٧ ب .

(٨) انظر : زاد المسير ٤/١٩٨ .

وقال بعضهم : هي عاطفة على معنى الكلام المتقدم بتقدير : دبرنا ذلك لنمكنه في الأرض ولنعلمه . وذكرنا معنى (تأويل الأحاديث) عند قوله : ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف : ٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ قال ابن عباس^(١) في رواية عطاء : «يريد على ما أراد من قضائه» ، وعلى هذا الكناية في (أمره) تعود إلى اسم الله تعالى وعزَّ ، ونحو هذا قال في رواية الكلبي عن أبي صالح^(٢) عنه ، فالمعنى : أن الله لا يغلبه على أمره غالب ، ولا يبطل إرادته منازع فهو قادر على أمره من غير مانع^(٣) ، وتفسير مقاتل بن سليمان^(٤) يدل على أن الهاء عائدة على يوسف ، والمعنى : والله غالب على أمر يوسف ، فلا يبسط عليه يد عدو ، ولا يوصل إليه كيد كائد ، لما يريد من رفعه وتمكينه وتبليغه منازل آبائه .

وقوله تعالى : ﴿وَلَنَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس^(٥) : «يريد لا يعلمون غيبي وما أريد بخلقهم» ، وقال غيره^(٦) : لا يعلمون ما الله بيوسف صانع ، وما إليه يوسف صائر ، والأكثر هاهنا عبارة عن جميع الناس ، لا أحد يعلم ما يأتي في غد ، ويجوز أن يقال : إنما قال : أكثر الناس ؛ لأنه يجوز أن يعلمه من أطلع الله عليه من نبي أو ولي ، والأولى أن يقال : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن قدر الله غالب ، وأن مشيئته نافذة في المراتب .

(١) البغوي ٢/ ٢٢٦ ، وزاد المسير ١٤/ ١٩٩ .

(٢) تنوير المقياس ١٤٨ .

(٣) في (أ) و(ج) : (صانع) .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٢ ب ، وزاد المسير ٤/ ١٩٩ .

(٥) القرطبي ٩/ ١٩١ .

(٦) الطبري ١٢/ ١٧٦ ، والثعلبي ٧/ ٧٠ ، والبغوي ٤/ ٢٢٦ .

٢٢. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال أبو عبيدة^(١): «العرب تقول: بلغ فلان أشده»^(٢) إذا انتهى متتهاه في شباً^(٣) وقوته، قبل أن يأخذ في النقصان، ليس له واحد من لفظه، يستغنون بها في الواحد والجميع، قالوا: بلغ أشده وبلغوا أشدهم، وقال يونس^(٤): «واحد لها شد، مثل قولهم: فلان ودي، والجميع أودي»، وأنشد للنايعة^(٥):

إِنِّي كَأَنِّي لَدَى النُّعْمَانِ حَدَّثُهُ بَعْضُ الْأَوْدِ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْذُوبِ

وقد ذكرنا الكلام في الأشد مستقصى في سورة الأنعام عند قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(٦).

وأما التفسير: فروى ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس^(٧): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال: «ثلاثاً وثلاثين سنة».

-
- (١) مجاز القرآن ١/ ٣٠٥.
 (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج).
 (٣) في (ب): (شأنه) قلت لعلها شبابه، وهو كذلك في مجاز القرآن ١/ ٣٠٥.
 (٤) تهذيب اللغة (شد) ٢/ ١٨٤٣ عن الفراء.
 (٥) ديوانه ٣٥، واللسان (ودد) ٨/ ٤٧٩٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٨٥٨، وجمهرة اللغة ١١٥، وتاج العروس (ودد) ٥/ ٣٠٦، وروى بلفظ (خبره).
 (٦) الأنعام ١٥٢، وقد نقل هناك عن جماعة من أهل اللغة في بيان معنى الأشد، خلاصة ما ذكره أنه بمعنى القوة والجلادة، ومبلغ الرجل الحنكة والمعرفة.
 (٧) الطبري ١٢/ ١٧٧ قال: بضعا وثلاثين. وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم ٧/ ٢١١٨، وابن الأنباري في كتاب الأضداد، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ٢٠، والرازي ١٨/ ١١٠، وزاد المسير ٤/ ٢٠٠.

وروى عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس^(١) ثلاثين سنة ، ومجاهد^(٢) يقول في رواية ابن أبي نجيح : ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقال في رواية عطاء . يريد الحلم^(٣) .

وقال الضحاك^(٤) : «عشرين سنة» ، وقال مقاتل^(٥) : «ثمان عشرة سنة» ، وقال الرّجّاج^(٦) : «الأشد من نحو سبعة عشر^(٧) سنة إلى نحو الأربعين» .

وقوله تعالى : ﴿أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقال في قصة موسى : ﴿وَأَسْتَوَى﴾ [القصص : ١٤] قالوا في معناه : بلغ الأربعين ، ولم يقل هاهنا استوى ؛ لأن موسى بلغ أربعين سنة حين أوحى إليه وهو منتهى الأشد ، فأما يوسف فقد أوحى إليه قبل الأربعين ، وأما تفسير قوله : ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ، فقال عطاء عن ابن عباس^(٨) : «يريد عقلاً وفهماً» .

وقال الكلبي^(٩) : «والحكم النبوة ، والعلم علم الدين» ، وعلى هذا القول يجب أن يحمل الأشد هاهنا على دون العشرين ؛ لأن العلماء على أن يوسف أعطي

(١) هذه الرواية ذكرها الطبري بلفظ «بضعاً وثلاثين سنة» ١٧٧/١٢ .

(٢) الطبري ١٧٧/١٢ ، وزاد المسير ٢٠٠/٤ ، والثعلبي ٧٠/٧ ، والبغوي ٢٢٦/٤ ، وابن أبي حاتم ٢١١٨/٧ .

(٣) زاد المسير ٢٠٠/٤ ونسبه إلى الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم وابنه ، وكذا ابن أبي حاتم ٢١١٩/٧ عنهم .

(٤) الطبري ١٧٧/١٢ ، والثعلبي ٧٠/٧ ، وزاد المسير ٢٠٠/٤ ، والبغوي ٢٢٦/٤ .

(٥) تفسير مقاتل ١٥٢ ب ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١١٩/٧ عن سعيد بن جبير .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٩٩/٣ .

(٧) كذا في النسخ والصواب : سبع عشرة .

(٨) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم ٢١١٩/٧ عن مجاهد بنحوه انظر : الدر ٢٠/٤ ، والثعلبي ٧٠/٧ ب .

(٩) القرطبي ١٦٢/٩ ، وزاد المسير ٢٠٠/٤ .

النبوة وأوحى إليه في البئر ، ومن فسر الأشد بثلاث وثلاثين سنة قال : معناه أنه لما بلغ هذه السن زدناه علماً وفهماً بعد النبوة .

قال ابن الأنباري^(١) : «قال اللغويون : الحكم والحكمة أصلها حبس النفس عن هواها ومنعها مما يشينها»^(٢) . فجائز أن يُعنى بهما النبوة ، ويمكن أن يعبراً عن العقل والفهم ؛ لأن كل واحد من الثلاثة يحبس النفس على رشدتها ويبيدها عن غيها .

وقال أبو إسحاق^(٣) في قوله : ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ؛ «أي جعلناه حكيماً عالماً ، وليس كل عالم حكيماً ، الحكيم : العالم المستعمل علمه ، الممتنع من استعمال ما يجهل فيه» .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ؛ أي مثل ما وصفنا من تعليم يوسف ﴿نَجَّيْهِ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس^(٤) : «يريد نفعل بالموحدين» ، وقال أبو روق عن الضحاك^(٥) : «يعني : الصابرين عن النوائب ، كما صبر يوسف» .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ يعني امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها ، طلبت منه أن يواقعها ، يقال : راود فلان جاريته عن نفسها ، وروادته هي عن نفسه ، إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطء والجماع ، ومعنى المرادة في اللغة : المطالبة بأمر للعمل به ، قال الزَّجَّاج^(٦) : «المعنى أنها راودته عما يريد النساء من الرجال» .

(١) الرازي ١٨ / ١١١ .

(٢) في (ج) : (لا تشتهي) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٩٩ / ٣ .

(٤) أخرج الطبري عن ابن عباس قوله : ﴿الْمُهْتَمِّينَ﴾ في الدر ٢٠ / ٤ ، وزاد المسير ٢٠١ / ٤ .

(٥) الثعلبي ٧٠ / ٧ ، والقرطبي ١٦٢ / ٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٩٩ / ٣ .

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ أي أغلقتها ، وأصل^(١) هذا من قولهم في كل شيء نَشَبَ في شيء فلزمه : قد غلق ، يقال : غلق في الباطل ، وغلق في غضبه ، ومنه : غلق الذهن ، ثم يعدى بالالف فيقال : أغلق الباب ، إذا جعله بحيث يعسر فتحه ، وإغلاق القتال إسلامه إلى ولي المقتول ، وذلك أنه صبر بحيث لا يفك منه بعد ذلك ، وقد نشب في حيث لا منجاة له^(٢) ، قال المفسرون^(٣) : وإنما قال (عَلَّقَتْ) على التكثير ؛ لأنها غلقت سبعة أبواب ثم دعت إلى نفسها .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ هيت : اسم للفعل نحو : رويد ، وصه ، ومه ، وبابه ، ومعناه : هلم في قول جميع أهل اللغة^(٤) ، قال الفرّاء : «ولا مصدر له ولا تصرف» ، قال الأخفش : «هيت لك ، مفتوحة الهاء والتاء معناها : هلم ، ويجوز كسر التاء ورفعها ، وكسر بعضهم الهاء وفتح التاء ، كل ذلك بمعنى واحد» ، قال أبو الفضل المنذري : «أفادني ابن اليزيدي^(٥) عن أبي زيد قال : هيت لك بالعبرانية هيتا لج^(٦) أي تعاله ، أعربه^(٧) القرآن» .

وقال الفرّاء^(٨) : «إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى مكة فتكلموا بها»^(٩) .

(١) تهذيب اللغة (غلق) ٣/ ٢٦٨٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٦٨٦ ، ولسان العرب ٦/ ٣٢٨٣ .

(٣) الثعلبي ٧/ ١٧١ ، والطبري ١٢/ ١٧٩ ، والبغوي ٤/ ٢٢٧ .

(٤) تهذيب اللغة (هيت) ٤/ ٣٨١٦ ، ولسان العرب (هيت) ٨/ ٤٧٣٢ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٥ .

(٥) ابن اليزيدي هو أبو جعفر أحمد بن محمد اليزيدي ، كان متقناً للعلوم ، رواية للشعر والأخبار ، شاعراً ، توفي قبل سنة ٢٦٠ هـ . انظر : تاريخ العلماء النحويين ٢٢٥ .

(٦) في (أ) و(ب) : (هنالخ) والصحيح ما أثبتته كما في تهذيب اللغة ٤/ ٣٨١٦ .

(٧) في (ج) : (إعرا به) .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٤٠ .

(٩) ما سبق من تهذيب اللغة ٤/ ٣٨١٦-٣٨١٧ . بتصرف .

قال ابن الأنباري^(١): «وهذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران، كما اتفقت العرب والروم في القسطاس، [ولغة العرب والفرس في السجيل، ولغة العرب والترك في الغساق]^(٢)، ولغة العرب والحبشة في ناشئة الليل، في حروف كثيرة، قال: ولا ثنية في هيت ولا جمع ولا تأنيث، يقال للرجلين: هيت لكما، وللجماعة هيت لكم، وللنسوة هيت لكن، ويقال: قد هيت الرجل، إذا قال لصاحبه: هيت وهلم.

وأنشد لطرفة^(٣):

هيت الفتيان في مجلسنا جَرَدُوا منها وِرَاداً وشُقُرْ

وقال أيضاً^(٤):

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتَا

قال: وللعرب فيها لغات أجودها فتح الهاء والتاء، وهي قراءة العامة^(٥).

(١) زاد المسير ٢٠٢/٤، والرازي ٩١/١٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج).

(٣) والبيت روي (بأبها) بدل: هيت، انظر: ديوانه ٦٣، والتكملة ٢٥٥، والخزانة ١٠٢/٤، والخصائص ٣٣٥/٢، وشرح شواهد الإيضاح ٥٨١، وشرح المفضل ٦٠/٥، وبلا نسبة في المحتسب ١٦٢/١، واللسان (غلف) ٣٢٨٢/٦.

(٤) البيت من الخفيف وقد نسبته الواحدي إلى طرفة وليس في ديوانه، وقد نسب إلى طرفة بمثل رواية الواحدي في القرطبي ١٦٤/٩، والنكت والعيون ٢٣/٣، ونسب إلى طرفة، ولكن برواية (هَيْتُ) بفتح الهاء وضم التاء في الطبري ١٨١/١٢ (العلمية)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/٣، والمحتسب ٣٣٧/١، ومجمع البيان ٣٤٠/٥.

(٥) السبعة ٣٤٧، والنشر ١٢٥/٣، وإتحاف ٢٦٣ وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وحزمة والكسائي.

قال الزَّجَّاجُ^(١): «لأنها بمنزلة الأصوات، ليس فيها فعل يتصرف، ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبل التاء ياءً، كما قالوا: كيف وأين، ومن كسر التاء^(٢)، فلأن أصل التقاء الساكنين حركة الكسر، ومن ضمها^(٣)، فلأنها في موضع معنى الغايات كأنها قالت: دعائي لك، فلما حذفت الإضافة وتضمنت هيت معناها، بنيت على الضم، كما بنيت حيث، ومنذ، ومن كسر الهاء^(٤) وضم التاء فهو على لغة قوم يؤثرون كسر الهاء على فتحها».

قال أبو علي الفارسي^(٥): «قال أبو عبيدة: هيت لك، هلم لك، وأنشد لرجل^(٦):

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا انْتَهَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقُ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

أي هلم إليها، قال أبو علي: قولهم: هيت فلان بفلان إذا دعاه، ينبغي أن يكون مأخوذاً من قولهم: هيت لك، كما أن قولهم: أفف، مأخوذ من أف، وجعلوها بمنزلة الأصوات لموافقتها لها في البناء، فاشتقوا منها كما يشتقون الأصوات نحو: دع دع، وسبح، إذا قال: سبحان الله، ولبي إذا قال: لبيك، قال: ومثل هذه الكلمة في أن الأخير قد جازت فيه الحركات لالتقاء الساكنين قولهم: كان في الأمر ذَيْتٌ وَذَيْتٌ وَذَيْتٌ، قال: (ولك) في قوله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٠.

(٢) قرأ بها ابن محيصن.

(٣) وهي قراءة ابن كثير.

(٤) رواها هشام بن عمار بإسناده عن ابن عامر مع الهمز (هَيْتُ) على معنى تهبأت لك. انظر: السبعة ٣٤٧، وإتحاف ٢٦٣.

(٥) الحجة ٤/ ٤١٧، بتصرف. مجاز القرآن ١/ ٣٠٥.

(٦) في مجاز القرآن ١/ ٢٧٩، والمفصل ٤/ ٣٢، واللسان (هيت) ٨/ ٤٧٧٢، وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٥٧، وجهرة اللغة ٢٥١، ٤٤٠.

للتبيين بمنزلة (لك) في قولهم : هلم لك ، والكاف في قولهم رويدك^(١) ، ومعاك ، وأما^(٢) ما روى هشام^(٣) عن ابن عامر (هتت لك) بكسر الهاء والهمزة وضم التاء ، فإنها فعلت من الهيئة ، والتاء ضمير الفاعل .

قال أبو زيد : «هتت للأمر هيئة وتهيأت»^(٤) ، ونظير هذا : فتت وتفتيات ، بمعنى رجعت ، ويجوز على هذا المعنى تخفيف الهمزة كما يخفف من جئت وشئت . وأنكر^(٥) أبو عمر^(٦) والكسائي هذه القراءة^(٧) وقالوا : «هتت بمعنى تهيئت باطل ، لم يحك عن العرب» .

فأما قول المفسرين في هذا ، فروي أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس^(٨) : «أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ قال : معناه هلم لك» ، هو قول الحسن^(٩) وابن زيد^(١٠) وعامة أهل التفسير ، وروى وكيع عن النضر بن عربي عن عكرمة في قوله : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ قال : هلم ، وزاد وكيع : وهو بالخورانية^(١١) .

(١) في (ب) : (ويدك) من في غير راء .

(٢) في (ج) : (وأماها روى) . بالهاء .

(٣) هشام بن عمار بن نصير ، ابن ميسرة السلمي ، أبو الوليد ، قاض من القراء المشهورين ، من أهل دمشق . قال الذهبي : «خطيبها ومقرئها ومحدثها وعالمها» ، توفي سنة ٢٤٥ هـ . انظر : غاية النهاية ٢ / ٣٥٤ ، وميزان الاعتدال ٥ / ٤٢٧ ، والأعلام ٨ / ٨٧ .

(٤) في (أ) و(ب) : (وهيأت) .

(٥) في (أ) و(ج) : (وانكسر) .

(٦) في (ج) : (وأبو عمرو أو الكسائي) .

(٧) مجاز القرآن ١ / ٣٠٥ ، والطبري ١٢ / ١٨١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٤١٠ ، والثعلبي ٧ / ٧١ .

(٨) في مسائل نافع بن الأزرق : تهيأت لك ، والإنقان ١ / ١٦٧ ، وهذا التفسير في صحيفة علي بن أبي طلحة ٢٩١ ، وهو في الطبري ١٢ / ١٧٩ ، وابن أبي شيبه ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٢١ ، وابن المنذر كما في الدر ٤ / ٢١ .

(٩) الطبري ١٢ / ١٧٩ ، والقرطبي ٩ / ١٦٤ .

(١٠) الطبري ١٢ / ١٨٠ .

(١١) الطبري ١٢ / ١٧٩ .

وقال محمد بن إسحاق^(١): «معناه فأنا لك ، فقال يوسف عند ذلك : معاذ الله» .

قال أبو إسحاق^(٢): «المعنى : أعوذ بالله أن أفعل هذا» ، ومعاذ مصدر تقول : عذت عياداً ومعاذاً ومعاذة ، ومعناه : أعتصم بالله من هذا ، وتقديره في الكلام : أعوذ معاذاً بالله ، فحذف الفعل ونصب المصدر بالفعل المحذوف المراد ، وأضيف [المصدر إلى اسم الله تعالى ، كما يضاف^(٣) المصدر إلى المفعول ، ومثله من الكلام : مررت بعمرو مرور زيد ، على أن زيدا ممرور به ، والمعنى : كمروري^(٤) بزيد ، ومثله :

وَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ كَتَسْلِيمٍ^(٥) الْأَمِيرِ^(٦)
أي كتسليمي على الأمير ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ رَفِيعَ أَحْسَنَ مَثَوَى ﴾ يعني زوجها ، في قول مجاهد^(٧) وابن إسحاق^(٨) والكلبي^(٩) والسدي^(١٠) وأكثر المفسرين^(١١) ، ومعناه : إن الذي

(١) في الطبري ١٢ / ١٨٠ عن ابن إسحاق «قال : تعال» . وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٢٢ وفيه «تعال فأنا لك» .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٠١ .

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٤) في (ب) : (لمروري) .

(٥) في (أ) و(ب) : (لتسليم) .

(٦) لم أجده .

(٧) الطبري ١٢ / ١٨٣ ، والقرطبي ٩ / ١٦٥ ، وابن عطية ٧ / ٤٧٥ .

(٨) الطبري ١٢ / ١٨٣ ، والقرطبي ٩ / ١٦٥ ، وابن عطية ٧ / ٤٧٥ .

(٩) تنوير المقياس ١٤٨ .

(١٠) الطبري ١٢ / ٦٨٣ ، والقرطبي ٩ / ١٦٥ ، وابن عطية ٧ / ٤٧٥ .

(١١) الثعلبي ٧ / ٧٧٢ ، والبغوي ٤ / ٢٢٨ ، وزاد المسير ٤ / ٢٠٣ .

اشتراني هو سيدي أنعم علي بإكرامي ، فلا أخونه في حرمه ، إن فعلت ذلك كنت ظالماً ، ولا يفلح الظالمون .

قال أبو إسحاق^(١) : « ويجوز أن يكون المعنى : إن الله ربي أحسن مثواي ، أي تولاني في طول مقامي ، فلا أرتكب ما قد نهى عنه وحرّمه ، ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ قال ابن عباس : « لا يسعد العاصون » ، وقيل : « الزناة » ، وهو قول الكلبي^(٢) ، ومضى الكلام في معنى مثواي آنفاً .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُودِيٌّ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية ، الهم مصدر هممت^(٣) بالشيء إذا أردته ، وحدثك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه ، كل هذا يكون همّاً بالشيء ، فمعنى قوله : ﴿ هَمَّتْ يَهُودِيٌّ ﴾ أي أرادته وقصدته ، وأما معنى همّ يوسف بها ، فقال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم : همّ^(٤) يوسف أيضاً بهذه المرأة همّاً صحيحاً ، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، فلما رأى البرهان من ربه زالت عنه كل شهوة . قال الباقر بإسناده عن آبائه^(٥) عن علي^(٦) - رضي الله عنه - قال : طمعت فيه وطمع فيها ، وكان طمعه فيها أنه هم أن يحل التكة .

(١) في معاني القرآن خلاف ذلك ٣ / ١٠١ لأنه قال : « أي إن العزيز ربي » .

(٢) تنوير المقباس ١٤٨ ، والثعلبي ٧ / ١٧٢ ، وزاد المسير ٤ / ٢٠٣ .

(٣) في (أ) و(ج) : (همت) بميم مشددة .

(٤) (هم) ساقط من (أ) و(ج) .

(٥) عن آبائه : ساقط من (ج) ، والباقر هو : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي ، ثقة حافظ ، كان يتولى الشيوخ ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١١٤ هـ . انظر : التهذيب ٣ / ٦٥٠ - ٦٥١ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٠١ .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣ / ١٨١ ، انظر : الدر ٤ / ٢٢ .

وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس^(١) قال : « حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن » ، ونحو هذا قال في رواية عطاء ، وروي عنه أيضاً^(٢) أنه سئل : ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : « استلقت له وقعد بين رجلها ينزع ثيابه » ، ونحو هذا قال سعيد بن جبير^(٣) ومجاهد^(٤) والضحاك^(٥) والسدي^(٦) ومحمد بن إسحاق^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال الباقر بإسناده عن علي^(٨) - رضي الله عنه - قال : « قامت المرأة إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته^(٩) بثوب ، فقال يوسف : أي شيء تصنعين ؟ قال : أستحي من إلهي هذا أن يراني على السوء ، فقال : أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت ، فوالله لا تنالنيها مني أبداً ، قال فهو البرهان الذي رآه .

-
- (١) الطبري ١٨٣/١٢ وأبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية كما في الدر ٢٢/٤ ، والثعلبي ٧/٧٢ ، والبغوي ٢٢٨/٤ ، والقرطبي ٩/١٦٦ .
- (٢) عبدالرزاق ٣٢١/٢ ، والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير ١٨٣/١٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٢٣/٧ وأبو الشيخ والحاكم وصححه كما في الدر ٢٢/٤ ، والثعلبي ٧/٧٢ ، والقرطبي ٩/١٦٦ .
- (٣) الطبري ١٨٤/١٢ وابن أبي حاتم ٢١٢٢/٧ وأبو الشيخ كما في الدر ٢٣/٤ ، والثعلبي ٧/٧٢ ، والبغوي ٢٢٨/٤ ، وزاد المسير ٢٠٣/٤ ، والقرطبي ٩/١٦٦ .
- (٤) عبدالرزاق ٣٢١/٢ ، والطبري ١٨٤/١٢ ، وابن المنذر انظر : ابن أبي حاتم ٢١٢٣/٧ بمعناه وأبو الشيخ كما في الدر ٢٢/٤ ، ٢٣ ، والثعلبي ٧/٧٢ ، والبغوي ٢٣٢/٤ ، والقرطبي ٩/١٦٦ .
- (٥) الطبري ١٨٥/١٢ ، والثعلبي ٧/٧٢ ، وزاد المسير ٢٠٣/٤ .
- (٦) الثعلبي ٧/٧٢ ، والبغوي ٢٣٢/٤ ، وزاد المسير ٢٠٣/٤ ، وابن أبي حاتم ٢١٢٣/٧ .
- (٧) الثعلبي ٧/٧٢ ، والبغوي ٢٢٨/٤ ، وابن أبي حاتم ٢١٢٣/٧ .
- (٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، انظر : الدر ٢٤/٤ .
- (٩) في (ج) : (فسرته) .

وقال ابن عباس^(١) وعامة المفسرين : مثل له يعقوب فرأى صورته عاصاً على أصابعه يقول : أتعلم^(٢) عمل الفجار وإني مكتوب في الأنبياء ، فاستحى منه ، وهذا قول عكرمة^(٣) ومجاهد^(٤) والحسن^(٥) وسعيد بن جبير^(٦) وقتادة^(٧) والضحاك^(٨) وابن سيرين^(٩) ومقاتل^(١٠) ، قال سعيد بن جبير : «مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله» .

وقال ابن عباس^(١١) في رواية ابن أبي مليكة : «إنه لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل في ظهره ، فلم يبق فيه شهوة إلا خرجت ، فوثب واستبقا الباب» ، هذا الذي ذكره قول أئمة المفسرين الذي أخذوا التأويل عمن شاهدوا التنزيل ، وأما المتأخرون فإنهم ذكروا في الآية أوجهاً قصدوا بها تنزيه يوسف عن الهم الفاسد .

-
- (١) عبدالرزاق ٣٢١/٢ ، والطبري ١٨٧/١٢ ، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٢٤/٧ ، وأبو الشيخ والحاكم في المستدرک ٣٤٦/٢ ، وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وانظر : الدر ٢٤/٤ .
- (٢) في (أ) و(ج) : (العمل) ، (وأنت) ساقط من (أ) و(ب) و(ج) .
- (٣) الطبري ٤٢/١٦ ، وابن أبي حاتم ١١٢٤/٧ ، وأبو الشيخ كما الدر ٢٣/٤ ، والثعلبي ١٧٤/٧ .
- (٤) عبدالرزاق ٣٢١/٢ ، والثعلبي ١٧٤/٧ ، والطبري ١٨٨/١٢ .
- (٥) عبدالرزاق ٣٢١/٢ ، والطبري ١٨٩/١٢ ، وابن أبي حاتم ٢١/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٣/٤ ، والثعلبي ١٧٤/٧ .
- (٦) الطبري ١٨٧/١٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٢٥/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٣/٤ ، والثعلبي ١٧٤/٧ .
- (٧) عبدالرزاق ٣٢١/٢ ، والطبري ١٠٩/٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٢٥/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٣/٤ ، والثعلبي ١٧٤/٧ .
- (٨) الطبري ١٩٠/١٢ ، والدر ٥٢٤/٤ ، والثعلبي ١٧٤/٧ .
- (٩) الطبري ١٨٩/١٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٢٤/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٣/٤ ، والثعلبي ١٧٤/٧ .
- (١٠) تفسير مقاتل ١٥٢ ب .
- (١١) انظر : ابن أبي حاتم ٢١٢٤/٧ بمعناه .

أخبرنا أبو الفضل العروضي^(١) قال أخبرني الأزهري عن المنذري عن ثعلب أنه سئل عن هذه الآية فقال : «همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك ، وهم يوسف بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها ، فبين الهمين فرق» .

وشرحه ابن الأنباري^(٢) فقال : «همت المرأة عازمة على الزنا قاصدة قصده ، ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب ، وحديث النفس ووسوسة الشيطان ، فكان هاماً غير عازم ، فلم يلزمه هذا الهمّ ذنباً ، ولم يلحقه عتياً ، إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد ، والتلذذ بأكل الطعام الطيب ، فإذا ، لم الهمّ لم يوجب معصية ، فبرهان ربه عن أي شيء صرفه ؟ قيل : إنه وإن لم يوجب معصية ، فالنبيون والصديقون يعاتبون على الخطرة واللمحة والوسوسة ، وبرهان ربه صرفه عن الإقامة على^(٣) الشيء الذي يؤدي التهادي فيه إلى اكتساب ما يوجب عقوبة ، فهذه طريقة» .

وقال آخرون^(٤) : الآية محمولة على التقديم والتأخير ، وتلخيصها : ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، فقدم جواب لولا عليها ، كما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلّصك ، ومثله قول الشاعر^(٥) :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحاً لِحُرَّةٍ
لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولاً وَيَسْلَمَ عَامِرٌ

(١) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف العروضي ، سبقت ترجمته في شيوخ المؤلف . انظر : تهذيب اللغة (همم) ٤/ ٣٧٩٨ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٢٠٣ .

(٣) في (ج) : (عن) .

(٤) الثعلبي ٧/ ٧٢ ب ، والبخوي ٤/ ٢٢٩ ، وزاد المسير ٤/ ٢٠٥ .

(٥) القائل قيس بن زهير ، في سيبويه والشتمري ١/ ٤٢٧ ، والرد على النحاة ١٥٠ ، والدر ٢/ ١٠ ، وهو الوراق بن زهير في ابن السيرافي ٥٨٦ ، وبلا نسبة في معاني القرآن ١/ ٦٧ ، والهمع ٢/ ١٦ ، وأمالى المرتضي ١/ ٤٨٠ .

فقدم جواب لئن ، قال أبو إسحاق^(١) : «وليس بكثير في الكلام أن تقول : ضربتك لولا زيد ، ولا هممت بك لولا زيد ، إنما الكلام : لولا زيد لهممت بك ، ولولا تجاب بالكلام ، فلو كان في القراءة : ولقد هممت به ولهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، لكان يجوز على بعد» .

وقال أبو بكر^(٢) : «تقديم جواب لولا عليها شاذ يستكره ، وغير موجود في الفصيح من الكلام ، وأما البيت فإنه من اضطرار الشعر ، ولا ينبغي أن يحمل كتاب الله تعالى النازل بأفصح اللغات على بيت شعر دعت شاعره ضرورة إلى تقديم ما هو مؤخر في النية ، مما لو كان متكلماً بنثر لم يستجز تقدمته ، على أنا نقول : جواب لأن يتقدم عليها لأن مجراه مجرى اليمين ، فلما صلح إتيان القسم بعد المقسم عليه في قولهم : يقوم زيد والله ، حملت لئن على القسم فأخرت بعد جوابها ، و(لولا) ليست قسماً ولا مشبهة بالأقسام فسبق جوابها بعيد مُسْتَسْمَج» .

قال أبو إسحاق^(٣) : «والذي عليه المفسرون أنه همَّ بها ، وأنه جلس منها مجلس الرجل من المرأة ، إلا أن الله تفضل بأن أراه البرهان ، ألا تراه قال : ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ﴾ الآية ، يعني بهذا ما روي أن يوسف لما دخل على الملك ، وأقرت المرأة بقولها : ﴿ أَنَا زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ، وقال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ ، فقال يوسف عند ذلك : ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ﴾^(٤) الآية» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠١ / ٣ .

(٢) زاد المسير ٢٠٦ / ٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٠١ / ٣ .

(٤) أخرجه الفريابي والطبري ٤٢ / ٤ - ٤٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٥٨ ، وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب كما في الدر ٤ / ٤٢ - ٤٣ .

وقال أبو بكر^(١): «والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من تثبيت الهم ليوسف غير عائبين له ولا طاعنين، بل نقول: إن انصرافه بعد ثبات الهم وحل السراويل، وجلوسه من المرأة مجلس الرجل، تعظيماً لله ومعرفة لحقه، أدل على محافظته على مذهب آبائه، وعلى وفور الثواب وتكامل الأجر له عند إثثار الطاعة على اللذة؛ لأنه انكشف عن المرأة في الحال التي لا ينكشف فيها إلا برّ مخلص، فكان انكشافه وصبره ماحياً عنه سيئة الهم، وموجباً له حسنات مضاعفات بالحديث الصحيح الذي روي في حديث الغار^(٢) وهو أن ثلاثة لجأوا إلى غار، فانطبق عليهم، فذكر كل رجل أفضل عمله، فذكر أحدهم أنه قام عن امرأة بعدما قدر عليها، ففرج الله عنهم، والحديث طويل معروف، فدل أن الهم بالزنا إذا أتبعه الانصراف بعد القدرة عليه، لم يكن من الفواحش ولا من الكبائر، مع أن الذين ثبتوا^(٣) الهم ليوسف من علي، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، ووهب، وابن سيرين، والحسن، وقتادة، والكلبي^(٤) وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه، وقد قال الحسن^(٥): «إن الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعبيراً لهم، ولكنه قصها عليكم لئلا تقنطوا من رحمته وتيأسوا من فضله».

(١) الأضداد ٤١١-٤١٤، والوقف والابتداء ٢/٧٢٠، ٧٢١، وزاد المسير ٤/٢٠٣-٢٠٧، والقرطبي ١٦٦/٩.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٥) في كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، وأخرجه مسلم (٢٧٤٣) في كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار.

(٣) في (ب): (بينو).

(٤) الكلبي: ساقط من (ج).

(٥) زاد المسير ٤/٢٠٧، والبغوي ٤/٢٣١، والقرطبي ١٦٧/٩.

قال أبو عبيد^(١): «يذهب الحسن إلى أن الحجة من الله - عز وجل - على أنبيائه أؤكد وهي لهم ألزم، فإذا كان يقبل التوبة منهم كان إلى قبولها منكم أسرع».

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال أبو إسحاق^(٢): «جوابه محذوف، المعنى لولا أن رأى برهان ربه، لأمضى ما هم به».

وقال أبو بكر^(٣): «تلخيصه لولا أن رأى برهان ربه لزنا، وحذف جواب (لولا) كثير في القرآن، ومثله ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، جوابه: لم تنافسوا وتفاخروا بالدنيا وهو كثير».

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ قال أبو إسحاق^(٤): «أي كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء والفحشاء».

وقال صاحب النظم: هذا على التقديم والتأخير، التقدير: ولقد همت به وهم بها (كذلك) أي كما همت به، وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ معترض بينهما واتصاله بقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي أريناه البرهان لنصرف عنه ما هم به من السوء والفحشاء.

قال ابن زيد^(٥): «السوء القبيح، والفحشاء الزنا». وقال الزجاج^(٦): «السوء خيانة صاحبه، والفحشاء ركوب الفاحشة». وقال عطاء^(٧): «السوء والفحشاء عبارتان عن الزنا كله باللسان والفرج واليد وجميع الفرج».

(١) زاد المسير ٢٠٧/٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٠١/٣.

(٣) زاد المسير ٢٠٧/٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢/٣.

(٥) البغوي ٢٣٤/٤، والقرطبي ١٧٠/٩ من غير نسبة.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢/٣.

(٧) انظر: الرازي ١٢١/١٨.

عن ابن عباس ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ «أي»^(١) الذين أخلصوا دينهم لله ، ومن فتح اللام أراد الذين أخلصهم الله من الأسواء .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ الاستباق^(٢) طلب السبق إلى الشيء ، ومعناه : تبادر إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه ، فإن سبق يوسف المرأة فتح الباب وخرج ، وإن سبقت المرأة أمسكت الباب^(٣) ، [لثلا يخرج ، فلاستباق هنا بمعنى المبادرة ، قال أبو إسحاق : «أي سبق إلى الباب»]^(٤) .

قال المفسرون^(٥) : إن يوسف لما رأى البرهان قام مبادراً إلى الباب هارباً مما أراد به ، واتبعته المرأة تبغي حبسه والتشبث به ، فلم تصل إلا إلى دبر القميص فقدته ، ووجدا قطفير عند الباب ، فحضرها في ذلك الوقت كيد لما فاجأت سيدها لدى الباب ، فقالت مُبرئةً نفسها من الأمر ، وملزمة يوسف الذنب ، وموهمة زوجها أن الذي سمع من العدو والمبادرة إلى الباب والهرب كان منها لا من يوسف ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ الآية ، فذلك قوله : ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ أي قطعته طولاً ، ومعنى القد في اللغة^(٦) : قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك ، وشيء حسن القد ، أي حسن التقطيع .

(١) هذا قول الرَّجَّاج انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٠٢ / ٣ .

(٢) تهذيب اللغة (سبق) ١٦٢٠ / ٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢ / ٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٥) الثعلبي ٧٦ / ٧ ب ، والبغوي ٢٣٤ / ٤ ، وزاد المسير ٢١١ / ٤ .

(٦) تهذيب اللغة (قدد) ٢٨٩٥ / ٣ ، واللسان (قدد) ٣٥٤٣ / ٦ .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ دُبُرٍ ﴾ أي من جهة الخلف ، قال ابن الأنباري : « المعنى من دبر القميص ، وكان معنى القميص معروفاً ، فأوثر التخفيف » ، قال ابن عباس ^(١) : « وشقت قميصه من خلفه » .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْفَيَّا ﴾ أي أدركا وصادفا ، قال ذو الرمة ^(٢) :

أَلْفَى أَبَاهُ بَدَالِ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ

وقوله تعالى : ﴿ سَيِّدَهَا ﴾ قال ابن عباس والكلبي وغيرهما ^(٣) : « زوجها » ، وقالت المرأة سابقة بالقول : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ قال ابن عباس : « يريد الزنا » ، مثل قوله : ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ ﴾ أي يحبس في السجن ، ﴿ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني الضرب بالسياط ، وعطف العذاب على قوله : ﴿ أَنْ يُسَجَّنَ ﴾ ؛ لأنه بمعنى السجن ، وقد مر ، وهذه الآية بيان عن ما يوجهه مكر النساء من البهت ، بطرح الجرم على غير صاحبه لتبرئة النفس من ذلك .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ قال نوف : أحسبها الشيباني هكذا في الطبري ^(٤) : ما كان يوسف يريد أن يذكره ، فلما سبقت هي بطرح الجرم عليه غضب يوسف ، وقال : ﴿ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ .

(١) الثعلبي ٧/٧٦ ب .

(٢) انظر : ديوانه ٩٩ ، والدر المصون ١/٦٩٧ .

(٣) أخرجه الطبري ١٢/١٩٢ عن زيد بن ثابت . وأخرجه الطبري ١٢/١٩٢ وابن أبي حاتم ٧/٢١٢٧ ، وأبو الشيخ عن مجاهد كما في الدر ٤/٢٥ ، وتنوير المقباس ١٤٨ .

(٤) الطبري ١٢/١٩٣ عن نوف الشيباني ، والثعلبي ٧/٧٦ ب ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٢٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٢٥ .

وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ اختلفوا في هذا الشاهد، فقال ابن عباس^(١)، في رواية عطاء وابن أبي مليكة: «كان رجلاً حكيماً من أقارب المرأة».

وهو قول الحسن^(٢)، وعكرمة^(٣)، وقتادة^(٤)، والضحاك^(٥)، ومجاهد^(٦) برواية منصور، ومحمد بن إسحاق^(٧) قال: كان رجلاً يشاوره أطفير ويسمع قوله، وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ أي أعلم معلم، وبين مبین، وقال قائل، غير أن هذا القول والإعلام لما كان كالبيئة استعمل فيه لفظ الشهادة، [قال مجاهد^(٨): «شهد شاهد: حكم حاكم». وإنما قلنا ذلك؛ لأن الشهادة]^(٩) لا يصح تعليقها بالشرط؛ ولأنه لو كانت هذه شهادة معهودة لقليل وشهد مشاهد من أهلها، (أنه إن كان قميصه) كما يقال: إن فلاناً فعل كذا، ولفظ الشهادة يستعمل في التبيين، كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] أي^(١٠): أعلم وبين، وقال تعالى: ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] يريد بينوا؛ ذلك لعنادهم الحق وإن لم يكن منهم اعتراف بالكفر.

(١) الثعلبي ٧/١٧٧، وزاد المسير ٤/٢١١.

(٢) الطبري ١٢/١٩٥، وابن أبي حاتم ٧/٢١٢٩ وانظر: الدر ٤/٢٦، والثعلبي ٧/١٧٧، والبغوي ٤/٢٣٥، والقرطبي ٩/١٧٣، وابن أبي حاتم ٧/٢١٢٩.

(٣) الطبري ١٢/١٩٤، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٢٦، والثعلبي ٧/١٧٧، والبغوي ٤/٢٣٥، والقرطبي ٩/١٧٣.

(٤) الطبري ١٢/١٩٥، وابن أبي حاتم ٧/٢١٢٩ وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٢٦، والثعلبي ٧/١٧٧، والبغوي ٤/٢٣٥، وعبد الرزاق ٢/٣٢٢، والقرطبي ٩/١٧٣.

(٥) الثعلبي ٧/١٧٧، والقرطبي ٩/١٧٣، والطبري ١٢/١٩٤ بلفظ: «ذو رأي برأيه».

(٦) الطبري ١٢/١٩٤، ١٩٥، والثعلبي ٧/١٧٧، والبغوي ١٢/١٩٤، والقرطبي ٩/١٧٣.

(٧) الطبري ١٢/١٩٤، ١٩٥.

(٨) الطبري ١٢/١٩٥.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج).

(١٠) في (ب) بياض.

وقال ابن الأنباري^(١) :

«ويجوز أن يقال : إن الشهادة لم تقع إلا على معلوم عند الشاهد بكلام سمعه من المرأة من وراء الباب ، أو لفظة وقعت في أذنه من ألفاظ يوسف في حال هربه ، فأوقع في الشهادة شرطاً ليؤكد العلم به للمخاطبين من جهة العقل» ، وتلخيص الآية : هو الصادق عندي وهي الكاذبة ، فإن تدبرتم ما أشرطه^(٢) لكم ، عقلتم صحة قولي ، وصار هذا كقول القائل : إن كان القدر حقاً فالحرص باطل ، فليس هذا الشارط بشاك ، لكنه ألزم مخاطبه صحة ما يقول ، فدخلت (إن) على جهة التقدير للمعنى الذي يوجب غيره لا للشك ، وكذا يكون مقدرات الاستدلال ، والأول هو مذهب المفسرين .

قال الكلبي^(٣) :

«الشاهد ابن عم المرأة ، وكان رجلاً حكيماً ، كان مع زوجها ، فقال قد سمعنا الاشتداد والجلبة من رواء الباب ، وشق القميص ، فلا ندري أيكما كان قدام صاحبه ، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة ، وإن كان من خلفه ، فهو صادق» .

ونحو هذا قال السدي^(٤) ومقاتل^(٥) : أن الشاهد كان ابن عمها فحكم بما أخبر الله تعالى .

(١) زاد المسير ٢١٢/٤

(٢) في (ب) : (ما اشترطته) .

(٣) القرطبي ١٧٣/٩ ولم ينسبه . وابن أبي حاتم ٢١٢٩/٧ عن زيد بن أسلم .

(٤) البغوي ٢٣٥/٤ ، والقرطبي ١٧٣/٩ ، والثعلبي ١٧٧/٧

(٥) تفسير مقاتل ١٥٢ ب .

وروى عطية العوفي عن ابن عباس أن الشاهد كان صبيّاً أنطقه الله ، وهو رواية سالم^(١) عن سعيد بن جبير^(٢) ، وجوير عن الضحاك^(٣) ، وقول هلال بن يساف^(٤) قال : «الشاهد صبي في المهد ، ولم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، هذا أحدهم» .

قال ابن عباس^(٥) : «تكلم في المهد أربعة صغار : شاهد يوسف ، وعيسى ابن مريم ، وصاحب جريح ، وابن ماشطة بنت فرعون» .

قال ابن الأنباري^(٦) : «فمن ذهب إلى هذا القول قال : الشرط الواقع مصحح لبراءة يوسف ، وتحقيق الجرم للمرأة ، لأن كلام مثله أعجوبة ، وآية باهرة معجزة ، لا يكون معها لبس» .

وروى ابن أبي نجيح وابن جريح عن مجاهد^(٧) قال : «الشاهد قميصه مشقوقاً من دبر» .

(١) سالم بن عجلان الأفطس الأموي ، مولا هم ، أبو محمد الحراني ، ثقة رمي بالإرجاء ، قتل صبراً سنة ١٣٢ هـ . التقريب : (٢١٨٣) ، والميزان ٢/٣٠٢ .

(٢) الطبري ١٢/١٩٣ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٢٦ ، والبغوي ٤/٢٣٤ .

(٣) الطبري ١٢/١٩٤ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٢٦ ، والبغوي ٤/٢٣٤ .

(٤) الطبري ١٢/١٩٤ ، وزاد المسير ٤/٢١١ ، والثعلبي ٧/٧٦ ، وهو الأشجعي مولا هم الكوفي ، ثقة ، روى له الجماعة إلا البخاري ، روى له في التاريخ . انظر : التقريب ٥٧٦ (٧٣٥٢) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٣٦) في كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ، ومسلم (٨/٢٥٥٠) في كتاب البر ، باب تقديم بر الوالدین علی التطوع بالصلاة وغيرها ، وأحمد ٢/٣٠٧ ، ٣٠٨ ، بلفظ «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة» .

(٦) زاد المسير ٤/٢١٢ .

(٧) الطبري ١٢/١٩٥ ، والثعلبي ٧/٧٧ ، وزاد المسير ٤/٢١٢ .

قال أبو بكر^(١) : « وهذا القول لا يوافق اللغة ولا تصححه العربية من أجل أنه قال : ﴿ مِنْ أَهْلِهَآ ﴾^(٢) ، والقميص لا يوصف بهذا ولا ينسب إلى الأهل » .

٢٧ . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ ﴾ من حكم الشاهد وبيانه عما يوجب الاستدلال به على تمييز الكاذب من الصادق .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى ﴾ أي زوج المرأة قميص يوسف ﴿ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾ ، إخبار عن صفة القميص لا عن الفعل ؛ لأنه رأى القميص مقدوداً ، ما رآه حين قُدَّ ، والمعنى : فلما رأى قميصه قد قُدَّ من دبر ، وهذا مثل قوله : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء : ٩٠] وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴾ قال أبو إسحاق^(٣) : « أي إن قولها^(٤) : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ من كيدكن » ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ ﴾ معناه يا يوسف ، فحذف حرف النداء ؛ لأنه من الإيجاز الذي لا يخل ، ولا يجوز حذفه من المبهم ، ويجوز من العلم ، لأنك تستدل بكون العلم مرفوعاً غير منون على أنه منادى ، ولا بيان في المبهم على أنه منادى إذا حذفت حرف النداء .

(١) قال به الطبري ١٢ / ١٩٦ .

(٢) في (ج) : (من أجلها) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٠٣ .

(٤) في (ب) : (قولها) .

وقال الزَّجَّاجُ^(١) : «يجوز في المعرفة حذف ياء من النداء» ، وأنشد^(٢) :

مُحَمَّدٌ تَقْدِ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ
إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا

وقوله تعالى : ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ قال ابن عباس^(٣) : «يريد لا يذكر هذا ونحوه» . قال الزَّجَّاجُ^(٤) : «اترك هذا الأمر ولا تذكره» ، وقيل^(٥) معناه : أعرض عنه بأن لا تكثر له ، فقد بان براءتك .

﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيِكَ﴾ قال ابن عباس^(٦) : «قال لامرأته : توبي^(٧) من ذنبك إنك من الخاطئين» ، يريد : أنك كنت قد أثمت .

قال المفسرون : «إثمها هو أنها راودت شاباً عن نفسه ، وأرادته على الزنا ، وخانت زوجها ، فلما استعصم كذبت عليه وبهتته»^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٣/٣ .

(٢) البيت ينسب لأبي طالب عم رسول الله ﷺ ، وللأعشى انظر : الخزائن ٦٢٩/٣ ، وشواهد الكشاف ، وشواهد المغني ٢٠٤ ، وشرح شذور الذهب ٢١١ ، وبلا نسبة في سيبويه والشتتري ٤٠٨/١ ، والسيوطي ٢٠٤ ، والدرر ٧١/٢ ، والهمع ٥٦/٢ ، والإنصاف ٤١٨ ، وأمالى ابن السجري ٣٧٥/١ .

(٣) زاد المسير ٢١٣/٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٠٤/٣ ، وفيه : «اكتنم هذا الأمر ولا تذكره» .

(٥) الثعلبي ٧٧/٧ ، والبغوي ٢٣٥/٤ .

(٦) زاد المسير ٢١٣/٤ ، ولم ينسبه لابن عباس ، بل نسب إليه القول الآخر «استعفي زوجك لثلا يعاقبك» .

(٧) في (أ) و(ج) : (تولي) .

(٨) في (أ) و(ب) : (نهته) .

ومعنى ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ من القوم الخاطئين ، كما قال : ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣] ، وذلك لتغليب المذكر على المؤنث إذا اختلطتا ، ومثله ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْفٰتِنٰتِ﴾ [التحریم: ١٢] ، وهذا التفسير الذي ذكرنا يدل على أن هذا من كلام زوج المرأة لها وليوسف .

وذهب الكلبي^(١) وغيره إلى أن هذا من كلام الشاهد الذي هو ابن عم المرأة ، وقال في قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ أي سلي^(٢) زوجك أن لا يعاقبك على ما صنعت .

٣٠ . وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الآية ، أراد بالنسوة الجمع لذلك ذَكَرَ فعلهن حملاً على المعنى ، وإذا أنثُ حُمِلَ على اللفظ ، قال أبو علي : «وتأنيث النساء والنسوة تأنيث جمع ، كما أن التأنيث في ﴿قَالَتْ الْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤] كذلك ، ولو لم يؤنث ، كما لم يؤنث (قال نسوة) لكان حسناً ، وسمعت بعض الكبار من النحويين^(٣) يقول : لو تأخر الفعل عن النسوة لكان : ونسوة قلن ، فكانت النون علامة للجمع^(٤) والتأنيث جميعاً ، فإذا قدم الفعل وُحِّدَ ؛ لأن فعل الجماعة إذا تقدم كان موَحَّدًا ، وإذا وُحِّدَ حذف منه علامة الجمع ، فإذا حذفت علامة الجمع فقد حذفت علامة التأنيث ؛ [لأن النون علامة لهما جميعاً ، على أن تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علامة التأنيث]^(٥) ؛ على قياس إسقاط علامة التثنية والجمع» .

(١) الثعلبي ٧٧/٧ ب ، وتنوير المقباس ١٤٨ ، وزاد المسير ٢١٣/٤ .

(٢) في (ج) : (تبتلى) .

(٣) انظر : المقتضب ٣/٣٤٩ ، والدر المصون ٦/٤٧٤ .

(٤) في (أ) و(ج) : (للجميع) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

وقوله تعالى: ﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قال ابن عباس^(١): «يريد نسوة من أشرف النساء». قال الكلبي^(٢): «هن أربع: امرأة ساقى العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب سجنه»، وزاد مقاتل^(٣): «امرأة الحاجب»، ونحوه قال مجاهد^(٤)، والأشبه ما قاله ابن عباس؛ لأن زليخا إنما اتخذت مأدبة لأشراف النساء، ولو خاض في حديثها هؤلاء النسوة لأشبهه أن لا^(٥) يؤخذ خوضهن مقالتهن، والمعنى: أن ذلك الذي جرى بينهما شاع وانتشر في مدينة مصر، حتى تحدث بذلك النساء وخضن فيه.

وقوله تعالى: ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ يعنين زليخا، والعزيز^(٦) بلغتهم الملك، يعنون أنه منيع بقدرته، والعرب تسمي الملك عزيزاً، وهو في شعر أبي دؤاد^(٧):

دُرَّةٌ غَاصَ عَلَيْهَا تَاجِرٌ جُلِبَتْ يَوْمَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَل

وقوله تعالى: ﴿تَرَوْدُ فَتَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [الفتى: الحدث الشاب، والفتاة الجارية الشابة، قال ابن عباس: «يريد تراود غلامها عن نفسه»]^(٨).

-
- (١) البغوي ٢٣٦/٤ من دون نسبة لابن عباس، والقرطبي ١٧٦/٩.
- (٢) زاد المسير ٢١٤/٤، والقرطبي ١٧٦/٩، ونسبوه إلى ابن عباس. وانظر: تنوير المقباس ١٤٨.
- (٣) تفسير مقاتل ١٥٣، أ، والثعلبي ٧٧/٧ ب.
- (٤) لم أجده في موطئه.
- (٥) في (أ) و(ج): (أن يؤخذ) من دون لا.
- (٦) الطبري ١٩٨/١٢، لم أجده في تفسير الطبري بنصه.
- (٧) أبو دؤاد وقيل أبو داود جارية بن الحجاج، وقيل: جويرية، وقيل: حنظلة، شاعر جاهلي. انظر: خزائن الأدب ٥٩٠/٩، والشعر والشعراء ١٤٠.
- والبيت من الرمل ونسبه الواحدي هنا إلى أبي دؤاد، ونسب إليه أيضاً في الطبري ١٩٨/١٢، والثعلبي ٧٧/١٧ وفيها: «جلبت عند عزيز...» وفي النكت والعيون ٣/٣٠، ومجمع البيان ٥/٣٥٠.
- (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقوله تعالى : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال أبو عبيد^(١) : «الشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب ، وهو جلدة دونه» .

وقال يونس^(٢) : «شغفها أصاب شغافها مثل كبدها» ، وقال ابن السكيت^(٣) : «الشغاف هو الخلب ، وهو جلدة لاصقة بالقلب» ، ومنه قيل : خلبه إذا بلغ حبه خلب قلبه ، وشغفها إذا بلغ حبه شغاف قلبها ، وقال الفرّاء^(٤) : «شغفها حبًّا ؛ أي خرق شغاف قلبها» ، وقال ابن قتيبة^(٥) : «يقال : شغفت فلاناً ، إذا أصبت شغافه ، كما تقول : كبذته^(٦) ، إذا أصابت كبده» .

وقال ابن الأنباري^(٧) : «الشغاف غلاف القلب» ، وأنشد^(٨) :

يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ حُبَّكَ مِنِّي فِي سَوَادِ الْفُؤَادِ وَسَطِ الشَّغَافِ

قال : والمعنى : شغفها حبه ، أي أصاب شغافها ، ثم نقل الفعل عن الفاعل [فخرج الفاعل]^(٩) مفسراً نحو قولهم : طاب نفساً ، وقر عيناً ، ﴿وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ، وهذا من كلامهم للاتساع^(١٠) في اللغة ، والافتنان في اللفظ ، وذلك أدل على البلاغة وأحل في السمع ، ولا يتعدى في هذا ما نظقت به العرب ، لا

(١) تهذيب اللغة (شغف) ٢/ ١٨٩٤ .

(٢) تهذيب اللغة (شغف) ٢/ ١٨٩٤ .

(٣) تهذيب اللغة (شغف) ٢/ ١٨٩٤ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٢ .

(٥) مشكل القرآن وغريبه ٢١٨ .

(٦) في (أ) و(ج) : (لبذته) . باللام .

(٧) الزاهر ١/ ٥٠٩ .

(٨) هو لعبدالله بن قيس الرقيات . انظر : ديوانه ٣٧ ، والزاهر ١/ ٥٠٩ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(١٠) في (ج) : (الاتساع) .

يقال : عقل محمد جارية ، على معنى عقلت جارية محمد ، كما يقال : حسن محمد وجهاً ، فعلى هذا (الحب) فاعل نقل عنه الفعل .

وقال غير أبي بكر : المعنى شغفها الفتى بالحب ، فحذف الجار ونصب الحب ، كما يقال : قتله ضرباً ، فعلى هذا ، الفاعل هو الفتى .

وأما المفسرون ، فقال ابن عباس^(١) في رواية عطاء : «قد دخل حبه شغاف قلبها» ، وهو موضع الدم ، وهي الشغاف ، وهذا الذي ذكره ابن عباس قول آخر في الشغاف سوى ما ذكرنا عن أهل اللغة ، وقد ذكر الزَّجَّاج^(٢) هذا القول في الشغاف فقال : «هو حبة القلب وسويداء القلب» ، وهذا القول أبلغ في وصول الحب إلى القلب ، ونحو هذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد^(٣) : «دخل حبه في شغافها» .

وقال السدي^(٤) : «الشغاف جلدة رقيقة على القلب ، يقول : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب» .

وقال الكلبي^(٥) : «الشغاف حجاب القلب ، [تقول : حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه» ، وهذه الأقوال كلها تدل على أن الحب^(٦) فاعل ، ثم نقل عنه الفعل ؛ لأن المفسرين أسندوا الفعل إلى الحب ، وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين (شغفها) بالعين^(٧) .

(١) الثعلبي ٧/ ١٧٨ أ. وانظر : الدر ٤/ ٢٧ بمعناه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٥ ، وزاد المسير ٤/ ٢١٤ .

(٣) الطبري ١٢/ ١٩٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٢٨ ، والقرطبي ٩/ ١٧٦ .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٧٨ أ ، والطبري ١٢/ ١٩٩ ، والبغوي ٤/ ٢٣٦ ، والقرطبي ٩/ ١٧٦ .

(٥) الثعلبي ٧/ ١٧٨ أ ، والبغوي ٤/ ٢٣٦ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٧) ومن هؤلاء عبد الله بن عمرو ، وعلي بن الحسين ، والحسن البصري ، ومجاهد ، وابن محيصن وابن أبي عتبة ، وأبو رجاء ، انظر : الطبري ١٢/ ٢٠٠ ، وإتحاف ٤/ ٢٦٤ ، وزاد المسير ٤/ ٢١٥ .

قال ابن السكيت^(١) : «يقال : شعفه الهوى ، إذا بلغ منه ، وشعف الهناء البعير ، إذا بلغ منه ألمه» ، وقد كشف أبو عبيد^(٢) عن هذا المعنى فقال : «الشعف بالعين إحراق الحب للقلب مع لذة يجدها^(٣) ، كما أن البعير إذا هُني بالقطران يبلغ منه مثل ذلك ، ثم يستروح إليه» ، ونحو هذا قال أبو سعيد^(٤) في قول امرئ القيس^(٥) :

لتقتلني^(٦) وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا

كَمَا شَعَفَ الْمَهُنْوَءَ الرَّجُلُ الطَّالِي

قال يقول : أحرقت فؤادها بحبي كما أحرق الطالي هذا المهنوة .

وقال الفراء^(٧) والزجاج^(٨) : شعفها بالعين معناه [ذهب بها كل مذهب ، مشتق من الشعف وهو رؤوس الجبال ، وفلان مشعوف بكذا]^(٩) معناه قد ذهب به الحب أقصى المذاهب ، وقال أبو زيد^(١٠) : «شعفه حبها يشعفه ، إذا ذهب

(١) تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٨٩ .

(٢) تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٨٩ - ١٨٩٠ .

(٣) في (ج) : (يجد) من غير هاء .

(٤) تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٩٠ . وهو أبو سعيد الضرير أحمد بن خالد ، اعتمده الأزهرى في

التهذيب . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٤٤ ، ومعجم الأدباء ١/ ٣٤٦ ، وإنباه الرواة ١/ ٤١ .

(٥) البيت في ديوانه ١٤٢ ، واللسان (شعف) ٤/ ٢٢٨ ، والطبري ١٢/ ٢٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١٧٨ ،

وتهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٩٠ ، والزاهر ١/ ٦٢٠ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٢٢ ، والقرطبي

١٧٧/٩ .

(المهنوة) المطلية بالقطران ، وإذا هني البعير بالقطران يجد له لذة مع حرقه كحرقه الهوى مع لذته .

(٦) في الطبري ١٢/ ٢٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١٧٨ : (أتقتلني) وهو أقرب .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٤٢ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٥ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(١٠) تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٩٠ .

بفؤاده»، ونحو هذا قال شمر^(١)، قال: «والمشعوف الذاهب القلب»، وقال الأصمعي^(٢) في قوله:

شَعَفَ الكلابُ الضَّارياتُ فُؤَادَهُ

المشعوف الذاهب القلب، وبه شعاف أي جنون، الأزهري^(٣): «وأهل هجر يقولون للمجنون مشعوف»، وعلى هذا معنى شعفها حباً؛ أي شعفت به، وكاد يذهب حبه بلبها، أي بلغ أقصى المبالغ منها وذهب بها كل مذهب.

وقال أبو بكر: «الشعف رؤوس الجبال»، ومعنى: شعف بفلان، إذا ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه.

وهذا الذي حكينا عنه أئمة اللغة في معنى قوله: شعفها بالعين غير المعجمة ثلاثة أصول: أحدها: أنه من الإحراق، والثاني: أنه من الإذهاب، والثالث: أنه من الارتفاع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي ضلال عن طريق الرشد، بحبها إياه^(٤)، كقوله تعالى: ﴿إِن أَبَانَا لِنَعْنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

(١) تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٩٠.

(٢) تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٩٠. والبيت لأبي ذؤيب، وعجزه:

فَإِذَا يَرَى الصُّبْحَ المُصَدِّقَ يَفْزَعُ

ديوان الهذليين ١/ ١٠، والمفضليات ٤٢٥، واللسان (شعف) ٤/ ٢٢٨٠، وتهذيب اللغة (شعف)

١٨٩٠/ ٢.

(٣) كذا في النسخ ولعله (قال الأزهري)، وهو في تهذيب اللغة (شعف) ٢/ ١٨٩٠.

(٤) زاد المسير ٤/ ٢١٥، والرازي ١٨/ ١٢٦.

٣١. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ يعني زليخا ﴿يَمْكُرُهَا﴾ قال ابن عباس: «يريد مقالتهن»^(١)، وقال قتادة والسدي^(٢): «بقولهن وحديثهن»، فإن قيل: لم سمي قولهن مكراً؟ فالجواب عن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق^(٣)، وهو أنه قال: «إن النسوة قلن ما قلته استدعاء لرؤية يوسف والنظر إلى وجهه، فعبئها بحبها يوسف لترين يوسف، وكان يوصف لهن حسنه وجماله، فلما كان هذا القول منهن طمعاً في أن يكون سبباً لمشاهدة يوسف، سمي مكراً، لما خالف ظاهره باطنه، وذلك أنهم قدرن أن هذا القول إذا اتصل بها أبرزت لهن يوسف ليعذرنها، ويزلن العيب عنها».

وقال الزَّجَّاج^(٤) وابن الأنباري^(٥): «إن امرأة العزيز كانت أَسْرَتْ إليهن وَجَدَهَا بيوسف واستكتمتهن شأنها، فلما غدرن بها وأظهرن سرها كان ذلك منهن مكراً، فلما سمعت بها فعلمن أرادت أن توقعهن في ما وقعت فيه، ﴿أَزْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾»، قال وهب^(٦): «اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة، منهن هؤلاء اللاتي عيرنها».

(١) زاد المسير ٢١٥/٤.

(٢) الطبري ٢٠١/١٢، والثعلبي ٧/٧٨، والبغوي ٢٣٦/٤.

(٣) الطبري ٢٠١/١٢، والثعلبي ٧/٧٨، وزاد المسير ٢١٥/٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٠٥/٣.

(٥) الرازي ١٢٦/١٨.

(٦) الثعلبي ٧/٧٨ ب، والبغوي ٢٣٧/٤، والقرطبي ١٧٨/٩.

وقوله تعالى : ﴿وَأَعَدَّتْ﴾ أي أعدت ، ومضى الكلام فيه مستقصى^(١) ، ﴿لَهُنَّ مُتَّكَا﴾ معنى المتكأ في اللغة ، ما تتكأ عليه من نمرقة أو وسادة ، قال الزجاج^(٢) : «هو ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث» ، ومتكأ أصله موتكأ بالواو ، مثل : موتزن أصله من الواو ثم قيل : متزن ، واتكيت اتكأ أصله أوتكيت ، فأدغمت الواو في التاء وشددت ، والتوكؤ التحامل على العصا في المشي ، يقال هو يتوكأ على عصاه ومنه قوله تعالى : ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [طه : ١٨] وقولهم : رجل تكأه ، إذا كان كثير الاتكاء ، هو في الأصل وكأه ، هذا الذي ذكرنا معنى المتكأ ، وأصله في اللغة^(٣) .

فأما التفسير ، فقال الكلبي عن ابن عباس^(٤) : «المتكأ الوسائد التي يتكأ عليها» ، وقال أبو عبيدة^(٥) : «المتكأ : النمرك الذي يتكأ عليه» ، وعلى هذا التفسير لم يذكر الطعام الذي اتخذته هن ؛ لأن الحال وسياق القصة تدلان على أنها اتخذت طعاماً يحتاج إلى قطعه .

وقال ابن عباس^(٦) في رواية عطاء ومجاهد في تفسير المتكأ قال : «هو الأترج» ، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد^(٧) ﴿وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مُتَّكَا﴾ طعاماً ، ومثله روى سعيد عن قتادة^(٨) .

(١) عند قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء : ١٨] ، وقال ما ملخصه : اعتدت الشيء فهو عتيد ومعتد ، وقد عند الشيء عتادة وهو عتيد حاضر ، وعتد بقاء أصل على حدة ، وقيل : الأصل أعدد من عين ودالين ثم قلبت إحدى الدالين تاء .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٠٥ / ٣ .

(٣) (في اللغة) ساقط من (أ) و(ب) ، انظر : تهذيب اللغة (تكأ) ٤٤٥ / ١ .

(٤) زاد المسير ٢١٦ / ٤ ، وتنوير المقباس ١٤٨ ، والثعلبي ٧٨ / ٧ ب .

(٥) مجاز القرآن ٣٠٩ / ١ .

(٦) الطبري ٢٠٢ / ١٢ - ٢٠٣ ، ومسدد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٣٢ / ٧ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٢٨ / ٤ .

(٧) الطبري ٢٠٣ / ١٢ ، وأبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٣٣ / ٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٩ / ٤ .

(٨) الطبري ٢٠٣ / ١٢ ، والثعلبي ٧٨ / ٧ ب . وابن أبي حاتم ٢١٣٣ / ٧ .

وقال ابن جريج عن ابن عباس^(١): «المتكأ الأترج، وكل ما نحر بالسكاكين ونحوه». قال الضحاك^(٢) وهو قول سعيد بن جبير^(٣) والحسن^(٤) وابن إسحاق^(٥) قالوا: طعاماً، قال ابن الأنباري وابن قتيبة^(٦) وأهل المعنى: سمي الطعام والأترج متكأ؛ لأنها من سبب الاتكاء، والعرب تقول: اتكأ الرجل، إذا أكل، فالمتكأ الطعام المأكول، والموضع الذي يؤكل فيه، بناءً على تسمية الشيء باسم سببه، ولما كان المضيف يتخذ لأضيافه نهارق يتكئون عليها للجلوس والأكل، سمي الطعام متكأ، كما يسمى المعلق أرياً^(٧)، وهو الحبل الذي يحبس الدابة، وأنشد^(٨):

فَظَلَّلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا

وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلْلِهِ

أراد باتكأنا أكلنا، وقال الأزهري^(٩): «وقيل للطعام متكأ؛ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكأوا، وقد نهيت هذه الأمة عن ذلك، قال النبي ﷺ «أما أنا فلا أكل متكأً، أكل كما يأكل العبيد»^(١٠).

(١) زاد المسير ٢١٦/٤، والبغوي ٢٣٧/٤.

(٢) الطبري ٢٠٣/١٢، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٩/٤، وزاد المسير ٢١٦/٤.

(٣) الطبري ٢٠٣/١٢، وابن المنذر كما في الدر ٢٩/٤، والثعلبي ٧٨/٧، والبغوي ٢٣٧/٤.

(٤) الطبري ٢٠٣/١٢، والثعلبي ٧٨/٧، والبغوي ٢٣٧/٤.

(٥) الطبري ٢٠٣/١٢، والثعلبي ٧٨/٧.

(٦) مشكل القرآن وغيره ٢١٨-٢١٩.

(٧) قال ابن السكيت في قوهم: (العلف) أري، قال: «هذا مما يضعه الناس في غير موضعه، وإنما الآري لحبس الدابة». تهذيب اللغة (ورى) ٣٨٨١/٤.

(٨) القائل جميل بن معمر، والقلل جمع قلة وهي الحب العظيم، وقيل الجرة الكبيرة، وقيل الكوز الصغير، ديوانه ٥٣، وأساس البلاغة ٢/٢٧٣، والأغاني ٧/٧٩، وشرح شواهد المغني ١٢٦، ومشكل القرآن وغيره ٢١٨، والثعلبي ٧٨/٧، والقرطبي ٩/١٧٨.

(٩) تهذيب اللغة (تكأ) ١/٤٤٥.

(١٠) اللفظ الأول «أما أنا فلا أكل متكأً»، أخرجه البخاري من حديث أبي جحيفة (٥٣٩٨) في كتاب =

وقرأ جماعة من التابعين^(١) (مُتَكًّا) قال ابن عباس^(٢) ومجاهد^(٣): «هو الأترج». وقال الضحاك^(٤): «الزُّمَّازُود».

وقال عكرمة^(٥): «هو كل شيء يحز بالسكين».

قال ابن زيد^(٦): «يحززن^(٧) الأترج بالسكين، ويأكلن بالعسل».

قال أبو زيد^(٨): «كل ما حز بالسكين فهو عند العرب متك، والمتك والبتك القطع، والعرب تعاقب بين الميم والباء».

الأطعمة، باب الأكل متكئاً، وأبو داود (٣٧٦٩) في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل متكئاً، والترمذي (١٨٩٠) باب ما جاء في كراهية الأكل متكئاً، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والبيهقي في السنن ٧/ ٤٦٢ برقم (١٤٦٥١) باب الأكل متكئاً، وأما اللفظ الآخر «أكل كما يأكل العبيد» فقد قال البيهقي بعد أن ساق كلام الخطابي في معنى الاتكاء، قال: «وروي أنه كان يأكل مقعياً ويقول: أنا عبد أكل كما يأكل العبد»، ويؤيده حديث عبدالله بن بسر ولفظه: «أهديت للنبي ﷺ شاة فجثا على ركبتيه يأكل، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصفحة، وابن ماجه (٣٢٦٣)، في كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئاً، والضياء المقدسي في المختارة ١/ ١١٢، وصححه الألباني في الإرواء: (١٩٦٦).

(١) ومن قرأها مجاهد وسعيد بن جبير ونسبت إلى ابن عباس، وقرأها أبو جعفر، انظر: الطبري ١٢/ ٢٠٢-٢٠٣، وإتحاف ٢٦٤، وزاد المسير ٤/ ٢١٦، والقرطبي ٩/ ١٧٨.

(٢) الطبري ١٢/ ٢٠٢، وزاد المسير ٤/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ١٢/ ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الثعلبي ٧/ ٧٨، والبخاري ٤/ ٢٣٧ بهامش الصفحة، وزاد المسير ٤/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٣ بلفظتي «الزماورد، البرماورد»، وفي القاموس: «الزماورد: بالضم طعام من البيض واللحم معرب».

(٥) الثعلبي ٧/ ٧٨، والبخاري ٤/ ٢٣٧، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٣.

(٦) الطبري ١٢/ ٢٠٤، والثعلبي ٧/ ٧٨، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٢٩، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٤.

(٧) في (ب): (يحزرن).

(٨) الثعلبي ٧/ ٧٨، وتهذيب اللغة (متك) ٤/ ٣٣٣٨.

وأنكر أبو عبيدة^(١) كل هذا ، وقال : «الذين قالوا المتكأ الأترج ، فقد كذبوا ، ليس للأترج في كلام العرب اسم إلا الأترج ، وإنما لما احتج عليهم بأنه المتكأ من النهارق والوسائد ، فروا وقالوا إنما هو المتك ، وإنما المتك طرف بصر المرأة» .

قال أبو عبيد^(٢) : «والفقهاء الذين رروا هذا وأخذوا به أعلم بتأويل القرآن من أبي عبيدة ، فيجوز أن يكون من لغة قوم من العرب درست ومات من يتكلم بها ، فقد قال الكسائي إن شيئاً من الكلام سقط لانقراض أهله ومن كان يتكلم به» .

قال أبو بكر^(٣) : «وأنشدنا رجل في مجلس أبي العباس حجةً لأن المتك الأترج :

تَشْرَبُ الْإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَارًا

وَتَرَى الْمُثْمَكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا^(٤)

وأجاز الفراء^(٥) والزجاج^(٦) أن يكون المتك بمعنى الأترج .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ قال ابن عباس^(٧) : «وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وترنجة» ، فإن قلنا بهذا وحملنا المتكأ على الطعام الذي يقطع أو الأترج ، فلا إشكال ، وإن حملناه على الوسادة ، والموضع الذي تتكأ عليه ، فإنها

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٠٩ .

(٢) الطبري ١٢/ ٢٠٢ .

(٣) الزاهر ٢/ ٢١ .

(٤) البيت غير منسوب . وهو في الزاهر ٢/ ٢٥ ، والبحر المحيط ٥/ ٢٩٩ ، والمحضر الوجيز ٧/ ٤٩٣ ، والدر المصون ٦/ ٤٧٩ ، والقرطبي ٩/ ١٧٨ ، واللسان (إثم) ١/ ٢٩ ، وتهذيب اللغة ١/ ١٢٢ ، وتاج العروس (متك) ١٣/ ٦٣٨ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٤٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٦ .

(٧) الطبري ١٢/ ٢٠٤ ، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ٢٨ .

أعطتهن^(١) السكين لتقطع فاكهة قدمت إليهن ، ولم يذكر الفاكهة لدلالة الحال والسكين ، ومعنى ﴿وَأَتَتْ﴾ هاهنا ناولت ، والسكين يذكر ويؤنث ، ومتخذه يقال له : السَّكَّان .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ أي قالت ذلك ليوسف ، قال الزَّجَّاج^(٢) : «أمرته بالخروج عليهن ، ولم يكن تهيأ له^(٣) ألا يخرج ؛ لأنه بمنزلة العبد لها» ، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ قال ابن عباس^(٤) ، ومعظم المفسرين : «أعظمته وهالمن أمره وبهتن» ، وهو قول مجاهد^(٥) في رواية ابن أبي نجيح وقتادة^(٦) في رواية سعيد ، وروى ليث عن مجاهد^(٧) أعظمته فحضن .

وروى عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن جده^(٨) أكبرنه قال : «حضن من الفرح»^(٩) .

-
- (١) في (أ) و(ج) : (أعطهن) .
 - (٢) معاني القرآن وإعرابه ١٠٦/٣ .
 - (٣) ساقط من (أ) و(ب) .
 - (٤) الطبري ٢٠٥/١٢ ، وزاد المسير ٢١٨/٤ ، وابن أبي حاتم ٢١٣٥/٧ وروى هذا القول أيضاً عن ابن زيد وابن إسحاق قال : وروي عن السدي مثله .
 - (٥) الطبري ٢٠٥/١٢ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم (لم أجده في النسخة التي بين يدي) ، وأبو الشيخ كما في الدر ٢٩/٤ ، وزاد المسير ٢١٨/٤ .
 - (٦) الطبري ٢٠٤/١٢ ، ٢٠٥ .
 - (٧) زاد المسير ٢١٨/٤ .
 - (٨) الطبري ٢٠٥/١٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٣٥/٧ كما في الدر ٢٩/٤ ، والتعليبي ٧٩/٧ ب ، وعبد الصمد كان أميراً على مكة ، قال الذهبي : ليس بحجة . انظر : الجرح والتعديل ٥٠/٦ ، والميزان ٣٣٤/٣ ، وأبوه هو أبو محمد ثقة عابد ، مات سنة ١١٨ هـ على الصحيح ، وأخرج له الجماعة إلا البخاري . انظر : الكاشف ٤٣/٢ ، والتهذيب ١٤٦/٣ والأثر ضعيف .
 - (٩) في (أ) و(ج) : (من الفرح) بالمعجمة ، زاد المسير ٢١٨/٤ ، وابن عطية ٤٩٤/٧ ، والقرطبي ١٨٠/٩ .

قال : وفي ذلك يقول الشاعر^(١) :

يَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا يَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا

ونحو هذا القول روى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس^(٢) .

وأنكر هذا أكثر أهل اللغة ، قال أبو عبيدة^(٣) : «أكبرنه : أعظمته في جماله وبهائه ونور النبوة ، ومن أخذ الإكبار من الحيض فليس بحيض ، ولكنه قد يُجَرَّ الحيض ، وقد تفزع المرأة فتسقط ولدها وتحيض ، فإن كان ثم حيض ، فعسى أن يكون من فزعهن وما هالهن من هيئته» ، وهذا الذي ذكره أبو عبيدة هو معنى رواية ليث عن مجاهد .

وقال الزَّجَّاج^(٤) : «منكر أيضاً أن يكون أكبر بمعنى حاض ، هذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة ، والهاء في أكبرنه تمنع هذا ، لأنه لا يجوز النساء قد حضنه ؛ لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول» .

(١) البيت غير منسوب وهو في الطبري ٢٠٥ / ١٢ ، والثعلبي ٧٩ / ٧ ب ، والقرطبي ١٨٠ / ٩ ، وزاد المسير ٢١٨ / ٤ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٠٩١ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٣٥ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٠٣ ، والمحزر الوجيز ٧ / ٤٩٤ ، واللسان (كبر) ، قال الطبري : «البيت مصنوع» ، (ط . البابي الحلبي) ٢٠٥ / ١٢ .

(٢) تهذيب اللغة (كبر) ٤ / ٣٠٩١ ، وزاد المسير ٤ / ٢١٨ ، وفي ابن أبي حاتم ٧ / ٢١٣٥ عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال : «أعظمته» ، فلعل الرواية هنا نقلها عن الأزهر في التهذيب ، فقد روى بسنده هذا القول إلى ابن عباس .

(٣) مجاز القرآن ١ / ٣٠٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٠٦ .

وقال الأزهري^(١): «إن صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج ، وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار ودخلت في حد الكبار ، فقليل لها : أكبرت ؛ أي حاضت على هذا المعنى» .

وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم ، قال : «سألت رجلاً من طي فقلت : ما لك زوجة ؟ قال : لا والله ما تزوجت ، وقد وعدت في بنت عم لي ، قلت : وما سنها ؟ قال قد أكبرت أو كربت ، قلت : وما أكبرت ؟ قال : حاضت» ، قال الأزهري : «أرى اللغة تصحح : أكبرت المرأة ، إذا حاضت ، إلا أن الكناية في (أكبرنه) تنفي هذا المعنى ، فإن صحت الرواية عن ابن عباس سلم له ، وجعلنا الهاء في قوله : ﴿ أَكْبَرْنَاهُ ﴾ هاء الوقفة لا هاء الكناية» .

وقال ابن الأنباري : «من أبطل هذا القول إنما أبطله من أجل الهاء ، وقد رأوا أن الهاء تنصرف إلى يوسف وليست منصرفة إليه ، لكنها كناية عن مصدر الفعل يعنى بها أكبرن إكباراً ؛ أي حضن حيضاً ، فكنى عن المصدر كما يقال : قدم زيد فأحبته ، يعنون فأحببت قدومه^(٢) كما قال الشاعر^(٣) :

وَلَيْسَ السَّالُّ فَاغْلَمُهُ بِمَالٍ وَإِنْ أَغْنَاكَ إِلَّا لِلدُّنْيِ

(١) تهذيب اللغة (كبر) ٣٠٩١ / ٤ .

(٢) في (ب) : (وكما) بزيادة الواو .

(٣) البيت بلا نسبة في الأزهية ٢٩٣ ، والإنصاف ٦٧٥ / ٢ ، وخزانة الأدب ٥ / ٥٠٤ ، والدرر ٢٥٥ / ١ ، ورصف المباني ٧٦ ، واللسان (ضمن) ٢٥٩ / ١٣ و (لذا) ١٥ / ٢٤٥ ، و همع الهوامع ٨٢ / ١ ، برواية العجز : (من الأقوام إلا للذي) .

أراد : فاعلم علماً» ، قال : وهذا القول مقبول لقول ابن عباس به ، وبناء جماعة من التابعين عليه ، والقول في الهاء ما قاله أبو بكر ، لا ما قاله الأزهري ؛ لأن هاء الوقفة تسقط في الوصل ولا توصل بواو .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ قال المفسرون : حزنن^(١) أيدين بالسكاكين ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ، قال قتادة^(٢) : «أبن أيدين حتى ألقينها» ، وقال مجاهد^(٣) : «لم يحسسن إلا بالدم ، ولم يحدث الألم من حز الأيدي لشغل قلوبهم بيوسف» .

قال أهل المعاني : قوله ﴿ وَقَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ يحتمل ضرباً من القطع ؛ أحدها : أن يكون كما ذكره قتادة ، والثاني : أن يجرحن أيدين في مواضع ، وكذلك ذكر بلفظ التكثير ، والثالث : أن كل واحدة جرحت يدها جراحة واحدة ، ولكنهن لما كنَّ عدة حسن فعل التكثير .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ قال أهل اللغة^(٤) والنحويون : حاش وحاشا يستعملان في الاستثناء والتبرئة ، فلاستثناء أن تقول : أتاني القوم حاشا زيد ، ومعناه : إلا زيد ، وموضع الجار مع المجرور نصب ، وأكثر ما يستعمل معه اللام ، نحو : ضربت القوم حاشا لزيد ، وحاش لزيد ، فإن أسقطت اللام جررت بحاشا ما بعدها ، وقد أجاز النصب بها جماعة من النحويين ، وكالتى في الآية ، وتأويلها : معاذ الله ، وهو تنزيه ليوسف على حال البشر أو عما قُرف به .

(١) في (ب) : جززن .

(٢) الطبري ٢٠٧/١٢ ، والثعلبي ٧٩/٧ ب ، والبغوي ٢٣٨/٤ ، وزاد المسير ٢١٨/٤ ، وابن أبي حاتم ٢١٣٦/٧ بنحوه عن غير قتادة .

(٣) الطبري ٢٠٦/١٢ ، والثعلبي ٧٩/٧ ب ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٣٦/٧ ، وفيه «حزَّ حزاً بالسكين» ، وأبو الشيخ كما في الدر ٣٠/٤ ، والبغوي ٢٣٨/٤ ، وزاد المسير ٢١٨/٤ .

(٤) تهذيب اللغة (حشو) ٨٢٥/١ ، والزاهر ٢٨٨/٢ .

وأما اشتقاق هذه الكلمة ، فقال الزَّجَّاج^(١) : «اشتقاقه من الحشا والحاشية بمعنى الناحية ، من قولك : كنت في حشا فلان ، أي في ناحيته ، ومعنى قولك : حاشا لزيد : قد تنحى زيد عن هذا وتباعد منه ، كما تقول : تنحى من الناحية ، كذلك تحاشى من هذا الفعل بمعنى تباعد من حاشية الشيء ، وهي ناحيته» ، ونحو هذا قال أحمد بن عبيد : «حاشا مأخوذة من قول العرب : لا أدري أي الحشا أخذ فلان ، يعنون أي النواحي» ، واحتج بقول الهذلي^(٢) :

يَقُولُ الَّذِي أَمْسَى إِلَى الْحَزَنِ أَهْلُهُ
بِأَيِّ الْحَشَا أَمْسَى الْخَلِيطُ الْمُبَايِنُ

أراد : بأي النواحي ، واحتج أيضاً بقول النابغة^(٣) :

وَمَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ

قال : معناه ما أعدل أحداً من الأقوام في حشا ؛ أي في ناحية ، ولهذا احتمل هذه الكلمة معنى الاستثناء والتنزيه ؛ لأن معنى التنزيه التنحية والإبعاد ، وكذلك معنى الاستثناء هو الإخراج عن جملة المذكورين .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠٧/٣ .

(٢) لمالك بن خالد الخناعي ، ويقال : للمعطل ، والحشا : أجواف الأودية ، والخليط : الذين يخالطون في الدار ، المبين : المفارق المزايل ، انظر : شرح أشعار الهذليين للسكري ٤٤٦/١ ، وتهذيب اللغة (حشا) ٨٢٦/١ ، والمخصص ١١٨/٥ ، وشرح المفصل ٨٥/٢ ، وجمهرة اللغة ١٠٤٩/٢ .

(٣) عجز بيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح بها النعمان ويعتذر إليه ، وصدره :

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ

انظر : ديوانه ١٢ ، والإنصاف ٢٤١ ، والخزانة ٤٤/٢ ، والهمع ٢٣٣/١ ، والدرر ٩٨/١ ، والقرطبي ١٨١/٩ ، والدر المصون ٤٨٤/٦ .

وقال أبو علي^(١): «حاشا فاعل من حاشى يحاشي، ومعنى: حاش الله؛ أي صار يوسف في حشى؛ أي ناحية مما قُرف به؛ أي لم يلبسه، وصار في عزلة عنه وناحية، وإذا كان حاشا فعلاً فلا بد له من فاعل وفاعله يوسف، كأن المعنى بعد عن هذا الذي رُمي به، ﴿لِلَّهِ﴾ أي لخوفه ومراقبته أمره، وأما حذف الألف منه، فلأن الأفعال قد حذفت منها، نحو: لم يك، ولا أدر، ولم أبل، وقد حذفوا الألف من الفعل، نحو ما حكى عن العرب سماعاً: أصاب الناس جهد ولو نر^(٢) أهل مكة، وإنما هو (نرى) فحذفت الألف المنقلبة عن اللام كما حذفت من حاشا، وقد قال رؤبة^(٣):

وَصَّانِي الْعَجَّاجُ فِي مَا وَصَّنِي

ومن أثبت الألف جاء به على التمام والأصل، واختلف النحويون في أن حاشا في الاستثناء حرف جر أم فعل، فهو عند سيبويه^(٤) حرف، وعند المبرِّد^(٥) يجوز أن يكون فعلاً، وهو اختيار أبي علي، قال: «لأن الحرف الجار لا يدخل على مثله، وقد دخل حاشا على اللام الجارة، ولأن الحروف لا تحذف إذا لم يكن فيها تضعيف»، واحتج المبرِّد بقول النابغة^(٦):

وَمَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ

(١) الحجة ٤/٤٢٣.

(٢) سقط من (أ) و (ب) و (ج) وما أثبتته في (ي)، وفي الحجة ٤/٤٢٣: ولو ترما أهل مكة.

(٣) من أرجوزة له في ديوانه ١٨٧، وقبله:

مُسْرُولٌ فِي آلَةِ مُسْرِبِينَ يَمْشِي الْعَرْضِي فِي الْحَدِيدِ الْمُتَقَنَّ
وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/٤٤٩، والخزانة ١/١٣١.

(٤) الكتاب ٢/٣٠٩.

(٥) المقتضب ٤/٣٩١، قال محقق الكتاب: «وهذه المسألة من المسائل التي رد فيها المبرِّد على سيبويه، وقد تعقبه ابن ولاد في الانتصار»، وانظر: الحجة ٤/٤٢٢.

(٦) سبق التعليق على البيت.

قال : « لما صرف فاستعمل منه أحاشي ، علم أنه فعل » .

قال أصحاب سيبويه : قول سيبويه أولى ، لأنه يتعلق بالحكاية عن العرب فكان أولى ، وحجته في أنها لا تكون إلا حرفاً اجتماع النحويين على أنها لا تكون صلة لـ (ما) ، فلا تقول : جاءني القوم ما حاشا زيداً ، كما تقول : ما خلا زيداً ، فلما امتنعت أن تكون صلة لـ (ما) ، دلّ على أنها ليست بفعل ، واحتجاج أبي العباس عليه بقول النابغة لا يلزم ؛ لأن قوله (وما أحاشي) ليس بتصريف فعل بل هو بناء فعل على حكاية [قول القائل : حاشا فلان ، نحو قولهم : حوقل وبسمل ، كأنه قال : ما أقول هذا القول . وأما^(١) قول أبي علي ، وقد ذكره أبو العباس أيضاً أن حاشا دخلت على اللام الجارة ، فتقدير ذلك أن تكون اللام معلقة بفعل آخر ، وتكون زائدة ، وأما قوله : الحروف لا تحذف ، قيل : إنها تخفف وتشدد فيجوز أن تحذف أيضاً من حاشا لكثرة استعمالهم إياه ، ولا اتصال اللام بها .

وذكر أبو علي^(٢) في الإيضاح أن حاشا حرف فيه معنى الاستثناء ، تقول : أتاني القوم حاشا زيد ، فموضع الجار والمجرور النصب ، وأكثر أهل العربية على أن معنى قوله : ﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾ تنزيه ليوسف عما رمت به امرأة العزيز كما ذكرنا ، وذهبت طائفة إلى أن المراد تنزيهه من^(٣) شبه البشرية ، لفرط جماله وروعة بهائه ، ويؤكد هذا المعنى سياق الآية بعد هذا ، ويكون تقدير الآية على هذا المعنى : حاشا يوسف ، أي بعد عن أن يكون بشراً ، ودخلت (لله) تأكيداً لهذا المعنى .

(١) ما بين المعقوفين في (ب) وهو ساقط من (أ) و(ج) .

(٢) الإيضاح ٣٣ .

(٣) من هنا يبدأ سقط في نسخة (ب) حتى ١١١ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ قَالَ الْفَرَاءُ ^(١) : « نصبت بشراً ؛ لأن الباء قد استعملت فيه ، ولا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء ، فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر في ما خرجت منه ، فنصبوا على ذلك ، ألا ترى أن كل ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا ، وقوله تعالى : ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٢] .

وقال الزَّجَّاج ^(٢) : « سيبويه والخليل وجميع النحويين القدماء يزعمون أن بشراً منصوب لأنه خبر (ما) ويجعلونه بمنزلة (ليس) ، (وما) معناه معنى (ليس) في النفي » .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ تأكيد أنه ليس من البشر .

٣٢ . قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ معنى اللوم في اللغة ^(٣) الوصف بالقبيح ، ونقيضه الحمد ، قال المفسرون ^(٤) : « أرادت امرأة العزيز إظهار عذرها عند النسوة ، بما يشاهدن من جمال يوسف » ^(٥) . فلما بهتن بالنظر إليه ، وذهب عقولهن ، وجعلن يقطعن أيديهن ، قالت : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ قال ابن الأنباري ^(٦) : « أشارت بذلك إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس » ، يدل على هذا ما روي أن ابن عباس ^(٧) قال في قوله : ﴿ فَذَلِكُنَّ ﴾ « يريد فهو الذي لمتني فيه ؛ أي في حبه ، والشغف به » ، ثم أقرت عندهن فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ »

(١) معاني القرآن ٤٢ / ٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٠٧ / ٣ .

(٣) تهذيب اللغة (لام) ٣٢٢١ / ٤ ، واللسان (لوم) ٤١٠١ / ٧ .

(٤) الطبري ٢٠٩ / ١٢ ، والثعلبي ٨٠ / ٧ ب .

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٦) زاد المسير ٢١٩ / ٤ ، والرازي ١٣٠ / ١٨ .

(٧) قال به الطبري ٢٠٩ / ١٢ .

عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعَصَمَ ﴿١﴾ قال ابن عباس^(١) والمفسرون^(٢) وأهل اللغة^(٣) : «فامتنع» ، ومعنى الاستعصام الامتناع بطلب العصمة ، والعصمة سميت عصمة ؛ لأنها تمتنع من ارتكاب المعصية ، قال الأصمعي^(٤) : «العصمة في كلام العرب المنع ، وعصمة الله العبد أن يمنعه مما يوبقه ، واعتصم بالله ، إذا امتنع به ، واعتصم إذا امتنع وأبى» ، وقال قتادة^(٥) : «فاستعصى» .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ﴾ ﴿٦﴾ قال ابن عباس^(٦) : «يريد ما أَدْعُو إِلَيْهِ» ﴿لَيْسَ جَنًّا﴾ توعده بإيقاع المكروه به ، إن لم يطعها في ما تدعوه إليه ، و﴿وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ ، ومضى الكلام في النون الشديدة والخفيفة ، وأن الوقف عليها بالألف كالتنوين في موضع النصب ، والصاغر الذليل ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ [التوبة : ٢٩] وقوله : ﴿صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿٧﴾ .

٣٣ . وقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ﴿٨﴾ قال أبو بكر : «معناه : رب دخول السجن أحب إلي مما يطالبني به من معصيتك ، والتعرض لسخطك» ، فحذف المضاف ، وهذا قول الزجاج^(٩) ، قال

-
- (١) الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٢٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر .
 (٢) الثعلبي ٧/ ٨٠ ، والبغوي ٤/ ٢٣٩ ، وابن عطية ٧/ ٥٠١ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٠ ، وأبو الشيخ كما في الدر .
 (٣) مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١/ ٢٥٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٢٣ ، واللسان (عصم) ٥/ ٢٩٧٦ .
 (٤) تهذيب اللغة (عصم) ٣/ ٢٤٦٦ .
 (٥) الطبري ١٢/ ٢١٠ ، وأبو الشيخ كما في الدر ، والثعلبي ٧/ ٨٠ ، والقرطبي ٩/ ١٨٤ .
 (٦) قال به الطبري ١٢/ ٢١٠ ، والثعلبي ٧/ ٨٠ ، والبغوي ٤/ ٢٣٩ .
 (٧) الأنعام ١٢٤ . وقد قال هناك : «الصغار الذل : الذي يصغر إلى المرء نفسه» .
 (٨) في (أ) و(ج) : (يدني) بدلاً من (يدعوني) .
 (٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٨ .

أبو بكر : « ويجوز أن يكون السَّجْن بمعنى السَّجْن إذ الاسم المشتق من الفعل يأتي نائباً عن المصدر ، كما يقال : طلعت الشمس مطلعاً ، وغربت مغرباً ، جعلوها خلفاً من المصدر وهما اسمان ، كذلك السجْن » ، وهذا قول الفرَّاء^(١) ، ولا بد من أحد التقديرين ؛ لأن السَّجْن بالكسر اسم للموضع الذي يحبس فيه ، وليس يريد أن ذلك الموضع أحب إلي ، بل يريد دخوله واللبث فيه ، فإن قيل : لم قال (أحب إلي) ولا واحد من الأمرين محبوب له ، لا السجْن ، ولا ما دعونه إليه ، إذ لا يريده ؟ قلنا هو على التقدير : أي لو كانا مما أريده لكانت إرادتي لهذا أشد ، كمن خير بين خصلتي شر ، فاخترت أيسرهما وأقربهما إلى النجاة .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ قال أبو إسحاق^(٢) : « يعني امرأة العزيز وحدها ، إلا أنه أراد كيدها وكيد جميع النساء » ، وجائز أن يكون أراد كيدها وكيد النسوة اللاتي رأيته حين أرتهن إياه ، يؤكد هذا ما قال وهب^(٣) : « أن النسوة أمرنه بمطاوعتها ، وقلن له : إنك الظالم وهي المظلومة ، فلا تعصها واقض حاجتها » .

وقوله تعالى : ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ قال ابن عباس^(٤) : « أَمِلْ إِلَيْهِنَّ » ، وقال قتادة^(٥) : « أتابعهن » ، يقال : صبا إلى اللهو يصبو صبواً ، إذا مال إليه ، وقال أبو الهيثم : « صبا فلان إلى فلانة ، وصبا لها يصبو صبي منقوص وصبوة ؛ أي مال إليها » .

(١) معاني القرآن ٢/ ٤٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٩ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٢٢٠ ، والبغوي ٤/ ٢٣٩ ، والقرطبي ٩/ ١٨٥ ، وابن عطية ٧/ ٥٠٢ .

(٤) قال به الطبري ١٢/ ٢١١ ، وتنوير المقباس ١٤٩ ، والثعلبي ٧/ ٢٨١ ، والبغوي ٤/ ٢٣٩ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٠ ، والقرطبي ٩/ ١٨٥ .

(٥) الطبري ١٢/ ٢١١ ، والثعلبي ٧/ ٢٨١ ، والبغوي ٤/ ٢٣٩ ، والقرطبي ٩/ ١٨٥ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٢٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٣١ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَجْهَلِينَ﴾ قال ابن عباس : «يريد المذنبين الآثمين» ، وقال أهل المعاني : وأكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل ، في هذه الآية بيان أن يوسف لما أظلمته البلية بكيد النساء ومطالبتهن إياه بالفجور فزع إلى الدعاء والرغبة إلى الله تعالى بالدعاء ليكشف ذلك ، مع الاعتراف بأنه إن لم يعصمه من المعصية وقع فيها ، فدل أنه لا ينصرف واحد عن المعصية^(١) إلا بلطف الله - عز وجل - وعصمته ، فاستجاب ليوسف ربه دعاءه ، وذلك أن قوله : ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ تأويله اللهم اصرف ، كما أن تأويل قول القائل : إلا تطعني أعاقبك ، أطعني ، قاله أبو بكر^(٢) .

٣٤ . وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال ابن عباس^(٣) : «يريد لدعائه ، العليم بما يخاف من الإثم» .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَأْهُمْ﴾ يقال : بدا له في هذا الأمر بداء ، إذا تغير رأيه عما كان عليه ، وظهر له رأي آخر ، قال وهب والسدي^(٤) : «إن امرأة العزيز قالت لزوجها : إن هذا العبد العبراني فضحني في الناس ، يخبرهم أنني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستني ، فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف» .

(١) في (ج) : (معصية) من غير أل .

(٢) زاد المسير ٢٢٠ / ٤ .

(٣) الطبري ٢١٢ / ١٢ ، والثعلبي ٨١ / ٧ ، والبغوي ٢٣٩ / ٤ .

(٤) الطبري ٢١٣ / ١٢ ، والثعلبي ٨١ / ٧ ، وزاد المسير ٢٢١ / ٤ ، والبغوي ٢٣٩ / ٤ ، والقرطبي

وقوله تعالى : ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ ﴾ يعني آيات براءته من قَدَّ القميص من دبر ، وخمش الوجه ، وإلزام الحكيم إياها ، وقوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ ، هذا قول المفسرين ، وذكر قتادة^(١) في هذا الآيات حز الأيدي ، ولست أدري أي آية فيه على براءة^(٢) يوسف ، فإن قيل : أين فاعل بدا ؟ قيل هو مضمّر دل عليه (ليسجنه) ، على تقدير : بدا لهم بداء^(٣) فقالوا والله (لنسجنه) ، واللام في لنسجنه جواب ليمين^(٤) مضمرة ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقد مر ، ورد السجن إلى الياء تغليبا للأسماء الغيب ، كما تقول : قال القوم والله ليكرمن ولنكرمن محمداً ، بالياء والنون ، هذا الذي ذكرنا جواب ابن الأنباري^(٥) وغيره من النحويين .

وقال الفراء^(٦) وأصحابه : قوله : ﴿ لَيْسَجُنَّهٗ ﴾ قام مقام فاعل بدا ؛ لأن تلخيصه : ظهر لهم سجنه ، فناب الفعل الذي فيه لام القسم عن فاعل بدا ، وذلك لما كان في الكلام معنى قول ؛ لأن تأويل قوله (بدا لهم) أي في ما قالوا ودبروا ، فصار كقولك : قلت ليقومن عبدالله ، ففسد اللام وما بعدها مسد الكلام حين يقال قلن كلاماً فاللام^(٧) في (ليسجنه) هذه قصتها ؛ إذ كان الفعل الذي قبلها يرجع إلى القول في المعنى .

(١) الطبري ١٢/٢١٢ ، وعبدالرزاق ٢/٣٢٣ .

(٢) قال ابن عطية ٧/٥٥٥ : « وخمش الوجه وحز النساء أيدين ليس فيها تبرئة ليوسف ، ولا تصور تبرئة إلا في خبر القميص » .

(٣) هذا القول رجحه ابن عطية ٧/٥٥٤ ، والقرطبي ٩/١٨٦ ، والتقدير : ثم بدا لهم رأي .

(٤) في (أ) : (ليمن) .

(٥) الزاهر ٢/٦١ ، وزاد المسير ٤/٢٢١ .

(٦) معاني القرآن ٢/٤٤ .

(٧) في (ج) : (واللام) .

وذكر أبو علي الفارسي في المسائل الحلبية^(١) هذه الآية ، فقال : «إن أبا عثمان يقول : إن فاعله مضمَر فيه ، كأنه عنده : ثم بدا لهم بدو ، فأضمر الفاعل للدلالة فعله عليه ، وجاز هذا وحسن ، وإن لم يحسن أن نقول : ظهر ظهور وعلن ؛ لأن البدو والبدا قد استعمل على معنى غير المصدر ، ألا ترى أن قولهم : بدا لهم بدو ، بمنزلة ظهر لهم رأي ، كما أن قولهم : قيل فيه قول كذلك ، فلهذا أقيم المصدر فيه مقام الفاعل ، وأما قوله (ليسجننه) فحملة أبو عثمان على أنه حكاية ، تقديره : بدا لهم أمر قالوا ليسجننه ، فأضمر القول كما قال : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: ٣] أي قالوا ، ومثله كثير في التنزيل»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال أهل اللغة^(٣) : الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل .

قال ابن عباس^(٤) في رواية عطاء : «يريد إلى انقطاع القالة وما شاع في المدينة من الفاحشة» ، وقال في رواية الكلبي^(٥) : «الحين ها هنا خمس سنين» .

(١) المسائل الحلبية ٢٣٩ .

(٢) في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

١ . مذهب سيبويه أن ليسجننه في موضع الفاعل ؛ أي ظهر لهم أن يسجنوه ، وقال محمد بن يزيد : «هذا غلط لا يكون من الفاعل جملة ولكن» .

٢ . الفاعل ما دل عليه بدا ؛ أي بدا لهم بداء ، فحذف الفاعل لأن الفعل يدل عليه .

٣ . أن معنى (بدا له) في اللغة ظهر له ما لم يكن يعرفه ، فالمعنى ثم بدا لهم أي لم يكونوا يعرفونه ، وحذف هذا لأن في الكلام عليه دليلاً ، وحذف أيضاً القول أي قالوا : ليسجننه . انظر : الكتاب ٤٥٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٤١/٢ .

(٣) تهذيب اللغة (حين) ٧١٤/١ ، ولسان العرب (حين) ١٠٧٣/٢ .

(٤) القرطبي ١٨٧/٩ ، وفي البغوي ٢٣٩/٤ ، وزاد المسير ٢٢٢/٤ ونسبوه إلى عطاء .

(٥) البغوي ٢٣٩/٤ ، وزاد المسير ٢٢٢/٤ ، والقرطبي ٨٧/٩ ، والثعلبي ٨١/٧ .

وقال سفيان وعكرمة^(١): «سبع سنين» .

وقال مقاتل بن سليمان^(٢): حُبس يوسف اثنتي عشرة سنة^(٣)، وفي هذه الآية بيان أن العزيز أطاع زوجته في حبس يوسف، بعد علمه ببراءته، موافقة لها، وذكر المفسرون^(٤) أن الله تعالى جعل ذلك الحبس [تطهيراً]^(٥) ليوسف من همه بالمرأة، وتكفيراً لزلته، وذكر ابن الأنباري أن الله تعالى أبهم الحين هاهنا، إرادةً لتكرمة العلماء، ورفعاً لأقدارهم؛ ليفزع الناس إليهم في المشكلات وهم يعرفون ذلك بتطلب التأويل^(٦) والبحث عن غامض التفسير .

٣٦. قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾ قال السدي^(٧) وقتادة^(٨) والمفسرون^(٩): هما غلامان كانا لملك مصر الأكبر، أحدهما صاحب طعامه، والآخر صاحب شرابه، رفع إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه، وظن أن الآخر مالؤه على ذلك، فأمر بحبسهما .

(١) الطبري ١٢/٢١٣، وابن أبي حاتم ٧/٢١٤١ وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٣٢، والبغوي ٤/٢٣٩، وابن عطية ٩/٢٩٧، وزاد المسير ٤/٢٢٢، والقرطبي ٩/١٨٧، عن عكرمة (تسع سنين) .

(٢) تفسير مقاتل ١٥٤ أ .

(٣) قلت الراجح - والله أعلم - هو أنه قد بدا لهم أن يسجنوه من غير تعيين زمن محدد، الذي ذكره المفسرون هو مقدار ما لبث في السجن لا المدة التي قررها الملك حين أدخله السجن . انظر: ابن عطية ٧/٥٠٦، وزاد المسير ٤/٢٢٢ .

(٤) الثعلبي ٧/٨١، والقرطبي ٩/١٨٧ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٦) إلى هنا انتهى السقط من نسخة (ب) .

(٧) الطبري ١٢/٢١٤، وابن أبي حاتم ٧/٢١٤٢ .

(٨) الطبري ١٢/٢١٤، وابن أبي حاتم ٧/٢١٤١ .

(٩) الطبري ١٢/٢١٤، والثعلبي ٧/٨١، والبغوي ٤/٢٤٠، وزاد المسير ٤/٢٢٣، والقرطبي ٩/١٨٩ .

والفتى في اللغة^(١): الشاب القوي ، قال الزَّجَّاجُ^(٢): «ويجوز أن يكونا حَدِيثَيْنِ أو شيخين ؛ لأنهم كانوا يسمون المملوك فتى ، قال : ولم يقل : فحبس يوسف ودخل معه السجن فتيان ؛ لأن في قوله : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾ دليلاً على أنه حبس» .

قال ابن عباس^(٣) في رواية عطاء : «في قوله (فتيان) عبدان للملك ، وكان أحدهما على شراب الملك ، والآخر على طعامه» .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِیْ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قال المفسرون^(٤) كان يوسف لما دخل السجن قال لأهله : إني أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتيين : هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني نترأى له ، فسألاه من غير أن يكون رأياً شيئاً .

قال ابن مسعود^(٥) : «ما رأياً شيئاً ، إنما كانا تحالماً ليجرّباه علمه» .

وقال مجاهد^(٦) : «كانا قد رأيا حين أدخل السجن رؤيا ، فأتيا يوسف ، فقال له الساقى : أيها العالم إني رأيت كأني في بستان ، فإذا بأصل حَبَلَةٍ^(٧) حسنة فيها ثلاثة أغصان ، عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتهما ، فكأن كأس الملك بيدي ، فعصرتهما فيه وسقيت الملك فشربه ، فذلك قوله : ﴿إِنِّي أَرَنِیْ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾» ، قال

(١) تهذيب اللغة (فتى) ٣/ ٢٧٣١ ، واللسان (فتا) ٦/ ٣٣٤٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٩ .

(٣) انظر : البغوي ٤/ ٢٤٠ ، والرازي ١٨/ ١٣٣ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٢ .

(٤) البغوي ٤/ ٢٤٠ ، والرازي ١٨/ ١٣٣ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٢ .

(٥) الطبري ١٢/ ٢١٤ ، والثعلبي ٧/ ٨١ ب ، والبغوي ٤/ ٢٤٠ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٢ ، وابن عطية ٥٠٧/ ٧ ، القرطبي ٩/ ١٨٩ .

(٦) الطبري ١٢/ ٢١٥ ، والثعلبي ٧/ ٨١ ب ، والبغوي ٤/ ٢٤٠ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٢ ، وابن عطية ٥٠٧/ ٧ ، والقرطبي ٩/ ١٨٩ .

(٧) الحبلّة : يطلق على شجرة العنب قال الليث : «يقال للكرمة حبلّة» ، وتهذيب اللغة (حبل) ١/ ٧٣٢ ، ولسان العرب (حبل) ٢/ ٧٦٢ .

أبو إسحاق^(١) : «لم يقل إني أراني في النوم أعصر خمرًا ؛ لأن الحال يدل على أنه ليس يرى نفسه في اليقظة يعصر خمرًا» ، قال ابن الأنباري : «لأنه لو لم يقصد للنوم كان قوله (أعصر) مستغنى به عن ﴿أَرِنِي﴾» ، وقال غيرهما : قد دل على المنام قولهما : ﴿نَبْتَئَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ ، وذلك أنه لا يكون لما يرى في اليقظة تأويل .

وقوله تعالى : ﴿أَعَصِرْ خَمْرًا﴾ قال الليث^(٢) : «يقال : عصرت العنب وعصرته ، إذا وليت عصره بنفسك ، واعتصرت إذا عُصِرَ لك ، والعصارة ما يجلب عن شيء بعصره» ، وذكر المفسرون^(٣) وأهل المعاني في قوله : ﴿أَعَصِرْ خَمْرًا﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يكون المعنى أعصر عنب خمر ؛ أي العنب الذي يكون عصيره خمرًا ، فحذف المضاف .

والثاني : أن العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه إذا انكشف المعنى ولم يلتبس ، فيقولون : فلان يطبخ الأجر ، يعنون اللب ، فيوقعون بالفرع ما هو واقع بالأصل ، ويقولون : هو يطبخ دبساً ، وهو يطبخ عصيراً ، هذا^(٤) الذي ذكرنا قول الزجاج^(٥) وابن الأنباري^(٦) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠٩/٣ .

(٢) تهذيب اللغة (عصر) ٢٤٥٨/٣ .

(٣) زاد المسير ٢٢٣/٤ ، والبغوي ٢٤٠/٤ ، والرازي ١٨/١٣٤ .

(٤) في (ج) : (هو) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٠٩/٣ .

(٦) زاد المسير ٢٢٣/٤ .

والقول الثالث : أن من العرب من يسمي العنب خمرًا ، وأن قريشاً نطقت بهذه اللغة وعرفتها ، فذكرها الله - عز وجل - في كتابه ، قال الضحاك^(١) : «نزل القرآن بكل لسان ، والعنب بلغة بعضهم الخمر» .

وقال الكلبي عن أبي صالح^(٢) : «أزد وعمان يسمون العنب الخمر» ، وحكى الأصمعي^(٣) عن المعتمر أنه لقي أعرابياً معه عنب ، فقال : ما معك ؟ قال : خمر^(٤) .

وقال صاحب الطعام [ليوسف : إني رأيت]^(٥) كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة ، وإذا سباع الطير تنهش [منه ، فذلك قوله]^(٦) : ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ والخبز المصدر ، والخبازة صنعة الخباز ، [وقال الليث^(٧) : «الطير اسم جامع»]^(٨) مؤنث ، والواحد طائر .

وقال أحمد بن يحيى^(٩) : «الناس كلهم يقولون للواحد طائر ، وأبو عبيدة^(١٠) معهم ، ثم انفرد فأجاز أن يقال طير للواحد ، وجمعه على طيور ، قال : وهو ثقة» .

(١) الطبري ٩٧/١٦ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٦/٤ أكما في الدر ٥٣٦/٤ ، والقرطبي ١٩٠/٩ ، وزاد المسير ٢٢٣/٤ .

(٢) تنوير المقباس ١٤٩ ، وزاد المسير ٢٢٣/٤ ، وابن عطية ٥٠٧/٧ .

(٣) الثعلبي ٨٢/٧ ، وابن عطية ٥٠٧/٧ ، والقرطبي ١٩٠/٩ ، ولسان العرب (خمر) : ١٢٥٩/٢ .

(٤) ما سبق من تفسير قوله : ﴿أَعَصِرْ خَمْراً﴾ والاحتمالات الثلاثة ذكرها صاحب اللسان (خمر) ١٢٥٩/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٧) تهذيب اللغة (طير) ٢١٤٩/٣ ، ولسان العرب (طير) ٢٧٣٥/٥ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٩) المشهور بثعلب ، وتهذيب اللغة (طير) ١٢٤٩/٣ ، واللسان (طير) ٢٧٣٥/٥ .

(١٠) تهذيب اللغة (طير) ١٢٤٩/٣ ، واللسان (طير) ٢٧٣٥/٥ .

وقوله تعالى : ﴿ نَذِّنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ قال ابن عباس^(١) : «أخبرنا بتفسيره» ، قال أبو عبيد^(٢) : «تأويل الشيء ما يرجع إليه وتصرف من المعنى الذي تحته» .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ معناه : إنا نراك تؤثر الإحسان وتأتي مكارم الأخلاق وجميع^(٣) الأفعال ، يدل على هذا ما قاله إبراهيم وقتادة^(٤) : «كان يعود مرضاهم ، ويعزي حزينهم ، ورأوا منه محافظة على طاعة الله - عز وجل - فأحبوه» ، قال^(٥) الضحاك^(٦) : «كان إذا مرض رجل في السجن قام عليه ، وإذا ضاق وسَّع له ، وإن احتاج جَمَعَ له وسأله» ، وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن المعنى : إن عبرت لنا هذين المنامين ، فإنك من المحسنين إلينا ، بقضائك هذه الحاجة لنا ، وهذا معنى قول ابن إسحاق^(٧) : قال : «إنا نراك من المحسنين إن فسرنا لنا هذين المنامين» .

وقال الفرَّاء^(٨) : «إنا نراك من المحسنين ، يقول من العالمين قد أحسنت العلم» ، قال ابن الأنباري^(٩) : «والتقدير على هذا : من المحسنين العلم ، فحذف مفعول الإحسان ، كما حذف في قوله : ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف : ٤٩] أي السمس

(١) الثعلبي ٨٢/٧ ب ، والبغوي ٢٣٩/٤ ، وزاد المسير ٢٢٣/٤ .

(٢) الطبري ٢١٥/١٢ عن أبي عبيد .

(٣) كذا في جميع ولعلها جميعها (وجمل) .

(٤) الطبري ٢١٦/١٢ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٣٤/٤ ، وابن عطية ٥٠٩/٧ ، والثعلبي ٨٢/٧ ب ، وابن أبي حاتم ٢١٤٣/٧ .

(٥) في (ج) : وقال .

(٦) الطبري ٢١٦/١٢ ، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٤٣/٧ ، وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب كما في الدر ٣٤/٤ ، والبغوي ٢٣٩/٤ ، والقرطبي ١٩٠/٩ ، والثعلبي ٨٢/٧ ب .

(٧) انظر : الطبري ٢١٦/١٢ ، وابن عطية ٥٠٩/٧ ، وزاد المسير ٢٢٣/٤ ، والثعلبي ٨٢/٧ ب .

(٨) معاني القرآن ٤٥/٢ ، والثعلبي ٨٢/٧ ب .

(٩) زاد المسير ٢٢٤/٤ .

والعنب» ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج^(١) : «أي ممن يحسن التأويل»^(٢) ، قال : وهذا دليل أن أمر الرؤيا صحيح ، وأنها لم تنزل في الأمم الخالية ، ومن دفع أمر الرؤيا وأن منها ما يصح فليس بمسلم ؛ لأنه يدفع القرآن والأثر ، وهذه الآية بيان عما يوجبه لطف الله تعالى في ما سببه لنجاة يوسف بالعلم والإحسان في جوابه عما سأله الفتيان ؛ لأن تعبيره رؤيا هذين كان سبب نجاته .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ الآية ، هذا ليس بجواب ما سألا عنه ، ولكن يوسف - عليه السلام - لما علم أن تأويل رؤياهما يوجب قتل أحدهما ، بدأ بدعائهما إلى الإسلام ليستعدا به قبل استماع جواب الرؤيا ، هذا قول جماعة من المفسرين ، قال قتادة^(٣) : «لما علم نبي يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما إلى حظهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من الآخرة» .

وقال آخرون^(٤) : قصد يوسف بهذا الدلالة على أنه عالم بتفسير الرؤيا ، فقال : لا يأتیکما طعام ترزقانه في منامكما ، قال ابن عباس^(٥) : «يريد تأكلان

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١١٠ .

(٢) رجح الطبري ١٢ / ٢١٦ من هذه الأقوال قول قتادة والضحاك ، ثم قال : «فإن قال قائل : وما وجه الكلام إذا كان الأمر إذا كما قلت ، وقد علمت أن مسألتها يوسف أن ينبيها بتأويل رؤياهما ، ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ، ويقوم عليه ويحسن إلى من احتاج في شيء ، وإنما يقال : (نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم) . وهذا من المواضع التي تحسن منه بالوصف بالعلم لا بغيره ؟ قيل : إن وجه ذلك أنها قالوا له : نبئنا بتأويل رؤيانا محسناً إلينا في إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن في سائر أفعالك ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ » اهـ .

(٣) الطبري ١٢ / ٢١٩ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤ / ٣٤ .

(٤) أخرجه أبو عبيد ، والطبري ١٢ / ٢١٧ وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٤٤ ، عن ابن جريج كما في الدر ٤ / ٣٤ .

(٥) زاد المسير ٤ / ٢٢٤ ، والثعلبي ٧ / ٨٣ .

منه» ، إلا نباتكما بتأويله في اليقظة قبل أن يأتيكما التأويل ، هذا قول السدي^(١) وابن إسحاق^(٢) أن معنى قوله : ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِيهِ﴾ أي في المنام .

وقال أبو إسحاق^(٣) : «أحب يوسف أن يدعوها إلى الإيمان ، وأن يعلمهم أنه نبي ، وأن يدلها على نبوته بآية معجزة ، وأعلمها أنه يخبرها بكل طعام يؤتيان به من قبل أن يرياه» ، فعلى هذا معنى قوله : ﴿تُزْقَانِيهِ﴾ في اليقظة ، يقول : لا يأتيكما طعام إلا أخبرتكما ، أي طعام هو ، وأي لون هو ، وكم هو ، وهذا مذهب ابن جريج^(٤) ، والأول أوجه ؛ لأن قوله : ﴿نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ يوجب أن يكون ذلك إعلاماً بتأويل ما تريان في النوم ، ثم أعلمها أن ذلك مما عرفه الله إياه ، فقال : ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ ؛ أي لم أخبركما على جهة التكهن والتنجم ، وإنما أخبركما بوحي من الله وعلم ، ثم أعلمها أن هذا لا يكون إلا للمؤمن بالله نبي ، فقال : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ، قال الفراء^(٥) : «كرر (هم) لما فرق بينهما ، وكأن الأول مُلغى والاتكاء والخبر عن الثاني ، ومثله قوله : ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾»^(٦) .

٣٨ . (قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ إلى قوله : ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس^(٧) : «يريد أن الله عصمنا من أن نشرك به» ، (ومن) زائدة مؤكدة ، كقولك : ما جاءني من أحد^(٨) .

(١) الطبري ٢١٧/١٢ ، وابن عطية ٥٠٩/٧ ، والقرطبي ١٩١/٩ ، وابن أبي حاتم ٢١٤٤/٧ .

(٢) الطبري ٢١٧/١٢ ، وابن عطية ٥٠٩/٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١١٠/٣ .

(٤) الطبري ٢١٧/١٢ بمعناه ، وأبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٣٤/٤ ، وابن عطية ٥١٠/٧ ، وهو مروي عن الحسن كما في زاد المسير ٢٢٤/٤ .

(٥) معاني القرآن ٤٥/٢ ، وهو قول الطبري ٢١٧/١٢ .

(٦) النمل ٣ ، لقمان ٤ .

(٧) زاد المسير ٢٢٥/٤ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ب) .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ قال أبو إسحاق^(١) : «أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله لنا وبفضله علينا» .

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ قال الكلبي^(٢) : «يعني وعلى المؤمنين» ، يريد أن من عصمه الله من الشرك وتفضل عليه بالإيمان فهو ممن الله عليه الفضل ، وهذا قول أبي إسحاق^(٣) ؛ لأنه قال : ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ بأن دلهم على دينه المؤدي إلى صلاحهم ، وروي عن ابن عباس^(٤) أنه قال : «معناه ذلك من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء ، وعلى الناس أن جعلنا إليهم رسلاً» ، ودل على هذا التأويل قوله : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ . قال ابن عباس^(٥) : «يريد لا يوحّدون الله» ، يعني أنه كان من شكر الإنعام عليهم ببعث^(٦) الرسل أن يؤمنوا ويوحّدوا .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿يَصْصِجُ السَّجَنُ﴾ لملازمتها إياه بالكون فيه ، كقوله تعالى لسكان الجنة والنار أصحاب الجنة وأصحاب النار^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ يعني الأصنام ، قال الحسن^(٨) : «متفرقون من صغير وكبير ووسط ، مباين كل واحد للآخر ، بما يوجب النقص» ، (خير)

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٠ / ٣ .

(٢) تنوير المقياس ١٤٩ ، وزاد المسير ٢٢٥ / ٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١١٠ / ٣ .

(٤) الطبري ٢١٨ / ١٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٤٥ / ٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٣٥ / ٤ ، وزاد المسير ٢٢٥ / ٤ .

(٥) زاد المسير ٢٢٥ / ٤ .

(٦) في (ب) : (بعث) بباء واحدة .

(٧) هذه عبارة الثعلبي ٨٣ / ٧ .

(٨) زاد المسير ٢٢٥ / ٤ ، والقرطبي ١٩٢ / ٩ .

أي أعظم في صفة المدح ﴿أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يعني أن القادر بما يقهر كل شيء أحق بالإلهية من الدليل المقهور ، وهذا كقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ ﴾ خاطبهما ومن على^(٢) مثل حالهما من أصحاب السجن ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ أي من دون الله ﴿ إِلَّا أَسْمَاءُ ﴾ يريد أنه لما كانت الأسماء التي سموها كالآرباب والآلهة لم تصح معانيها ، صارت كأنها أسماء فارغة يرجعون في عبادتهم إليها ، فكأنهم إنما يعبدون الأسماء ؛ لأنه لا معاني تصح لها من إله ورب ، بل أنتم وآباؤكم سميتموها آلهة^(٣) ، ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ما الفصل^(٤) بالأمر والنهي إلا بالله ، ﴿ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ ﴾ أي الذي أمر به من أن لا تعبدوا إلا إياه هو الدين المستقيم .

﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال ابن عباس^(٥) : يريد لا يعلمون ما للمطيعين لله من الثواب ، وما للعاصين من العقاب ، ومضى الكلام في معنى القيم عند قوله : ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾^(٦) .

٤١ . قوله تعالى : ﴿ يَصْحَجِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا ﴾ الآية ، قال الكلبي عن ابن عباس^(٧) : « لما قصَّ الساقى رؤياه على يوسف - وقد ذكرنا كيف

(١) النمل ٥٩ .

(٢) في (أ) و(ب) و(ج) : زيادة (هذا) .

(٣) ما سبق قريب من كلام الثعلبي ٨٣/٧ ب .

(٤) (ما القضاء والأمر والنهي) انظر : الثعلبي ٨٣/٧ ب ، وزاد المسير ٢٢٦/٤ .

(٥) زاد المسير ٢٢٦/٤ .

(٦) الأنعام ١٦١ . وقال هناك : « قال ابن عباس : يريد مستقيماً ، ونحو ذلك قال الأخفش والزجاج في القيم ، وهو من باب الميت والصيب » اهـ .

(٧) زاد المسير ٢٢٦/٤ ، وتنوير المقياس ١٥٠ ، والبغوي ٢٤٣/٤ بنحوه ، والرازي ١٨/١٤٢ ، والثعلبي ٨٤/٧ أ .

قصّ عليه في موضعه - قال له يوسف : ما أحسن ما رأيت ! أما حسن الحيلة فهو حسن حالك ، وأما الأغصان الثلاثة ، فثلاثة أيام يوجه إليك الملك عند انقضائهن ، فيردك إلى عملك ، فتعود كأحسن ما كنت فيه ، وقال للخباز لما قصّ عليه : بئس ما رأيت ؛ السلال الثلاث ، ثلاثة أيام يوجه إليك الملك عند انقضائهن فيقتلك ويصلبك وتأكل الطير من رأسك ، فقالا : ما رأينا شيئاً ، فقال : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ يعني سيقع بكما ما عبرت لكما ، صدقتما أم كذبتما ، فإن قيل كيف حكم يوسف بوقوع تأويل المنامين وربما صدق تأويل المنام وكذب ؟

والجواب عن هذا : أن حكم^(١) يوسف حتم بوقوع الأمر بهما من قبل وحي أتاه بذلك من الله تعالى ، الذي يدل على هذا أن حكم المنام المكذوب فيه أن يبطل تأويله ، فلما وقع ما تؤل لهذين المنامين وكلاهما مكذوب فيه ، دلّ ذلك على أن الجواب وقع بوحي ، لا يبطل ولا يزول ، على هذا دلّ كلام المفسرين .

قال ابن عباس^(٢) وابن مسعود^(٣) وقتادة^(٤) وغيرهم^(٥) ، قالوا : لما عبر رؤياهما ، قالوا ما رأينا شيئاً ، فقال قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ، قطع الجواب الذي التمساه من جهته ، فكأنه قال : هذا عبارة ما سألتما ، وتأويل ما قصصتما عندي ، ولم يعن أن الذي تأوله واقع لا محالة ، فلم يحتم بصحة هذا التأويل ، الدليل

(١) في (أ) و(ب) و(ج) : بزيادة (حكم) .

(٢) تنوير المقياس ١٥٠ .

(٣) الطبري ٢٢١/١٢ ، وابن أبي شيبه ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٤٨/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٣٦/٤ ، والثعلبي ١٨٤/٧ .

(٤) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر ٣٦/٤ .

(٥) وهو قول مجاهد والسدي والطبري وغير واحد ، انظر : الطبري ٢٢١/١٢ ، وابن أبي حاتم ، والبحر المحيط ٣١١/٥ .

على ذلك قوله : ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ﴾ والظان شاك غير عالم ، والصحيح هو الأول ؛ لأنه أشبه بحال الأنبياء^(١) ، وذكرنا معنى الاستفتاء في سورة النساء^(٢) .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ قال ابن عباس^(٣) ومقاتل^(٤) وأكثر المفسرين^(٥) : ظن : أيقن ، وهذا التفسير موافق^(٦) لقول من يقول : إنه حكم في عبارة الرؤيا بالقطع واليقين ، فقال للذي^(٧) علم أنه ناج من الرجلين : ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ، وقال قتادة^(٨) : «إنما عبارة الرؤيا على الظن ، فيبطل الله ما يشاء ويحق ما يشاء» ، وفسر الظن هاهنا على الشك والحسبان ، وهذا موافق^(٩) مذهب من يقول لم يحتم يوسف بتأويل الرؤيا ، والقول هو الذي عليه العامة .

وقوله تعالى : ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ؛ أي عند الملك^(١٠) صاحبك ، والرب هاهنا بمعنى السيد ، قال المفسرون^(١١) : قال له يوسف إذا خرجت من السجن ، فقل للملك إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً ، ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ

(١) هذا الذي رجحه ابن جرير الطبري ١٢/٢٢٢-٢٢٣ ، وابن عطية ٧/٥١٥ ، والقرطبي ٩/١٩٤ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [آية : ١٢٧] . قال هناك : «الاستفتاء طلب الفتوى ، يقال : أفتى الرجل في المسألة واستفتيته فأفتاني إفتاء ، ويقال : أفتيت فلاناً في رؤياه إذا عبرتها له» اهـ .

(٣) تنوير المقياس ١٥٠ ، وزاد المسير ٤/٢٢٧ .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٤ أ .

(٥) الكشف ٢/٣٢٢ ، والرازي ١٨/١٤٣ ، والدر المصون ٦/٤٩٩ ، ٥٠٠ .

(٦) في (أ) : (موافق القول) ، وفي (ج) : (موافقاً لقول) .

(٧) في (أ) و(ب) و(ج) : (الذي) .

(٨) القرطبي ١٦/١١٠ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٣٧ ، وزاد المسير ٤/٢٢٧ ، والقرطبي ٩/١٩٤ ، وابن عطية ٧/٥١٥ .

(٩) في (أ) و(ب) و(ج) : (بزيادة (من)) .

(١٠) رواه الطبري ١٢/٢٢٢ ، ٢٢٣ ، عن ابن إسحاق ومجاهد وأسباط وقتادة .

(١١) الثعلبي ٧/٨٤ ب ، والطبري ١٢/٢٢٢ .

رَبِّهِ ﴿ فَأَنسَهُ ﴾ الكناية في قوله : ﴿ فَأَنسَهُ ﴾ راجعة على يوسف في قول الأكثرين ، قال مجاهد^(١) : « أنسى الشيطان يوسف الاستغاثه بربه ، وأوقع في قلبه الاستغاثه بالملك ، فعوقب بأن لبث في السجن بضع سنين » .

وهذا قول ابن عباس^(٢) ، واختيار الزَّجَّاج^(٣) ، قال : « أنسى يوسف الشيطان أن يذكر ربه » . وذهب بعض المفسرين إلى أن الكناية راجعة إلى إنساء الشيطان الساقى أن يذكر يوسف لربه ، وهذا قول الحسن^(٤) ، والكلبي^(٥) وابن إسحاق^(٦) ، وذكر الفراء^(٧) القولين جميعاً .

قال ابن الأنباري : « فمن أعاد الهاء على يوسف احتج بأنها لو عادت على الساقى دخل الكلام حذف وإضمار ؛ لأنه يكون التقدير : فأنساه الشيطان ذكره لربه ، ويكون كقوله : ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾^(٨) ؛ أي يخوفكم بأوليائه ، وإذا صح المعنى من غير إضمار وحذف ، لم يعدل عنه إلى غيره^(٩) ، ومن جعل الهاء عائدة على الساقى ، قال : لو رجعت على يوسف ما استحق عقوبة من قبل أن الناسي

(١) الطبري ٢٢٢-٢٢٤ ، والثعلبي ٧/ ٨٤ ، وابن أبي شيبه ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٤٩ ، وابن المنذر كما في الدر ٤/ ٣٩ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٧ .

(٢) البغوي ٤ ، ٢٤٤ ، وتنوير المقياس ١٥٠ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٤٩ بنحوه من دون سند لابن عباس .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد وقال ابن كثير ٢/ ٥٢٦ : « قوله : ﴿ فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ ﴾ الضمير عائد إلى الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد » .

(٥) تنوير المقياس ١٥٠ .

(٦) الطبري ١٢/ ٢٢٤ ، والثعلبي ٧/ ٨٤ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٧ ، وابن عطية ٧/ ٥١٦ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٤٦ .

(٨) آل عمران ١٧٥ .

(٩) وقد ذهب إلى هذا القول عامة المفسرين ومنهم الطبري ١٢/ ٢٢٢ ، وابن عطية ٧/ ٥١٦ ، والقرطبي

١٩٦/ ٩ ، والبغوي ٤ ، ٢٤٤ ، والرازي ١٨/ ١٤٥ ، وأما القول الثاني على أن الناسي هو الساقى فرجحه ابن كثير ٢/ ٥٢٦ ، وأبو حيان ٥/ ٣١١ .

غير مؤاخذ، والجواب عن هذا أن معنى النسيان هاهنا الترك، ومعنى قوله : ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ عامداً لا ناسياً .

وقوله تعالى : ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال أبو عبيدة^(١) : «البضع ما لم يبلغ العقد ولا نصفه» ، يريد ما بين الواحد إلى الأربعة ، وقال الأصمعي^(٢) : «ما بين الثلاث إلى التسع» ، قال الزَّجَّاج^(٣) : «وهو القول الصحيح» ، واشتقاقه من بضعت بمعنى قطعت ، ومعناه القطعة من العدد ، فجعل لما دون العشرة من الثلاث إلى التسع ، وهذا قول قتادة^(٤) .

وقال الفرّاء^(٥) نحو هذا ، وزاد فقال : «لا يذكر البضع إلا مع عشر أو عشرين إلى التسعين ، وهو نيف ما بين الثلاثة إلى التسعة» ، وقال : «كذلك رأيت العرب يقولون ، وما رأيتهم يقولون : بضع ومائة ، وإذا كان بضع للذكران قيل بضعة ، فعلى هذا الواحد والاثنان يقال لهما : نيف ، والثلاثة إلى التسعة : بضع» .

وقال المبرّد^(٦) : «هو ما بين العقدین» ، وهذا قول جماعة^(٧) ، قالوا : البضع ما دون العشر ، وهو قول الأخفش^(٨) ، قال : «هو من واحد إلى عشرة» .

-
- (١) تهذيب اللغة (بضع) ٣٤٦/١ ، واللسان (بضع) ٢٩٨/١ .
 (٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١١٢/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٣٠/٣ .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ١١٢/٣ .
 (٤) الطبري ٢٢٤/١٢ ، والثعلبي ٨٤/٧ ب . ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٩/٣ ، والدر المصون ١٨٥/٤ .
 (٥) معاني القرآن ٤٦/٢ ، والتهذيب (بضع) ٣٤٦/١ ، واللسان (بضع) ٢٩٨/١ ، والثعلبي ٨٤/٧ ب ، والطبري ٢٢٥/١٢ .
 (٦) تاج العروس ١٩/١١ .
 (٧) معاني القرآن للفرّاء ٤٦/٢ ، وزاد المسير ٢٢٨/٤ .
 (٨) معاني القرآن للنحاس ٤٣٠/٣ ، والزاهر ٣٤٢/٢ ، ٣٤٣ ، وزاد المسير ٢٢٨/٤ .

وروى الشعبي^(١) أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «كم البضع؟» فقالوا: من واحد إلى عشرة، وهذا قول ابن عباس^(٢)، وقال مجاهد^(٣): «هو ما بين الثلاث إلى التسع»، وهو قول قطرب^(٤)، وعامة المفسرين^(٥) على أن المراد بالبضع هاهنا سبع، وقالوا: عاقب الله - عز وجل - يوسف بأن حبس سبع سنين، بعد الخمس التي حبسها إلى وقت قوله: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، وذهب مقاتل^(٦) إلى العكس من هذا، فقال: الأول سبع، والآخر خمس.

قال ابن عباس^(٧) في رواية عطاء: «لما تضرع يوسف إلى مخلوق وقد كان اقترب خروجه، أنساه الشيطان ذكر ربه، حيث مال إلى مخلوق وترك الخالق، فلبث في السجن سنين».

-
- (١) الحديث أخرجه أحمد ٤/١٦٨، والطبري ٢١/١٧، والترمذي ٢/١٥٠، وحسنه من حديث ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع.
- (٢) الثعلبي ٧/٨٤ب، والطبري ١٢/٢٢٥.
- (٣) الطبري ١٢/٢٢٤، وابن أبي حاتم ٧/٢١٥٠.
- (٤) معاني القرآن للنحاس ٣/٤٣٠، وفي الماوردي ٣/٤٠ أنه قال: «من ثلاث إلى سبع».
- (٥) روى ذلك الطبري ١٢/٢٢٥ عن قتادة ووهب وابن جريج، وذكره الثعلبي ٧/٨٤ ونسبه إلى أكثر المفسرين.
- (٦) تفسير مقاتل ١٥٤أ.
- (٧) روى عن ابن عباس مرفوعاً نحوه، انظر: ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات، والطبري ١٢/٢٢٣، والطبراني وابن مردويه كما في الدر ٤/٣٧.

وروى الحسن^(١) أن النبي ﷺ قال : «رحم الله يوسف ، لولا الكلمة التي قالها : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ما لبث في السجن طول ما لبث» ، ثم بكى الحسن وقال : «نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس»^(٢) .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ ﴾ الآية ، قال المفسرون^(٣) : لما ذكرنا فرج يوسف ، رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبه هالته ، وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان ، وسبعاً عجافاً^(٤) فابتلعت العجاف السمان ، فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيئاً ، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها ، وسبعاً آخر يابسات قد استحصدت ، والتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ، فجمع الكهنة وقصها عليهم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ ﴾ الآية ، فقله : ﴿ عِجَافٌ ﴾ قال الليث^(٥) : «العجف ذهاب السمن» ، والفعل عجف يعجف ، والذكر أعجف ، والأنثى عجفاء والجميع عجاف في الذكران والإناث ، وليس في كلام العرب أفعل وفعلاء ، وجمعاً على فعال غير أعجف وعجفاء ، وهي شاذة حملوها على لفظ سمان فقالوا : سمان وعجاف ، وجاء أفعل وفعلاء على فعل يفعل في أحرف معدودة ، منها : الأعجف والآدم والأسمر والأحق والأخرق والأرعن ، على أن ابن السكيت^(٦)

(١) الطبري ١٢/٢٢٣ ، وأحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٤٨ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٣٧ ، والثعلبي ٧/٨٤ ب ، والرازي ١٨/١٥٠ .

(٢) اختلف العلماء في مسألة البضع ، معناها والمراد بها هنا ، والأظهر والله أعلم أن المراد بها هنا سبع سنين . انظر : معاني النحاس ٣/٤٢٩-٤٣١ ، والماوردي ٣/٤٠ ، وأبو حبان ٥/٣١١ ، وتاج العروس (بضع) ١٩/١٩ .

(٣) الثعلبي ٧/٨٥ ، وفيه : «لما دنا فرج يوسف» وهو الصحيح .

(٤) عجافاً : ساقط من (أ) و(ب) و(ج) .

(٥) تهذيب اللغة (عجف) ٣/٢٣٤٠ .

(٦) تهذيب اللغة (عجف) ٣/٢٣٤٠ .

قد حكى عن الفرّاء : عجف وحق ورعن وخرق ، بالكسر في هذه الأربعة ، فمعنى العجاف الهزلى التي لا لحم عليها ولا شحم ، وقال ابن دريد^(١) : «العجف غلظ العظام وعراؤها من اللحم» .

وقوله تعالى : ﴿ أَقْتُونِي ﴾ ذكرنا معنى الإفتاء والاستفتاء في سورة النساء^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ، يقال : عبرت الرؤيا أعبرها عبراً وعبرة ، وعبرتها تعبيراً إذا فسرتها ، وحكى الأزهري^(٣) : أن هذا مأخوذ من العبر وهو جانب النهر ، ومعنى عبرت النهر والطريق ، قطعته إلى الجانب الآخر ، فقليل لعابر الرؤيا عابر ؛ لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ، ويمضي تفكره فيها من أول ما يرى النائم إلى آخر ما رأى ، حتى يقع فهمه على الصحيح منها فيجيب ، فأما اللام في قوله : ﴿ لِلرُّعْيَا ﴾ فقال أحمد بن يحيى^(٤) : «أراد إن كنتم للرؤيا عابرين ، وإن كنتم عابرين للرؤيا ، تسمى هذه اللام لام التعقيب ، لأنها عقببت الإضافة ، لأن المعنى : إن كنتم عابري الرؤيا» .

وقال ابن الأنباري^(٥) : «دخلت اللام مؤكدة مفيدة معنى التأكيد ، وقيل : إنها أفادت معنى إلى ، وكأن تلخيصها : إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا ، والعرب تقول : هو لزيد ضارب ، يعنون : هو يوجه ضربه إلى زيد ، وأجاز النحويون : ضربت لك ، بمعنى وجهت ضربي إليك» . هذا كلامه .

(١) تهذيب اللغة (عجف) ٣/ ٢٣٤٠ ، وابن دريد هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ، من الأزد ، انتهى إليه علم لغة البصريين ، كان من أحفظ الناس ، توفي سنة ٣٢١ هـ . انظر : معجم الأدباء ١٨/ ١٢٩ ، وطبقات النحويين للزبيدي ٢٠٢ ، ونزهة الألباء ٣٢٣ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ وَیَسْتَفْتُونَكَ فِی النِّسَاءِ ﴾ [آية: ١٢٧] .

(٣) تهذيب اللغة (عبر) ٣/ ٢٣٠٥ .

(٤) تهذيب اللغة (عبر) ٣/ ٢٣٠٤ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٢٣٠ .

وقال الزَّجَّاجُ^(١): «هذه اللام أدخلت على المفعول للتبيين، لمعنى إن كنتم تعبرون وعابرين، ثم جاء باللام فقال للرؤيا».

وقال صاحب النظم: وضع الفعل هاهنا موضع النعت كقوله: ﴿أَوْجَاءُكُمْ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] بمعنى حصرة، وقوله تعالى: ﴿وَالرَّسَّخُونَ فِي الْعَالَمِ يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: ٧] أي قائلين، كذلك المعنى هاهنا إن كنتم للرؤيا عابرين، وكما وضعوا الفعل موضع النعت، ووضعوا النعت أيضاً موضع الفعل، كقوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] بمعنى أم صمتم، ومضى الكلام في مثل هذا مستقصى في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٢).

٤٤. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامِي﴾، قال الفراء^(٣): «أضغاث رفع، لأنهم أرادوا: ليس هذه بشيء^(٤)، إنما هي أضغاث أحلام، كقوله: ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]».

وأما الأضغاث، فقال النضر^(٥): «الضغث كالحزمة من أنواع النبات والحشيش».

وقال الأخفش^(٦): «هو ملء الكف من الحشيش».

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٢/٣.

(٢) الأعراف ١٥٤. قال هنالك بعد أن ذكر أقوال النحاة في هذه اللام: «فعل هذا قوله (لربهم) اللام صلة وتأکید كقوله: ﴿رَدَفَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢]، وقال بعضهم: إنها لام أجل، والمعنى: هم لأجل ربهم يرهبون، لا رياء ولا سمعة».

(٣) معاني القرآن ٤٦/٢.

(٤) في (أ) و(ب) و(ج): (ليس هذا شيء) والعبارة غير مستقيمة، فإما أن تكون كما ذكرته كما هو في (ي) وفي معاني الفراء، أو تكون (ليس هذا شيئاً)، والله أعلم.

(٥) تهذيب اللغة (ضغث) ٢١٢١/٣.

(٦) اللسان (ضغث) ٢٥٩٠/٥، ٢٥٩١ عن أبي حنيفة.

وقال الفرّاء^(١): «الضغث ما جمعته مما قام على ساق واستطال»، وقال أبو الهيثم^(٢): «كل مقبوض عليه بجمع الكف فهو ضغث»، هذا معنى الضغث في اللغة^(٣)، قال ابن مقبل^(٤):

خَوَذَ كَأَن فِرَاشَهَا وَضِعَتْ بِهِ
أَضْغَاثُ رِيحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ

فأما أضغاث الأحلام، فالأكثر على أنها الأحلام المختلطة، قال أبو عبيدة^(٥): «الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا»، قال: «ونراه مأخوذاً من الخيال»^(٦) وهو جماعات يضم بعضها إلى بعض من الرؤيا، كالحشيش الذي يجمع، فيقال له: ضغث قدر ملء الكف، فالأضغاث من الرؤيا هي حلم لا تأويل له وأنشد^(٧):

كَضِغْتِ حِلْمٍ غُرْمَتُهُ حَالِمَةٌ

وقال الكسائي^(٨) وغيره: أضغاث الأحلام ما لا يستقيم تأويله لدخول بعضه في بعض، كأضغاث من ثبوت^(٩) مختلفة يُخْلَطُ بعضها ببعض، قال مجاهد^(١٠):

-
- (١) تهذيب اللغة (ضغث) ٣/ ٢١٢٠، واللسان (ضغث) ٥/ ٢٥٩١.
 - (٢) تهذيب اللغة (ضغث) ٣/ ٢١٢٠، واللسان (ضغث) ٥/ ٢٥٩١.
 - (٣) انظر: تهذيب اللغة (ضغث) ٣/ ٢١٢٠، ٢١٢١، واللسان (ضغث) ٥/ ٢٥٩٠، ٢٥٩١.
 - (٤) الخود: الفتاة الناعمة الشابة. والشمال: الريح المعروفة، وهي باردة.
 - (٥) انظر: الطبري ١٢/ ٢٢٦، والبحر ٥/ ٣٠٠، والمحرق ٩/ ٣٠٩، والدر المصون ٦/ ٥٠٦.
 - (٦) مجاز القرآن ١/ ٣١٢.
 - (٧) في (ج): (الخلا).
 - (٨) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في مجاز القرآن ٢/ ٣٥، والقرطبي ٩/ ٢٠٠، ١١/ ٢٧٠.
 - (٩) اللسان (ضغث) ٥/ ٢٥٩٠، وتهذيب اللغة (ضغث) ٣/ ٢١٢٠.
 - (١٠) في (ج): (نبوة).
 - (١١) القرطبي ٩/ ١٩٩، وتهذيب اللغة (ضغث) ٣/ ٢١٢١، واللسان (ضغث) ٥/ ٢٥٩٠.

«أهاويل أحلام»، وقال الكلبي^(١): «أباطيل أحلام»، وقال قتادة^(٢): «أخلاق أحلام».

قال ابن الأنباري: «ومعنى الآية: أنهم نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له من الرؤيا، ولم ينفوا عن أنفسهم علم تأويل ما يصح منها، فعنوا بقولهم: ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامُ﴾ هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها، وما نحن بتأويل الأحلام التي هذا وصفها بعالمين، إذ كنا نعلم تأويل ما يصح»، هذا معنى قول أكثر المفسرين^(٣): الكلبي^(٤) وغيره، ونحوه قال ابن عباس في رواية عطاء، وهو اختيار الزَّجَّاج^(٥)؛ لأنه قال: «إنهم قالوا له رؤياك أخلاق، وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل، فعلى هذا لم يقرّوا بالجهل والعجز عن تأويل الأحلام، وإنما قالوا: إن رؤياك فاسدة ولا تأويل للفسادة عندنا»، وذهب آخرون إلى أنهم قالوا: هذه منامات مختلطة لا نعلمها نحن؛ إذ لم نكن من أهل العبارة، إنما يعلمها من خص بالنفاذ في البصر، وحسن استخراج ما يغمض من تأويلها، ذهب إلى هذا المعنى مقاتل بن سليمان^(٦) ونفر معه.

وقالوا معنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ لها تأويل يعلمه غيرنا، فالأضغاث على هذا المذهب [الجماعات من الرؤيا التي يجوز أن تصح وأن تبطل، واحتجوا على هذا المذهب]^(٧) بقول الساقى: ﴿أَنَا أَنْتَبُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾

(١) تنوير المقياس ١٥٠.

(٢) الطبري ٢٢٦/١٢، وعبدالرزاق ٣٢٤/٢. وأخرجه أبو عبيد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد كما في الدر ٣٩/٤.

(٣) الطبري ٢٢٧/١٢، والثعلبي ٥٨/٧، ابن عطية ٥٢١/٧، وزاد المسير ٢٣٠/٤.

(٤) تنوير المقياس ١٥٠. وقد روى عن ابن عباس: «الأحلام الكاذبة»، قال الهيثمي ٣٩/٧ رواه أبو يعلى وفيه محمد بن السائب وهو متروك.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١١٣/٣.

(٦) تفسير مقاتل ١٥٤ أ.

(٧) ما بين المعقوفين في (ب) وهو ساقط من (أ) و (ج).

قالوا : ففي هذا دليل على أن الملاء اعترفوا بالعجز عن الجواب ؛ لأنهم لو كانوا بغير هذا الوصف لم يقل الساقى ما قاله ، وعلى هذا ؛ الملاء قالوا للملك : ما رأيته جماعات أحلام كثيرة لا علم لنا بتأويلها ، واعترفوا بالعجز عنها^(١) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا ﴾ الآية ، قال الكلبي^(٢) : « لما سأل الملك عن رؤياه ، جثا الساقى بين يديه بعد انقضاء جواب الملاء ، فقال للملك : إني قصصت أنا والخباز على رجل في السجن منامين فخبّرنا بتأويلها فصدق في جميع ما وصف ، ولم يسقط من تأويله شيء ، إن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا ، فإنه رجل صالح فاضل عالم ظاهر المحاسن ، فأذن له الملك في قصده » ، فذلك قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا ﴾ قال ابن عباس^(٣) : « يريد أحد العبدین ، وهو الذي رأى أنه يعصر خمرًا » .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ ﴾ ذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ في سورة القمر^(٤) .

(١) قلت : القول الأول أرجح لاعتبارات عدة ؛ الأول : أنه قول عامة المفسرين من السلف ومن بعدهم ، الثاني : أنهم وصفوا رؤيا الملك بكونها أضغاث أحلام أي لا تأويل لها ، الثالث : أنه لا يتصور في هؤلاء الملاء الذين هم أهل مشورته أنهم لا يعرفونها ، وأيضاً أنهم سيعترفون بعجزهم عن تأويلها ، والذي يظهر أنهم علموا من تأويلها ما يسوء الملك فأرادوا أن يصرفوه عن تطلب تأويلها فقالوا : أضغاث أحلام ..

(٢) تنوير المقياس ١٥٠ .

(٣) الطبري ٢٢٧/١٢ ، والثعلبي ٨٥/٧ ب ، والبغوي ٢٤٦/٤ ، وزاد المسير ٢٣١/٤ ، كلهم من غير نسبة .

(٤) الآيات ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ ، قال هنالك في أول موضع : « قال مقاتل : فهل من مدكر ، وقال أبو إسحاق : وأصله مدتكر ، ولكن التاء أبدل منها الذال ، والذال في موضع التاء هي أشبه بالذال من التاء ، وأدغمت الذال في الدال » .

وقوله تعالى : ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ قال ابن عباس ^(١) والحسن ^(٢) ومجاهد ^(٣) وعامة أهل التفسير والمعاني ^(٤) : بعد حين . قال بعض أهل المعاني : هي الجملة من الحين ، والجماعة من الحين ؛ لأن الجماعة الكثيرة من الناس أمة . يدل على صحة هذا ما روى عطاء عن ابن عباس ^(٥) «بعد أمة : بعد سنين» . فإن قيل أكثر المفسرين على أن معنى قوله : (وادكر) دليل على أن الناسي هو الساقى .

قال ابن الأنباري ^(٦) : «يقال إذ اذكر بمعنى : ذكر وأخبر الملك ، وصلاح أن يكون اذكر بمعنى ذكر ، كما تقول احتلب بمعنى حلب ، واعتدى بمعنى عدى في قوله تعالى : ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة : ١٩٤] . وذكر لا يدل على نسيان سبقه» .

وقد قال الكلبي في ما روى عن ابن عباس ^(٧) : «إنها لم يذكر الساقى خبر يوسف للملك حتى احتاج الملك إلى تعبير رؤياه ، خوفاً من أن يكون ذلك إذكارة لذنبه الذي من أجله حبسه الملك مع الخباز ، فكتّم أمره ولم يیده للملك لهذه العلة» ، فهذا يدل على أن الساقى قد نسي ذلك لقضاء الله تعالى في كون يوسف مدة في السجن ، أنساه ذلك من غير أن ينسب النسيان إلى الساقى [في قوله : ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾ ، ويكون نسيان الساقى غير مذكور ، ويستدل عليه بقوله :

-
- (١) الطبري ٢٢٧/١٢ ، وعبدالرزاق ٣٢٤/٢ ، والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٥١/٧ ، وأبو الشيخ من طرق كما في الدر ٣٩/٤ ، والقرطبي ٢٠١/٩ .
- (٢) الطبري ٢٢٨/١٢ .
- (٣) الطبري ٢٢٨/١٢ .
- (٤) الطبري ٢٢٧/١٢ ، والثعلبي ٨٥/٧ ، والبغوي ٢٤٦/٤ ، وزاد المسير ٢٣١/٤ ، وابن عطية ٥٢٢/٧ ، ومعاني الفراء ٤٧/٢ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣١٣/١ ، ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢٢٥ ، ومعاني النحاس ٤٣٢/٣ ، ومعاني الزجاج ١١٣/٣ .
- (٥) الطبري ٢٢٩/١٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٥١/٧ عن سعيد بن جبیر .
- (٦) زاد المسير ٢٣١/٤ .
- (٧) تنوير المباس ١٥٠ ، وزاد المسير ٢٣١/٤ ، والقرطبي ٢٠٢/٩ .

﴿وَأَذْكُرْ﴾ . ومن نسب النسيان إلى الساقى^(١) ففسر الذاكرة على ظاهره ولم ينقله إلى معنى الذكر .

وقوله تعالى : ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ ، وقرأ الحسن^(٢) (أنا آتيكم بتأويله) وقال : «أراد العالج ينبئهم بتأويله حتى لا يأتي به من عند يوسف عليه السلام» .

قال الزجاج^(٣) : «وأكرهها لمخالفة المصحف» .

وقوله تعالى : ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ قال أبو بكر : «هو خطاب للملك وملئه ، لذلك خاطب بالجمع» . ويجوز أن يخاطب الملك بخطاب الجمع ؛ لأن أصحابه على مثل رأيه وأمره .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ قال أهل المعاني^(٤) : في الكلام محذوف يدل عليه الباقي ، وهو أن المعنى فأرسل فأتاه فقال : يا يوسف ، وذكرنا أنه يجوز حذف (يا) من النداء عند قوله : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ ، والصديق قال أبو إسحاق^(٥) : «المبالغ في الصدق» . قال المفسرون^(٦) وصفه بهذه الصفة ؛ لأنه لم يجرب عليه كذباً ، وقيل^(٧) : لأنه صدق في تعبير رؤياه .

-
- (١) ساقط من (ج) .
 (٢) ابن عطية ٥٢٣/٧ قال : «وكذلك في مصحف أبي» ، والبحر المحيط ٣١٤/٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٣٢/٣ ، وقال الحسن : «كيف ينبئهم العالج ؟» .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ١١٣/٣ .
 (٤) الطبري ٢٢٩/١٢ ، وزاد المسير ٢٣١/٤ .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ١١٣/٣ .
 (٦) ابن عطية ٥٢٤/٧ .
 (٧) الثعلبي ٢٨٦/٧ .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ قال ابن عباس ^(١) والكلبي : «يريد أهل مصر» . وقال مقاتل ^(٢) : «يريد الملك وأصحابه» . وقال غيره ^(٣) : يريد الملك والعلماء الذين جمعهم الملك ليعبروا رؤياه .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس : «يريد كي يعقلوا» . قال ابن الأنباري ^(٤) : «وأما إعادة (لعل) فلاختلاف معنيهما ، إذ الأولى متعلقة بالإفتاء ، والثانية مبنية إلى الرجوع ، وكلتاها بمعنى كي فساغ التكرير لاختلاف متعلقيهما كأنه قال : أفتنا كي أرجع إلى الناس كي يعقلوا ؛ فالإفتاء سبب الرجوع والرجوع سبب العلم» .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ الآية ، قال المفسرون ^(٥) : قال له يوسف : أما السبع البقرات السمان فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وأنتم تزرعون ؛ أي فازرعوا . قال صاحب النظم : قوله (تزرعون) جواب لقوله (أفتنا) جاء مجيء المضارع وتأويله أمر ، وفيه إيحاء إلى تعبير الرؤيا ، ودلّ على ذلك قوله (فما حصدتم فذروه) ، وهذا لفظ أمر ، معطوف على قوله (تزرعون) ، فدلّ أن قوله (تزرعون) أيضاً أمر وهذا كقوله : ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ، وهذا اللفظ مضارع وتأويله دعاء والدعاء مثل الأمر كقوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ [المؤمنون : ١١٨] .

(١) الثعلبي ٧/ ٨٦ ، البغوي ٤/ ٢٣٥ .

(٢) في تفسير مقاتل ١٥٤ ب «يعني أهل مصر» ، والقرطبي ٩/ ٢٠٢ .

(٣) زاد المسير ٤/ ٢٣٢ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٢٣٢ .

(٥) الطبري ١٢/ ٢٣٠ ، والثعلبي ٧/ ٨٦ أ .

وقوله تعالى: ﴿دَابَّاً﴾ قال الزَّجَّاج^(١): «الدَّابُّ الملازمة للشيء والعادة». وذكرنا الكلام في الدَّابُّ في سورة آل عمران ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾^(٢)، قال ابن عباس^(٣): «يريد سبع سنين متوالية». وقال أهل المعاني واللغة^(٤): الدَّابُّ استمرار الشيء على عادة، وهو دائب يفعل كذا، إذا استمر في فعله، وقد دأب يدأب دأباً ودأباً؛ أي زراعة متوالية في هذه السنين. وقيل على عادتكم في الزراعة.

قال أبو علي الفارسي^(٥): «الأكثر في (دأب) الإسكان، فلعل الفتح لغة فيكون كَشَمَعَ وشَمَعَ ونَهَرَ ونَهَرَ».

قال الفراء^(٦): «وكل حرف فتح أوله وسكن ثانيه فتثقله جائز إذا كان أحد حروف الحلق».

قال الزَّجَّاج^(٧): «ذكر جميع الكوفيين أن كل ما كان ثانيه حرفاً من حروف الحلق وكان مسكناً مفتوح الأول، جاز فيه فتح المسكن نحو: نَعْلٌ ونَعْلٌ، وشَعْرٌ وشَعْرٌ، ونَهْرٌ ونَهْرٌ، وأما البصريون فيزعمون أنه ما جاء من هذا فيه اللغتان تُكَلِّم على ما جاء، وما كان لم يسمع لم يجز فيه التحريك نحو: وعُد لا نقول فيه وعد، ولا في هذا الأمر وَهَّاءٌ في معنى وهي، وهذا في بابه مثل دَلَّ ودَلَّ، وقَدَّرَ وقَدَّرَ، فلا فرق في هذا بين حروف الحلق وغيرها».

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٤/٣.

(٢) آل عمران ١١. قال هنالك: «يقال: دأبت أدأب دأباً ودأباً ودؤوباً: إذا اجتهدت في الشيء وتعبت فيه» اهـ.

(٣) تنوير المقباس ١٥٠، وزاد المسير ٢٣٢/٤، والقرطبي ٢٠٣/٩.

(٤) تهذيب اللغة (دأب) ١١٢٧/٢، واللسان (دأب) ١٣١١/٣.

(٥) الحجة ٤٢٥/٤.

(٦) معاني القرآن ٤٧/٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١١٤/٣.

قال^(١) : «وانتصب (دأباً) على معنى تدأبون دأباً ، ودلّ على تدأبون تزرعون وفي الزرع علاج ودؤوب ، فقد قال تدأبون فانتصب (دأباً) به لا بالمضمر» ، ونحو هذا القول حكاه ابن الأنباري عن الكوفيين قال : «وقال غير الكوفيين : دأباً مصدر وضع في موضع الحال ، تقديره : تزرعون دائبين ، فتاب دأب عن دائبين» .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ إلى آخره . قال ابن عباس^(٢) : «يريد كل ما أردتم أكله فدوسوه ، ودعوا الباقي في سنبله لا يتسوس» . وقال المفسرون^(٣) : إنما قال (فدروه في سنبله) ؛ لأنه أبقى له وأبعد من الفساد ، وذلك لأنه إذا ديس ثم طال مكثه فسد ، فأشار عليهم بها فيه الصلاح .

واختلفوا في أن جواب يوسف كان من علمه أو بوحى من الله تعالى ؟ فذهب بعض المفسرين إلى أنه بنى على ما علمه الله من تأويل الرؤيا ، وذهب بعضهم إلى أنه كان بوحى الله ، واحتجوا على هذه بقوله : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ وهذا العام لم يعلمه إلا بالوحي من أجل أنه لم يدخل في سؤال السائل^(٤) .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٤ / ٣ .

(٢) تنوير المقياس ١٥٠ .

(٣) الطبري ٢٣٠ / ١٢ ، والثعلبي ٨٦ / ٧ ، والبغوي ٢٤٧ / ٤ ، وابن عطية ٥٢٥ / ٧ ، وابن كثير ٥٢٧ / ٢ .

(٤) قلت : الراجح - والله أعلم - أن الإخبار عن سني الجذب بعد سني الخصب هو من قبيل التعبير لرؤيا الملك ، وأما قوله : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ فهو من الوحي الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه ، انظر : الطبري ٢٣٢ / ١٢ ، وابن عطية ٥٢٥ / ٧ ، والرازي ١٥٠ / ١٨ ، والقرطبي ٢٠٤ / ٩ ، والثعلبي ٨٦ / ٧ .

قال المفسرون : يعني سبع سنين مجذبات ، والشداد الصعاب التي يشتد على الناس .

وقوله تعالى : ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ قال ابن الأنباري^(١) : «هذا من المجاز الذي يعني به : يفنين ما قدمتم فيه هن ، فشبه الإفناء بالأكل ، كما تقول العرب : قد أكل السير لحم الناقة ، وهم يعنون ذهب به وأفناه» . وأنشد لذي الرمة^(٢) :

وَقَدْ أَكَلَ الْوَجِيفُ بِكُلِّ خَرْقٍ
عَرَائِكَهَا وَهَلَّلَتِ الْجُرُومُ

وقال غيره^(٣) : إنما قال للسنين (يأكلن) لوقوع الأكل فيها ، كما يقال : ليل نائم . وكقوله :

فَنَامَ لَيْلِي تَجَلَّى هَمِّي^(٤)

ومثله كثير .

(١) زاد المسير ٢٣٣/٤ ، والرازي ١٨/١٥٠ .

(٢) ديوانه ٦٧٨/٢ .

(٣) تفسير الطبري ٢٣١/١٢ ، والثعلبي ٨٦/٧ ب ، وابن عطية ٥٢٨/٧ ، والقرطبي ٩/٢٠٤ ، وابن كثير ٥٢٧/٢ .

(٤) الرجز لرؤبة في ديوانه ١٤٢ ، والمحاسب ١٦٤/٢ وبلائسبة في خزانة الأدب ٨/٢٠٢ والمقتضب ٥٠/٣ .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخِصُّونَ﴾ الإحصان^(١) الإحراز وهو إلقاء الشيء في ما هو كالحصن ، يقال : أحصنه إحصاناً ، إذا جعله في حرز . قال ابن عباس^(٢) : «يريد تخزون» ، وعنه^(٣) أيضاً «تحرزون» .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ الآية ، قال المفسرون^(٤) : هذا العام لم يعلمه إلا بالوحي من أجل أنه لم يدخل في سؤال السائل ؛ قال قتادة^(٥) : «زاده الله علم عام لم يسألوه عنه» .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى السبع في قوله : ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ والسبع^(٦) أشبهت المذكر من قبل أنها لا علامة للتأنيث في لفظها ، كقوله : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [الزمل : ١٨] هذا مذهب الكلبي^(٧) ، ومذهب مقاتل^(٨) أن (ذلك) إشارة إلى الجذب .

وقوله تعالى : ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ قال ابن السكيت^(٩) : «يقال : غاث الله البلاد يغيثها غيثاً ، وهي إذا نزل بها الغيث . وقد غيثت الأرض تغاث غيثاً ، وهي أرض مغيثة ومغيوثة» ، فعلى هذا (يغاث الناس) معناه يمطرون ، ويجوز أن يكون

- (١) انظر : تهذيب اللغة (حصن) ٨٤٣/١ ، واللسان (حصن) ، وتاج العروس ١٤٩/١٨ .
- (٢) الطبري ٢٣١/١٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٥٤/٧ ، وانظر : الدر ٤١/٤ ، وابن عطية ٥٢٨/٧ .
- (٣) الطبري ٢٣١/١٢ ، وابن عطية ٥٢٨/٧ ، وانظر : الثعلبي ٨٦/٧ ب ، وزاد المسير ٢٣٣/٤ .
- (٤) الطبري ٢٣٢/١٢ ، والثعلبي ٨٦/٧ أ ، وابن عطية ٥٢٥/٧ .
- (٥) الطبري ٢٣٢/١٢ ، والثعلبي ٨٦/٧ أ ، وابن عطية ٥٢٥/٧ ، وعبد الرزاق ٣٢٤/٢ ، وابن المنذر كما في الدر ٤١/٤ .
- (٦) زاد المسير ٢٣٣/٤ ، عن ابن القاسم الأنباري .
- (٧) تنوير المقباس ١٥٠ .
- (٨) تفسير مقاتل ١٥٤ ب .
- (٩) تهذيب اللغة (غاث) ٢٦١٦/٣ .

من قولهم : أغاثه الله ، إذا أنقذه من كرب أو غم . ومعناه ينقذ الناس فيه من كرب الجذب .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ أي يعصرون السمسسم دهنًا ، والعنب خمرًا ، والزيتون زيتًا ، وهذا قول ابن عباس^(١) ومجاهد^(٢) وقتادة^(٣) وأكثر المفسرين^(٤) ، وهذا يدل على ذهاب الجذب وحضور الخصب والخير . وذكرنا معنى العصر في قوله : ﴿ أَعْصِرْ خَمْرًا ﴾ [يوسف : ٣٦] .

وقال أبو عبيدة^(٥) : «يعصرون تفسيره ينجون من العصر وهو المنجاة ، ومثله العصرة والمعتصر . [والمعصر]^(٦) ومنه قول أبي زيد^(٧) :

وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ

أي ملجأ الكروب .

(١) الطبري ٢٣٢/١٢ ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ٤١ ، وزاد المسير ٤/ ٢٣٤ ، وابن أبي حاتم ٢١٥٤/٧ .

(٢) الطبري ٢٣٢/١٢ .

(٣) الطبري ٢٣٣/١٢ ، وزاد المسير ٤/ ٢٣٤ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٥٤ .

(٤) الثعلبي ٧/ ٢٨٧ ، وزاد المسير ٤/ ٢٣٤ ، وابن عطية ٧/ ٥٢٩ .

(٥) مجاز القرآن ١/ ٣١٣ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٧) لأبي زيد الطائي عجز بيت ، وصدره :

صَادِيًا يَسْتَعِيْثُ غَيْرَ مُغَاثٍ

من قصيدة له يرثي بها اللجاج ابن أخته ، وكان من أحب الناس إليه ، انظر : ديوانه ٤٤ ، وجهرة أشعار العرب ٢٦٠ ، والاقتضاب ٣٩٠ ، واللسان (عصر) ٥/ ٢٩٦٩ ، وأمالي اليزيدي ٨ ، والمحاسب ١/ ٣٤٥ ، والطبري ١٢/ ٢٣٣ ، والقرطبي ٩/ ٢٠٥ ، وتهذيب اللغة (عصر) ٣/ ٢٤٥٨ .

وقال عدي بن زيد :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْغَصَانِ بِالماءِ اغْتَصَارِي^(١)
أي التجائي ، وأنشد أيضاً للبيد^(٢) :

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافاً بِدَارٍ مُعَصِّرٍ
وذكر أبو إسحاق^(٣) أيضاً هذا القول فقال : « وإن شئت كان على تأويل
ينجون من البلاء ويعتصمون بالخصب » ، وأنشد بيت عدي^(٤) .

(١) البيت لعدي بن زيد في ديوانه ٩٣ ، والأغاني ٩٤ / ٢ ، والحيوان ١٣٨ / ٥ ، ٥٩٣ .
انظر : الكتاب ١ / ٤٦٢ ، ومجاز القرآن ١ / ٣١٤ ، والجمهرة ٢ / ١٥٤ ، واللسان (عصر) ٥ / ٢٩٧١ ،
والعيني ٤ / ٤٥٤ ، وشواهد المغني ٢ / ٦٥٨ ، والخزانة ٣ / ٥٩٤ ، ٤ / ٤٦٠ ، ٥٢٤ ، والبحر المحيط
٥ / ٣١٦ ، وتهذيب اللغة (عصر) ٣ / ٢٤٥٩ ، والشعر والشعراء ١٣٣ ، وكتاب العين ٤ / ٣٤٢ .

(٢) البيت للبيد ، ويروى : (بغير معَصِّر) ديوانه ٦٨ .
انظر : الكتاب ١ / ٤١٠ ، والأغاني ٢ / ٢٦ ، والشستمر ١ / ٤٦٢ ، والجمهرة ٢ / ١٥٤ ، واللسان
(عصر) ٥ / ٢٩٦٩ ، العيني ٤ / ٤٥٤ ، وشواهد المغني : / ٢٥٥ ، والخزانة ٣ / ٣٩٤ ، ومجاز القرآن
١ / ٢٩٥ ، ٣١٤ ، والطبري ١٢ / ٢٣٤ ، وتهذيب اللغة ٣ / ٢٤٥٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١١٤ .

(٤) ذكر هذا القول الطبري ١٢ / ٢٣٣ ، وتعقبه فقال : « وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من
اهل التأويل ، ممن يفسر القرآن على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله : « وفيه يعصرون » إلى :
وفيه ينجون من الجلب والقحط بالغيث ويزعم أنه من العصر والعُصرة التي بمعنى المنجاة . . .
إلى أن قال : وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه ، خلافه قول جميع اهل العلم من الصحابة
والتابعين » . اهـ .

وتعقب ابن عطية ٧ / ٥٣١ ، الطبري : فقال : « ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة ردّاً كثيراً
بغير حجة » .

وقال أبو عبيد^(١): «يعصرون يعني به يصيبون ما يحبون، ويأخذون ما يشتهون». وأنشد قول ابن أحر^(٢):

وَإِنَّمَا الْعَيْشُ بِرُبَّانِهِ^(٣) وَأَنْتَ مِنْ أَفْئَانِهِ مُعْتَصِرُ
أَيَّ أَخَذَ مِنْهَا مَا شِئْتَ .

وروي عن ابن عباس^(٤) في رواية الوالبي :

يعصرون يجلبون . وإلى هذا ذهب أحمد بن عبيد^(٥) قال : «تفسير يعصرون يجلبون الألبان ، لسعة خيرهم واتساع خصبهم» . واحتج بقول الشاعر^(٦) :

فَمَا عَصِمَتِ الْأَعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
طَعَامٌ وَلَا دَرٌّ مِنَ الْمَاءِ يُعَصِّرُ

أَيَّ يَجْلِبُ .

(١) تهذيب اللغة (عصر) ٣/ ٢٤٦١ ، واللسان (عصر) ٥/ ٢٩٧٠ .

(٢) ديوانه ٦١ ، وفيه «مقتفر» بدل «معتصر» ، وأما القالي ١/ ٢٤٥ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٨٣ ، ٤/ ٣٤٤ ، ومجمل اللغة ٢/ ٤٥٧ ، وتهذيب اللغة (عصر) ٣/ ٢٤٦١ ، واللسان (عصر) ٥/ ٢٩٧٠ .
وبلا نسبة في المخصص ١٢/ ٢٣٢ .

(٣) في (ج) : (ريانة) .

(٤) الطبري ١٢/ ٢٣٣ ، والثعلبي ٧/ ٨٧ ، من رواية علي بن طلحة ، وتعقب هذا القول الطبري : بقوله «قول لا معنى له ؛ لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس»
١٣٢/ ١٦ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٢٣٤ .

(٦) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في زاد المسير ٤/ ٢٣٤ برواية : «من المال» .

وروى ابن الأنباري^(١) عن بعض أصحاب المعاني قال : «تفسير يعصرون : يفضلون ويعطون ويحسنون» . واحتج بقول طرفة :

لَوْ كَانَ فِي أَمْلَاكِنا وَاحِدٌ يَعْصُرُ فِينَا كَالَّذِي يُعْصَرُ^(٢)
أَيْ يَعطينَا كالَّذِي يعطى ويفضل ويحسن .

وذكر الأزهري^(٣) هذا المعنى في يعصر عن أبي عبيد وأبي عبيدة .

واختار أبو علي الفارسي^(٤) القولين الأولين فقال : «قوله : ﴿يَعْصِرُونَ﴾
يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي لحق ما فيه دهن أو ماء نحو الزيتون والسمسّم والعنب والتمر ، لينخرج ذلك منه . الذي يدل على صحة هذا التأويل ما روي أنهم لم يعصروا في السنين الشداد زيتاً ولا عنباً ، فيكون المعنى : تعصرون للخصب الذي أتاكم كما كنتم تعصرون أيام الخصب ، وقبل الجذب الذي دفعتم إليه» .

(١) زاد المسير ٢٣٥ / ٤ .

(٢) ديوانه ١٥٤ ، وتاج العروس (عصر) ٢٣٠ / ٧ ، ومقاييس اللغة ٣٤٤ / ٤ ، واللسان (عصر)

٢٩٧٠ / ٥ ، وكتاب العين ٢٩٧ / ١ ، ومجمل اللغة ٦٧٢ / ٣ .

(٣) تهذيب اللغة (عصر) ٢٤٦١ / ٣ .

(٤) الحجة ٤٢٥ / ٤ .

قال : «ويكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء^(١) إلى ما يُقَدَّر النجاة به» ، وأنشد لابن مقبل^(٢) :

وَصَاحِبِي وَهُوَ مُسْتَوٌ [هَلْ] زَعِلٌ
يُحُولُ بَيْنَ حِمَارِ الْوَحْشِ وَالْعَصْرِ

فلقوله : ﴿يُعَاثُ النَّاسُ﴾ جعل الفاعلين الناس لتقدم ذكرهم . ومن قرأ بالتاء^(٤) وجه الخطاب إلى المستفتين كقوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ ، ويؤيد القراءة الأولى قرب الناس من الفعل ، ويؤيد الثانية أن المخاطبة يجوز أن تكون للمستفتين وغيرهم ، إلا أن الخطاب والغيبة إذا اجتمعا غلب الخطاب على الغيبة كما يغلب التذكير على التأنيث .

قال أبو عبيد : «في هذه الآيات دليل على أن الرؤيا إنما تكون على ما عبرت عليه إذا أصيب بها وجه العبارة ، فإذا عدل عن الصواب في عبارتها لم يكن على ما عبرت . ألا ترى أن الملك لما اقتصَّ رؤياه على الملأ قالوا : أضغاث أحلام ، فلم يكن على ما قالوا ؟ ففسرها يوسف بعدهم ، فأبان الصواب فيها ، وشوهد تأويلها بتفسيره» .

(١) في (ج) : (التجاء) .

(٢) من قصيدة له قال عنها ابن قتيبة في الشعراء ٤٤٦/١ ، ٤٤٧ : «هي أجود شعره» . قوله (صاحبي) يريد فرسه ، (والهوه) من الخيل النشيط سريع الجري ، و(المستوهل) : الفزع النشيط ، و(الزعل) : النشيط الأثر ، و(العصر) : الملجأ . انظر : ديوانه ٩٦ ، والمعاني ٢٦ ، والجمهرة ٣٥٤/٢ ، واللسان (وهي) ٥٦٣/١٣ ، وتهذيب اللغة ٣٩٦٧/٤ ، وكتاب العين ٨٨/٤ ، وتاج العروس (وهي) ١١٩/١٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (يعصرون) بالياء ، وقرأ حمزة والكسائي (تعصرون) بالتاء .

انظر : السبعة ٣٤٩ ، وإتحاف ٢٦٥ ، والطبري ٢٣٣/١٢ .

٥٠. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ﴾ الآية ، قال المفسرون^(١) : لما رجع الذي أرسل إلى يوسف للاستفتاء عن تأويل الرؤيا إلى الملك وأخبره بما أفاته به ، عرف الملك أن ذلك التأويل صحيح ، وأن الذي قاله كائن فقال : اتتوني بالذي عبر رؤياي هذه ، فجاء الرسول يوسف وقال له : أجب الملك ، فأبى أن يخرج مع الرسول حتى يتبين براءته مما قذف به ، وقال للرسول : ارجع إلى ربك يعني الملك ، ﴿ فَسَكَتَ مَا بَالَ النَّسْوَ أَلَّتِي ﴾ أي ما حالتهم^(٢) وشأنهن ، والبال : الحال والشأن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٠] وقال أبو عبيد^(٣) :

فَبِتْنَا عَلَى مَا خَيَّلَتْ نَاعِمِي بَالٍ

ومعنى الآية فاسأل الملك أن يتعرف ويسأل ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي .

قال أبو إسحاق^(٤) : «أي سله أن يستعلم صحة براءتي مما قذفت به» ، فمعنى ردّه الرسول هو أن يتبين براءته ، وأنه حبس بظلم من غير اقتراف ذنب ، كما قال

(١) هذه عبارة الثعلبي ٧/ ٨٧ ، وزاد المسير ٤/ ٢٣٦ .

(٢) في (ج) : (ما حالهن) .

(٣) في التهذيب (بال) ١/ ٢٦٣ قال : «قال عبيد» وذكر البيت ، وانظر : اللسان (بول) ١/ ٣٩٠ من غير نسبه .

والبيت لعدي بن زيد ، وصدره :

فليت رفعت لهم عني ساعة

انظر : ديوانه ١٦٢ ، والإيضاح ١٠٦ ، ونوادير أبي زيد ٢٥ وبلا نسبة في شواهد التوضيح ١٤٨ والدر ١/ ١١٤ ، ١٢٣ ، والجمع ٢/ ١٦٣ ، والسيوطي ٢٣٨ ، والإنصاف ١٥٧ ، وأمالى ابن الشجري ١٨٣ ، ٢٩٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٥ .

قتادة^(١) : «طلب العُذر» ، وعلى هذا يكون في الآية محذوف على تقدير : فسله أن يسأل أو يتعرف ما بال النسوة ، ولكن لما كان قوله : ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ ﴾ يتضمن معنى السؤال والاستعلام والتعرف حذف ذلك .

قال عامة المفسرين^(٢) : إن يوسف - عليه السلام - أشفق من أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره ، مقرووف بفاحشة ، فأحب أن يراه بعد أن زال عن قلبه ما كان خامره من الباطل . وقد استحسّن النبي ﷺ حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر حتى يعلم أنه قد استقر عند الملك صحة براءته فقال النبي ﷺ : «رحم الله يوسف ، لقد كان ذا أناة ولو كنت أنا المحبوس ثم جاءني الرسول لخرجت^(٣) مسرعاً^(٤)» .

قال أبو إسحاق^(٥) : «ولم يفرد يوسف امرأة العزيز حُسنَ عشرة منه وأدب ، فخلطها بالنسوة» .

(١) الطبري ٢٣٦/١٢ .

(٢) الطبري ٢٣٤٠/١٢ ، والثعلبي ٨٧/٧ ، والبغوي ٢٤٨/٤ ، وابن عطية ٥٣٢/٧ ، وزاد المسير : ٢٣٦/٤ ، والقرطبي ٢٠٧/٩ .

(٣) في (ج) : (لخرجت إليه) بزيادة إليه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٨٧) في كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْمُتَلَدِّينَ ﴾ بلفظ : «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبتة» ، ومسلم بنحوه (١٥١) في كتاب الأيمان ، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة .

وأخرجه الترمذي (٣١١٦) في كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة يوسف بلفظ «إن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : ولو لبثت في السجن ما لبث ثم جاءني الرسول أجبتُ .. الحديث» .

وأخرجه ابن جرير ٢٣٥/١٢ من طريق ابن إسحاق عن رجل عن أبي الزناد بلفظ : «يرحم الله يوسف إن كان ذا أناة لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً ، إن كان خليماً ذا أناة» ضعفه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٤٨٥ ، وضعفه أحمد شاكر في تخريجه للطبري ٢٣٥/١٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١١٥/٣ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ ﴾ يعني : أن الله عالم بكيدهم وقادر على إظهار براءتي لهذا المخلوق الذي استحضرني ، وذكرنا معنى كيدهم عند قوله : ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُمْ ﴾ .

٥١ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ ، قال المفسرون^(١) : لما رجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف دعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز ، فقال لهن : ما خطبكن ؟ قال ابن عباس^(٢) : « يريد ما قصتكن » ، وقال آخرون^(٣) : ما شأنكن وأمركن ؟

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ رَاوَدَتْهُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ قال ابن الأنباري^(٤) : « إنما جمعهن في المراودة ؛ لأن الملك اتصل به أن بعض النسوة راود ، فجمعهن ليستعلم عين المراودة » . ويحتمل أن يقال^(٥) : إنهن كلهن راودن ، فامرأة العزيز راودته عن نفسه ، وسائر النسوة راودنه في طاعتها والانقياد لما تلتسمه منه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا حَسْبُ لِلَّهِ ﴾ مضى الكلام فيه ، ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ ، قال ابن عباس^(٦) : « يريد من زنا » .

-
- (١) الثعلبي ٨٧/٧ ب ، والطبري ٢٣٦/١٢ .
 (٢) ابن عطية ٥٣٤/٧ ، وزاد المسير ٢٣٧/٤ .
 (٣) الطبري ٢٣٦/١٢ ، والثعلبي ٨٧/٧ ب ، والبغوي ٢٤٨/٤ .
 (٤) زاد المسير ٢٣٧/٤ .
 (٥) في (ج) : (أن يقول كلهن) ، وسقطت : (أنهن) .
 (٦) تنوير المباس ١٥١ ، والقرطبي ٢٠٧/٩ ، والبغوي ٢٤٨/٤ .

قال الزَّجَّاج^(١): «أعلم النسوة الملك براءة يوسف، فقالت امرأة العزيز: (الآن ححصص الحق) تريد برز وتبين»، وهو قول ابن عباس^(٢) ومجاهد^(٣) وقتادة^(٤).

وقال الفرَّاء^(٥): «لما دُعي النسوة فبرأه قالت: لم يبق إلا أن يعلن علي بالتقرير فأقرت، فذلك قولها: (الآن ححصص الحق)، تقول: ضاق الكذب وتبين الحق»، وعلى هذا إنما أقرت؛ لأنها خافت أنها إن كذبت شهدت عليها النسوة ببعض ما تقرر عندهن. فلم تجد بداً من الإقرار.

قال ابن الأنباري^(٦): «قال اللغويون: (حصصص الحق) معناه: وضع وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس، من قول العرب: حصصص البعير بروكه، إذا تمكن فاستقر في الأرض وفرق الحصا».

قال حميد بن ثور^(٧):

وَحَصَّصَ فِي صُمِّ الْحَصَا ثِفْنَاتِهِ وَدَامَ الْقِيَامُ سَاعَةً ثُمَّ صَمَّمَا
يَصِفُ بَعِيرًا.

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٥/٣.

(٢) الطبري ٢٣٦/١٢ وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤٢/٤.

(٣) الطبري ٢٣٦/١٢.

(٤) الطبري ٢٣٧/١٢.

(٥) معاني القرآن ٤٨/٢، وفيه «لما دعا النسوة فبرأه»، قالت: لم يبق إلا أن يُقبل علي بالتقرير فأقرت...».

(٦) زاد المسير ٢٣٨/٤، وانظر: تهذيب اللغة (حصص) ٨٣٥/١، واللسان (حصص) ٩٠٠/٢.

(٧) حميد بن ثور الهلالي من بني عامر، إسلامي مخضرم، انظر: طبقات الشعراء لابن قتيبة ٢٤٧، وديوانه ٩، والزاهر ٣٤/٢، والدر المصون ٥١٣/٦، والكشاف ٣٢٦/٢، واللسان (حصص) ٨٩٩/٢، وتهذيب اللغة ٨٣٥/١، وديوان الأدب ١٧٣/٣، وتاج العروس ٢٥٧/٩. وحصصص: أثبت ركبتيه للنهوض بالثقل، والثفنتان: جمع ثفنة وهي من البعير ما يقع على الأرض إذا استناخ.

وقال الزَّجَّاجُ^(١) : «اشتقاقه في اللغة من الحصّة ؛ أي بانث حصّة الحق من حصّة الباطل» .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ يعني في قوله : (هي راودتني عن نفسي) .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿ ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنّٰی لَمْ اُخْنَهُ ﴾ الآية ، قال ابن عباس^(٢) والحسن^(٣) ومجاهد^(٤) وقتادة^(٥) والضحاك^(٦) وعامة المفسرين : هذا من كلام يوسف وقوله .

قال الفرّاء^(٧) : «ربما وصل الكلام بالكلام حتى كأنه قول واحد ، وهو كلام الاثنين كقوله تعالى : ﴿ مِّنْ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾^(٨) اتصل قول فرعون بقول الملائ ، وكذلك قوله : ﴿ اِنَّ الْمُلُوكَ اِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴾^(٩) انقطع كلامها عند قوله : ﴿ اَذْلَةً ﴾ ، ثم قال الله : ﴿ وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴾ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٥ / ٣ .

(٢) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٥٧ / ٧ كما في الدر ٤٣ / ٤ ، ومن طريق آخر أخرجه الطبري

٢٨٣ / ١٢ ، والفرّاي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب كما في الدر ٤٣ / ٤ .

(٣) زاد المسير ١٤١ / ١٦ ، والقرطبي ٢٠٩ / ٩ ، والطبري ٣ / ١٣ .

(٤) الطبري ٢٣٨ / ١٢ ، وزاد المسير ٢٣٩ / ٤ .

(٥) الطبري ٢٣٨ / ١٢ ، وزاد المسير ٢٣٩ / ٤ ، والقرطبي ٢٠٩ / ٩ .

(٦) الطبري ٢٣٨ / ١٢ .

(٧) معاني القرآن ٤٧ / ٢ .

(٨) الشعراء ٣٥ .

(٩) النمل ٣٤ .

ومعنى قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ قال مقاتل^(١) : «معناه هذا» . قال أبو بكر^(٢) : «قال اللغويون : هذا و(ذَلِكَ) يصلحان في هذا الموضع وأشباهه ، ونظيره قوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] وقد مر . وقال آخرون^(٣) : «ذلك إشارة إلى ما فعله من رد الرسول يقول : ذلك الذي فعلت من رد رسول الملك إليه في شأن النسوة ليعلم» .

قال الزَّجَّاج^(٤) : «و(ذلك) مرفوع بالابتداء ، وإن شئت على خبر الابتداء ، كأنه قال : أمري ذلك» .

واختلفوا متى قال هذا يوسف ، فروى عطاء عن ابن عباس^(٥) قال : «لما صار يوسف عند الملك قال (ذلك ليعلم)» ، ونحو هذا روى الضحاك^(٦) عنه ، فعلى هذا معنى قوله : ﴿لِيَعْلَمَ﴾ أي الملك .

قال أبو بكر^(٧) : «وإنما أثر الياء على التاء توقيراً للملك ، ورفعاً له عن المخاطبة» .

وقوله تعالى : ﴿لَمْ أَخْنُ﴾ أي في امرأة^(٨) وزيره . وقال ابن جريج^(٩) : «لم أخن زوج المرأة» ، والأكثر على أن قوله (ليعلم) معناه ليعلم العزيز وهو وزير الملك

(١) تفسير مقاتل ١٥٥ ، وزاد المسير ٢٣٨ / ٤ .

(٢) زاد المسير ٢٣٨ / ٤ .

(٣) الطبري ٢٣٨ / ١٢ ، والثعلبي ١٨٨ / ٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١١٥ / ٣ .

(٥) زاد المسير ٢٣٩ / ٤ ، والطبري ٢٣٨ / ١٢ عكرمة عن ابن عباس .

(٦) زاد المسير ٢٣٩ / ٤ .

(٧) زاد المسير ٢٤٠ / ٤ .

(٨) في (ج) : (أمره) وهو قول ابن الأنباري كما في زاد المسير ٢٣٩ / ٤ .

(٩) انظر : تفسير ابن أبي حاتم (تفسير سورة يوسف المحققة) ٢١٤ ، والثعلبي ١٨٨ / ٧ .

أني لم أخنه في زوجته بالغيب ، وهو قول ابن عباس^(١) . واختيار الفراء^(٢) : ليعلم الملك ، هذا على قول من يقول : إن يوسف قال هذا بعد حضوره مجلس الملك .

وقال الكلبي في ما رواه عن ابن عباس^(٣) : « لما رجع الساقى إلى يوسف فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة ، قال - عليه السلام - وهو في السجن : ذلك ليعلم ؛ أي العزيز ، أني لم أخنه في امرأته بالغيب » .

وقال ابن جريج^(٤) : « قاله يوسف في السجن قبل أن يخرج^(٥) منه ، وقبل أن يسأل الملك النسوة عما سألن عنه ؛ وذلك أنه أحب أن يصح عذره قبل خروجه من السجن ، قال : وهو من تقديم القرآن وتأخير ، وتأويله ﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا بِالْغَيْبِ ﴾ فرق بينهما » .

قال أبو بكر بن الأنباري : « فمن أخذ بهذا التفسير قال : العليم : الملك أو العزيز » .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ ﴾ ؛ أي لا يرشد كيد من خان أمانته ، يريد أنه في العاقبة بحرمان الهداية من الله عز وجل ، والكلام خرج على الكيد ومعناه : الكائد ؛ أي لا يهدي الكائد الخائن ، قال عامة المفسرين^(٦) : لما قال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا ﴾ الآية ، قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ ، فقال يوسف :

(١) زاد المسير ٢٣٩/٤ وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة والجمهور ، وذكره الثعلبي ٧/١٨٨ .

(٢) معاني القرآن ٤٧/٢ .

(٣) زاد المسير ٢٣٩/٤ ، والقرطبي ٩/٢٠٩ .

(٤) زاد المسير ٢٣٩/٤ .

(٥) في (ب) بياض في موضع قوله (قبل أن) .

(٦) الطبري ١٣/١-٣ ، عن ابن عباس بن سعيد بن جبير وابن أبي الهذيل والحسن وأبي صالح وقتادة وعكرمة ، والثعلبي ٧/٨٨ ، والبغوي ٤/٢٤٩ ، وابن عطية ٧/٥٣٦ .

٥٣. ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ ، قال أهل المعاني^(١) : خاف على نفسه التزكية ، وتزكية النفس مما يذم وينهى عنه ، قال الله تعالى : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] ، فاستدرك ذلك بقوله : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ قال ابن عباس : «يريد : وما أزكي نفسي» ، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ قال : يريد^(٢) : بالقبيح وما لا يحب الله ، وذلك لكثرة ما تشتهيه وتنازع إليه .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ قالوا^(٣) : (ما) بمعنى (من) ؛ أي إلا من رحم ربي فعصم مما تدعوه إليه نفسه من القبيح ، (وما) بمعنى (من) بمعنى (ما) قد يقعان في مواضع كقوله : ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] ، وقوله : ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَىٰ آزِجٍ﴾ [النور: ٤٥] ، قال الفراء^(٤) : «وهذا استثناء منقطع مما قبله ؛ لأن المرحوم بالعصمة استثنى من النفس الأماراة» ، وقال ابن الأنباري^(٥) : «والترجمة عن معناها أن النفس لأماراة بالسوء إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد وإليها المنتهى» .

٥٤. قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ يَدَ﴾ الآية ، قال أبو بكر بن الأنباري^(٦) : «من قال إن يوسف قال في مجلس الملك : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) قال : إن الملك أمر بإحضاره لتقليد الأعمال في غير ذلك المجلس الذي قال فيه (ذلك ليعلم) . ومن قال : إن يوسف قال (ذلك) في السجن فالأمر فيه ظاهر .

(١) روى عن الحسن زاد المسير ٤/ ٢٤١ ، وانظر : الطبري ١٣/ ٢ ، والتعليبي ٧/ ٨٨ ب .

(٢) تنوير المقياس ١٥١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (ما) ٤/ ٣٣١٩ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٤٨ .

(٥) زاد المسير ٤/ ٢٤٢ .

(٦) زاد المسير ٤/ ٢٤٢ .

وقوله تعالى : ﴿ اَسْتَخْلَصْهُ لِنَفْسِي ﴾ قال أبو إسحاق^(١) : «أي أجعله خالصاً لي لا يشركني فيه أحد» .

وقال غيره^(٢) : الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الإشراف ، وهذا المطلب طلب أن يكون يوسف له وحده دون شريك فيه .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ﴾ قال عطاء : عن ابن عباس^(٣) : «يريد الملك» ، فجعل الكلام للملك وهو أنه قال له : (إنك اليوم مكين أمين) والمفسرون على أن ﴿ كَلَّمَهُ ﴾ ؛ أي كلم يوسف الملك ، قال الكلبي^(٤) : «لما صار إلى الملك وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة ، فلما رآه الملك حدثاً شاباً قال للساقى : أهذا يعلم من تأويل رؤيائي ما لم يعلمه السحرة والكهنة ؟ ! قال : نعم ، فأقبل على يوسف وقال : إني^(٥) أحب أن أسمع منك تأويل رؤيائي شفاهاً ، فأجابه يوسف بما شفاه وشهد قلبه بصحته ، فعند ذلك قال له الملك : ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ يقال : فلان مكين عند فلان بين المكانة ؛ أي المنزلة ، وهي حال يتمكن بها مما يريد»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمِينٌ ﴾ قال الزَّجَّاج^(٧) : «أي قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما قرفت به» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٦/٣ .

(٢) الرازي ١٥٩/١٨ .

(٣) قال به الطبري ٤/١٣ ، وذكره الرازي ١٥٩/١٨ ، والثعلبي ٨٨٨/٧ ب .

(٤) تنوير المقباس ١٥١ .

(٥) (إني) ساقط من (ج) .

(٦) ما سبق في الرازي ١٥٩/١٨ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١١٦/٣ .

وقال مقاتل^(١): «المكين تفسيره : الوجيه ، والأمين الحافظ» . وقال عطاء عن ابن عباس^(٢): «يريد مكتك ملكي ، وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وائتمنتك فيه» .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ قال المفسرون^(٣) : لما عبّر يوسف رؤيا الملك بين يديه قال له الملك : فما ترى أيها الصديق ؟ قال : أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعاً كثيراً وتبني الأهرام^(٤) والخزائن وتجمع الطعام فيها ؛ ليأتيك الخلق من النواحي ، فيمتارون منك بحكمك^(٥) ، ويجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك ، فقال الملك : ومن لي بهذا^(٦) ، ومن يجمعه ويكفي الشغل فيه ؟ ، فقال يوسف : اجعلني على خزائن الأرض إني على حفظها ، ثم حذف المضاف .

وقوله : ﴿ الْأَرْضِ ﴾ قال المفسرون^(٧) : يعني أرض مصر .

(١) تفسير مقاتل ١٥٥ أ ، وزاد المسير ٢٤٣ / ٤ .

(٢) زاد المسير ٢٤٣ / ٤ .

(٣) الثعلبي ٨٩ / ٧ ب .

(٤) كذا في جميع النسخ والصحيح (الاهرام) كما في الوسيط ٦١٨ / ٢ .

(٥) في (ج) : (بحكمك) .

(٦) في (ب) : (هذا) من غير باء .

(٧) الرازي ١٨ / ١٦٠ ، والبغوي ٤ / ٢٥١ ، وابن عطية ٧ / ٨ .

وقال أهل العربية^(١): يعني خزائن أرضك ، فجعلت الألف واللام بدلاً من تعريف الإضافة كقول النابغة^(٢) :

وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

يريد : وأحلامهم .

روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال : قال رسول الله ﷺ : «رحم الله يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ، ولكنه أخر ذلك سنة»^(٣) .

فإن قيل : لم طلب يوسف الإمارة ، والنبي ﷺ قال لعبدالرحمن بن سمرة «يا عبدالرحمن لا تسئل الإمارة»^(٤) ؟ والجواب من هذا ما ذكره أبو إسحاق^(٥) قال : «إن الأنبياء بعثوا لإقامة الحق والعدل ووضع الأشياء مواضعها ، وعلم يوسف

(١) الطبري ٥ / ١٣ ، والثعلبي ٧ / ٩٠ .

(٢) جزء من عجز بيت ، وتماهه :

لَهُمْ شِيْمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا الدَّهْرُ غَيْرُهُمْ مِّنَ النَّاسِ وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
لِلنَّبَاةِ الذِّبْيَانِي . انظر : ديوانه ٥٦ ، والطبري ٥ / ١٣ ، وفي القرطبي ٩ / ٢١٢ عجزه :

من الجود والأحلام غير كواذب

(٣) الثعلبي ٧ / ٩٠ ، وزاد المسير ٤ / ٢٤٣ ، والقرطبي ٩ / ٢١٣ قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي ٩٠ : «أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عنه وهذا إسناد ساقط» وقال الألباني : موضوع ، انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة : (٣٢٩) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري (٦٦٢٢) في كتاب الأيمان والنذور ، باب قول الله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ ، وفي (٦٧٢٢) في كتاب كفارات الأيمان ، باب الكفارة قبل الحنث ، وبعده وفي مواضع أخرى (٧١٤٦) ، (٧١٤٧) .

وأخرجه مسلم (١٨٢٤) في الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١١٦ .

عليه السلام أنه لا أحد أقوم بذلك ولا أوضع له في مواضعه منه ، فسأل ذلك إرادة للصلاح .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : « يريد لا يضيع من ذلك عندي شيء ، عليم بما أفعل ويصلح ملكك » .

وقال قتادة^(١) : « حفيظ لما وليت ، عليم بأمره ونحوه » .

قال ابن إسحاق^(٢) وأبو إسحاق^(٣) : « وقال جماعة : يريد أني كاتب حاسب » .

فإن قيل^(٤) : لم ترك الاستثناء في هذا بأن يقول : إن شاء الله ، وإدخال الاستثناء في مثل هذا أوجب في كلام مثله ؟ ولم مدح نفسه بالحفظ والعلم ؟

والجواب أن يقال : أما تركه الاستثناء فإن ذلك كان منه خطيئة أوجبت عليه من الله العقوبة ، بأن أخر تمليكه عن ذلك الوقت ، ذكر مقاتل بن سليمان^(٥) : أن النبي ﷺ قال : « إن يوسف قال : إني حفيظ عليم ، لو قال : إن شاء الله ، لملك من وقته ذلك » ، ويمكن أن يقال : إنه أضمر في نفسه الاستثناء وإن لم يتلفظ به . أو يقال : أراد أن حفطي يزيد على حفظ غيري ، وكذلك علمي ، وكان هذا مما لا يدخل فيه شك حتى يحتاج إلى الاستثناء ، وأما مدحه نفسه فإن مثل هذا إذا خلا من البغي والاستطالة ، وكان المراد فيه الوصول إلى حق يقيمه ، وعدل يحياه ، وجور يبطله ، كان ذلك جائزاً جميلاً . كقول القائل : إني لحافظ كتاب الله ، عالم بتفسيره ، عارف بشرائع الإسلام ، يقصد بهذا القول قصد أن يتعلم منه إنسان

(١) الطبري ١٣/٥ ، والثعلبي ٧/٩٠ .

(٢) الطبري ١٣/٥ ، والثعلبي ٧/٩٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١١٦ .

(٤) زاد المسير ٤/٢٤٤ ، والرازي ١٨/١٦٠ .

(٥) تفسير مقاتل ١١٥٥ أ ، وزاد المسير ٤/٢٤٣ .

فيفيده مما علمه الله حسن ذلك منه ، ولم يحمل ذلك على تركية النفس إذا عري قوله من الخيلاء والكبر ، ذكر هذا كله أبو بكر^(١) .

وقال الكلبي في ما رواه عن ابن عباس^(٢) في قوله : (إنه حفيظ) ؛ «أي لتقدير الأوقات ، عليم بسني المجاعة» ، وقال الكلبي^(٣) : «ويقال معناه : عليم بلغات الناس كلهم ، وذلك أن الناس كانوا يفدون على الملك من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة» .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾ الآية ، قال أصحاب المعاني : جواب الملك ليوسف حين قال له : (اجعلني على خزائن الأرض) محذوف لبيان معناه ، ولدلالة قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾ عليه .

قال ابن الأنباري^(٤) : «وتلخيصه ، فقال الملك : قد فعلت . فدل تمكين الله له في الأرض على إجابة الملك إياه إلى ما سأل» .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ تحتمل وجهين :

أحدهما^(٥) : أن تكون الكاف منصوبة بالتمكين ، وذلك إشارة إلى ما تقدم . يعني به : ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريبنا إياه من قلب الملك ، وإنجائنا إياه من غم الحبس مكنا له في الأرض .

الوجه الثاني : أن (كذلك) بجملته في موضع نصب بالتمكين ، وتأويله :

-
- (١) زاد المسير ٢٤٤/٤ ، ٢٤٥ .
 (٢) تنوير المقياس ١٥١ ، والثعلبي ٧/٩٠ .
 (٣) تنوير المقياس ١٥١ ، والثعلبي ٧/٩٠ .
 (٤) زاد المسير ٢٤٥/٤ ، والرازي ١٨/١٦٢ .
 (٥) انظر : زاد المسير ٢٤٥/٤ ، والرازي ١٨/١٦٣ .

وهكذا ، وهو إشارة إلى ما بعده ، تقديره : وفي هذا الوقت مكنا له في الأرض . وعلى هذا الآية مستأنفة ، وعلى الوجه الأول : الآية موصولة بما قبلها .

وقوله تعالى ^(١) : ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾ أي أقدرناه على ما يريد برفع الموانع ، هذا معنى التمكين من الشيء ، ومضى الكلام في هذه اللام التي في قوله : (ليوسف) عند قوله : ﴿ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس ^(٣) : « يريد أرض مصر » .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ هذا تفسير لقوله : ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛ لأن معنى التمكين في الأرض : أن يكون هذه الصفة يتبوا حيث يشاء ، و(يتبوا) في موضع نصب على الحال تقديره : مكناه متبواً ^(٤) .

(١) تعالى) ساقط من (ب) .

(٢) الأنعام ٦ . وقال هناك : « لم قال (ما لم نمكن لكم) ولم يقل نمكنكم ، وهما لغتان تقول العرب : مكنته ومكنت له ، كما تقول : نصحته ونصحت له » اهـ .

(٣) تنوير المقياس ١٥١ .

(٤) الرازي ١٨ / ١٦٣ .

وقوله تعالى : ﴿ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون في موضع نصب بأنه ظرف ، والآخر : في موضع نصب بأنه مفعول به ، ويدل على هذا الوجه قول الشماخ^(١) :

يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاحِزُ^(٢)

وقد مرّ . واختلف القراء^(٣) في قوله : ﴿ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ فعامة القراء قرؤوا بالياء كقوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ ، كقوله : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ [الزمر: ٧٤] ، وكما أن قوله (نشأ) في هذه الآية وفق فعل المتبوء كذلك قوله : ﴿ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ وفق لقوله : (يتبوء) في إسناده إلى الغيبة . وقرأ ابن كثير (نشأ) بالنون وذلك أن مشيئة يوسف لما كانت^(٤) بمشيئة الله تعالى وإقداره عليها ، جاز أن تنسب إلى الله تعالى وإن كان في المعنى ليوسف ، وعلى هذا معنى هذه القراءة كمعنى قراءة العامة ، ويقوي هذه القراءة أن الفعل المعطوف عليه بالنون وهو قوله : ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ﴾ قال ابن عباس : «يريد أنفضل على من أشاء برحمتي» .

(١) جزء من عجز بيت ، وتماهه :

فَحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَكََةِ عَامِرٌ أَخُو الْخَضِرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاحِزُ
حلاها : منعها الماء ، والضمير للحمر . وعامر أخو الخضر : قانص مشهور . ذو الأراكة : نخل بموضع من البهامة لبني عجل . النواحي : التي بها نحاز فتكوى في جنوبها وأصول أعناقها فتشفى ، ويروى : حزاحز ، والجزائر . انظر : ديوانه ١٨٢ ، وجهرة أشعار العرب ٢٩٧ ، والمعاني الكبير ٧٨٣ ، والأزمينة ١/ ١٠٦ ، وتاج العروس (خضر) ٦/ ٣٥٤ ، وتهذيب اللغة (خضر) ١/ ١٠٤٤ ، واللسان (خضر) ٢/ ١١٨٢ .

(٢) ما سبق في ابن عطية ٩/ ٨ .

(٣) قرأ ابن كثير وحده : (يتبوء منها حيث نشأ) بالنون ، وقرأ الباقر بالياء ، انظر : السبعة ٣٤٩ ، وإتحاف ٢٦٦ ، وابن عطية ٨/ ٨ ، والثعلبي ٧/ ٩١ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٢٠ .

(٤) (ج) : (كان) .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال عطاء: «يريد ثواب الموحدين»، وقال ابن عباس^(١) ووهب: «يعني الصابرين»، وذلك لحسن صبر يوسف في ما عانى من أنواع المكارة.

٥٧. قوله تعالى: ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ ذكر العلماء في هذه الآية قولين، أحدهما: أن المعنى ما يعطي الله تعالى من ثواب الآخرة خير للمؤمنين الذين يعدلون ويؤثرون الصواب في تقوى الله تعالى من التمكين في الدنيا [والملك، والمعنى أن ما يعطي الله يوسف في الآخرة خير مما أعطاه في الدنيا]^(٢)، هذا الوجه هو الموافق^(٣) للظاهر وهو الذي عليه العامة^(٤).

الوجه الثاني^(٥): أن أجر الآخرة خير من التشاغل في الدنيا الفانية الزائلة. وعلى هذا قيل: (ولأجر الآخرة خير) وإن لم يكن في التشاغل بالدنيا خير، على مذهب العرب من قولهم: زيد أعقل الرجلين، وإن لم يكن للثاني عقل، والشاهد بهذا قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وأصحاب النار لا خير في مستقرهم ألبته.

وهذا بيان عما يوجب طلب أجر الآخرة والحرص عليه بلزوم طاعة الله واجتناب معصيته.

(١) الثعلبي ٧/ ٩١، والقرطبي ٩/ ٢١٩.

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) و(ج).

(٣) هنا زائد (في) في (أ) و(ب).

(٤) زاد المسير ٤/ ٢٤، والرازي ١٨/ ١٦٤، والبحر المحيط ٥/ ٣٢٠، وابن عطية ٨/ ١٠، والطبري ٧/ ١٣.

(٥) ذكره الرازي ١٨/ ١٦٤.

٥٨. قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ الآية ، قال الكلبي^(١) والسدي^(٢) وابن إسحاق^(٣) : إن يعقوب - عليه السلام - لحقه في سني الجذب والمجاعة ما لحق الناس ، فقال لأولاده : يا بني ، قد بلغني بأن بأرض مصر ملكاً عادلاً منصفاً ، فأشخصوا إليه فامتاروا منه ، فقالوا : كيف يكون الملك على ما تصف منه وهو كافر يعبد الأوثان ؟ فقال لهم : يا بني إنما تعطون دراهم وتأخذون طعاماً فما عليكم مما يغيب عنكم من حالاته ، فذلك قوله : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ واختلفوا في سبب معرفته وإنكارهم ، فقال ابن الأنباري^(٤) : «لأنهم استشعروا قبل ملاقاته أنه كافر يعبد الأوثان ، فلما شاهدوه مقدرين أنه ملك كافر على ما شاهدوا عليه ملوك دهرهم لم يظنوا أنه أخوهم ، ولم يتأملوا منه^(٥) ما يزول به عنهم الشك فيه والجهل بأمره» .

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(٦) : «أن إخوة يوسف رأوا يوسف وقت دخولهم عليه لابساً ثياب حرير ، وفي عنقه طوق من ذهب ، وعلى رأسه تاج^(٧) ، وكان قد تزيا بزِّي فرعون مصر ، فيحتمل أن يكون ما رأوا من زيّه في ملبسه سبباً لنكيرهم له ، وألفاهم يوسف على ما كان عهدهم في الملبس والمركب والحلية فعرفهم . وروى عطاء عن ابن عباس^(٨) في قوله : ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ

(١) زاد المسير ٤/ ٢٤٦ ، الضحاك عن ابن عباس ، وأبو صالح عن ابن عباس .

(٢) الطبري ٧/ ١٣ ، وابن كثير ٢/ ٥٢٩ ، وابن عطية ٨/ ١٠ .

(٣) الطبري ٧/ ١٣ ، وابن كثير ٢/ ٥٢٩ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٢٤٧ .

(٥) (منه) ساقط من (أ) و(ب) .

(٦) زاد المسير ٤/ ٢٤٧ ، والثعلبي ٧/ ٩٢ ب .

(٧) تاج) ساقط من (ج) .

(٨) البغوي ٤/ ٢٥٤ .

لَهُ مُنْكَرُونَ^(١) لم يثبتوه وعليه تاج الملك وحجاب الملك ، وعلى هذا يحتمل أنهم رأوه من وراء ستر فلم يعرفوه .

٥٩ . قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ قال الليث^(٢) : « جهزت القوم تجهيزاً ، إذا تكلفت لهم جهازهم للسفر ، وكذلك جهاز العروس والميت وهو ما يحتاج إليه في وجهه ، وقد تجهز ذا جهاز » ، قال : « وسمعت أهل البصرة يخطئون الجهاز بالكسر » ، قال الأزهري^(٣) : « والقراء كلهم على فتح الجيم ، والكسر لغة ليست بجيدة » ، قال المفسرون : حمل لكل رجل منهم بغيراً ، فهو قوله : ﴿ جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجَ لَكُمْ مِنْ أَيْكُم ﴾ قال الكلبي في ما رواه عن ابن عباس^(٤) : « لما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية ، قال لترجمانه قل لهم : لغتكم مخالفة لغتنا ، وزيكم يغاير زينا ، وأمركم مشكل علينا ، فمن أنتم ؟ وما أمركم ؟ ولعلكم جواسيس ، تخرجون أخبارنا إلى أعدائنا ؟ قالوا : لا والله ، ما نحن بجواسيس ، إنما نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق . فقال لهم : فكم عدتكم ؟ قالوا : كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها ، قال فأين الآخر ؟ قالوا : عند أبينا ، قال : فمن يعلم أن الذي تقولون حق ؟ قالوا : إنا ببلاذ لا يعرفنا أحد وقد عرّفنا أنسابنا فبأي شيء تسكن نفسك إلينا ؟ وقال يوسف : فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فأنا أَرْضَى بِذَلِكَ » .

(١) في (ج) بزيادة (يريد) .

(٢) تهذيب اللغة (جهاز) ٦٧٩ / ١ .

(٣) تهذيب اللغة (جهاز) ٦٧٩ / ١ .

(٤) الثعلبي ٩٢ / ٧ ب ، والبغوي ٢٥٤ / ٤ ، وزاد المسير ٢٤٦ / ٤ .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ﴾ أمته ولا أبخسه ، وأزيدكم حمل بعير آخر لأجل أخيكم .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ قال مجاهد^(١) : «خير المضيفين» ، قال أبو إسحاق^(٢) : «لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم» .

٦٠ . قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ﴾ الآية ، أوعدهم على ترك الإتيان بالأخ بأن لا يبيعهم الطعام ، ولا يقربوا بابهم وبلاده .

٦١ . فلما قال لهم يوسف هذا قالوا^(٣) : ﴿ سَتَرْوِدُنَا عَنْ آبَائِنَا ﴾ أي نطلب منه ونسأله أن يرسله معنا ﴿ وَإِنَّا لَفَعْلُونَ ﴾ قال الكلبي^(٤) : «وإننا لضامنون لك المجيء به» .

وقال ابن إسحاق^(٥) : «وإننا لمجتهدون في المصير به إليك» ، وذلك أنهم جَوَّزُوا أَنْ لَا يَجِيبَهُمْ أَبُوهُمْ إِلَى الْإِرْسَالِ بِهِ مَعَهُمْ . وقال أبو إسحاق^(٦) : «قوله : ﴿ وَإِنَّا لَفَعْلُونَ ﴾ معناه التوكيد لما قبله» ، يعني من المراودة ، كأنهم قالوا : نراوده عنه ونفعل ذلك .

(١) الطبري ٨/١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٦٤/٧ ، وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في الدر ٤٨/٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١١٧/٣ .

(٣) (قالوا) ساقط من (أ) و(ج) .

(٤) تنوير المقياس ١٥١ ، وزاد المسير ٢٤٨/٤ .

(٥) الطبري ٩/١٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١١٧/٣ .

٦٢. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ ﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد لغلماناه» .
 وقرئ^(٢) (لفتيته) ، والفتية في هذا الموضع المماليك . وقال أبو علي^(٣) :
 «الفتية جمع فتى في العدد القليل ، والفتيان الكثير» . فمثل فتى وفتية ،
 أخ وأخوة ، وولد وولدة ، ونار ونيرة ، وقاع وقاعة ، ومثل الفتان ،
 برق وبرقان ، وخرب وخربان ، وجار وجيران ، وتاج وتيجان . فوجه
 البناء الذي للعدد القليل أن الذين يحيطون بها يجعلون بضاعتهم فيه من
 رحالهم يكفون من الكثير . ووجه^(٤) الجمع الكثير أنه يجوز أن يقول
 ذلك للكثير ، ويتولى الفعل منهم القليل . ويقوي البناء الكثير قوله :
 ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ فكما أن الرحال للعدد الكثير^(٥) ؛ لأن جمع القليل (أرحل)
 فكذلك المتولون ذلك يكونون كثرة .

قال أبو الحسن : «كلام العرب : قل لفتيانك ، وما^(٦) فعل فتیانك ، وإن كانوا
 في أدنى العدد إلا أن يقولوا ثلاثة وأربعة . وقد يقوم البناء الذي للعدد القليل مقام البناء
 الذي للكثير ، وكذلك الكثير يقوم مقام القليل»^(٧) .

(١) أخرجه الطبري ٩/١٣ عن قتادة ، وأخرجه سعيد بن منصور عن إبراهيم كما في الدر ٢٥٥/٤ ، وذكره الثعلبي ٧/٩٣ ، والبغوي ٢/٤٣٥ ، وزاد المسير ٤/٢٤٩ .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وابن عامر (لفتيانه) بالياء ، وقرأ حمزة والكسائي (لفتيانه) بالنون ، واختلف عن عاصم فروى أبو بكر عنه بالياء (لفتيته) وروى حفص عنه (لفتيانه) بالنون .
 انظر : السبعة ٣٤٩ ، وإتحاف ٢٦٦ ، والثعلبي ٧/٩٣ ، وابن عطية ٨/١٤ .

(٣) الحجة ٤/٤٣٠-٤٣١ بتصرف .

(٤) في (ج) : (ووجع) .

(٥) (الكثير) : ساقط من (ج) .

(٦) في (ج) : (الواو) ساقط .

(٧) إلى هنا انتهى النقل عن أبي علي في الحجة ٤/٤٣١ بتصرف .

وقوله تعالى : ﴿ أَجْعَلُوا بُضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء^(١) : «يريد الدراهم والدنانير التي جاؤوا بها في أوعيتهم» ، وروى الضحاك عنه^(٢) قال : «كانت بضاعتهم النعال والأدم» .

وقال قتادة^(٣) : «بضاعتهم : يريد أوراقهم» . وأما الرحال فقد فسرهما ابن عباس بالأوعية ، قال أبو عبيد^(٤) : «الرحل بجميع ربضه وحقبه وحلسه وجميع أغراضه» ، وعلى هذا الرحل كل شيء معد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس ورسن كما ذكر أبو عبيد ، والرحل أيضاً مسكن الرجل ، ويقال : فلان خصيب الرحل^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ قال ابن الأنباري : (لعل) كلتاها بمعنى (كي) الأولى متعلقة (باجعلوا) والثانية محمولة على (يعرفونها) ، فالجعل سبب المعرفة ، والمعرفة سبب الرجوع ، وذكرنا مثل هذا في قوله : ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٧] . ويجوز أن يكون (لعل) كلتاها بمعنى (عسى) والمراد : عساهم يعرفون أنها بضاعتهم بعينها ، وعساهم يرجعون إذا عرفوا ذلك ، وجاز أن يكون بمعنى (عسى) ؛ لأنه يحتمل أنهم لا يعرفون أنها بضاعتهم بعينها بل يظنون أن تلك هدية وتكرمة فلا يرجعون . واختلفوا لم أمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم ؟ فقيل : لأنهم متى ما فتحوا المتاع وجدوا^(٦) بضاعتهم فيه ، علموا أن ذلك كرم من يوسف وسخاء ،

(١) زاد المسير ٢٤٩/٤ .

(٢) الثعلبي ٩٣/٧ ب ، والبغوي ٢٥٥/٤ ، والقرطبي ٢٢٣/٩ .

(٣) الطبري ٩/١٣ ، والثعلبي ٩٣/٧ ب .

(٤) تهذيب اللغة (رحل) ١٣٨/٢ وفيه : «قال أبو عبيدة» .

(٥) نقله في التهذيب عن الليث (رحل) ١٣٨١/٢ .

(٦) في (ج) : (فوجدوا) وهو الصحيح .

فبيعته^(١) على العود إليه والحرص على معاملته ، وقال الكلبي^(٢) : «لخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى» .

وقيل : أراد بذلك التوسعة على أبيه إذ كان الزمان زمان قحط . وقيل : رأى لؤماً أخذ الثمن من أبيه وإخوته مع حاجتهم إلى الطعام ، وقال الفرّاء^(٣) : «لأنهم إذا رأوا بضاعتهم في رحالهم ردوها على يوسف ولم يستحلوا إمساكها فيرجعون» ، ونحو هذا قال الزّجاج^(٤) ، ويجوز أن يكون ليرجعوا إليه متعرفين سبب ردّها .

وكل ذلك أدعى لهم إلى الرجوع من ترك رد البضاعة عليهم^(٥) .

٦٣ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾ أي في ما نستقبل إن لم نأت بأخيّننا ، لقوله : ﴿ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ﴾ قال ابن الأنباري^(٦) : «وتأويله : حكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت فأدى (منع) عن هذا المعنى ، كما تقول لمن رأيت على كبرية : دخلت والله النار ، تعني حكمت عليك بدخول النار» .

(١) كذا في (أ) و(ب) و(ج) وفي (ي) : (فبيعتهم) كما في الرازي ١٦٨ / ١٨ .

(٢) الثعلبي ٩٣ / ٧ ب ، والبعوي ٢٥٦ / ٤ .

(٣) معاني القرآن ٤٨ / ٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١١٧ / ٣ .

(٥) قلت : أرجح الأقوال السابقة هي الأقوال التي فيها ما يدعوهم إلى الرجوع إليه سواء لكرمه أو لرد البضاعة ؛ لأنها ليست ملكهم أو الاستفسار عنها ؛ لأن هذا هو المناسب للسياق والله أعلم .

(٦) زاد المسير ٢٥٠ / ٤ .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ ﴾ قال أبو إسحاق^(١) : «أي إن أرسلته^(٢) اكتلنا وإلا فمنعنا الكيل» . وقرئ^(٣) (يكتل) بالياء والنون ، ويدل على النون قوله (ونمير أهلنا) ألا ترى أنهم إنما يميرون أهلهم مما يكتالونه ، فيكون نكتل مثل (نمير) ، وأيضاً فإن في قوله (نكتل) بالنون يجوز أن يكون أخوهم داخلاً معهم ، وإذا كان بالياء لم يدخلوا هم في هذه الجملة ، ووجه الياء كأنه يكتل هو حملة ، كما نكتال نحن أحمالنا .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٤) : «يريد قد صنعتهم بي هذا من قبل في يوسف فكيف آمنكم على بنيامين» . وقال الكلبي^(٥) : «(هل آمنكم عليه) يعني على بنيامين إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل ، يعني إني أخاف على الثاني مثل الذي وقع بالأول ، وإن كنتم تعدوني حفظه» . وقال أبو إسحاق^(٦) : «أي كذلك قلت لي في يوسف وضمنتم لي حفظه في قولكم : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فكذلك ضمانكم هذا عندي» ، وتأويل هذا أنه يقول : لا آمنكم على بنيامين إلا كأمني على يوسف ، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن وأنهم خانوه ، فهو وإن أمنهم في هذا خاف خيانتهم أيضاً . ثم قال : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ﴾ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٧/٣ .

(٢) في معاني الزَّجَّاج : (معنا) (وإلا فقد منعنا) .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وعاصم وابن عامر (نكتل) بالنون ، وقرأ حمزة والكسائي (يكتل) بالياء . انظر : السبعة ٣٥٠ ، وإتحاف ٢٦٦ ، والطبري ١٣/١٠ ، وابن عطية ٨/١٥ .

(٤) انظر : الرازي ١٨/١٦٩ ، والقرطبي ٩/٢٢٤ ، والبغوي ٤/٢٥٦ .

(٥) تنوير المقباس ١٥١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٣ .

قال الزَّجَّاجُ^(١): ﴿حَفِظًا﴾ منصوب على التمييز. قال أبو علي^(٢): «قد تبين من قولهم: ﴿وَنَحْفِظُ أَخَانَا﴾ وقولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ أنهم قد أضافوا إلى أنفسهم حفظًا»، وإذا كان كذلك فالمعنى: أنه خير حفظًا من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم؛ أي حفظ الله خير من حفظكم، ومن قرأ^(٣): (حافظًا)، قال أبو إسحاق^(٤) حافظًا منصوب على الحال ويجوز أن يكون^(٥) على التمييز، قال ابن الأنباري: «(حافظًا) منصوب على الحال من اسم الله تعالى، وتلخيصه^(٦): فالله خير الأرباب والسادات في حال حفظه». وقال أبو علي^(٧): «ينبغي أن يكون (حافظًا) منتصبًا على التمييز دون الحال كما كان حفظًا كذلك، والمعنى: حافظ الله خير من حافظكم، كما قلت: حفظ الله خير من حفظكم؛ لأن الله - سبحانه - له حفظة كما أنه له حفظًا، فحافظه خير من حافظكم، كما أن حفظه خير من حفظكم، ولا يكون (حافظًا) في الآية منتصبًا على الحال».

٦٥. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾ الآية. المتاع ما يصلح للاستمتاع عامًا في كل شيء وهاهنا يجوز أن يراد به ذلك الطعام الذي حملوه، ويجوز أن يراد به أوعية الطعام.

(١) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٣.

(٢) الحجة ٤٣٩/٤.

(٣) اختلفوا في إدخال الألف وإسقاطها، وفتح الحاء وكسرها من قوله (خيرٌ حفظًا) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (حفظًا) بكسر الحاء من غير ألف، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (خيرٌ حَافِظًا) بفتح الحاء وألف بعدها، انظر: السبعة ٣٥٠، وإتحاف ٢٦٦، والطبري ١١/١٣، وابن عطية ١٦/٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٣.

(٥) في (ج) بزيادة (منصوب).

(٦) وتلخيصه (ساقط من (ج)).

(٧) الحجة ٤٣٩/٤، ٤٤٠.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَكْتُبَانَا مَا نَبْغِي ﴾ ذكر الفراء^(١) والزجاج^(٢) وابن الأنباري^(٣) في هذا وجهين أحدهما: أن يكون (ما) استفهاماً ويكون في موضع نصب، المعنى: أي شيء نريد وقد ردت علينا بضاعتنا؟ قال الفراء: «وهو كقولك في الكلام: ماذا نبغي بعد الوصول إلى ما لم نكن نقدره ولا نطمح في مثله». أي لا نبغي وراء هذا شيئاً، وهذا معنى قول قتادة^(٤). قال: «وما نبغي وراء هذا الذي وصلنا إليه».

الوجه الثاني: أن يكون (ما) نفيًا، كأنهم قالوا: ما نبغي شيئاً هذه بضاعتنا. وقال الفراء^(٥) وأبو بكر^(٦): «كأنهم قالوا: لسا نطلب منك دراهم وما نبغي منك بضاعة نرجع بها إليه، بل يكفيننا بضاعتنا هذه التي ردت إلينا»، وهو قوله: ﴿ هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾، والإشارة إلى البضاعة تحتل معنيين أحدهما: أنهم لم يثقوا بمعرفة أبيهم لها، فعرفوها بإشارتهم إليها، والآخر: أن معنى الإشارة هاهنا التقريب^(٧) للرد والتحقيق له، كقول القائل: هذه الشمس قد طلعت، فتقرب بهذه طلوع الشمس وتحققه، ولا يعرف بها عين الشمس، فمن جعل (هذه) إشارة أجاز أن يكون رُدَّتْ خبراً مستأنفاً، ويمكن أن يكون حالاً من البضاعة بإضمار (قد) معه؛ لأن (قد) تقرب الماضي من الحال، والتقدير: هذه بضاعتنا مردودة إلينا. ومن جعل هذه للتقريب لا يميز استئناف (ردت)؛ لأن خبر التقريب يُفتقر إليه، كما يُفتقر إلى خبر (إن) و(كان)، فلا يجوز الاقتصار على (هذه بضاعتنا) دون ذكر (ردت) في هذا الوجه، وفي الوجه الأول يجوز،

(١) معاني القرآن ٤٩/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١١٨/٣.

(٣) الوقف والابتداء ٢/٧٢٥، ٧٢٦، وزاد المسير ٢٥٢/٤.

(٤) الطبري ١٣/١١، وابن أبي حاتم ٧/٢١٦٦ وأبو الشيخ كما في الدر ٤٨/٤.

(٥) معاني القرآن ٤٩/٢.

(٦) زاد المسير ٢٥٢/٤.

(٧) في (أ) و(ب): (للتقريب).

قال المفسرون^(١) : إنهم أرادوا بهذا الكلام أن يطيبوا نفس أبيهم على الإذن لهم بالمعاودة وإرسال^(٢) بنيامين معهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلِنَا ﴾ عطف على قوله : ﴿ مَا نَبْغِي ﴾ كأنهم قالوا : ما نبغي منك في هذا الوجه شيئاً تصرفنا به ، ومع ذلك نمير أهلنا ؛ أي نجلب إليهم الطعام ، قال الأصمعي^(٣) : «ماره يميّره ميراً ، إذا أتاها بميرة أي بطعام» . ومنه يقال : «ما عنده خير ولا مير»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَدَاذْ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ أي نزيد حمل بعير من الطعام . قال الزّجاج^(٥) : «لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير» .

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ قال الحسن^(٦) : «أي يأتي ذلك متيسراً»^(٧) على من يكيل لنا» .

ونحو هذا قال مقاتل^(٨) قال : «معناه ذلك كيل يسير على هذا الرجل المحسن لسخائه وحرصه على البذل» ، وهو اختيار الزّجاج^(٩) : «أي سهل على الذي

(١) الثعلبي ٧/ ٩٤أ ، والبغوي ٤/ ٢٥٧ ، وزاد المسير ٤/ ٢٥٢ .

(٢) في (أ) و(ج) : (وإن سأل) .

(٣) تهذيب اللغة (مار) ٤/ ٣٣٢٥ ، والرازي ٨/ ١٧١ .

(٤) مثل يضرب لمن ليس عنده خير عاجل ، ولا يرجى منه أن يأتي بخير . مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٢٨٢ ، وكتاب الأمثال لأبي عبيد ٣٠٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٨ .

(٦) تفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٢٧٦ .

(٧) في (ب) : (مبشر) .

(٨) تفسير مقاتل ١٥٥ب ، قال : «سريع لا حبس فيه» ، والرازي ١٨/ ١٧١ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٩ .

نمضي إليه». وقال آخرون^(١) : ذلك كيل سهل قصير الوقت والمدة ، ليس سبيل مثله أن نشتغل ولا نضطر إلى الاحتباس والتأخير عن الأبوة إليك .

٦٦ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾ الموثق^(٢) :

مصدر بمعنى الثقة ، ومعناه : العهد الذي يوثق به ، فهو مصدر بمعنى المفعول ، يقول : لن أرسله معكم حتى تعطوني عهداً موثقاً به .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ أي عهداً يوثق به من جهة إشهاد الله ، أو القسم بالله ؛ فالموثق من أنفسهم ، وكلهم يؤكدون ذلك بإشهاد الله عليه ، وبالقسم بالله عليه ، فيوثق بذلك العهد من هذه الجهة .

وقوله تعالى : ﴿ لَتَأْتُنِّي بِهِ ﴾ دخلت اللام هاهنا لأن قوله : ﴿ تُؤْتُونَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾ موثقاً من الله معناه اليمين ؛ أي حتى تحلفوا بالله لتأتني به .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(٣) : «يريد إلا أن يأتيكم من الله أمر غالب لا طاقة لكم به» . وذكر المفسرون وأهل المعاني^(٤) في هذا قولين أحدهما : أن قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ معناه الهلاك . قال مجاهد^(٥) : «إلا أن تموتوا كلكم» . وقال ابن إسحاق^(٦) : «إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعاً فيكون ذلك عذراً لكم عندي» ، والعرب تقول : أحيط بفلان : إذا دنا هلاكه ،

(١) هذا القول نسبة في زاد المسير ٢٥٣/٤ إلى مقاتل .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٢٦٦/٩ .

(٣) ذكره الثعلبي ٩٤/٧ عن مقاتل ، وتنوير المقياس ١٥١ بنحوه .

(٤) الطبري ١٦٣/١٦ ، والثعلبي ٩٤/٧ ب ، والبغوي ٤٣٧/٢ ، وابن عطية ٣٣٦/٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٤١/٣ ، ومعاني الفراء ٥٠/٢ .

(٥) الطبري ١٦٣/١٦ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٢٧/٤ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٥٥٦/٤ ، والثعلبي ٩٤/٧ ب ، والبغوي ٤٣٧/٢ ، وابن عطية ٣٣٦/٩ ، وزاد المسير ٢٥٣/٤ .

(٦) الطبري ١٦٤/١٦ .

قال الله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ ﴾ [الكهف: ٤٢] ؛ أي أصابه ما أهلكه ، وأصله أن ما أحاط به العدو أو ما يخافه انسدت عليه مسالك النجاة ودنا هلاكه ، فقليل لكل ما هلك : قد أحيط به ، القول الثاني : ما ذكره معمر عن قتادة ^(١) ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ قال : «إلا أن تغلبوا ولا تطيقوا الرجوع» ، وهذا اختيار الزجاج ^(٢) قال : «معنى الإحاطة أن يحال بينهم وبينه فلا يقدر على الإتيان به» . وذكر ابن قتيبة ^(٣) الوجهين جميعاً فقال : «إلا أن تشرفوا على الهلكة ، وتغلبوا» ، والذي ذكرنا عن ابن عباس يحتمل الوجهين جميعاً ، والإحاطة بالشيء يتضمن الغلبة ، وذكرنا بعض هذا في قوله : ﴿ وَأَحْطَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ [البقرة: ٨١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ ^(٤) قال أبو إسحاق ^(٥) : «وموضع (أن) في قوله : ﴿ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ نصب ، والمعنى لتأتوني به إلا للإحاطة بكم ، وهذا يسمى مفعولاً ، وتقول : ما تأتيني إلا لأخذ الدراهم ، وإلا أن يأخذوا الدراهم» .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ ﴾ قال ابن عباس ^(٦) : «يريد العهد» . قال يعقوب : ﴿ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ : يريد شهيد ، وإنما جعل الوكيل بمعنى الشهيد ؛ لأن الشهيد وكيل في معنى أنه موكل إليه القيام بما أشهد عليه . وقال ابن قتيبة ^(٧) : «كفيل» .

(١) الطبري ١٣/ ١٢ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٢٥ ، والبغوي ٤/ ٢٥٧ ، وابن عطية ٨/ ٢١ ، والقرطبي ٩/ ٢٢٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٩ .

(٣) مشكل القرآن وغريبه ٢٢٧ .

(٤) يونس ٢٢ ، وقال هنالك : «قال أبو عبيدة والقتبي : أي دنوا من الهلاك ، وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من الهلاك» .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٩ .

(٦) زاد المسير ٤/ ٢٥٣ ، وتنوير المقياس ١٥٢ ، وقال به الطبري ١٣/ ١٣ ، والثعلبي ٧/ ٩٤ ب .

(٧) مشكل القرآن وغريبه ٢٢٧ .

٦٧. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ لما أراد بنوه الخروج من عنده قال لهم: لا تدخلوا من باب واحد يعني مصر^(١)، ﴿وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾. أمرهم بالتفرق حذراً من العين عليهم، إذ كانت العين حقاً، وكانوا أولي جمال وكمال، وأبناء رجل واحد يجتمعون في الحسن الظاهر والجمال البارع.

وهذا قول ابن عباس^(٢) وقتادة^(٣) والضحاك^(٤) والسدي^(٥) والحسن^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال ابن الأنباري^(٧): «يعني: أن الله إن شاء يهلكهم متفرقين هلكوا وهم متفرقون كما يهلكون وهم مجتمعون»، وقال أهل المعاني: أفاد قوله (لا تدخلوا من باب واحد) النصيحة لهم والمنع من الأمر الذي يغلب على من أتاه واستعمله سبق العين إليه، وأفاد قوله: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ تفويض الأمر إلى الله تعالى وأن الحذر لا ينفع من القدر، وأمر العين حق قد رويت فيه أخبار كثيرة، وكان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل

(١) في (أ) و(ب) و(ج) تكرار (يعني مصر وادخلوا).

(٢) الطبري ١٣/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٦٨/٧ كما في الدر ٤/٤٩، وزاد المسير ٤/٢٥٤، والقرطبي ٢٢٦/٩.

(٣) الطبري ١٣/١٣، وعبدالرزاق ٢/٣٢٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٦٩/٧ وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٤٩، وزاد المسير ٤/٢٥٤، والقرطبي ٢٢٦/٩.

(٤) الطبري ١٣/١٣، والقرطبي ٢٢٦/٩.

(٥) الطبري ١٣/١٣ وابن أبي حاتم ٢١٦٨/٧.

(٦) الرازي ١٨/١٧٤.

(٧) زاد المسير ٤/٢٥٤، والبغوي ٤/٢٥٨.

شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» ويقول : هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحق ، صلوات الله عليهم أجمعين^(١) .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ﴾ ، قال المفسرون^(٢) : كان لمصر أربعة أبواب فدخلوها من أبوابها كلها .

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، قال ابن عباس^(٣) : «يريد ما كان ذلك ليرد قضاء قضاءه الله ولا أمراً قدره الله» ، وقال أبو إسحاق^(٤) : «فتأويل ﴿ مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرون كما تصيبهم مجتمعين» ، وقال ابن الأنباري : «معناه لم يسبق في علم الله أن العين تهلكهم عند الاجتماع ، فكان تفرقهم كاجتماعهم» . وعلى ما ذكر من التأويل يكون التقدير : ما كان يغني عنهم ذلك الدخول من الأبواب المتفرقة من الله شيئاً لو قضى وقدر (فمن) في قوله : ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ دخلت على المفعول كقولك : ما رأيت من أحد . وفي الآية محذوف وهو (لو قضى) على ما ذكرنا ، وذكر أبو إسحاق^(٥) وجهاً آخر فقال : «وجائز أن يكون لا يغني عنهم مع قضاء الله شيء» ، وعلى هذا : (من) دخلت على الفاعل نحو : ما جاءني من أحد ، والتقدير : ما كان يغني عنهم من الله شيء مع قضائه ، والمحذوف على هذا التقدير

(١) (أجمعين) زيادة من (ج) .

والحديث أخرجه البخاري (٣٣٧١) في كتاب أحاديث الأنبياء ، ١٠-باب ، وأخرجه أبو داود في سننه (٤٧٣٧) في كتاب السنن ، باب في القرآن من حديث ابن عباس ، والترمذي (٢٠٦١) في كتاب الطب ، باب ما جاء أن العين حق والغسل لها .

وابن ماجه في سننه (٣٥٢٥) في كتاب الطب ، باب ما عوذ بالنبي ﷺ وما عوذ به .

(٢) الثعلبي ٧/ ٩٥ ، وزاد المسير ٤/ ٢٥٣ .

(٣) تنوير المقباس ١٥٢ بنحوه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٩ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٩ .

(مع قضائه)، قال المفسرون^(١) : وهذا تصديق من الله تعالى ليعقوب في قوله : ﴿ مَا كَانَتْ تُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ قال الزَّجَّاج^(٢) : «حاجة استثناء ليس من الأول» . المعنى : لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها ، يعني أن ذلك الدخول قضاء حاجة في نفس يعقوب ، وهي إرادته أن يكون دخولهم من أبواب متفرقة شفقة عليهم وخوفاً من العين . والمفسرون^(٣) فسروا الحاجة هاهنا الحزاة والهمة . قال ابن الأنباري : «وقد يقال للحاجة : حزاة لأنها تؤثر في القلب ، ويلزم همها النفس» . المعنى أن ذلك الدخول شفى حزاة قلبه ، ولما سميت الحزاة حاجة ، جعل إزالتها قضاء .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ ﴾ قال ابن عباس^(٤) : «لذو يقين ومعرفة بالله» . وقال الكلبي^(٥) : «لذو عمل» ، ونحو هذا روى سعيد عن قتادة^(٦) : قال : «إنه لعامل بما علم» . قال سفيان^(٧) : «من لا يعمل لا يكون عالماً» ، قال ابن الأنباري^(٨) : «والذي قاله الكلبي جائز تحتمله اللغة ، من قبل أن العلم أول أسباب العمل ، فسمي بما هو من سببه وبما يقع متولداً منه ومبنياً عليه . كما قيل لعيسى : كلمة الله ؛ لأنه بالكلمة وجد وخلق» .

(١) الثعلبي ٩٥/٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/٣ .

(٣) الثعلبي ٩٥/٧ .

(٤) انظر : زاد المسير ٢٥٤/٤ .

(٥) انظر : زاد المسير ٢٥٤/٤ ، والقرطبي ٢٢٩/٩ ، وابن كثير ٥٣١/٢ .

(٦) الطبري ١٣/١٤ ، والثعلبي ٩٥/٧ ، وزاد المسير : ٢٥٤/٤ ، وابن عطية ٢٤/٨ ، وابن أبي حاتم

٢١٦٩/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤٩/٤ .

(٧) الطبري ١٣/١٥ ، والثعلبي ٩٥/٧ ، والبغوي ٢٥٩/٤ ، وابن عطية ٢٤/٨ .

(٨) زاد المسير ٣٥٤/٤ مختصراً .

وقوله تعالى : ﴿لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ يمكن أن يكون (ما) مصدراً والهاء عائدة على يعقوب ، ويكون التقدير : وإنه لذو علم من أجل تعليمنا إياه . ويكون اللام على هذا كهي في قوله : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات : ٨] ، يعني به من أجل حب المال لبخيل ، وهذا معنى قول قتادة^(١) . ويمكن أن تكون (ما) بمعنى (الذي) والهاء عائدة عليها ، ويكون التأويل : وإنه لذو علم لأجل الذي علمناه ، وللخير الذي علمناه ، وللعلم الذي بيناه له . وقيل في التفسير : وإنه لذو فهم لما علمناه أي ذو حفظ^(٢) ومراقبة لما علمناه . وقال أهل المعاني : مدحه الله تعالى بالعلم لقوله : ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَنَّ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ علم أن الحذر لا ينفع من القدر وأن المقدور كائن .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذكر في هذا قولين : أحدهما^(٣) : ولكن أكثر الناس لا يعلمون علم^(٤) يعقوب . والثاني^(٥) : لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة في العلم . قال ابن عباس في قوله^(٦) : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «يريد المشركين لا يعلمون ما قد ألهم أولياءه» .

٦٩ . قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ﴾ قال محمد بن إسحاق^(٧) وغيره من المفسرين^(٨) : إن إخوة يوسف لما أقدموا أخاه عليه ، قالوا له : قد امتثلنا أمرك وأقدمنا أخانا الذي أحببت

(١) وهو قول الزجاج في معانيه ١١٩ / ٣ ، والفراء ٥٠ / ٢ .

(٢) هذا القول ذكره الفراء في معانيه ٥٠ / ٢ .

(٣) ذكره الثعلبي ١٩٥ / ٧ ، والطبري ١٤ / ١٣ .

(٤) في (أ) و(ج) : (علمه) .

(٥) الرازي ١٧٧ / ١٨ .

(٦) الرازي ١٧٧ / ١٨ .

(٧) الطبري ١٥ / ١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٧٠ / ٧ .

(٨) الطبري ١٥ / ١٣ عن السدي ، وابن أبي حاتم ٢١٧٠ / ٧ عن قتادة ، والثعلبي ١٩٥ / ٧ .

حضوره ، فقال لهم : قد أحستتم في ذلك ، وأمر صاحب ضيافته أن ينزلهم ويزيد في تكرمتهم وإثرتهم ، وأن ينزل كل اثنين منهم في منزل . فبقي أخوه منفرداً فقال : قد أشفقت على هذا من الوحدة والتفرد فأحببت أن أضمه إلي ليأنس ويزل عنه الاستيحاش والذعر . فذلك قوله : ﴿ ءَاوَيْتَ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ أي ضمه إليه وأنزله معه . قاله الحسن^(١) وقتادة^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾ قال ابن عباس^(٣) : « قال له يوسف : أنا يوسف بن راحيل » . ونحو هذا قال ابن إسحاق^(٤) وجماعة من المفسرين^(٥) ، قالوا : اعترف له بالنسب ، وقال : لا تخبر أحداً منهم بما ألقيت إليك . وقال وهب^(٦) والشعبي^(٧) : « لم يعترف له بالنسبة ، ولكنه قال تطيباً لنفسه : أنا أخوك بدل أخيك المفقود » ، وذلك أنه لما ضمه إليه خلا به وسأله عن حاله ، فذكر وجده بأخ له من أبيه وأمه فقد ، قال له يوسف : أنا أخوك بدل أخيك الهالك .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ قال ابن عباس^(٨) : « يريد فلا تغتم ولا تحزن » . ونحوه قال قتادة^(٩) وغيره ، ﴿ تَبْتَئِسْ ﴾ تفعليل من البؤس وهو الضر والشدة ؛

-
- (١) انظر : زاد المسير ٢٥٥/٤ ، والقرطبي ٢٢٩/٩ ، والرازي ١٧٧/١٨ .
 (٢) الطبري ١٣/١٥ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٧٠ وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٥٠ ، وزاد المسير ٤/٢٥٥ .
 (٣) زاد المسير ٤/٢٥٥ .
 (٤) الطبري ١٣/١٥ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٧٠ ، وزاد المسير ٤/٢٥٥ ، وابن عطية ٨/٢٤ .
 (٥) الثعلبي ٧/٩٦ ، والقرطبي ٩/٢٢٩ ، والبغوي ٤/٢٥٩ ، والرازي ١٨/١٧٨ .
 (٦) الطبري ١٣/١٥ ، والثعلبي ٧/٩٦ ، وزاد المسير ٤/٢٥٥ ، وابن عطية ٨/٢٥ .
 (٧) الثعلبي ٧/٩٦ .
 (٨) تنوير المقياس ١٥٢ .
 (٩) الطبري ١٣/١٦ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٧٠ ، والثعلبي ٧/٩٦ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٥٠ ، وزاد المسير ٤/٢٥٦ .

أي لا يلحقنك بؤس . هذا قول أهل اللغة^(١) . وقال أهل المعاني (لا تبتئس) : اجتلاب البؤس بالحزن .

وقوله تعالى : ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال ابن الأنباري^(٢) : «نذبه إلى أن لا يحزن على ما يقع به من إخوته في المستقبل حين يسرقونه ويشبهونه بأخيه في السرقة» ، (وكانوا) بمعنى يكونون ، وتقديره : لا تبتئس بما يكونون يعملون بعد هذا الوقت ، إلى هذا المعنى ذهب مقاتل بن سليمان^(٣) ، والعرب تجعل (كان) في موضع يكون ، (ويكون) في موضع (كان) إذا انكشف المعنى ، قال الشاعر^(٤) :

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ

لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْنَعًا

أراد : لمن يكون ، وقال زياد^(٥) :

وَأَنْضَحُ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا

فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَائِحِ

(١) زاد المسير ٢٥٦/٤ ، وعزاه لابن الأنباري وانظر : تهذيب اللغة (بئس) ٤١١/١ ، واللسان (بئس) ٢٠٠/١ .

(٢) زاد المسير ٢٥٦/٤ .

(٣) تفسير مقاتل ١٥٦ أ .

(٤) البيت لجرير بن عطية ، وهو في ديوانه ٢٦٣ ، وزاد المسير ٢٥٦/٤ .

(٥) البيت لزياد الأعجم وهو زياد بن سُلمى ، وقيل زياد بن جابر بن عمرو بن عامر ، من عبد القيس ، وقيل له الأعجم ، للكثرة كانت فيه ، شاعر إسلامي ، شهد فتح اصطخر ، وتوفي في حدود المائة للهجرة ، انظر : الشعر والشعراء ٢٧٩ ، ومعجم الأدباء ٣٠٢/٣ .

وهو في ديوانه ٥٤ ، والخزانة ١٩٢/٣ ، وأمالى المرتضى ١٩٩/٢ ، ٣٠١ ، والشعر والشعراء ٢٨٠ ، وزاد المسير ٢٥٦/٤ ، واللسان (كون) ٣٩٦٢/٧ ، ونسب للصلتان العبدى في أمالي المرتضى ١٩٩/٢ ، وبلا نسبة في تلخيص الشواهد ٥١٢ .

أراد : فلقد كان ، وروى الكلبي عن ابن عباس^(١) : «أن إخوة يوسف كانوا يعيرون يوسف وأخاه لعبادة جدّهما أبي أمّهما الأصنام ، وبأن راحيل أمّهما أمرت يوسف فسرق جونة كانت لأبيها فيها أصنام ، رجاء أن يترك عبادتها إذا فقدّها ، فقال له : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ أي من التعيير لنا بما كان عليه جدّنا » .

وقال آخرون^(٢) : ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من إقامتهم على حسدنا والحرص على انصراف وجه أبنينا عنا ، وعلى ما ألزموك من الأسف بما فعلوا بي ، فقد جمع الله بيني وبينك ، وأرجو أن يجمع الله بيننا وبين يعقوب .

٧٠ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ الآية ، مضى الكلام في الجهاز والرحل^(٣) . وأما السقاية فقال الليث^(٤) : «السقاية الصواع الذي كان يشرب فيها الملك» .

وقال غيره : السقاية^(٥) الإناء الذي يُسقى فيه ، وهو هاهنا صواع الملك الذي كان يشرب منه .

قال ابن عباس^(٦) في رواية عطاء : «وكان قدحاً من زبرجد ، وكان يشرب فيه الماء ، وكان موضوعاً بين يدي يوسف» . وقال ابن زيد^(٧) : «كان كأساً من

(١) زاد المسير ٢٥٦/٤ ، والرازي ١٧٨/١٨ .

(٢) زاد المسير ٢٥٦/٤ ، والرازي ١٧٨/١٨ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ ﴾ [يوسف : ٥٩] . وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رَحْلِهِمْ ﴾ [يوسف : ٦٢] .

(٤) تهذيب اللغة (سقى) ١٧١٥/٢ ، واللسان (سقى) ٢٠٤٣/٤ .

(٥) تهذيب اللغة (سقى) ١٧١٥/٢ ، واللسان (سقى) ٢٠٤٣/٤ .

(٦) الطبري ١٧/١٣ بنحوه ، وزاد المسير ٢٥٨/٤ .

(٧) الطبري ١٧/١٣ ، وزاد المسير ٢٥٩/٤ ، والثعلبي ٩٦/٧ ب .

ذهب». وقال ابن إسحاق^(١) وعكرمة^(٢): «كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قال المفسرون وأهل اللغة^(٣): نادى مُناد وأعلم مُعلم. قال ابن الأنباري^(٤): «(أَذَّنَ) معناه أعلم إعلماً بعد إعلام؛ لأن (فَعَّلَ) يوجب تكرير الفعل، ويجوز أن يكون إعلماً واحداً من قبل أن العرب تجعل فَعَّلَ بمعنى أفعَل في كثير من المواضع»، وقال سيبويه^(٥): «الفرق بين أَذَّنْتُ وَأَذَنْتَ، معناه أعلمت، لا فرق بينهما»، والتأذين معناه النداء والتصويت بالإعلام، ومضى الكلام في هذا الحرف مستقصى في مواضع منها قوله: ﴿فَأَذَّنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَأَذَّنَ مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣].

-
- (١) الثعلبي ٩٦/٧ ب.
- (٢) أخرج ابن أبي حاتم عنه كما في الدر ٥٠/٤ قوله: «كان كأساً من ذهب على ما يذكرون» قلت في ابن أبي حاتم ٢١٧١/٧ هذا القول عن ابن زيد وأخرج الطبري ١٩/١٣، وأبو الشيخ كما في الدر ٥٠/٤ قال: «كان فضة»، وزاد المسير ٢٥٨/٤، والثعلبي ٩٦/٧ ب.
- (٣) الطبري ١٧/١٣، والثعلبي ٩٦/٧ ب، والبغوي ٢٦٠/٤، وزاد المسير ٢٥٧/٤، وتهذيب اللغة (أذن) ١٤٠/١، واللسان (أذن) ٥٣/١.
- (٤) الزاهر ٢٩/١.
- (٥) الكتاب ٦٢/٤.
- (٦) الأعراف ٤٤. وقال هنالك ما ملخصه: «معنى التأذين في اللغة: النداء والتصويت بالإعلام، والأذان للصلاة لإعلام بها وبوقتها...».

وقوله تعالى : ﴿ أَيْتُهَا أَلْعِيرُ ﴾ قال أبو الهيثم^(١) : « كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال فهي عير » . قال : « وقول من قال العير : الإبل خاصة باطل » ، قال : « وقال^(٢) نُصير^(٣) : الإبل لا تكون عيراً حتى يمتار عليها » .

وقال أبو عبيدة^(٤) : « العير الإبل الرحولة المركوبة » ، والصحيح في العير أنها القافلة التي فيها الأحمال ، والأصل للحمير إلا أنه كثر حتى سمي كل قافلة محملة عيراً تشبيهاً بتلك .

قال مجاهد^(٥) : « كانت العير حميراً » .

وقال مقاتل^(٦) بن سليمان : « العير الرفقة » .

قال ابن الأنباري : « ولا تكون العير رفقة أبداً إلا على قيام مقام الرفقة وتأديتها عنها »^(٧) .

قال أبو إسحاق^(٨) : « معناه يا أصحاب العير ، ولكن قال : (أيتها العير) ، وهو يريد أهلها ، كقوله : ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ ، ويا خيل الله اركبي » .

(١) تهذيب اللغة (عير) ٣ / ٢٢٧٤ .

(٢) في (ج) : (وقتل) .

(٣) تهذيب اللغة (عير) ٣ / ٢٢٧٥ .

(٤) زاد المسير ٤ / ٢٥٧ ، والقرطبي ٩ / ٢٣٠ .

(٥) الطبري ١٣ / ١٨ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٧٢ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤ / ٥٠ ، وأبو عبيد كما في الدر ٤ / ٤٨ .

(٦) تفسير مقاتل ١٥٦ .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(ب) و(ج) وهو في (ي) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٢٠ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ قال أبو علي: «التقدير فقال: إنكم لسارقون». فإن قيل: لم سَرَقَ يوسفُ من لم يَسْرِقَ وهم لم يسرقوا شيئاً؟ قيل^(١) معناه: إنكم لسارقون يوسف من أبيه، حين طرحتموه في الحب.

وقيل^(٢): إن المنادي نادى وعنده أنهم قد سرقوا السقاية، ولم يعلم أن يوسف أمر بوضعها في رحل أخيه، وإنما كان أمر بذلك على ما أمره الله - عز وجل - فلما فقدوها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها، على أن النداء بالتسريق كان بغير أمر يوسف ولا علمه، فكان الكذب زائلاً عن نبي الله في الحالات كلها.

٧١. قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني أصحاب العير وهم إخوة يوسف، ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس^(٣): «يريد أقبل هذه الرفقة على غلمان يوسف». فعلى هذا المعنى قال إخوة يوسف، وقد أقبلوا على المؤذن ومن معه، والمؤذن كان معه قوم يقولون بقوله ويصححون دعواه. قاله أبو بكر^(٤) قال: «ويجوز أن يكون المعنى: قال إخوة يوسف، وقد أقبل المنادي ومن معه بالدعوى والمطالبة؛ لأنه قد تقدم ذكر الفريقين، وصلاح صَرْف الإقبال إلى كل فريق منهما».

(١) قال به الرَّجَّاجُ انظر: معاني القرآن وإعرابه ١٢٣/٣.

(٢) وهو قول ابن جرير الطبري، انظر: الطبري ٢٨/١٣.

(٣) تنوير المقباس ١٥٢ بنحوه، وانظر: البغوي ٢٦٠/٤، وزاد المسير ٢٥٨/٤.

(٤) زاد المسير ٢٥٨/٤.

٧٢. قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال أبو إسحاق^(١): «الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث وهو السقاية، وكذلك الصاع أيضاً يذكر ويؤنث، والدليل على أنها بمعنى، قراءة^(٢) أبي هريرة (قالوا نفقد صاع الملك)» وزاد الفراء^(٣): «فمن أنثه قال: ثلاث أصوع، مثل ثلاث أدور، [ومن ذكره]^(٤) قال: أصواع، مثل أثواب». وقال الحسن^(٥): «الصواع والسقاية شيء واحد، ويجمع الصاع أيضاً صيعاناً».

وقال بعض أهل التأويل^(٦): الاسم الحقيقي لهذا الإناء: الصواع، والسقاية وصف، قال: وهذا نحو قولهم: كوز وإناء وسقاء، فالاسم المختص هو الكوز، والوصف هو السقاء إذ كان مشتركاً، وقال جماعة من المفسرين: الصواع كان على [صيغة المكوك أو القفيز يشربون فيه، ويسقون دوابهم]^(٧)، ويكيلون به إذا احتاجوا إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ جُمْلٌ بَعِيرٌ﴾ أي من الطعام، ﴿وَأَنَاءٌ بِهِ زَعِيمٌ﴾ قال مجاهد^(٨): «الزعيم هو المؤذن الذي أذن، وتفسير زعيم كفيل».

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٢٠/٣.

(٢) ذكر القراءة الزجاج ١٢٠/٣، والثعلبي ٩٧/٧، والطبري ١٨/١٣، وابن عطية ٢٨/٨، وأخرج هذه القراءة عن أبي هريرة سعيد بن منصور وابن الأثيري كما في الدر ٥٠/٤، والمذكر والمؤنث لابن الأثيري ٤٤١/١.

(٣) معاني القرآن ٥١/٢.

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (أ).

(٥) الطبري ١٦/١٣، وقد ذكر هذا القول الثعلبي ٩٦/٧ ب، والبغوي ٢٦٠/٤، وزاد المسير ٢٥٧/٤، والقرطبي ٢٢٩/٩.

(٦) ذكر هذا القول في زاد المسير ٢٥٧/٤، والرازي ١٧٩/١٨.

(٧) ما بين المعقوفين من (ي).

(٨) الطبري ٢٠/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٧٤.

وقال الكلبي : «الزعيم الكفيل بلسان أهل اليمن» . نحو هذا قال المفسرون وأهل اللغة^(١) في الزعيم أنه الكفيل .

أبو عبيدة^(٢) عن الكسائي : «زعمت به أزعم زعماً وزعامة ؛ أي كفلت به ، وهذه الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شريعتهم ، وقد حكم بها رسول الله ﷺ في قوله : «الزعيم غارم»^(٣) .

فإن قيل :^(٤) هذه كفالة بشيء مجهول ، قلنا : حمل^(٥) بعير من الطعام كان معلوماً عندهم فصحت الكفالة به ، غير أن هذا كفالة مال لرد سرقة ، وهو كفالة ما لم يجب ؛ لأنه لا يحل للشارق أن يأخذ شيئاً على رد السرقة ، ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم .

٧٣ . وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَأَلَّهٖ ﴾ قال الفرّاء^(٦) : «العرب لا تقول : تالرحمن ، ولا يجعلون مكان الواو تاء إلا في الله ، وذلك أنها أكثر

(١) روى هذا القول الطبري ١٣/ ٢٠ ، ٢١ ، عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وابن إسحاق ، وذكره الثعلبي ٧/ ٩٧ ، والبغوي ٤/ ٢٦٠ ، وزاد المسير ٤/ ٢٥٩ ، وابن عطية ٨/ ٢٩ ، وغيرهم .

وانظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣١٥ ، ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢٢٧ ، ومعاني الزّجاج ٣/ ١٢٠ ، ومعاني الفرّاء ٢/ ٥١ .

(٢) تهذيب اللغة (زعم) ٢/ ١٥٣٣ وفيه أبو عبيد بدل أبي عبيدة ، والرازي ١٨/ ١٧٩ ، والظاهر ٢/ ١٣٠ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي (١٢٦٥) في كتاب البيوع ، باب ما جاء في أن العارية مؤداة من حديث أبي أمامة ، وقال عنه : حديث حسن ، وأبو داود (٣٥٦٥) في كتاب البيوع ، باب تضمين العارية ، وابن ماجه (٢٤٠٥) في كتاب الصدقات باب الكفالة . وصححه الألباني في إرواء الغليل : (١٤١٢) ، وقال : أخرجه الطيالسي (١١٢٨) وعنه البيهقي ٦/ ٨٨ ، وأحمد ٥/ ٢٦٧ ، وأبو داود : (٣٥٦٥) ، وابن عدي ١/ ١٠ .

(٤) القرطبي ٩/ ٢٣٢ ، والرازي ١٨/ ١٨٠ .

(٥) (حمل) مكرر في (ج) .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٥١ والتّجاه من واجهك .

الأيمان مجرى في الكلام ، فتوهوا أن الواو منها لكثرتها في الكلام وأبدلوها تاء ، كما قالوا : التراث وتترى ، وهو من المواثرة والتُّخمة والتُّجاه ، وقال البصريون^(١) : الواو في (والله) بدل من التاء ، والتاء بدل من الواو ، فضعفت عن التصريف في سائر الأسماء ، وجعلت في ما هو أحق بالقسم وهو اسم الله جل وعز . وإنما جاز إبدال التاء من الواو ؛ لأنها من حروف الزوائد والبدل ، والتاء أقرب حروف البدل إلى الواو .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال المفسرون وجميع أهل المعاني^(٢) : حلفوا على علمهم بذلك ؛ لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يظلمون أحداً ولا يرزأون شيئاً لأحد في سفرهم ، ولا يعيشون في بستان أحد ولا زرع ، حتى يُرَوَى أنهم قد كَمَمُوا^(٣) أفواه إبلهم لئلا تعيث^(٤) في زرع ، ومن كانت هذه صفته فهو غير قاصد لفساد .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ وذلك أنهم لما وجدوا بضاعتهم [في رحالهم] لم يستحلوا أخذها وبادروا بردها ، قالوا : فلو كنا سارقين لم نردد بضاعتكم^(٥) حين أصبناها مع أمتعتنا ، ومن رد ما وجده كيف يكون سارقاً .

٧٤ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي ما جزاء السرق إن كنتم كاذبين في قولكم : (ما كنا سارقين) ، وقد سبق من الكلام ما يدل على السرق .

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٥٠ ، والرازي ١٨/ ١٨٠ ، وزاد المسير ٤/ ٢٥٩ .

(٢) الطبري ١٣/ ٢١ ، والثعلبي ٧/ ٩٧ ، والبغوي ٤/ ٢٦١ ، وابن عطية ٨/ ٢٩ ، وزاد المسير ٤/ ٢٦٠ ، والرازي ١٨/ ١٨٠ ، والقرطبي ٩/ ٢٣٤ ، ومعاني الفراء ٢/ ٥١ ، ومعاني الزجاج ٣/ ٤٤٧ .

(٣) في (أ) و(ج) : (كعموا) .

(٤) في (ب) : (تعث) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) وهو في (ب) .

٧٥. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ قال ابن عباس^(١) والمفسرون^(٢): «كانوا في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقة، وكان استعباد السارق لهم يجري مجرى القطع لنا، فلذلك قالوا: جزاؤه من وُجد في رحله؛ أي جزاء السرقة من وجد السرقة في رحله ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي فالسارق جزاء السرقة.

قال أبو إسحاق^(٣): «جزاؤه ابتداء، (ومن وجد في رحله) الخبر»، والمعنى: جزاء السارق الإنسان الموجود في رحله المسروق، ويكون قوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ زيادة في الإبانة [كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه، فتذكر (فهو جزاؤه) زيادة في الإبانة]^(٤).

قال: ويجوز أن يكون قوله: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ فهو جزاؤه ﴿جملة في موضع خبر الابتداء والعائد منها إلى الابتداء جزاؤه التي بعد، فهو كأنه قيل: قالوا جزاؤه من وجد في رحله، فهو هو؛ أي فهو الجزاء، وهو كناية عن السارق؛ أي فالسارق جزاؤه، ولكن الإظهار كان أحسن هاهنا لئلا^(٥) يقع في الكلام لبس، ولئلا يتوهم أن (هو) إذا^(٦) عادت ثانية فليست براجعة على الجزاء، والعرب إذا فحمت^(٧) أمراً جعلت العائد عليه إعادة لفظه بعينه.

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٢٦/٢، والطبري ٢٢/١٣، وابن المنذر عن الكلبي كما في الدر ٥١/٤، وتنوير المقباس ١٥٢، وزاد المسير ٢٦٠/٤.

(٢) الطبري ٢٢/١٣، والثعلبي ٩٧/٧، والبغوي ٢٦١/٤، وابن عطية ٣٠/٨، وزاد المسير ٥١/٤، والقرطبي ٢٣٤/٩، وابن كثير ٥٣٢/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢١/٣، وانظر: معاني الفراء ٥١/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٥٠/٢، والطبري ٢٢/١٣.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (أ) و(ب) و(ج): (لئن لا)، وما ذكرته في (ي) وهو في معاني القرآن للزجاج ١٢١/٣.

(٦) في (ج) (ذا) من غير ألف.

(٧) في الزجاج: «إذا أفحمت أمر الشيء».

أنشد النحويون^(١) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ
نَعَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

ولم يقل : يسبقه شيء .

وأنشد ابن الأنباري :

لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاةً يَنْعَبُ دَائِبًا
كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ^(٢)

فأظهر الغراب لعظيم شره عندهم .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال أبو إسحاق^(٣) : «أي مثل هذا الجزء نجزي الظالمين» ، قال ابن عباس^(٤) : «يريد إذا سرق واسترق» .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ﴾ قال المفسرون : لما قال إخوة يوسف : ﴿ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية ، وأقروا بأن من وجد المسروق في رحله فجزاؤه أن يسترق ، قال لهم المؤذن : إنه لا بد من (تفتيش

(١) البيت ينسب لعدي بن زيد وهو في ديوانه ٦٥ ، والأشباه والنظائر ٨ / ٣٠ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢٩ ، ٨٨ ، ٥٦٩ ، ولسوادة ابنه ، ولأمية بن أبي الصلت انظر : الخزانة ١ / ١٨٣ ، وشواهد المغني ٢ / ٨٧٦ ، واللسان (نقص) ٨ / ٤٤٨٨ ، وسيبويه ١ / ١٨٣ ، ومعاني الزجاج ١ / ٤٥٦ ، وشرح شواهد المغني ١٨٦ .

(٢) البيت لجريس . انظر : ديوانه ٧٣ ، وفيه «ينعب بالنوى» ، وأما ابن الشجري ١ / ٢٤٣ ، والطبري ١ / ٤٤٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٢١ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٢ ، وزاد المسير ٤ / ٢٦٠ .

أمتعتكم^(١) وانصرف بهم إلى^(٢) يوسف ، فبدأ يوسف بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ؛ لإزالة التهمة ، والأوعية^(٣) جمع الوعاء وهو كل ما استودع شيئاً فأحاط به ، يقال : أوعيت الشيء في الوعاء أوعيه إيعاء .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ إن شئت رددت الكناية إلى السقاية ، وإن شئت إلى الصواع ، على لغة من يؤنث . وإن شئت على السركة ؛ لأن في ما تقدم دليلاً عليها ، قاله الفراء^(٤) والزجاج^(٥) وابن الأنباري^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ قال الزجاج^(٧) : « موضع الكاف نصب » ، المعنى : مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف .

قال عطاء عن ابن عباس^(٨) : « يريد ألهمنا يوسف هذا الكيد » ، ونحوه قال الربيع^(٩) .

وقال قتادة^(١٠) : « صنعنا ليوسف » .

وقال ابن إسحاق^(١١) : « كذلك كدنا له إخوته حتى ضممنّا أخاه إليه » .

-
- (١) في (ج) : (أوعيتكم) .
 (٢) ما بين القوسين بياض في (ب) .
 (٣) اللسان (وعى) ٤٨٧٦ / ٨ .
 (٤) معاني القرآن ٥٢ / ٢ .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ١٢٢ / ٣ .
 (٦) زاد المسير ٢٦١ / ٤ .
 (٧) إعراب القرآن للنحاس ١٥١ / ٢ ، ولم أجده في معاني الزجاج ١٢٢ / ٣ .
 (٨) الثعلبي ٩٨ / ٧ ، وزاد المسير ٢٦١ / ٤ ، والقرطبي ٢٣٦ / ٩ .
 (٩) الثعلبي ٩٨ / ٧ .
 (١٠) هذا القول أخرجه الطبري ٢٥ / ١٣ ، عن ابن جريج والسدي والضحاك ، وابن أبي حاتم ٢٣٠ / ٤ .
 عن الضحاك .
 (١١) الطبري ٢٥ / ١٣ .

وقال مجاهد^(١) : «كاد^(٢) الله له حتى فعل بأخيه ما فعل» .

هذا قول المفسرين في معنى قوله : ﴿ كَدْنَا ﴾ ، وروى ثعلب عن ابن الأعرابي^(٣) : «الكيد التدبير بباطل أو حق» ، وعلى هذا معنى قوله : ﴿ كَدْنَا لِيُؤْسَفَ ﴾ أي دبرنا له بأن ألهمناه أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليتوصل به إلى حبسه ، وهذا معنى ما حكينا عن المفسرين .

وقال أبو بكر^(٤) : «﴿ كَدْنَا ﴾ وقع خبراً عن الله تعالى ، على خلاف معناه في أوصاف المخلوقين ، فإنه إذا أخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال» . وهو في وصف فعل الله يُعَرِّى من المعاني المذمومة ، ويخلص أنه وقع بمن يكيده ما يريد من حيث لا يشعر به ، ولا يقدر على دفعه ، فهو من الله مشبه بالذي يكون من المخلوقين ، من أجل أن المخلوق إذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمّر له ، والذي يقع به الكيد من الله تعالى يتستر عنه ما كتم الله عاقبته ، والذي وقع بإخوة يوسف من كيد الله تعالى ما انتهى إليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة ، وتمام النعمة ، فحيث جرى الأمر على غير ما قدروا من إهلاكه ، وخلوص أبيهم لهم بعده ، بتدبير الله وخفي لطفه ، جعل ذلك كيداً لما أشبه كيد المخلوقين^(٥) ، وعلى ما ذكر أبو بكر : كيد الله ليوسف عائد إلى جميع ما أعطاه على خلاف تقدير إخوته من غير أن علموا بذلك . وعلى ما ذكره المفسرون : كيد الله له في هذه الآية خاص بإلهامه الحيلة في حبس أخيه .

(١) الطبري ٢٤ / ١٣ .

(٢) كاد ساقط من (ج) .

(٣) تهذيب اللغة (كاد) ٣٠٧٦ / ٤ .

(٤) زاد المسير ٢٦١ / ٤ مختصراً .

(٥) يراجع مبحث منهجه في تفسير آيات العقيدة ، في المقدمة .

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ قال ابن عباس^(١) في رواية عطاء: «في حكم الملك وقضائه». وهو قول قتادة^(٢)، وروى عنه^(٣) أيضاً في سلطان الملك، وهو اختيار ابن قتيبة^(٤).

قال أبو بكر: «والدين معناه في اللغة السلطان».

وأشدد قول زهير^(٥):

فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُّ

وقال الزَّجَّاج^(٦): «في سيرة الملك»، وقال غيره^(٧): «في عادة الملك».

(١) تنوير المقباس ١٥٢، وزاد المسير ٢٦١/٤.

(٢) الطبري ٢٥/١٣، وعبدالرزاق ٣٢٦/٢، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٧٦/٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٥٢/٤، والثعلبي ٩٨/٧، وابن عطية ٣٢/٨، والبغوي ٢٦٢/٤.

(٣) الطبري ٢٥/١٣، وابن أبي حاتم ٢١٧٦/٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٥١/٤، والثعلبي ٩٨/٧، والبغوي ٢٦٢/٤، وابن عطية ٣٢/٨، والقرطبي ٢٣٨/٩.

(٤) مشكل القرآن وغيره ٢٢٧.

(٥) عجز بيت لزهير، وصدده:

لِئِنْ حَلَلْتُ بَجَوِّ فِي بَنِي أَسَدٍ

من قصيدة له يخاطب بها الحارث بن ورقاء الصيدأوي من بني أسد، وكان قد أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم واستاق إبل زهير وراعيه يساراً. وجو: موضع في ديار بني أسد. وعمرو هو عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء. وفدك: قرية بالحجاز، وقد روي: «وحالت دوننا». انظر: ديوانه ٨٣، والكمال ٣٢٨/٣، والأمثال ٢/٢٩٥، وتأويل مشكل القرآن ٤٥٣، واللسان (فدك) ٦/٣٣٦٤، وجمهرة الأمثال ١/١١٦، وتاج العروس (فدك)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٦٨٨.

(٦) معاني القرآن وإعراجه ٣/١٢٢.

(٧) ذكره القرطبي ٢٣٨/٩ ونسبه إلى ابن عيسى، وانظر: تهذيب اللغة (دين) ٢/١١٣٦، واللسان (دين).

وأنشد^(١) :

أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي

قال أهل التفسير^(٢) : كان حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق ، فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك لولا ما كاد الله له تلطفاً حتى وجد السبيل إلى ذلك ، وهو ما أجرى على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق ، فأقروا به وكان ذلك مراده ، وهو معنى قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فكان ذلك بمشيئة الله .

قال أبو إسحاق^(٣) : «موضع (أن) نصب ، لما سقط الباء أفضى الفعل فنصب» ، المعنى : ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة الله .

وقال أبو بكر : «تأويله : ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ويستوجب ضمه إلا بمشيئة الله ذلك ، وتقريبه منه ما لا يوصل إليه إلا بتسهيله وتيسيره» . وروي عن الحسن^(٤) في قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أي إنه الأمر له بذلك ، والمفسرون على أن ذلك كان إلهاماً .

(١) عجز بيت للمُتَقَبِّ العبدِي ، وصدره :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي

من قصيدة له في المفضليات ٢٩٢ ، ديوانه ١٩٥ ، والبيت كما يأتي :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي

الكامل ٣٢٩ / ١ ، والصناعتين ٨٦ ، واللسان (درأ) ١٣٤٩ ، والطبري ٥١١ / ١ ، وتأويل مختلف الحديث ٨٢ ، وتهذيب اللغة ١١٦٦ / ٢ ، وتاج العروس (درأ) ١٥٠ / ١ .

(٢) انظر : الطبري ٢٢ / ١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٧٤ / ٧ ، والثعلبي ٩٨ / ٧ ب ، والقرطبي ٢٣٨ / ٩ ، وزاد المسير ٢٦١ / ٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢٢ / ٣ ، وفيه : «لما سقطت» بدل : «سقط» .

(٤) تفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٢٨٠ .

وقوله تعالى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ﴾ قال أهل المعاني أي^(١) بما نريه من وجوه الصواب في بلوغ المراد ، وفي هذا إشارة إلى رفع درجة يوسف .

وقال أبو بكر^(٢) : « نرفع درجات من نشاء بضروب عطايانا وكراماتنا وأبواب علومنا ، كما رفعنا درجة يوسف على إخوته في كل شيء » .

وقوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ذكر المفسرون في هذا قولين أحدهما : أن المراد بقوله (عليم) الله تعالى ، والمعنى : وفوق كل ذي علم معلّم عليم ، وهو الله تعالى الغني بعلمه عن التعليم ، وهذا قول ابن عباس^(٣) والحسن^(٤) وسعيد بن جبير^(٥) .

وروي عن سعيد أنه قال : « ذكر ابن عباس آية ، فقال رجل من القوم : الحمد لله ، وفوق كل ذي علم عليم ، قال ابن عباس : بئسما قلت : الله هو العليم وهو فوق كل شيء »^(٦) .

قال أبو بكر : « وتأويل الآية على هذا : وفوق كل ذي علم اختص به ، وانكشف له رب العالمين الذي المنة له وكل العلوم منه بدأت وإليه تعود » .

(١) (أي) ساقط من (ج) .

(٢) زاد المسير ٢٦٢ / ٤ .

(٣) الطبري ٢٧ / ١٣ .

(٤) الطبري ٢٧ / ١٣ ، والثعلبي ١٩٩ / ٧ ، وابن عطية ٣٥ / ٨ .

(٥) الطبري ٢٧ / ١٣ .

(٦) الطبري ٢٦ / ١٣ ، وعبد الرزاق ٣٢٦ / ٢ وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٧٧ / ٧ ،

وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات كما في الدر ٥٢ / ٤ ، وابن عطية ٣٥ / ٨ ، والقرطبي ٢٣٨ / ٩ .

والقول الثاني : والذي عليه أكثر المفسرين : وفوق كل ذي علم ممن رفعه الله عليهم قد رفعه الله بالعلم فهو أعلم منه ، وهذا قول ابن عباس^(١) في رواية عكرمة . قال : « يكون هذا أعلم من هذا حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى » ، وفي هذا إشارة إلى أن علم يوسف في ذلك الأمر كان ألطف من علم إخوته .

قال أبو بكر : « قال جماعة من أهل التفسير : إن العالم واجب عليه أن يتهم نفسه ويستشعر التواضع لربه ، ولا يطمع نفسه بالغلبة على العلوم ؛ لأنه لا يخلو عالم من عالم يفوقه » .

٧٧ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ ﴾ الآية ، قال الكلبي وغيره من المفسرين^(٢) : « لما خُرج الصواع من رحل أخي يوسف نكس إخوته رؤوسهم ، وقالوا : ما رأينا كاليوم قط ولدت راحيل أخوين لصّين ، فقال لهم أخوهم : والله ما سرقته ولا علم لي بمن وضعه في متاعي » ، وقيل إنه قال لهم : إن الذي وضع بضاعتكم في رحالكم هو الذي وضع السرقة في رحلي . والمفسرون مختلفون في أن يوسف هل كان أخبر أخاه بالكيد الذي يريد أن يكيد في حبسه عنده ، فمنهم من يقول : كان قد أخبره بذلك ، ومنهم من يقول : لم يخبره ، وهذا معنى قوله : ﴿ قَالُوا ﴾ أي الإخوة ليوسف إن يسرق - أي الصواع - فقد سرق أخ له من قبل . قال عطاء عن ابن عباس^(٣) : « يريدون يوسف ، وكان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرّاً منهم فيتصدق به في المجاعة حتى فطن به إخوته » ، ونحو هذا قال وهب^(٤) في معنى السرقة الذي

(١) الطبري ٢٧/١٣ ، والفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٧٧/٧ ، وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات كما في الدر ٥٢/٤ ، والثعلبي ١٩٩/٧ ، والبغوي ٢٦٣/٤ ، والقرطبي ٢٣٨/٩ .

(٢) الثعلبي ١٩٩/٧ ، والرازي ١٨٣/١٨ .

(٣) زاد المسير ٢٦٣/٤ .

(٤) الثعلبي ٩٩/٧ ب ، والبغوي ٢٦٣/٤ .

وصفوا به يوسف ، ومقاتل عن الضحاك^(١) عن ابن عباس ، وقال سعيد بن جبير^(٢) وقتادة^(٣) سرق صنماً كان لجده أبي أمه وكسره وألقاه على الطريق . وقال محمد بن إسحاق^(٤) ومجاهد^(٥) : «إن جدته خبأت في ثيابه منطقة كانت لإسحاق يتوارثونها بالكبر لتملكه بالسرق محبة لمقامه عندها» .

قال ابن الأنباري^(٦) : «وهو في هذه [كلها غير سارق في الحقيقة لكنه أتى]^(٧) ما يشبه السرقة ، فوصفه إخوته بذلك عند الغضب على جهة التشبيه والتمثيل ، [وقد يوصف بالشيء على جهة التمثيل]^(٨) ، ولا يراد به الحقيقة ، كما روي عن النبي ﷺ قال : «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»^(٩) . تأويله : قال قولاً يشبه الكذب في الظاهر ، وهو صدق عند البحث .

(١) تفسير مقاتل ١٥٦ ب .

(٢) الطبري ٢٩ / ١٣ ، والثعلبي ٩٩ / ٧ ، والبغوي ٢٦٣ / ٤ ، وابن عطية ٣٧ / ٨ ، وزاد المسير ٢٦٣ / ٤ ، والقرطبي ٢٣٩ / ٩ .

(٣) الطبري ٢٩ / ١٣ ، والثعلبي ٩٩ / ٧ ، والبغوي ٢٦٣ / ٤ ، وابن عطية ٣٧ / ٨ ، وزاد المسير ٢٦٣ / ٤ ، والقرطبي ٢٣٩ / ٩ .

(٤) أخرجه ابن إسحاق عن مجاهد كما في الدر ٥٣ / ٤ ، وانظر : البغوي ٢٦٣ / ٤ .

(٥) الطبري ٢٩ / ١٣ ، وابن أبي حاتم كما في الدر ٥٣ / ٤ ، والثعلبي ٩٩ / ٧ ، وزاد المسير ٢٦٣ / ٤ ، والقرطبي ٢٣٩ / ٩ .

(٦) زاد المسير ٢٦٣ / ٤ .

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ي) .

(٩) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) ، (٣٣٥٨) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ، وأخرجه مسلم (٣٢٦٩) في كتاب الفضائل ، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ ، قال الفراء^(١) : «أسر الكلمة أي أضمرها في نفسه ولم يظهرها» .

قال ابن الأنباري^(٢) : «والكلمة التي أسرها في نفسه : أنتم شرُّ مكاناً» ، وزاد من عنده : «فأسرَّ جوابَ الكلمة التي تكلموا بها» ، وتلخيصه : وأمرَّ جوابها في نفسه فحذف المضاف .

وقال أبو إسحاق^(٣) : «الكناية في (فأسرها) إضمار على شريطة التفسير ؛ لأن [قوله]^(٤) : (قال أنتم شرُّ مكاناً) [بدل من الكناية في (فأسرها) المعنى : فأسر يوسف في نفسه قوله أنتم شرُّ مكاناً]^(٥)» .

قال أبو علي^(٦) في ما استدرك عليه : «اعلم أن الإضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين :

أحدهما : أن يفسر بمفرد كقولنا : نعم رجلاً زيد ، ففي نعم ضمير فاعلها ورجلاً المنصوب تفسير لذلك الفاعل المضمر ، وأضمر الفاعل لتفسير هذا المذكور له ودلالته عليه ، ومثل هذا قولهم : ربه رجلاً ، فرجل تفسير المضمر في رب كما كان تفسير المضمر في نعم ، فهذان مفردان مضميران على شريطة التفسير ، مفسران بمظهرين منكورين ولم يعلم غيرهما» ، هذا كلامه هاهنا ، وقد قال في الإيضاح : «وقالوا : ربه رجلاً ، فأضمروا معه قبل الذكر على شريطة التفسير ، كما فعلوا ذلك في : نعم رجلاً ، وإنما أدخلت رُبَّ على هذا الضمير ، وهي إنما

(١) معاني القرآن ٢/ ٥٢ .

(٢) زاد المسير ٤/ ٢٦٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٢٣ .

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) وهو في (ب) .

(٦) الإغفال ٢/ ٨٩٧ .

تدخل على النكرات من أجل أن هذا الضمير ليس بمقصود قصده ، فلما كان غير معين أشبه النكرة ، وهذه الهاء على لفظ واحد ، وإن وليها المذكر أو الاثنان أو الجماعة فهي موحدة» ، على كل حال رجعنا في كلامه إلى هذه المسألة .

قال : «والآخر أن يفسر بجملة ، وأصل هذا يقع بالابتداء كقوله : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧] ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ، المعنى القصة^(١) الذين كفروا شاخصة ، والأمر الله أحد ، ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان وأن ، فينتقل هذا المضمير من الابتداء به كما ينتقل سائر المبتدآت كقوله : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤] ، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾ [الحج: ٤٦] ، وتفسير المضمير على شريطة التفسير في كلا الموضعين [متصل بالجملة التي فيها الإضمار المشروط تفسيره متعلق بها ، وليس يكون في أحد الموضعين]^(٢) خارجاً عن الجملة المتضمنة للمضمير الذي يشرط تفسيره ، أما في المبتدأ وما دخل عليه فهو في موضع الخبر كما أريتك ، وأما في الضرب الذي هو المفرد فمتعلق بما عمل في الاسم المضمير المفرد ، ألا ترى أن (رجلاً) في قولك : نعم رجلاً منتصب عن الفعل والفاعل ، وإذا كان كذلك قد تبين لك أن المضمير على شريطة التفسير لا يكون إلا متعلقاً بالجملة الذي تتضمن^(٣) ، ولا يكون منقطعاً عنها ولا متعلقاً بجملة غيرها .

وإذا كان الأمر على ما وصفنا فالذي ذكره أبو إسحاق^(٤) في الآية : أنه إضمار على [شريطة التفسير]^(٥) ، لا يستقيم لانفصال التفسير عن الجملة التي فيها الضمير الذي زعم أنه إضمار على شريطة التفسير ، ووقوعها بعد جمل بعدها

(١) كذا في النسخ جميعها وفي الإغفال : «القصة أبصار الذين كفروا» ٨٩٧/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ب) و(ج) وهو في (ي) .

(٣) في الإغفال : «التي تتضمن المضمير» ٨٩٩/٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٢٣/٣ .

(٥) ما بين المعقوفين من (ي) .

وانقطاعها منه ، وهذا بين الفساد ؛ لأنه لا نظير له ، ولا نجد شاهداً عليه إلا دعوى لا دلالة معها ، ألا ترى أن تفسير المضمير على شريطة التفسير ضربان : إما جملة تفسر مفرداً نحو : ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وإما مفرد يفسر مفرداً من جملة [نحو : نعم رجلاً ، وأما جملة تفسر مفرداً من جملة] ^(١) ، فليس في القسمة ولا في الوجود ، وإذا كان كذلك فلا اتجاه لهذا التأويل في الآية ، فإن قلت : فعلم يحمل هذا الضمير في أسرها ؟ قلنا يحتمل أن يكون إضماراً للإجابة ، كأنهم لما قالوا : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أسر يوسف إجابتهم في نفسه في الوقت ﴿ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ في الحال إلى وقت ثان ، وجاز إضمار ذلك ؛ لأنه قد دل على إضمارها ما تقدم من مقاتلتهم ، ويجوز أيضاً أن يكون إضماراً للمقالة كأنه أسر يوسف مقاتلتهم ، والمقالة والقول واحد في المعنى .

فإن قلت : كيف أسر هو مقاتلتهم ؟ قيل : ليس معنى المقالة اللفظ ، ولكن المعنى المقول ، فيكون المصدر عبارة عن المقول ، كما يقول ^(٢) في الخلق ، وضرب الأمير ، ونسج اليمن ، ومعنى أسرها : أوعاها ولم يطرحها وأكنها في نفسه ، إرادة للتوبيخ عليها والمجازاة بها ونحو ذلك ، فعلى هذا توجيه هذا الضمير لفساد ما ذكره أبو إسحاق عندنا ^(٣) ، انتهى كلامه .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا ﴾ هذا يدل على صحة ما ذكره أبو علي ؛ لأنه كيف يصح أن يقول أسر يوسف هذه الكلمة ، وقد أخبر الله تعالى أنه قد قال ذلك ، إلا أن يحمل على أنه قال ذلك في نفسه من غير إظهار ، وفي ذلك عدول عن الظاهر . قال عطاء عن ابن عباس ^(٤) : « يريد : أنتم شر فعلاً ، طرحتم

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و (ج) ، وهو في (ب) .

(٢) في الإغفال ٢ / ٩٠٤ ، « يكون الخلق عبارة عن المخلوق » .

(٣) إلى هنا انتهى النقل عن الإغفال ٢ / ٩٠٤ بتصرف واختصار .

(٤) زاد المسير ٤ / ٢٦٤ ، والقرطبي ٩ / ٢٤٠ .

أخاكم في الحب^(١) وزعمتم^(٢) لأبيكم أن الذئب قتله وأنتم كاذبون ، ثم بعتموه بعشرين درهماً ، وهذا الذي ذكره ابن عباس يتضمنه قوله : (أنتم شر مكاناً) لا أنه واجه إخوته بكل هذا ، وروى الضحاك عنه^(٣) في قوله (أنتم شر مكاناً) قال : «شر صنيعاً لما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم» .

وقال أهل المعاني^(٤) : «أنتم شر منزلاً عند الله ممن رميتموه بالسرقة ؛ لأنكم سرقتم من أبيكم أخاكم» .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء^(٥) : «أراد أن سرقة يوسف كانت لله رضاء» ، ويروى عنه^(٦) ، وهو قول الحسن^(٧) وقتادة^(٨) : (والله أعلم بما تصفون) أنه كذب . وقال أبو إسحاق^(٩) : «أي الله يعلم أسرق أخ له أم لا» .

٧٨ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَتَّبِعُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ أي في السن ويجوز أن يكون بمعنى : كبير القدر ، ﴿ فَخَذَّ أَحَدُنَا مَكَانَهُ ﴾ قال ابن عباس^(١٠) والحسن^(١١) : «خذ واحداً منا تستعبده بدله» .

(١) (الجب) : زيادة من (ي) .

(٢) في (ج) : (وزعمكم) .

(٣) زاد المسير ٢٦٠ / ٤ .

(٤) ذكر هذا القول الثعلبي ٧ / ١١٠٠ ، والطبري ١٦ / ٢٠٠ .

(٥) القرطبي ٩ / ٢٤٠ ، والرازي ١٨ / ١٨٥ .

(٦) القرطبي ٩ / ٢٤٠ ، وانظر : الرازي ٤ / ٢٦٤ .

(٧) تفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٢٨٠ .

(٨) الطبري ١٦ / ٢٠٠ ، والثعلبي ٧ / ١٠٠ ، وزاد المسير ٤ / ٢٦٤ .

(٩) معاني القرآن وإعراجه ٣ / ١٢٣ .

(١٠) انظر : الطبري ١٣ / ٣١ ، وزاد المسير ٤ / ٢٦٥ ، والقرطبي ٩ / ٢٤٠ ، وابن كثير ٢ / ٥٣٣ .

(١١) انظر : الطبري ١٣ / ٣١ ، وزاد المسير ٤ / ٢٦٥ ، والقرطبي ٩ / ٢٤٠ ، وابن كثير ٢ / ٥٣٣ .

﴿ إِنَّا نَزَّلَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال ابن عباس^(١) وابن إسحاق^(٢) : «إنك إذا فعلت ذلك فقد أحسنت إلينا وفعلت بنا كل خير» ، قال أبو بكر : «تلخيصه : ﴿ إِنَّا نَزَّلَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ إلينا إن رددت أخانا علينا ، وقبلت منا واحداً مكانه» ، وقال أبو إسحاق^(٣) : «طالبوه بأن يحسن ؛ لأنه كان أعطاهم الطعام ورد إليهم بضاعتهم» ، قال أبو بكر : «والتأويل على هذا القول ﴿ إِنَّا نَزَّلَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ إلينا في توفيرك علينا الطعام ومساعدتك إيانا في الأثمان» .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ أي اعتصاماً بالله ، وقال الزجاج^(٤) : «المعنى أعوذ بالله معاذاً» ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في أول السورة .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْدَهُ ﴾ ؛ أي أستجير بالله من أن آخذ بريئاً بسقيم ، وموضع (أن) نصب ، والمعنى^(٥) : أعوذ بالله من آخذ أحد ، فلما سقطت (من) أفضى الفعل إلى المفعول فنصب . قاله : أبو إسحاق^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوكَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لقد تعديت وظلمت إن استعبدت غير الذي سرقني» .

(١) تنوير المقياس ١٥٢ .

(٢) الطبري ٣١ / ١٣ ، والثعلبي ١١٠١ / ٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢٤ / ٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٢٣ / ٣ .

(٥) في (ج) : (المعنى) من غير واو .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٢٤ / ٣ .

٨٠. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ﴾ وروى عن ابن كثير: (استياسوا)^(١)، و(حتى إذا استياس^(٢) الرسل) بغير همز^(٣)، ويئس واستياس^(٤) واحد، مثل: عجب واستعجب، وسخر واستسخر، وفي يئس لغتان: يئس ويئس مثل حسب يحسب ويحسب، ومن قال: استياس، قلب العين إلى موضع الفاء فصار استفعل، ولفظه: استأئس، ثم خفف الهمزة وأبدلها الفاء مثل: راس وفاس، وقد قلب هذا الحرف في غير هذا الموضع فقالوا: يئس يائس، وهو مقلوب من: يئس يئس، وهو الأصل بذلك، على ذلك أن المصدر لا نعلمه جاء إلا على تقديم الياء، فأما قولهم: لا يأس، فليس مصدر آس، ولو كان كذلك لكان من باب جذب وجذب، في أن كل واحد منهما أصل على حدة، وليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه، ولكن: أياساً مصدر أُسَّه أَوْسَهُ أَوْساً وإياساً إذا أعطيته، والإياس مثل القيام والعياذ^(٥)، وإنما سمي الرجل بإياس وآوس، كما يُسمى بعتاء وعطية، ومن ذلك قول الجعدي^(٦):

وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأْسَا

- (١) في (ج): (استياسوا).
- (٢) في (ج): (استياس).
- (٣) روى خلف والهيثم عن عُبَيْدة عن شَيْبَل عن ابن كثير بغير همز، والباقون بالهمز بين الباء والسين، انظر: السبعة ٣٥٠، وإتحاف ٢٦٦.
- (٤) في (ج): (واستياس).
- (٥) في الحجة ٤/٤٣٤: «مثل القياس والقياد».
- (٦) عجز بيت للجعدي، وصدره:

ثَلَاثَةُ أَهْلِيَّةٍ أَفْنَيْتَهُم

والمستأس: المستعاض. انظر: شعره ٧٨، واللسان (أوس) ١/١٧٠، والتنبيه والإيضاح ٢/٢٥٩، وكتاب العين ٧/٣٣٠، ومقاييس اللغة ١/١٥٠-١٥٦، وتهذيب اللغة ١/٢٣٠، ومجمل اللغة ١/١٠٧، وأساس البلاغة (أوس)، وتاج العروس (أوس) ٨/١٩٤، والشعر والشعراء ١٨٠.

وهو مستفعل من العطاء ؛ أي يُسأل أن يعطى ، هذا قول أبي علي الفارسي^(١) .
وقال غيره : آيس لغة في يئس وآيسته ؛ أي أياسته ، وهو اليأس والإياس .

قال ابن عباس^(٢) : «يريد يئسوا أن يخلى سبيله معهم» .

وقوله تعالى : ﴿ خَلِّصُوا نَجِيًّا ﴾ يقال : خلص الشيء خلوصاً ، إذا ذهب عنه الشائب من غيره ، ومعنى خلصوا هاهنا : انفردوا من غير أن يكون معهم من ليس منهم ، والنجي صفة فاعيل بمعنى المناجي ، يقع على الكثير كالصديق والرفيق والحميم ، ومثله : العرى والنجوى مصدر ثم يوصف بهما ، فيستوي فيهما الواحد والجمع والمؤنث والمذكر ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢] فوصف به الواحد ، وقال في الجمع : ﴿ خَلِّصُوا نَجِيًّا ﴾ ، وقال : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ [الإسراء: ٤٧] فجعله جمعاً ، وقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ [المجادلة: ٧] .

والنجوى : الرجال المتناجون هاهنا ، وقال في المصدر : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ [المجادلة: ١٠] يقال : نجوت فلاناً أنجوه نجوى ، إذا ناجيته ، هذا الذي ذكرنا قول جميع أهل اللغة^(٣) وأنشدوا^(٤) :

بُنِيَ بَدَا خَبٌ نَجْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبٌ النَّجِيِّ

(١) الحجة ٤/ ٤٣٣-٤٣٥ بتصرف .

(٢) انظر : زاد المسير ٤/ ٢٦٦ ، والقرطبي ٩/ ٢٤١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (نجا) ٤/ ٣٥١٠ ، واللسان (نجا) ٧/ ٤٣٦١ .

(٤) للصلتان العبدى ، من وصيته المشهورة لابنه . انظر : الحماسة ٣/ ١١٢ ، والشعر والشعراء ٣٣٣ ، والخزانة ١/ ٣٠٨ ، والطبري ١٣/ ٣٣ . والخب (بكسر الخاء) : المكر ، والخب (بفتحها) : المكار .

والبيت للصلتان العبدى^(١)، والنجوى فيه مصدر، والنجى صفة، يقول: بدا غش مناجاة الرجال فكن غاشاً بنجيك الذي تناجيه؛ أي لا تطلعه على شرك، ويجمع على أنجية، ومنه قول لبيد^(٢):

وَشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الْأَفَاقَةِ عَالِيَا كَعْبِي وَأَرْدَا فُ الْمُلُوكِ شُهُودُ

ويجمع النجى أيضاً أنجياً، وأما تفسير ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ فقال أبو إسحاق^(٣): «انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين في ما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم من غير أن يرجعوا بأخيهم إليه»، وقال ابن قتيبة^(٤): «اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم يتناجون ويتناظرون»، وقال الأزهري^(٥): «تميزوا عن^(٦) الناس يتناجون في ما أهمهم»، فأبو إسحاق حمل الخلوص على أنهم خلصوا وانفردوا من أخيهام في المناجاة، ونحوه قال ابن الأنباري، وغيرهما: يحمله على اعتزالهم عن غيرهم من الناس وهو الظاهر.

(١) وهو قثم بن خبية العبدى من بني محارب بن عمرو، من بني عبد القيس، شاعر حكيم، وله قصيدة في الحكم بين جرير والفرزدق، فضل فيها شعر جرير وقوم الفرزدق، توفي سنة ٨٠هـ، انظر: الشعر والشعراء ٣٣١، والأعلام ١٩٠/٥.

(٢) انظر: ديوانه ٤٧، وابن عطية ٤٣/٨، والبحر المحيط ٣٣٥/٥، والدر المصون ٥٣٩/٦، ومجاز القرآن ٣١٥/١، والطبري ٣٣/١٣، واللسان (ردف) ١٦٢٦/٣، وتهذيب اللغة ١٧٣/١، وتاج العروس (أفق) ٨/١٣.

من أبيات يقولها لابنته بسرة يذكر طول عمره. والأفافة: اسم موضع حيث كان اليوم المشهود بين لبيد، والربيع بن زياد العسبي. وأرداف الملوك: من الردف وهو الذي يكون مع الملك وينوب عنه إذا قام من مجلسه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢٤/٣.

(٤) مشكل القرآن وغيره ٢٢٧.

(٥) تهذيب اللغة (خلص) ١٠٨٢/١.

(٦) في (ج): (على).

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ كَبِّرُهُمْ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس^(١) : «يعني يهوذا وكان أعقلهم» ، وهو قول وهب^(٢) والكلبي^(٣) ومقاتل بن سليمان^(٤) : «لم يكن أكبرهم في السن لكنه كان أكبرهم في صحة الرأي» .

وقال مجاهد^(٥) : «شمعون ، وكان أكبرهم في العلم والعقل لا في السن» .

وقال قتادة^(٦) والسدي^(٧) والضحاك^(٨) وكعب^(٩) : «هو روبيل وكان أكبرهم سنّاً» ، وهذا هو الظاهر^(١٠) .

(١) زاد المسير ٢٦٦/٤ ، والبغوي ٢٦٥/٤ .

(٢) الثعلبي ١٠١/٧ ب .

(٣) البغوي ٢٦٥/٤ ، والثعلبي ١٠١/٧ ب ، والقرطبي ٢٤١/٩ .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٦ ب .

(٥) الطبري ٣٤/١٣ ، والبغوي ٢٦٥/٤ ، والثعلبي ١٠١/٧ ب ، والقرطبي ٢٤١/٩ .

(٦) الطبري ٣٤/١٣ ، والبغوي ٢٦٥/٤ ، والثعلبي ١٠١/٧ ب .

(٧) الطبري ٣٤/١٣ ، والبغوي ٢٦٥/٤ ، والثعلبي ١٠١/٧ ب .

(٨) البغوي ٢٦٥/٤ ، والثعلبي ١٠١/٧ ب .

(٩) الثعلبي ١٠١/٧ ب .

(١٠) قلت : وقد رجح هذا القول الطبري ٣٤/١٣ ، فقال : «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال : عنى بقوله : ﴿ قَالَ كَبِّرُهُمْ ﴾ روبيل ، لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنّاً ، ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم : فلان كبير القوم ، مطلقاً بغير وصل ، إلا أحد معنيين ، إما في الرئاسة عليهم والسؤدد وإما في السن وإما في العقل ، فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه فقالوا : وهو كبيرهم في العقل ، فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم إلا ما ذكرت ، وقد قال أهل التأويل : لم يكن لشمعون على إخوته رئاسة وسؤدد ، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله : ﴿ قَالَ كَبِّرُهُمْ ﴾ فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر وهو الكبر في السن ، وقد قال الذين ذكرنا جميعاً : روبيل كان أكبر القوم سنّاً ، فصح بذلك القول الذي اخترناه» اهـ واستظهر هذا القول ابن عطية ٤٣/٨ .

[وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ ^(١) مَوَثِقًا مِنْ اللَّهِ ﴾ أي في حفظكم الأخ ورده إلى أبيه ، وذكرنا الكلام في قوله : ﴿ مَوَثِقًا مِنْ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ ذكر الفراء ^(٣) والزجاج ^(٤) وابن الأنباري في (ما) ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون المعنى : ومن قبل تفريطكم في يوسف ؛ أي وقع وظهر تفريطكم ، (فما) يكون موضعها رفعاً ، وتكون مع الفعل بمنزلة المصدر .

الثاني : أن يكون (ما) في موضع نصب نسق على المعنى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ ﴾ ، ومن قبل تفريطكم في يوسف .

الثالث : أن تكون لغواً لا موضع لها من الإعراب ، وتلخيصها : ومن قبل فرطتم في يوسف ^(٥) ، وذكرنا معنى التفريط في قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَفْرِطُونَ ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ يقال : برح الرجل براحاً وبروحاً ، إذا رام من موضعه ، ذكره الفراء ^(٧) في المصادر ، وأراد الأرض ^(٨) موضعه ذلك ، في

(١) ساقط من ب .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تُؤْثِقُوا مِنْ اللَّهِ ﴾ ٦٦ .

(٣) معاني القرآن ٥٣ / ٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٢٤ / ٣ .

(٥) قال الزجاج : «وهو أجود الأوجه» . معاني القرآن وإعرابه ١٢٤ / ٣ .

(٦) الأنعام ٦١ ، وقد قال هنالك : «ومعنى التفريط : تقدمة العجز» تفسير البسيط ، تحقيق : د . الفايز ٢٦٠ .

(٧) كتاب المصادر مفقود .

(٨) في (ب) : (بالأرض) .

قول ابن عباس^(١)، وقال الزَّجَّاج^(٢): «يريد أرض مصر، وإلا فالناس كلهم على الأرض».

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِأَخِي﴾ قال ابن عباس^(٣): «حتى يبعث إلي أبي أن آتيه».

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ لِي﴾ قال: يريد أو يقضي في أمري شيئاً، وقال غيره: أو يحكم الله لي لمحاربة^(٤) أو غيرها مما أراد به أخي على أبيه فأحارب من حبسه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: أعد لهم وأفضلهم.

٨١. قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ﴾ يقوله الأخ المحتبس بمصر لإخوته: ﴿فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقٌ﴾، ذكر ابن الأنباري في هذا وجهين:

أحدهما: أن معناه سرق عند الملك، وفي ما يقدره الملك وحاضروه، فأما في تقديرنا وما نعلمه من أمره فلا، ومثل هذا كثير كقوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] أي عند نفسك، و﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] أي عند نفسك، فأما عندنا فلا، قال: وقد قال بعض الناس: تأويله أن ابنك فعل فعلاً يشبه السرقة، فسمي بما يشبه فعله على المجاز، قال: والأول هو الأثبت، لموافقته مذاهب العرب، ومشاكلته ألفاظاً من القرآن، وأكثر المفسرين على أنهم ما عرفوا حقيقة الحال فنسبوا إليه السرقة، على ما رأوه من ظاهر الأمر، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾، قال ابن عباس^(٥): «يريد بما ظهر».

(١) تنوير المقياس ١٥٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٥/٣.

(٣) زاد المسير ٢٦٧/٤.

(٤) في (ج): (كمحاربة).

(٥) زاد المسير ٢٦٧/٤.

قال ابن إسحاق^(١): «معناه: ما قلنا إنه سرق إلا بما علمنا؛ لأنه وجدت السرقة في رحله ونحن ننظر».

قال أبو علي الفارسي^(٢): «شهد الذي يراد به علم هو ضرب من العلم مخصوص، وكل شهادة علم، وليس كل علم شهادة، ومما يدل على اختصاصه أنه لو قال عند الحاكم: أعلم أن لزيد على عمرو عشرة، لم يحكم به حتى يقول: أشهد، فالشهادة مثل التيقن في أنه ضرب من العلم مخصوص، فليس كل علم تيقناً، وإن كان كل تيقن علماً».

وذكرنا حقيقة التيقن عند قوله: ﴿وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، فمعنى أشهد على كذا: أعلمه علماً بحصري، وقد تدلل لي التوقف عنه ولا أثبت لوضوحه عندي، ويدل على أن الشهادة يراد بها المعنى الزائد على العلم قوله: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ وليس يتجه حمله على هذا، فعلم أن معناه ما ذكرناه، وشهد في هذا الوجه يتعدى بحرف جر، فتارة يكون بالباء كهذه الآية، وكقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وأخرى يكون بعلی كقوله: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ [فصلت: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ قال ابن عباس^(٤): «لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه»، وتلخيص هذا القول^(٥) أنهم قالوا: ما

(١) الطبري ٣٦/١٣، والثعلبي ١٠٢/٧.

(٢) الحجة ١٤٣/٦، ١٤٤، وانظر: ٢٦٤-٢٥٦/١.

(٣) الأنعام ٧٥. وخلاصة ما ذكره هنالك ما نقله عن أبي علي الفارسي «أن التيقن ضرب من العلم مخصوص فكل علم ليس تيقناً، وإن كل تيقن علماً؛ لأن التيقن هو العلم الذي قد كان عرض لعالمه إشكال فيه» تفسير البسيط، تحقيق: د. الفايز ٢٩٢.

(٤) الثعلبي ١٠٢/٧، والبغوي ٢٦٦/٤، والقرطبي ٢٤٥/٩.

(٥) ذكره في زاد المسير ٢٦٨/٤ عن ابن الأنباري.

كنا لغيب ابنك حافظين ؛ أي كنا نحفظه في محضره ، فإذا غاب عنا في الأحوال التي ينفرد فيها ، استترت عنا أموره وخفيت علينا حالاته .

وقال مجاهد^(١) وقتادة^(٢) والحسن^(٣) : « ما كنا نشعر أن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا ، ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به ، وإنما ضمنا حفظه مما لنا إلى حفظه منه سبيل » .

وقال ابن كيسان^(٤) : « لم نعلم أنك تُصاب به كما أصبت بيوسف ، ولو علمنا ذلك لم نحرق قلبك ولم نذهب به » .

وقال عطاء في ما رواه عن ابن عباس : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ ؛ « أي لعله قد غاب عنا أمر ليس هو كما ظهر » ، وشرح هذا ما ذكره عكرمة^(٥) وابن إسحاق^(٦) .

قال عكرمة : « لعلها دُسَّت بالليل في رحله » .

قال ابن إسحاق : « معناه قد أخذت السرقة من رحله ونحن ننظر ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرقوه » .

وقال أهل المعاني : معنى الآية أنه يقول لإخوته : ﴿ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَبِيكُمْ ﴾ وشرحواله كيف كانت الحال .

(١) الطبري ٣٦/١٣ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر كما في الدر ٥٥/٤ .

(٢) الطبري ٣٦/١٣ ، وعبدالرزاق ٣٢٧/٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٢٣/٧ وابن المنذر وأبو الشيخ كما في الدر ٥٥/٤ .

(٣) انظر : تفسير كتاب الله العزيز ٢/٢٨٢ .

(٤) زاد المسير ٢٦٨/٤ ، والثعلبي ١٠٢/٧ ب .

(٥) الثعلبي ١٠٢/٧ ب .

(٦) الثعلبي ١٠٢/٧ ب ، وزاد المسير ٢٦٨/٤ ، والطبري ٣٦/١٣ .

٨٢. وقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ قال ابن عباس^(١): «يريد أهل مصر»، وهذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل^(٢) أن المراد: واسأل أهل القرية، فحذف المضاف للإيجاز من غير إخلال، وقد تقدم لهذا شواهد كثيرة ونظائر عدة من الكتاب.

قال أبو علي^(٣): «ودافع جواز هذا في اللغة كدافع الضرورات، وجاحد المحسوسات في غير اللغة، وإثبات الكتاب في هذا المعنى لاشتهارها يستغنى عن ذكرها»، وأنشد أبو زيد والكوفيون^(٤):

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا
وَمَا هِيَ وَيَبْ غَيْرُكَ بِالْعَنَاقِ

أي بغام عناق.

وقد اتسع هذا في كلامهم، حتى إن الشعراء قد أقاموا المضاف في بعض ما يدخله الناس، من ذلك أنشدته النحويون:

يَحْمِلُنْ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٥)

(١) الطبري ٣٧/١٣.

(٢) انظر: الطبري ٣٧/١٣، والبغوي ٢٦٧/٤، والقرطبي ٢٤٦/٩، والدر المصون ٥٤٤/٦، والزاهر ٢٨٤/١، والرازي ١٩٠/١٨.

(٣) الإغفال ٨١٠/٢، وانظر: سر صناعة الإعراب ٢٤/١، والرازي ١٩٠/١٨.

(٤) الشاهد لذي الخرق الطهوي.

انظر: نوادر أبي زيد ١١٦، ومجالس ثعلب ٧٦، واللسان (بغم) ٣٢٠/١، وتذكرة النحاة ١٨، وتاج العروس (بغم)، وبلا نسبة في الإنصاف ٣١٦، ومعاني القرآن ٦٢/١، ١٢٤/٢، واللسان (ويب) ٤٩٣٧/٨، والإغفال ٨١٠/٢.

(٥) الرجز بلا نسبة في اللسان (نفس) ٤٤٦/٧، و(وصى) ٤٨٥٤/٨، وجمهرة اللغة ١٣٢٨ وقبله:

صَبَّحْنَ مِنْ كَاظِمَةِ الْحِصْنِ الْخَرْبِ

يريد ابن عباس ، وقول آخر^(١) :

أَرَى الْخَطْفَى بَزَّ الْفَرْزَدَقَ شِعْرُهُ

وَلَكِنَّ خَيْرًا مِنْ كُليبٍ مُجَاشِعُ

أراد جرير بن الخطفي . ومثله كثير ، فإذا جاز إقامة المضاف مقام المضاف إليه في هذا النحو مع أن^(٢) الإشكال قد يدخل في بعض الأحوال على كثير من السامعين ، كان في غير هذا أجدر وأجود .

وذكر أبو بكر^(٣) في هذا وجهاً آخر وهو : أن يكون المعنى واسأل القرية والعير فإنها تعقل عنك ، وتحبيك الجدران والبعران والأبنية والأخبية والعروش والسقوف ، إذ كنت نبياً ينخصك إلهك بالآيات المعجزات ، وعلى هذا الآية سليمة من الإضمار والمجاز .

وابن عباس^(٤) والحسن^(٥) وقتادة^(٦) : على أن المراد بالقرية مصر ، وروى الكلبي عنه^(٧) قال : «هي قرية من قرى مصر» .

(١) البيت للصلتان العبدى من قصيدة يحكم فيها بين جرير والفرزدق . خزنة الأدب ٤ / ٣٧٢ ، وفيه (كلاب) بدل (كليب) ، و(بذ) بدل (بز) .

(٢) في (أ) : (مع الإشكال من غير أن) .

(٣) زاد المسير ٤ / ٢٦٨ ، والدر المصون ٦ / ٥٤٤ .

(٤) الطبري ١٣ / ٣٧ ، وابن عطية ٨ / ٤٦ .

(٥) البغوي ٤ / ٢٦٧ ، والرازي ١٨ / ١٩٠ ، والقرطبي ٩ / ٢٤٦ من غير نسبة .

(٦) الطبري ١٣ / ٣٧ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٨٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤ / ٥٥ .

(٧) الثعلبي ٧ / ١٠٢ ب ، والبغوي ٤ / ٢٦٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعِزَّ أَلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ، قال ابن عباس^(١) : «يريد أهل الرفقة التي كنا فيها ؛ أي التي امتاروا معنا» ، قال المفسرون^(٢) : وكان قد صحبتهم قوم من الكنعانيين .

قال ابن إسحاق^(٣) : «عرف الأخ المحتبس أن إخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كان من صنيعهم في أمر يوسف ، فأمرهم أن يقولوا لأبيهم هذا نفيًا للظنة^(٤) عنهم» .

٨٣ . قوله تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مضى الكلام في هذا أول السورة^(٥) ، قال ابن عباس في هذه الآية : «لما قدموا على أبيهم وأخبروه اشتد حزنه فقال : يا بني ، تذهبون وأنتم اثنا عشر وترجعون وأنتم أحد عشر ، ثم تذهبون أحد عشر وترجعون عشرة ، ثم تذهبون عشرة وترجعون تسعة ، سبحان الله كيف هذا ؟» .

ثم قال : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ، قال المفسرون^(٦) وأهل المعاني : هاهنا إيجاز وإضمار ، والمعنى : فرجعوا فقالوا ليعقوب ما لفتنهم يهوذا ، فقال يعقوب : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ، قال ابن الأنباري^(٧) : «لم ينسبهم يعقوب في هذا إلى الكذب والاحتيال كما نسبهم في أمر يوسف حين قال : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ

(١) قال به الطبري ٣٧/١٣ ، والثعلبي ١٠٢/٧ ، وزاد المسير ٢٦٨/٤ .

(٢) الثعلبي ١٠٢/٧ ب .

(٣) الطبري ٣٧/٣ ، والثعلبي ١٠٢/٧ ب ، والبغوي ٢٦٧/٤ .

(٤) في (ب) : (للمظنة) .

(٥) (السورة) ساقط من (أ) و(ب) و(ج) ، وقد سبق الحديث عنها عند قوله تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ١٨ .

(٦) الطبري ٣٧/١٣ ، ٣٨ ، والثعلبي ١٠٢/٧ ب ، والبغوي ٢٦٧/٤ ، وزاد المسير ٢٦٩/٤ ، والرازي ١٩٠/١٨ .

(٧) زاد المسير ٢٦٩/٤ .

﴿أَمْرًا﴾ في ابتداء السورة ، لكنه عني ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ إخراج بنيامين عني والمصير به إلى مصر ، تقديرًا لمنفعة ، فعاد من ذلك شر وضرر ، وألحتم عليّ في إرساله معكم ، ولم تعلموا أن قضاء الله ربما يأتي من فوقكم ويقبض على يديكم» .

وقال غيره^(١) : معنى قوله هاهنا : ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ خيلت لكم أنه سرق وما سرق ، ومعنى قول ابن عباس : «تذهبون وأنتم اثنا^(٢) عشر» ، يعني حين ذهبوا بيوسف معهم وألقوه في الحب ، ورجعوا أحد عشر ، ثم ذهبوا أحد عشر حين أرسل معهم بنيامين إلى مصر ، فعادوا تسعة ؛ لأن بنيامين حبسه يوسف عنده ، واحتبس بمصر الذي قال : ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي﴾ فعادوا تسعة .

وقوله تعالى : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني يوسف وبنيامين ، والذي قال : فلن أبرح الأرض .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ قال ابن عباس^(٣) : «بشدة حزني» ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في ما حكم عليّ بهذا الحزن وعظم المصيبة بابن بعد ابن .

وقال غيره : ﴿الْعَلِيمُ﴾ بصدق ما يقولونه من كذبه ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه .

(١) ذكره في زاد المسير ٢٦٩/٤ .

(٢) (ج) : (اثني عشر) .

(٣) ذكره في زاد المسير ٢٦٩/٤ من غير نسبة .

٨٤. قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ قال المفسرون^(١) : « لما بلغ يعقوب خبر حبس بنيامين ، تمام حزنه ، وبلغ الجهد ، وهاج ذلك وجده بيوسف ؛ لأنه كان يتسلى بأخيه منه ، فعند ذلك تولى عنهم » .

قال ابن عباس^(٢) وغيره : « أعرض عنهم » .

﴿ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يُونُسَ ﴾ ، الأسف : الحزن على ما فات ، قال الليث^(٣) : « إذا جاءك أمر فحزنت له ولم تطقه فأنت آسف ؛ أي حزين ومتأسف أيضاً » ، قال الزَّجَّاج^(٤) : « والأصل يا أسفي ، إلا أن ياء الإضافة يجوز أن تبدل ألفاً ، لخفة الألف والفتحة » ، ومضى الكلام في هذا وفي نداء غير ما يعقل ، ومعنى ذلك في مواضع .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْسَفَى عَلَى يُونُسَ ﴾ مما يدل على تجدد وجده بيوسف لفقد بنيامين^(٥) ، وكذلك الحزن يجز الحزن ونكاء القرع بالقرع أوجع ، وقد قال متمم بن نويرة^(٦) :

فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتُهُ لَقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى وَالذَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى فَدَعْنِي^(٧) فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

(١) الثعلبي ١٠٢/٧ ب ، والقرطبي ٢٤٧/٩ ، والبغوي ٢٦٧/٤ .

(٢) ذكره الثعلبي ١٠٢/٧ ب ، والبغوي ٢٦٧ ، وزاد المسير ٢٦٩/٤ .

(٣) تهذيب اللغة (أسف) ١٦١/١ ، واللسان (أسف) ٧٩/١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٢٥/٣ .

(٥) في (ب) : (ابن يامين) .

(٦) هو متمم بن نويرة بن حمزة بن ثعلبة بن يربوع أبو نهشل ، صحابي ، شاعر فحل ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك ، توفي سنة ٣٠ هـ ، انظر : الشعر والشعراء ٢٠٩ ، والبيتان في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٧٩٧/٢ ، والحماسية ٢٦٥ ، وفيها : (وقالوا أتبكي ..) .

(٧) (فدعني) ساقط من (ج) .

وذلك أنه رأى قبراً فتجدد حزنه على أخيه مالك ، ولیم على ذلك ، فأجاب بأن الأسي يبعث الأسي ، عامة أهل العلم^(١) : على أن قول يعقوب عليه السلام : ﴿يَتَأَسَفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ ليس منه جزءاً مذموماً يوجب الإثم ؛ لأن الحزن مع حفظ اللسان من الشكوى من الله تعالى كاسب أجراً وموجب مثوبة ، يدل على هذا ما روي^(٢) : أن يوسف قال لجبريل : هل لك علم بيعقوب ، قال : نعم ، قال : فكيف حزنه ، قال : حزن سبعين ثكلى ، قال : فهل له في ذلك من أجر ؟ قال : نعم أجر مائة شهيد .

قال ابن عباس^(٣) في قوله : ﴿يَتَأَسَفُ﴾ : «يا طول حزني على يوسف» .

قال الحسن^(٤) : «كان بين خروج يوسف من حجر يعقوب إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً ، لا تحف عينا يعقوب ، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب» .

وقال قتادة^(٥) : «يا حزني على يوسف» ، وقال مجاهد^(٦) : «يا جزعي على يوسف» ، قال أبو بكر : «فمن بنى على هذا المذهب ، وجعل الأسف جزءاً وضداً للصبر ، زعم أن هذا خطيئة من يعقوب» ، كما روي أنه كان يرفع حاجبيه بخرقه من الكبر ، فقال له رجل : ما هذا الذي أراه بك ، قال : طول الزمان وكثرة

(١) القرطبي ٢٤٩/٩ ، وزاد المسير ٢٧٠/٤ ، وابن عطية ٥٠/٨ ، والرازي ١٨/١٩٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ٤٦/١٣ بسنده إلى ليث بن أبي سليم في هذه وغيره بأسانيد مختلفة ، الطبري ٤٨-٤٦/١٣ .

وأخرجه ابن أبي شيبة عن خلف بن حوشب ، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٨٦/٧ ، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه كما في الدر ٥٦/٤ .

(٣) الطبري ٣٨٨٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٨٥/٧ ، وانظر : الدر ٥٦/٤ .

(٤) الطبري ٤٨/١٣ ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، وأبو الشيخ كما في الدر ٥٦/٤ .

(٥) الطبري ٣٩/١٣ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر ٥٦/٤ ، وعبدالرزاق ٣٢٧/٢ .

(٦) الطبري ٣٨/١٣ ، وابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر ٥٦/٤ ، والثعلبي ١٠٢/٧ .

الأحزان ، فأوحى الله إليه : أتشكوني يا يعقوب ، فقال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي انقلبت إلى حال البياض ، قال مقاتل^(٢) : «لم يبصر بهما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف» .

وفسر ابن عباس^(٣) الحزن هاهنا : بالبكاء يريد : أن عيناه ابيضتا لكثرة بكائه ، والحزن لما كان سبباً للبكاء جاز أن يسمى به ، وذلك أن العين لا تبيض وإن اشتد الحزن حتى يكثر البكاء ، واختلفوا في الحُزْنَ وَالْحَزْنَ ، فقال قوم : الحُزْنَ البكاء ، والحَزْنَ : ضد الفَرْح .

وقال قوم : هما لغتان ، يقال : أصابه حُزْنٌ شديد وحَزَنٌ شديد ، وهذا مذهب أكثر أهل اللغة^(٤) ، وروى يونس عن أبي عمرو^(٥) قال : «إذا كان في موضع النصب فتحوا الحاء والزاء كقوله : ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة : ٩٢] ، وإذا كان في موضع الخفض أو الرفع فهو بضم الحاء كقوله : ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾» .

(١) الطبري ٤٦/١٣ ، وعبدالرزاق وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٨٦/٧ ، وأبو الشيخ عن حبيب بن ثابت كما في الدر ٥٧/٤ .

(٢) ما بين القوسين بياض في (أ) .

(٣) تفسير مقاتل ١١٥٦ ، والثعلبي ٧/١٠٣ ، وزاد المسير ٤/٢٧٠ .

(٤) القرطبي ٩/٢٤٨ ، وزاد المسير ٤/٢٧١ .

(٥) تهذيب اللغة ١/٨٠٧ ، واللسان (حزن) ١/٨٦١ ، والاشتقاق لابن دريد ١٠٠ .

(٦) تهذيب اللغة (حزن) ٤/٣٦٤ .

وقوله تعالى^(١): ﴿أَشْكُوا^(٢) بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال: هو في موضع رفع بالابتداء.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ذكرنا الكلام في الكظم عند قوله: ﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] مستقصى، والكظم هاهنا يجوز أن يكون بمعنى الكاظم، وهو الممسك على حزنه فلا يظهره ولا يشكوه.

قال ابن قتيبة^(٣): «يدل عليه قول قتادة^(٤) قال: كظيم على الحزن، لا يقول بأساً، قد شد فاه على الحزن في قلبه، فليس يتكلم بسوء»، وفي ذلك يقول الشاعر^(٥):

فَإِنْ أَكْ كَاطِماً لِمَصَابِ شَاسٍ فَإِنِّي الْيَوْمَ مُنْطَلِقٌ لِسَانِي

ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم، وهو المسدود عليه طريق حزنه فلا يتكلم بنفثة مصدور، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾^(٦) [القلم: ٤٨]، قال ابن عباس^(٧) في هذه الآية: «فهو مغموم مكروب»، وقال الزجاج^(٨): «محزون».

(١) (تعالى) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (وأشكو) بزيادة واو خلاف ما عليه الآية.

(٣) مشكل القرآن وغيره ٢٢٨.

(٤) الطبري ١٣/٤٠، وعبدالرزاق ٢/٣٢٧، وابن المبارك وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/٢١٨٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٥٧، والثعلبي ٧/١٠٣ أ.

(٥) هوقيس بن زهير، والبيت من الوافر، وابن الأنباري في الوقف والابتداء ١/٨٧، وانظر: الدر ٤/٥٧، والقرطبي ٩/٢٤٩، والنكت والعيون ٣/٧٠.

(٦) في النسخ بزيادة (ربه) خلاف ما عليه الآية.

(٧) الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/٨٧.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٢٥.

٨٥. قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ تَفَتُّوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ ﴾ الآية يقال : لم أقسموا على هذا وهم على غير يقين منه أن ينقلب فيترك ذكره ؟

قال أبو بكر^(١) : « لم يقسموا إلا على ما كان صحيحاً في نفوسهم » ، وتلخيصه : تأله تفعل ذلك عندنا ، وفي تقديرنا : فحلفوا على ما تقرر عندهم بالاستدلال ، على ما يجوز في معلوم الله أن يتغير .

وقوله تعالى : ﴿ تَفَتُّوْا ﴾ قال ابن السكيت^(٢) : « يقال : ما زلت أفعله ، وما برحت أفعله ، وما فتئت أفعله ، ولا يتكلم بهن إلا مع الجحد ، وقال أبو زيد : يقال : ما فتأت أذكره ؛ أي ما زلت ، وهما لغتان : ما فتئت وما فتأت ، يقال : فتئت عن الأمر فتأ ، إذا نسيته وانقذعت عنه .

وروى^(٣) ابن هاني عن أبي زيد : ما أفتأت أذكره إفتاءً ، وما فتئت أذكره أفتأ فتأً^(٤) .

(١) زاد المسير ٢٧٣ / ٤ .

(٢) من هنا يبدأ النقل عن الأزهري في التهذيب (فتأ) ٢٧٣١ / ٣ .

(٣) في (ب) : (روى) من غير واو . وابن هاني هو أبو عبد الرحمن بن محمد بن هاني النيسابوري ، ويعرف بصاحب الأخفش ، توفي سنة ٢٣٦ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٧٢ / ١٠ ، وتهذيب اللغة ٤٤ / ١ ، وإنباه الرواة ١٣١ / ٢ .

(٤) إلى هنا انتهى النقل من الأزهري في التهذيب (فتأ) ٢٧٣٢ / ٣ ، واللسان (فتأ) ٣٣٣٧ / ٦ .

وذكر ذلك أبو إسحاق في باب الوفاق^(١)^(٢) وحكى الكسائي^(٣): «فتت ،
وفتأت ، فتأ ، وفتوءاً» ، وأنشدوا لأوس بن حجر :

فَمَا فَتَّتْ خَيْلٌ تُثُوبٌ وَتَدَّعِي

وَيَلْحَقُ مِنْهَا لَاحِقٌ وَتَقَطَّعُ^(٤)

وقال القاسم بن معن^(٥): «هي بلغة أهل اليمن» ، وأنشد قول الأعرج
المعني^(٦):

فَمَا فَتَّتْ مِنْهَا رِعَالٌ كَأَنَّهَا

رِعَالُ الْقَطَا حَتَّى احْتَوَيْنَ بَنِي صَخْرٍ

(١) في (ج) : (الوفات) .

(٢) كتاب فعلت أفعلت ٣٢ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٥٦ / ٢ .

(٤) البيت في ديوان أوس بن حجر ٥٨ ، ومجاز القرآن ١ / ٣١٦ ، والطبري ١٣ / ٤١ ، وشواهد الكشف ١٦٨ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٢٦ ، والدر المصون ٦ / ٥٤٦ ، وزاد المسير ٤ / ٢٧٢ ، والكشاف ٢ / ٣٣٩ ، والمعاني الكبير : ١٠٠٢ ، وأساس البلاغة (فتأ) .

(٥) هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن النحوي القاضي توفي سنة ١٧٥ هـ تقريباً ، انظر : إنباء الرواة ٣٠ / ٣ .

(٦) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في زاد المسير ٤ / ٢٧٢ برواية (منا) .

قال النحويون^(١) : حرف النفي هاهنا مضمّر على معنى : ما تفتؤ ولا تفتؤ ،
وجاز حذفه لأنه لو أريد الإثبات لكان باللام والنون نحو : والله ليفعلن ، فلما
كان بغير اللام والنون ، عرف أن لا مضمّر ، وأنشدوا قول امرئ القيس^(٢) :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا

وقول الخنساء^(٣) :

فَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى هَالِكٍ أَوْ اسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا

ومثله كثير ، وهذا قول الفرّاء^(٤) والزّجاج^(٥) وابن الأنباري وجميع النحويين .

(١) معاني الفرّاء ٥٤ / ٢ ، وإعراب النحاس ١٥٦ / ٢ ، والدر المصون ٥٤٦ / ٦ .

(٢) صدر بيت ، وعجّزه :

وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

انظر : ديوانه ١٠٨ ، واللسان (يمن) ، والصناعتين ١٣٨ ، ومعاني القرآن ٥٤٠ / ٢ ، والخصائص
٢ / ٢٨٤ ، والخزانة ٢٠٩ / ٤ ، ٢٣١ ، وشرح المفصل ١٠٤ / ٩ ، والطبري ٤٢ / ١٣ ، والقرطبي
٩ / ٢٤٩ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٢٥ ، والدرر ٤٣ / ٢ ، والكتاب ٥٠٤ / ٣ ، والأضداد
لابن الأنباري ١٤٢ .

(٣) ديوانها ١٢٥ ، وفيه :

فَأَلَيْتُ أَسَى عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ بَاكِئَةً مَا لَهَا

تهذيب اللغة (لا) ٣٢١١ / ٤ ، وانظر : زاد المسير ٢٧٢ / ٤ ، واللسان (لا) ٣٩٧٣ / ٧ ، وتاج العروس
(لا) ، وكتاب العين ٣٤٩ / ٨ .

(٤) معاني القرآن ٥٤ / ٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٢٦ / ٣ .

وأما المفسرون فقال ابن عباس^(١) والحسن^(٢) ومجاهد^(٣) وقتادة^(٤) والسدي^(٥) والكلبي^(٦): «لا تزال تذكر»، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد^(٧) قال: «لا يفتر من ذكره».

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ قال الفرّاء^(٨): «يقال: رجل حرّض وحرّض، وهو: الفاسد في جسمه وعقله، فمن قال: حرّض، لم يثن ولم يجمع ولم يؤنث؛ لأنه بمنزلة: دفن وضنى، في أنه مصدر، قال: ولو ثنى وجمع لكان صواباً، كما قالوا: ضيف وأضياف، ومن قال: حارّض، ثنى وجمع».

وقال أبو زيد: الحرّض المدنف، ومثله المحرّض، وقال الأصمعي: الحرّض الهالك، والمحرّض المهلك^(٩).

وقال أبو الهيثم: الحرّض والمحرّض: الهالك من ضنى^(١٠) الذي لا حي فيرجى ولا ميت فيؤس منه، وقال الليث: رجل حرّض، لا خير فيه، وجمعه أحرّاض، والفعل حرّض يحرّض حُرُوضاً^(١١).

(١) الطبري ٤١/١٣، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٨٧/٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٥٩/٤.

(٢) انظر: تفسير كتاب الله العزيز ٢٨٣/٢.

(٣) الطبري ٤١/١٣، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٥٩/٤.

(٤) الطبري ٤١/١٣.

(٥) ابن أبي حاتم ٢١٨٨/٧.

(٦) تنوير المقباس ١٥٣.

(٧) الطبري ٤١/١٣.

(٨) معاني القرآن ٥٤/٢، ومن هنا يبدأ النقل عن تهذيب الأزهري (حرّض) ٧٨٧/١.

(٩) في (أ) بياض في هذه الكلمة.

(١٠) في التهذيب ٢٠٤/٤: «الهالك مرضاً».

(١١) إلى هنا انتهى النقل عن تهذيب الأزهري (حرّض) ٧٨٧/١. وانظر: اللسان (حرّض) ٨٣٦/٢.

وحكى الكسائي: «حَرَضَ بالفتح وحُرَضَ بالضم حراضة وحروضاً، وهو حارِض، وهم حارِضون، وحرضة، وحرض». .

قال أهل المعاني^(١): أصل الحرَض فساد الجسم والعقل للحزن والحب، وأنشدوا للعرجي^(٢):

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِ حُبِّ فَأَحْرَضَنِي حَتَّى بَلَيْتُ^(٣) وَحَتَّى شَفَنِي السَّقَمُ

وقال الزَّجَّاج^(٤): «الحرَض الفاسد في جسمه، والحرَض الفاسد في أخلاقه، وقولهم: حَرَضْتُ فلاناً على فلان، تأويله: أفسدته» .

وقال أبو عبيدة^(٥): «الحرَض الذي قد أذابه الحزن»، هذا كلام أهل اللغة في الحرَض .

وأما المفسرون فقال ابن عباس في رواية عطاء: «حتى تكون كالشيخ الفاني الذي تغير»، وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الحرَض فقال^(٦): «الفاسد الدنف» .

(١) مجاز القرآن ٣١٦/١ .

(٢) البيت لعبدالله بن عمر بن عبدالله العرجي، كان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه . انظر: الشعر والشعراء ٣٨١، ديوانه ٥، والطبري ٤٢/١٣، والقرطبي ٢٥٠/٩، وزاد المسير ٢٧٣/٤، واللسان (حرَض) ٨٣٦/٢، ومجاز القرآن ٣١٧/١، والاشتقاق ٤٨، والسمط ٤٢٢، والدر المصون ٥٤٧/٦، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٤٠٣/١ .

(٣) في (ج): (مليت) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٢٦/٣ .

(٥) مجاز القرآن ٣١٦/١ .

(٦) أخرجه ابن الأنباري، الطستي كما في الدر ٥٩/٤، وأخرجه الطبري ٤٣/١٣، والبغوي ٢٦٨/٤، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٨٧/٧، وأبو الشيخ نحوه كما في الدر ٥٩/٤، والثعلبي ٢٠٣/٧، والإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق لبنت الشاطئ ٥٠٢ .

وقال مجاهد^(١): ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ قال: «مرضاً دون الموت»، وقال جوير عن الضحاك^(٢): «كالشيء البالي»، وقال قتادة^(٣): «هرماً»، وقال مقاتل^(٤): «مدنفاً»، وذكر أبو روق أن أنس بن مالك قرأ: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ بضم الحاء وتسكين الراء، قال: يعني مثل عود الأشنان، ذكره ابن الأنباري بإسناده عن أبي روق^(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾؛ أي من الميتين، قاله قتادة^(٦)، ومعنى الآية: أنهم قالوا لأبيهم: لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه، حتى تصير بذلك إلى مرض لا ينتفع بنفسك معه، أو تموت بالغم، وأرادوا بهذا القول كفه عن البكاء والحزن إشفافاً عليه.

٨٦. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرْفِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال المفسرون^(٧): لما رأى غلظتهم وعنفهم به في قولهم: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ قال لهم: إنما أشكو ما بي إلى الله تعالى لا إليكم.

(١) الطبري ٤٣/١٣، والثعلبي ١٠٣/٧، وابن عطية ٥٥/٨، والبغوي ٢٦٨/٤، وابن أبي حاتم ٢٣٦/٤.

(٢) الطبري ٤٣/١٣، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٣٦/٤، وأبو الشيخ كما في الدر ٥٩/٤، والثعلبي ١٠٣/٧، وابن عطية ٥٥/٨، وجوير ضعيف.

(٣) الطبري ٤٣/١٣، والثعلبي ١٠٣/٧، وابن عطية ٥٤/٨.

(٤) تفسير مقاتل ١١٥٧.

(٥) انظر: ابن عطية ٥٤/٨، والقرطبي ٢٥١/٩، والدر المصون ٥٤٨/٦.

(٦) الطبري ٤٤/١٣، والثعلبي ١٠٤/٧، والبغوي ٢٦٨/٤، وزاد المسير ٢٧٣/٤، والقرطبي ٢٥١/٩، وعبدالرزاق ٣٢٧/٢.

(٧) الثعلبي ١٠٤/٧، والطبري ٤٥/١٣.

قال أهل اللغة^(١) : البث : الهم الذي تفضي به إلى صاحبك . وأصله من البث وهو النشر والتفريق ، يقال : بثوا الخيل في الغارة ، وبث الله الخلق ، وأبثت فلاناً بسري إِبْثاثاً ؛ أي أطلعته عليه .

وقال أبو عبيدة^(٢) : «البث : أشد الحزن ، والحزن أشد الهم» ، وقال غيره : الهم ما يستره الإنسان ويكتمه ، والبث ما يبيديه ويظهره ؛ لأنه إذا اشتد لم يصبر على كتمانته حتى يبثه ، يقال : قد أبثت ما في قلبي ، وبثت ما في قلبي ، إذا أطلعتك عليه ، قال الشاعر^(٣) :

أَبْثُكَ مَا أَلْقَى فِي النَّفْسِ حَاجَةً لَهَا بَيْنَ لَحْمِي وَالْعِظَامِ دَيْبٌ

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم من خبر سلامة يوسف ما لا تعلمون أنتم ، قال الكلبي عن ابن عباس^(٤) : «وذلك أن ملك الموت أتاه فقال له : يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف في ما قبضت من الأرواح ؟ قال لا يا نبي الله» ، وقال ابن عباس^(٥) : «وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأناي^(٦) وأنتم سنسجد له» .

(١) انظر : تهذيب اللغة (بث) ١/ ٢٧٣ ، واللسان (بث) ١/ ٢٠٨ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣١٧ .

(٣) البيت لكثير من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز وهي في ديوانه ٣٦ كما يلي :

أَبْثُكَ مَا أَلْقَى فِي النَّفْسِ حَاجَةً لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبٌ

وذكره في الشعر والشعراء ٤١٣ ، ونسبه لعروة بن حزام ، والبيت مختلف عن هذا وهو :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ رَوْعَةً لَهَا بَيْنَ جِسْمِي وَالْعِظَامِ دَيْبٌ

(٤) زاد المسير ٤/ ٢٧٥ ، وتنوير المقياس ١٥٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٩ ، عن النصر بن عربي كما في الدر ٤/ ٦٠ .

(٥) الطبري ١٣/ ٤٥ ، وزاد المسير ٤/ ٢٧٥ ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٩ كما في الدر ٤/ ٦٠ ، والثعلبي ١١٠٥/٧ .

(٦) في (ج) : (وأنا) .

قال ابن الأنباري : «وهذا يدل على أن يعقوب كان يزيد عليهم في علم العبارة ويصل من حقائقها إلى حيث لا يبلغون ولا يصلون» ، هذا قول مقاتل بن سليمان^(١) .

وقال عطاء عن ابن عباس^(٢) : «وأعلم من رحمة الله وقدرته ورأفته على أوليائه ما لا تعلمون» .

وقال قتادة^(٣) : «أعلم من اختيار الله - عز وجل - لي ما يوجب حسن ظني» .

٨٧. قوله تعالى : ﴿يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ الآية ، قال السدي^(٤) : «لما أخبره بنوه بسيرة الملك وقوله ، طمع يعقوب أن يكون يوسف ، فلذلك قال لبنيه : ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾» ، (وقيل :^(٥) إنه رأى ملك الموت في المنام ، فأقسم والله ما قبضت روح يوسف)^(٦) ، فاطلبه من هاهنا ، وأشار إلى ناحية مصر ، فلذلك قال : تحسسوا من يوسف ، والتحسس : تطلب الشيء بالحاسة .

قال أبو معاذ^(٧) : «التحسس : شبه التسمع والتبصر» .

-
- (١) تفسير مقاتل ١٥٧ أن بنحوه .
 - (٢) زاد المسير ٤ / ٢٧٥ ، ونسبه إلى عطاء .
 - (٣) الطبري ١٣ / ٤٦ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٨٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤ / ٦٠ ، والقرطبي ٩ / ٢٥١ .
 - (٤) الثعلبي ٧ / ١٠٥ ، وزاد المسير ٤ / ٢٧٥ ، والبعوي ٤ / ٢٧٠ ، والقرطبي ٩ / ٢٥١ .
 - (٥) الثعلبي ٧ / ١٠٥ ، والقرطبي ٩ / ٢٥٢ .
 - (٦) ما بين القوسين مكرر في (أ) و(ج) .
 - (٧) اللسان (حسس) ٢ / ٨٧١ ، والتهذيب ١ / ٨١٨ ، وأبو معاذ هو الفضل بن خالد المروزي الباهلي مولا هم إمام نحوي لغوي مقرئ ، توفي سنة ٢١١ هـ ، انظر : معجم الأدباء ١٦ / ٢١٤ ، وغاية النهاية ٢ / ٩ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢ / ٣٢ .

وقال أبو عبيد^(١) : «تحسست الخبر : بحثته وطلبت له لأخذه» ، ومن هذا يقال : أحس الخبر ؛ أي علمه ووجده ، قال ابن عباس^(٢) : «يريد يبحثوا عن يوسف» .

قال أبو بكر^(٣) : «يقال : تحسست عن فلان ، ولا يقال : من فلان ، وقيل هاهنا : (من يوسف) ؛ لأنه أقيم مقام (عن) ، كما قال العرب : حدثني فلان من فلان ، يعنون : عن فلان ، ويجوز أن (من) أوثرت للتبويض ، والمعنى : تحسسوا خبراً من أخبار يوسف ، واستعملوا بعض أخبار يوسف فأوثر (من) لما فيها من الدلالة على التبويض» .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ زَوْجِ اللَّهِ ﴾ قال الأصمعي^(٤) : «الروح الاستراحة من غم القلب» ، وقال أبو عمرو^(٥) : «الروح الفرج ، والروح ما يجده الإنسان من نسيم الهوى فيسكن إليه» .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ [الواقعة: ٨٩] الروح : الرحمة ، وقال أهل اللغة^(٦) ما يتركب^(٧) من الرائ ، والواو والحاء كثير ، والأصل في ذلك كله الحركة والاهتزاز ، فكل ما يهتز الإنسان له ويلتذ بوجوده فهو روح .

(١) انظر : غريب الحديث ٣٩٢ / ٢ .

(٢) الثعلبي ١٠٥ / ٧ ب ، وتنوير المقباس ١٥٣ .

(٣) زاد المسير ٢٧٦ / ٤ .

(٤) تهذيب اللغة (روح) ١٣١٣ / ٢ .

(٥) زاد المسير ٢٧٦ / ٤ .

(٦) انظر : مقاييس اللغة ٤٥٤ / ٢ ، واللسان (روح) ١٧٦٦ / ٣ ، وتهذيب اللغة (راح) ١٣١٣ / ٢ .

(٧) في (ب) : (ما تركب) .

قال ابن عباس في رواية عطاء^(١): ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ «يريد من رحمة الله»، وهو قول قتادة^(٢) والضحاك^(٣) والكلبي^(٤).

وروى معمر عن قتادة^(٥): «من فضل الله».

وقال ابن زيد^(٦): «من فرج الله، ولا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس^(٧): «يريد أن المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد، ويشكره ويحمده في الرخاء، وأن الكافر ليس كذلك».

٨٨. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَآيَأُهَا الْعَزِيزُ﴾ قال أهل اللغة^(٨): التأويل في الكلام متروك يستدل عليه، والتقدير: فخرجوا إلى مصر فلما دخلوا عليه؛ أي على يوسف ﴿قَالُوا يَتَآيَأُهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾؛ أي أصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة، ﴿وَجِئْنَا بِضَعَةٍ مُزَجَلَةٍ﴾

(١) زاد المسير ٢٧٦/٤.

(٢) الطبري ٤٩/١٣، وعبدالرزاق ٣٢٨/٢، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٩٠/٧، أبو الشيخ كما في الدر ٦٢/٤، والثعلبي ١٠٥/٧، والقرطبي ٢٥٢/٩.

(٣) الطبري ٤٩/١٣، والثعلبي ١٠٥/٧، وزاد المسير ٢٧٦/٤، والقرطبي ٢٥٢/٩.

(٤) تنوير المقباس ١٥٣، ويشهد لهذا المعنى قراءة أبي (من رحمة الله) البحر ٣٣٩/٥.

(٥) الرازي ١٩٩/١٨، وعبدالرازق ٣٢٨/٢.

(٦) الطبري ٤٩/١٣، وأبو الشيخ كما في الدر ٦٢/٤، والثعلبي ١٠٥/٧، وزاد المسير ٢٧٦/٤، والقرطبي ٢٥٢/٩، وابن أبي حاتم ٢١٩٠/٧ عن ابن إسحاق.

(٧) الرازي ١٩٩/١٨.

(٨) انظر: الطبري ٤٩/١٣، والثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧١/٤، وابن عطية ٦٠/٨، وزاد المسير ٢٧٧/٤، والقرطبي ٢٥٢/٩.

معنى الإزجاء في اللغة^(١) : السَّوْقُ^(٢) والدفع قليلاً قليلاً ، ومثله :
الترجية ، يقال : الريح يزجي السحاب ، قال الله تعالى : ﴿لَتَرَوُنَّ اللَّهَ
يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣] ، والبقرة تُزَجِّي ولدها : أي تسوقه ، قال :

وَأُمُّ عَيْنَاءَ تُزْجِي مَعَهَا إِزْجَاءً^(٣)

وزجيت فلاناً ، بالقول أي^(٤) : دافعته .

وقال^(٥) :

وَصَاحِبِ ذِي غِمْرَةٍ زَاجِيَّتُهُ بِالْقَوْلِ وَازْدَجِيَّتُهُ

(١) تهذيب اللغة (زاج) ١٥١١ / ٢ ، واللسان (زجا) ١٨١٥ / ٣ .

(٢) في (ب) : (السرقة) .

(٣) من الرجز ، ولم أقف عليه .

(٤) (أي) ساقط من (ب) .

(٥) البيتان من الرجز ، وهما بلا نسبة في التهذيب (زاج) ١٥١١ / ٢ ، واللسان (زجا) ١٨١٥ / ٣ برواية (داجيته) .

وفلان يزجّي العيش ؛ أي يدفع بالقليل ويكتفي به ، يقال ^(١) : زاجيت أيامي وزجّيتها ؛ أي دافعتها بقوت قليل ، وفلان يتزجّج باليسير ؛ أي يقنع ، وأنشد الليث ^(٢) :

تَزَجَّ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْبَلَاغِ
بِكِسْرَةِ لَيْثِنَةِ الْمِضَاغِ
بِالْمِلْحِ أَوْ مَا جَفَّ فِي الصَّبَاغِ

هذا معنى الإزجاء في اللغة ، قال ابن عباس ^(٣) : «كانت دراهم رديئة زيوفاً لا تنفق في ثمن الطعام» ، هذا قوله في رواية عكرمة وباذان ، وفسر في رواية عطاء كيف كانت الدراهم فقال ^(٤) : «وذلك أن دراهم مصر كانت يضرب فيها صورة يوسف ، والتي جاءوا بها ليست فيها صورة يوسف ، فهي أدنى لا تجوز مجاز تلك» ، وهذا قول سعيد بن جبير ^(٥) : «أنها كانت دراهم فُسُولاً» ، واختيار

(١) تهذيب اللغة : (زاج) ١٥١١ / ٢ .

(٢) الرجز بلا نسبة وهو كما يأتي :

تَزَجَّ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْبَلَاغِ
وَبَاكِرِ الْمَعْدَةِ بِالْذَّبَاغِ
بِكِسْرَةِ جَيْثِنَةِ الْمِضَاغِ
بِالْمِلْحِ أَوْ مَا خَفَّ مِنَ صِبَاغِ

وهو في اللسان (زجا) ١٨١٥ / ٣ ، (وبلغ) ٣٤٦ / ١ ، (وصبغ) ٢٣٩٥ / ٤ ، وتاج العروس (بلغ) ٨ / ١٢ ، (وصبغ) ٤٠ / ١٢ ، (ووضع) ٥١٦ / ١١ ، وأساس البلاغة (زجي) .

(٣) الطبري ٥٠ / ١٣ ، وأبو عبيد وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٦٢ / ٤ ، والثعلبي ١٠٦ / ٧ ، وزاد المسير ٢٧٨ / ٤ ، والقرطبي ٢٥٣ / ٩ .

(٤) القرطبي ٢٥٣ / ٩ ، والرازي ٢٠١ / ١٨ .

(٥) ذكره الطبري ٥١ / ١٣ بسنده عن سعيد بن جبير وعكرمة ﴿وَجِئْنَا بِضَنْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ﴾ قال سعيد : ناقصة ، وقال عكرمة : دراهم فسول ، وانظر : الطبري ٥١ / ١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٩٢ / ٧ .

الفرّاء^(١)، قال: «قدموا مصر ببضاعة فباعوها بدراهم لا تنفق في الطعام بسعر الجلياد».

وروى سعيد عن قتادة^(٢): ﴿يُضَنَعَةُ مُزْنَجَةٌ﴾ «قال: يسيرة»، وقال عبدالله بن الحارث^(٣): «قليلة»، وهو قول الحسن^(٤) والكلبي^(٥) ومجاهد^(٦) في رواية عبد الوهاب، وابن عباس^(٧) في رواية ابن جريج، عن محمد بن المرتفع قال: «قليلة خلف الغرارة^(٨) والحبلى»، ونحو هذا قال إبراهيم^(٩) وابن زيد^(١٠).

ثم اختلفوا في هذه البضاعة الرديئة القليلة أيش كانت، وذكرنا قول ابن عباس فيها في رواية ابن جريج ومثله روى عنه ابن أبي مليكة^(١١) وهو قول ابن زيد.

(١) معاني القرآن ٥٥/٢.

(٢) الطبري ٥٢/١٣، وعبدالرزاق ٣٢٨/٢.

(٣) الطبري ٥٢/١٣.

(٤) الطبري ٥٢/١٣، وابن عطية ٦٢/٨، وابن أبي حاتم ٢١٩٢/٧، والبحر ٣٤٠/٥، والرازي ٢٠١/١٨.

(٥) البغوي ٢٧٢/٤ من غير عزو.

(٦) الطبري ٥٢/١٣، وزاد المسير ٢٧٧/٤.

(٧) البخاري فتح الباري ٢٠٨/٨.

(٨) الغرارة: الجوالق، واحدة الغرائر. تهذيب اللغة ٢٦٥١/٣، واللسان ٣٢٣٦/٦.

(٩) الطبري ٥٣/١٣.

(١٠) الطبري ٥٣/١٣.

(١١) الطبري ٥٠/١٣، وعبدالرزاق ٣٢٨/٢، وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم ٢١٩١/٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٦٤/٤، والثعلبي ١٠٦/٧.

وقال الحسن^(١): «كانت إقطاً»، وقال عبدالله بن الحارث^(٢): «السمن والصوف كمتاع الأعراب»، وقال جويبر عن الضحاك^(٣): «النعال والأدم».

وقال مقاتل بن حيان^(٤): «حبة الخضر»^(٥)، والضوبر، وهو قول الكلبي^(٦).

واختلف أهل المعاني: لم سميت البضاعة القليلة الرديئة مزجاة؟ فقال أبو إسحاق^(٧): «من قولهم: فلان يزجي العيش؛ أي يدفع بالقليل ويكتفي به»، والمعنى على هذا: أنا جئنا ببضاعة إنما يُدافع بها ويتقوت ليست مما يتسع به، وعلى ما ذكر يجب أن يكون التقدير ببضاعة مزجاة بها الأيام.

-
- (١) الثعلبي ١٠٦/٧، وزاد المسير ٢٧٧/٤.
- (٢) الطبري ٥١/١٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٩١/٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٦٢/٤، والثعلبي ١٠٦/٧، وابن عطية ٦٢/٨، وزاد المسير ٢٧٧/٤.
- (٣) الثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧٢/٤، وزاد المسير ٢٧٧/٤، والقرطبي ٢٥٣/٩.
- (٤) الثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧٢/٤.
- (٥) الحبة الخضر هي الفستق، والبحر المحيط ٣٤٠/٥.
- (٦) الطبري ٥١/١٣، عن أبي صالح، وابن أبي حاتم ٢١٩١/٧، وأبو الشيخ عنه أيضاً كما في الدر ٦٢/٤، والثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧٢/٤، وتنوير المقباس ١٥٣.
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ١٢٧/٣.

وقال أبو عبيد^(١) : «إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة ؛ لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها» ، قال : «وهي من الإزجاء ، والإزجاء عند العرب : السَّوق والدَّفْع» ، وأنشد^(٢) :

لَيْبِكَ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٍ مُدْفَعٍ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلًا

أي تدفع وتسوق ، وقال غيره^(٣) : (بضاعة مزجاة) مؤخرة مدفوعة عن الإنفاق ، لا ينفق^(٤) مثلها إلا من اضطر واحتاج إليها ، لفقد غيرها مما هو أجود منها .

وقال الكلبي^(٥) : «مزجاة لغة العجم» .

قال الهيثم بن عدي^(٦) : «هي من لغة القبط» .

-
- (١) الرازي ٢٠١ / ١٨ ، وزاد المسير ٢٧٨ / ٤ ، ونسبه إلى أبي عبيدة ، ولم أجده في مجاز القرآن .
- (٢) نسبه الطبري ٥٠ / ١٣ إلى حاتم ، وعلق محمود شاكر بقوله : «ليس في ديوانه» ، وأنشده ابن بري غير منسوب في اللسان (رمل) ١٧٣٥ / ٣ ، والظاهر أن الشعر لحاتم ؛ لأن (ملحان) هو ابن عمه - ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج الطائي - وكنت وقفت على أبيات من هذا الشعر ، ثم أضعتها اليوم .
- انظر : ديوانه ٨٦ ، والزاهر ٩٧ / ٢ ، واللسان (رمل) ١٧٣٥ / ٣ ، وابن عطية ٦١ / ٨ ، والبحر المحيط ٣٤٠ / ٥ ، والدر المصون ٥٥٠ / ٦ ، وزاد المسير ٢٧٨ / ٤ .
- (٣) الرازي ٢٠٢ / ١٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٥٦ / ٣ .
- (٤) (لا ينفق) ساقط من (أ) و(ج) .
- (٥) الرازي ٢٠٢ / ١٨ .
- (٦) الرازي ٢٠٢ / ١٨ .

قال الأنباري^(١): «لا ينبغي أن يجعل حرف عربي معروف المباني والاشتقاق والتصرف منسوباً إلى القبط ودونهم؛ إذ كلام أولئك يدور^(٢) على ألسنة العرب، ولا يتصرف على مباني كلامهم».

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْفِرْ لَنَا الْكَيْلَ﴾ قال المفسرون^(٣): سألوه مساهلتهم في النقد وإعطائهم بدراهمهم مثل ما يعطى غيرها من الجياد، إذ كانوا قد باعوا بها متاعهم في مدينته، فسألوه أن يأخذها منهم ولا ينقصهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾، أكثر المفسرين^(٤) على أن هذا التصديق معناه: المساخرة بما بين الثمنين، وأن يسعر لهم بالردىء كما يسعر بالجليد، وعلى هذا سمي ذلك تصديقاً؛ لأن الذي سألوه كان مُشَبَّهاً للتصدق، وليس هو تصديقاً على ما يسبق إليه الظن، قاله أبو بكر^(٥)، وعلى هذا لا تدل الآية على أن الصدقة كانت تحل لهم، واستدل سفيان بن عيينة^(٦) على أن الصدقة كانت حلاً للأنبياء قبل نبينا محمد -عليه السلام- بهذه الآية، وعلى قول سفيان: سألوه أن يتصدق عليهم بشيء زيادة على ما يستحقونه ببضاعتهم المزجاة، وقول العامة: أشبه بحال الأنبياء وأولاد الأنبياء؛ إذ هم يأنفون من الخضوع للمخلوقين، ويغلب عليهم

(١) الرازي ٢٠٢/١٨.

(٢) في (أ) و(ج): (لا يدرون).

(٣) الطبري ٥٣/١٣، والثعلبي ١٠٦/٧، والرازي ٢٠٢/١٨.

(٤) الطبري ٥٣/١٣، والثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧٢/٤، وابن عطية ٦٣/٨.

(٥) زاد المسير ٢٧٨/٤.

(٦) الطبري ٥٣/١٣، والثعلبي ١٠٦/٧، وابن عطية ٦٣/٨، والبغوي ٢٧٢/٤، وزاد المسير

٢٧٩/٤، والقرطبي ٢٥٤/٩.

الانقطاع إلى الله تعالى والاستغناء بأقسامه^(١)، وروي عن الحسن^(٢) ومجاهد^(٣):
أنهما كرها أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدق عليّ؛ لأن الصدقة ممن يتبغي
الثواب. والتصدق إعطاء الصدقة، فالتصدق المعطي، وأجاز الليث^(٤) أن يقال:
للسائل متصدق، وأبى ذلك أهل اللغة^(٥).

٨٩. قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفُ﴾ قال ابن عباس^(٦): «كان
يعقوب قد كتب إلى يوسف كتاباً برد ابنه عليه لما حبسه عنده بعله
السَّرق، وذكر فيه قصته ومحنته، فلما قرأ الكتاب ارتعدت مفاصله،
واقشعر جلده، ولان قلبه، وأرخی عينيه بالبكاء، وعيل صبره، ولم
يتمالك نفسه فباح بما كان يكتُم».

وقال السدي^(٧) وابن إسحاق^(٨): «لما قالوا له ما قالوا في الآية الأولى، رحمهم
وأدركتهم الرقة فدمعت عينه فقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفُ﴾ وهذا
استفهام يتضمن التذكير بحال يقتضي توبيخهم عليه»، قال ابن الأنباري^(٩):
«هذا الاستفهام يعني به تعظيم القصة»، وتلخيصه: ما أعظم ما ارتكبتم من

(١) قلت: وهذا هو الراجح أنهم لم يقصدوا الصدقة التي حُرمت على الأنبياء قال ابن عطية ٦٣/٨ عن
قول سفيان: «وهذا ضعيف يرده حديث النبي ﷺ في قوله: نحن معاشر الأنبياء لا تحل لنا الصدقة».
وانظر: الرازي ٢٠٢/١٨.

(٢) الثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧٢/٤، والقرطبي ٢٥٥/٩، والرازي ٢٠٢/١٨.

(٣) الطبري ٥٤/١٣، وأبو عبيد وابن المنذر كما في الدر ٦٢/٤، والرازي ٢٠٢/١٨.

(٤) الرازي ٢٠٢/١٨، وانظر: تهذيب اللغة (صدق) ١٩٩١/٢.

(٥) تهذيب اللغة (صدق) ١٩٩١/٢.

(٦) الثعلبي ١١٠٧/٧، والبغوي ٢٧١/٤ عن عبدالله بن زيد بن أبي فروة، زاد المسير ٢٧٩/٤.

(٧) الطبري ٥٤/١٣.

(٨) الطبري ٥٤/١٣، والثعلبي ١٠٦/٧، والبغوي ٢٧٢/٤، وابن عطية ٦٥/٧، وزاد المسير

٢٧٩/٤.

(٩) زاد المسير ٢٧٩/٤، والدر المصون ٥٥١/٦.

يوسف ، وما أسمح ما أتيتم من قطعة رحمة وتضييع حقه ، كما تقول : هل تدري من عصيت ؟ هل تعرف من عادت ؟ قال صاحب النظم : هذه الآية تصديق قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَيِّنَّهْم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخِيهِ ﴾ يعني : ما فعلوا به من تعريضه للغم وإدخالهم الجزع والحزن عليه بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه ، ولم يذكر أباه يعقوب مع عظيم ما دخل عليه من الهم بفراقه ، كما ذكر أخاه ، تعظيماً للأب ورفعاً من قدره ، وعلماً بأن ذلك كان بلاء من الله له ليزيد في درجته عنده .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ قال ابن عباس : « آثمون » ، قال أبو بكر^(١) : « أراد أنتم تعقون أباكم ، وتقطعون رحم أخيكم ، جهلاً منكم » ، وروي عنه^(٢) : « إذ أنتم صبيان » ، وعن الحسن^(٣) : « شبان » ، وعلى هذا يعني جهالة الصِّبَا والشباب^(٤) .

وقال أهل المعاني : هذا يقتضي أنهم الآن على خلاف تلك الحال ؛ لأنه أخبر عما كانوا عليه في ذلك الوقت من الجهالة .

٩٠ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ قرأه أكثر^(٥) القراء بالاستفهام ، في قراءة^(٦) أبي : (أو أنت يوسف) ، وروى جوير عن

(١) زاد المسير ٤ / ٢٨٠ .

(٢) زاد المسير ٤ / ٢٨٠ ، والقرطبي ٩ / ٢٥٦ ، والثعلبي ٧ / ١٠٧ ب .

(٣) القرطبي ٩ / ٢٥٦ ، والثعلبي ٧ / ١٠٧ ب .

(٤) في (أ) و(ج) : (والشباب) .

(٥) قرأ جميع القراء بالاستفهام ، غير ابن كثير فقرأ : (إنك لأنت يوسف) على الخبر ، واختلفوا في الهمز ، فكان حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر يهزون همزتين (أنتك) والباقيون يهزون همزة واحدة .

انظر : السبعة ٣٥١ ، وإتحاف ٢٦٧ ، والطبري ١٣ / ٥٥ ، وابن عطية ٨ / ٦٦ .

(٦) الطبري ١٣ / ٥٥ ، وابن عطية ٨ / ٦٦ ، والبحر ٥ / ٣٤٢ ، والمحتسب ١ / ٣٤٩ .

الضحاك عن ابن عباس^(١) : «أن يوسف قال لهم : (هل علمتم) الآية ، ثم تبسم فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف فقالوا له استفهاماً : ﴿ أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ ، ويدل على صحة الاستفهام قوله تعالى : ﴿ أَنَا يُوسُفُ ﴾ ، وإنما أجابهم عما استفهموا عنه ، وقرأ ابن كثير : (إنك) على الخبر ، وحجته ما روى عطاء عن ابن عباس : «أن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عنه ، وكان له في قرنه علامة ، وكان ليعقوب وإسحاق مثلها شبه الشامة ، فلما رفع التاج عرفوه بتلك العلامة ، فقالوا : إنك لأنت يوسف» ، (وقال ابن إسحاق^(٢) : «رفع الحجاب فعرفوه فقالوا : إنك لأنت يوسف»^(٣) ، ويجوز^(٤) أن يكون ابن كثير أراد الاستفهام ثم حذفه ، كما قال أبو الحسن في قوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ ﴾^(٥) أنه على الاستفهام كأنه أو تلك ؛ لأن حرف الاستفهام قل ما يحذف^(٦) في غير الشعر .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾ قال ابن الأنباري^(٧) : «أظهر الاسم وترك الكناية ، فلم يقل : أنا هو ، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته وما عوضه الله من الظفر وبلوغ المحبة» ، فكان بمعنى : أنا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله ، فكفى ظهور الاسم من^(٨) هذه المعاني ؛ ولهذا قال : وهذا أخي ، وهم يعرفونه ؛

(١) الثعلبي ٧/ ١٠٨ ، وزاد المسير ٤/ ٢٨١ ، والبغوي ٤/ ٢٧٣ ، والقرطبي ٩/ ٢٥٦ .

(٢) الطبري ١٣/ ٥٥ ، وزاد المسير ٤/ ٢٨١ .

(٣) ما بين القوسين مكرر في (أ) .

(٤) من هنا يبدأ النقل عن كتاب الحجة ٤/ ٤٤٧ .

(٥) سورة الشعراء ٢٢ .

(٦) إلى هنا انتهى النقل عن الحجة ٤/ ٤٤٧ .

(٧) زاد المسير ٤/ ٢٨١ .

(٨) في (أ) و(ج) : (وهذه) .

لأن قصده وهذا المظلوم كظلمي ، والمنعم عليه كإنعامي ، وقد ذكرنا قبل هذا أن العرب إذا عظمت الشيء أعادته ولم تُكَنَّ عنه كقوله^(١) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ قال ابن عباس^(٢) : « يريد بكل خير في الدنيا والآخرة » ، وقال آخرون^(٣) : بالجمع بيننا بعد التفرقة ، وذكرنا معنى المن عند قوله : ﴿ مَنَّا وَلَا أَدَى ﴾ [البقرة: ٢٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْبِرْ ﴾ قال ابن عباس^(٤) : « يريد : من يتق الله ويصبر على المصائب وعن المعاصي » ، قال ابن الأنباري : « تلخيصه : من يراقب الله ويصبر على الأذى في ذاته » ، وقال مقاتل بن سليمان^(٥) : « من يَتَّقِ الزنا ويصبر على الأذى » ، وقال إبراهيم^(٦) : « من يتق الزنا ويصبر على العزوبة فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

قال ابن عباس^(٧) : « يريد أجر من كان هذا حاله » ، وتأويله : فإن الله لا يضيع أجره وأجور الفاعلين مثل فعله ، وروي عن ابن كثير في طريق قبل^(٨) : أن (من يتقي) بإثبات الياء .

(١) سبق تخريجه .

(٢) الرازي ١٨ / ٢٠٤ ، وزاد المسير ٤ / ٢٨٠ .

(٣) الثعلبي ٧ / ١٠٨ ، وزاد المسير ٤ / ٢٨١ .

(٤) زاد المسير ٤ / ٢٨٢ ، والقرطبي ٩ / ٢٥٦ .

(٥) تفسير مقاتل ١٥٧ أ .

(٦) الثعلبي ٧ / ١٠٨ ، وزاد المسير ٤ / ٢٨١ .

(٧) زاد المسير ٤ / ٢٨٢ .

(٨) انظر : السبعة ٣٥١ ، وإتحاف ٢٦٧ ، وابن عطية ٨ / ٦٧ .

قال أبو علي^(١): «وله وجهان أحدهما: أن تقدر الحركة في الياء، ثم تحذفها، فتبقى ساكنة للجزم كقوله^(٢) :

أَلَمْ يَأْتِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي

ولا يحمل على هذا لأنه مما يجيء في الشعر دون الكلام، والآخر: أن يجعل بمنزلة الذي لا يوجب الجزم، ويحمل المعطوف على المعنى؛ لأن الذي يتقي بمعنى الجزاء الجازم كأنه من يتق، والحمل على المعنى كثير، وقد ذكرنا نظائره، ويجوز على هذا الوجه أن يكون: (ويصبر) في موضع الرفع إلا أنه حذفت الضمة للاستخفاف كما حذف نحو: عَصُدْ وَسُجِّعْ، وجاز هذا في حركة الإعراب جوازه في حركة البناء، كما زعم أبو الحسن أنه سمع: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ﴾^(٣) [الزخرف: ٨٠]، وكقراءة من قرأ: ﴿وَيَتَّقِهِ﴾^(٤) [النور: ٥٢] بجزم القاف^(٥)، وذكر ابن الأنباري وجهاً آخر وهو: أن الياء في (يتقي) ليست لام الفعل، بل هي ياء مزيدة مختلصة تدغم بها كسرة القاف، ونظير هذه القراءة قراءة حمزة^(٦) (لا تَحْفُ دركاً) بالجزم و﴿وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧] بالرفع، وهناك تشرح المسألة إن شاء الله.

٩١. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ الأصمعي^(٧): «آثرتك إيثاراً؛ أي فضلتك، وفلان أثير عند^(٨) فلان وذو أثره، إذا كان خاصاً به»، قال الليث: «وهو الذي يؤثره بفضله وصلته».

(١) الحجة ٤/٤٤٨، ٤٤٩ بتصرف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) بإسكان اللام من (رسلنا) وقرأ بها حمزة ويعقوب، وإتحاف ٣٨٧، والبدور الزاهرة ٣٥١.

(٤) قرأ حفص بإسكان القاف وكسر الهاء، انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٥٠٣.

(٥) إلى هنا انتهى النقل عن الحجة ٤/٤٤٨، ٤٤٩ بتصرف.

(٦) انظر: الغاية لابن مهران ٢٠٨، والسبعة ٤٢١، والتيسير ١٥٢، والنشر ٣/١٨٤، وإتحاف ٣٠٦.

(٧) كذا في جميع النسخ ولعل (قال) ساقطة. انظر: تهذيب اللغة (أثر) ١/١٢٠.

(٨) في (أ) و(ب) و(ج): (عندنا) بزيادة (نا)، وانظر: تهذيب اللغة ١/١٢٠.

قال ابن عباس^(١): «لقد فضلك الله علينا» .

قال المفسرون^(٢): أي بالعلم والحلم والعقل والفضل والحسن والملك ،
﴿وَلَا تَكُنَّ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ قال ابن عباس^(٣): «لذنبين» ، وقال غيره : لآثمين
في أمرك ، والمعنى : وما كنا إلا خاطئين .

وقال ابن الأنباري^(٤): «ويجوز أن يكون (خاطئين) بمعنى : مخطئين» ، وهو
اختيار الزجاج^(٥) ، وأنشد^(٦):

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلًا

بمعنى : أخطأن ، وذكرنا الكلام في : خطئ وأخطأ ، عند قوله : ﴿وَأَخْطَأْتُ
بِهِ خَطِيئَتَهُ﴾ [البقرة: ٨١] ، وقوله : ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

٩٢. قوله تعالى : ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ﴾ الآية ، روى ثعلب عن
ابن الأعرابي^(٧): «الثارب الموبخ ، يقال : ثرب ، وثرّب ، وأثرّب إذا
وبخ» .

(١) القرطبي ٢٥٧/٩ ، وزاد المسير ٢٨٤/٤ ، من دون نسبة كما في البغوي ٢٧٤/٤ .

(٢) الثعلبي ١٠٨/٧ ، والرازي ٢٠٤/١٨ .

(٣) زاد المسير ٢٨٢/٤ ، والقرطبي ٢٥٧/٩ ، والثعلبي ١٠٨/٧ .

(٤) زاد المسير ٢٨٢/٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٢٨/٣ .

(٦) صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه :

القاتلينَ المَلِكَ الحَلاَحِلَا

الديوان :/ ١٣٦ ، ومجاز القرآن ٣١٨/١ ، والشعر والشعراء ٥١ ، واللسان (حلل) ٩٧٩/٢ ، وفي

تهذيب اللغة (حلل) ٩٠٦/١ نفسي بدل هند . والحلا حل : القوي الشديد .

(٧) تهذيب اللغة (ثرب) ٤٧٦/١ ، واللسان (ثرب) ٤٧٥/١ .

ومنه الحديث^(١) : «إذا زنت أمة أحدكم فليضربها الحد ولا يثربها» ؛ أي ولا يعيرها بالزنا ، وقال الزَّجَّاج^(٢) : «معناه : لا إفساد عليكم» ، وقال أبو عبيدة^(٣) : «معناه : لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد» ، وأنشد^(٤) :

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوً غَيْرَ مُثَرَّبٍ وَتَرَكْتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرَمَدٍ
وروى ابن الأنباري عن أبي العباس^(٥) : «ثرب فلان على فلان ، إذا عدَّد عليه ذنوبه» .

قال ابن عباس : «يريد لا لوم عليكم» ، وقال محمد بن إسحاق^(٦) : «لا^(٧) تأنيب عليكم» ، وقال سفيان^(٨) : «لا تعير عليكم» .
وقال الكلبي^(٩) : «يقول لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبداً» .

(١) الحديث أخرجه البخاري (٢١٥٢) في كتاب البيوع ، باب بيع العبد الزاني ، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : «إذا زنت الأمة فتيين زناها ، فليجلدها ولا يثرب ، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب ، ثم إن زنت الثالثة فليبيعها ولو بحبل من شعر» ، ولفظ «ولا يثرب عليها» (ح ٢٢٣٣) كتاب البيوع ، باب بيع الرقيق ، وأطرافه في (ح ٢٢٣٤ ، ٢٥٥٥ ، ٦٨٣٧ ، ٦٨٣٩) ، وأخرجه مسلم (ح ١٧٠٣) في كتاب الحدود ، باب رجم اليهود ، وأهل الذمة ، في الزنا ، وأحمد في مسنده ٢٤٩ / ٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٨ / ٣ .

(٣) مجاز القرآن ٣١٨ / ١ . والسياق يوهم أن البيت أورده أبو عبيدة ، ولم أجده في مجاز القرآن .

(٤) القائل بشر بن أبي خازم وهو في ملحق ديوانه ٢٢٩ برواية عجزه :

أَوَّلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ سَرَمَدٍ

أوله في اللسان (ثرب) ٤٧٥ / ١ ، ونسب لتبع في اللسان (ولي) ٤٩٢٤ / ٨ ، وكتاب العين ٢١٩ / ٧ ، وأساس البلاغة (ثرب) ٤٤ ، وقيل هو لتبع .

(٥) تهذيب اللغة (ثرب) ٤٧٦ / ١ .

(٦) الطبري ٥٦ / ١٣ .

(٧) (لا) : ساقط من (ب) .

(٨) الطبري ٥٦ / ١٣ .

(٩) تنوير المقباس ١٥٣ ، وزاد المسير ٢٨٢ / ٤ .

فإن قيل : لم خص اليوم ونيته العفو وترك التوبيخ أبداً؟ قال أبو بكر^(١) : «إن يوسف لما قدم توبيخهم ، وعدّد عليهم قبيح ما فعلوا ، وهو يستر عنهم نفسه ، قال لهم عند تبين أمره لهم : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ ؛ أي قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب ، فكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع التأنيب ، وعلى أن ما بعده من الأيام يجري مجراه ، واليوم قد يذكر ويراد به : الحين والزمان ، كقول امرئ القيس :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ

ليس يريد يوماً بعينه» ، قال^(٢) : «ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ ألبته ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فتعلق اليوم بالغفران وتناول : غفر الله لكم اليوم» ، قال : «وفيه ضعف ، إذ الدعاء لا ينصب قبله ، وهو على ما فيه محتمل ، من قبل أن لفظ (يغفر) لفظ الخبر إذ عرى من الجزم وعوامله فينصرف منصوبه عليه كما ينصرف على الأفعال المرفوعة في الأخبار» ، وهذا الذي ذكره أبو بكر مذهب الأخفش^(٣) ، فإن عنده يجوز الوقف على قوله : ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، قال ابن عباس^(٤) : «جعلهم في كل حل ، وسأل الله لهم المغفرة ، وأخبر أن الله أرحم بأوليائه من الوالدين بولدهما» .

٩٣ . قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي ﴾ الآية ، قال المفسرون^(٥) : لما عرفهم يوسف نفسه ، سأله عن أبيه فقال : ما فعل

(١) زاد المسير ٢٨٢/٤ بنحوه .

(٢) أي أبو بكر .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٥٩٣/٢ .

(٤) زاد المسير ٢٨٣/٤ .

(٥) الطبري ٥٧/١٣ ، والثعلبي ١٠٨/٧ ب ، والبغوي ٢٧٤/٤ ، وزاد المسير ٢٨٣/٤ .

أبي بعدي ؟ فقالوا : ذهبت عيناه ، فأعطاهم قميصه ، فقال لهم :
﴿ اَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴾ .

وكان من شأن ذلك القميص ما أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل^(١) رحمه الله ، أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه^(٢) ، أخبرنا أبو لبابة محمد بن المهدي^(٣) ، حدثنا عمار بن الحسن^(٤) ، حدثنا شجاع بن أبي نصر^(٥) ، عن عباد بن كثير^(٦) عن إسحاق^(٧) بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : «أما قوله : ﴿ اَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ ﴾ ، فإن نمرود الجبار لما

- (١) لم أجد هذه الكنية وفي الوسيط ٢ / ٣٦١ ، وذكره باسمه أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر ، فعل المراد به محمد بن أحمد بن جعفر ، أبو حسان المزكي ، شيخ التزكية والحشمة بنيسابور ، ثقة مشهور بالفضل كان فقيهاً صالحاً خيراً ، حدث عن محمد بن إسحاق المنبجي ، وابن نجيد ، والطبقة مات سنة ٤٢٣ هـ ، وسبق من شيوخه ، السير ١٧ / ٥٩٦ ، انظر : شذرات الذهب ٣ / ٢٥٠ ، والمنتخب ٣٤ .
- (٢) زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى ، أبو علي السرخسي ، الفقيه المقرئ ، المحدث ، إمام من الأئمة ، قال الحاكم : شيخ عمر بخرسان ، توفي سنة ٣٨٩ هـ ، انظر : وفیات الأعيان ٣ / ٢٩٣ ، والعبر ٣ / ٤٣ ، واللباب ٣ / ٢٨٥ .
- (٣) أبو لبابة محمد بن المهدي بن عبد الرحيم الميهني الأبيوردي ، روى عن عمار بن الحسن كتاب المغازي ، انظر : تهذيب الكمال ٢١ / ١٨٦ .
- (٤) عمار بن الحسن بن بشير الهمداني ، أبو الحسن الرازي ، نزيل نساء ، ثقة ، وثقه النسائي وغيره ، مولده ١٥٩ هـ ، وتوفي ٢٤٢ هـ ، انظر : تهذيب الكمال ٢١ / ١٨٦ ، والثقات لابن حبان ٨ / ٥١٧ .
- (٥) شجاع بن أبي نصر البلخي ، أبو نعيم المقرئ ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : «ثنا شجاع بن أبي نصر ، وكان صدوقاً مأموناً» ، وذكره ابن حبان في الثقات ، انظر : التهذيب ٢ / ١٥٣ .
- (٦) عباد بن كثير الثقفي ، البصري العابد ، نزيل مكة ، وروى عن يحيى بن أبي كثير ، وثابت وأبي عمران الجوني وعنه إبراهيم بن أدهم وأبو نعيم ، قال البخاري : «تركوه» ، وقال ابن معين : «ليس بشيء» . انظر : التهذيب ٢ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، وميزان الاعتدال ٣ / ٨٥-٨٩ ، والسير ٧ / ١٠٦ .
- (٧) إسحاق بن عبد الله بن صاحب رسول الله ﷺ أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري الخزرجي البخاري المدني الفقيه ، أحد الثقات ، سمع من عمه أنس بن مالك وغيره . كان مالك يثني عليه ، ولا يقدم عليه أحداً ، توفي سنة ١٣٢ هـ ، وقيل ١٣٤ هـ روى له الجماعة . انظر : التهذيب ١ / ١٢٢ ، ١٢٣ ، وثقات ابن حبان ٤ / ٢٣ ، والسير ٦ / ٣٣٦ ، فالحديث منكر لوجود عباد بن كثير في إسناده .

ألقى إبراهيم في النار ، نزل إليه جبريل بقميص من الجنة وطفنسة من الجنة فألبسه القميص وأقعدته على الطنفسة وقعد معه يحدثه ، فكسا إبراهيم ذلك القميص إسحاق ، وكساه إسحاق يعقوب ، وكساه يعقوب يوسف ، فجعله في قسبة من فضة وعلقها في عنقه ، وألقي في الحب والقميص في عنقه ، فذلك قوله : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴾ الآية (١) .

ونحو هذا قال عامة المفسرين ، قال ابن عباس (٢) : «أخرج لهم قسبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها إخوته فيها قميص ، وهو الذي نزل به جبريل من الجنة على إبراهيم» ، وذكر القصة ، وقال مجاهد (٣) : «أمره جبريل أن أرسل إليه بقميصك ، فإن ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا صح وعوفي» ، وقال الحسن (٤) : «لولا أن الله أعلمه لم يدر أنه يرجع إليه بصره» .

قال أهل المعاني (٥) : ويجوز أن يكون قد أوحى إليه أن إلقاء قميصه على وجه أبيه يكون سبباً لإبصاره ، وزوال العمى عن عينه ، فأرسل إليه بقميص له ، وقال : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ قال ابن عباس (٦) : «يريد بصيراً ويذهب البياض الذي على عينيه» ، وقال السدي (٧) : «يعد بصيراً» ،

(١) قال القرطبي ٢٥٩/٩ : «ذكره القشيري» .

(٢) أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس نحوه كما في الدر ٦٥/٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم ٢١٩٦/٧ عن المطلب بن عبدالله بن حنطب نحوه كما في الدر ٦٥/٤ ، وفي إسناده الحسن بن يحيى الخشنى وهو ضعيف .

(٣) الثعلبي ١٠٩/٧ ، والبغوي ٢٧٥/٤ ، والقرطبي ٢٥٨/٩ .

(٤) القرطبي ٢٥٩/٩ .

(٥) نسبة الرازي ٢٠٦/١٨ للمحققين ، ولم أعثر عليه في كتب المعاني المتداولة .

(٦) انظر : الرازي ٢٠٦/١٨ ، ذكره من دون نسبة كما في البغوي ٢٧٤/٤ .

(٧) الطبري ٥٧/١٣ .

وقال الفرّاء^(١) : «يرجع بصيراً» ، وقيل^(٢) : أراد يأتي بصيراً ، وكان قد دعاه .
﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الكلبي^(٣) : و«كان أهله نحواً من سبعين
إنساناً» ، وقال مسروق^(٤) : «دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون بين
رجل وامرأة» .

٩٤ . قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ قال الأزهري^(٥) : «يقال : فصل
فلان من عند فلان فصولاً ، إذا خرج من عنده ، وفصل مني إليه
كتاب ، إذا نفذ ، وفصل يكون لازماً وواقعاً ، فإذا كان واقعاً فمصدره
الفصل ، وإذا كان لازماً فمصدره الفصول» ، قال المفسرون^(٦) : لما
خرجت العير من مصر متوجهة إلى كنعان قال أبوهم لمن حضره من
أهله وقرباته وولد ولده ؛ لأن ولده كانوا غيباً عنه : ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ
يُوسُفَ﴾ ، قال ابن عباس^(٧) في رواية بن أبي الهذيل^(٨) : «هاجت ريح
فحملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب ، وبينهما مسيرة ثمان ليال» .

(١) معاني القرآن ٢/ ٥٥ .

(٢) الثعلبي ٧/ ١٠٩ أ .

(٣) الرازي ١٨/ ٢٠٧ ، وزاد المسير ٤/ ٢٨٣ .

(٤) الرازي ١٨/ ٢٠٧ ، والقرطبي ٩/ ٢٥٩ .

(٥) تهذيب اللغة (فصل) ٣/ ٢٧٩٥ .

(٦) الثعلبي ٧/ ١٠٩ أ ، وزاد المسير ٤/ ٢٨٤ ، والقرطبي ٩/ ٢٥٩ ، والرازي ١٨/ ٢٠٧ .

(٧) الطبري ١٣/ ٥٧ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٢٩ ، والفريابي ، وأحمد في الزهد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم
٧/ ٢١٩٧ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٤/ ٦٦ ، والثعلبي ٧/ ١٠٩ ب ، والقرطبي
٩/ ٢٥٩ .

(٨) هو عبدالله بن أبي الهذيل الكوفي أبو المغيرة ، مات في ولاية خالد القسري على العراق .

انظر : تقريب التهذيب ٣٢٧ (٣٦٧٩) ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٠ .

وعن الحسن^(١) قال : «وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة عشرة أيام» ، وقال قتادة^(٢) : «ذكر لنا أنه كان بينهما ثمانون فرسخاً» .

وذكر مجاهد^(٣) السبب في ذلك فقال : «هبّت ريح فصفت القميص ، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب ، فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص ، فمن ثم قال : ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ . وقال أهل المعاني : إن الله تعالى أوجده ريح يوسف عند تقضي الامتحان ، ومجيء الروح والفرج من المكان النازح ، ومنعه ذلك على القرب منه حين ألقى في الحب ، وبيع من مالك بن ذعر ، للمحنة والبلية التي جعلت سبباً لكمال أجره ، ومعنى : (أجد ريح يوسف) : أشم ، وعبر عنه بالوجود ؛ لأنه وجود بحاسة الأنف .

وقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ قال أبو بكر بن الأنباري^(٤) : «أفند الرجل إذا خرّف وتغير عقله ، وأفند^(٥) إذا جهل ، ونسب إلى ذلك» ، الليث^(٦) : «الفند إنكار العقل من الهرم ، يقال : شيخ مفند» .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٩٧/٧ ، وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في الدر ٦٦/٤ ، والقرطبي ٢٥٩/٩ عن الحسن .

(٢) الطبري ٥٨/١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٩٧/٧ عن ابن عباس .

(٣) الثعلبي ١١٠٩/٧ ، وزاد المسير ٢٨٤/٤ ، والبغوي ٢٧٥/٤ .

(٤) انظر : الزاهر ٥١٤/١ ، والرازي ١٦٦/١٨ .

(٥) في (ب) : (أنفد) .

(٦) تهذيب اللغة (فند) ٢٨٣٧/٣ ، وهو هكذا في جميع النسخ من غير (قال) فلعلها ساقطة .

وروى أبو عبيد عن الأصمعي^(١) : «إذا كثر كلام الرجل من خرف فهو المَفْنَدُ، والمُفْنَدُ» ، ابن الأعرابي : «فَنَدَ رأيُه إذا ضَعَفَه» ، وقال الفراء^(٢) في هذه الآية : «لولا أن تكذبوني وتعجزوني وتضعفوني» .

وقال أبو عبيد^(٣) : «لولا أن تسفهوني» ، وقال الزَّجَّاج^(٤) : «لولا أن تجهلوني» ، قال ابن عباس^(٥) : «لولا أن تكذبون» .

وقال مجاهد^(٦) : «لولا أن تسفهوني ، وتقولوا : ذهب عقلك» .

وقال محمد بن إسحاق^(٧) : «لولا أن تضعفوني» ، وأصل هذا^(٨) كله من الفند وهو السفه والجهل ، ومنه قول النابغة^(٩) :

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ

ولي في نظم هذه الآية نظر يعد .

(١) تهذيب اللغة (فند) ٢٨٣٧/٣ ، والغريب المصنف ١/٣٤٧ .

(٢) معاني القرآن ٢/٥٥ .

(٣) مجاز القرآن ١/٣١٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٢٨ .

(٥) الطبري ١٣/٦١ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٩٨ .

(٦) الطبري ١٣/٥٩ ، وابن أبي حاتم ٧/٢١٩٨ .

(٧) الطبري ١٣/٦٠ .

(٨) (هذا) ساقط من (ج) .

(٩) انظر : ديوانه ١٢ ، والقرطبي ٩/٢٦٠ ، والبحر المحيط ٥/٣٤٠ ، والدر المصون ٦/٥٥٧ ، واللسان

(حدد) ٢/٨٠١ ، وكتاب العين ٨/٤٩ ، ومقاييس اللغة ٢/٣ ، ومجمل اللغة ٢/٢١٠ ، وتهذيب

اللغة ١/٧٥٩ ، وتاج العروس (حدد) ٤/٤١١ .

وقد شبه الشاعر النعمان بسليمان عليه السلام . واحدها : احبسها .

٩٥. قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ﴾ قال الكلبي^(١) والسدي^(٢) والمفسرون^(٣): هذا من قول بني بنيه له، قال مقاتل^(٤) بن سليمان وغيره: معنى الضلال هاهنا الشقاء، يعنون شقاء الدنيا، وتلخيصه: إنك لفي شقائق القديم بما تكابد من الأحزان على يوسف، واحتج مقاتل بقوله: ﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤]: يعنون لفي شقاء في دنيانا، وقال قتادة^(٥) وابن إسحاق^(٦): في حبك ليوسف ما تنساه ولا تسلاه، وهذا كقول بني: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]، وقد مضى الكلام فيه.

وقال الحسن^(٧): «إنما قالوا له هذا لأنه كان عندهم أن يوسف قد مات، وكان في ولوعه بذكره ذاهباً عن الصواب في أمره عندهم».

وروي عن قتادة^(٨) أنه قال: «قالوا كلمة غليظة لم يكن يجوز أن يقولوها لنبي الله عليه السلام».

٩٦. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: (أن) هاهنا لا موضع لها من الإعراب، وهي تزداد مع لَمَّا تأكيداً على جهة الصلة^(٩)، قال أبو

(١) تنوير المقياس ١٥٣.

(٢) زاد المسير ٢٨٥/٤، وابن أبي حاتم ٢١٩٩/٧.

(٣) الثعلبي ١١٠/٧، والبيهقي ٢٧٦/٤.

(٤) تفسير مقاتل ١٥٧ب، وزاد المسير ٢٨٦/٤.

(٥) الطبري ٦٢/١٣، والرازي ٢٠٨/١٨.

(٦) الطبري ٦٢/١٣، وابن أبي حاتم ٢٤١/٤ب.

(٧) البيهقي ٢٧٦/٤، والقرطبي ٢٦١/٩، والرازي ٢٠٨/١٨.

(٨) الطبري ٦٢/١٣، وابن عطية ٣٧٤/٩، وابن أبي حاتم ٢١٩٩/٧.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٥/٢.

بكر^(١) : «دخولها لتوكيد مضي الفعل ولا موضع لها، وسقوطها للاستغناء عنها كقوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ﴾ [هود: ٧٤] ، والمذهبان جميعاً موجودان في أشعار العرب» .

وقال البصريون : موضع (أن) رفع بفعل مضمر تلخيصه : فلما ظهر أن جاء البشير ؛ أي ظهر مجيء البشير فأضمر الرفع .

قال ابن عباس^(٢) ومجاهد^(٣) والضحاك^(٤) والسدي^(٥) ومقاتل^(٦) : «البشير هو يهوذا ، قال : أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته ، فألقاه على وجهه» .

قال ابن عباس : «ألقي القميص على وجه يعقوب فارتد بصيراً» ، يريد : انجلى البياض وذهبت الظلمة .

وقال المفسرون^(٧) : فعاد ورجع بصيراً ، ومعنى الارتداد انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها .

(١) زاد المسير ٢٨٦/٤ .

(٢) الطبري ٦٢/١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٩٩/٧ ، كما في الدر ٦٨/٤ ، والثعلبي ١١٠/٧ ، والبغوي ٢٧٦/٤ ، وزاد المسير ٢٨٦/٤ ، وابن عطية ٧٦/٨ ، والقرطبي ٢٦١/٩ .

(٣) الطبري ٦٣/١٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢١٩٩/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٦٨/٤ .

(٤) الطبري ٦٣/١٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٦٨/٤ .

(٥) الطبري ٦٣/١٣ ، والثعلبي ١١٠/٧ ، وزاد المسير ٢٨٦/٤ ، وابن عطية ٧٦/٨ ، والقرطبي ٢٦١/٩ ، وابن أبي حاتم ٢١٩٩/٧ ، ٢٢٠٠ .

(٦) تفسير مقاتل ١٥٧ ب .

(٧) الثعلبي ١١٠/٧ ، وزاد المسير ٢٨٦/٤ ، والرازي ٢٠٩/١٨ .

قال ابن الأنباري^(١) : «وهذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين كقولهم : طالت النخلة ، والله أطالها» .

٩٧ . وقوله تعالى : ﴿أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذكرنا معناه في ما تقدم .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال ابن عباس^(٢) في رواية عطاء : «آخر دعاءه إلى السَّحَر»^(٣) ، وهو قول ابن مسعود^(٤) وقتادة^(٥) والسدي^(٦) ، وقال^(٧) في رواية الكلبي وعكرمة «يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة» .

قال^(٨) أبو إسحاق^(٩) : «أراد يعقوب أن يستغفر لهم في وجه السَّحَر في الوقت الذي هو أخلق لإجابة^(١٠) الدعاء ، لا أنه ضَنَّ عليهم بالاستغفار» .

(١) زاد المسير ٢٨٦/٤ .

(٢) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ كما في الدر ٦٨/٤ ، وزاد المسير ٢٨٧/٤ ، والقرطبي ٢٦٢/٩ .

(٣) قال في الحاشية (في الأصل إلى السفر) في النسختين (أ) و(ب) .

(٤) الطبري ٦٤/١٣ ، والثعلبي ١١١/٧ ، والقرطبي ٢٦٣/٩ ، وابن عطية ٧٨/٨ ، وابن أبي حاتم ٢٢٠٠/٧ .

(٥) زاد المسير ٢٨٧/٤ .

(٦) زاد المسير ٢٨٧/٤ .

(٧) الطبري ٦٥/١٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٦٤/٤ ، وزاد المسير ٢٨٧/٤ ، والثعلبي ١١١/٧ ، وابن عطية ٧٨/٨ .

(٨) في (ب) : (وقال) .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١٢٩/٣ .

(١٠) في (أ) و(ج) : (الإجابة) .

٩٩. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [قال المفسرون^(١): إن يوسف^(٢)] بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي راحلة ، وسأل يعقوب أن يأتيه وولده أجمعين ، فتهاياً يعقوب وخرج مع أهله وولده إلى مصر فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ قال ابن عباس وعامة المفسرين^(٣): يعني: أباه وخالته ، وذلك أن أمه كانت قد ماتت في نفاسها بنيامين^(٤).

قال ابن إسحاق^(٥): «يعني أباه وأمه» ، وهو قول الحسن^(٦) قال: «أنشأ الله راحيل أم يوسف تحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له» .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ قال لهم هذا القول قبل دخولهم إلى مصر ؛ لأنه كان قد استقبلهم ، هذا قول السدي^(٧) وفرقد السبخي^(٨) ، وقال عطاء عن ابن عباس^(٩): «يريد انزلوها آمنين» ، وعلى هذا سمي النزول دخولاً ؛ لا قتران أحدهما بالآخر .

(١) الثعلبي ١١١/٧ ، والقرطبي ٢٦٣/٩ ، والبغوي ٢٧٨/٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٣) روى الطبري ٦٦/١٣ ذلك عن السدي ، وأخرجه أبي حاتم ٢٢٠١/٧ عن السدي ، وأبو الشيخ عن وهب كما في الدر ٧١/٤ ، وأخرجه أبو الشيخ عن سفيان كما في الدر ٧١/٤ ، والبغوي ٢٧٨/٤ ، والثعلبي ١١٢/٧ ، وزاد المسير ٢٨٨/٤ ، والقرطبي ٢٦٣/٩ .

(٤) كذا في النسخ جميعها ، والصواب والله أعلم : بنيامين .

(٥) الطبري ٦٧/١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة كما في الدر ٧١/٤ ، وزاد المسير ٢٨٨/٤ ، والثعلبي ١١٢/٧ ، وابن عطية ٧٩/٨ .

(٦) زاد المسير ٢٨٨/٤ ، والبغوي ٢٧٨/٤ ، والثعلبي ١١٢/٧ ، والقرطبي ٢٦٣/٩ ، وابن عطية ٧٩/٨ .

(٧) الطبري ٦٦/١٣ ، والرازي ٢١١/١٨ ، ورجحه الطبري ٦٦/١٣ .

(٨) الطبري ٦٦/١٣ ، هو أبو يعقوب أحد الصالحين ، روى عن أنس ، غير محتج بحديثه ، انظر : حلية الأولياء ٤٤/٣ .

(٩) زاد المسير ٢٨٨/٤ من غير نسبة ، والرازي ٢١١/١٨ عن ابن عباس .

وأما معنى الاستثناء في قوله : ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ فإنه يقود إلى الأمن لا إلى الدخول ، والمعنى : ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله ؛ لأنه ^(١) لا يتيقن الأمن ، فتقدم الاستثناء وهو منوي به التأخير ^(٢) ، ذكره أبو بكر ^(٣) وغيره ، قال ابن عباس ^(٤) : «وإنما قال آمنين ؛ لأنهم كانوا في ما خلا يخافون ملوك مصر ، ولا يدخلونها إلا بجوارهم» ، ويجوز أن يعود الاستثناء إلى الدخول على القول الذي يقول إنه قال لهم : ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ ، قيل : أن ادخلوها ، وقال ابن جريج ^(٥) : ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مقدم إلى قوله : سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله ، قال : «وهذا من التقديم والتأخير في القرآن وهو كثير» .

١٠٠ . قوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال ابن عباس ^(٦) والمفسرون ^(٧) : «على السرير» ، قال أهل اللغة ^(٨) : العرش السرير الرفيع ، وهو سرير الملك ، قال الله تعالى : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل : ٢٣] . قال أهل التفسير ^(٩) : أجلسهما عليه .

وقوله تعالى : ﴿وَحَرُّوْا لَهُ سَجْدًا﴾ قال ابن عباس ^(١٠) في رواية عطاء : «يريد خروا لله عند ذلك سجوداً» ، ونحو هذا روى الضحاك عنه .

(١) (لأنه) ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (التأخر) .

(٣) زاد المسير ٢٨٩/٤ .

(٤) الثعلبي ١١٢/٧ ، والبغوي من دون نسبة ٤٧٩/٤ .

(٥) الطبري ٦٦/١٣ ، والثعلبي ١١٢/٧ ، وزاد المسير ٢٨٩/٤ .

(٦) الطبري ٦٧/١٣ .

(٧) أخرجه الطبري ٦٦/١٣ عن أسباط والضحاك ومجاهد وقتادة وسفيان ، والثعلبي ١١٢/٧ ب ، والبغوي ٤٧٩/٤ ، والقرطبي ٢٦٤/٩ .

(٨) تهذيب اللغة (عرش) ٢٣٩١/٣ ، واللسان (عرش) ٢٨٨٠/٥ .

(٩) الثعلبي ١١٢/٧ ب ، وزاد المسير ٢٩٠/٤ ، والبغوي ٢٧٩/٤ .

(١٠) الثعلبي ١١٢/٧ ب ، وزاد المسير ٢٩٠/٤ .

وقال عامة المفسرين^(١): وخروا ليوسف سجداً على جهة التحية، لا على معنى العبادة، وكان أهل ذلك الدهر يحیی بعضهم بعضاً بالسجود والانحناء، فحظر رسول الله ﷺ هذا ونهى عنه^(٢)، والسجود معناه في اللغة^(٣) الانحناء مع الخضوع والتذل، ذكرنا ذلك في ما تقدم، وعلى هذا كان ذلك سجوداً من غير سقوط على الأرض كما يقال: قد سجد القف^(٤) من الأرض للحوافر، إذا خضع لها فذل، ومنه^(٥):

تَرَى الْأَكْمَ مِنْهُ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ

قال ابن الأنباري^(٦): «والخرور في هذا القول لا يُعْنَى به السقوط والوقوع، لكن المراد به: المرور، سمعت أبا العباس يحكي هذا»، واحتج بقوله: ﴿لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُماً وَعُمِيَانَا﴾ [الفرقان: ٧٣] يعني: لم يمروا، قال ابن عباس^(٧) في رواية الكلبي: «السجود هاهنا مما كانت الأعاجم تستعمله في تعظيمها رؤساءها، ليس سقوط على الأرض، لكنه كالركوع».

(١) الطبري ١٣/٦٨، والثعلبي ٧/١١٢ ب، والبغوي ٤/٢٨٠، وزاد المسير ٤/٢٩٠، وابن عطية ٨/٨٠، والقرطبي ٩/٢٦٥، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٢٧٢٨) في كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة، وابن ماجه في سننه (٣٧٠٢) في كتاب الأدب، باب المصافحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال: «لا» قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا» قال: فيأخذه بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». قال الترمذي: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٢١٩٥).

(٣) تهذيب اللغة (سجد) ٢/١٦٣٠، واللسان (سجد) ٤/١٩٤١.

(٤) قال الليث: «القف ما ارتفع من متون الأرض وصلبت حجارته، وقال شمر: «القف ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلاً»، انظر: تهذيب اللغة ٣/٣٠٢١-٣٠٢٢، واللسان (قف) ٦/٣٧٠٥.

(٥) القائل زيد الخيل ديوانه ٦٦، والزاهر ١/١٤١، واللسان (سجد) ٤/١٩٤١.

(٦) الزاهر ١/٤٧، ٤٨، والرازي ١٨/٢١٢.

(٧) زاد المسير ٤/٢٩٠، وتنوير المقباس ١٥٤.

قال الأزهري^(١): «والأشبه بظاهر الكتاب أنهم سجدوا ليوسف دل عليه رؤياه الأولى حين قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]»، فظاهر التلاوة أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له، من غير أن أشركوا بالله، وكأنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم، قال^(٢): «وفيه وجه آخر لأهل العربية وهو أن يجعل اللام لام أجل، المعنى: وخروا من أجله سجداً، شكراً للذي أنعم عليهم فجمع شملهم».

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَيِّ﴾ أي إليّ، (يقال)^(٣): أحسن به وإليه، قال كثير^(٤):

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتْ

﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ قال أهل المعاني^(٥): ذكر إخراجه من السجن ولم يذكر إخراجه من البئر كرمًا، لئلا يذكر إخوته صنيعهم به، ولأن النعمة في إخراجه من السجن كانت أعظم، إذ كان دخوله السجن سبب ذنب هم به.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ والبدو^(٦): بسيط الأرض يظهر فيه الشخص من بعيد، وأصله من بدا يبدو بدواً، إذا خرج إلى المراعي في الصحاري،

(١) تهذيب اللغة: (سجد) ١٦٣١ / ٢ بتصرف.

(٢) تهذيب اللغة: (سجد) ١٦٣١ / ٢ بتصرف.

(٣) ما بين القوسين من (ب)، وانظر: الدر المصون ٥٥٨ / ٦.

(٤) البيت في ديوانه ٥٣، والشعر والشعراء ٣٤٣، وأمالى الشجري ٤٨ / ١، والدر المصون: ٥٥٨، والكشاف ١٩٥ / ٢، والخزانة ٣٨١ / ٢، وقوله (مقلية) من القلي بكسر القاف وهو البغض، تقلت: تبغضت، انظر: اللسان (سوأ) ٢١٣٨ / ٤، والتنبيه والإيضاح ٢١ / ١، وتهذيب اللغة (حسن) ٨٢٣ / ١، والأغاني ٣٨ / ٩، وأمالى القالي ١٠٩ / ٢، وتاج العروس (سوأ) ١٧٦ / ١.

(٥) زاد المسير ٢٩١ / ٤، والبغوي ٢٨٠ / ٤، والثعلبي ١١٣ / ٧.

(٦) تهذيب اللغة (بدا) ٢٨٧ / ١، واللسان (بدا) ٢٣٥ / ١.

ثم سمي المكان باسم المصدر فيقال : بدو وحضر ، قال قتادة^(١) : كان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مَواشٍ وبرية .

وقال ابن عباس^(٢) في رواية عطاء والضحاك : «كان يعقوب قد تحول إلى بدا وسكنها ، ومنها قدم على يوسف ، وله بها مسجد تحت جبلها» .

قال ابن الأنباري^(٣) : «بدا اسم موضع معروف يقال : هو بين شعب وبدا ، وهما موضعان ذكرهما جميل أو كثير فقال^(٤) :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَغْبًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادٌ سِوَاهُمَا

والبدو على هذا القول معناه قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا ، يقال : بدا القوم يبدون بدواً ، إذا أتوا بداً ، كما يقال : غار القوم غوراً ، إذا أتوا الغور ، فكان تلخيص الحرف : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ ﴾ من قصد بدا ، وعلى هذا القول كان يعقوب وولده^(٥) حضريين ؛ لأن البدو لم يرد به البادية ، لكنه عنى به قصد بدا .

(١) الطبري ٧١/١٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٣ عن قتادة وأبو الشيخ عن علي ابن أبي طلحة كما في الدر ٧٢/٤ .

(٢) الرازي ٢١٥/١٨ ، والقرطبي ٩/٢٦٧ .

(٣) الرازي ٢١٥/١٨ .

(٤) البيت لكثير وهو في ديوانه ٣٦٣ ، وخزانة الأدب ٩/٤٦٢ ، والدر ٦/٨٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٢٨٨ ، واللسان (بدا) ١/٢٣٦ ، ومعجم ما استعجم ٢٣٠ ، ونسب لجميل بشينه في ملحق ديوانه ٢٤٥ ، وديوان المعاني ١/٢٦٠ ، وكثير وجميل في شرح شواهد المغني ١/٤٦٤ ، ومعجم البلدان ٣/٣٥١ ، وفيه (التي) بدل الذي . وشغبي : موضع في بلاد بني عُذرة به منبر وسوق . وبدا : وإد قرب إيلة من ساحل البحر ، وقيل بواد القرى وقيل بوادي عُذرة قرب الشام . انظر : معجم البلدان ١/٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٥) في (أ) و(ج) : (وولد) ، من غير هاء .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ ﴾ قال أبو عبيدة^(١) «معناه : أفسد وحمل بعضنا على بعض» ، قال ابن عباس^(٢) : «دخل بيننا بالحسد» ، ومضى الكلام في نزغ الشيطان في آخر سورة الأعراف^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ﴾ قال الأزهري^(٤) : «اللطيف من أسماء الله - عز وجل - معناه : الرفيق بعباده» ، عمرو بن أبي عمرو : «اللطيف الذي يوصلُ إليك أربك في رفق» .

ثعلب عن ابن الأعرابي^(٥) : «يقال : لطف فلان لفلان يلطف ، إذا رفق لطفاً» .

قال أهل التفسير^(٦) : إن ربي عالم بدقائق الأمور وحقائقها ، إنه هو العليم بخلقه الحكيم فيهم بما يشاء .

١٠١ . قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ الآية ، قال ابن عباس^(٧) : «ثم دعا ربه وحمده وشكره فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾» ، وذكر أبو إسحاق^(٨) وأبو بكر في (من) هاهنا قولين :

(١) مجاز القرآن ١/ ٣١٩ .

(٢) القرطبي ٩/ ٢٦٧ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [آية : ٢٠٠] ، وقال هنالك ما ملخصه : نزغ الشيطان وسأوسه وتحسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي ، وروى أبو عبيد عن أبي زيد : نزعت بين القوم إذا أفسدت .

(٤) تهذيب اللغة (لطف) ٤/ ٣٢٦ وفيه عمرو عن أبيه أن قال . . . ، وانظر : اللسان (لطف) ٧/ ٤٠٣٦ .

(٥) اللسان (لطف) ٧/ ٤٠٣٦ ، وتهذيب اللغة (لطف) ٤/ ٣٢٦٧ .

(٦) الثعلبي ٧/ ١١٣ أ ، وزاد المسير ٤/ ٢٩١ .

(٧) انظر : ابن كثير ٢/ ٥٢٩ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٢٩ .

أحدهما : أنها للتبعيض ، وكذلك هي في قوله : ﴿ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ ؛ لأنه كان قد ملك مصر ، ومُلِك مصر قطعة من الملك ، وعبرة الرؤيا جزء من علم تأويل الأحاديث .

الثاني : أن (من) دخلت للتجنيس ، وتلخيصها : آتيتني من جنس الملك ومن جنس تأويل الأحاديث كقوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج : ٣٠] ؛ أي اجتنبوا الرجس الذي هو وثن ، ولم يؤمروا باجتنب بعض الأوثان .

قال أبو بكر : «والقول هو الأول ؛ لأن^(١) (من) تأتي مجنسة عند تمام الكلام نحو قولهم : قطعت ثوباً من الخز ، وعليه جبة من الوشي ، ولا يكاد يقال : قطعت من الوشي ، ولبست من الخز ، إلا والمفعول مقدر في النية ، و(ءآتيتني) في الآية غير مستغنى عما بعده ، فيكون (من) مفسرة في موضع النقص بفتح ، وقوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ أتت فيه (من) مفسرة مجنسة بعد كلام لو اقتصر عليه عقل ، قال : «ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي ﴾ الملك ، وعلمتني تأويل الأحاديث ، فأكد الكلام بمن كما أكد بها في قوله : ﴿ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [محمد : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ قال ابن عباس^(٢) : «يريد تفسير الأحلام» ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس^(٣) : «كنت ما أدري ما (فاطر السموات والأرض) ، حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما :

(١) لأن : زيادة من (ب) .

(٢) تنوير المقياس ١٥٤ .

(٣) الرازي ٢١٧/١٨ ، وتهذيب اللغة (فطر) ٢٨٠٣/٣ ، واللسان (فطر) ٣٤٣٣/٦ .

أنا فطرتها ، وأنا ابتدأت حفرها» ، وقال ابن الأعرابي^(١) : «يقول أنا أول من فطر هذا ؛ أي ابتدأه» ، ثم فسر ابن عباس ﴿فَاطَرَ السَّمَوَاتِ﴾ «يريد : خالق السموات» ، ومن هذا قوله : ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود: ٥١] أي خلقتني .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: ٢٢] و«كل مولد يولد على الفطرة»^(٢) ؛ أي الخلقة التي فطر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة . وقال أهل المعاني^(٣) : أصل الفطر في اللغة : الشق ، يقال : فطر ناب البعير ، أي بزل ، وفطرت الشيء فانفطر ؛ أي شققته فانشق ، وتفطرت الأرض بالنبات ، والشجر بالورق ، إذا تصدعت ، هذا أصله ثم صار عبارة عن الشق عن الأمر باختراعه ، فكل من أظهر أمراً اخترعه على غير مثال ، يقال : قد فطره ، وفطر السموات والأرض اختراعهما بما هو كالشق عما يظهر به ، قال الزَّجَّاج^(٤) : «ويكون نصبه من وجهين : أحدهما : على الصفة لقوله : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي﴾ وهو نداء مضاف في موضع نصب ، ويجوز أن ينصب على نداء ثان» .

وقوله تعالى : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ قال قتادة^(٥) : «سأل ربه اللحوق به» ، قال : «ولم يتمن نبي قط الموت قبله» ، وكثير من المفسرين^(٦) على هذا ، وقال ابن عباس^(٧)

(١) تهذيب اللغة (فطر) ٣/ ٢٨٠٣ ، واللسان (فطر) ٦/ ٣٤٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري بنحوه عن أبي هريرة (١٣٥٨) في كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصَلَّى عليه ، وهل يعرض على الصبي الإسلام ؟ وأطرافه في ١٣٥٩ ، ١٣٨٥ ، ٤٧٧٥ ، ٩٥٩٩ ، وأخرجه مسلم بنحوه أيضاً (٢٦٥٨) في كتاب القدر ، باب معنى (كل مولود يولد على الفطرة . .) .

(٣) تهذيب اللغة (فطر) ٣/ ٢٨٠٣-٢٨٠٥ ، واللسان (فطر) ٦/ ٣٤٣٢ ، ٣٤٣٣ ، والرازي ١٨/ ٢١٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٠ .

(٥) الطبري ١٣/ ٧٣ ، وأحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٠٤ كما في الدر .

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٧٣ ، ٧٤ ، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن إسحاق ، وزاد المسير ٤/ ٢٩٢ ، وابن المنذر وأبو الشيخ من طريق ابن جريج عن ابن عباس كما في الدر ٤/ ٧٣ .

(٧) زاد المسير ٤/ ٢٩٢ .

في رواية عطاء : «يريد لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه» ، وهذا لا دليل فيه على تمني الموت ، بل هو دليل على سؤال أن يكون موته على الإسلام إذا كان .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ قال ابن عباس^(١) وغيره من المفسرين^(٢) يعني : بأبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، والمعنى : ألحقني بهم في ثوابهم ومراتبهم^(٣) ودرجاتهم .

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ قال أبو إسحاق^(٤) المعنى : قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك ، فأنزلته عليك دلالة على إثبات نبوتك ، قال : «وموضع (ذلك) رفع بالابتداء ويكون خبره ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ ويكون ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ خبراً ثانياً» ، ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾ قال ابن عباس^(٥) : «يريد عند إخوة يوسف ، (إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) بيوسف ، وهذا دليل على صدق محمد ﷺ وصحة نبوته ؛ إذ أخبر عن قوم لم يحضرهم ولم يشاهدهم» .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ابن الأنباري^(٦) : «وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته مُعْنَتَيْنِ ، فشرحها

(١) الطبري ١٣/٧٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٨/٢٧٨١ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٧٣ .

(٢) الثعلبي ٧/١١٤ ، وأخرجه أبو الشيخ ، عن الضحاك وابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٥ ، عن وهب ، وأحمد وابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥ ، وابن جرير عن قتادة كما في الدر ٤/٧٣ .

(٣) (ومراتبهم) : زيادة من (ب) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٣٠ .

(٥) الطبري ١٣/٧٦ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/٢٢٠٦ عن قتادة وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٧٤ ، وانظر : البغوي ٤/٢٨٢ ، وزاد المسير ٤/٢٩٣ ، والقرطبي ٩/٢٧١ ، وتفسير عطاء ٨٧ .

(٦) زاد المسير ٤/٢٦٣ ، والرازي ١٨/٢٢٣ ، والبحر ٦/٣٣٠ .

شراحاً شافياً ، وهو يؤمل أن يكون سبباً لإيمانهم ، فخالفوا ظنه وحزن رسول الله ﷺ لذلك فعزاه الله بقوله : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ أي لا يدخل في الإيمان كل من يكشف له دلائل الحق ، ويقيم عنده أعلام الصدق ، حتى يشاء الله ذلك » ، وقال أبو إسحاق : « معناه ^(١) : وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على ^(٢) أن تهديهم ؛ لأنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

قال أبو بكر ^(٣) : « وجواب (لو) محذوف على تقدير وما أكثر الناس بمؤمنين ، ولو حرصت على إيمانهم ما آمنوا ، ولا يجوز أن يكون جواب (لو) مقدماً عليها ، مَنْ قال : لو قمت قمت ، لا يقول : قمت لو قمت ؛ لأن جواب لو مبني على التأخير » . وقال الفراء في المصادر ^(٤) : « يقال حرص يحرص حرصاً ، ولغة أخرى قليلة : حرص يحرص حرصاً ، ومعنى الحرص : طلب الشيء باجتهاد » .

١٠٤ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ قال أبو إسحاق ^(٥) : « وما تسألهم على القرآن وتلاوته وهدايتك إياهم من أجر » .

قال ابن عباس ^(٦) : « من مال يعطونك » ، ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ أي ما هو ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، إلا تذكرة لهم بما هو صلاحهم ونجاتهم من النار ، والمعنى : إنا أنزلنا القرآن تذكرة للعالمين ، وبعثناك مبلغاً بلا أجر ؛ لئلا يمتنعوا من الإجابة لما يلزمهم من الأجر ، فيكون أقرب إلى تصديقهم ، وهذه الآية تأكيد للأولى ؛ لأنه لما ذكر

(١) معاني القرآن إعرابه ٣ / ١٣٠ .

(٢) في (ب) : زيادة (آمنوا) بعد على .

(٣) الدر المصون ٦ / ٥٦٠ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (حرص) ١ / ٧٨٦ ، واللسان (حرص) ٢ / ٨٣٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٣٠ .

(٦) تنوير المقياس ١٥٤ بنحوه ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٢٠٧ بلفظ : « عرضاً من عرض الدنيا » .

في الأولى أنه لا يؤمن إلا من شاء الله ، وإن حرص النبي على ذلك ، ذكر في هذه الثانية أنه أراح العلة في التكذيب برفع الأجر ، وإنزال القرآن تذكرة وعظة ، غير أنه مع هذا كله لا يؤمن إلا من يهديه الله وأراد إيمانه .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ مضى الكلام في (كأين) في سورة آل عمران^(١) ، قال المفسرون^(٢) : آيات السموات : الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والأمطار ، وكلها تجري بالمشاهدة مجرى القريب غير^(٣) القاصي ، وآيات الأرض : البحار والجبال والشجر والثمر ، ومعنى ﴿ يَمْرُوتَ عَلَيْهَا ﴾ : يتجاوزونها غير مفكرين ولا معتبرين .

قال أبو إسحاق^(٤) : «معناه : وكم من آية في السموات والأرض تدلهم على توحيد الله ، من أمر السماء وأنها بغير عمد لا تقع على الأرض ، وفيها أعظم البرهان على أن لها^(٥) خالقاً ، وكذلك في ما يشاهد في الأرض من نباتها وبحارها وجبالها» .

(١) عند قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ ﴾ [آية : ١٤٦] .

(٢) الطبري ٧٦/١٣ .

(٣) في (ج) : (عن) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٣١/٣ .

(٥) في (أ) و(ج) : (الها) . في معاني الزجاج : «وفيها أعظم البرهان والدليل على أن الذي خلقها واحد . وأن خالقاً ، وكذلك في ما يشاهد .

وقال أبو إسحاق^(٥): «أي لا يفكرون في ما يدهم على توحيد الله».

١٠٦. قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ قال المفسرون: لما سمع المشركون ما قبل هذه الآية، قالوا: فإننا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء، فأنزل الله هذه الآية. قال ابن عباس^(٦) ومجاهد^(٧) وقتادة^(٨): «وما يؤمن أكثرهم في إقراره بأن الله - عز وجل - خلقه وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادة الوثن»، ونحو هذا قال عكرمة^(٩) والشعبي^(١٠)، وعلى هذا المعنى: أنهم كانوا يعترفون بأن الله خالقهم ورازقهم، ويجعلون له شركاء من الأصنام، قال الله:

- (١) القرطبي ٢٧٢/٩ .
- (٢) انظر : البحر المحيط ٣٥١/٥ .
- (٣) في (ج) : زيادة (في) .
- (٤) في (ج) : (ولا يعطو) من غير نون .
- (٥) معاني القرآن وإعرابه ١٣١/٣ .
- (٦) الطبري ٧٧/١٣ ، وابن أبي حاتم ٢٢٠٧/٧ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٧٥/٤ ، وزاد المسير ٢٩٤/٤ .
- (٧) الطبري ٧٧/١٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٢٠٧/٧ .
- (٨) الطبري ٧٨/١٣ ، وعبد الرزاق ٣٢٨/٢ ، وزاد المسير ٢٩٣/٤ .
- (٩) الطبري ٧٧/١٣ ، ٧٨ ، والثعلبي ١١٥/٧ ، وزاد المسير ٢٩٣/٤ .
- (١٠) الطبري ٧٧/١٣ ، ٧٨ ، والثعلبي ١١٥/٧ ، وزاد المسير ٢٩٣/٤ .

﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يعني : إلا وهم جاعلون^(١) له شركاء في حال إيمانهم به ، وهذا القول اختيار الفراء^(٢) والزجاج^(٣) .

وقال ابن عباس^(٤) في رواية الضحاك : «نزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب ، وذلك أنهم كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك» ، فبين الله - عز وجل - أنهم كانوا يجعلون له شريكاً وقت تعبدهم وتقربهم إليه .

وشرح ابن عباس^(٥) في رواية عطاء شرحاً شافياً فقال : «قال أهل مكة : ربنا وحده لا شريك له ، والملائكة بناته فلم يؤمنوا ، وقال عبدة الأصنام : ربنا الله وحده والأصنام شفعاؤنا عنده ، فلم يؤمنوا . وقالت اليهود : ربنا الله وحده وعزير ابنه ، فلم يؤمنوا ، وقالت النصارى : ربنا الله وحده والمسيح ابنه ، فلم يؤمنوا ، وقال عبدة الشمس والقمر : ربنا الله وحده وهؤلاء يشفعون ، فلم يؤمنوا ، وقال المهاجرون والأنصار : ربنا الله وحده لا شريك له ، فأمنوا وصدقوا» .

قال أبو علي الفارسي^(٦) في هذه الآية : «ليس المؤمن هاهنا الذي آمن حقيقة ، ولكن المعنى : أن أكثرهم مع إظهارهم الإيمان بألستهم مشركون ، وقد يطلق على المظهر الإيمان بلسانه اسم مؤمن ، ولا يجوز أن يراد بذلك المدح ، وكان الاسم الجاري على الفعل» .

(١) في (ج) : (عاجلون) .

(٢) معاني القرآن ٥٥ / ٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣١ / ٣ .

(٤) الثعلبي ١١٥ / ٧ ب ، وزاد المسير ٢٩٤ / ٤ ، والبغوي ٢٨٣ / ٤ .

(٥) الرازي ٢٢٤ / ١٨ .

(٦) الحجة ٢٢٥ / ١ .

١٠٧ . قوله تعالى^(١) : ﴿ أَفَأَمْنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ ﴾ قال ابن عباس^(٢) : «يريد المشركين» ﴿ غَشِيَةً مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ عقوبة مجللة تغشاهم وتنسبط عليهم ، قال الرَّجَّاج^(٣) : «أن يأتيهم ما يغمرهم من العذاب» ، ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ ؛ أي فجأة وبغته مصدر منصوب على الحال ، يقال : بغتهم الأمر بغتاً ، إذا فاجأهم من حيث لم يتوقعوا ، قال ابن عباس^(٤) : «وذلك لا يكون إلا بغته ، وقد جاء أشرطها مع النبي ﷺ» .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال ابن الأنباري : «يجوز أن يكون هذا تأكيداً لقوله (بغته) وتشديداً لتأويلها ، ويجوز أن يكون على التقديم بمعنى : أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ، وهم لا يشعرون وقوعها بهم» .

١٠٨ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ قال المفسرون^(٥) : قل لهم يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها سبيلي ، قال ابن زيد^(٦) : «سُنَّتِي ومنهاجي» .

وقال مقاتل^(٧) : «ديني» ، وسمى الدين سبيلاً ؛ لأنه الطريق الذي يؤدي إلى الثواب ، ومثله قوله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ١٢٥] أي إلى دينه .

(١) قوله تعالى (ساقط من ج) .

(٢) الثعلبي ١١٦/٧ ، والقرطبي ٢٧٣/٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣١/٣ ، وفيه : «أن يأتيهم ما يعجزهم من العذاب» ، وانظر : الدر المنصور ٥٦٠/٦ .

(٤) الثعلبي ١١٦/٧ ، والقرطبي ٢٧٣/٩ بنحوه .

(٥) الطبري ١٣/٧٩ ، والثعلبي ١١٦/٧ ، والبغوي ٢٨٤/٤ ، وزاد المسير ٣٩٥/٤ .

(٦) الطبري ١٣/٨٠ ، وابن أبي حاتم ٢٢٠٩/٧ ، وانظر : الدر ٧٦/٤ ، والثعلبي ١١٦/٧ ، والقرطبي ٢٧٤/٩ ، والبحر المحيط ٣٥٣/٥ .

(٧) تفسير مقاتل ١٥٨/أ ، والثعلبي ١١٦/ب .

قال أبو علي^(١): «معنى السبيل في اللغة المدرجة والممر، ثم أشيع فيه حتى استعمل في المعتقدات والآراء في الديانات وغيرها، كقوله تعالى: ﴿وَلِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦] الآية».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي معتقدي، وفسر السبيل بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد على دين وبقين»، والبصيرة: المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ يجوز أن يكون (من) عطفاً على المضاف إليه في ﴿سَبِيلِي﴾ فيكون في [محل الخفض، ويجوز أن يكون عطفاً على الضمير في ﴿أَدْعُوا﴾ فيكون في]^(٣) موضع الرفع، ويكون المعنى: أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله، وهذا معنى قول الكلبي^(٤) وابن زيد^(٥)، فالأحق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله، وهذا الوجه اختيار الفراء^(٦) قال: «ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو»^(٧).

قال ابن الأنباري^(٨): «وليس من مؤمن إلا وهو يدعو إلى الله جل وعلا، من قبل أنه لا يخلو من تلاوة القرآن، وكل آية من القرآن تدعو إلى الله - عز وجل - وبينه على صدق الرسول ﷺ»، قال: «ويجوز أن ينقطع الكلام عند قوله (الله)

(١) المسائل الحلييات ٢٠.

(٢) البغوي ٢٨٤/٤، وابن عطية ٩٥/٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) تنوير المقباس ١٥٤، والثعلبي ١١٦/٧ ب.

(٥) الثعلبي ١١٦/٧ ب.

(٦) معاني القرآن ٥٥/٢.

(٧) في (أ) و(ج) تكرار: «قال ابن الأنباري: وليس من مؤمن إلا وهو يدعو إلى الله كما أدعو».

(٨) زاد المسير ٢٩٥/٤.

ثم ابتداء فقال : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ ﴾ فيرتفع من بالنسق على (أنا) وترتفع (أنا) بعلى لأنها ابتداء وخبر ، وهذا معنى قول ابن عباس ^(١) : «قال يعني أصحاب محمد ﷺ الذين آمنوا معه ، كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية» .

وقوله تعالى : ﴿ وَسُبِّحَنَ اللَّهُ ﴾ عطف على قوله : ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي قل هذه سبيلي ، وقل سبحان الله تنزيهاً لله عما أشركوا ، ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين اتخذوا مع الله ضدّاً أو نداً أو كفواً أو ولداً .

١٠٩ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ قال ابن عباس ^(٢) : «يريد ليس فيهم امرأة» ، ﴿ نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ قال : «يريد أهل المدائن ؛ لأن الله تعالى لم يبعث نبياً من بادية» ، وقال الحسن ^(٣) : «لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط ولا من الجن ولا من النساء» .

وقال المفسرون ^(٤) : أهل الأمصار أحد فطنا وأعلم وأشد تيقظاً ، إذ سكن البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء ، وقد قال النبي ﷺ : «من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن لزم أبواب الملوك افتتن» ^(٥) ، وفي هذا رد لإنكارهم نبوته ، يقول : لم يبعث قبلك إلا رجلاً ، فكيف تعجبوا من إرسالنا إياك ، ومن قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك ، ومن قبلهم من الأمم المكذبة كانوا على مثل حالهم ، فأهلكناهم ، فذلك قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : المشركين المنكرين

(١) الثعلبي ١١٦/٧ ، وابن أبي حاتم ٢٤٧/٤ .

(٢) البحر المحيط ٣٥٣/٥ ، وزاد المسير ٢٩٥/٤ ، وابن كثير ٥٤٤/٢ ، والقرطبي ٢٧٤/٩ .

(٣) زاد المسير ٢٩٥/٤ ، والقرطبي ٢٧٤/٩ ، وابن عطية ٩٦/٨ .

(٤) الطبري ٨٠/١٣ ، وهو مروي عن قتادة ، والثعلبي ١١٦/٧ ، والبغوي ٢٨٥/٤ ، وابن عطية ٩٦/٨ ، وابن أبي حاتم ٢٢١٠/٧ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣٧١/٢ ، ٤٤٠/٢ ، عن أبي هريرة ، وفي ٢٩٧/٤ عن البراء ، وصححه أحمد شاكر إسناده تحت رقم : (٨٨٢٣) ، ٢٤/١٧ ، وانظر : صحيح الجامع (٦١٢٣) ، (٦١٢٤) .

لنبوة محمد ﷺ، يقول: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بهم .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴾ قال الفراء^(١): «أضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة، وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه، إذا اختلف اللفظ، كقوله: ﴿ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ [الواقعة: ٩٥]، ويوم الخميس، وجميع الأيام يضاف إلى أنفسها لاختلاف لفظها» .

وقال أبو إسحاق^(٢): «المعنى: دار الحال الآخرة؛ لأن للناس حالين: حال الدنيا وحال الآخرة، ومثله قولهم: صلاة الأولى؛ أي صلاة الفريضة الأولى، والساعة الأولى»، هذا كلامه، وقد ذكرنا نحو هذا في سورة الأنعام لتوجيه قراءة ابن عامر^(٣).

وقال ابن الأنباري^(٤): «الدار يعني بها الجنة»، وهذا قول ابن عباس^(٥)، في هذه الآية قال: «الدار هي الجنة»، والآخرة يقصد بها: قصد المدة وتلخيصها: ولجنة^(٦) المدة الآخرة، والأمة الآخرة، يعني بالأمة: الزمان، خير للمتقين .

(١) معاني القرآن ٥٥ / ٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٣١ / ٣ .

(٣) عند قوله تعالى: ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴾ [الأنعام: ٣٢]، قال هنالك: «قرأ ابن عامر: (ولدار الآخرة) بالإضافة، قال الفراء: يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقولهم: بارحة الأولى، ويوم الخميس، وحق اليقين. فإذا اتفقا لم تقل العرب: حق الحق ولا يقين اليقين. وعند البصريين لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه وإن اختلف اللفظ، وقالوا في قراءة ابن عامر: لم يجعل (الآخرة) صفة (لدار)؛ لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، ولكنه جعلها صفة الساعة وكأنه قال: ودار الساعة الآخرة» .

(٤) انظر: القرطبي ٢٧٥ / ٩ .

(٥) تنوير المقباس ١٥٤ .

(٦) في (ج): (والجنة) .

وهذا الذي قاله أبو بكر إنما هو على مذهب البصريين ؛ لأن عندهم لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه وإن اختلف اللفظان^(١) ، وقال على مذهب الكوفيين : الدار نوع والآخرة جنس ، وكانت إضافة النوع إلى الجنس يجري مجرى قولهم : قميص وشي ، وجبة خز إذ القميص من الوشي ، فكانت الدار كأنها بعض الآخرة ، إذ الآخرة يقع على معان كثيرة ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ هذا فتؤمنوا .

١١٠ . قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ الآية ، (حتى) هاهنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها كما يستأنف بعد (أما) (وإذا) ، وذلك أن (حتى) لها ثلاثة أحوال : إما أن تكون جارة ، أو عاطفة ، [أو كانت من حروف الابتداء ، وليست هاهنا جارة ولا عاطفة]^(٢) ، وحيث ينصب الفعل إنما ينصبه بإضمار أن ، ومما جاء فيه (حتى) حرفاً مبتدأ كقوله^(٣) :

وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدَّنَ بِأَرْسَانِ^(٤)

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٦٠ / ٢ ، والبحر المحيط ٣٥٣ / ٥ ، والقرطبي ٢٧٥ / ٩ ، وابن عطية ٩٨ / ٨ .

(٢) ما بين المعقوفين في (ب) ، وهو ساقط من (أ) و(ج) .

(٣) في (أ) و(ج) : (وقوله تعالى) .

(٤) البيت لامرئ القيس ، وصدره :

سريتُ بهم حتى تكلَّ مطيئهم

وهو في ديوانه ٩٥ ، والدر ١٤١ / ٦ ، وشرح أبيات سيويه ٤٢٠ / ٢ ، والكتاب ٢٧ / ٣ ، واللسان (غزا) ، وشرح شواهد الإيضاح ٢٢٨ ، وشرح شواهد المغني ٣٧٤ / ١ ، وشرح المفصل ٧٩ / ٥ .

ألا ترى أنها ليست عاطفة لدخول حرف العطف عليها ، ولا جارة لارتفاع الاسم بعدها ، ومثله^(١) :

حَتَّى إِذَا سَلَخَ جُمَادَى سِتَّةَ جَزَاءً فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا

ومعنى قوله : ﴿أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ ؛ أي من إيمان قومهم ، قال ابن عباس^(٢) : «يريد من قومهم أن يؤمنوا» ، وذكرنا الكلام في : ﴿أَسْتَيْسَسَ﴾ عند قوله : ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ [يوسف : ٨٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَبِئْسَ أَهْلُهَا قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ ؛ أي أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم ، وهذا معنى قول عطاء^(٣) وقتادة^(٤) والحسن^(٥) . وأكثر من قرأ^(٦) (كُذِّبُوا) بالتشديد ، وقالت عائشة^(٧) رضي الله عنها : «ما زال البلاء بهم حتى ظنوا أن من آمن بهم من

(١) البيت للبيد وهو من معلقته البيت رقم (٢٨) في شرح ديوانه ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة (سلخ) ١٧٣١ / ٢ ، واللسان ٢٠٦٣ / ٤ ، وتاج العروس (سلخ) ٢٧٧ / ٤ . وجمادى ستة هي جمادى الآخرة ، وهي تمام ستة أشهر من أول السنة .

(٢) الطبري ٨٣ / ١٣ ، وأبو عبيد وسعيد بن منصور والنسائي في الكبرى ٣٦٩ / ٦ (١١٢٥٦) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٢١١ / ٧ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٧٧ / ٤ ، والثعلبي ١١٧ / ٧ ب ، وزاد المسير ٢٩٦ / ٤ .

(٣) زاد المسير ٢٩٦ / ٤ .

(٤) الطبري ٨٨ / ١٣ ، وعبدالرزاق ٣٢٩ / ٢ ، والثعلبي ١١٨ / ٧ ، والبغوي ٢٨٦ / ٤ .

(٥) الطبري ٨٨ / ١٣ ، وزاد المسير ٢٩٦ / ٤ .

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (كُذِّبُوا) التشديد ، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم ﴿كُذِّبُوا﴾ بالتخفيف . وكلهم بضم الكاف .

انظر : السبعة ٣٥١ ، ٣٥٢ ، وإتحاف ٣٣٦ ، والطبري ٨٥-٨٧ ، وابن عطية ٣٩٢ / ٩ ، والبحر ٣٥٤ / ٥ .

(٧) الطبري ٨٧ / ١٣ ، وأبو عبيد ، والبخاري (٤٦٩٥) في كتاب التفسير ، باب قوله ﴿حَتَّى إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ والنسائي في الكبرى ٣٦٩ / ٦ (١١٢٥٤) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٢١١ / ٧ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٧٧ / ٤ ، والثعلبي ١١٨ / ٧ أ .

أتباعهم قد كذبهم^(١) فأتاهم نصر الله عن ذلك» ، وعلى هذا القول : الظن بمعنى الحسبان ، والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم ، والمعنى : ظنت^(٢) الرسل ظن حسبان أن أتباعهم من الأمم قد كذبتهم في وعد الظفر والنصر لإبطائه وتأخيرهم ، وطول البلاء بهم ، لا أنهم كذبوهم في كونهم رسلاً ، وهذا التكذيب أيضاً لم يحصل من أتباعهم المؤمنين ؛ لأنه لو حصل لكان نوع كفر ، ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر ، وعلى القول الأول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن من جهة الكفار ، وعلى القولين جميعاً الكناية في (ظنوا) للرسول .

وقرأ أهل الكوفة (كُذِّبُوا) مخففة ، ومعناه : ظن الأمم أن الرسل كذبوهم في ما أخبروهم به من نصر الله إياهم وإهلاك أعدائهم ، هذا معنى قول ابن عباس^(٣) وابن مسعود^(٤) وسعيد بن جبير^(٥) ومجاهد^(٦) وابن زيد^(٧) والضحاك^(٨) وعامة المفسرين وأهل المعاني^(٩) .

(١) في (ب) : (كذبوهم) .

(٢) في (أ) و(ج) : (ظَنَنْتُ) بنونين .

(٣) الطبري ١٣/٨٢-٨٧ ، وأبو عبيد وسعيد بن منصور والنسائي في الكبرى ٦/٣٦٩ (١١٢٥٦) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/٢٢١٢ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٤/٧٧ .

(٤) الطبري ١٣/٨٥ ، وعبدالرزاق ٢/٣٢٩ ، وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ كما في الدر .

(٥) الطبري ١٣/٨٤-٨٦ ، وأبو الشيخ ، وابن المنذر كما في الدر ٤/٧٧ .

(٦) الطبري ١٣/٨٤ .

(٧) الطبري ١٣/٨٤ ، ٨٥ .

(٨) الطبري ١٣/٨٥ .

(٩) الطبري ١٣/٨٥ ، والثعلبي ٧/١١٧ ، والبغوي ٤/٢٨٦ ، وزاد المسير ٤/٢٩٦ ، وابن عطية ٨/١٠٠ ، والبحر المحيط ٥/٣٥٤ ، والقرطبي ٩/٢٧٥ ، ومعاني الفراء ٢/٥٦ ، ومعاني الزجاج ٣/١٣٢ .

و(كُذِّبُوا) من قولهم : كذبتك الحديث ؛ أي لم أصدقك ، ومنه قوله تعالى ^(١) : ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة : ٩٠] ، قال أبو علي ^(٢) : «والضمير في قوله : ﴿وَقَطُّوا﴾ على هذه القراءة للمرسل إليهم ، لتقدير ظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم في ما أخبروهم به ، من أنهم لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما شاهدوا من إمهال الله إياهم ، ولا يمتنع حمل الضمير في ﴿وَقَطُّوا﴾ على المرسل إليهم وإن لم يتقدم ذكرهم ؛ لأن ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم ، وإن شئت قلت : إن ذكرهم جرى في قوله : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف : ١٠٩] فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي الرسل ، والظن هاهنا على معنى : التوهم والحسبان» .

وهذا معنى ما روى سفيان عن أبي حصين ^(٣) عن عمران بن الحارث ^(٤) عن ابن عباس ^(٥) أنه قال : «﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ من قومهم الإجابة ، وظن القوم أن الرسل قد كُذِّبُوا في ما وعدوا من نصرهم وإهلاك من كذبهم» ، والثاني : وتيقن الرسل أنهم قد كُذِّبُوا في وعد قومهم إياهم الإيمان : أي وعدوا أن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا .

(١) (تعالى) ساقط من (أ) و(ج) .

(٢) الحجة ٤/ ٤٤٢ .

(٣) عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الكوفي ، روى له الجماعة ، ثقة ثبت سني ، ربا دلس ، توفي سنة ١٢٧ هـ . انظر : التقريب ٣٨٤ (٤٤٨٤) .

وفي رواية الطبري : حصين بدل أبي حصين ، وحصين هذا هو حصين بن عبد الرحمن السلمي ، أبو الهذيل الكوفي ، ثقة تغير حفظه في الآخر ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٣٦ هـ ، انظر : التقريب ١٧٠ (١٣٦٩) .

(٤) عمران بن الحارث السلمي ، أبو الحكم الكوفي ، ثقة ، روى له مسلم والنسائي ، روى عن ابن عباس . انظر : التقريب ٤٢٩ (٥١٤٧) . وهذا الإسناد صحيح .

(٥) الطبري ١٣/ ٨٢ ، وفي الرواية سفيان ، عن حصين ، عن عمران ، عن ابن عباس .

والأول هو قول سعيد بن جبير^(١) رواه إسماعيل بن علية^(٢) عن أبي المعلى^(٣) عنه .

وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس^(٤) أنه قرأ : (وظنوا أنهم كذبوا) يذهب إلى أن الرسل ضُعمفوا ، فظنوا أنهم قد خُلفوا ، قال ابن عباس^(٥) : «وكانوا بشراً» .

قال أبو بكر بن الأنباري : «وهذا غير معول عليه من جهتين : إحداهما^(٦) : أن التفسير فيه ليس عن ابن عباس ، لكنه من [متأول] تأوله عليه ، والأخرى : أن في قوله : ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ دلالة على أن أهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز ظن مثله واستضعفوا رسل الله ، نصر الرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيماً لا يستحقون ظفراً ولا نصراً ، وتنزيه الأنبياء وتطهيرهم واجب علينا إذا وجدنا إلى ذلك سبيلاً» .

(١) في الطبري ١٣ / ٨٤ ، رواية إسماعيل بن علية ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد (٢٠٠٧) ، وفي رواية أخرى : وهيب ، عن أبي المعلى العطار ، عن سعيد (٢٠١٠) .

(٢) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولا هم ، أبو بشر البصري ، المعروف بابن عُلَيْهِ ، ثقة حافظ ، روى له الجماعة ، توفي سنة ١٩٣ هـ .
انظر : التقريب ١٠٥ (٤١٦) .

(٣) يحيى بن ميمون الضبي ، أبو المعلى العطار الكوفي ، ثقة ، روى له البخاري تعليقا ، والنسائي وابن ماجه ، توفي سنة ١٣٢ هـ .
انظر : التقريب ٥٩٧ (٧٦٥٨) .

(٤) الطبري ١٣ / ٨٧ .

(٥) الطبري ١٣ / ٨٧ .

(٦) في (ج) : (إحديهما) .

وقال أبو إسحاق^(١) منكرًا لهذا التفسير : «وذلك بعيد في صفة الرسل» .
يروى عن عائشة^(٢) أن النبي ﷺ لم يوعد بشيء يخلف فيه ، وعنها^(٣) أيضاً أنها
قالت : «معاذ الله أن تظن الرسلُ هذا برهبا» .

قال أبو علي^(٤) : «وإن ذهب ذاهب إلى أن المعنى : ظن الرسل أن الذي وعد
الله أمهم على لسانهم قد كذبوا ، فقد أتى عظيماً لا يجوز أن ينسب مثله إلى الأنبياء ؛
لأن الله - سبحانه - لا يخلف الميعاد ولا مبدل لكلماته» ، هذا قول من أنكر هذه
الرواية .

وقال الأزهري^(٥) : «إن صح هذا عن ابن عباس فوجهه عندي - والله أعلم -
أن الرسل خطر في أوهامهم ما يخطر في أوهام البشر ، من غير أن حققوا تلك
الخواطر ، ولم يكن ظنهم ظناً مطمئناً إليه ، ولكن كان^(٦) ظناً بخاطر ، وقد روينا
عن النبي ﷺ أنه قال : تجاوز الله عن أمتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم ينطق به
لسان أو تعمله يد»^(٧) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٣٢ / ٣ .

(٢) الطبري ١٣ / ٨٧ ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه ، والفتح ٨ / ١٤٠ .

(٣) الطبري ١٣ / ٨٧ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢٢١١ ، وأخرجه البخاري (٤٦٩٥) في كتاب التفسير باب
قوله : ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ ﴾ ، والحاكم في المستدرک ٣ / ٣٤٩ ، وقال على شرط الشيخين ولم
يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) الحجة ٤ / ٤٤٣ .

(٥) تهذيب اللغة (كذب) ٤ / ٣١١٥ .

(٦) في التهذيب ٤ / ٣١١٥ : «ولكنه كان خاطراً بغلبة اليقين» .

(٧) أخرجه الترمذي بلفظه (١١٨٣) في كتاب الطلاق واللعان ، باب ما جاء في من يحدث نفسه بطلاق
امرأته ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وبنحوه في البخاري (٢٥٢٨) في كتاب العتق ،
باب الخطأ والنسيان في العتاقة ، والطلاق ، وفي مسلم (١٢٧) في كتاب الأيمان ، باب تجاوز الله عن
حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر .

وقوله تعالى : ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد نصر النبيين» .

﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ كتبت في المصحف بنون واحدة كراهة لاجتماع المثلين ، كما كتبوا : الدنيا والعليا ومحيا ونحو ذلك ، بالألف ؛ كراهة لاجتماع المثلين ، ولولا ذلك لكتبت بالياء كما كتبت : حبلى ونخشى ، وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء ، فلما كرهوا اجتماع المثلين في الخط حذفوا النون ، وقوى ذلك أنه لا يكون في هذه النون إلا الإخفاء ولا يجوز البيان ؛ لأنها لا تتبين عند حروف الفم فأشبهه بذلك الإدغام ؛ لأن الإخفاء لا يتبين فيه الحروف المخففة^(٢) كما أن الإدغام لا يتبين فيه الحرف المدغم بيانه في غير الإدغام ، فلما وافوا هذه النون المدغم استحبا حذفه من الخط ، ولأجل^(٣) هذه [السورة من الخط قرأ عاصم (فُنَجِّيَ)^(٤) مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحد ، وقوى هذه]^(٥) القراءة أنه عَطِفَ عليه فعل مسند إلى المفعول وهو قوله : ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وأما قراءة العامة (فَننجي من نشاء) قال أبو علي^(٦) : «هو حكاية حال ، ألا ترى أن القصة في ما مضى ، وإنما حكى فعل الحال على ما كانت ، كما أن قوله : ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص : ١٥] أشار إلى الحاضر والقصة ماضية لأنه حكى الحال» .

(١) الطبري ٨٣ / ١٣ بلفظ فينصر الله الرسل .

(٢) في (ب) : (المخفا الصحيح) .

(٣) في (ج) : (لأجل) من غير واو .

(٤) قرأ ابن عامر وعاصم (فُنَجِّيَ) مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحزرة والكسائي (فَننجي) بنونين الأول مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة . وروى عن أبي عمرو (فَنَجِّيَ) يدغم . انظر : السبعة ٣٥٢ ، وإتحاف ٢٦٨ ، والطبري ٨٩ / ١٣ ، والبحر ٥ / ٣٥٥ .

(٥) ما بين المعقوفين في (ب) وساقط من (أ) و(ج) .

(٦) الحجة ٤ / ٤٤٥ .

١١١ . قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد إخوة يوسف وهم الأسباط» ، (عبرة) قال^(٢) : «يريد فكرة» ، قال ابن الأنباري : «معنى الاعتبار عند أهل اللغة : الاستعلام للشيء بالدلائل والشواهد من خواطر العقول وغيرها ، يقول الرجل لغيره : اذهب فاعتبر وزن هذا الدرهم ، يريد : استعمله وابتحث عن خبره» ، وهذا يرجع إلى الفكر الذي فسره ابن عباس .

وقال غيره^(٣) : معنى الاعتبار التدبر والنظر في الأمر كقوله تعالى : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَتَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٤) ؛ أي تدبروا وانظروا في ما نزل بقريظة والنضير ، فقايسوا أفعالهم واتعظوا بالعذاب الذي نزل بهم .

وقال أبو الهيثم^(٥) : «العابر الذي ينظر في الكتاب فيعبره ؛ أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه ، وهذا كله راجع إلى معنى الفكرة ، والتدبر أخذ من العبرة وهو الجانب ، كأن المعبر باستدلالة وتفكره يعبر عن جانبه الذي هو فيه إلى جانب البصيرة والعلم» ، فمعنى العبرة : الدلالة التي بها يعبر إلى العلم والبصيرة من الجهل والحيرة ، والعبارة دلالة يعبر المعنى من نفس القائل إلى نفس السامع ، وقد ذكرنا نحو هذا عند قوله : ﴿لِّلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف : ٤٣] .

قال أهل المعاني^(٦) : ووجه الاعتبار بقصصهم هو أن الذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الحب ، وإعلائه بعد حبسه في السجن ، وتمليكه مصر بعد أن

(١) تنوير المقياس ١٥٤ ، وانظر : الثعلبي ١١٨/٧ ب ، والبيهقي ٢٨٧/٤ ، وزاد المسير ٢٩٧/٤ .

(٢) الطبري ٣١٢/١٦ ، وابن أبي حاتم ٢٢١٣/٧ ، وأبو الشيخ عن ابن عباس : معرفه ، كما في الدر ٨٧/٤ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عبر) ٣٣٠٥-٣٣٠٦ ، واللسان (عبر) : ٢٧٨٣/٥ .

(٤) الحشر ٢ ، وفي النسخ جميعها : (يا أولي الأبصار) ، وهو خطأ .

(٥) تهذيب اللغة (عبر) ٢٣٠٥/٣ .

(٦) زاد المسير ٢٩٧/٤ .

كان لبعض أهلها في حكم العبد ، وجمع بينه وبين والديه وإخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة - لقادرٌ على أن يعز محمدًا ، ويعلي كلمته ، وينصره على من عاداه .

وقوله تعالى : ﴿لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إن قيل : إن قوم محمد ﷺ كانوا ذوي عقول وأحلام وفيهم من لم يعتبر بهذه القصص فلم عم الله تعالى أهل الألباب بالعبرة ؟

قال أبو بكر بن الأنباري^(١) : «إن جميعهم عُرضوا للاعتبار بما سمعوه ، فمنهم من اعتبر ، ومنهم من أبى ذلك ، إثاراً لهواه وعناداً ، فلم يخرج عن أن يكون له عبرة لو اعتبر» .

وقال غيره^(٢) : أراد بأولي الألباب هاهنا : من اعتبر وتفكر وعلم الحق ، وذلك أن من لم يعتبر بمثل هذا لا يكون له عقل سليم ، فلا يكون من جملة العقلاء الذين يوصفون بالاعتبار .

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ ؛ أي ما كان قصصهم حديثاً يتقوله بشر ، على هذا دل كلام ابن عباس^(٣) ، ويجوز أن يكون المعنى : ما كان القرآن حديثاً يُفترى ، ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ؛ أي من الكتب ، أي يصدق ما قبله من التوراة والإنجيل وغيرها من الكتب ، قاله ابن عباس^(٤) والحسن^(٥) وقتادة .

ونصب (تصديق) على تقدير : ولكن كان تصديق الذي بين يديه ، كقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب : ٤٠] قاله

(١) الرازي ٢٢٨/١٨ .

(٢) انظر : الطبري ٩٠/١٣ ، والبحر المحيط ٣٥٦/٥ .

(٣) تنوير المقباس ١٥٥ .

(٤) انظر : زاد المسير ٢٩٧/٤ ، والبغوي ٢٨٧/٤ ، وابن كثير ٥٤٦/٢ .

(٥) الطبري ٩٠/١٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٧٨/٤ عن قتادة ، وابن أبي حاتم ٢٢١٣/٧ عن قتادة .

الفراء^(١) والزرّاج^(٢) ، قالوا : « ويجوز رفعه في قياس النحو على معنى : ولكن هو تصديق الذي بين يديه ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يحتاج إليه من أمور الدين من الحلال والحرام والحجاج والاعتبار ، هذا إذا قلنا : ما كان القرآن ، وإن قلنا : ما كان القصص ، فالمعنى : وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته » .

وهكذا فسر ابن عباس^(٣) فقال في رواية عطاء والضحاك : « ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من خبر يوسف وإخوته وأمورهم » .

وعلى التفسيرين جميعاً : قوله ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من العام الذي أريد به الخاص كقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يريد كل شيء يجوز أن يدخل فيها . وقوله تعالى : ﴿ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣] ؛ أي من كل شيء يجوز أن يؤتى مثلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ قال ابن عباس^(٤) : « يريد بياناً ورحمة لقوم يؤمنون : أي يصدقون بما جاء به محمد ﷺ » .

* * *

(١) معاني القرآن ٥٦/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٣٣/٣ .

(٣) زاد المسير ٢٩٨/٤ ، والبحر المحيط ٣٥٦/٥ .

(٤) زاد المسير ٢٩٨/٤ ، وتنوير المقباس ١٥٥ .

تفسير

سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْمَرْ﴾ قال ابن عباس^(١): «معناه أنا الله أعلم وأرى»، وقال في رواية عطاء^(٢): «يريد أنا الله الملك الرحمن»، ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ يجوز أن يكون (تلك) إشارة إلى ما مضى من ذكر الأخبار والقصص مما أنزل على محمد ﷺ، قبل هذه الآية، ويجوز أن يكون (تلك) بمعنى هذه، وقد ذكرنا جواز ذلك عند قوله: ﴿الَّذِي﴾ ذَلِكَ أَنْكَرْتُ ﴿[البقرة: ١-٢]، والكتاب يعني به التوراة والإنجيل في قول مجاهد^(٣) وقتادة^(٤)، وقال ابن عباس^(٥): «يريد القرآن».

(١) الطبري ٩١/١٣، وزاد المسير ٣٠٠/٤، والثعلبي ١١٩/٧، وأبو الشيخ كما في الدر ٨٠/٤.

(٢) زاد المسير ٣٠٠/٤.

(٣) الطبري ٩٢/١٣، وزاد المسير ٤/٤، والثعلبي ١١٩/٧.

(٤) الطبري ٩٢/١٣، وزاد المسير ٤/٤، وأبو الشيخ كما في الدر ٨١/٤، والثعلبي ١١٩/٧.

(٥) زاد المسير ٤/٤، والثعلبي ١١٩/٧.

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ قال الفراء^(١) : «موضع (الذي) رفع بالاستئناف وخبره (الحق) ، ويجوز على قول مجاهد أن يكون (الذي) عطفاً على الكتاب بمعنى : وآيات الذي أنزل إليك ، ثم رفع^(٢) الحق على معنى : ذلك الحق ، أو هو الحق كقوله : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ وعلى قول ابن عباس في الكتاب أنه القرآن ، يجوز أن يكون (الذي) من نعت الكتاب ، وإن كان فيه الواو كقوله^(٤) :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ . . . البيت

فعطف الواو وهو يريد واحداً ، ويكون (الحق) مرفوعاً بما ذكرنا من الإضمار ، هذا كله قول الفراء^(٤) وأبي إسحاق^(٥) ، وزاد فقال : «يجوز أن يكون (الذي) رفعاً^(٦) عطفاً على آيات ، ويكون (الحق) مرفوعاً على إضمار (هو) ، فحصل في (الذي) وجهان للرفع ، ووجهان للخفض» .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس^(٧) : «يريد أهل مكة لا يؤمنون» ، وقال صاحب النظم : في هذه الآية ، «كأن قائلاً قال : الحق غير ما أنزل على محمد ، فأجيب عن هذا القول بهذه الآية ؛ أي إن هذه الآيات والذي

(١) معاني القرآن ٥٧/٢ .

(٢) في (ج) : (يرفع) .

(٣) البيت بلا نسبة في الإنصاف لابن الأنباري ٣٧٦ ، وخزانة الأدب ٤٥١/١ ، ١٠٧/٥ ، ٩١/٦ ، وشرح قطر الندى ٢٩٥ ، والكشاف ٤١/١ ، والبحر ٢١٣/٥ ، والقرطبي ٢٧٢/١ ، والطبري ٩٢/١٣ .

(٤) معاني القرآن ٥٧/٢ ، ٥٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٣٥/٣ .

(٦) كذا في النسخ ولعله (رفع) .

(٧) زاد المسير ٣٠٠/٤ .

قبلها هو الحق ، لا ما ذهبتم إليه» . وهذا الذي ذكره معنى قول مقاتل ^(١) ، فإنه قال : «نزلت هذه الآية حين قال مشركو مكة : إن محمداً يقول القرآن من تلقاء نفسه» .

٢. قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ قال أبو إسحاق ^(٢) : «لما ذكر أنهم لا يؤمنون ، عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ، فقال : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا﴾ الآية ، العمدة ^(٣) : الأساطين ، ومنه قول النابغة ^(٤) :

يَبْنُونَ تَدْمُرُ بِالصُّفَّاحِ ^(٥) وَالْعَمَدِ

وهو جمع عماد ، يقال : عماد ، وعمد ، وعمد ، مثل إهاب ، وأهب ، وأهب ، قال ذلك أبو إسحاق ^(٦) في قوله : ﴿عَمَدٌ مُّمدَّدَةٌ﴾ [الهمزة : ٩] ، وقال الفراء ^(٧) : «العُمد والعَمَد جمع العمود ، مثل أديم وأدم ، وأدم ، وقُضْم وقُضْم ، قُضْم والعماد والعمود ما يعمد به الشيء ، يقال : عمدت الحائط أعمدته عمداً ، إذا

(١) تفسير مقاتل ١٥٨ ب ، والتعليبي ٧/ ١١٩ أ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٦ .

(٣) تهذيب اللغة (عمد) ٣/ ٢٥٦١ .

(٤) عجز بيت للنابغة وصدره :

وخيَّسَ الجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ

انظر : ديوانه ١٣ ، والمحزر الوجيز ٨/ ١١١ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٥٧ ، والدر المصون ٧/ ١٠ ، وتهذيب اللغة (عمد) ٣/ ٢٥٦١ ، ومختار الشعر الجاهلي ١٥٢ ، واللسان (عمد) ٥/ ٣٠٩٧ .

وخيَّس : ذل ، تدمر : بلدة بالشام ، الصفاح : حجارة عراض رقاق .

(٥) في (أ) و(ب) : (بالصفائح) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٦٢ .

(٧) معاني القرآن ٣/ ٢٩١ ، وفيه : «جمعان للعمود» .

دعمته فاعتمد الحائط على العماد ؛ أي امتسك به ، ومن هذا يقال : فلان عمدة قومه ؛ إذا كانوا يعتمدونه في ما يحزبهم» .

وقوله تعالى : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه كلام مستأنف ، والمعنى رفع السموات بغير عمد ، ثم قال : ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ أي وأنتم ترونها كذلك مرفوعة بلا عمد^(١) .

قال ابن الأنباري^(٢) : « أفاد بقوله (ترونها) ، أنهم يرونها بلا دعامة ترفعها ، ولا شيء يمسكها من الوقوع ؛ أي الذي تشاهدون من هذا الأمر العظيم وتعاينونه بأبصاركم يغنيكم عن الإخبار وإقامة الدلائل » ، (فترونها) ، على هذا القول ، خبر مستأنف ، قال : « ويجوز أن يكون ترونها متعلقاً بالسموات ، والباء من صلته ، وتلخيصه : (ترونها) بغير عمد ، فالباء معناها التأخير بعد الرؤية ، و(ترونها) ، على هذا ، في موضع نصب في التقدير على الحال من (السموات) » . لو صرف إلى الدائم لقليل : رأيته^(٣) أنتم بغير عمد ، وإذا جعلناه خبراً مستأنفاً غير متعلق بالباء ، كان الباء من صلة الرفع ، وقد حصل في (ترونها) قولان ، وهذا على قول من يقول : إن الله تعالى^(٤) خلق السموات بلا عماد من تحتها .

(١) ساقطة من (أ) ، (ج) .

(٢) الأضداد ٢٦٨ ، والوقف والابتداء ٧٣٠ / ٢ ، ٧٣١ ، وزاد المسير ٣٠١ / ٤ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب (رأيتوها) .

(٤) تعالى : ساقطة من (ج) .

وهو قول ابن عباس^(١) في ما روى جوير عن الضحاك عنه قال : «يعني ليس من دونها دعامة ، ولا فوقها علاقة» ، وهو قول قتادة^(٢) ، وإياس بن معاوية^(٣) ، ومقاتل^(٤) قال : «هن قائمات ليس لها عمد» .

والقول الثالث في (ترونها) أنه من نعت العمد ، المعنى بغير عمد مرئية ، وعلى هذا الجحد الداخل على العمد واقع في المعنى على الرؤية ، والتقدير : رفع السموات بعمد لا ترونها ، والعرب قد تقدم الجحد من آخر الكلمة إلى أولها ، ويكون ذلك جائزاً كما تقول : لا تكلمن بغير كلام يمله السامع . معناه : بكلام لا يمله السامع ، ومنه [قول] ابن هرمة^(٥) :

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً يُحْدِثُ لِي نَكْبَةً وَتَنْكَأَهَا

أراد : وأراها لا تزال ظالمة ، وهذا التقدير على قول من قال : إن للسموات عمداً ولكننا لا نراها ، وهو قول ابن عباس^(٦) في رواية ، قال : «لها عمد على قاف ، وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ، ولكنكم لا ترون العمد» ، وهذا قول مجاهد^(٨) .

(١) الثعلبي ١٩٩/٧ ب .

(٢) الطبري ٩٤/١٣ ، وعبدالرزاق ٣٣١/٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٦٠١/٤ .

(٣) الطبري ٩٤/١٣ ، والدر المنثور ٨١/٤ ، والثعلبي ١١٩/٧ ب . وهو إياس بن معاوية بن قره بن إياس المزني أبو وائلة ، قاضي البصرة ، تابعي ثقة فقيه يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والعقل والفطنة والفصاحة . توفي سنة ١٢٢ هـ . انظر : حلية الأولياء ١٢٣/٣ ، وتهذيب التهذيب ١٩٧/١ .

(٤) تفسير مقاتل ١٥٨ ب ، ولم أجده فيه .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) في (ج) : (ولال راها) .

(٧) الطبري ٩٤/١٣ ، قال : «بعمد لا ترونها» ، والرازي ٢٣٢/١٨ .

(٨) الطبري ٩٣/١٣ ، وابن أبي حاتم كما في الدر ٦٠٠/٤ ، وزاد المسير ٨١/٤ .

وأنكر قوم هذا التأويل ، وقالوا : لو كان لها عمد لكانت تُرى ، والله -عز وجل- إنما دل هذا على قدرته من حيث لا يمكن لأحد أن يقيم جسماً بغير عمد إلا هو ، وما ذكرنا من الأقوال في (ترونها) ، والتقديرات فيه ، من كلام الفراء^(١) والزجاج^(٢) وأبي بكر ، وقال الزجاج في^(٣) نظم هذه الآية في سورة لقمان : «من قال بعمد ترونها ، يكون معنى (العمد) قدرته التي يمسك بها السموات والأرض ، وهي غير مرئية» .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ؛ أي بالاستيلاء والاقتدار ، ونفوذ السلطان ، وأصله استواء التدبير ، كما أن أصل القيام الانتصاب ، ثم يقال قائم بالتدبير ، والمعنى : ثم استوى على العرش بالتدبير ، للأجسام الذي قد كوّنهما ، فقولہ : ﴿ثُمَّ﴾ يدل على حدوث التدبير ، والكلام في معنى الاستواء ماض بالاستقصاء في سورة البقرة^(٤) .

(١) معاني القرآن ٥٧/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٣٦/٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٩٥/٤ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] ، وخلاصة ما ذكره أن للاستواء معاني ، منها :

١ . أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته .

٢ . أن يستوي من اعوجاج . ٣ . بمعنى أقبل .

٤ . بمعنى عمد وقصد . ٥ . صعد .

٦ . استولى . ٧ . علا .

وقد رجح تأويل الاستواء على كل حال وقصد نفى الصفة كما هو مذهب الأشاعرة . وقد تقدم التعليق على ذلك مراراً .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ معنى التسخير التذليل ، قال أبو إسحاق^(١) : « كل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر ، فذلك مسخر » ، وقال غيره^(٢) : أصله : سخرت السفينة ، إذا أطاعت وطاب لها السير ، وقد سخرها الله تسخييراً ، وأنشد^(٣) :

سَوَاخِرٌ فِي سَوَاءِ الْيَمِّ تَخْتَفِرُ

وتسخرت دابة فلان ؛ ركبته بغير أجر ، ومعنى تسخير الشمس والقمر ، تذليلها لما يراد منها ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي إلى وقت معلوم ، وهو فناء الدنيا .

وهذا معنى قول ابن عباس^(٤) في رواية عطاء ، قال : « يريد أن^(٥) هذا كائن إلى يوم القيامة » ، وروي عنه^(٦) أنه قال : « أراد بالأجل المسمى انتهاءهما في السير إلى درجاتهما ومنازلهما ، وهو قول الكلبي^(٧) » ، قال : « للشمس منازل معلومة ، كل يوم لها منزل تنزله ، حتى تنتهي إلى آخر منازلها ، فإذا انتهت إليه لم تجاوزه ثم ترجع » ، فهذا الأجل المسمى ، وللقمر كذلك .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٣٦/٣ .

(٢) نقله في التهذيب (سخر) ١٦٥٠/٢ عن الليث .

(٣) لم اهتد إلى قائله وهو بلا نسبة في كتاب العين المنسوب إلى الخليل ١٥٦/٤ ، والتهذيب (سخر) ١٦٥٠/٢ ، واللسان (سخر) ١٩٦٣/٤ .

(٤) تنوير المقياس ١٥٥ ، وزاد المسير ٣٠١/٤ ، والقرطبي ٢٧٩/٩ .

(٥) ليس في (ب) .

(٦) الثعلبي ١١٢٠/٧ ، والقرطبي ٢٧٩/٩ ، والرازي ٢٣٣/١٨ .

(٧) زاد المسير ١٩/٧ .

وقوله تعالى : ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ﴾ معنى التدبير : تصريح الأمر على ما يقتضيه مستدبر حاله في عاقبته ، والله تعالى يدبر الأمر بحكمته . ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ ؛ أي يبين الآيات التي تدل على قدرته على البعث ، وذلك أنهم كانوا يحدون البعث ، فأعلموا أن الذي خلق السموات وأنشأ هذه الأشياء ولم تكن ، قادرٌ على إعادتهم ، وهو معنى قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ قال ابن عباس ^(١) : «يقول لكي يا أهل مكة توقنون^(٢) بالبعث ، وتعلموا أنه لا إله غيري» .

٣. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ . قال أبو إسحاق ^(٣) : «دلهم بعد أن بين [آيات السماء بـ] ^(٤) آيات الأرض ، قال : وهو الذي مد الأرض» ، روي في التفسير : أنها كانت مدورة فمدت .

قال أهل اللغة ^(٥) : معنى المد : أخذ المجتمع بجعله على الطول والعرض ، ولذلك قال الفرّاء ^(٦) : «أي بسط الأرض طولاً وعرضاً» . ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي﴾ ؛ أي جبلاً ثوابت ^(٧) ، وقال ابن عباس ^(٨) : «يريد أوتدها بالجبال» ، وذكرنا معنى الرسو والإرساء في سورة هود ^(٩) .

-
- (١) تنوير المقياس ١٥٥ ، وانظر : الطبري ٩٥ / ١٣ .
(٢) كذا في النسخ ، ولعله خطأ من الناسخ وصحة الكلمة (توقنوا) .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣٧ / ٣ .
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .
(٥) تهذيب اللغة (مدد) ٤ / ٣٣٦١ ، واللسان (مدد) ٧ / ٤١٥٧ .
(٦) معاني القرآن ٥٨ / ٢ .
(٧) هذا قول الرّجّاج ، انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٣٧ / ٣ .
(٨) تنوير المقياس ١٥٥ .
(٩) عند قوله تعالى : ﴿وَقَالَ أَتَكْبَرُونَ﴾ [آية ٤١ : انظر : اللسان (رسا) ١٦٤٧ / ٣ .

وقوله تعالى: ﴿رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ معنى الزوج في اللغة^(١) شكل له قرين من نظير أو نقيض ، فالنظيران كزوجين من خف أو نعل ، والنقيضان كالذكر والأنثى ، والحلو والحامض ، والرطب واليابس ، وقال أبو عبيدة^(٢) : «الزوج الواحد ، ويكون اثنين» ، وقال الفرّاء^(٣) : «الزوجان اثنان الذكر والأنثى ، والضربان» ، وذكرنا الكلام في هذا في سورة هود^(٤) .

قال الزّجّاج^(٥) : «أي جعل فيها نوعين» ، وهو معنى قول ابن عباس^(٦) : «يريد صنفين» ، قال ابن قتيبة^(٧) : «أراد من كل الثمرات لونين حلوا^(٨) وحامضاً» .

وقوله تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ ذكرناه في سورة الأعراف^(٩) .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أعلم أن ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات لمن يفكر في عظمة الله وقدرته ، ثم زادهم من البرهان .

(١) تهذيب اللغة (زوج) ١٥٧٤ / ٢ .

(٢) مجاز القرآن ٣٢١ / ١ .

(٣) معاني القرآن ٥٨ / ٢ .

(٤) عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [آية : ٤٠] .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٣٧ / ٣ .

(٦) القرطبي ٢٨٠ / ٩ ، والثعلبي ١٢٠ / ٧ .

(٧) مشكل القرآن وغيره ٢٣٠ ، والثعلبي ١٢٠ / ٧ .

(٨) في (أ) و(ج) : (حلو) .

(٩) عند قوله تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف : ٥٤] . وقال هنالك : «والتغشية إلباس الشيء» . قال أبو إسحاق : والمعنى أن الليل يأتي على النهار ويغطيه ، ولم يقل : يغشى النهار ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه» .

٤. فقال : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ ﴾ قال قتادة^(١) : « قرئ قريبا بعضها من بعض » .

ومعنى المتجاورات : المتدانيات المتفاوتات في الكلام^(٢) .

قال مجاهد^(٣) وابن عباس^(٤) والضحاك^(٥) : « يعني في الأرض منها عذبة ومنها مالحة ، ومنها طيبة تنبت ، ومنها سبخة لا تنبت » ، ونحو هذا قال الفرّاء^(٦) ، ولا دليل في الآية على ما ذكروا ؛ لأن قوله : ﴿ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ ﴾ ليس فيه ما يدل على اختلافها في العذوبة والملوحة ، وإنما تبين الفائدة عند قوله : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ وقد كشف ابن الأنباري على هذا ، فموضع الآية ومحل الأعجوبة ، أن القطع المتجاورة تنبت نباتاً مختلفاً ، منه الحلو والعذب والحامض البعيد من الحلاوة ، وشربها واحد ومكانها مجتمع لا تفاوت بينها ولا تباين ، وفي هذا أوضح آية على نفاذ قدرة الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ ﴾ الجنة^(٧) البستان الذي تجنه الشجر ، والمعنى : جنات من أعناب ومن زرع ومن نخيل ، والدليل على أن الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع^(٨) تسمى جنة ، قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ

(١) الطبري ٩٧/١٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٨٣/٤ ، وزاد المسير ٣٠٢/٤ .

(٢) كذا في النسخ ولعلها (الكلام) .

(٣) الطبري ٩٧/١٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٨٣/٤ ، وزاد المسير ٣٠٢/٤ .

(٤) الطبري ٩٧/١٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٨٣/٤ ، وزاد المسير ٣٠٢/٤ . وهو قول عطاء كما في تفسيره ١٠٤ .

(٥) الطبري ٩٨/١٣ ، وزاد المسير ٣٠٢/٤ .

(٦) معاني القرآن ٥٨/٢ .

(٧) اللسان (جنن) ٧٠٥/٢ .

(٨) في (أ) و(ج) : (فالزراع) .

مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ [الكهف: ٣٢] ، والنخيل : جمع نخل ، يقال : نخلة ، والجماعة نخل ونخيل ، وثلاث نخلات .

ومن قرأ^(١) ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ بالرفع حملهما^(٢) على قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ ولم يحملهما على الجنات ، والجنة على هذا واقعة على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها .

وقوله تعالى : ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ قال أبو عبيدة^(٣) : «الصنوان صفة للنخيل ، وهي أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع فيصير نخيلاً ، ثم يحملن» ، وهذا قول جميع أهل التفسير واللغة ، قال ابن عباس^(٤) : «(صنوان) ؛ ما كان من نخلتين أو ثلاث أو أكثر إذا كان أصلهن واحداً ، و(غير صنوان) يريد : المتفرق^(٥) الذي هو واحدٌ واحد لا يجمعهما أصل واحد» .

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص (وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغير صنوان) بالرفع ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافع وابن عامر وحمة والكسائي (وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) خفصاً . انظر : السبعة ٣٥٦ ، وإتحاف ٢٦٩ ، والطبري ٩٨ / ١٣ ، ٩٩ ، وزاد المسير ٣٠٢ / ٤ ، والقرطبي ٢٨٢ / ٩ .

(٢) في (أ) و(ج) : (حملها) .

(٣) مجاز القرآن ٣٢٢ / ١ .

(٤) الطبري ٩٩ / ١٣ ، ١٠٠ ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ٢٢٢٠ / ٧ ، وانظر : الدر ٨٤ / ٤ . وهو قول عطاء كما في تفسيره ١٠٤ .

(٥) في (ج) : (المتفرق) .

وقال البراء بن عازب^(١): «الصنوان المجتمع ، وغير الصنوان المتفرق»^(٢).

وقال ابن الأنباري : «الصنوان ما اجتمع أصله من النخل ، والذي يفترق أصله فليس بصنوان ، يقال : هذا صنو فلان ، إذا كان أصلهما واحداً ، ومنه قوله ﷺ : «إن عم الرجل صنو أبيه»^(٣) يعني أن أصلهما واحد» .

قال أبو عبيد^(٤) : «وأصل الصنو إنما هو في النخل» ، وقال شمر^(٥) : «يقال : فلان صنو فلان ؛ أي أخوه ، ولا يسمى صنواً حتى يكون معه آخر ، فهما حينئذ صنوان ، وكل واحد منهما صنو صاحبه» .

وقال أبو إسحاق^(٦) : «ويجوز في صنو أصناء ، مثل عدل وأعدال ، فإذا كثرت فهو الصُني والصنى» .

وقال أبو علي^(٧) : «الكسرة التي في صنوان ليست بالكسرة التي في صنو ؛ لأن تلك قد حذفت في التكسير ، وعاقبتها الكسرة التي يجلبها التكسير» ، وقد ذكرنا هذا في نظيره من الكلام ، وهو قنوان في قوله : ﴿قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام : ٩٩]

(١) الطبري ٩٩ / ١٣ ، والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٢٢٢١ / ٧ ، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر ٦٣ / ٤ ، والقرطبي ٢٨٢ / ٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٧٠ / ٣ .

(٢) في (ج) : (المفترق) .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٩٨٣) في كتاب الزكاة ، باب تقديم الزكاة ، وأحمد في مسنده ٣٢٢ / ٢ ، ٣٢٣ ، والترمذي (٣٧٦١) في كتاب المناقب ، باب مناقب العباس مختصراً . وأخرجه الطبري ١٣ / ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) غرب الحديث ٢١٧ / ١ ، والتهذيب (صنو) ٢٠٦١ / ٢ .

(٥) التهذيب (صنو) ٢٠٦١ / ٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٣٨ / ٣ .

(٧) الحجة ٩ / ٥ .

مستقصى، وروى القواس عن حفص^(١) (صُنُونٌ) بضم الصاد، جعله مثل: ذيب وذوبان، وربما تعاقب فِعْلَان وفُعْلَان على البناء الواحد، نحو: حُش وحُشان.

قال أبو علي^(٢): «وأظن سيويوه قد حكى فيه الضم، والكسر أكثر في الاستعمال».

وقوله تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ﴾ أي يُسْقَى هذه الأشياء بماء التي ذكرها من القطع المتجاورة، والجنات والنخيل المختلفة، ومن قرأ^(٣) ﴿يُسْقَى﴾ بالياء، كان التقدير: يسقى ما قصصناه وما ذكرناه، قال ابن عباس^(٤): «يريد البئر واحد، والشرب واحد، والجنس واحد»، ﴿وَنُفِضَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ يخبر بعجائبه وقدرته في خلقه، وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ﴿وَنُفِضَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾. قال: «الفارسي»^(٥) والدَّقْل^(٦) والحلو والحامض»^(٧).

(١) قال ابن مجاهد: «حدثني الحسن بن العباس عن الحلواني عن القواس عن حفص، عن عاصم (صُنُونٌ) بضم الصاد والتنوين، ولم يقله غيره عن حفص» اهـ. السبعة ٣٥٦.

(٢) الحجة ٩/٥.

(٣) اختلف القراء في الياء والتاء من قوله (يُسْقَى)، وفي النون والياء من قوله (وَنُفِضَ). فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (تُسْقَى) بالتاء (ونُفِضَ) بالنون، وقرأ حمزة والكسائي (تُسْقَى) بالتاء مماله القاف (يفضل) بالياء مكسورة الضاد، وقرأ عاصم وابن عامر (يُسْقَى) بالياء (وَنُفِضَ) بالنون. انظر: السبعة ٣٥٦، وإتحاف ٢٦٩، والطبري ١٣/١٠١، ١٠٢، وزاد المسير ٣٠٣/٤، والقرطبي ٢٨٩/٩.

(٤) تفسير كتاب الله العزيز ٢/٢٩٤ بنحوه.

(٥) الفارسي من التمر، لعله البرني، وهو ضرب من التمر أصفر مدور، عذب الحلاوة وهو أجوده. تعليق محمود شاكر على الطبري ١٣/١٠٣.

(٦) الدقل: أردأ أنواع التمر.

(٧) أخرجه الترمذي (٣١١٨) في كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة الرعد، ولكنه قدم الدقل على الفارسي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٦٥/٣. وأخرجه الطبري ١٣/١٠٣، وعلق عليه أحمد شاكر بقوله «فهذا إسناد كما ترى فيه من الهلاك» =

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس^(١) قال : «يعني تُسْقَى القطع^(٢) كلها بماء السماء» ، و﴿وَنُفِصِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ يعني اختلاف الطعام والشجر .

وقال أبو إسحاق^(٣) : «والأكل الثمر الذي يؤكل» ، ويفصل الآيات بالياء ؛ لأنه جرى ذكر الله تعالى ، فالمعنى : يُفَصِّلُ الله الآيات ، وكذلك من قرأ بالنون ؛ لأن الإخبار عن الله تعالى بلفظ الجماعة كقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ ، وقال غيره^(٤) : الأكل المهيأ للأكل ، ومنه قيل : للرزق الأكل ، يقال : فلان كثير الأكل من الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

قال ابن عباس^(٥) : «يريد أهل الإيمان وهم أهل العقل الذين لم يجعلوا الله^(٦) نداً» ، وهذا دليل على أنه لم يجعل الكفار أهل عقل كعقل المؤمنين ؛ لأنهم لم يستدلوا بهذه الأشياء على توحيد الصانع كما استدل أهل الإيمان .

وانفراد الضعيف به فيه ما فيه ، فكيف جاز للترمذي أن يحسنه مع هذه القوادح التي تقدح فيه من نواحيه» اهـ . تعليق الطبري ٣٤٥ / ١٦ .

وروى عن ابن عباس نحوه كما في الطبري ١٠٣ / ١٣ .

وأخرجه ابن المنذر والبخاري وأبو الشيخ وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ٢٢٢١ / ٧ ، وانظر : الدر ٨٥ / ٤ .

(١) الطبري ١٠٣ / ١٣ بنحوه تنوير المقباس ١٥٥ .

(٢) ليس في (ج) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣٨ / ٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (أكل) ١٧٦ / ١ ، واللسان (أكل) ١٠١ ، ١٠٠ / ١ .

(٥) تنوير المقباس ١٥٥ بنحوه .

(٦) في (أ) و(ج) : (الله) .

٥. قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ قال ابن عباس ^(١) : «يريد من تكذيبهم إياك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين» ، وقال جماعة من أهل التفسير ^(٢) : «وإن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا ، بعدما رأوا من قدرة الله في خلقه الأشياء التي ذكرها ، فعجب قَوْلُهُمْ : ﴿أَءَاكُنَّا تُرَابًا أَمْ لَمْ نَلْغِ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ قال أبو إسحاق ^(٣) : «أي هذا موضع عجب أنهم أنكروا البعث ، وقد بين لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة مما قد تبينوا» .

قال ابن عباس : «يريد فعجب قَوْلُهُمْ أن ضعفوا قدرتي بإنكار البعث» ، وتلخيصه : إن تعجب يا محمد من اتخاذهم الأوثان وتكذيبك بعد البيان ، فتعجب من هذا أيضاً ، فإنه موضع العجب ، ومعنى قوله : ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي عندك ؛ لأن الله تعالى لا يعجب من شيء ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٢٢١/٧ ، وأبو الشيخ عن الحسن نحوه كما في الدر ٨٥/٤ ، والقرطبي ٢٨٤/٩ .

(٢) الطبري ١٣/١٠٣ ، ١٠٤ ، والثعلبي ١٢١/٧ ب ، وزاد المسير ٣٠٤/٤ ، والقرطبي ٢٨٤/٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣٨/٣ .

(٤) سبق التعليق على نفيه هذه الصفة في مبحث منهجه في العقيدة .

قال أبو علي^(١) : «من قرأ^(٢) بالاستفهام في (إذا) و(أإنّا) فموضع ﴿أءَذَا﴾ نصب بفعل مضمر ، يدل عليه قوله : ﴿أءَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، لأن هذا الكلام يدل على نُبعث ونُحشر ، كأنه قال : أنبعث إذا كنا تراباً ، وهكذا إذا لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية ، لأن ما بعد أن في ما قبله بمنزلة الاستفهام ، في أنه لا يجوز أن يعمل ، فلما قدرت هذا الناصب لـ (إذا) مع الاستفهام ، [لأن الاستفهام]^(٣) لا يعمل ما بعده في ما قبله ، كذلك تقدره في (أن) ؛ لأن ما بعدها أيضاً لا يعمل في ما قبلها» ، وهذا الذي ذكره أبو علي هو شرح كلام أبي إسحاق^(٤) وقد ذكره .

وقوله تعالى^(٥) : ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ﴾ الأغلال جمع الغل ، وهو طوق^(٦) تقيد به اليد إلى العنق ، يقال منه غل الرجل فهو مغلول .

قال أبو إسحاق^(٧) : «جاء في التفسير أن الأغلال في أعناقهم يوم القيامة ؛ والدليل على ذلك قوله^(٨) : ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾» [غافر ٧١ ، ٧٢] ، قال : «ويجوز أن يكون معنى الأغلال هاهنا

(١) الحجة ١١ / ٥ .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أيذا كنا تراباً أئنا) جميعاً بالاستفهام ، غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة ، وابن كثير بالياء ساكنة من غير مدة ، وقرأ نافع (أيذا) مثل أبي عمرو ، واختلف عنه في المد ، وقرأ (إنّا) مكسورة الألف على الخبر ، ووافقه الكسائي في اكتفائه بالاستفهام الأول عن الثاني غير أنه كان يهزئ بهمزين ، وقرأ عاصم وحمة (أءَذَا كُنَّا . . أءَنَا) بهمزين فيها جميعاً ، وقرأ ابن عامر (إذ كنا) مكسورة الألف من غير استفهام ، (أءَنَا) يهزئ ثم يمد ثم يهزئ ، في وزن عَاعَتًا . انظر : السبعة ٣٥٧ ، وإتحاف ٢٦٩ ، وزاد المسير ٤ / ٣٠٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ج) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٣٨ / ٣ .

(٥) في (ب) : (وأولئك) .

(٦) في (أ) و(ج) : (طرق) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٣٩ / ٣ ، وفيه : «أن الأغلال الأعمال في أعناقهم» .

(٨) في (ج) : (تعالى) .

أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم ، كما يقال للرجل : هذا غل في عنقك ، للعمل السيء ، معناه أنه لازم لك وأنت مجازي عليه العذاب .

٦ . قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ ، قال ابن عباس ^(١) : « يريد العذاب قبل الرحمة » ^(٢) .

وقال أبو إسحاق ^(٣) : « أي يطلبون العذاب بقولهم : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢] ، قال المفسرون ^(٤) : يعني مشركي مكة ؛ سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم العذاب استهزاء منهم بذلك ، كما أخبر عنهم في آية أخرى بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية ، فالمراد بالسيئة هاهنا العقوبة المهلكة والعذاب ، والحسنة هي العافية والرخاء ، والله تعالى صرف عمن بعث إليه محمد ﷺ عقوبة الاصطلام ^(٥) ، وأخر تعذيب مكذبيه إلى يوم القيامة ، فذلك التأخير هو الحسنة » .

قال أهل المعاني : وهي إحسانه بالإنظار في حكم ^(٦) الله أن يمهل هذه الأمة للتوبة ، ثم يأخذ من أقام على الكفر بالعقوبة ، وهؤلاء الكفار استعجلوا العذاب قبل إحسان الله معهم بالإنظار .

(١) زاد المسير ٣٠٥ / ٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٣٩ / ٣ .

(٤) الثعلبي ٧ / ٢١١ ب ، والطبري ١٣ / ١٠٥ ، وقد روى هذا المعنى عن قتادة وغيره ، وزاد المسير ٣٠٥ / ٤ ، والقرطبي ٢٨٤ / ٩ .

(٥) الاصطلام : الاستئصال ، واصطلم القوم : أبعدوا ، والاصطلام : إذا أبعد قوم من أصلهم . انظر : تهذيب اللغة (صلم) ٢ / ٢٠٤٧ ، واللسان (صلم) ٤ / ٢٤٨٩ .

(٦) في (ب) : (في حلم) .

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّتُ﴾^(١)، العرب^(٢) تقول للعقوبة: مُثْلَةٌ ومُثْلَةٌ، مثل: صَدَقَةٌ وصُدُقَةٌ، فالأولى لغة الحجاز، والثانية لغة تميم، ومن قال: مُثْلَةٌ، جمعها مُثَلَاتٌ، ومن قال: مُثْلَةٌ، جمعها على مُثَلَاتٍ ومُثَلَاتٍ، ومُثَلَاتٍ، بإسكان الثاء، وهذا معنى قول الفرّاء^(٣) والزّجاج^(٤) وبعض عبارتهما.

وقال ابن الأنباري^(٥): «المُثْلَةُ: العقوبة المبقية في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خَلْقِهِ، الذي إذا أفسد قبحت معه الصورة، وهو من قولهم: مُثِّلَ فلان بفلان، إذا شان خَلْقَهُ بقطع أنفه أو^(٦) أذنه أو سمل عينه أو بقر بطنه، يُمَثِّلُ مثلاً بفتح الميم وسكون الثاء، فهذا الأصل، ثم يقال للعار الباقي والخزي اللازم: مُثْلَةٌ». انتهى كلامه. وأصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه.

قال أبو عبيدة^(٧): «المُثَلَاتُ هي الأمثال والأشباه والنظائر، يريد العقوبات التي يشبه بعضها بعضاً في الإهلاك، كعقوبات الأمم الماضية»، ونحو هذا قال ابن قتيبة^(٨).

وقال الزّجاج^(٩): «المعنى أنهم يستعجلون بالعذاب»، وقد تقدم من العذاب ما هو مُثْلَةٌ، وما فيه نكالٌ لهم لو اتعظوا، فقوله: تقدم من العذاب ما هو مُثْلَةٌ، دليل على ما ذكرنا، وقال بعضهم: المثلثات العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله.

(١) تهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤٢، واللسان (مثل) ٧/ ٤١٣٥.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٥٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٣٩.

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٠٦.

(٥) في (ب): (أنفه وأذنه).

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٢٣ قال: «واحدتها مُثْلَةٌ ومجازها مجاز الأمثال».

(٧) مشكل القرآن وغيّره ٢٣٠.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٠.

قال ابن عباس في قوله : ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ ﴾ ، قال : « ما مثل الله بالمكذبين قبلهم » ، والذي يدل من التفسير على ما ذكرنا من الاشتقاق ، ما روى ابن أبي نجيح عن مجاهد^(١) ، في قوله : ﴿ الْمَثَلُتُ ﴾ قال : « الأمثال ، قال أبو بكر : العقوبة يتذاكرها^(٢) الناس ويضربون بها الأمثال ، [فسمي باسم هو من سببها] ، وعلى هذا سميت العقوبات أمثالاً لما يضرب بها من الأمثال^(٣) » ، والصحيح في اشتقاق المَثَلُتة أنها العقوبة الظاهرة من قولهم : مثل الشيء ، إذا ظهر وانتصب قائماً ، ومنه قول لبيد^(٤) :

ثُمَّ أَصْدَرْنَا هُمَا فِي وَارِدٍ صَادِرٍ وَهَمَّ صَوَاهُ قَدْ مَثَلٌ

أي انتصب وظهر ، قال الأزهري^(٥) في هذه الآية : « يقول يستعجلونك بالعذاب الذي لم أعاجلهم به ، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأمر الخالية ، فلم يعتبروا بها ، وكان ينبغي أن يردعهم ذلك عن الكفر ، خوفاً أن ينزل بهم مثل الذي نزل بمن كفر قبلهم » .

(١) الطبري ١٣ / ١٠٥ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧ / ٢٢٢٣ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٨٦ / ٤ .

(٢) في (ج) : (يتذاكرها) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) .

(٤) البيت في ديوانه ١٤٣ ، وديوان الأدب ٣ / ٢٢٩ ، وكتاب العين ٢ / ١٣٢ ، ٧ / ٤٢٣ ، وتاج العروس (مثل) ١٥ / ٦٨٤ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٤٧٨ ، والمعاني الكبير ١١٠١ ، وتهذيب اللغة (مثل) ٤ / ٣٣٤٣ ، واللسان (مثل) ٧ / ٤١٣٥ .

والوارد والصادر : الطريق . ووهم : واسع ضخم . وصوى الطريق : أعلامه . وقد مثل : شخص وبرز .

(٥) تهذيب اللغة (مثل) ٤ / ٣٣٤٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ قال ابن عباس ^(١) : «لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وصدقوا» ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ للمصريين على الشرك ، ونحو هذا قال الحسن ^(٢) : ﴿ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ بالتوبة منه ، فعلى هذا المراد بالناس المشركون وهو الظاهر ؛ لأن الآية نازلة فيهم .

٧ . قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ قال المفسرون ^(٣) : إن المشركين تحكموا في طلب الآيات من نحو تفجير الأنهار بمكة ، ونقل جبالها عن أماكنها ، لتتسع على أهلها ، أو إنزال منشور من السماء ، أو آية كآيات موسى وعيسى ، فذلك معنى قوله : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ قال ابن عباس ^(٤) : «يريد مثل الناقة والعصا ، وما جاء به النبيون» ، وقال أبو إسحاق ^(٥) : «طلبوا غير الآيات التي أتى بها ، فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴾» ، قال ابن عباس : «يريد بالنار لمن عصى الله» . قال أهل المعاني : معناه إنما أنت منذر تنذرهم بالنار وليس إليك من الآيات شيء ، إنما أمرها إلى الله تعالى ، ينزلها على ما في معلومه .

(١) زاد المسير ٣٠٦/٤ .

(٢) تفسير كتاب الله العزيز ٢/٢٩٤ بنحوه .

(٣) الطبري ١٣/١٠٦ ، والثعلبي ٧/١١٢ ، وزاد المسير ٣٠٦/٤ ، والقرطبي ٩/٢٨٥ .

(٤) انظر : الرازي ١٩/١٣ ، وابن كثير ٤/٣٥٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٠ .

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال ابن عباس^(١) في رواية عطاء: «يريد نبياً يدعوهم إلى الله تعالى»، وهذا قول مجاهد^(٢)، وقتادة^(٣)، وابن زيد^(٤)، واختيار أبي إسحاق^(٥)، قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي نبي وداع إلى الله يدعوهم بما يُعطى من الآيات، لا بما يريدون ويتحكمون فيه، ودل على هذا المعنى ما سبق من الكلام.

وقال في رواية عطية^(٦): «الهادي هو الله تعالى»، وهو قول سعيد^(٧) بن جبير والضحاك^(٨)، والمعنى على هذا: بك الإنذار والتخويف، والله تعالى هادي كل قوم، يهدي من يشاء، قال الضحاك: نظيره: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال الحسن^(٩)، وعكرمة^(١٠)، وأبو الضحى^(١١): «الهادي هاهنا محمد ﷺ»، والمعنى على هذا ما قاله الحسين بن الفضل^(١٢): «إن هذا على التقديم والتأخير، التقدير: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم، وليس إليك من الآيات شيء، غير أنك تنذر وتدعو إلى الحق».

(١) زاد المسير ٣٠٧/٤.

(٢) الطبري ١٣/١٠٧، ١٠٨، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/٢٢٢٥، وأبو الشيخ كما في الدر ٨٦/٤.

(٣) الطبري ١٣/١٠٨، وأبو الشيخ كما في الدر ٨٦/٤، وزاد المسير ٣٠٧/٤.

(٤) الطبري ١٣/١٠٨، وزاد المسير ٣٠٧/٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٠.

(٦) الطبري ١٣/١٠٨، ١٠٩.

(٧) الطبري ١٣/١٠٧.

(٨) الطبري ١٣/١٠٧.

(٩) زاد المسير ٣٠٧/٤.

(١٠) الطبري ١٣/١٠٧، وزاد المسير ٣٠٧/٤.

(١١) الطبري ١٣/١٠٦، والثعلبي ٧/١٢٢، وزاد المسير ٣٠٧/٤.

(١٢) انظر: الطبري ١٣/١٠٩، وابن مردويه كما في الدر ٨٦/٤.

٨. قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد : ذكر أم أنثى ، أم واحد أم اثنين أم أكثر»^(٢) . وقال غيره^(٣) : الله يعلم ما في بطن كل حامل ، من علقه أو مضغة أو ناقص أو زائد ، على اختلافه في جميع أحواله .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ الغيض النقصان لازماً وواقعاً ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿وَغِيضُ أَلْمَاءُ﴾ [هود : ٤٤] ، وضده الازدياد ، وهو أيضاً لازم وواقع ، وهما واقعان في الآية ، ومفعولهما محذوف ؛ لأنها من صلة (ما) والراجع إلى الموصول يحذف كثيراً . واختلفوا في الذي تغيضه الأرحام وتزداده ؛ فقال مجاهد^(٤) : «هو خروج الدم واستمساكه ، فإذا خرج الدم خسر الولد ، وإذا استمسك الدم تم الولد» ، وهذا يدل على أن [الحامل]^(٥) تحيض ، فعلى هذا ، الغيض ما تنقصه الأرحام من الدم ، والزيادة ما تزداده منه ، وقال عكرمة^(٦) : «مارأت من دم على حملها زاد ذلك في حلمها» ، ونحو هذا رواه عطاء عن ابن عباس^(٧) ، فقال : «وما تغيض الأرحام ، يريد : من الدم عند الحمل» ، كما ذكرنا من قول مجاهد ، والزيادة أن يزيد على تسعة أشهر .

-
- (١) زاد المسير ٣٠٨/٤ ، والقرطبي ٢٨٥/٩ ، والبغوي ٢٩٧/٣ ، والرازي ١٣/١٩ .
 (٢) كذا في النسخ والوسيط والمطبوع ٧/٣ ، وفي الوسيط النسخة المحققة ٢٦٥ : «يريد ذكراً أم أنثى واحداً أم اثنين أم أكثر ، وهو الصواب ، والله أعلم» .
 (٣) زاد المسير ٣٠٨/٤ .
 (٤) الطبري ١٣/١٠٩-١١١ ، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٤٦ .
 (٥) في (أ) و(ج) : (الجامع مل) .
 (٦) الطبري ١٣/١١١ .
 (٧) الطبري ١٣/١٠٩ ، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٢٦ .

قال المفسرون^(١) وأهل العلم : إذا حاضت المرأة على الحبل كان نقصاناً في غذاء الولد ، وزيادة في مدة الحمل ، حتى إن لها بكل يوم حاضته على حملها يوماً تزداده في طهرها ، حتى تستكمل تسعة أشهر طاهراً ، فإن رأت الدم خمسة أيام وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقال أكثر المفسرين : الغيض والزيادة يعودان إلى مدة الحمل ، وتلخيصه : ويعلم الوقت الذي تغيضه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر ، وما تزداد على ذلك ، قاله ابن الأنباري ، وهو معنى قول أكثر المفسرين .

قال ابن عباس^(٢) في رواية الضحاك : «وما ينقص من التسعة الأشهر وما يزداد على ذلك» ، وهو قول عطية^(٣) ، والحسن^(٤) ، والضحاك^(٥) ، قال : «الغيض النقصان من الأجل ، والزيادة ما تزداد على الأجل ، وذلك أن النساء لا يلدن لعدة واحدة» ، ونحو هذا القول روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ قال ابن عباس^(٧) : «يريد علم كل شيء فقدرة تقديراً مما يكون قبل أن يكون ، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة» .

(١) الثعلبي ١٢٣/٧ .

(٢) زاد المسير ٣٠٨/٤ ، والقرطبي ٢٨٦/٩ ، وابن أبي حاتم ٢٢٢٦-٢٢٢٧ ، عن الضحاك .

(٣) الطبري ١١٢/١٣ .

(٤) الطبري ١١١/١٣ ، وزاد المسير ٣٠٨/٤ ، وتفسير القرآن العزيز ٢/٢٩٥ .

(٥) الطبري ١١١/١٣ ، ١١٢ ، وزاد المسير ٣٠٨/٤ .

(٦) تنوير المقياس ١٥٦ ، وانظر : الطبري ١٠٩/١٣ ، وابن أبي حاتم ٢٢٢٦/٧ .

(٧) زاد المسير ٣٠٨/٤ .

وأما معنى المقدار في اللغة^(١) قال الليث : «المقدار القدر» ، وأنشد^(٢) :

لَوْ كَانَ خَلْفَكَ أَوْ أَمَامَكَ هَائِبًا بَشَرًا سِوَاكَ لَهَابَكَ الْمِقْدَارُ

يعني الموت ، وقال : «المقدار أيضاً الهنداز»^(٣) ، وهو ما يقدر به الشيء ، فمن الأول يقال : الأشياء مقادير ، ومن الثاني : يقال : الأشياء بمقادير ، يقال : المطر ينزل بمقدار ، أي بقدر وقدر ، والمقدار بالمعنيين يجوز في الآية ؛ لأن كل شيء بقضاء عند الله وقدر ، وكل شيء أيضاً عنده معلوم مقدر بمقدار لا يعلمه غيره .

٩ . قوله تعالى : ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ قال ابن عباس^(٤) : «يريد علم ما غاب عن جميع خلقه ، وما شهد مما علموا الكثير» ، فعلى هذا الغيب مصدر يريد به الغائب ، ومثله الشهادة يريد به الشاهد ، ومعنى قوله : مما علموا الكثير ؛ لأن الكثير من الشاهد يعلمه الخلق .

وقوله تعالى : ﴿ الْكَبِيرُ ﴾ هو بمعنى العظيم والجليل ، ومعناه يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو ، وهو أكبر من كل كبير ؛ لأن كل كبير يصغر بالإضافة إليه .

(١) تهذيب اللغة (قدر) ٣/ ٢٨٩٧ ، واللسان (قدر) ٦/ ٣٥٤٨ .

(٢) البيت بلا نسبة في اللسان (قدر) ٦/ ٣٥٤٨ ، وتاج العروس (قدر) ٧/ ٣٧٥ .

(٣) الهنداز معرب ، وأصله بالفارسية أندازاه ، يقال : أعطاه بلا حساب ولا هنداز ، ومنه : المهندز : الذي يقدر مجاري القني والأبنية ، إلا أنهم صيروا الزاي سيناً ؛ لأنه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال . اللسان (هندز) ٨/ ٤٧١٠ .

(٤) القرطبي ٩/ ٢٨٩ .

وقوله تعالى : ﴿الْمُتَعَالَى﴾ قال الحسن^(١) : «المتعالى عما يقول المشركون» .

قال الأزهري^(٢) : «المتعالى : الذى جلَّ عن إلحاد الملحدِين» ، وأثبت^(٣) ابن كثير (ياء) ، المتعالى وقفاً ووصلاً ، وهو القياس ، وليس ما فيه الألف واللام من هذا ، كما لا ألف ولا م فيه من هذا النحو ، مثل : قاضٍ وغازٍ .

قال سيبويه^(٤) : «إذا لم يكن في موضع تنوين ، فإن البيان أجود في الوقف ، نحو قولك : هذا القاضي ؛ لأنها ثابتة في الوصل» ، يريد أن اللام^(٥) مع الألف واللام تثبت ولا تحذف ، كما تحذف إذا لم يكن فيه الألف واللام ، نحو : هذا قاضٍ ، والياء مع غير الألف واللام تحذف في الوصل ، فإذا حذفت في الوصل كان القياس أن تحذف في الوقف ، وهي اللغة التي هي أشيع وأفشى ، وأما إذا دخلت الألف واللام ، فلا تحذف اللام في اللغة التي هي أكثر عند سيبويه ، فأما من حذف في الوصل والوقف ، فإن سيبويه زعم أن من العرب من يحذف هذا في الوقف ، يشبهه بما ليس فيه ألف ولا م ، إذ كانت تذهب الياء في الوصل في التنوين ، لو لم يكن فيه ألف ولا م ، وهذا في الوقف ، وأما في الوصل فكان القياس أن لا تحذف ؛ لأنه يوجب^(٦) حذف شيء ، غير أن الفواصل تشبه القوافي .

(١) زاد المسير ٣٠٩/٤ ، والقرطبي ٢٨٩/٩ ، وتفسير الحسن ٥١/٢ .

(٢) تهذيب اللغة (على) ٣٠٩١/٥ .

(٣) من هنا نقل عن الحجة ١٣/٥ ، ١٤ بتصرف إلى نهاية النص .

(٤) الكتاب ٢/٢٨٨ ، باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات .

(٥) كذا في النسخ جميعها ، ولعلها الياء كما في الحجة ١٣/٥ ، وإن قصد لام الكلمة صح المعنى .

(٦) كذا في النسخ ولا يستقيم المعنى إلا أن تقدر (لم) فيكون السياق ؛ لأنه لم يوجب حذفه شيء . كما هو معنى ما في الحجة ١٤/٥ .

١٠. قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ الآية ، قال الفراء^(١) والزجاج^(٢) : «من رفع (سواء) وكذلك الثانية وسواء يطلب اثنين تقول : سواء زيد وعمرو ، أي ذوي عدل ، ويجوز أن يكون سواء بمعنى مستوٍ ، فلا يحتاج إلى تقدير الحذف ، إلا أن سيبويه يستقبح أن يقول : مستوٍ زيد وعمرو ؛ لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبدأ بها . ذكر هذين الوجهين في (سواء) أبو إسحاق^(٣) وأبو بكر^(٤) ، إلا أن أبا بكر يقول : «جعل (سواء) بمنزلة مستوٍ أقوى وأصوب ؛ لأنه خال من الإضمار ، ومعاملة الظاهر مع السلامة من المضمرات - إذا لم يلحق المعنى نقص - أولى» .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِيلَالٍ﴾ يقال^(٥) : أخفيت الشيء أخفيه إخفاءً ، فخفي واستخفي ، ويقال أيضاً : اختفى ، وهي قليلة ، واستخفى فلان من فلان ، أي توارى واستتر منه .

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ قال الفراء^(٦) ، وأبو إسحاق^(٧) : «ظاهر بالنهار في سربه ؛ أي طريقه ، يقال : خلَّ له سربه ؛ أي طريقه» ، الأزهرى^(٨) :

-
- (١) معاني القرآن ٥٩ / ٢ .
 (٢) معاني القرآن وإعرابه ١٤١ / ٣ ، والسياق كذا في النسخ جميعها وفيه سقط ، وهو عند الزجاج - لأن العبارة عبارته - كالآتي : «موضع (من) رفعٌ بسواء ، وكذلك (من) الثانية يرتفعان جميعاً بسواء ؛ لأن سواء يطلب اثنين» .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ١٤١ / ٣ .
 (٤) زاد المسير ٣٠٩ / ٤ .
 (٥) تهذيب اللغة (خفي) ١ / ١٠٧٠ .
 (٦) معاني القرآن ٦٠ / ٢ .
 (٧) معاني القرآن وإعرابه ١٤١ / ٣ .
 (٨) تهذيب اللغة (سرب) ١٦٦٢ / ٢ .

«والعرب تقول : سربت الإبل تَسْرُب ، وسرب الفحل سروباً ؛ أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت» ، ومنه قوله ^(١) :

وَكُلُّ أَنَاسٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ جَعَلْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ

قال أبو إسحاق ^(٢) : «معنى الآية : الجاهر بنطقه والمضمر في نفسه ، والظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات ، عِلْمُ الله فيهم سواء» ، ونحو هذا قال الفراء ^(٣) .

وقال أبو العباس ^(٤) : «المستخفي المستتر ، والسارب الظاهر ، المعنى : الظاهر والخفي عنده واحد» .

قال ابن عباس : «يريد علم ما نطقت به الألسنة وما أضمر الفؤاد ، ومن هو مستخف بالليل وظاهر بالنهار» ، ونحو هذا قال قتادة ^(٥) : «سارب ظاهر» .

وقال مجاهد ^(٦) : «مستخف بالليل يعمل السوءات ، وسارب بالنهار ويظهرها» ، وهذا التفسير يحتاج معه إلى إضمار ، كأنه مستخف بالليل بالمعاصي

(١) هكذا البيت في النسخ جميعها ، وهو كذلك عند القرطبي ٢٩٠ / ٩ ، وفي التهذيب ١٦٦٢ / ٢ : «ونحن خلعتنا قيده . .» ، وقد نسب الأزهري للأخنس بن شهاب التعلي ، وهو كذلك في اللسان (سرب) ٤ / ١٩٨٠ ، وشعراء النصرانية ١٨٧ ، وتاج العروس (سرب) ٧٣ / ٢ ، وجهرة اللغة ٣٠٩ ، والتنبيه والإيضاح ٩٤ / ١ ، وبلا نسبة في اللسان (خلع) ١٢٣٢ / ٢ ، وكتاب العين ١١٨ / ١ ، وتاج العروس (خلع) ١٠٣ / ١١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٤٢ / ٣ .

(٣) معاني القرآن ٦٠ / ٢ .

(٤) تهذيب اللغة (خفي) ١٠٧٠ / ١ ، واللسان (سرب) ١٩٨٠ / ٤ .

(٥) الطبري ١١٤ / ٣٦ .

(٦) القرطبي ٢٩٠ / ٩ .

وظاهر بالنهار بها ، هذا الذي ذكرنا في هذه الآية ، هو قول أكثر أهل اللغة والتفسير^(١) .

وقال الأخفش^(٢) : « المستخفي الظاهر ، والسارب المتواري » ، ومن هذا يقال : خفيت الشيء وأخفيته ؛ أي أظهرته ، ومنه قول امرئ القيس^(٣) :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ

أي أظهرهن ، واختفيت^(٤) الشيء استخرجته ، ويسمى التباس المخفي ، والسارب المتواري الداخل سراباً ، وانسراب الوحش إذا دخل في كناسه ، وهذا الوجه مذهب قطرب^(٥) أيضاً ، وهو صحيح في اللغة غير أن الأول هو الاختيار ؛ لما شهد به^(٦) الآثار .

(١) الطبري ١٣/١١٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/٢٩٦ ، وبحر العلوم ٢/١٨٦ ، وابن كثير ٢/٥٥٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٤٧٦ ، والبحر ٥/٣٧٠ ، وفتح البيان ٧/٢٥-٢٦ ، والدر المصون ٤/٢٣١ .

(٢) معاني القرآن ٢/٥٩٥ ، وزاد المسير ٤/٣١٠ ، وتهذيب اللغة (خفي) ١/١٠٧٠ ، واللسان (سرب) ٤/١٩٨٠ .

(٣) جزء من صدر بيت لامرئ القيس ، والبيت بتمامه :
خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّا خَفَاهُنَّ وَدُقُّ مِنْ سَحَابٍ مُرَكَّبٍ
ديوانه ٥١ ، وفيه : « كأننا خفاهن ودق من عشي مجلب » ، والمحتسب ٢/٤٨ ، ومجاز القرآن ٢/١٧ ، والمخصص ١٠/٤٦ ، والقرطبي ٩/٢٩٠ ، وتهذيب اللغة (خفي) ١/١٠٧٠ ، واللسان ٢/١٢١٦ .
وقوله : (خفاهن) ؛ أي أظهرهن . والأنفاق : أسراب تحت الأرض . والودق : المطر ، وخص مطر العشي ؛ لأنه أغزر . والمجلب : الذي يسمع له جلبة لشدة وقعه .

(٤) في (ب) : (واخفيت) .

(٥) زاد المسير ٤/٣١٠ ، واللسان (سرب) ٤/١٩٨٢ .

(٦) في (أ) ، (ج) : (شهدته) .

قال أبو بكر^(١) : «الأوّل أثبت معنى في الآية ؛ لأن الليل يدل على الاستتار^(٢) ، والظهور يشاكل النهار لانتشار الناس فيه وبروزهم» .

١١ . قوله تعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ﴾ الآية ، المعقبات : المتناوبات التي يخلف كل واحد منها صاحبه ، ويكون بدلاً منه ، وهم الملائكة الحفظة هاهنا ، في قول عامة المفسرين وأهل التأويل^(٣) .

قال الفراء^(٤) : «المعقبات ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار» .

قال الأزهري^(٥) : «جعل الفراء عقب بمعنى عاقب ، كما يقال : ضَعَف وضاعف ، وعَقَّد وعاقَد» .

وقال أبو الهيثم^(٦) : «كل من عمل عملاً ثم عاد إليه وعقب»^(٧) ، ومنه قيل للذي يغزو غزواً بعد غزو ، وللذي يتقاضى الدين فيعود إلى غريمه في تقاضيه ، مُعَقَّب .

وقال شمر^(٨) : «المعقب من كل شيء ما خَلَفَ يُعَقَّب ما قبله ، والمعقبات الكائنات بعضها بعد ذهاب بعض» .

(١) الأضداد ٧٦ .

(٢) في (أ) و(ج) : (نتشار) .

(٣) الطبري ١٣/١١٤ ، ١١٥ ، والقرطبي ٩/٢٩١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/٢٩٦ ، والبحر ٥/٣٧١ ، وبحر العلوم ٢/١٨٧ ، وفتح البيان ٧/٢٦ ، ٢٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٤٧٧ ، وابن كثير ٢/٥٥٢ ، والدر المصون ٢/٦٠ .

(٤) معاني القرآن ٢/٦٠ .

(٥) تهذيب اللغة (عقب) ٣/٢٥٠٥ .

(٦) [المرجع السابق] .

(٧) في التهذيب : «فقد عقب» .

(٨) تهذيب اللغة (عقب) ٣/٢٥٠٥ .

وقال الزَّجَّاج^(١): «المعقبات ملائكة يأتي بعضهم بعقب بعض»، قال الفرَّاء^(٢): «والمعقبات ذكران جمع ملائكة معقبة ومعقبات، كما قيل: أنباوات سعد ورجالات بكر، جمع رجال، والذي يدل على التذكير قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾»، وقال الأخفش^(٣): «إنما أنث لكثرة ذلك منها نحو: نسابة وعلامة، وهو ذكر».

قال ابن عباس^(٤)، وسعيد بن جبير^(٥)، والحسن^(٦)، ومجاهد^(٧)، وقتادة^(٨) وغيرهم: «المعقبات الملائكة الحفظة»، ويدل على صحة هذا قوله ﷺ: «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر» الحديث^(٩)، وعلى هذا فسر قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، قيل تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار، والكناية في قوله (له) تعود على (من) في (من أسر) وهو واقع على العموم، وقيل: على اسم الله تعالى في عالم الغيب والشهادة، والمعنى: لله ملائكة حفظة تتعاقب في النزول إلى الأرض من بين يدي الإنسان ومن خلفه.

-
- (١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٢/٣.
 - (٢) معاني القرآن ٦٠/٢.
 - (٣) معاني القرآن ٥٩٦/٢، وتهذيب اللغة (عقب) ٢٥٠٥/٣.
 - (٤) الطبري ١١٥/١٣، وزاد المسير ٣١٠/٤، والقرطبي ٢٩٣/٩، وابن أبي حاتم ٢٢٣٠/٧، وهو قول عطاء كما في تفسيره ١١٢.
 - (٥) الطبري ١١٧/١٣.
 - (٦) الطبري ١١٥/١٣، وزاد المسير ٣١٠/٤، والقرطبي ٢٩٣/٩.
 - (٧) الطبري ١١٥/١٣، وزاد المسير ٣١٠/٤، والقرطبي ٢٩٣/٩.
 - (٨) الطبري ١١٦/١٣، والثعلبي ١٢٤/٧، وزاد المسير ٣١٠/٤، والقرطبي ٢٩٣/٩.
 - (٩) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٥٥٥) في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وأخرجه (٣٢٢٣) في كتاب بدء الخلف، باب ذكر الملائكة، و(٧٤٢٩) في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ و(٧٤٨٦) في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة، وأخرجه مسلم (٦٣٢) في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الصبح والعصر، وأحمد من حديث أبي هريرة ٥٧/٢٠ (١٠٣١٤) تحقيق شاكر، وصحح إسناده أحمد شاكر.

وقوله تعالى : ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ذكر الفراء^(١) في هذا قولين :

أحدهما : أنه على التقديم والتأخير ، تقديره : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وعلى هذا لا يعلق ليحفظونه بمن ، وهو معنى قول ابن عباس^(٢) في رواية سعيد في هذه الآية ، قال : «هم الملائكة ، وهم من أمر الله» .

والثاني : أن هذا على إضمار ؛ أي ذلك الحفظ من أمر الله ، أي مما أمر الله به ، قال ابن الأنباري : «فحذف الاسم وأبقى خبره ، كما كتب على الكيس ألفان ، يراد الذي في الكيس ألفان» ، ونحو هذا قال الزجاج^(٣) ؛ لأنه قال : «المعنى : حفظهم إياه من أمر الله» .

قال أبو بكر^(٤) : «وفي هذا قول آخر وهو أن مؤداه على معنى الباء ، إذ الصفات يقوم بعضها مقام بعض ، كما تقول : أجبتك من دعائك إياي ؛ أي بدعائك ، والتأويل يحفظونه بأمر الله» ، وقد صحت هذه الأقوال ، وذكرنا ما يشاكلها من قول المفسرين ، وأما كيفية حفظهم إياه ، فقال ابن عباس في رواية عكرمة^(٥) : «يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه» .

وروى ليث عن مجاهد^(٦) قال : «ما من عبد إلا به ملك موكل بحفظه من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شيء يأتيه يريد إلا قال : وراءك ، إلا شيئاً يأذن الله - عز وجل - فيه فيصيبه» .

(١) معاني القرآن ٢/ ٦٠ .

(٢) الطبري ١٣/ ١١٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٢ .

(٤) الوقف والابتداء ٢/ ٧٣٣ ، والرازي ١٩/ ١٧ .

(٥) الطبري ١٣/ ١١٥ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٢ ، والفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر ٤/ ٨٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٧ .

(٦) الطبري ١٣/ ١١٦ ، وذكره في الدر ٤/ ٩١ ، والثعلبي ٧/ ١٢٥ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٢ .

وقال كعب^(١) : «لولا أن الله - عز وجل - وكل بكم ملائكة يذَّبُون عنكم لتخطفتكم الجن» ، فعلى هذا يحفظونه من شر الجن والهوام وما لم يُقدَّر عليه .

وقال ابن جريج^(٢) : «معنى (يحفظونه) يحفظون عليه ، أي يحفظون عليه الحسنات^(٣) والسيئات» .

قال أبو عبيد^(٤) : «يعني : يحفظون عليه قوله وفعله»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي لا يسلب قوماً نعمة حتى يعملوا بمعاصيه ، قال ابن عباس^(٦) : «يريد العذر في ما بينه وبين خلقه ، ويعني بهذا أهل مكة ، كما قال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم : ٢٨]» .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ قال ابن عباس^(٧) : «يريد عذاباً» ، ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ، قال الضحاك عن ابن عباس^(٨) : «لم تغن المعقبات شيئاً» ، وقال

(١) المراجع السابقة ، والقرطبي ٢٩٢ / ٩ .

(٢) الطبري ٣٧٨ / ١٦ ، والثعلبي ١٢٥ / ٧ ، وزاد المسير ٣١٢ / ٤ ، والقرطبي ٢٩٢ / ٩ .

(٣) في (أ) و(ج) : (الحساب) .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤٧٩ / ٣ .

(٥) قلت : رجح ابن جرير - رحمه الله - قولاً في هذه الآية غير ما ذكره الواحدي ، فقال : «(له معقبات) الهاء من ذكر (من) التي في قوله : ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِأَلِيلٍ﴾ وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلاوزته ؛ لأنها أقرب مذكور من قوله : ﴿عَلَيْهِمْ أَلَيْلٍ﴾ ، ويدل على ذلك أيضاً قوله بعد : ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ على أنهم المعنيون بذلك ، وذلك أن الله ذكر قوماً أهل معصية له ، وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله - تعالى ذكره - إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفظهم» اهـ . الطبري ١١٧ / ١٣ .

(٦) أخرجه أبو الشيخ عنه كما في الدر ٩٢ / ٤ .

(٧) زاد المسير ٣١٢ / ٤ ، والقرطبي ٢٩٤ / ٩ ، وتنوير المقياس ١٥٦ .

(٨) ابن أبي حاتم ٢٢٣٣ / ٧ .

عطاء عنه^(١): «لا رادّ لعذابي ولا ناقض لحكمي»، ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَّالٍ﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم .

١٢ . قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال ابن عباس^(٢): «يريد خوفاً من الصواعق وطمعاً في المطر» ، وهذا قول الحسن^(٣) .

وقال قتادة^(٤): «خوفاً للمسافر [وطمعاً للمقيم]» ، وهذا قول أكثر أهل التأويل .

قال أبو إسحاق^(٥) وأبو بكر: «الخوف للمسافر»^(٦) لما تأذى به من المطر ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّنْ مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢] ، والطمع: للحاضر المقيم ؛ لأنه إذا رأى البرق طمع في المطر الذي هو سبب الخصب .

وقوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ﴾ الإنشاء في المعنى كالاختراع وقد مر ذكره في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ [الأنعام: ١٤١]^(٧) ، قال ابن عباس^(٨): «يقول كوني فتكون» ، والسحاب الثقال: قال: «يريد تحمل المطر» ، وقال مجاهد^(٩): «ثقال بالماء» .

(١) انظر: فتح البيان ٢٩/٧ .

(٢) زاد المسير ٣١٣/٤ .

(٣) زاد المسير ٣١٣/٤ ، والقرطبي ٢٩٥/٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢٩٨/٢ .

(٤) الطبري ١٢٣/١٣ ، وعبدالرزاق ٣٣/٢ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٩٤/٤ ، وابن كثير ٣٦٢/٤ ، وهو مروي عن ابن عباس زاد المسير ٣١٣/٤ ، وتنوير المقباس ١٥٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٤٢/٣ .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) و(ج) .

(٧) وقال هناك ما ملخصه: «أنشأ: أبدع ، يقال: نشأ الشيء ينشأ نشأ ونشأة ونشأة: إذا ظهر وارتفع» .

(٨) انظر: الثعلبي ١٢٧/٧ ، وزاد المسير ٣١٣/٤ .

(٩) الطبري ١٢٤/١٣ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٩٥/٤ ، والقرطبي ٢٩٥/٩ .

١٣ . وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ الآية ، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود سألت رسول الله ﷺ فقالوا : أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ فقال : « الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب ، معه مخاريق يسوق بها السحاب حيث يشاء الله » ، قالوا : فما الصوت الذي يسمع ؟ قال : « زجره [بالسحاب إذا زجره] ^(١) حتى ينتهي إلى حيث أمر » ، قالوا : صدقت ^(٢) .

وروى الضحاك عن ابن عباس ^(٣) : « الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد ، وهو الذي تسمعون صوته » ، وهذا قول مجاهد ^(٤) ، وعطية ^(٥) ، وطاوس ^(٦) ، وعكرمة ^(٧) ، روى الحكم عن مجاهد قال : « الرعد صوت ملك يسبح » ، وقال عكرمة : « الرعد ملك يسوق السحاب كالحادي » .

وقال عطية : « الرعد ملك وهذا تسبيحه » ، فعلى ما ذكرنا من هذه الأقوال ، الرعد اسم للملك الموكل بالسحاب ، وصوته تسبيح لله تعالى .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٧) في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الرعد وقال : حديث حسن غريب ، والنسائي (٩٧٠٥) ، (٩٧٠٦) في الكبرى عشرة النساء ، باب صفة ماء الرجل وصفة ماء المرأة ، وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي ٣/٦٥ ، وانظر : السلسلة الصحيحة : (١٨٧٢) .

(٣) أخرجه ابن جرير وابن مردويه كما في الدر ٤/٩٦ .

(٤) أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٩٦ .

(٥) الثعلبي ٧/١٢٨ أ .

(٦) الطبري ١٣/١٢٤ .

(٧) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقي في سننه كما في الدر ٤/٩٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٤٨٢ .

ويسمى الرعد أيضاً ، يدل على هذا ما روي أن ابن عباس كان إذا سمع الرعد قال : سبحان الذي سبحت له ^(١) ، فجائز أن يكون ما يسمعه صوته يزجر به السحاب ، وله تسبيح لا نسمعه يسبح الله به ، فأخبرنا الله عن ذلك ، وخص هذا الملك بالإخبار عن تسبيحه لعلو صوته في أسماعنا ، وعظم ^(٢) شأنه من قلوبنا ، وهذا معنى قول الرّجّاج ^(٣) ، وابن الأنباري ^(٤) .

وذهب قوم إلى أن الرعد هو صوت السحاب ، وأنه يسبح الله بعقل يجعله الله له ، روى حميد بن عبد الرحمن عن شيخ أدرك النبي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله ينشئ السحاب ، فينطق أحسن المنطق ، ويضحك أحسن الضحك» ^(٥) فذكر أن منطقه الرعد وأن ضحكه البرق ، والعرب قد استعملت الرعد بمعنى صوت السحاب ، روى الأثرم عن أبي عبيدة ^(٦) قال : «العرب تقول : جَوْنٌ خَزِيمٌ رَعْدُهُ أَجَشُّ» ، قال أبو عبيدة : «ففي هذا دليل على أن الرعد صوت السحاب ، والجون هو السحاب الأسود ، والأجش الذي فيه جُشَّة أي بُحَّة» .

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٢٤ ، وأخرج أيضاً عن علي ، وطاوس نحوه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٣/ ٣ .

(٢) في (أ) و(ج) : (وعظيم بالياء) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٣ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣١٤ .

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٥ ، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر ، وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٧٥ ، عن أبي ذر الغفاري كما في الدر ٤/ ٩٥ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير : (١٩٢٠) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٦٥) .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٢٥ .

وأنشد أحمد بن يحيى [رحمه الله] ^(١) :

فِيَا رَبُّوَةَ الرَّبْعَيْنِ حَيَّيتِ رَبُّوَةَ

عَلَى النَّأْيِ مِنَّا وَاسْتَهَلَّ بِكَ الرَّعْدُ

يريد صَوَّت بك الرعد ، تصويتاً ^(٢) عالياً رفيعاً ، ويدل على صحة هذه الطريقة قوله : ﴿وَأَلْمَلَيْتُكَ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ فلو كان الرعد ملكاً لدخل في جملة الملائكة ، ولم يفصل منهم ، ومن قال بالقول الأول قال : إن الله تعالى أتى بالكل بعد البعض ، كما قال : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر : ٨٧] ، فعم بعد أن خَصَّ . ومن المفسرين ^(٣) من يقول : عنى هؤلاء الملائكة أعوان الرعد ، جعل الله له أعواناً ، ومعنى : ﴿وَأَلْمَلَيْتُكَ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ ويسبح الملائكة من خيفة الله وخشيته . قال ابن عباس ^(٤) : «إنهم خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم ، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره ، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء» .

وقوله تعالى : ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ ، ذكرنا معنى الصواعق في [البقرة : ١٩] .

قال المفسرون ^(٥) : نزلت هذه الآية في أربد وعامر بن الطفيل ، أتيا النبي ﷺ يخاصمانه ، ويريدان الفتك به ، فقال النبي ﷺ : «اللهم اكفينهما بما شئت» ،

(١) ليس في (ب) : [رحمه الله] . والبيت نسبه أحمد بن يحيى ليزيد بن الطثرية .

انظر : شعره ٦٦ ، والزاهر ١ / ٤٤٨ .

(٢) في نسخة (ج) : (تصويت) (أ) .

(٣) الثعلبي ٧ / ١٢٨ ب .

(٤) زاد المسير ٤ / ٣١٤ ، والقرطبي ٩ / ٢٩٥ .

(٥) الطبري ١٣ / ١٢٦ ، والثعلبي ٧ / ١٢٥ ب ، وزاد المسير ٤ / ٣١٤ ، والقرطبي ٩ / ٢٩٦ ، وابن كثير ٢ / ٥٥٥ .

فأرسل الله صاعقة على أربد في يوم صائف صاح ، فأحرقتة ، وولى عامر هارباً^(١) ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَءَقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ كما أصاب أربد .

قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ قال أبو إسحاق^(٢) : «جائز أن يكون الواو واو حال ، فيكون المعنى : فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله ، [وذلك أن أربد جادل النبي ﷺ فقال : أخبرني عن ربنا أمن نحاس أم حديد ؟]^(٣) ، فأحرقتة الصاعقة»^(٤) ، فعلى هذا قال أبو بكر : «جمع فعله ؛ لأنه كان مع عامر

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/٣٧٩ (١٠٦٠) ، وأبو نعيم في الدلائل ١/٦٦ من طريق عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤١ ، وقال فيه عبدالعزيز بن عمران .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) بالنسبة إلى رواية عامر وأربد أخرجه الطبري ١٣/١٢٦ عن ابن جريج قال : «نزلت -يعني قوله : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَءَقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ - في أربد ، أخي لبيد بن ربيعة ؛ لأنه قدم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي ﷺ ، فقال عامر : يا محمد ، أسلم وأكون الخليفة من بعدك ؟ قال : لا . قال : فأكون على اهل الوبر وأنت على اهل المدر ؟ قال : لا . قال : فما ذاك ؟ قال : أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها ، فإنك رجل فارس . قال لأربد : إما أن تكفيني وأضربه بالسيف ، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف ، قال أربد : أكفيني وأضربه ، فقال ابن الطفيل : يا محمد إني لي إليك حاجة ، قال : ادن ، فلم يزل يدنو ، ويقول النبي ﷺ : ادن ، حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه ، واستل أربد السيف ، فاستل منه قليلاً ، فلما رأى النبي ﷺ بريقه تعود بآية كان يتعوذ بها ، فيست يد أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقتة» .

وأخرجه الطبري ١٣/١١٩ ، ١٢٠ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/٩٢-٩٣ ، عن ابن زيد بنحوه ، وذكر الهيثمي ٧/٤١ ، عن ابن عباس نحوه ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفي إسنادهما عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف .

وأما الرواية الأخرى والتي فيها ما ذكره الواحدي هنا فقد وردت بألفاظ مختلفة ومنها : ما أخرجه النسائي والبخاري وأبو يعلى والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ : بعث رجلاً من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله ، فقال المشرك : هذا الإله الذي تدعوني إليه ، أمن ذهب هو أم من فضة ، أم من نحاس ؟ فتعاطم مقالته ، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره ، فقال : «ارجع إليه» ، فرجع إليه فأعاد عليه القول الأول ، فرجع فأعاده الثالثة ، فبينما هما يتراجعان الكلام =

جادلا رسول الله ﷺ فهم جماعة ، وإن صرفت الجدال إلى أربد وعامر جاز ؛ لأن العرب قد توقع الجمع على الواحد وعلى التثنية ، ومضت لذلك نظائر .

قال أبو إسحاق^(١) : « وجائز أن يكون الواو استثنافاً ، كأنه لما تمم أو صاف ما يدل على قدرته ، قال بعد ذلك : ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ » ، قال ابن عباس^(٢) : « يريد يكذبون بعظمة الله » .

بينهما ، إذ بعث الله سبحانه حيال رأسه فرعدت وأبرقت ، ووقع منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَرُسُلُ الصَّوَاعِقِ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ . الطبري ١٣ / ١٢٦ ، والدر المنثور ٤ / ٩٩ ، ومجمع الزوائد ٧ / ٤٢ ، وقال الهيثمي : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه » ، ورواه الطبراني في الأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة ، وفي رجال ابن أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف .

وقد علق عليه أحمد شاكر بتوثيق رجاله إلا علي بن أبي سارة الشيباني ، ويقال له : علي بن محمد بن سارة ، شيخ ضعيف الحديث ، قال البخاري : « ففي حديثه نظر » ، وقال أبو داود : « ترك الناس حديثه » ، وقال ابن حبان : « غلب على روايته المناكير فاستحق الترك » ، وقال العقيلي : « علي ابن أبي سارة عن ثابت البناني ، لا يتابع عليه » ، ثم روى له عن ثابت ، عن أنس قوله تعالى : ﴿ وَرُسُلُ الصَّوَاعِقِ ﴾ ثم قال : « ولا يتابعه عليه إلا من هو مثله أو قريب منه » .

قال أحمد شاكر : « فهذا إسناد ضعيف جداً » اهـ . حاشية الطبري ١٦ / ٣٩٢ - ٣٩٣ ، وقد وردت أحاديث أخرى قريبة من هذا في الطبري ١٣ / ١٢٥ ، ١٢٦ ، والدر المنثور ٤ / ٩٩ . فالذي يظهر لي أن الواحدي جمع بين الحديثين والله أعلم . وقد تابعه على ذلك نقلاً عنه الرازي ١٩ / ٢٦ ، ٢٧ .

وانظر : زاد المسير ٤ / ٣١٤ ، ٣١٥ ، والبغوي ٤ / ٣٠٤ ، والكشاف ٢ / ٣٥٣ .

(١) معاني القرآن وإعراجه ٣ / ١٤٣ .

(٢) زاد المسير ٤ / ٣١٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ قال أبو عبيدة^(١) : «المحال عند العرب المكر والعقوبة والنكال» ، وأنشد للأعشى^(٢) :

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرِ النَّدَى عَظِيمِ الْمِحَالِ
وأما الكلام في اشتقاق هذا الحرف ، فذهب قوم إلى أنه من الحول بمعنى الحيلة ، [ومن هذا يقال المحالة بمعنى الحيلة .

قال ابن قتيبة^(٣) في قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ «أي شديد الكيد والمكر» ، قال : وأصل المحال : الحيلة^(٤) وروى هذا المعنى عن قتادة^(٥) ، قال : «شديد الحيلة والقوة» .

وروى ابن جريج عن ابن عباس^(٦) قال : «المحال الحول» ، وعلى هذا القول ، إنما جاز وصف الله بالاحتيال ؛ لأن الله تعالى معجل لعذوه في الدنيا ما يجب ، ويغيب عنه ما أعد له في الآخرة من العذاب ، فشاكلت مما حلة الله مما حلة المخلوق ، من جهة أن الماحل من المخلوق يضممر لصاحبه من الشر غير الذي

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٢٥ .

(٢) قلت : في مجاز القرآن ١/ ٣٢٥ «شديد المحال» بدل «عظيم» قال الطبري ١٣/ ١٢٧ : «هكذا كان ينشده معمر بن المثنى في ما حدث به عن علي بن المغيرة عنه ، وأما الرواة بعد فإنهم يشدون :
فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ كَثِيرِ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ
والبيت في ديوانه ٧ ، ٩ ، والسمط ٩٠٧ ، والقرطبي ٩/ ٢٩٩ ، واللسان (محل) ٧/ ٤١٤٨ ، والزاهر ١/ ١٠٢ ، والعين ٣/ ٢٤١ ، والبحر ٥/ ٣٥٨ ، والمحزر ٨/ ١٤٨ ، والدر المصون ٧/ ٣٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٨٥ .

(٣) مشكل القرآن وغريبه ٢٣١ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٥) الطبري ١٣/ ١٢٧ ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٣٣ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٠ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٢٧ .

يظهر ، فمن هذه الجهة سميت باسمها ، وإن كانت مخالفتها في المعنى ^(١) ، هذا كلام أبي بكر .

وروى عباد بن منصور عن الحسن ^(٢) في قوله : ﴿ شَدِيدُ الْمَحَالِ ﴾ قال : «شديد الحقد» ، قال أبو بكر : «وهذا على ما بينا من أن غضب الله لما استسر ^(٣) عن المغضوب عليه المعد له ، أشبه حقد المخلوق الذي يستر في نفسه ، إلى أن المخلوق ينزعج ويتأذى ^(٤) عند الحقد والغضب ، والله قد علا عن جميع هذا علواً كبيراً» .

قال الأزهري ^(٥) : «قول القتبي ^(٦) : أصل المحال الحيلة ، غلط فاحش ، وأحسبه توهم أن ميم المحال ميم مَفْعَل ، وأنها زائدة ، وليس الأمر كما توهمه ؛ لأن ^(٧) مَفْعَلاً إذا كان من بنات الثلاثة ، فإنه يجيء بإظهار الياء الواو مثل : المَزَوْد ، والمَجُول ، والمَحَوْر ، والمَزِيل ، وما شاكلها ، وإذا رأيت الحروف على مثال فعال ، أوله ميم مكسورة فهي أصلية ، مثل : ميم مهاد وملاك ومراس ، وما أشبهها» .

قال الفراء ^(٨) في كتاب المصادر : «المحال : الماحلة ، يقال في فعلت منه : محلت أمحلَّ محَّلاً ، والمحال المصدر لفعلت فعلاً ، وأما المحالة فهي مفعلة من الحيلة» ، قال الأزهري : «وهذا صحيح كما قاله» ، وقال أبو إسحاق ^(٩) : «يقال : ماحلته

(١) انظر منهجه في : آيات العقيدة ، وقوله : «وإن كانت مخالفتها» كذا في النسخ جميعها ولعلها : مخالفتها .

(٢) زاد المسير ٣١٦/٤ ، وأخرجه أبو الشيخ عن عكرمة كما في الدر ١٠٠/٤ .

(٣) في (ج) : (استتر) .

(٤) في (ب) و(ج) : (وينادي) .

(٥) تهذيب اللغة (حل) ٣٣٥٣/٤ .

(٦) (أ) و(ج) : (القيس) .

(٧) في (أ) و(ج) : (أن) .

(٨) تهذيب اللغة (حل) ٣٣٥٣/٤ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١٤٣/٣ .

محالاً ، إذا قاويته حتى يبين لك أيكما أشد ، والمحَل في اللغة الشَّدة ، وروى
الليثاني عن الكسائي ^(١) : «يقال مَحَلَنِي يا فلان ، أي قوني» .

قال الأزهري : «ويقول : الله شديد المحال منه ؛ أي شديد القوة ، أما ما روي
عن ابن عباس ، المحال : الحول» .

قال أبو عبيد : «ولم يعتد بفتح الميم ولا كسرهما» ، قال : «وهذا التفسير يوجب
فتح الميم ؛ لأن المحالة والمحال هما الحول» ، وأنشد ^(٢) :

مَا لِلرَّجَالِ مَعَ الْقَضَاءِ مَحَالَةٌ ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ

وأما قولهم ^(٣) : تَمَحَّلْتُ مَالاً لَغْرِيْمِي ، فإن بعض الناس ذهب إلى أنه من
إمحالة بمعنى الحيلة ، جعلت الميم في تمحلت كالأصلية مثل : تمكنت من المكان
وأصله من الكون .

قال الأزهري ^(٤) : «وليس التمحلل عندي من هذا ، ولكنه من المحل وهو
السعي ، والمالح الساعي ، كأنه سعى في طلبه ، ويتصرف فيه» .

وقال مجاهد ^(٥) : «المحال القوة» ، وقال نابغة بني شيبان ^(٦) :

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْمِحَالِ

(١) تهذيب اللغة (محل) ٣/٣٣٥٣ .

(٢) نسبه في الزاهر ١/١٠١ لبعض بني أسد .

(٣) تهذيب اللغة (محل) ٤/٣٣٥٣ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الطبري ١٣/١٢٧ .

(٦) ديوانه ٦٤ ، والزاهر ١/١٠٢ .

وقال عبد المطلب بن هاشم^(١) :

لَاهُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعُ حِلَالَكَ

لَا يَغْلِبَنَّ صِلِيُّهُمْ وَمَحَاهُمْ عَدَدًا مِحَالِكَ

قال ابن الأنباري^(٢) : «أراد لا يغلبن مكرهم مكرك» ، وروى الضحاك عن ابن عباس^(٣) في هذه الآية : «شديد المكر» ، فإن قلنا : إن المحال معناه القوة ، فهو ظاهر ، والميم فاء ، وإن قلنا : معناه المكر والحيلة ، كان الميم أيضاً أصلية ، ويكون المماحلة بمعنى المماكرة والاحتتيال .

١٤ . قوله تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ الآية ، أكثر المفسرين على أن المراد بدعوة الحق هاهنا كلمة التوحيد والإخلاص ، روى عكرمة عن ابن عباس^(٤) : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال : «لا إله إلا الله» ، وهذا اختيار الفراء^(٥) ، والزجاج^(٦) .

(١) انظر : سيرة ابن هشام ٥١/١ ، وتاريخ الطبري ١٣٥/٢ ، والزاهر ١٠١/١ ، والمحزر ١٤٨/٨ ، والبحر ٣٥٨/٥ ، والدر المصون ٣٢/٧ ، واللسان (حل) ٤١٤٨/٧ .

(٢) الزاهر ١٠٩/٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ١٠٠/٤ ، وزاد المسير ٣١٦/٤ .

(٤) عبدالرزاق ٣٣٤/٢ ، والطبري ١٢٧/١٣ ، والفريابي ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ ، والبيهقي في الأسماء والصفات كما في الدر ١٠٠/٤ ، والثعلبي ١٢٩/٧ ب ، والقرطبي ٣٠٠/٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٥/٤ .

(٥) في (ب) زيادة هاهنا : [فمن دعاه دعا الحق] .

(٦) معاني القرآن ٦١/٢ .

وهو قول قتادة^(١)، وابن زيد^(٢)، والمعنى على هذا : الله من خلقه الدعوة الحق ، ولكن أضيفت الدعوة إلى الحق لما اختلف اللفظان ، وقد ذكرنا مثل هذا ، ويجوز أن يكون المعنى : دعوة الدين الحق ، وقال الحسن^(٣) : «الله الحق» ، وقال في رواية عطاء والضحاك : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ معناه : هو الذي دعا إلى توحيده والاعتراف بأنه لا شريك له ، وتفسير دعوة الحق^(٤) على هذا القول : له دعاء الحق ؛ لأنه دعاء إلى [عبادته وتوحيده]^(٥) ، وكان ذلك حقاً .

قال أبو إسحاق : «وجائز أن يكون (دعوة الحق) ، أنه من دعا الله موحداً استجيب له دعاه» .

قال أبو بكر : «الدعوة على هذا التفسير يريد بها الدعوات فاكتفي من الجمع بالواحد ، كقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]» ، ومعنى الدعوات : دعوات الداعين إياه ، يلتمسون الإجابة وهم محقون في ذلك لأنهم سألوا من لا يخيب سائله ويقدر على الإجابة ، وإنالة المطلوب ، وهذا هو الوجه ؛ وهو الأليق بما بعده من سياق الآية ؛ لأنه ذكر أن الأصنام لا يستجيبون للداعين ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ، يدعونها المشركون من دون الله ، في قول جميع المفسرين^(٦) ، وعبر عنها كما يعبر عن المذكورين من العقلاء ؛ لأنهم وصفوا

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٣/٣ .

(٢) الطبري ١٢٨/١٣ ، والقرطبي ٣٠٠/٩ ، وعبدالرزاق ٣٣٤/٢ .

(٣) زاد المسير ٣١٧/٤ ، والقرطبي ٣٠٠/٩ .

(٤) هنا تكرار في (ب) لما سبق فقال : «معناه هو الذي دعا إلى توحيد والاعتراف بأنه لا شريك وتفسير دعوة الحق» .

(٥) في (أ) و(ج) : (عادته وتوحده) .

(٦) الطبري ١٢٨/١٣ ، والثعلبي ١٢٩/٧ ب ، وزاد المسير ٣١٧/٤ ، وابن كثير ٥٥٦/٢ ، والقرطبي ٣٠٠/٩ .

أصنامهم بأوصاف الرجال العقلاء ، فخاطبهم الله بما يعقلون وقد ذكرنا هذا عند قوله : ﴿ اَلْهَمُّ اَرْجُلٌ ﴾ [الأعراف: ١٩٥] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهْمٍ شَيْءٍ ﴾ قال ابن عباس : « يريد ليس لهم^(١) ثواب ، يعني للداعين إياه ، لا ثواب لهم عندها » ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبَغَ فَاهُ ﴾ فُسِّرَ هذا على ثلاثة أوجه ، قال مجاهد^(٢) : « يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده ؛ فلا يأتيه أبداً » ، وهو اختيار أبي إسحاق^(٣) ؛ لأنه قال معناه : « إلا كما يستجاب للذي يبسط كفيه إلى الماء ، يدعو الماء إلى فيه ، والماء لا يستجيب » ، فأعلم الله أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان الماء إلى بلوغ فيه .

﴿ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ وما الماء ببالغ فاه ، بدعوته إياه ، والتقدير : إلا كاستجابة باسط كفيه ، ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول ثم حذف المضاف . الوجه الثاني من التفسير هو مذهب الكلبي^(٤) وغيره ، قال : « كما يدعه إلى الماء من مكان بعيد وهو مشرف على ذلك الماء فلا يبلغه ، ولا يبلغ الماء فاه » ، وقال عطاء^(٥) : « كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر ، والماء لا يرتفع إلى يده » ، وهذا الوجه اختيار الفراء^(٦) ، قال : « يعني أن الأصنام لا تحجب داعيها بشيء إلا كما ينال الظمآن المشرف على ماء ليس معه ما يستقي به » . فذلك قوله : ﴿ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّتِهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾ وهذا الوجه كالأول ، إلا أن في الوجه

(١) لهم) ساقط من (أ) و(ج) .

(٢) الطبري ١٣/١٢٩ ، والثعلبي ٧/١٢٩ ب ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/١٠١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٤ .

(٤) تنوير المقياس ١٥٦ .

(٥) زاد المسير ٤/٣١٧ ، ورواه الطبري ١٣/١٢٩ عن علي رضي الله عنه ، وأخرجه أبو عبيد وابن المنذر

وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عطاء كما في الدر ٤/١٠١ ، والثعلبي ٧/١٢٩ ب .

(٦) معاني القرآن ٢/٦١ .

الأوّل شبهوا بمن يدعو الماء البعيد إلى نفسه والماء لا يستجيب ، وفي الوجه الثاني شبهوا بمن يمد يده إلى الماء البعيد ليناله من غير آلة .

الوجه الثالث : هو مذهب أبي عبيد^(١) وابن قتيبة^(٢) ، وهو أن العرب يضربون المثل لمن سعى^(٣) في ما لا يدركه ، وتعاطى ما لا يجد منه شيئاً ، بالقابض على الماء ، وذلك أن القابض على الماء لا يحصل في يده منه شيء ، المعنى لا يصير في أيديهم إذا دعوهم إلا ما يصير في يدي من قبض على الماء ليلبغ فاه ، وأنشد أبو عبيدة قول ضابئ البرججي^(٤) :

فإني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماءٍ تستقيه أنامله
قال أبو عبيدة : «تسقه : تحبه» .

وقال ابن الأنباري : «يجمعه ويسقه يحمله» ، وأنشد أيضاً^(٥) :

فأصبحت مما كان بيني وبينها من الودّ مثل القابض السماء باليد

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ .

(٢) مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢٣١ .

(٣) في (أ) و(ج) : (يبتغي) .

(٤) في مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ ، تقدمت ترجمته ، وفيه (تسقيه) من غير تاء ، وانظر : مقاييس اللغة ٦/ ١٠٩ ، والخزانة ٤/ ٨٠ ، ومشكل القرآن وغريبه ٢٣١ ، والطبري ١٣/ ١٢٩ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ ، وطبقات فحول الشعراء ١٤٥ ، وتاريخ الطبري ٥/ ١٣٧ ، ٧/ ٢١٣ ، واللسان (وسق) ٨/ ٤٨٣٦ . والبيت من قصيدة له في السجن ، وكان أعد حديدة يريد أن يغتال بها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقوله : (لم تسقه) من (وسقت الشيء أسقه وسقاً) إذا حملته .

(٥) البيت للأحوص بن محمد الأنصاري في مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ ، والطبري ١٣/ ١٢٩ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٠ (فأصبحت) .

قال ابن قتيبة : « وهذا من الاختصار ؛ لأن التقدير : إلا كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه ، أو قابضاً عليه ليلبغ فاه » .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِبَلِّغٍ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء^(١) : « يريد عبادة الكافرين الأصنام في ضلال » ، وروى جوير^(٢) : « وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال ؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله » ، وهذا التفسير لا يليق بما سبق من الآية ؛ لأنه ذكر في الآية دعاء الكافرين الأصنام ، وهو قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ، والذم لاحق بذلك الدعاء ، وهو دعاهم إياها ، ولم يذكر دعاهم الله تعالى ، وجوير ضعيف ، والصحيح ما ذكرنا في رواية عطاء ، ولعل ما رواه جوير ، رواه في نظير هذه الآية في سورة المؤمن : ﴿ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٥٠] ، وذلك صحيح المعنى في تلك السورة^(٣) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قال المفسرون : المؤمنون والملائكة يسجدون لله تعالى طوعاً ، والكافر يسجد كرهاً بالسيف ، وهذا معنى قول الحسن^(٤) ، وقاتدة^(٥) ، وابن زيد^(٦) ، ونحو هذا قال الفراء^(٧) : « الساجد طوعاً من أهل السموات والأرض : الملائكة ، ومن دخل في الإسلام رغبة^(٨) فيه أو ولد عليه ، ومن أكره على الإسلام فهو يسجد كرهاً » ، وهذا القدر لا

(١) تنوير المقباس ١٥٦ .

(٢) الثعلبي ٧/ ١٣٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٨ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٣) ما رجحه الواحدي هو الصحيح والمناسب لسياق الآية ، وهو الذي ذهب إليه الطبري ١٣/ ١٣١ ، والثعلبي ٧/ ١٣٠ ، ومقاتل كما في زاد المسير ٤/ ٣١٨ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٤) أخرج أبو الشيخ نحوه كما في الدر ٤/ ١٠٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٣١ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠١ .

(٦) الطبري ١٣/ ١٣١ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٨ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٦١ .

(٨) في (ب) : (ورغبة) بزيادة واو .

يفتح معنى الآية ؛ لأن قوله : ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يقع على كل من في الأرض من البشر ، وليس جميع الكفار يسجدون كرهاً .

واختلفوا في توجيه هذا ، فذهب بعضهم إلى التخصيص ، حكى ابن الأنباري عن بعض أهل العلم^(١) قال : الملائكة وعباد الله الصالحون يسجدون لله طوعاً ، والكافرون والمنافقون يسجدون خوف القتل ، وقلوبهم تنطوي على الكفر ، فعلى هذا يراد بقوله : ﴿ وَكَرِهًا ﴾ من يسجد لله كرهاً من خوف السيف لا جميع الكفار ، من العموم الذي دخله الخصوص ، وعليه دل كلام الفراء ؛ لأنه قال : «ومن أكره^(٢) على الإسلام فهو يسجد كرهاً» ، ومن المفسرين من ذهب إلى أن الكره أيضاً من صفة المؤمنين ، يسجد لله طوعاً بسهولة ونشاط ، ومن المسلمين من يسجد لله كرهاً ، لصعوبة ذلك عليه وإكراهه نفسه على أدائه ، وهو في ذلك مسلم يحمل نفسه على الطاعة ، ويجذبها إلى الحق ، وهو يقبل عليها .

وقال آخرون : يسجد المخلصون لله طوعاً ، وبعض المسلمين كرهاً في ابتداء أمره ، إلى أن يألف الحق ، فعلى هذا لا مدخل للكافرين في الآية ، هذا الذي ذكرنا طريقة التخصيص إما بالمسلمين وبعض الكفار ، وإما بالمسلمين فقط .

ومن المفسرين من أجراها^(٣) على العموم فقال : المعنى ، على ما ذكره المفسرون ، أن السجود واجب لله تعالى ، فالؤمن يفعل طوعاً ، والكافر يؤخذ بالسجود كرهاً ، أي هكذا الحكم في وجوب السجود لله جل وعزّ ، فعلى هذا قوله : ﴿ يَسْجُدْ ﴾ المراد به الإخبار عن من يسجد طوعاً ، وأمر بالإكراه على السجود في حكم الكافر ، كأنه قال يؤخذون بالسجود كرهاً ، ويكرهون عليه ، وهذا^(٤)

(١) قال بهذا القول الثعلبي ٧/ ١٣٠ أ ، والطبري ١٣/ ١٣١ ، وهذا الراجح والله أعلم .

(٢) في (أ) : (أكر) بغير هاء .

(٣) في (ب) : (أجرها) من غير ألف .

(٤) (وهذا) ساقط من (أ) و(ج) .

مستبعد من حيث اللفظ . ولأصحاب المعاني في الآية طريقة أخرى ، وهو أنهم قالوا^(١) : سجود الكافر هو تذلل له وانقياده لتصريف الله تعالى إياه في ما يريد من عافية إلى مرض ، وغنى إلى فقر ، وحياة إلى موت ، ومعنى السجود الخضوع والتذلل والانقياد ، والكافر لا يمتنع من هذا ، فهو في حكم الساجد من هذا الوجه ؛ أي المسخر المنقاد والمذلل ، كما تقول في سجود الجماد ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ بَلْ لَّهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلٌّ لَّهٗ قَدِيْنُوْنَ ﴾ [البقرة: ١١٦] ، وقوله : ﴿ وَلَٰهٗٓ اَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ ﴾ [آل عمران: ٨٣] ، ومضى الكلام في الآيتين .

وقوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْهُمْ بِالْقُدُوْرِ وَالْاَصَالِ ﴾ الكلام في تفسير هذه الألفاظ قد سبق^(٢) ، وأما المعنى فقال المفسرون : كل شخص مؤمن أو كافر ، فإنه يسجد لله تعالى . قال مجاهد^(٣) : « ظَلُّ المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع ، وظل الكافر يسجد طوعاً وهو كاره » . وقال أبو إسحاق^(٤) : « جاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير الله ، وظله يسجد لله » ، فعلى هذا قال ابن الأنباري^(٥) : « يُجْعَل للظلال عقول تسجد بها وتحشع ، كما جُعِل للجبال أفهام حتى خاطبت وخوطبت » ، قال : « على هذا بنى أكثر أهل التفسير » .

(١) زاد المسير ٣١٩/٤ .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ وَدُوْنَ اَلْبَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْقُدُوْرِ وَالْاَصَالِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] .

(٣) الطبري ١٣/١٣١ ، وابن المنذر كما في الدر ٤/١٠١ ، والثعلبي ٧/١٣٠ ، والقرطبي ٩/٣٠٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٤ .

(٥) القرطبي ٩/٣٠٢ ، والرازي ١٩/٢٥ ، والبحر ٦/٣٦٩ .

وقال أهل المعاني : سجدوا للظلال ميلانها ودورانها من جانبها إلى جانب ، وطولها بانحطاط الشمس ، وقصرها بارتفاع الشمس فهي مستسلمة منقادة ، مطيعة بالتسخير ، وهي في ذلك تميل من جانب إلى جانب ، والميل سجود في اللغة ، يقال : سجدت النخلة ، إذا مالت ^(١) لكثرة حملها ، قال لبيد يصف نخلاً ^(٢) :

غُلِبَ سَوَاجِدُ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا الْحَصْرُ

فسجدوا للظلال تمايلها واستسلامها وانقيادها للتسخير ، كأنه قيل : وظلالهم بالغدو والأصال مستسلمة ، ودل على هذا قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴾ .

١٦ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ الآية ، السؤال والجواب جاء من ناحية واحدة ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ﴾ [يونس: ٣٤] الآية ، وذلك أن الكفار لا ينكرون أن الله خالق السموات والأرض والمخلوقات ، لقوله : ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ ، فإذا أجاب النبي ﷺ عن هذا السؤال بقوله : الله ، لم ينكروا هم ذلك ، ويصير كأنهم قالوا ذلك ، ثم ألزمهم الحجة ، فقال : ﴿ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد توليتهم غير رب السماء والأرض» ، والولي النصير ، والذي يتولى النصري ، كأنه قال أفتخذتم من دونه أنصاراً ، يعني : الأصنام لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً ، فكيف لغيرهم .

(١) مكرر في (أ) و(ج) .

(٢) عجز بيت ، وصدرة :

بَيْنَ الصَّفَا وَخَلِيجِ الْعَيْنِ سَاكِنَةٌ

ديوانه ٦٠ ، وتاج العروس (سجد) ٧/٥ ، وتأويل مشكل القرآن ٤١٦ ، واللسان (سجد) ١٩٤١/٤ ، وتهذيب اللغة (سجد) ١٦٣١/٢ ، والمخصص ١١٣/١١ .

ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأوثان ، وللذي يعبد الله تعالى : فقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ قال ابن عباس ^(١) : «يريد المشرك والمؤمن» ، ﴿ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ ﴾ قال : «يريد الشرك والإيمان» ، وقرأه أكثر القراء ^(٢) (تستوي) بالتاء ؛ لأن الظلمات جمع ، ولا حائل بينهما وبين الفعل ، ومن قرأ بالياء فلتقدم الفعل مع التأنيث في الظلمات غير حقيقي .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾ ، قال ابن عباس ^(٣) : «معناه أجعلوا لله شركاء خلقوا سموات وأرضين وجنّاً وإنساً ، فتشابه الخلق عليهم من هذا الوجه ؟» وقال أبو إسحاق ^(٤) : «أي هل رأوا غير الله خلق شيئاً ، فاشتبه عليهم خلق الله من خلق غيره ؟»

وقال ابن الأنباري ^(٥) : «تلخيص هذه الآية : وبخهم ، أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله ، فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم ؟ وهذا الاستفهام إنكار لذلك ؛ أي ليس الأمر على هذا حتى يشبه الأمر ، بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق ، وسائر الشركاء لا يخلقون خلقاً يتشابه بخلق الله ، وإذا كانوا بهذه الصفة ألزمهم الحجة» .

(١) تنوير المقياس ١٥٦ ، وزاد المسير ٣٢٠ / ٤ ، والقرطبي ٣٠٣ / ٩ ، وأبو الشيخ كما في الدر ١٠٢ / ٤ ، وأخرج الطبري ١٣ / ١٣٣ عن مجاهد نحوه .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم (تستوي) بالتاء ، وقرأ أبو بكر عن عاصم وهمزة والكسائي (يستوي) بالياء .

انظر : السبعة ٣٥٨ ، والإتحاف ٢٧٠ ، وزاد المسير ٣٢٠ / ٤ ، والقرطبي ٣٠٣ / ٩ .

(٣) تنوير المقياس ١٥٦ نحوه وأخرج ابن أبي شيبه ، والطبري ١٣ / ١٣٣ وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد نحوه . الدر ١٠٣ / ٤

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٤٤ .

(٥) زاد المسير ٣٢٠ / ٤ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، قال الزَّجَّاجُ^(١) : «أي قل ذلك وبيّنه بما أخبر به من الدلالة على توحيده ، من أول هذه السورة ، مما يدل على أنه خالق كل شيء» .

قال أصحابنا^(٢) : «معناه : أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً ، ألا ترى أنه شيء وهو غير مخلوق» .

وقال الشافعي^(٣) في هذا : «إنه من العموم الذي لم يدخله الخصوص» ، يعني أنه لما ذكر لفظ الخالق ، علم أن عمومه بالمخلوقات ، وإذا كان كذلك لم يدخله خصوص ؛ لأنه لا مخلوق إلا وهو خالقه ، ولما شبه المؤمن والكافر ، والإيمان والكفر مثلاً .

١٧ . فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ﴾ وهي جمع وادٍ ، وهو كل مفرج بين جبال وآكام وتلال . يجتمع إليه ماء المطر فيسيل فيه ، هذا قول عامة أهل اللغة^(٤) في معنى الوادي ، وقال شمر^(٥) : «ودي : إذا سال» ، قال : «ومنه الوَدي في ما أرى ، لخروجه وسيلانه ، ومنه الوادي» ، وعلى هذا الوادي اسم للماء السائل ، كالسيل^(٦) ، والقول هو الأول .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٥ / ٣ .

(٢) المراد بأصحابه هنا الأشاعرة . وما ذكره في معنى الآية صحيح ، كما هو قول أهل السنة ، وهو رد على المعتزلة المستدلين بالآية على أن القرآن مخلوق . وعلى أن أفعال العباد مخلوقة .

(٣) الأم ٧ / ٤٦٢ .

(٤) تهذيب اللغة (ودي) ٣٨٦٥ / ٤ ، واللسان (ودي) ٨ / ٤٨٠٣ .

(٥) تهذيب اللغة (ودي) ٣٨٦٥ / ٤ .

(٦) (كالسيل) ساقط من (ج) .

قال أبو علي الفارسي^(١): «﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ اتساع ، والمراد في (سال الوادي ، وجرى النهر) مأوئهما ، فحذف المضاف . قال : «والأودية جمع نادر في فاعل ، ولا يعلم فاعلاً جمع على أفعله ، ويشبه أن يكون ذلك ، ليتعاقب فاعل وفعل على الشيء الواحد ، كعالم وعليم ، وشاهد وشهيد ، ووال وولي ، ألا ترى أنهم جمعوا فاعلاً أيضاً على فعلاء ، كشاعر وشعراء ، مثل فقيه وفقهاء ، فجعلوا فاعلاً كفعيل في التكسير ، كجريب وأجرة ، وقالوا : يتيم وأيتام ، وشريف وأشراف ، كما قالوا : صاحب وأصحاب وطائر وأطيّار ، فلذلك جمع وادٍ على أودية»^(٢) .

وقال غيره : نظير واد وأودية ، ناد وأندية للمجالس .

وقوله تعالى : ﴿يَقْدِرُ﴾ الْقَدْرَ وَالْقَدْرُ ، مبلغ الشيء يقال : كم قَدَرُ هذه الدراهم ؟ وقدرها ومقدارها ، أي كم^(٣) تبلغ من الوزن في ما يكون مساوياً لها من الوزن فهو قدرها ، وذكرنا الكلام في الْقَدْرَ والقَدْر في قوله : ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] وفي مواضع .

قال مجاهد^(٤) : «بقدر مَلئها» .

وقال ابن جريج^(٥) : «الصغير بِقَدْرِهِ ، والكبير بِقَدْرِهِ» .

(١) الحجة ٢/ ٣٤٠ (بتصرف) .

(٢) إلى هنا انتهى النقل عن الحجة ٢/ ٣٤٠ بتصرف .

(٣) في (ب) : (لم) . ولعله خطأ .

(٤) الطبري ١٣/ ١٣٦ ، وأبو عبيد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٥ ، القرطبي ٩/ ٣٠٥ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٣٧ ، وابن جريج عن ابن عباس ، القرطبي ٩/ ٣٠٥ ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في الدر ٤/ ١٠٣ .

وقال ابن الأنباري والزَّجَّاج^(١) : «(بقدرها) بما قدر^(٢) يملأها» ، قال : «ويجوز بمقدار ما يملأها» ، وقد فهم من قوله : القَدْر هاهنا يجوز أن يكون مصدرًا فيكون المعنى : بما قدر لها من ملئها ، ويجوز أن يكون المعنى : بقدر ملئها ، وتلخيص معنى قوله : ﴿ فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ ، بقدرها من الماء ؛ لأن القدر معناه الهنداز^(٣) ، فإن صغر الوادي قل الماء ، وإن اتسع الوادي كثر .

قال أبو علي^(٤) : «المعنى بقدر مياهها ، ألا ترى أن المعنى ليس على أن الأودية سألت بقدر أنفسها ؟» .

قال ابن عباس في رواية عطاء^(٥) : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يريد قرآنًا ، وهو مثل ضربه الله ، ﴿ فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ قال : «يريد بالأودية قلوب العباد» ، قال ابن الأنباري : «شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر ؛ إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر ، وشبه الأودية بالقلوب ؛ إذ الأودية يستكن فيه الماء كما يستكن الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين» ، ونحو هذا قال الفراء^(٦) : «يقول قبلته القلوب بأقدارها وأهوائها» .

وقال صاحب النظم : «الماء هاهنا إن شاء الله الإيمان والحق ، فهؤلاء الذين سمينا جعلوا الماء مثلاً للإيمان والقرآن ، والأودية مثلاً للقلوب» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٥ / ٣ .

(٢) في : (أ) و(ج) ساقط (أن) .

(٣) الهنداز : سبق التعريف به ، وهو معرب ، وأصله بالفارسية أندازاه ، يقال : أعطاه بلا حساب ولا هنداز .

(٤) الحجة ٢ / ٣٤٠ .

(٥) القرطبي ٩ / ٣٠٥ .

(٦) معاني القرآن ٢ / ٦١ .

والباقيون من المفسرين وأهل المعاني سكتوا عن بيان الممثل والممثل به ، وجعلوا ابتداء المثل من قوله : ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ ، قال ابن عباس ^(١) : « وهو الشك والكفر » ، قال الفرّاء ^(٢) : « يقال : أزيد الوادي إزباداً ، والزبد الاسم » ، (رابياً) قال الزّجاج ^(٣) : « طافياً عالياً فوق الماء » ، وقال غيره ^(٤) : زابداً بانتفاخه ، ربا يربو ، إذا زاد ، وهذا هو الأصل ، ثم إذا زاد وانتفخ صار عالياً .

قال ابن عباس وغيره من المفسرين ^(٥) : « ثم ضرب مثلاً آخر فقال : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ﴾ » ، قرئ ^(٦) بالتاء والياء . فمن قرأ ^(٧) بالتاء فلما قبله من الخطاب ، وهو قوله : ﴿ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ ﴾ ، ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة ، كأنه وما توقدون عليه أيها الموقدون ، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدّم في قوله : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ ويجوز أن يراد به ^(٨) جميع ^(٩) الناس ، ويقوي ذلك قوله : ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ فكما أن الناس يعم المؤمن والكافر ، كذلك الضمير

(١) الطبري ١٣/ ١٣٥ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/ ١٠٣ .

(٢) لم أجد في مظاهره ، وانظر : اللسان (زبد) ٣/ ١٨٠٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥ .

(٤) أبو عبيدة مجاز القرآن ١/ ٣٢٨ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٣٤ ، والثعلبي ٧/ ١٣٠ ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٠٥ ، وابن كثير ٢/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (توقدون) بالتاء ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (يوقدون) بالياء وروى علي بن نصر عن أبيه عن أبي عمرو بالتاء والباء والغالب التاء ، وانظر : السبعة ٣٥٨ ، والإتحاف ٢٧٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢١ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٨١ .

(٧) من هنا يبدأ النقل عن الحجة ٥/ ١٦ باختصار .

(٨) في (ج) : (أم جعلوا لله شركاء خلقوا ، ويراد به) .

(٩) في (ب) : (جمع) .

في يوقدون^(١)، وأراد بها يوقد عليه في النار الفلز^(٢)، وهو ما يذاب من الجواهر كالذهب والفضة والصفرة والحديد والنحاس، في قول جميع المفسرين^(٣).

قال أبو علي^(٤): «وجعل الظرف الذي هو ﴿فِي النَّارِ﴾ متعلقاً بتوقدون؛ لأنه قد يوقد على ما ليس في النار، كقوله: ﴿فَأَوْقَدِلِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ﴾ [الفصص: ٣٨] فهذا إيقاد على ما ليس في النار، وإن كان يلحقه وهجها وهيها، يريد أن هذه الجواهر تدخل النار فيوقد عليها».

وقوله تعالى: ﴿أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ قال الزَّجَّاج^(٥) وغيره: «الذي يوقد عليه لا ابتغاء الحلية الذهب والفضة، والذي يوقد عليه لا ابتغاء الأمتعة الحديد والصفرة والنحاس والرصاص، يتخذ منها الأواني والأشياء التي ينتفع بها، والمتاع كل ما يتمتع به»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿زَيْدٌ مِّثْلُ﴾ أي زيد مثل زيد الماء الذي يحمله السيل.

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ كما ذكر من هذه الأشياء يضرب الله مثل الحق والباطل، قال صاحب النظم: هذا كلام فرق به بين الكلام الأول وبين تمامه؛ لأن قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ هو من الكلام الأول، ثم لما تم

(١) إلى هنا انتهى النقل عن الحجة ١٦/٥ باختصار.

(٢) الْفَلَزُ وَالْفَلَزُ وَالْفُلُزُ نحاس أبيض تصنع منه القدور وغيرها، وقيل: هو جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباه ذلك. انظر: تهذيب اللغة (فلز) ٣/ ٢٨٢٨، واللسان (فلز) ٦/ ٣٤٦٠.

(٣) الطبري ١٣/ ١٣٤، والثعلبي ٧/ ١١٣١، وزاد المسير ٤/ ٣٢٢، والقرطبي ٩/ ٣٠٥، وابن كثير ٥٥٨/ ٢، والبحر المحيط ٥/ ٣٨١.

(٤) الحجة ٥/ ١٦، والبحر المحيط ٥/ ٣٨٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٥.

(٦) تهذيب اللغة (متع) ٤/ ٣٣٣٤.

ذلك رجع إلى تمام قوله : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ ، فقال : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ والتأويل : كذلك يضرب الله الأمثال للحق والباطل ، فاختصر الكلام اختصاراً على ما سبق من ذكر الحق والباطل ، اعتماداً على بيانه في آخر الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ، وأنشد قول ذي الرمة ^(١) :

فَأُضْحِتْ مَغَانِيهَا قَفَّاراً رُسُومُهَا

كَأَنَّ لَمْ سِوَى أَهْلِ مِنَ الْوَهْلِ تُؤْهَلِ

المعنى : كأن لم تؤهل سوى أهل من الوحش ، ففرق بين لم وتؤهل ، ومعنى قوله : ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ الجفاء ^(٢) ما جفاه الوادي ؛ أي رمى به ، قال أبو زيد ^(٣) : «يقال : جفأت الوادي الرجل ، إذا صرعته ، وأجفأت القدر بزبدها ، إذا ألقت زبدها فيذهب جفاء» . وقال الفراء ^(٤) : «الجفاء الرمي والاطراح ، يقال : جفا الوادي غثاه جفاءً ، إذا رماه ، والجفاء اسم للمجتمع منه المنضم بعضه إلى بعض ، بمنزلة الغشاء والقماش» ^(٥) ، قال : «والجفاء مصدر يكون في مذهب اسم ، وكذلك مصدر اجتمع بعضه إلى بعض مثل القماش والحطام والدقاق» ^(٦) ، كما كان العطاء اسم الإعطاء ، وقال الزَّجَّاج ^(٧) في باب الوفاق : «جفا الوادي يجفا جُفَاءً أو أجفأ ، إذا رمى بغثائه» ، قال : «وموضع (جفاء) نصب على الحال» .

(١) ديوانه ١٤٦٥ ، وفيه : «من الوحش» بدل من «من الوهل» . خزانة الأدب ٥ / ٩ ، والخصائص ٤٠١ / ٢ ، والدرر ٦٣ / ٥ . انظر : تأويل مشكل القرآن ٢٠٧ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٣٣ .

(٢) تهذيب اللغة (جفاً) ٦١٩ / ١ ، والزاهر ٨٩ / ٢ .

(٣) تهذيب اللغة (جفاً) ٦١٩ / ١ .

(٤) معاني الفراء ٦٢ / ٢ بنحوه ، وتهذيب اللغة (جفاً) ٦١٩ / ١ .

(٥) القماش : ما يجمع من هنا وهناك .

(٦) الدقاق : فتات كل شيء .

(٧) فعلت وأفعلت ٨ ، ونقله في التهذيب ٦١٩ / ١ عن الفراء .

وتلخيص معنى الآية على ما ذكره المفسرون وأهل المعاني^(١) : أن هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ، يقول : الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه ، فإن الله سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله ، كالزبد الذي يعلو الماء ، فيلقيه الماء عنه ويضمحل ، وكخبث هذه الجواهر يقذفه الكير ، فهذا مثل الباطل ، وأما الذي ينفع الناس وينبت المرعى فيمكث في الأرض ، وكذلك الصفو^(٢) من الفلز يبقى خالصاً لا شوب^(٣) فيه ، فهو مثل الحق ، هذا بيان ابن قتيبة^(٤) وكلامه .

وقال أبو إسحاق^(٥) : «فمثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان ، كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الأرض ، وحياة كل شيء ، ومثل نفع الفضة والذهب وسائر الجواهر ؛ لأنها كلها تبقى منتفعاً به ، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء ، ومثل^(٦) خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي^(٧) ينتفع به» .

١٨ . قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ؛ أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيده وشريعته على لسان رسوله ، قال ابن عباس^(٨) : «يريد للذين وحدوا ربهم» .

-
- (١) زاد المسير ٣٢٢/٤ ، والقرطبي ٣٠٥/٩ .
 (٢) في (أ) و(ج) : (عن) .
 (٣) في (أ) و(ج) : (الأشوب) بألف .
 (٤) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٣ .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ١٤٥/٣ .
 (٦) في (ج) : بزيادة هذا : (وكمثل هذا خبث الحديد) .
 (٧) في معاني القرآن وإعرابه ١٤٦/٣ : (الذي لا ينتفع به) .
 (٨) القرطبي ٣٠٦/٩ ، وتوير المقباس ١٥٧ .

وقوله تعالى : ﴿الْحُسْنَى﴾ قال ^(١) : «يريد الجنة» ، وقال أهل المعاني : الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن ، وهي الجنة على الخلود في نعيمها .

وقوله تعالى : ﴿لَا تَقْتَدُوا بِهِ﴾ الافتداء : جعل أحد الشئيين بدلاً من الآخر ، ومفعول (افتدوا) محذوف تقديره : لا فتدوا به أنفسهم ، أي جعلوه فداء أنفسهم من العذاب ، والكناية في (به) تعود إلى (ما) في قوله : ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿سَوْءُ الْحِسَابِ﴾ قال المفسرون ^(٢) : هو أن لا تقبل منه حسنة ، ولا يتجاوز عن سيئته ، قال أبو إسحاق ^(٣) : «لأن كفرهم أحبط أعمالهم» .

١٩ . قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ الآية . قال ابن عباس ^(٤) : «نزلت في حمزة وأبي جهل» .

وقوله تعالى : ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ قال : يريد أبا جهل أعمى القلب ، قال أهل المعاني : الجاهل بالدين ممثل بالأعمى ، لأن العلم يُهْتَدَى به إلى طريق الرشd من الغي ، كما يهتدى بالبصر إلى طريق النجاة من طريق الهلاك ، وبالضد من هذا حال الجهل والعمى .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ﴾ أي يتعظ ويطلب ذكر ما رغب فيه من الجنة فيطيع الله ، وما أوعd به فيرتدع عن المعاصي . ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ قال ابن عباس : «يريد المهاجرين والأنصار» ، والآية نازلة في هؤلاء ، وهي لكل من كان بهذه الصفة

(١) زاد المسير ٣٢٣/٤ ، وتنوير المقباس ١٥٧ ، وتيسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم ٣٠٣/٢ ، وأخرجه الطبري ١٣٨/١٣ ، وأبو الشيخ عن قتادة كما في الدر ١٠٥/٤ .

(٢) زاد المسير ٣٢٣/٤ ، والقرطبي ٣٠٧/٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٤٥/٣ وفيه : «وأن كفرهم أحبط أعمالهم» .

(٤) زاد المسير ٣٢٣/٤ ، والقرطبي ٣٠٧/٩ ، والبحر المحيط ٣٨٤/٥ .

من العلم والجهل والتذكر ، فهي بيان عما يستحق كل واحد من العالم والجاهل ،
والحق والمبطل من صفة المدح بالبصيرة والذم بالعمى والحيرة .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْوَعْدَ ﴾ قال ابن عباس ^(١) :
«يريد الذي عاهدهم عليه في صُلب آدم» ^(٢) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ ، قال ابن عباس ^(٣) :
«يريد الإيمان بالأنبياء» ، يعني : يصل بينهم بالإيمان بالجميع ، كما قال في
الخبر عن المؤمنين : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ، وقال
أكثر المفسرين ^(٤) : يريد صلة الأرحام .

٢٢ . ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ قال في رواية عطاء ^(٥) : «يريد على دين ربهم وما أمر
به من طاعته ونهى عن معصيته» ، وهو قول ابن زيد ^(٦) وأبي عمران
الجوني ^(٧) . ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ أي طلب تعظيم الله .

(١) زاد المسير ٣٢٤/٤ ، والقرطبي ٣٠٧/٩ .

(٢) يعني ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] .

(٣) القرطبي ٣١٠/٩ ، والثعلبي ١٣٢/٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٤/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم
وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير كما في الدر ١٠٦/٤ ، ١٠٧ .

(٤) انظر : الطبري ١٣٩/١٣ ، والثعلبي ١٣٢/٧ ، وابن كثير ٥٦٠/٢ ، وزاد المسير ٣٢٤/٤ ،
والقرطبي ٣١٠/٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٤/٢ .

(٥) تنوير المباس ١٥٧ ، والقرطبي ٣١٠/٩ ، والثعلبي ١٣٢/٧ ب .

(٦) الطبري ١٣٩/١٣ ، والثعلبي ١٣٢/٧ ب .

(٧) الثعلبي ١٣٢/٧ ب ، والقرطبي ٣١٠/٩ .

وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ قال ابن عباس^(١): «يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل»، قال ابن كيسان^(٢): «هو أنهم إذا أذنبوا تابوا، ليدفعوا بالتوبة معرة الذنب، روي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها»^(٣)، فعلى هذا الحسنة والسيئة بينه وبين الله.

وقال ابن زيد^(٤): «لا يكافئون الشر بالشر، بل يحملون عن السفية، ويردون على من يسفه عليهم معروفاً من القول»، وهذا قول قتادة^(٥) واختيار ابن قتيبة^(٦)، وعلى هذا الحسنة والسيئة بينه وبين الناس.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبَى الدَّارِ﴾ قال ابن عباس^(٧): «يريد عقباة الجنة»، والعقبى^(٨) كالعاقبة، يجوز أن يكون مصدراً، كالشورى والقربى واللقيا، توضع موضع المصدر، وقد يجيء مثل هذا أيضاً على (فعل) كالنجوى والدعوى والطغوى، وعلى (فعل) كالذكرى والضيضى، ويجوز أن يكون اسماً، وهو هاهنا مصدر مضاف إلى الفاعل، والمعنى: أولئك لهم أن تعقب أعمالهم الحسنة الجنة، أي تصوير الجنة آخر أمرهم، والمراد بالدار الجنة، يعرف ذلك بإطلاقها، حيث ذكرت عقبى الأعمال الصالحة.

(١) زاد المسير ٤/ ٣٢٤، والقرطبي ٩/ ٣١١، والثعلبي ٧/ ١١٣٣.

(٢) الثعلبي ٧/ ١٣٢ ب، وزاد المسير ٤/ ٣٢٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٦٩، إلا أنه قال: «فأتبعها» وفي ٥/ ١٧٧، وقال: «فاعمل حسنة» من حديث أبي ذر، ونحوه في الترمذي (١٩٨٧) في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي. وأخرجه سعيد بن منصور ٣/ ٦٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢١٧، ٢١٨.

(٤) الثعلبي ٧/ ١٣٢ ب، والطبري ١٣/ ١٤١، والقرطبي ٩/ ٣١١.

(٥) الثعلبي ٧/ ١٣٢ ب.

(٦) مشكل القرآن وغييه ٢٣٣، والثعلبي ٧/ ١٣٢ ب، وزاد المسير ٤/ ٣٢٥.

(٧) زاد المسير ٤/ ٣٢٥، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣٠٥.

(٨) اللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٢، وتهذيب اللغة (عقب) ٣/ ٢٥٠٧.

٢٣. قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ^(١): «جنات بدل من عقبي».

قال ابن عباس^(٢): «هي وسط الجنة وقصبتها، مساندة بعرش الرحمن، غَرَسَهَا الرحمنُ - تبارك وتعالى - بيده»، والكلام في جنات عدن قد ذكرناه مستقصى عند قوله: ﴿وَمَسْكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، وذكرنا هناك مذهب المفسرين ومذهب أهل اللغة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ موضع (من) رفع عطف على الواو في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، قال أبو إسحاق^(٣): «وجائز أن يكون نصباً، كما تقول قد دخلوا وزيداً، أي مع زيد».

قال ابن عباس^(٤): ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ يريد من صدَّق بما صدقوا به، وإن لم يعمل مثل أعمالهم.

وقال أبو إسحاق^(٥): «اعلم أن الأسباب لا تنفع بغير أعمال صالحة»، فعلى قول ابن عباس معنى (صلح): صدق وآمن ووحد، وعلى ما ذكر أبو إسحاق معناه: صلح في عمله.

والصحيح ما قال ابن عباس؛ لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله، حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء، فدل أنهم يدخلونها كرامة

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣.

(٢) القرطبي ٣١١/٩ نحوه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣.

(٤) القرطبي ٣١٢/٩، والبحر المحيط ٣٨٧/٥، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٥/٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣.

للمطيع ، ولا فائدة في التبشير والوعد به ؛ إذ كل مصلح في عمله قد وعد دخول الجنة^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ قال ابن عباس^(٢) : «يريد بالتحية من الله والتحفة والهدايا» .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال أبو إسحاق^(٣) : «المعنى يدخلون عليهم من كل باب يقولون : سلام عليكم ، فأضمر القول هاهنا ، لأن في الكلام دليلاً عليه» .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ قال ابن عباس^(٤) : «يريد في دار الدنيا» ، قال النحويون^(٥) : الباء في (بما) تتعلق بمعنى سلام ، لأنه قد دل على السلامة لكم بما صبرتم . وقال صاحب النظم : السلام قول ، ولا يحتمل أن يكون القول ثواباً للصبر الذي هو فعل ، فدل هذا على أن المعنى في قوله : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ دعاء من الملائكة لهم ، على معنى : سلمكم الله بما صبرتم ، أو خبر منهم ، أي إن الله

(١) قلت : ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ تَارِكِينَ آلَهُمْ إِنْ يَدْرِئُهُمْ مِمَّا أَلَنَتْهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية ، [الطور : ٢١] .

وأخرج الطبري ١٣ / ١٤١ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قوله : ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ «من آمن في الدنيا» .

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال : «يدخل الرجل الجنة فيقول : أين أمي ؟ أين ولدي ؟ أين زوجتي ؟ ... فيقال : لم يعملوا مثل عملك ، فيقول : كنت أعمل لي ولهم ، ثم قرأ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ يعني من آمن بالتوحيد بعد هؤلاء ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يدخلون معهم . «الدر المنثور ٢ / ١٥٨» .

(٢) زاد المسير ٤ / ٣٢٥ ، والقرطبي ٩ / ٣١٢ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٨٧ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٣٠٦ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٤٧ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٧ .

(٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢ / ٧٥٧ .

سلمكم من أهوال هذا اليوم من شره ، وأدخلكم الجنة بصبركم في الدنيا ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على تقدير : الكرامة لكم بما صبرتم و(ما) هاهنا للمصدر ، كأنه قيل : بصبركم .

وقوله تعالى : ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الدار هاهنا أيضاً يجب أن يكون مصدراً ؛ لأنه لو كان اسماً ، وأضيف إلى الدار صار لها . وليس المراد ذكر عاقبة [الدار ، إنما المراد ذكر عاقبة] ^(١) أهل الجنة ومدح عاقبتهم ، والمقصود بالمدح محذوف على تقدير : نعم العقبى عقبى الدار ، كقوله تعالى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] ، ولم يذكر أيوب لتقدم ذكره ، ومثله قوله : ﴿ يَسْأَلُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴾ [الجمعة : ٥] هذا كله إذا كان المراد بالدار الجنة . وقال صاحب النظم : (نعم) يقتضي اسماً وخبراً ، والمعنى إن شاء الله : فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه ؛ أي هذا نعم عاقبة الدار التي كنتم فيها ، عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه ، فعلى هذا ، العقبى اسم ، والدار هي الدنيا ^(٢) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ الآية مفسرة في سورة البقرة بتامها ^(٣) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ معنى القدر في اللغة ^(٤) : قَطْع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان ، والمقدار : المثال الذي يعمل عليه غيره في مساواته به ، وقال المفسرون ^(٥) : في معنى يقدر هاهنا : يضيق ويقتر ، ومثله قوله : ﴿ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] ؛ أي ضيق ، وقوله : ﴿ فَقُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [الفجر : ١٦] بمعنى

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) و(ج) .

(٢) القرطبي ٣١٣/٩ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ [آية : ٢٧] .

(٤) تهذيب اللغة (قدر) ٢٨٩٧/٣ ، ٢٨٩٨ ، واللسان (قدر) ٣٥٤٦/٦ .

(٥) الثعلبي ١٣٤/٧ ، والطبري ١٤٣/١٣ ، ١٤٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٦/٢ .

يضيق ، وهو أن يعطيه على قدر كفايته ، لا يفضل عنه شيء من رزقه على صدر البسط .

وقوله تعالى : ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال ابن عباس^(١) والمفسرون : « يريد مشركي مكة ، فرحوا بما نالوا من الدنيا وأشروا وبطروا ، فطغوا وكذبوا الرسول ، ولم يشكروا ما بسط الله عليهم من الدنيا » .

ثم قال : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ ؛ أي في حياة الآخرة ، يعني بالقياس إليها ، قال ابن عباس^(٢) : « يريد ما في الدنيا يذهب ويبيد وهو قليل » ، وقال مجاهد^(٣) : « أي قليل ذاهب » .

وقال الكلبي^(٤) : « كالشيء الذي يتمتع به ثم يفنى ويذهب ، مثل القصعة والقدر والقدر يتنفع بها ثم يذهب » .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ الآية ، قال المفسرون^(٥) : نزلت في أهل مكة حين طالبوا رسول الله ﷺ بالآيات ، قال أهل المعاني : إنهم لم يستدلوا فيعملوا مدلول الآيات التي بها ، فلم يعتدوا بها ، وقالوا هذا القول جهلاً منهم .

(١) زاد المسير ٣٢٦/٤ ، والقرطبي ٣١٤/٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٦/٢ .

(٢) نقل في البحر المحيط ٣٨٨/٥ ، والقرطبي ٣١٤/٩ عن ابن عباس أنه قال : « زاد كزاد الراعي » .

(٣) الطبري ١٤٤/١٣ ، وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ١١٠/٤ ، والبحر المحيط ٣٨٨/٥ ، والقرطبي ٣١٤/٩ ، والثعلبي ١٣٤/٧ .

(٤) تنوير المقباس ١٥٨ ، والثعلبي ١٣٤/٧ .

(٥) الطبري ١٤٤/١٣ ، والثعلبي ١٣٤/٧ ، وزاد المسير ٣٢٦/٤ ، والقرطبي ٣١٥/٩ ، والبحر المحيط ٣٨٨/٥ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْكَ اللَّهُ يُصِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قال ابن عباس ^(١) : « يريد عن دينه » ، يعني كما أضلكم بعدما رأوا من الآيات وحرّمكم الاستدلال بها ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴾ أي رجع إلى الحق ، قاله الزّجاج ^(٢) ، وإنما يرجع إلى الحق من يشاء الله ، فكأنه قال : ويهدي إليه من يشاء ، كما قال : ﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٣) في مواضع .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال الزّجاج ^(٤) : « (الذين) في موضع نصب ردّاً على (من) ، المعنى : يهدي الله الذين آمنوا ، ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ » ، قال ابن عباس ^(٥) : « يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت ، وإذا سمعوا ذكر الله أحبوه واستأنسوا به » ، ونحو هذا قال مقاتل ^(٦) ، وقال أبو إسحاق ^(٧) : « أي إذا ذكروا الله وحده آمنوا به غير شاكين ، بخلاف من وصف بقوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [الزمر : ٤٥] » .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ قال ابن عباس ^(٨) وغيره : « يريد قلوب المؤمنين » ، قال الزّجاج ^(٩) : « لأن الكافر غير مطمئن القلب » ، وذكرنا الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ في سورة الأنفال [٢] .

(١) تنوير المقياس ١٥٨ ، وزاد المسير ٣٢٦/٤ ، والقرطبي ٣١٥/٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣ .

(٣) يونس ٢٥ ، وإبراهيم ٤ ، والنحل ٩٣ ، وفاطر ٨ ، والمدثر ٣١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣ وفيه : « يهدي إليه » .

(٥) تنوير المقياس ١٥٨ ، بنحوه .

(٦) تفسير مقاتل ١٩١ أ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٤٧/٣ . بنحوه .

(٨) زاد المسير ٣٢٧/٤ ، والقرطبي ٣١٥/٩ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١٤٨/٣ .

٢٩. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ روى معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى شَجَرَةٍ غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل، وإن أغصانها لُتري من وراء سور الجنة»^(١) فعلى هذا طوبى اسم تلك الشجرة، وهو قول أبي هريرة^(٢)، ومغيث بن سمي^(٣) وعبيد بن عمير^(٤) ومقاتل^(٥) ووهب^(٦) وأبي صالح^(٧) وعكرمة^(٨) وابن عباس^(٩) في رواية عطاء والكلبي^(١٠)، كل هؤلاء قالوا: إنها شجرة في الجنة، ووَصَفَ كلُّ منها صفةً يطول ذكرها.

- (١) أخرجه الطبري ١٤٩/١٣ وعلق عليه أحمد شاكر بقوله: «وهذا خبر هالك الإسناد، وحسبه ما فيه من أمر (محمد بن زياد) ولم أجده عند غير الطبري، قلت: وقد ترجم لمحمد بن زياد بقوله: كذاب خبيث يضع الحديث» اهـ. وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر ١١١/٤.
- (٢) الطبري ١٤٧/١٣، وعبدالرزاق ٣٣٦/٢، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٦٤٣/٤، والثعلبي ١١٣٥/٧، وزاد المسير ٣٢٧/٤.
- (٣) الطبري ١٤٧-١٤٩، والثعلبي ١١٣٥/٧، وزاد المسير ٣٢٨/٤، وابن أبي شيبة ٦٩/٨.
- (٤) الثعلبي ١١٣٥/٧.
- (٥) تفسير مقاتل ١٩١، والثعلبي ١١٣٥/٧.
- (٦) الطبري ١٤٨/١٣، وأبو الشيخ كما في الدر ١١٣/٤ وابن أبي حاتم كما في الدر ١١٤/٤، والثعلبي ١٣٥/٧ ب.
- (٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٦٩/٨، وانظر: الدر ١١٥/٤، والثعلبي ١٣٦/٧ ب، وزاد المسير ٣٢٨/٤.
- (٨) روى الطبري ١٤٦/١٣ عن عكرمة: «(طوبى لهم): نعم ما لهم». وأخرجه ابن أبي شيبة هناد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ١١١/٤، وروى عنه أيضاً ١١١/٤، «(طوبى لهم) قال: الجنة». وانظر: زاد المسير ٣٢٨/٤، والقرطبي ٣١٦/٩.
- (٩) الطبري ١٤٧/١٣، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٨/٢.
- (١٠) تنوير المقباس ١٥٨، والثعلبي ١٣٦/٧ ب.

وقال أبو عبيدة^(١) والزَّجَّاج^(٢) وأهل اللغة^(٣) : «(طوبى) فعلى من الطيب» .

قال ابن الأنباري^(٤) : «يعني أن تأويلها : الحال المستطابة لهم ، وأصلها : (طيبى) فصارت الياء واواً لسكونها وانضمام ما قبلها ، كما تقول في : موسر وموقن ، قال : وهذه الكلمة غير مبنية على (أفعل) كالأولى والكبرى ، ولذلك جاز أفرادها من الألف واللام ومن الإضافة نحو : سعدى وقربى وزلفى» ، وعلى هذا معنى طوبى في اللغة : الغبطة وبلوغ أقصى الأمنية والسؤل ، وأنشد^(٥) :

وَطُوبَى لِمَنْ يَسْتَبْدِلُ الطَّوْدَ بِالْقُرَى

وَرِسَالاً يَيْقُطِينَ الْعِرَاقَ وَفُومَهَا

قال الأزهري^(٦) : «والعرب تقول : طوبى لك . وطوباك لحن لا تقوله العرب» ، وهذا قول أكثر النحويين ، إلا الأخفش^(٧) فإنه قال : «من العرب من يضيفها فيقول : طوباك» .

قال أبو بكر^(٨) : «(طوباك) مما^(٩) يلحن فيه العوام ، والصواب : طوبى لك» ، وهذا الذي ذكرنا من قول أهل اللغة مذهب جماعة من المفسرين .

(١) لم أجده في مجاز القرآن ١/ ٣٣٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٤٨ .

(٣) تهذيب اللغة (طاب) ٣/ ٢١٤٧ ، واللسان (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ .

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٢٨ .

(٥) بلا نسبة في الزاهر ١/ ٥٥٨ ، واللسان (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ . الرسل : اللبن ، والطود : الجبل ، واليقطين : القرع ، والفوم : الخبز والحنطة ، ويقال : الثوم .

(٦) في (ح) : (ممن) .

(٧) تهذيب اللغة (طاب) ٣/ ٢١٤٧ .

(٨) معاني القرآن ٢/ ٥٩٧ .

(٩) اللسان (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ ، والزاهر ١/ ٥٥٧ .

قال ابن عباس^(١) في رواية الوالبي : «(طوبى لهم) : فرح وقرة أعين» ، وروى معمر عن قتادة^(٢) قال : «طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك إن فعلت كذا وكذا ؛ أي أصبت خيراً» ، وقال عكرمة^(٣) : «(طوبى لهم) نعمى لهم» .

وروى سعيد عن قتادة^(٤) قال : «الحسنى لهم» .

وقال الضحاك^(٥) : «غبطة لهم» ، وقال الزَّجَّاج^(٦) : «العيش الطيب لهم» ، فهذا الذي ذكرنا ، قولان في هذه الكلمة ، أحدهما : أنها اسم شجرة ، والثاني : أنها فعلى من الطيب .

وفيها قول ثالث وهو : ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس^(٧) : «طوبى اسم الجنة بالحبشة» ، وقال الربيع^(٨) وسعيد بن مشجوج^(٩) : «اسم الجنة بلغة الهند» ، وعلى هذا الكلمة مما وقع فيه الوفاق بين لغة العرب ولغة غيرهم من الهند أو الحبشة .

(١) الطبري ١٣/١٤٦ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١١٠ ، ١١١ .

(٢) الطبري ١٣/١٤٦ .

(٣) زاد المسير ٤/٣٢٨ ، والقرطبي ٩/٣١٦ .

(٤) زاد المسير ٤/٣٢٨ ، والقرطبي ٩/٣١٦ ، والطبري ١٣/١٤٦ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ١٣/١١١ .

(٥) الطبري ١٦/٤٣٥ ، وزاد المسير ٤/٣٢٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ١٣/١١١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٨ .

(٧) الطبري ١٣/١٤٦ ، وزاد المسير ٤/٣٢٨ ، والقرطبي ٩/٣١٦ وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/١١١ ، والمهذب للسيوطي ١١٥ ، والمغرب للجواليقي ٢٢٦ .

(٨) القرطبي ٩/٣١٦ .

(٩) الطبري ١٣/١٤٧ ، وزاد المسير ٤/٣٢٨ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١١١ ، والمهذب ١١٥ ، والمغرب ٢٢٦ .

٣٠. قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ ﴾ قال الحسن^(١) وغيره : «أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك» ، ﴿ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِا أُمَمٌ ﴾ قال ابن عباس^(٢) : «في قرن قد خلت من قبلها قرون» ﴿ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن ، ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ قال : «وذلك أن رسول الله ﷺ كان في الحجر يدعو ، وأبو جهل يسمع إليه ، وهو يقول : يا رحمن ، فلما سمعه يذكر الرحمن ولّى مدبراً إلى المشركين ، وقال لهم : إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة ، وهو يدعو إلهين ، يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يقال له : الرحمن ، فأنزل الله هذه الآية»^(٣) .

وقوله : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ قال مقاتل^(٤) وابن جريج^(٥) و قتادة^(٦) : «نزل هذا في صلح الحديبية ، أرادوا كتاب الصلح ، فقال النبي ﷺ لعلي : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال المشركون : ما^(٧) اكتب باسمك اللهم» .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي ﴾ أي قل لهم يا محمد : إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته ، هو إلهي وسيدي ، لا إله إلا هو .

(١) القرطبي ٣١٧/٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣٠٨/٢ .

(٢) انظر : فتح البيان ٥٧/٧ .

(٣) نقله في زاد المسير ٣٢٩/٤ عن الواحدي ، وانظر : القرطبي ٣١٨/٩ .

(٤) تفسير مقاتل ١٩١/أ ، وزاد المسير ٣٢٩/٤ ، والقرطبي ٣١٧/٩ ، والثعلبي ١٣٧/٧ .

(٥) زاد المسير ٣٢٩/٤ ، والقرطبي ٣١٧/٩ ، والطبري ١٣/١٥٠ وابن جريج عن مجاهد ، وابن المنذر كما في الدر ١١٦/٤ ، والثعلبي ١٣٧/٧ .

(٦) الطبري ١٣/١٥٠ ، وزاد المسير ٣٢٩/٤ ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر ١١٦/٤ ، والثعلبي ١٣٧/٧ .

(٧) بياض في النسخ جميعها ، وفي البخاري (٤١٨٠) ، (٤١٨١) في كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، وأحمد ٣٣٠/٤ وفيه : «فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب : باسمك اللهم» . وفي الطبري ١٣/١٥٠ عن مجاهد : «ما ندرى ما الرحمن اكتب باسمك اللهم» .

٣١. قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ الآية ، قال المفسرون ^(١) : قالت قریش للنبي ﷺ : إن كنت كما تقول فباعد عنا أخشبي هذه . يعنون جبلها فإنها ضيقة ، حتى نتخذ فيها قطائع وبساتين ، واجعل لنا ^(٢) فيها عيوناً وأنهاراً حتى نغرس ونزرع ، وابعث لنا آباءنا من الموتى يكلمونا ويخبرونا أنك نبي ، فأنزل الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ أي جعلت تسير ، ﴿ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴾ أي شققت ، فجعلت أنهاراً وعيوناً . وقيل : معناه : هو أنهم قالوا له : اجعلنا يخرج أحدنا إلى الشام أو إلى اليمن أو الحيرة ويرجع في ليلة ، كما خبرت أنك فعلته . فعلى هذا معنى (قطعت) من قطع المسافة ﴿ أَوْ كُفِّرَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ ؛ أي أُحْيُوا حتى كلموا ، وجواب (لو) محذوف : لَسَيَّرَ مَوْضِعُهُ ، وتلخيصه : ولو أن قرأنا فعل به ما التمسوا لكان هذا القرآن ، فلما عرف تأويله حذف اختصاراً ، هذا قول الفرّاء ^(٣) والزجاج ^(٤) وابن الأنباري وأكثر أهل العلم .

وقال الفرّاء : « وإن شئت جعلت جوابها متقدماً على تقدير : وهم يكفرون بالرحمن ، ولو أنزلنا عليهم ما سألوا » ^(٥) قال أبو بكر : « يعني به : هم يكفرون بالرحمن ، ولو أنزلنا عليهم الذي سألوا » ، قال أبو بكر ^(٦) : « يعني به : هم يكفرون ولو فعل بهم ذلك ، كما تقول : قد كنت هالكاً لولا أن فلاناً أنقذك ، يريد لولا

(١) روى الطبري ١٣ / ١٥١ ، ١٥٢ نحو هذا عن قتادة والضحاك وابن زيد وفي تفسير كتاب الله العزيز

٣٠٩ / ٢ عن الحسن .

(٢) (لنا) مكررة في (أ) .

(٣) معاني القرآن ٢ / ٦٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٤٨ .

(٥) روى الطبري ١٣ / ١٥١ نحو هذا القول عن ابن عباس ومجاهد وعبدالله بن كثير .

(٦) زاد المسير ٤ / ٣٣١ .

إنقاذه إياك لهلك» ، قال : «وهذا ضعيف ، لأنه ليس يكتر في كلامهم : زرتك لو زرتني ، وقصدتك لو قصدتني ، وهو على ضعفه غير خارج عن الصواب» .

وقال الزجاج^(١) : «والذي أتوهمه أن المعنى : (ولو أن قرآنًا - إلى قوله - الموتى) لما آمنوا» ، قال : «ودليل هذا القول [قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ إلى قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام : ١١١] ، فجعل الجواب المضمّر هاهنا ما أظهر في^(٢)] قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا﴾ وهو قوله : ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ ، وهذا الذي ذكره هو قول ابن عباس^(٣) قال في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّا قُرْءَانًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ «يريد : لو قضيت أن لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ، ولا على الأرض إلا تخرقت ، ولا على الموتى إلا حيوا وتكلموا ، ما آمنوا ، لما سبق عليهم في علمي» .

وذكر الكسائي^(٤) في جواب ﴿لَوْ﴾ هاهنا وجوهاً فاسدة يطول ذكرها وبيان فسادهما فتركناها .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ معنى بل : نفي الأول وإثبات الثاني ، كأنه يقول : دع ذلك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره ، فالأمر لله جميعاً ، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا ، وإذ لم يشأ لا ينفع تسيير الجبال ، وما اقترحوا من الآيات ، وسياق الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله : ﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِصْ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ، قال ابن عباس^(٥) في رواية عطاء : «أفلم يعلم» ، وقال

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٨/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج) .

(٣) الطبري ١٥١/١٣ نحوه . وانظر : الدر المنثور ١١٧/٤ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٧٢/٢ قال : «قال الكسائي : المعنى وددنا لو أن قرآنًا سيرت به الجبال فهذا بغير حذف» اهـ .

(٥) الطبري ١٥٤/١٣ ، وزاد المسير ٣٣١/٤ ، والقرطبي ٣٢٠/٩ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ١١٨/٤ .

في ما روى الكلبي عنه^(١) أيضاً: «يئس : يعلم في لغة النَّخَع» ، وهذا قول أكثر المفسرين ، مجاهد^(٢) والحسن^(٣) وقتادة^(٤) وابن زيد^(٥) ، واختلف أهل اللغة في هذا .

وقال أبو عبيدة^(٦) والليث^(٧) : «ألم يئس : ألم يعلم» ، وأنشد أبو عبيدة^(٨) :

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيَّاسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمَ
بمعنى : ألم يعلموا ، وأنشد الليث^(٩) :

أَلَمْ تَيَّاسِ الْأَقْوَامَ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيَا
وقال قطرب^(١٠) : «يئس : بمعنى علم ؛ لغة العرب» ، وأنشد البيت .

(١) تنوير المقباس ١٥٨ ، والطبري ١٣/١٥٣ ، وزاد المسير ٤/٣٣١ ، والثعلبي ٧/١٣٨ أ .

(٢) الطبري ١٣/١٥٥ ، والقرطبي ٩/٣٢٠ .

(٣) زاد المسير ٤/٣٣١ ، والقرطبي ٩/٣٢٠ .

(٤) الطبري ١٣/١٥٥ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١١٨ ، وزاد المسير ٤/٣٣١ .

(٥) الطبري ١٣/١٥٥ ، وأبو الشيخ كما في الدر ٤/١١٨ ، وزاد المسير ٤/٣٣١ .

(٦) مجاز القرآن ١/٣٣٢ .

(٧) تهذيب اللغة (يئس) ٤/٣٩٩١ .

(٨) في مجاز القرآن ١/٣٣٢ نسبه لسحيم بن وثيل اليربوعي . وانظر : اللسان ٨/٤٩٤٦ ، وكان وقع عليه سبأ فضرب عليه بالسهم ، وفي اللسان ٨/٤٩٤٦ له أولولده جابر بن سحيم . وفي البحر المحيط ٥/٣٩٢ لسحيم ، وغير منسوب في المعاني الكبير ٢/١١٤٨ لابن قتيبة ، وفي المسير والقداح ٣٣ ، والطبري ١٣/١٥٣ ، والقرطبي ٩/٣٢٠ ونسبه لمالك بن عوف النصري ، ومشكل القرآن ١٩٢ ، وزهدم : فرس سحيم ، والكشاف ٢/٣٦٠ ، وتهذيب اللغة (يأس) ٤/٣٩٩١ ، والحجة ٤/٤٣٧ ، ومقاييس اللغة ٦/١٥٤ ، وديوان الأدب ٣/٢٥٨ ، والمخصص ١٣/٢٠ .

(٩) اختلف في نسبة البيت ، فنسبه القرطبي ٩/٣٢٠ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٣٩٢ إلى رياح بن عدي . وانظر : المحتسب ١/٣٥٧ ، والدر المصون ٧/٥٣ ، والطبري ١٣/١٥٣ ، والحجة ٤/٤٣٨ ، وأساس البلاغة (يئس) بلا نسبة .

(١٠) انظر : الطبري ١٣/١٥٣ ، وتهذيب اللغة (يئس) ٤/٣٩٩١ .

وقال الكسائي^(١) : « ما وجدت العرب تقول : يئست ، بمعنى علمت » ، قال : « وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لأمر^(٢) العلم ، وذلك أن المشركين لما طالبوا رسول الله ﷺ بهذه الآيات اشرب المسلمون بذلك ، وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الإيمان ، فقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَأْتِئِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ كأنه قال ألم يعلموا علماً يئأسوا معه من أن يكون غير ما علموه ، وهو أن الله لو شاء لهداهم من غير ظهور هذه الآيات ، فأضمر العلم هاهنا مع اليأس ، كما أضمر في قولهم : يئست من غلامي أن يفلح ، وتأويله : يئست من غلامي علماً مني أنه لا يفلح ، وتلخيصه : قد علمت أن غلامي لا يفلح علماً أيأسني من غيره » ، وهذا قول الفرّاء^(٣) سواء .

وقال أبو إسحاق^(٤) ثابتاً على هذا المعنى : « القول عندي أن معناه : أفلم يئأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء ؛ لأن الله لو شاء لهدى الناس جميعاً » .

قال أبو بكر ابن الأنباري : « وهذا القول مأخوذ من قول الكسائي والفرّاء وأبي إسحاق ، هو معنى وليس بتفسير ، كما قال الفرّاء هو في المعنى على تفسيرهم ، أي أن المعنى يؤول إلى ما ذكروا ؛ لأن العلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه » . ويدل على أن المراد هاهنا العلم ، ما روي أن ابن عباس كان يقرأ^(٥) : (أفلم تئأس الذين

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٩٨/٣ ، والبحر المحيط ٣٩٢/٥ .

(٢) كذا في جميع النسخ ولعلها : (لا من العلم) .

(٣) معاني القرآن ٦٣/٢ ، ٦٤ . وهو كذا في النسخ ، ولعل الصواب (وهذا وقول الفرّاء سواء) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٤٩/٣ .

(٥) في الطبري ١٥٤/١٣ أن ابن عباس كان يقرأها (أفلم يتبين) . . . إلخ ، وأخرجه ابن الأنباري في المصاحف كما في الدر ٦٥٣/٤ .

وقد روى الطبري ١٥٤/١٣ عن علي نحوه . وقد علق الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - على هذا الأثر وبين صحة إسناده . وأخبر أنه كتب رسالة مستقلة حول هذا الأثر المشكل وأشباهه .

وانظر : الثعلبي ١٣٨/٧ ، وزاد المسير ٣٣١/٤ ، والقرطبي ٣٢٠/٩ وعلق بقوله : « وهو باطل عن

ابن عباس ؛ لأن مجاهدًا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي =

آمنوا)، فقيل له: ﴿أَلَمْ يَأْتِيسَ﴾ فقال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، يريد أنه كان في الخط بتاءين، فزاد الكاتب سينة واحدة فصار (بيئس) فقرأ ييس.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَّوْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قال أبو علي^(١): «﴿أَنْ﴾ هاهنا مخففة من الثقيلة وفيه ضمير القصة، والحديث على تقدير: أنه لو يشاء، كقوله: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ﴾ [الزمل: ٢٠] و﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩]. على ذلك حسن وقوع الفعل بعدها، لفصل الحرف بينهما وهو لو ولا والسين».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ قال ابن عباس^(٢) في رواية عطاء «عذاب»، قال المفسرون^(٣): أراد أنهم تصيبهم بما صنعوا، والحرب^(٤) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة داهية تفرعهم، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والجذب.

عمرو، وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم إن معناه: أفلم يتبين، فإن كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءتنا تقع عليها، وتأتي بتأويلها، وإن أراد الله المعنى الآخر الذي اليأس فيه ليس من طريق العلم فقد سقط مما أوردوا» اهـ.

وقال أبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٣٩٣: «وهذه القراءة ليس قراءة تفسير لقوله ﴿أَلَمْ يَأْتِيسَ﴾ كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري، بل هي قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ، وليست مخالفة للسواد، إذ كتبوا (بيئس) بغير صورة الهمة، وهذه قراءة فتيينوا وفتشبتوا، وكلتاها في السبعة، وأما قول من قال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد» اهـ.

وقال الزمخشري في كشافه ٢/ ٣٦٠: «وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمين عليه، لا يغفلون عن جلالته ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء، هذه والله فرية ما فيها مرية» اهـ.

(١) الحجة ٤/ ٤٣٨.

(٢) الطبري ١٣/ ١٥٦، وابن مردويه كما في الدر ٤/ ١١٩، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢.

(٣) الطبري ١٣/ ١٥٥، والثعلبي ٧/ ١٣٨ ب، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢، والقرطبي ٩/ ٣٢١.

(٤) (والحرب) كذا في النسخ جميعها، ولعل هذه اللفظة في السطر الذي يليه كما في الوسيط. «بما صنعوا من كفرهم، وأعمالهم الخبيثة داهية تفرعهم، ومصيبة شديدة من الأسر والقتل والحرب والجذب».

قال أبو إسحاق^(١) : «ومعنى (قارعة) في اللغة : نازلة تنزل بأمر عظيم» .

وروي عن ابن عباس^(٢) أيضاً في تفسير القارعة أنها السرايا التي كانت يبعث رسول الله ﷺ إليهم ، وهو اختيار الفرّاء^(٣) . ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ ، التاء خطاب للنبي ﷺ في قول ابن عباس^(٤) والفرّاء^(٥) والأكثرين ، وقال قتادة^(٦) : «هي القارعة» ، وهو قول الحسن^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد القيامة» ، وهو قول الحسن ، وقال قتادة^(٨) : «يعني فتح مكة» .

٣٢ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ذكرنا معنى الاستهزاء في أول سورة البقرة^(٩) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٩/٣ .

(٢) الطبري ١٥٥/١٣ ، والفريابي وابن مردويه كما في الدر ١١٩/٤ ، والثعلبي ١٣٨/٧ ب .

(٣) معاني القرآن ٦٤/٢ .

(٤) الطبري ١٥٦/١٣ ، والطبري ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل كما في الدر ١١٩/٤ ، والثعلبي ١٣٨/٧ ب .

(٥) معاني القرآن ٦٤/٢ .

(٦) الطبري ١٥٧/١٣ ، والثعلبي ١٣٨/٧ ب ، والقرطبي ٣٢١/٩ .

(٧) الطبري ١٥٧/١٣ ، وعبدالرزاق ٣٣٧/٢ ، وزاد المسير ٣٣٢/٤ ، والقرطبي ٣٢١/٩ .

(٨) عبدالرزاق ٣٣٧/٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣١٠/٢ ، والقرطبي ٣٢١/٩ .

(٩) عند قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [آية : ١٤] ، وقال : «الهزاء : السخرية ، يقول : هزئ به يهزأ ، وتهزأ به واستهزأ به ، وهو أن يظهر غير ما يضمّر استصغاراً وعبثاً» .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة ، قال ابن عباس : « ليتدادوا في معاصي الله » ، وذكرنا معنى الإملاء عند قوله : ﴿ أَنْتُمْ تَمْلِكُ لَهُمْ حَيْرٌ لَا أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ ؛ أي بالعقوبة ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ قال ابن عباس ^(٢) : « يريد كيف رأيت ما صنعت بمن استهزأ برسلي ، كذلك أصنع بمشركي قومك » ، قال المفسرون : الآية تسلية للنبي ﷺ ، عما يلقي من سفهاء قومه من الكفر والاستهزاء ؛ بأنه قد قيل لأنبياء قبلك مثل هذا ، فاصبر كما صبروا حتى أذيق المستهزئين بك العذاب الأليم كُشِّتِي في الكذابين المستهزئين .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الآية ، قال ابن عباس ^(٣) : « يريد نفسه تبارك وتعالى » ، قال ابن الأنباري ^(٤) وغيره : « وصف الله تعالى بالقيام ، ليس يراد به الانتصاب ^(٥) الذي هو من صفة الأجسام ، ولكن معناه التولي لأمر خلقه والتدبير للأرزاق والأجال وإحصاء الأعمال والجزاء ، كقوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، أي والباء كذلك ^(٦) ، وقد يراد القيام في اللغة ^(٧) ولا يراد به الانتصاب ، كما يقال : فلان قائم بأمر الأيتام ، يعنون بالقيام الولاية

(١) آل عمران ١٧٨ . قال هنالك : (معنى) (أمل) في اللغة نطيل ونؤخر ، والإملاء : الإمهال والتأخير ،

قال ابن عباس : قوله : ﴿ أَنْتُمْ تَمْلِكُ لَهُمْ حَيْرٌ لَا أَنْفُسِهِمْ ﴾ يريد : تماديه في معاصي الله .

(٢) القرطبي ٣٢٢ / ٩ .

(٣) الطبري ١٣ / ١٥٩ ، وابن مردويه كما في الدر ٤ / ١١٩ ، وزاد المسير ٤ / ٣٣٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٣١١ عن الحسن .

(٤) زاد المسير ٤ / ٣٣٣ . بنحوه .

(٥) لم يرد دليل على نفي الانتصاب ، فالنفي يحتاج إلى دليل ، كما أن الإثبات كذلك .

(٦) في (ب) : (لذلك) .

(٧) انظر : مقاييس اللغة ٥ / ٤٣ ، وتهذيب اللغة (قوم) ٣ / ٢٨٦٤ .

لأموهم» ، والمعنى هاهنا : أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس بجزء ما كسبت ، وتلخيصه : أفمن هو مجاز كل نفس بما كسبت ، وحكى أبو بكر عن بعض اللغويين أن معناه : أفمن هو عالم بكسب كل نفس واحتج بقول الشاعر^(١) :

فَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَعَزَّةٌ سَرَقْتُمْ ثِيَابَ الْبَيْتِ وَاللَّهُ قَائِمٌ

أراد : والله عالم ، قال أبو بكر : «وهذا القول أثبت» ، قال الفرّاء^(٢) وغيره : «وحذف خبر (من) لبيان موضعه» ، وتلخيصه : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر .

قال الفرّاء : «قد بينه ما بعده إذ قال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ كأنه في المعنى : كشركائهم^(٣) الذين اتخذوهم» ، وقال صاحب النظم : جواب قوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ ﴾ مضمّن^(٤) في ما بعده ؛ لأنه لما قال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ صار بدلالته على الجواب كأنه ذكر ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الزمر: ٢٢] ، ولم يجرى له جواب حتى قال : ﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ فصار هذا يدل على الجواب ؛ لأن تأويله : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن قلبه قاس .

وقوله^(٥) : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ وقع هذا موقع جواب (أفمن) على ما ذكره الفرّاء في المعنى .

(١) لم اهتد إلى قائله ، وهو غير منسوب في النكت والعيون ٣/ ١١٤ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٢ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٦٤ .

(٣) في (ح) : (كثير كأهم) .

(٤) في (ب) : (مضمّر) .

(٥) في (ب) : (وقوله تعالى) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ ليس يريد بهذا أن يذكروا أسماءهم التي جعلوها لهم كاللات والعزى ؛ لأنه لا يكون في هذا احتجاج عليهم ، ولكن المعنى سموهم بما يستحقون من الأسماء التي هي صفات ، ثم انظروا هل تدل صفاتهم على أنه يجوز أن يعبدوا أم لا ؟ وهذا تنبيه على أنهم مبطلون ؛ لأن المعنى يؤول إلى أن الصنم لو كان إلهاً لتصور منه أن يخلق ويرزق ويحيي ويميت ، ولحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق ، فكأن الله تعالى قال : قل سموهم بإضافة أفعالهم إليهم إن كانوا شركاء ^(١) لله تعالى ، كما يضاف ^(٢) إلى الله تعالى أفعاله بالأسماء الحسنى ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ يجوز أن يكون (أم) هاهنا عاطفة على استفهام متقدم في المعنى ، وذلك أن قوله : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ معناه : ألهم أسماء الخالقين ؛ لأن المراد في أمرهم بالتسمية الإنكار عليهم أنه ليس للأصنام أسماء الخالقين ولا صفاتهم ، والإنكار صورته صورة الاستفهام . ويجوز أن يكون (أم) استفهاماً مبتدأ به منقطعاً مما قبله كقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ [يونس : ٣٨] وليس قبله استفهام ، وذكرنا هذا قديماً ، وتأويل الآية هاهنا : فإن سموهم بصفات الخالقين قل أتتبعونه بما لا يعلم في الأرض ؟ ومعنى هذا : أنهم كانوا يزعمون أن الله شركاء ، والله تعالى لا يعلم لنفسه شريكاً ، فقال : أتتبعون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه ؟

ومعنى ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ ؛ أي بما يعلم أنه ليس . فالنفي وإن دخل على العلم ؛ فالمراد به نفي ذلك المعلوم ؛ لأنه لا يجوز أن ينتفي العلم عن الله تعالى ، وقال صاحب النظم : «وقد قيل : إن (يعلم) هاهنا فصل عطّل عن المعنى ، (ولا) بمنزلة ليس ، على تأويل : أم تتبعونه بما ليس في الأرض ، وخص الأرض بنفي

(١) في (ب) : (شركاء الله) .

(٢) في (ب) : (كأنصاف) .

(٣) زاد المسير ٤ / ٣٣٣ . بنحوه .

الشريك عنها ، وإن لم يكن له شريك في غير الأرض ، لأنهم ادعوا له شركاء في الأرض لا في غيرها» .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَظَاهِرُ مِنَّ الْقَوْلِ ﴾ يعني أم يقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له ، والباء في قوله : ﴿ يَظَاهِرُ ﴾ لا يكون من صلة الشبه ، بل هي من صلة القول المضمرة على معنى : أم يقولون بظاهر من القول ، وفسر الظاهر هاهنا تفسيرين أحدهما : أن معناه أنه كلام ظاهر ، وليس له في الحقيقة باطن ومعنى رجوع إلى حقيقة ، والثاني أن معناه الباطل الزائل ^(١) ، من قولهم ^(٢) ظهر عني هذا العيب ، أي لم يعلق بي ، ونبا عني ، ومنه قول أبي ذؤيب ^(٣) :

وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا

أي باطل وزائل ، وهذا الوجه اختيار صاحب النظم .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴾ معنى (بل) هاهنا كأنه يقول دع ذكر ما كنا فيه ؛ زين لهم مكرهم ، كقول لبيد ^(٤) :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا

(١) تفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٣١١ وذكر عن الكلبي نحوه .

(٢) تهذيب اللغة (ظهر) ٣ / ٢٢٥٩ .

(٣) البيت في شرح أشعار الهذليين للسكري ١ / ٧٠ ، وصدده :

وَعَيْرَهَا الْوَأْشُونَ أَنِّي أَحْبُّهَا

وفي اللسان (ظهر) ٥ / ٢٧٦٩ ، (وشكا) ٤ / ٢٣١٤ ، والتنبيه والإيضاح ٢ / ١٥٩ ، وتاج العروس

(ظهر) ٧ / ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٢٧٢ ، وتهذيب اللغة ٣ / ٢٢٥٩ ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة

(ظهر) ٣ / ٢٢٥٩ ، ومجمل اللغة ٢ / ٦٠٣ .

(٤) ديوانه ١٦٦ ، وتهذيب اللغة (سبب) ٢ / ٦٠٦ ، (سبب) ٣ / ٢٩٩٤ ، واللسان (قطع) ٦ / ٣٦٧٤ ،

وبلا نسبة في اللسان (سبب) ٤ / ١٩١٠ ، وتاج العروس (سبب) ٢ / ٦٦ .

كأنه كان في ذكر شيء فتركه وعاد إلى ذكر هذه المرأة ، كذلك الله تعالى ترك ذكر الاحتجاج عليهم ، وبين سبب كفرهم وإقامتهم على ذلك ، بقوله : ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد زين الشيطان لهم الكفر» ، ففسر المكر بالكفر ؛ لأن مكرهم بالرسول وبما جاء به كفر منهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ قال ابن عباس^(٢) : «وصدهم الله عن سبيل الهدى» ، وضم الصاد قراءة^(٣) أهل الكوفة ، واختيار أبي عبيد^(٤) ، قال : «لأنه قراءة أهل السنة ، وفيه إثبات القدر»^(٥) ، يعني أن تفسيره يكون على ما ذكره ابن عباس ، وهذه القراءة حسنة لمشكلة ما قبلها من بناء الفعل للمفعول ، ومن قرأ بفتح الصاد فالمعنى : أنهم صدوا غيرهم عن الإيمان ، يقال : صد وصددته ، مثل : رجع ورجعته ، ودليل هذه القراءة قوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [النحل : ٨٨ ، ومحمد : ١] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الوقف على هذا بسكون الدال من غير إثبات ياء قراءة أكثر^(٦) القراء ، وكذلك : وال ، وواق ، وهو الوجه ، لأنك تقول في الوصل : هذا قاض وهاد وواق ، فتحذف الياء لسكونها والتقاءها مع التنوين ، فإذا وقفت فالتنوين يحذف في الوقف (في

(١) زاد المسير ٤/ ٣٣٣ . نوار : اسم امرأة . نأت : ابتعدت . تقطعت أسبابها : حبالها . والرمام : الحبال

الضعاف التي خلقت ، والقرطبي ٩/ ٣٢٣ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢٠/ ٣١١ عن مجاهد .

(٢) تنوير المقباس ١٥٨ بنحوه ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٤ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٣ .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وَصُدُّوا) بفتح الصاد ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي (وَصُدُّوا) بالضم .

انظر : السبعة ٣٥٩ ، والإتحاف ١٣/ ١٦١ ، والطبري ١٦/ ٤٦٧ ، والقرطبي ٩/ ٣٢٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٣ ، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٥ .

(٤) في (أ) و(ج) : (أبي عبيدة) . بالهاء .

(٥) الثعلبي ٧/ ١١٣٩ .

(٦) الحجة ٥/ ٢٣ ، ٢٤ . بنحوه . وعامة القراء على هذه القراءة ، وابن كثير وحده يقف على الهاء . انظر : السبعة ٣٦٠ .

الرفع والجر ولا يبدل منه شيء ، والياء قد كانت انحذفت في الوصل ، فيصادف الوقف^(١) الحركة التي هي كسرة في عين فاعل ، فتحذفها كما تحذف سائر الحركات التي تقف عليها ، فإذا حذفتها سكن الحرف في الوقف ، كما كانت تسكن سائر المتحركات فيه ، فيصير : داع وهاد ، وكان ابن كثير يقف بالياء : هادي ووالي وواق^(٢) ، ووجه ذلك ما حكى سيبويه أن بعض من يوثق به من العرب يقول : هذا داعي وعمي ، فيقفون بالياء ، ووجه ذلك أنهم كانوا حذفوا الياء في الوصل ، لالتقاءها مع التنوين ساكنة ، وقد أمن^(٣) في الوقف أن يلحق التنوين ، فإذا أمن الذي^(٤) كان الياء حذفت في الوصل من أجل التقائها ، ردت الياء فصار : هذا قاضي وداعي^(٥) ، ومن ثم قال الخليل في نداء قاض ونحوه : يا قاضي ، بإثبات الياء ؛ لأن النداء موضع لا يلحق فيه التنوين ، فإذا لم يلحق لم يلتق ساكن مع التنوين ، فيلزم حذفها فثبتت الياء في النداء ، لما أمن من لحاق التنوين فيه كما يثبت مع الألف واللام ، لما أمن التنوين معها ، في نحو (المتعالي) [الرعد ٩] و(دعوة الداعي) [البقرة: ١٨٦] ، والأول أكثر في استعمالهم^{(٦)(٧)} .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس^(٨) : «يريد الإسقام والقتل والأسر» ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ ؛ أي أشد وأغلظ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب) .

(٢) انظر : السبعة ٣٦٠ .

(٣) في (ب) : (أمر) .

(٤) في الحجة : «فإذا أمن التنوين الذي كانت الياء حذفت في الوصل من أجل التقائها معها في الوصل» .

(٥) في الحجة : «هادي ، والأول أكثر في استعمالهم» .

(٦) في الحجة : «كذلك تثبت في النداء لذلك» .

(٧) آخر النقل عن الحجة ٢٣/٥ ، ٢٤ . بنحوه .

(٨) الثعلبي ١٣٩/٧ ، وزاد المسير ٤/٣٣٤ ، والقرطبي ٩/٣٢٤ من غير نسبة .

قال أهل المعاني : المشقة غلظ الأمر على النفس ، بما يكاد يصدع القلب ، فهو من الشق بمعنى الصدع . ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ ﴾ ؛ أي من عذاب الله ﴿ مِنْ وَاقٍ ﴾ ؛ أي حاجز ومانع يمنعهم ذلك ، يقال : وقاه الله السوء يقيه وقياً ، أي دفعه عنه ، ومثله الوقاية ، ويقال لكل ما يدفع الأذية : وقاً ووقاية ، حتى النعل وقاية للرَّجُل ، ومعنى قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ أن عذاب الآخرة لا يدفعه عنهم دافع ، وأنهم فيه خالدون .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ الآية ، اختلفوا في معنى قوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ وفي وجه ارتفاعه ، فقال سيبويه^(١) : « المعنى : في ما نقص عليكم مثل الجنة في ما نقص عليكم ، فرفعه عنده على الابتداء والخبر محذوف » ، هذا حكاية الزَّجَّاج عنه^(٢) ، وقال ابن الأنباري^(٣) محققاً هذا القول : « المثل خبره مضمّر قبله ، يراد به : في ما نصف لكم مثل الجنة ، في ما نقصه من القرآن خبر الجنة ، والمثل (على هذا القول معناه الحديث نفسه ، قاله الليث)^(٤) . واحتج بهذه الآية وقال : « (مثلها) هو الخبر^(٥) » ، وهذا القول اختيار أبي العباس ، قال أبو بكر : « سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يذكر هذا ويصححه » .

وقال المبرّد^(٦) في كتاب المقتضب : « التقدير : في ما يتلى عليكم مثل الجنة » ، واختار أبو علي الفارسي هذا القول ودفع ما سواه ، وقال : « المثل في الآية بمعنى

(١) القرطبي ٩ / ٣٢٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٤٩ .

(٣) زاد المسير ٤ / ٣٣٤ .

(٤) تهذيب اللغة (مثل) ٤ / ٣٣٤١ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(ج) .

(٦) المقتضب ٣ / ٢٢٥ ، ونقله عنه الأزهري في التهذيب (مثل) ٤ / ٣٣٤١ .

الشبه ، وتعلق قوله : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ بما قبله على وجه التفسير له ^(١) ، كما أن قوله : ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] تفسير للمثل ، وكما أن قوله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ [المائدة : ٩] الجملة الثانية تفسير للوعد ، ومن ذلك قوله : ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] الجملة الثانية تفسير للوصية ، وكذلك ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ ﴾ [محمد : ١٥] و ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الرعد : ٣٥] تفسير للمثل ، ومثله قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ [إبراهيم : ١٨] فقوله : ﴿ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ تفسير للمثل .

وقال قوم : المثل هاهنا بمعنى الصفة ، قالوا : ومعناها صفة الجنة التي وعد المتقون ، قال محمد بن سلام ^(٢) : « أخبرني عمر ^(٣) بن أبي خليفة قال : سمعت مقاتلاً صاحب التفسير يسأل أبا عمرو بن العلاء عن قوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ما مثلها ؟ قال : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قال : ما مثلها ؟ فسكت أبو عمرو . قال : فسألت يونس عنها ، فقال : مثلها صفتها ، قال محمد بن سلام : « ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] أي صفتهم » ، قال الأزهري ^(٤) : « ونحو ذلك روي عن ابن عباس » ، وأما جواب أبي عمرو لمقاتل ، فإنه أجابه جواباً مقنعاً ، ولما رأى نبوة فهم مقاتل عما أجابه ، سكت عنه ، لما وقف عليه من غلظة فهمه ، وأراد أبو عمرو : صفتها أن الأنهار تجري من تحتها ، وأن فيها أنهاراً من ماء غير آسن .

(١) (له) : ساقط من (ج) .

(٢) تهذيب اللغة (مثل) ٤ / ٣٣٤١ .

(٣) في (ب) : (عن) .

(٤) تهذيب اللغة (مثل) ٤ / ٣٣٤١ .

قال ابن الأنباري : «وعلى هذا القول المثل ابتداء وخبره ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ . وهو الرفع له ؛ لأن المثل معناه الصفة ، وصفة الجنة في المعنى قول مقول ، وكلام معقول مفهوم ، فجرى مجرى القول في صفة الجنة تجري من تحتها الأنهار ، كما تقول : قولي بقول عبيد الله ، وقولي ينصفك الأمير ، (فيكون : ينصفك الأمير)^(١) خبر القول ، ولا ذكر له فيه ، لأنه بمعنى قولي هذا الكلام ، فسَدَّ (ينصفك الأمير) مَسَدَّ هذا الكلام ، وسَدَّ (تجري من تحتها الأنهار) مَسَدَّ مثل الجنة ، هذا الوصف الذي تخبرون به ، وهذا الوصف الذي تسمعون» ، هذا كلام أبي بكر ، وقال ابن قتيبة^(٢) : «معنى المثل : الشبه في أصل اللغة ، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته ، وكذلك المثل والتمثال ، يقال : مثلت لك كذا ، أي صورته ووصفته»^(٣) ، فأراد الله بقوله : (مثل الجنة) ؛ أي صورتها وصفتها ، ومثله قوله : ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح : ٢٩] ؛ أي ذلك وصفهم ، لأنه لم يضرب لهم مثلاً في أول الكلام ، ويؤيد هذا المعنى ما حكاه الفراء^(٤) بإسناده ، أن علياً رضي الله عنه - قرأ : (أمثال الجنة) ، قال الفراء : «يقول : صفات الجنة ، فجمع الأمثال لما أتت بعدها أوصاف ، ومثل هذا من الكلام قول العرب : حلية فلان أسمر . أي القول في وصفه هذا ، فأسمر يرتفع بإضمار هو» .

وأنكر المبرِّد^(٥) هذا القول ، وقال : «من قال : إن معناه صفة الجنة ، فقد أخطأ ، (مثل) لا يوضع موضع صفة ؛ إنما يقال : صفة زيد أنه ظريف وأنه عاقل ، ولا يقال : زيد مثل فلان ، إنما المثل مأخوذ من المثل ، والصفة تحلية ونعت» .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب) و(ج) .

(٢) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٥ .

(٣) إحدى الواوین ساقطة من (ب) .

(٤) معاني القرآن ٦٥ / ٢ ، والقراءة في الكشف ٣٦٢ / ٢ .

(٥) تهذيب اللغة (مثل) ٣٣٤١ / ٤ .

قال أبو علي^(١) : «قول من قال : معنى (مثل الجنة) ؛ صفة الجنة ، غير مستقيم ، ودلالة اللغة تدفع ذلك ، ولا يوجد المثل في اللغة بمعنى الصفة ، إنما معنى المثل الشبه ، في جميع مواضعه ومتصرفاته ، من ذلك قولهم : ضربت مثلاً ، فالمثل إنما هو الكلمة التي يرسلها قائلها محكمة^(٢) ليشبه بها الأمور ، ويقابل بها الأحوال ، ومن ذلك قولهم للقصاص : المثال ، وتمثل العليل ، إذا تقاربت أحواله أن تشابه أحوال الصحة ، والطريقة المثلى ، إنما هي المشبهة الصواب ، ولن يقدر أحد أن يوجدنا استعمال العرب المثل بمعنى الصفة في كلامهم . والذين قالوا : المثل هاهنا بمعنى الصفة ، قوم من رواة اللغة غير مدفوعي القول إذروا شيئاً عن أهل اللغة ، ولم يقولوه من جهة النظر والاستدلال ، وقولهم : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة ، لم يرووه عن^(٣) رواية ، إنما قالوه متداولين^(٤) ، ولم يرووه عن أهل اللسان ولا أسندوه إليهم ، فهذا امتناعه من جهة اللغة ، ولا يستقيم أيضاً من جهة المعنى ، ألا ترى أن (مثل)^(٥) إذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام : صفة الجنة فيها أنهار ، وهذا قول غير مستقيم ؛ لأن الأنهار في الجنة نفسها ، لا في صفتها ، وصفتها لا يجوز أن يكون فيها أنهار ، وأيضاً فإنه إذا احتل المثل على معنى الصفة ، وأجري في الإخبار عنه مجراها ، وأنت الراجع إليه الذي هو (فيها) في سورة محمد ﷺ ، و﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في هذه السورة ، فقد حمل الاسم على المعنى فأنت ، وهذا قبيح ضعيف يجيء في ضرورة الشعر . نحو : (ثلاث

(١) النقل من الإغفال للفارسي ٩١٠ / ٢ .

(٢) في الإغفال ٩١٢ / ٢ : «محكية» .

(٣) (عن) ساقط من : (ب) .

(٤) في الإغفال ٩١٤ / ٢ : «متأولين» .

(٥) في الإغفال ٩١٤ / ٢ : «أن مثلاً» .

شخصاً^(١)، عشر أبطن^(٢)، وإذا كان كذلك لم يسع^(٤) الحمل على ما قالوه، ولأن خبر المبتدأ لا يخلو من أن يكون المبتدأ في المعنى، أو يكون له فيه ذكر، وليس قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من أحد الخبرين، فلم يكن خبر المبتدأ ما ذكره، ولكن ما ذهب إليه سيبويه^(٥) من أن المعنى: في ما نَقُصُّ عليكم مثل الجنة، فقال قوم: قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خبر عن المضاف إليه، وهو الجنة، يرى الخبر عن المضاف الذي هو مثل، ومثل ذلك جائز في الكلام، كقوله^(٦):

لَوْ أَنَّ عُصْمَ عَمَائَتَيْنِ وَيَذْبُلِ سَمِعًا حَدِيثُكَ أَنْزَلَا الْأَوْعَالَ^(٧)

فأخبر عن العمائتين بقوله: سمعا، ولم يخبر عن العُصْمِ. قال أبو علي: «لا يجوز أن يُذكر اسمٌ ولا يخبر عنه، ويترك متعلقاً^(٨) مضرباً عن الحديث عنه، ولم يجيء ذلك عندنا في شيء من كلامهم، وليس تأويل هذا البيت على ترك الإخبار عن المضاف،

(١) (شخص) ساقط من (ج).

(٢) هذه قطعة من بيت لعمر بن أبي ربيعة، والبيت بتمامه:

فَكَانَ مَجْتَمِعِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثَ شُخُوصٍ كَاعْبَانٍ وَمُعَصِرٍ

انظر: سيبويه ٢/٢٠٤، والخصائص ٢/٤١٧، والأشموقي ٣/٦٣٠، وديوانه: ٣/١ ط. أوروبا، والمذكر والمؤنث للمبرّد ١٠٨-١١٣، والإنصاف ٦١٩، وأوضح المسالك: ٢٤٨-٢٥٠، والمقتضب ٢/١٤٨، والمخصص ٩/٤، ١٧/١١٧، والخزانة ٣/٣١٢.

(٣) هذه قطعة من بيت لرجل يقال له النواح من بني كلاب، والبيت بتمامه:

فَإِنَّ كَلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشْرِ

المخصص ١٢/١٥٤، وسيبويه ٢/٢٠٣، والمذكر والمؤنث للمبرّد ١٠٨، والعين ٤/٤٨٤.

(٤) في (ج): (يسمع).

(٥) انظر: الكتاب ١/٩٠.

(٦) البيت لجرير بن عطية الخطفي. انظر: ديوانه ٣٦٠، طبعة نعمان وفيه: (سمعت حديثك أنزل الأوعالا)، وشرح ابن عيش ١/٤٦، والمخصص ٨/١٦٨ غير منسوب، والأشباه والنظائر ٥/٦٥، وأمالى ابن الحاجب ٢/٦٦٠، وسر صناعة الإعراب ١/٤٦٢، وجمع الهوامع ١/٤٢.

(٧) في (ج): (الأومالا).

(٨) في الإغفال ٢/٩١٨: (معلقاً).

وإنما المعنى : لو أن عصم عمايتين ، وعصم يذبل ، فحذف المضاف^(١) يجري ذكره ، والدلالة عليه بالإخبار عنه بعده ، وأجري الإخبار عنها على لفظ الشبه إذ كانا جميعين^(٢) ، لأنها أجريا مجرى القبيلين ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَلْسَمُونَكَ وَالْأَرْضَ كَانَتْكُمْ رَتْقًا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩] وكقوله^(٣) :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا توفى المَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِيَا

وأبو بكر بن الأنباري يقوي هذه الطريقة ، ويقول : «يجوز أن يذكر اسمان ثم يخبر عن الثاني ، ويسد الخبر عن الثاني مسد الخبر عن الأول ، كما قالوا : كأنك بالدينا لم تكن وبالأخرة لم تزل ، فجعلوا الخبر عن الدنيا خبراً عن الكاف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِصْنَ ﴾ [البقرة : ٢٣٤] صرف خبر الذين إلى الأزواج » ، وذهب قوم إلى أن المثل دخل توكيداً للكلام ، والمعنى : الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ، فأكد الكلام بالمثل ، كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] أي كهو ، وعلى هذا المثل يكون لغواً وزيادة كما تقول في الفصل في قوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة : ٥ ، ١٢] . وقوله تعالى : ﴿ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

قال أبو علي : «كون المثل لغواً والحكم عليه بهذا فاسد غير سائغ^(٤) ؛ لأنه لا دلالة عليه ولا شاهد له ، والقياس على الفصل غير جائز لقلته ، ولأن الفصل مضمّر غير معرب ، وقد قامت الدلالة على أن الفصل لا موضع له من

(١) في الإغفال ٩١٨/٢ : «فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لم يجر في ذكره ، والدلالة عليه به ، وبالأخبار الذي يجيء عنه بعده . . .» .

(٢) في الإغفال ٩١٨/٢ : (واحد إذا كانا جميعين) .

(٣) القائل هو الأسود بن يعفر . ديوانه ٢٦ ، وخزانة الأدب ٥٧٥/٧ ، وشرح شواهد المغني ٥٥٣/٢ ، ومغني اللبيب ٢٠٤/١ (يوفي المنية) بدل (توفي المخارم) ، وخزانة الأدب ٣٨٥/٣ (يوفي) ، والمفضليات ٢١٦ (يوفي) ، ومنتهى الطلب ٨١/١ (كليهما) ، والسمط (يوفي) ١٧٤/١ ، ٢٦٨ .

(٤) في (ب) : (غير شائع) .

الإعراب ، و(مثل الجنة) مظهر معرب فلا يشبه الفصل ، ألا ترى أن (مثل) هاهنا يرتفع^(١) بالابتداء ، (وإذا ارتفع بالابتداء)^(٢) ، فقد اقتضى خبراً لآية^(٣) يرتفع بكونه مُحَدَّثاً عنه ، كما يرتفع الفاعل بذلك ، فلو جاز وجود مبتدأ لا خبر له ، لجاز وجود فاعل لا فعل له ، وإذا استحال هذا في الفاعل كان استحالته في الابتداء مثله .

وأما قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فليس مثل لغواً ، إنما الكاف الملغى عندنا ، والحكم بزيادة الكاف أولى ، لأنه حرف ، والحرف يكون زيادة كثيرة ، وليس الأسماء بمنزلة ، وقد وجدت الكاف زائدة في مواضع كقول رؤبة^(٤) :

لَوْاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَّقِ وَ... كَكَمَا يُؤَثِّفِينَ^(٥)

(١) في الإغفال ٢/ ٩٢٠ : (لا يرتفع) بزيادة (لا) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ج) .

(٣) في الإغفال ٢/ ٩٢٠ : (خبراً لأنه) .

(٤) ديوانه ١٠٦ ، والعين ٣/ ٢٩٠ ، والخزانة ٤/ ٢٦٦ ، وسر صناعة الإعراب ٢٩٢ ، وبغير نسبة في المقتضب ٤/ ٤١٨ ، والمسائل البغداديات ٤٠٠ .

قاله يصف خيلاً . لواحق : ضوامر . والأقرب : جمع قرب ، والقرب الخاصرة .

(٥) البيت لخطام المجاشعي ، ولعل قبله سقطاً وأوله :

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثِّفِينَ

انظر : الكتاب ١/ ١٣ ، ٢٠٣ ، ٣٣١/ ٢ ، والمغني ٤/ ٥٩٢ ، والخزانة ١/ ٣٦٧ ، وغير منسوب في معاني الأخفش ٣٠٣ ، والمقتضب ٢/ ٩٥ ، ومجالس ثعلب ٣٩ ، وسر صناعة الإعراب ٢٨٢ ، والمحتسب ١/ ١٨٦ . والصاليات : الأثافي ، وهي من صليت بالنار ؛ أي أحرقت حتى اسودت . ويؤثفين : يجعلن أثافي للقدر .

وقول لبيد^(١) :

..... في مِرْفَقَيْهَا كَالْفَتَل

وإذا كان كذلك كان الحكم بزيادة الكاف أولى ، بل لا يجوز غيره ، فيكون المعنى : ليس مثله شيء ، وقال أبو إسحاق^(٢) : «والذي عندي - والله أعلم - أن عرفنا أمور الجنة التي لم نرها ولم نشاهدها ، بما شاهدنا من أمور الدنيا وعائنا ، فالمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون جنة تجري من تحتها الأنهار» ، قال أبو علي^(٣) : «وهذا أيضاً ليس بمستقيم ، ألا ترى أن المثل لا يخلو عن أن يكون الصفة ، كما قال قوم ، أو يكون من معنى المشابهة والتشبه^(٤) كما قلنا ، وفي كلا القولين لا يصح ما قال ، لو قلت : صفة الجنة جنة لم يصح ، لأنها لا تكون الصفة ؟ وكذلك لو قلت : شبه الجنة جنة ، ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المماثلين ، وهو حدث ، والجنة غير حدث ؟ وإذا كان كذلك الأول لا يكون الثاني ، والصحيح في هذه الآية ما قاله سيبويه^(٥) ، واعترض ابن الأنباري أيضاً على قول أبي إسحاق بأن قال : «لا يجوز أن يحذف من الآية جنة ، وهي منونة ؛ لأن الاسم لا يخلفه الفعل المستقبل ، لا يجوز أن تقول : مررت بيقوم ، على معنى : مررت برجل يقوم» .

(١) ديوانه ١٣٩ ، والبيت بتمامه :

تَجَاوَزْتُ وَتَحْتِي جَسْرَةٌ حَرَجٌ فِي مِرْفَقَيْهَا كَالْفَتَلْ

تجاوزت : قطعت المسافة ، والجسرة : الناقصة الضخمة الطويلة التي لا تتركب ، وحرَج : لا تتركب ولا يضربها الفحل ، والفتل : الاندماج في المرفقين مع تباعد عن الجنب .

وانظر : اللسان (حرج) ٢ / ٨٢١ ، و(فتل) ٦ / ٣٣٤٣ ، وتهذيب اللغة ١ / ٧٧٥ ، وكتاب العين ٣ / ٧٧ ، وتاج العروس (حرج) ٣ / ٣٢١ ، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١ / ٢٦٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٠ .

(٣) الإغفال ٢ / ٩٢٤ .

(٤) في (ب) : (والشبه) وهو الصحيح كما في الإغفال ٢ / ٩٢٤ ، وفي (ح) : (والتشبيه) .

(٥) إلى هنا انتهى النقل عن الإغفال ٢ / ٩١١ - ٩٢٤ بتصرف وزيادة وحذف .

وقال بعض النحويين : (مثل الجنة) مبتدأ وخبره محذوف ، وتقديره : مثل الجنة التي هي كذا وكذا أجل مثل ، وقال مقاتل^(١) : «معنى الآية شبه الجنة التي وعد المتقون في الخير والنعمة والخلود والبقاء كشبه النار في العذاب والشدة والخلود» ، وعلى هذا الآية متصلة بما قبلها ، ويصير في التقدير ، كأنه قال : ولعذاب الآخرة أشق مثل الجنة ؛ أي في الدوام والخلود .

وقوله تعالى : ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ ﴾ قال الحسن^(٢) : «يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار تنقطع في غير أزمنتها» ، وقيل : أراد أن النعمة بأكلها لا تنقطع بموت ولا غيره من الآفات .

وقوله تعالى : ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ ؛ أي أنه^(٣) لا يزول ولا تنسخه الشمس^(٤) .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ الآية . قال المفسرون^(٥) : «إن عبد الله بن سلام والذين آمنوا معه من أهل الكتاب ، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ففرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب ، وكفر المشركون بالرحمن ، وقالوا : ما نعرف الرحمن إلا رحمن الياومة» ، فأنزل الله هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ يعني : الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ ، ﴿ مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ ﴾ يعني ذكر الرحمن ، وهم كانوا ينكرون جميع ما ينزل عليه ؛ إلا أن إنكارهم لهذا أشد ؛ لأنهم كانوا يعرفون اسم الله فلا ينكرون ذكره ،

(١) تفسير مقاتل ١٩٢ أ .

(٢) زاد المسير ٣٣٤ / ٤ .

(٣) (أنه) ساقط من (ج) .

(٤) زاد المسير ٣٣٤ / ٤ .

(٥) الثعلبي ١٣٩ / ٧ ب ، وزاد المسير ٣٣٥ / ٤ ، والقرطبي ٣٢٦ / ٩ .

وأنكروا ذكر الرحمن فذلك قوله : ﴿ وَمِنَ الْأَخْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ وهذا الذي ذكرنا معنى قول ابن عباس^(١) في رواية الوالبي .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ شبه إنزاله حكماً عربياً بما أنزل إلى من تقدم من الأنبياء ، أي كما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلسانهم ، كذلك أنزلنا إليك القرآن ، والكناية في قوله : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ تعود إلى ما في قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني القرآن .

وقوله تعالى^(٢) : ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ قال ابن عباس^(٣) : « يريد ما حكم عن الفرائض في القرآن » ، فعلى هذا يريد أحكام القرآن ، وجعله عربياً ؛ لأنه جار على مذاهب العرب في كلامها .

وقال غيره^(٤) : أراد بالحكم العربي القرآن كله ؛ لأنه به يفصل بين الحق والباطل ، فهو من هذا الوجه حكم ؛ لأنه به يحكم ، وقال بعضهم^(٥) : عني بالحكم العربي الدين الذي أتى به النبي ﷺ جعله حكماً ؛ لأنه يحكم به ، وجعله عربياً ؛ لأنه أتى به عربياً فنسب الدين إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ الآية . قال المفسرون^(٦) : وذلك أن المشركين دعوه إلى ملّة آبائه ، فتوعده الله على اتباع هواهم ، قال عطاء عن

(١) تنوير المقياس ١٥٩ .

(٢) (تعالى) ساقط من (ب) .

(٣) زاد المسير ٣٣٦/٤ « قال : يريد ما فيه من الفرائض » .

(٤) القرطبي ٣٢٧/٩ ، والبحر المحيط ٣٩٧/٥ .

(٥) قال به أبو عبيدة ، مجاز القرآن ١/٣٣٤ ، وزاد المسير ٣٣٦/٤ .

(٦) زاد المسير ٣٣٦/٤ .

ابن عباس : «يريد مخاطبة لأصحابه ، فأما النبي ﷺ فمعصوم» ، فعلى هذا ، الخطاب للنبي (١) ﷺ والمراد به غيره (٢) .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الآية .

قال الكلبي (٣) : «عيرت اليهود النبي ﷺ ، وقالت : ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله هذه الآية ، يقول : قد أرسلنا رسلاً من قبلك فجعلناهم بشراً لهم أزواج فنكحوهن ، وأولاد أنسلوهم» .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلا بإطلاقه له الآية ، قال أهل المعاني : يعني أن حاله كحال الرسل الذين تقدموا ، وأمره في الآيات جار على طريقتهم ، في أنهم كانوا لا يأتون بآية إلا بإذن الله (٤) ربهم ، لا على تحكم العباد بأهوائهم .

وقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ؛ أي لكل أجل قدره الله تعالى ، ولكل أمر قضاء الله كتاب أثبت فيه ، فلا يكون آية إلا بأجل قد قضاها الله في كتاب ، والمعنى : لأجل كل أمر ووقته كتابة مثبتة ، لا يتقدم ذلك الأمر على وقته الذي كتب له ولا يتأخر عنه ، هذا معنى قول أكثر المفسرين (٥) ، وقال الفراء (٦) : «جاء

(١) ما بين القوسين مكرر في (ب) .

(٢) البحر المحيط ٣٩٧/٥ .

(٣) تنوير المقباس ١٥٩ ، والبحر المحيط ٣٩٧/٥ ، وزاد المسير ٣٣٦/٤ ، والقرطبي ٣٢٧/٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣١٣/٢ .

(٤) لفظ الجلالة ساقط من (ب) .

(٥) الطبري ١٣/١٦٥ ، والثعلبي ٧/١٤٠ ، وزاد المسير ٣٣٧/٤ ، والقرطبي ٣٢٨/٩ .

(٦) معاني القرآن ٦٥/٢ .

التفسير : لكل كتاب أجل مؤجل ووقت معلوم ، وعنده أن هذا من المقلوب ، والمعنى فيهما واحد ، وهذا مذهب مقاتل ^(١) .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّثُ﴾ الآية ، المحو ^(٢) ذهاب أثر الكتابة ، يقال : محاه يمحو ويمحاه أيضاً محواً ، وطوى تقول : محيته محياً ، وأمحي الشيء وامتحى ، إذا ذهب أثره .

وقوله تعالى : ﴿وَيُثَبِّثُ﴾ قال النحويون ^(٣) أراد ويثبت . واستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، كقوله تعالى : ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرِينَ﴾ [الأحزاب : ٣٥] . وقول الشاعر ^(٤) :

بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ

تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلِيٍّ وَتَحْسِبُ

فلم يعمل الثاني .

(١) تفسير مقاتل : (١٩٢أ) . وإلى هذا القول ذهب الضحاك في ما روى عنه الطبري ١٦٥ / ١٣ .

وقد تعقب هذا القول أبو حيان فقال : «ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر ، وأما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب ، بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه ، إذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية ؛ كالجنة ونعيم أهلها لا أجل لها» اهـ . البحر المحيط ٣٩٧ / ٥ .

(٢) تهذيب اللغة (محا) ٣٣٤٧ / ٤ .

(٣) الحجة ٢٠ / ٥ .

(٤) الكميت يمدح آل البيت ، انظر : المحتسب ١ / ١٨٣ ، والخزانة ٤ / ٥ ، والعين ٢ / ٤١٣ ، والهمع ١ / ١٥٢ ، والدرر ١ / ١٣٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : (٦٩٢) ، والمقاصد النحوية ٤١٣ / ٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ قرئ^(١) بالتخفيف والتشديد، فمن خفف ذهب إلى أن الإثبات ضد المحو، لا التثبيت، فلما كان في مقابلة المحو كان التخفيف أولى من التشديد، ولأن التشديد للكثير، وليس القصد بالمحو الكثير، وكذلك ما يكون في مقابلته، ومن يشدد احتج بقوله: ﴿وَأَشَدَّ تَنْبِيْثًا﴾ [النساء: ٦٦]. وقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]؛ لأن يثبت مطاوع ثبت. واختلفوا في تفسير هذه الآية، فذهب قوم إلى أنها عامة في كل شيء، كما يقتضيه ظاهر اللفظ، وقالوا: إن الله تعالى يمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة، وهو مذهب عمر^(٢) وابن مسعود^(٣) وابن وائل^(٤)، وهؤلاء كانوا يدعون الله أن يثبتهم سعداء، ويمحو شقاوتهم من الكتاب إن أثبت فيه، ويروى هذا عن النبي ﷺ، رواه أبو صالح عن عبد الله بن رثاب^(٥) عن جابر^(٦) مثل ما ذكرنا من المعنى.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ ساكنة الشاء خفيفة الباء، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: (٦٩٢)، والمقاصد النحوية ٤١٣/٢، وقرأ نافع وابن عامر وحزمة والكسائي (ويُثَبِّت) مفتوحة الشاء مشددة الباء.

انظر: السبعة ٣٥٩، وإتحاف ٢٧٠، وزاد المسير ٣٣٧/٤، والقرطبي ٣٢٩/٩.

(٢) الطبري ١٦٧/١٣، ١٦٨، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر ١٢٣/٤، والثعلبي ١١٤١/٧، وزاد المسير ٣٣٧/٤، والقرطبي ٣٣٠/٩، وتفسير كتاب الله العزيز ٣١٤/٢٠.

(٣) الطبري ١٦٨/١٣، وابن أبي شيبه في المصنف، وابن أبي الدنيا في الدعاء كما في الدر، وابن المنذر والطبراني كما في الدر ١٢٣/٤، والثعلبي ١١٤١/٧، وزاد المسير ٣٣٧/٤، والقرطبي ٣٣٠/٩.

(٤) الطبري ١٦٧/١٣، والثعلبي ١٤١/٧، وزاد المسير ٣٣٧/٤، والقرطبي ٣٣٠/٩.

(٥) عبد الله بن رباب، قال ابن فتحون في أوهام الاستيعاب عن ابن علي حسن بن خلف إنه أحد السبعة أو الثانية السابقين من الأنصار إلى الإسلام. انظر: الإصابة ٣٠٧/٢.

(٦) الطبري ١٦٨/١٣ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري عن النبي ﷺ، وعلق أحمد شاكر بقوله: «محمد بن السائب الكلبي النسابة المفسر، متكلم فيه بما لا يحتمل الرواية عنه». وهذا الخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى مختصراً ١١٤/٣، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٢٣/٤، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، ونقله ابن كثير في تفسيره ٥٧٠/٢.

وفي الثعلبي ١٤٠/٧، بالسند الذي ذكره الطبري خلافاً لما في المتن -هنا- حيث قال أبو صالح عن عبد الله بن رثاب عن جابر.

وانظر: الدر المنثور ١٢٣/٤.

وهذا قول ابن عباس^(١) في رواية سعيد بن جبير ، قال : «أم الكتاب عند الله من الشقاوة والسعادة ويمحو الله ما يشاء من ذلك ويثبت» ، وذهب قوم إلى أن هذه الآية خاصة في بعض الأشياء دون بعض ، فروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : «﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ إِلَّا الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ ، والموت»^(٢) ، ونحو هذا روي عن ابن عباس^(٣) وزاد في المستثنى ثلاثة أخرى : الخَلْقُ والخُلُقُ والرزق ، وقال مجاهد^(٤) في ما روى عنه منصور : «الشقاء والسعادة»^(٥) لا يغيران .

وقال ابن عباس^(٦) في رواية أبي صالح : «إن الذي يمحوه الله ويثبت ما يصعد به الحفظة مكتوباً على بني آدم ، فيأمر -جل وعز- أن يثبت عليه ما فيه ثواب وعقاب ، ويسقط عنه ما لا ثواب فيه ولا عقاب» ، وهذا القول اختيار الفراء^(٧) ، وقول الضحاك^(٨) والكلبي^(٩) .

(١) الطبري ١٦٨/١٣ .

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٧/٧ : «رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن جابر اليمامي ، وهو ضعيف من غير تعدد كذب» ، وقال السيوطي في الدر ١٢٣/٤ : «أخرجه الطبراني في الأوسط ، وابن مردويه بسند ضعيف ، وأخرجه الثعلبي بسنده ١٤٠/٧ ب» .

وروي عن ابن عباس ومجاهد نحوه كما سيأتي .

(٣) الثعلبي ١٤٠/٧ ب ، والقرطبي ٣٢٩/٩ ، وقد روى عن ابن عباس استثناء الشقاوة والسعادة والحياة والموت فقط . انظر : الطبري ١٦٦/١٣ ، ١٦٧ ، وزاد المسير ٣٣٧/٤ .

(٤) الطبري ١٦٦/١٣ ، وابن المنذر كما في الدر ١٢٥/٤ ، وزاد المسير ٣٣٨/٤ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣١٣/٢ .

(٥) في (ب) : زيادة واو (ولا يغيران) .

(٦) زاد المسير ٣٣٨/٤ ، وتنوير المقياس ١٥٩ ، والثعلبي ١٤٠/٧ ب .

(٧) معاني القرآن ٦٦/٢ .

(٨) زاد المسير ٣٣٨/٤ ، والثعلبي ١٤٠/٧ ب ، والقرطبي ٣٣١/٩ .

(٩) الطبري ١٦٨/١٣ ، والثعلبي ١٤١/٧ أ ، وزاد المسير ٣٣٨/٤ ، والقرطبي ٣٣١/٩ .

وقال آخرون : هذا المحو والإثبات في الآجال والأرزاق إذا ولد الإنسان أثبت أجله ورزقه ، وإذا مات محيا ، وهذا ^(١) القول يروى عن الحسن ^(٢) والقرظي ^(٣) .

وقال سعيد بن جبير ^(٤) وقتادة ^(٥) : «يمحو الله ما يشاء من الشرائع ، فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه» ، وهذا القول هو اختيار أبي علي ^(٦) ، قال : «هذا - والله أعلم - في ما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات ، فأما ما كان من غير ذلك فلا يمحي ولا يبدل ، وهذه الآية يجوز أن تكون مستأنفة غير متصلة بما قبلها ، ويجوز أن تكون متصلة ، على أن يكون قوله : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ﴾ من صفة النكرة التي هي قوله : ﴿الْكِتَابِ﴾ على تقدير : لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء من ذلك الكتاب ويثبت ، والراجع إلى النكرة محذوف» .

فإن قيل : ألستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جف به القلم ؟ وليس الأمر بأنف ؟ وكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات أيضاً مما جف به القلم ؟ فلا يمحو إلا ما سبق في حكمه وقضائه محوه ، وهذا معنى قوله : ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس ^(٧) : «يريد اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير منه شيء» ، هذا قوله في رواية عطاء وعكرمة ، ومعني (أم الكتاب) أصل الكتاب ، والعرب تسمي كل شيء ضم إليه سائر ما يليه أمّا ، من ذلك : أم الرأس ، وهو الدماغ ،

(١) في (أ) و(ب) : (وهو) .

(٢) الطبري ١٣/ ١٨٩ ، وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/ ١٢٦ ، والثعلبي ٧/ ١٤١ ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٨ ، والقرظي ٩/ ٣٣٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٣) الثعلبي ٧/ ١٤١ ب .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٤١ ب ، والقرظي ٩/ ٣٣١ .

(٥) الطبري ١٣/ ١٦٨ ، والثعلبي ٧/ ١٤١ ب ، والقرظي ٩/ ٣٣١ .

(٦) الحجة ٥/ ٢١ .

(٧) الطبري ١٣/ ١٧٠ ، والثعلبي ٧/ ١٤٠ ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٤ .

وأم القرى مكة ، وكل مدينة هي أم ما حولها من القرى ، وكذلك أم الكتاب هو أصل لكل ما كتب على ابن آدم ، وكل ما يجري من الكائنات والحادثات ، قال كعب^(١) : «علم الله ما هو خالقه ، وما خلّقه عاملون ، فقال لعلومه^(٢) : كن كتاباً ، فكان كتاباً» ، فهذا يدل على أن ما سبق في علمه أنه يمحي أو^(٣) يثبت فلا^(٤) يمحي في أم الكتاب ، وأن المحو والإثبات مما سبق به القضاء .

وهل يمحي من أم الكتاب أم لا ؟

يدل قول بعض المفسرين على أنه لا يمحي منه ، فقد قال عكرمة عن ابن عباس^(٥) : «هما كتابان : كتاب سوى أم الكتاب ، يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء» ، وقول أكثرهم يدل أنه يمحي منه ويثبت ، وهو قول قتادة^(٦) والضحاك^(٧) وابن جريج^(٨) في ما روى عن عطاء عن ابن عباس ، ونحوه روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال : «إن الله - سبحانه - في ثلاث ساعات ييقن من الليل ينظر في أم الكتاب الذي لا نظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء»^(٩) .

(١) الطبري ١٣ / ١٧٠ ، وعبدالرزاق ٢ / ٣٣٨ ، وابن كثير ٢ / ٥٧١ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٣١٤ .

(٢) في (أ) و(ج) : (لعومه) . هكذا بالجمع في الروايات ، وعند عبدالرزاق ٢ / ٣٣٨ من رواية ابن عباس عن كعب (. ثم قال لعلومه : كن كتاباً فكان كتاباً) .

(٣) في (ب) : بالواو (يمحي ويثبت) .

(٤) في (ب) : (ولا يمحي) .

(٥) الطبري ١٣ / ١٦٧ - ١٦٩ ، ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه كما في الدر ٤ / ٦٦٠ ، والثعلبي ٧ / ١٤٠ ب ، وزاد المسير ٤ / ٣٣٩ ، والقرطبي ٩ / ٣٢٩ .

(٦) الطبري ١٣ / ١٦٩ .

(٧) الطبري ١٣ / ١٦٨ ، والدر ٤ / ١٢٥ .

(٨) الطبري ١٣ / ١٦٩ .

(٩) الطبري ١٣ / ١٧٠ ، وعلق عليه أحمد شاكر : منكر ، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني كما في الدر ٤ / ١٢٢ ، وابن كثير ٢ / ٥٧٠ ، والثعلبي ٧ / ١٤٢ .

٤٠. قوله^(١): ﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ قال ابن عباس^(٢) والمفسرون^(٣): «من العذاب»، ﴿أَوْ تَوَفَّيْتِكَ﴾ قال^(٤): «يريد من قبل ذلك»، قال أهل اللغة: تقديره: أو نتوفينك قبل أن نريك^(٥) ذلك، فحذف اختصاراً، لاقتضاء الكلام له، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ قال ابن عباس: «يريد قد بلغت وعلينا الحساب»، قال: يريد إليّ مصيرهم فأجازيهم بأعمالهم، قال أبو إسحاق^(٦) وابن قتيبة^(٧): «أراد إن أريناك بعض الذي نعدهم في حياتك أو توفيناك قبل أن نريك ذلك، فليس عليك إلا أن تبلغ، كفروا هم به^(٨) أو آمنوا، وعلينا أن نجازي، والبلاغ^(٩) اسم يقام مقام التبليغ، كالسراج والأداء».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٤، ١٥٥: «رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والبزار بنحوه، وفيه زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث» اهـ.

- (١) في (ب) و(ج) زيادة: (تعالى).
- (٢) تنوير المقياس ١٥٩.
- (٣) الطبري ١٣٦/ ١٧٢، والثعلبي ٧/ ١٤٢ ب، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩، والقرطبي ٩/ ٣٣٣، وابن كثير ٤/ ٥٧١، والبحر المحيط ٥/ ٣٩٩.
- (٤) تنوير المقياس ١٥٩، وزاد المسير ٤/ ٣٣٩.
- (٥) في (ح): (نرينك).
- (٦) معاني القرآن وإعراجه ٣/ ١٥٠.
- (٧) مشكل القرآن وغريبه ٢٣٤.
- (٨) في (ح): سقط (به) فيكون: (كفروا هم أو آمنوا).
- (٩) تهذيب اللغة (بلغ) ١/ ٣٨٧.

٤١. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفار مكة^(١)، ﴿أَنَا نَافِي الْأَرْضِ﴾ يقصد أرض مكة، ﴿نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتوح على المسلمين منها، قال ابن عباس^(٢): «يريد ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك»، وقال الضحاك^(٣): «أَوَلَمْ يَرِ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَا نَفْتَحَ لِمُحَمَّدٍ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْقُرَى»، وقال مقاتل^(٤): «الأرض مكة، ونقصها من أطرافها غلبة المؤمنين عليها»، وهذا قول الحسن^(٥)، وقال أبو إسحاق^(٦): «أعلم الله أن بيان ما وعدوا من قهرهم وتعذيبهم قد ظهر وتبين، يقول: أولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، فكيف لا يعتبرون؟»، وقال الفراء^(٧): «أولم يَرِ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَا نَفْتَحَ عَلَيْكَ مَا حَوْلَهَا، أَفَلَا يَخَافُونَ أَنْ تَنَالَهُمْ»، وروي عن ابن عباس^(٨) في قوله: ﴿نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال: «موت علمائها وفقهائها، وذهاب خيار أهلها»، ونحو هذا قال

-
- (١) انظر: الطبري ١٧٢/١٣، والقرطبي ٣٣٣/٩، وتنوير المقباس ١٥٩.
- (٢) الطبري عن ابن عباس بلفظ قال: «أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض» ١٧٢/١٣، وابن مردويه كما في الدر ١٢٧/٤، وزاد المسير ٣٤٠/٤.
- (٣) الطبري ١٧٣/١٣، وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ١٢٧/٤. وأخرج عبد بن حميد نحوه في الدر ١٢٧/٤، وزاد المسير ٣٤٠/٤، والثعلبي ١٤٢/٧ ب.
- (٤) تفسير مقاتل ١٩٢، وزاد المسير ٣٤٠/٤.
- (٥) الطبري ١٧٣/١٣، وعبد الرزاق ٣٣٩/٢، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر ١٢٧/٤، والثعلبي ١٤٢/٧ ب، وتفسير كتاب الله العزيز ٣١٥/٢.
- (٦) معاني القرآن وإعرابه ١٥١/٣.
- (٧) معاني القرآن ٦٦/٢.
- (٨) عبد الرزاق وابن أبي شيبة ونعيم بن حماد في الفتن، وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه كما في الدر ١٢٦/٤، والثعلبي ١٤٣/٧ ب، والطبري ١٧٤/١٣، وزاد المسير ٣٤٠/٤، والقرطبي ٣٣٣/٩، وتفسير كتاب الله العزيز ٣١٥/٢.

مجاهد^(١)، وعلى هذا المراد بالأطراف الأشراف^(٢)، يقال للأشراف
الأطراف، قال الفرزدق^(٣):

وَاسْأَلْ بَنَّا وَبِكُمْ إِذَا وَرَدَتْ بِنَا^(٤) أَطْرَافُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ تَمْنَعُ
يريد أشراف كل قبيلة .

قال ابن الأعرابي^(٥): «الطَّرْفُ والطَّرْفُ من الرجال الكريم»، والتفسير على
القول الأول^(٦)؛ لأن هذا وإن صح لا يليق بهذا الموضع .

وقوله تعالى: ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ قال ابن عباس^(٧): «لا ناقض لحكمه»، وقال
الفراء^(٨): «لا راد لحكمه»، قال: «والمعقب الذي يكرُّ على الشيء ويتبعه، ولا يكرُّ
أحدٌ على ما أحكمه الله»، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿لَهُ مُعَقَّبَتٌ﴾ [الرعد: ١١] .

(١) عبدالرزاق ٣٣٩/٢، والطبري ١٣/١٧٤، وابن أبي شيبة كما في الدر ٤/١٢٦، وزاد المسير
٤/٣٤٠، والقرطبي ٩/٣٣٣ .

(٢) تهذيب اللغة (طرف) ٣/٢١٨١ .

(٣) ديوانه: ١/٤٢٤، وفيه:

وَاسْأَلْ بَنَّا وَبِكُمْ إِذَا وَرَدَتْ مِنِّي أَطْرَافُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ يَسْمَعُ

تهذيب اللغة (طرف) ٣/٢١٨، واللسان (طرف) ٥/٢٦٦٠، وفيه:

وَاسْأَلْ بَنَّا وَبِكُمْ إِذَا وَرَدَتْ مِنِّي أَطْرَافُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مَنْ يُمْنَعُ

(٤) في (ب): (منا) .

(٥) تهذيب اللغة (طرف) ٣/٢١٨١ .

(٦) وقد رجحه الطبري ١٣/١٧٤، وابن كثير ٢/٥٧٢، وأبو حيان في البحر المحيط ٥/٤٠٠ ولم يذكر
الزخشي إلا نحو هذا القول .

(٧) تنوير المقياس ١٥٩ .

(٨) معاني القرآن ٢/٦٦ .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ قال ابن عباس^(١) : «يريد سريع الانتقام» ، يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر ومجازاة الكافر بالانتقام منه ، وذكرنا الكلام في معنى سرعة حساب الله تعالى في سورة البقرة في قوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ [البقرة: ٢٠٢] .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ قال المفسرون^(٢) : يعني كفار الأمم الخالية مكروا بأنبيائهم ؛ مثل : نمرود مكر بإبراهيم ، وغيره من الكفار قبل مشرقي مكة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ يعني^(٣) أن مكر الماكرين له ، أي هو من خلقه ، وإرادته ، فالمكر جميعاً مخلوق له بيده الخير والشر ، وإليه النفع والضرر ، والمعنى أن المكر لا يضر إلا بإذنه وإرادته ، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ ، وأمان له من مكرهم ، كأنه قيل : قد فعل من قبلهم من الكفار مثل صنيعهم ولا ضرر عليك من مكرهم ؛ لأن جميع ذلك لله مخلوق ، فلا يضر إلا من أراد الله ضرره ، وذهب بعض الناس^(٤) إلى أن المعنى : فله جزاء المكر ، وذلك أنه لما مكروا بالمؤمنين ، بين الله تعالى وبال مكرهم عليهم ، فمجازاة^(٥) الله لهم ، والأول أظهر القولين ، يؤكداه قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ يريد أن جميع الاكتساب معلوم له ومخلوق ، وإذا كان بخلقه يظهر وبعلمه يحصل ؛ لم يقع ضرره إلا بإذنه ، وفيه وعيد للكفار الماكرين .

(١) القرطبي ٩/ ٣٣٤ .

(٢) الطبري ١٣/ ١٧٥ ، والثعلبي ٧/ ١٤٤ ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/ ٣١٦ .

(٣) انظر : الثعلبي ٧/ ١٤٤ ب ، وزاد المسير ٤/ ٣٤١ ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ .

(٤) الثعلبي ٧/ ١٤٤ ب ، والقرطبي ٩/ ٣٣٥ .

(٥) في (ب) : (بمجازاة) .

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَفَرُ﴾^(١) قال ابن عباس^(٢) : «يريد أبا جهل» ، وقال أبو إسحاق^(٣) : «الكافر اسم جنس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس» ، فعلى قول ابن عباس التوحيد للتخصيص ، وعلى قول أبي إسحاق التوحيد هاهنا كالجمع ، قال أبو علي^(٤) : «من قرأ (الكافر) جعله اسماً شائعاً ، كالإنسان في قوله : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] . وقد جاء فاعل يراد به اسم الجنس» ، أنشد أبو زيد^(٥) :

إِنْ تَبَخَّلِي يَا جَمْلُ أَوْ تَعَلِّي أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمُمُولِي

قال : «فهذا إنما يكون على الكثرة ، وليس المعنى على كافر واحد ، وزعموا أنه الألف^(٦) فيه ، وهذا الحرف إنما يقع في فاعل ؛ نحو خالد وصالح ، ولا يكاد يحذف في فُعَال» ، وهذا حجة لمن قرأ (الكافر) .

(١) هكذا (الكافر) في النسخ جميعها ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمة والكسائي ﴿الْكُفْرُ﴾ على الجمع .

انظر : السبعة ٣٥٩ ، والحجة ٢١ / ٥ ، والإتحاف ٢٧٠ ، والطبري ١٣ / ١٧٥ ، وزاد المسير ٤ / ٣٤١ ، والقرطبي ٩ / ٣٣٥ .

(٢) في (ج) إقحام (إسحاق) ، فيكون (قال ابن إسحاق عباس) .

(٣) زاد المسير ٤ / ٣٤١ ، والقرطبي ٩ / ٣٣٥ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٠١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥١ .

(٥) الحجة ٥ / ٢٢ مختصراً .

(٦) أنشده سيبويه ٢ / ٨٢ ، ونسبه إلى رجل من بني أسد ، وورد في النوادر ٥٣ ضمن أبيات من مشطور السريع منسوباً إلى منظور بن مرثد الأسدي ، واللسان (عهل) ٥ / ٣١٥٢ ، والحجة ١ / ١٥١ .

(٧) في الحجة : (أنه لا ألف فيه) .

ومن^(١) قرأ (الكفار) أراد جميع الكفار ولا إشكال فيه ، وحجته قراءة من قرأ^(٢) : (وسيعلم الذين كفروا) وقراءة من قرأ^(٣) (وسيعلم الكافرون) قال عطاء^(٤) : «يريد المستهزئين وهم خمسة ، والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون» .

وقوله تعالى : ﴿لَمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ الجار^(٥) مع المجرور في موضع نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه مسد مفعولي العلم ، فصار كقولك : علمت لمن الغلام . والكلام^(٦) في (عقبي الدار) قد مضى في موضعين من هذه السورة^(٧) .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ . قال الزَّجَّاج^(٨) : «الباء في موضع رفع مع الاسم ، المعنى : كفى الله ، وشهيداً منصوب على التمييز» ، والكلام في مثل هذا قد مضى قديماً ، وقال غيره من النحويين : إنما جاز : كفى بالله ، في موضع كفى الله ، لتحقيق إضافة الفعل ، وذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله ، بمعنى : أنه أمر به ، أزيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد ، ونظيره في تأكيد الإضافة قوله : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] ، ومعنى ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي^(٩) : بما أظهر من الآيات ، وأبان من الدلالة على صحة نبوتك ؛ لأنه لا يشهد بصحة نبوته إلا على هذه الصفة .

(١) في (أ) : (وأملينها) .

(٢) نسب الطبري هذه القراءة إلى أبي ١٣ / ١٧٥ ، ونسبها مكي في الكشف ٢ / ٢٣ إلى أبي ، وفي البحر المحيط ٥ / ٤٠١ كذلك .

(٣) نسب الطبري هذه القراءة إلى ابن مسعود ١٣ / ١٧٥ وكذا أبو حيان في البحر المحيط ٥ / ٤٠١ .

(٤) البحر المحيط ٥ / ٤٠١ .

(٥) نقل عن الحجة ٥ / ٢١ ، ٢٢ .

(٦) (والكلام) ساقط من (أ) و(ج) .

(٧) آية ٢٢ ، ٢٤ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥١ .

(٩) زاد المسير ٤ / ٣٤١ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ قال مجاهد^(١) : «هو الله عز وجل» ، واختار أبو إسحاق^(٢) هذا القول ، قال : «لأن الأ شبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره» .

قال أبو بكر : «فعلى هذا القول عطف (من) على اسم الله تعالى ، وهو لزيادة معنى في المعطوف ، كما تقول : قام عبدالله والظريف العاقل ، وجلس زيد والذي يفوق في الخير أصحابه ، فيعطفون الثاني على الأول ، لما يريد فيه من معنى المدح» .

وقال ابن عباس^(٣) وقتادة^(٤) : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ يعني الذين آمنوا من اليهود والنصارى ، منهم عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وتميم الداري .

وأنكر سعيد بن جبير^(٥) أن يكون عبدالله بن سلام من هذه الجملة ؛ لأن السورة مكية ، وإسلامه كان بعد هذه السورة .

(١) الطبري ١٣/١٧٧ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/١٢٩ ، وابن كثير ٢/٥٧٢ ، وزاد المسير ٤/٣٤٢ ، والقرطبي ٩/٣٣٦ ، وهذا القول مروي عن الحسن وغيره ، انظر : المراجع السابقة . وانظر : تفسير كتاب الله العزيز ٢/٣١٧ .

(٢) معاني القرآن وإعراجه ٣/١٥١ .

(٣) المروي عن ابن عباس قوله : «هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى» . انظر : الطبري ١٣/١٧٦ ، والدر ٤/١٢٨ ، وزاد المسير ٤/٣٤١ ، وابن كثير ٢/٥٧٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٢/٣١٧ .

(٤) عبدالرزاق ٢/٣٣٩ ، والطبري ١٣/١٧٦ ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر ٤/١٢٨ ، وزاد المسير ٤/٣٤١ ، والقرطبي ٩/٣٣٥ ، والبحر المحيط ٥/٤٠١ ، وابن كثير ٢/٥٧٢ .

(٥) الطبري ١٣/١٧٨ وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه كما في الدر ٤/١٢٩ ، والثعلبي ٧/١٤٤ ب ، وابن كثير ٢/٥٧٢ .

قال ابن الأنباري : «وعلى هذا القول شهادة هؤلاء قاطعة لقول الخصوم ، واحتج عليهم بشهادتهم ؛ لأنهم رضوا بقولهم ، وقالوا : هم الرؤساء في العلوم ، والعالمون بالأخبار القديمة وكتب الله تعالى ، فقليل لهم : كفى بهؤلاء شهوداً عليكم ، إذ كان محلكم في أنفسكم محل من يلزمكم قبول قوله» .

وقال عطاء عن ابن عباس^(١) : «﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ يعني جبريل عليه السلام»^(٢) .

قال ابن الأنباري : «على القول الأول -وهو قول مجاهد- يكون في محل (من) أربعة أوجه : الخفض بالنسق على اسم الله في اللفظ ، والرفع بالنسق في المعنى ؛ لأن التقدير : كفى الله شهيداً ، والنصب على المدح بمعنى : واذكر الذي عنده علم الكتاب ، والرفع على المدح أيضاً بإضمار هو ، كما تقول العرب : سعى عبد الله في حاجتك ، والبارئ المتفضل ، والبارئ المتفضل بالنصب والرفع على ما ذكرنا» .

* * *

(١) القرطبي ٣٣٦/٩ .

وأخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير كما في الدر ١٢٩/٤ .

(٢) قلت : الراجح -والله أعلم- من هذه الأقوال هو قول ابن عباس أن المراد به علماء اليهود والنصارى من غير تخصيص ، فإن المشركين في مكة كانوا يسألونهم ويستشهدون بأقوالهم ، وقد ورد آيات أخر فيها الاستشهاد بهم ، وبما يعلمونه من كتبهم من صحة رسالة محمد ﷺ ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، وقوله : ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] ، وغير ذلك ، وقد رجح هذا القول الإمام الطبري ١٣/ ١٧٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٢ فقال : «والصحيح في هذا أن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ اسم جنس يشمل علماء الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة ، من بشارات الأنبياء به» .

تفسير

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الر﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح : «أنا الله أرى»^(١) ، وقال في رواية أبي صالح وعطاء : «أنا الله الرَّحْمَنُ»^(٢) ، وعلى هذا التفسير

(١) ورد في تفسير الطبري ٧٩ / ١١ ، ٩١ / ١٣ في رواية أبي الضحى عن ابن عباس بنصه ، والسمرقندي ٨٧ / ٢ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ١١٩ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤ ، وورد بلا نسبة في تفسير أبي حيان ١٢١ / ٥ . خلاصة القول في الحروف المقطعة في أوائل السور : تباينت أقوال العلماء في هذه الحروف ، ولهم فيها اتجاهان : الاتجاه الأول : أنها سر الله في القرآن ؛ ولذا فهي مما استأثر الله بعلمه ، فهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، ومن ثم لا ينبغي التكلم فيها ، وقد نسب هذا القول إلى الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة - رضي الله عنهم - بروايات ضعيفة ، كما قال ابن عاشور في تفسيره ٢٠٧ / ١ ، ومن أيد هذا القول أبو حاتم ، وقال : «لم نجد الحروف في القرآن إلا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله عز وجل» ، وإلى هذا مال الشوكاني . انظر : تفسير الشوكاني ٥٠ / ١ ، ٥١ . الاتجاه الثاني : أنها معلومة ولها معان ، ولم ينزلها الله عبثاً ، ومن أنصار هذا الرأي الذين أطالوا النقاش حولها الفخر الرازي رحمه الله ، فقد ذكر واحداً وعشرين قولاً ، وناقش معظمها وأيد وعارض ، ثم ترجح له أنها أسماء للسور ، وأورد ستة إشكالات على هذا القول ، ثم ناقشها وردّها جميعاً . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٢ / ٢ - ١٢ ، وكذلك الطاهر بن عاشور أطال الحديث عنها في تفسيره التنوير والتحرير ٢٠٦ - ٢١٨ ، وقد سلك سبيل السبر والاستقصاء ، فحذف المتداخلات ، ووحد المتشابهات ، ثم خلاص إلى واحد وعشرين قولاً ، =

قوله : ﴿ كَتَبْتُ ﴾ مرفوع على خبر الابتداء ، المعنى : هذا كتاب أنزلناه^(١) .
 وقال صاحب النظم^(٢) : « ﴿ الرَّ ﴾ اسم موضوع لجماعة الحروف المعجمة^(٣) ،
 فعلى هذا ﴿ كَتَبْتُ ﴾ موضوع في موضع رفع على^(٤) خبر الابتداء ، كأنه قيل هذه
 الحروف كتاب أنزلناه ، يعني أن الكتاب الذي أنزل مؤلف من هذه الحروف^(٥) .
 وقوله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ من صفة الكتاب ، ومثل هذا من الكلام :
 زيد رجل أنفذه إليك ، وقوله تعالى : ﴿ لِنُخْرِجَ النَّاسَ ﴾ سبب لقوله : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ
 إِلَيْكَ ﴾ ، فاللام في ﴿ لِنُخْرِجَ ﴾ معلق بالإنزال ؛ أي أنزلنا لهذا .

قسمها إلى ثلاث مجموعات ، ثم ناقشها وأورد عليها الإشكالات ليخلص إلى ثلاثة أقوال ؛ هي : أنها
 حروف جاءت لتبكي المعاندين وتسجيل عجزهم عن المعارضة . وأنها أسماء للصور الواردة فيها ؛
 ألم السجدة ، حم السجدة . وأنها أقسام أقسم الله بها لتشريف قدر كتابه ، وتنبيه العرب الأميين إلى
 فوائد الكتابة لإخراجهم من حالة الأمية . ثم قال : « وأرجحها أولها » ، وهذا القول هو الذي اختاره
 جماعة من المحققين ؛ كالفرّاء والمبرّد وابن تيمية والمزي ، وابن كثير الذي ذكر مسوغات ترجيح هذا
 القول ؛ وهو أن ذكر القرآن وتنزله عن رب العالمين يرد كثيراً بعد هذه الحروف المقطعة ؛ كقوله :
 ﴿ آتَ ١ ﴾ ذَلِكَ أَنْكَتُ ﴿ البقرة : ١ ، ٢ ﴾ ، ﴿ الرَّ كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [إبراهيم : ١] ﴿ حَم ١ ﴾
 وَأَلْكِتَبِ الْيُمَيْنِ ﴿ الزخرف : ١ ، والدخان : ١ ﴾ ، انظر : تفسير ابن كثير ١ / ٤٠ .

(١) وقد ذهب إلى هذا جماعة من العلماء ، كالزجاج ، ومكي بن أبي طالب ، وابن عطية ، والعكبري
 وغيرهم . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٣ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٤٥ ، وتفسير
 ابن عطية ٨ / ١٩٣ ، وإملاء ما من به الرحمن ١ / ٦٥ .

(٢) أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني .

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره ٨ / ١٩٣ بلا نسبة .

(٤) في (ع) : (لأنه) .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ٨ / ١٩٣ .

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آلَتْ إِلَى الثَّوْرِ﴾ قال ابن عباس: «يريد من الشرك إلى الإيثار»^(١). قال أبو إسحاق: «شبه الكفر بالظلمات لأنه غير بين، والإيمان بين نير، فمُثِّلَ بالنور»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا ذُن رَّبِّهِمْ﴾ الباء متصلة بـ (تخرج)، المعنى: لتخرج الناس يا ذن ربهم؛ أي بما أذن الله لك في تعليمهم، ويجوز أن يكون ﴿يَا ذُن رَّبِّهِمْ﴾: لا^(٣) يهتدي مهتد إلا بإذن الله ومشيتته^(٤)، هذا كله كلام أبي إسحاق^(٥)، والقول الثاني قول ابن عباس؛ لأنه قال: «يريد بقضاء ربهم»^(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ قال ابن الأنباري: «إنما لم يدخل حرف العطف في ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾»^(٧)؛ لأنه أريد بهذا الصراط: النور المذكور قبله^(٨)، (فإلى) الثانية^(٩)، دخلت على ما دخلت عليه الأولى^(١٠) في المعنى، وصار كقولك: قصدت إلى زيد العاقل الفاضل، فيستغني عن حرف العطف من أجل أن المذكور بعد (إلى) الثانية ثناء على السابق ووصف له، وإنما تعاد (إلى) لمعنى^(١١) التفخيم

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/٣٠٣ بنصه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٣٤٣، وذكره

الكرماني في غرائب التفسير ١/٥٧٣ بلا نسبة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٣ بنصه تقريباً.

(٣) في (ش) و(ع): (لأنه لا يهتدي)، والمثبت أصح لموافقة المصدر المنقول عنه.

(٤) في (أ) و(د): (ومشيته).

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٣ بنصه.

(٦) ورد بلا نسبة في تفسيره الوجيز ١/٥٧٧، وابن عطية ٨/١٩٤.

(٧) أي لم يقل: ﴿وإِلَى صِرَاطِ﴾.

(٨) على أنه بدل منه، وقد ذهب إلى هذا الزخشي في أحد قوليه في تفسيره ٢/٢٩٢، وابن عطية

٨/١٩٤، والعكبري في الإملاء ٢/٦٥.

(٩) في قوله: ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾.

(١٠) في قوله: ﴿إِلَى الثَّوْرِ﴾.

(١١) في (ش) و(ع): (بمعنى).

والتعظيم ؛ فالنور هو الإسلام ، وصراط العزيز الحميد ثناء على النور» ، وهذا معنى قول أبي إسحاق ، ثم بين ما النور فقال : ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ^(١) .

٢ . قوله تعالى : ﴿اللَّهُ﴾ مَنْ رَفَعَ ^(٢) قَطَعَ مِنَ الْأَوَّلِ ، وجعل ﴿الَّذِي﴾ الخبر أو جعل ﴿الَّذِي﴾ صفة وأضمر خبراً ^(٣) ، ومثله في القطع قوله : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣] في من رفع ^(٤) ومثله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] ثم انقطع قوله : ﴿التَّكْوِينُ﴾ [التوبة: ١١٢] عنهم واستؤنف به . ومن خفض ^(٥) جعله بدلاً من ﴿الْحَمِيدِ﴾ ولم يكن صفة ؛ لأن اسم الله صار كالعلم ^(٦) الذي لا يوصف به نحو : زيد وعمرو بكثرة الاستعمال ^(٧) ، وإن كان يجوز أن يوصف به من حيث المعنى ؛ لأن معناه ذو العبادة ^(٨) ،

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٥٣/٣ ، بنصه .

(٢) هما نافع وابن عامر انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣٦٢ ، والحجة للقراء لأبي علي الفارسي ٢٥/٥ ، والتبصرة في القراءات السبع لمكي ٥٥٨ .

(٣) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٥٤/٢ ، والإملاء ٦٥/٢ ، والفريد في إعراب القرآن ١٤٦/٣ .

(٤) هما نافع وابن عامر ، انظر : السبعة ٥٢٦ ، والحجة للقراء ٥/٦ ، والمبسوط في القراءات ٣٠٣ ، قال أبو علي : «وأما الرفع فيجوز أن يكون (عالم) خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو عالم الغيب ، ويجوز أن يكون مرفوع بالابتداء وخبره ﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ﴾» .

(٥) هم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي . انظر : السبعة ٣٦٢ ، والحجة للقراء ٢٥/٥ ، والتبصرة ٥٥٨ .

(٦) في (أ) و(د) : (العلم) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو أنسب للسياق .

(٧) راجع هذه المسألة في المقتضب للمبرد ٢٦/١ ، والمقرب لابن عصفور ٢٢٢/١ ، وجمع الهوامع للسيوطي ١٧٨/٥ ، وخزانة الأدب ٢٦٨/٢ ، ٣٢٨/٦ .

(٨) على قول من قال أن لفظ الجلالة مشتق من أله ، ومعناه عبد ، وتأله : تعبد وتنسك ، كما قال رؤبة بن الحجاج ت ١٤٥ هـ :

لِلَّهِ دَرُّ الْغَايَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحَنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْهِلِي

ديوان رؤبة ١٦٥ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨٩/١ ، والدر المصون ٢٥/١ .

كما بينا في أول الكتاب ؛ على معنى أن العبادة تجب له ، وقد يغلب ما أصله الصفة فيصير بمنزلة العلم ، كقول الشاعر^(١) :

وَنَابِغَةُ الْجَعْدِيِّ بِالرَّمْلِ بَيْتُهُ عَلَيْهِ صَفِيحٌ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ^(٢)

فالأصل النابغة ، ولما غلب نزع عنه الألف واللام كما يُنزع من الأعلام ، نحو : زيد وجعفر^(٣) .

٣. قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ إن شئت جعلت ﴿ الَّذِينَ ﴾ من صفة الكافرين في الآية المتقدمة ، وإن شئت استأنفت به وجعلت الخبر قوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ ، ومعنى الاستحباب : طلب محبة الشيء بالتعرض إلفاً^(٤) ، ودخلت (على)^(٥) في قوله : ﴿ عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ لأن معنى يستحبون هاهنا : يؤثرون ويختارون ، فكأنه قيل : يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة^(٦) ، قال ابن عباس :

(١) هو مسكين الدارمي ، واسمه ربيعة بن عامر ت ٨٩هـ .

(٢) انظر : ديوانه ٤٩ برواية :

عليه صفيح من رخام مرصع

وورد البيت غير منسوب في الكتاب ٣ / ٢٤٤ ، واللسان (نبح) ٨ / ٤٥٣ ، برواية :

عليه صفيح من تراب موصع

وورد في المقتضب ٣ / ٣٧٣ ، وأمالى ابن الشجري ٢ / ٣٦٠ برواية :

عليه صفيح من تراب منضد

وورد صدره في الخزانة ٢ / ٢٦٨ ، ٦ / ٣٢٨ .

(٣) الحجة للقراء ٥ / ٢٥-٢٧ بتصرف واختصار .

(٤) في (ش) و(ع) : (لها) .

(٥) أي عدى الفعل بعلى لأنه تضمن معنى الإيثار .

(٦) أي إن الفعل لما عدي (بعلی) ضمّن معنى الإيثار . انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٨٠ ، والمفردات

٢١٥ ، والنهر الماد : (٢ / ١) ١٨٩ ، والدر المصون ٧ / ٦٩ ، وعمدة الحفاظ ١ / ٤١٩ .

«يريد ما يُعَجَّل لهم من^(١) الدنيا وإن كان حراماً أخذوه تهاوناً بأمر الآخرة^(٢)» ، واستبعدوها^(٣) ؛ مثل قوله : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيُحِبُّونَ أَلْعَالَةَ ﴾ [الإنسان : ٢٧] .

﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ويمنعون الناس عن دين الله وطاعته ، ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ذكرنا معناها بالاستقصاء في سورة آل عمران^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ قال عطاء : «يريد في خسران كبير»^(٥) ، وقال الكلبي : «يعني في خطأ بعيد عن الحق»^(٦) ، ويقال : طويل .

٤ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ اللسان يستعمل على معان ؛ أحدها : الجارحة^(٧) ، قال الفرّاء : «لم نسمعه من العرب إلا مُذَكَّرًا»^(٨) ، وقال أبو عمرو : «اللسان بعينه يذكَر و يؤنث ، فمن ذَكَرَه جمعه ألسنة ، ومن أنثَه جمعه ألسُنًا»^(٩) ، واللسان يستعمل بمعنى الثناء ، يقال : إن لسان الناس عليه لحسنةٌ وخيرٌ ؛ أي ثناؤهم^(١٠) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ [الشعراء : ٨٤] ،

-
- (١) في (أ) و(د) : (من الله) بزيادة لفظ الجلالة ، وقد أدى إلى اضطراب المعنى .
- (٢) في (أ) و(د) و(ش) : (بأمر الله) والمثبت من (ع) ، وهو المناسب للسياق بعده ، وموافق للوسيط .
- (٣) ورد في تفسيره الوسيط ١ / ٣٠٤ بنصه تقريباً ، وانظر : زاد المسير ٤ / ٣٤٥ .
- (٤) خلاصته : أي تلتمسون لسيبله الزيف والتحريف بالشُّبه التي تُلبَّسون بها ، وتُوهَمون أنها تقدر فيها ، وأنها مُعَوَّجَةٌ بتناقضها .
- (٥) لم اهتد إلى مصدره .
- (٦) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ١ / ٣٠٤ بنصه .
- (٧) في (د) : (الخارجة) .
- (٨) نقله ابن الأثير في كتابه المذكر والمؤنث ١ / ٣٦٤ بنصه ، وفي (ش) و(ع) : (مذكر) .
- (٩) ورد في المذكر والمؤنث لابن الأثير ١ / ٣٦٤ بنصه ، وورد في تهذيب اللغة (لسن) ٤ / ٣٢٦٢ ، بلا نسبة .
- (١٠) ورد بنصه تقريباً في المذكر والمؤنث لابن الأثير ١ / ٣٦٤ ، والمخصص لابن سيده ١٧ / ١٢ .

وقال ابن الأنباري : «العرب تُوقع اللسان على الخطبة ، والرسالة والكلمة والكلام ، يقولون : له لسانٌ حسنٌ ، يعنون : خطبة وعبارة وكلمة ، ويقولون : سبق من زيد لسانٌ عمّه ، يعنون : الكلام»^(١) ، واللسان : اللغة أيضاً ، وهو قول المفسرين^(٢) ، وأهل اللغة^(٣) في هذه الآية ، قالوا في قوله : ﴿إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ بلغة قومه ليفهموا عنه ويعقلوا ، يدل على هذا قوله : ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ، ويقال : فلان يتكلم بلسان العرب ؛ أي بلغتهم^(٤) ، قال أبو بكر : «ولهذا المعنى وحد اللسان ، وإن أضيف إلى القوم ؛ لأنه أريد باللسان اللغة ، واللغة تقع على قليل المنطق وكثيره ؛ نحو : الحنطة والذرة والقمح والعسل والشعير وما أشبهها من أسماء^(٥) الأجناس التي تقع على القليل والكثير بلفظ واحد»^(٦) ، قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد بلسان سعد^(٧) بن بكر بن هوازن ؛ وهي من أفصح العرب ؛ وهي لغة يفهمها جميع العرب» .

(١) لم أقف على مصدره .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩١ أ ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٨١ ، عن قتادة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١٤٥ ب ، والطوسي ٦/ ٢٧٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٥ ، وابن عطية ٨/ ١٩٩ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (لسن) ٤/ ٣٢٦٢ ، ومجمل اللغة ٣/ ٨٠٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٤ ، واللسان (لسن) ٧/ ٤٠٣٠ .

(٤) انظر : الكليات لأبي البقاء ٧٩٨ .

(٥) في (أ) و(د) : (الأسماء) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الأصح لانسجامه مع السياق .

(٦) لم أقف على مصدره . وورد مختصراً بلا نسبة في تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٠ .

(٧) بنو سعد بن بكر هم بطن من هوازن بن منصور ، من العدنانية ، وهم أظآره ﷺ عندهم استرضع من حليلة السعدية . انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٦٥ ، ونهاية الأرب ٢٦٨ .

وقوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس: «جعل المشيئة إليه وحده لا شريك له»^(١)، قال أبو بكر: ﴿رَفَعَ﴾ ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعد التبيين بإيثاره الباطل^(٢)، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: باتِّباع الحق.

قال الفراء: «وإذا رأيت الفعل منصوباً وبعده فعل قد نسق^(٣) عليه فإن كان^(٤) يُشاكل معنى الفعل الذي قبله نسقته^(٥) عليه، وإن رأيت غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعته؛ نحو قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، فيأبى في موضع رفع لا يجوز إلا ذلك^(٦)؛ لأنه لا يحسن أن تُبادل^(٨) بـ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ﴾: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ فإذا لم يمكن وضع الثاني موضع الأول بطل العطف، ومثله قوله: ﴿لَنُنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُفِّرُ^(٩) فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥]

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٤، بنصه.

(٢) يعني أن ﴿فَيُضِلُّ﴾ مرفوع على الاستئناف ومقطوع من الأول؛ لأنه لو عطف على قوله: ﴿لَنُنَبِّئَنَّ لَكُمْ﴾ لآوهم أن إرسال الرسل لإرادة الإضلال، وهو خلاف المراد من الآية. وجوز الزجاج النصب على وجه بعيد على أن اللام لام العاقبة؛ لأنه لما آل أمرهم إلى الضلال مع بيان الرسول لهم صار كأنه إنما أرسل لذلك. انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٤، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٥٤، والإملاء ٢/ ٦٦.

(٣) في (د): (سبق)، والنسق في اصطلاح النحويين هو العطف. انظر: المعجم المفصل في النحو العربي ١١٣/٢.

(٤) (كان) ساقطة من (د).

(٥) المقصود بالمشكلة: الماثلة. انظر: اللسان (شكل) ٤/ ٢٣١٠.

(٦) في (د): (سبقت).

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٨ بنصه تقريباً.

(٨) في (د): (يناول).

(٩) يقول الزجاج رحمه الله: لا يجوز فيها إلا الرفع، ولا يجوز أن يكون معناه فعلنا ذلك لنُقرَّ في الأرحام، لأن الله - عز وجل - لم يخلق الأنعام لما يُقرَّ في الأرحام، وإنما خلقهم ليدهم على رشدهم وصلاتهم. معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤١٢.

ومن ذلك قولهم : أردت أن أزورك فيمنعني المطرُ ، بالرفع غير منسوق على ما قبله لما ذكرنا ، ومثله قول الشاعر^(١) :

يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيَعْجِمُهُ^(٢)

٥. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ ؛ أي بالبراهين التي دلّت على صحة نبوته مثل اليد والعصا وغيرهما من آيات موسى^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ ﴾ ؛ أي بأن أخرج قومك^(٤) ، قال أبو إسحاق : « (أن) هاهنا يصلح أن تكون المخففة^(٥) التي للخبر ، ويصلح أن تكون مفسّرة^(٦) بمعنى : أي ، ويكون المعنى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ ؛ أي^(٧) أخرج قومك ، كأن المعنى : قلنا له : أخرج قومك ، ومثل هذا قوله : ﴿ وَأَنْطَلِقَ لَمَّا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا ﴾ [ص: ٦] : (أي امشوا)^(٨) والتأويل : قالوا لهم

(١) نسب إلى رؤية في الكتاب ٥٢/٣ ، واللسان (عجم) ٢٨٢٦/٥ ، ونسب إلى الخطيئة في شواهد المغني ٤٧٦/١ ، والدرر اللوامع ٨٦/٦ ، وورد غير منسوب في همع الهوامع ٢٣٥/٥ ، والمقتضب ٣٣/٢ .

(٢) بيت من رَجَزَ ضمن خمسة أبيات . انظر : المصادر السابقة ، وقد جاء به الواحدي شاهداً للمسألة النحوية التي قرّرها من قبل ، وهو قطع الفعل الثاني عن الأول بالاستثناف ، وعدم جواز عطفه لما يترتب عليه من التباس المعنى وفساده . والشاهد في البيت : رفع (فيعجمه) على القطع ، والمعنى : فإذا هو يعجمه ، ولا يجوز النصب على العطف لفساد المعنى ؛ لأنه لا يريد إعجابه ؛ والإعجام : أن يجعله مشكلاً وملتبساً . انظر : الدرر اللوامع ٨٧/٦ .

(٣) وهي تسع أبيات ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ شِعْرَ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١] وهي : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدّم ، والعصا ، واليد ، والسنين ، والنقص في الثمرات .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ١٥٥/٣ بنصه . انظر : تفسير ابن عطية ٢٠٠/٨ .

(٥) أي المخففة من (أن) الثقيلة ، وهي التي تقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته . انظر : مغني اللبيب ٤٦ .

(٦) هي التي تسبق بكلام في معنى القول دون حروفه ، ولها شروط . انظر : مغني اللبيب ٤٨ ، ٤٩ .

(٧) في (ش) و(ع) : (أن) ، والمثبت هو الصحيح لموافقه المصدر .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق لما في المصدر .

امشوا^(١)، وإن جعلتها المخففة التي هي للخبر كان المعنى : أرسلناه بأن يخرج قومه ، إلا أن الجار حذف ووُصِلَتْ (أن) بلفظ الأمر للمخاطب ، والمعنى معنى الخبر ؛ نحو قولك : كتبت أن فُـم ، وأمرته أن يقوم ، إلا أنها وصلت بلفظ الأمر الذي كان للمخاطب ، وحكى القولين عن سيبويه^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَظْلَمَ إِلَى الثُّورِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من الشرك إلى الإيمان»^(٣) ، ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ ، الأيام : جمع يوم ، واليوم مقداره من طلوع^(٤) الشمس إلى غروبها ، وكانت الأيام في الأصل : أيّوام واجتمعت الياء والواو ، سُبِقَتْ إحداها بالسكون فأدغمت إحداها في الأخرى وغُلِبَت الواو^(٥) ، ويُعَبَّرُ بالأيام عن الوقائع والنعم والنقم ؛ لأن هذه كلها تقع فيها ، ذكره شمر ، وقال ابن السكّيت : «العرب تقول : الأيام في معنى الوقائع ، يقال : هو عالم بأيام العرب ، يريد : وقائعها»^(٦) .

(١) ساقطة من (ع) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٥ بتصرف يسير ، وانظر : الكتاب لسيبويه ٣/ ١٦٢ .

(٣) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وأورده الواحدي في وجيزه ١/ ٥٧٨ بلا نسبة ، وورد عن ابن عباس تفسير الآية بقوله : «من الضلال إلى الهدى» . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٧٩ من دون نسبة لابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ١٣٠ . وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) (طلوع) مكررة في (أ) ، وفي (د) : (من طلوع إلى طلوع الشمس) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (يوم) ٤/ ٣٩٩٠ ، واللسان ٨/ ٤٩٧٤ ، ونقله الفخر الرازي في تفسيره ١٩/ ٨٤ وعزاه للواحدي .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (يوم) ٤/ ٣٩٩١ بنصه .

قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد بنعم الله»^(١) ، وهو قول مجاهد^(٢) ، وأبي بن كعب ؛ رواه عن النبي ﷺ في قوله : ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ قال : «أيامه : نِعْمُهُ»^(٣) .

ونحو هذا قال الحسن^(٤) ، وسعيد بن جبير^(٥) ، وقال مقاتل بن سليمان : «بوقائع الله في الأمم السالفة»^(٦) ، قال أبو إسحاق : «أي ذكّرهم بنعم أيام الله عليهم ، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وئمود»^(٧) ، وقال

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٥ أ ، بلفظه ، وتفسيره الوسيط تحقيق سبسي ١/ ٣٠٥ ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٢ ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٣٣ ، بلفظه ، أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤١ ، بلفظه ، والطبري ١٣/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، بلفظه من طرق ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٢ ، والطوسي ٦/ ٢٧٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٤٦ .

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٢٢ بنحوه مرفوعاً وموقوفاً ، والنسائي في التفسير ١/ ٦١٤ بنحوه ، والطبري ١٣/ ١٨٢-١٨٤ ، بنحوه ، وأورده المزي في تحفة الأشراف ١/ ٢٧ ، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (لم أقف عليه) ، وهذا الحديث له إسنادان ؛ إسناد أحمد والطبري ، وإسناد النسائي ، أما الإسناد الأول : فضعيف ؛ لأنه يدور على محمد بن أبان الجعفي ، وهو مضعف بعلتين : سوء الحفظ ، وبدعة الإرجاء مع الدعوة إليها . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٣٤ ، والضعفاء الصغير للبخاري ٩٨ ، والضعفاء للنسائي ٩١ ، والجرح والتعديل ٧/ ٢٠٠ ، والكمال في ضعفاء الرجال ٦/ ٢١٣٩ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٧٣ ، أما الإسناد الثاني : فانفرد به النسائي ، ورجاله ثقات ، فهو صحيح .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٢٧٤ بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ١٨٤ بنحوه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٢٧٤ .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ١٩١ أ ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٥ ب بنصه .

(٧) معاني القرآن وإعراجه ٣/ ١٥٥ بنصه .

الفرّاء : «يقول : خوّفهم بما نزل بعاد وثمرود وغيرهم من العذاب ، وبالعفو^(١) عن آخرين ، وهو في المعنى : خذهم بالشدة واللين^(٢)» .

وقال أهل المعاني : يقول : عظمهم بالترغيب (والترهيب ، والوعد والوعيد ؛ والترغيب)^(٣) ، والوعد : (أن يذكّرهم)^(٤) بما أنعم الله عليهم ، وعلى من قبلهم ممن آمنوا بالرسول وصدّقوه في ما مضى من الأيام ، (والترهيب والوعد ؛ أي ذكّرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل في ما مضى من الأيام)^(٥) ؛ ليرغبوا في الوعد فيصدّقوا ، ويحذروا فيتركوا التكذيب^(٦) ، ومن الأيام التي أريد بها الدُّول من النعم^(٧) قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلْهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٨) [آل عمران : ١٤٠] ، والعرب تقول : من ير يوماً (يُرْبه)^(٩) ، معناه : من يرى لنفسه يوم سرور بمصرع

(١) في (أ) و(د) : (بالعقوبة) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق للمصدر .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٦٨ / ٢ بنصه .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (د) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ش) و(ع) .

(٦) لم أقف على من قال به من أهل المعاني ، وقد ذكره بعض المفسرين ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٨٤ / ١٩ ، والحاظ ٧٠ / ٣ .

(٧) في (ش) و(ع) : (النعم) .

(٨) يقول القفال رحمه الله : «المداولة : نقل الشيء من واحد الى آخر ، ويقال تداولته الأيدي إذا تناقلته» . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٥ / ٩ . فهذه الآية دليل على أن أيام الله تعالى ليست مقصورة على النعم ، بل تشمل النقم كذلك ، فقد أدب المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، وأدب المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين ، فسُمّي إنكسار المسلمين في أحد أياماً ، كما كانت هزيمة قريش في بدر أياماً .

(٩) انظر : كتاب الأمثال لأبي عبيد بن سلام ٣٣٤ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢٧٢ / ٢ ، ومجمع الأمثال للميداني ٣١٨ / ٣ .

غيره ، رأى غيره مثل ذلك اليوم بمصرعه ، وكل هذا^(١) يدل على أنه يُعَبَّرَ باليوم والأيام عن حادثات الخير والشر^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قال ابن عباس : «يريد لكل صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معاصيه ، شكور لأنعم الله»^(٣) ، وقال أهل المعاني : أراد آيَاتٍ لكل مؤمن ؛ لأن الصبر والشكر من أفعال المؤمنين ، والحال لا يخلو من نعمة وشدة ، والمؤمن شاكر في أحديهما^(٤) صابر في الأخرى^(٥) .

٦ . قوله تعالى : ﴿وَيَذِخُّكَ أُنْبَاءُكُمْ﴾ وقال في سورة البقرة [٤٩] : ﴿يُذِخُّكَ﴾ بغير واو ؛ لأنه تفسير لقوله : ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فذكر العذاب مجملاً ثم فسّره بما بعده ، ولا تحتاج في تفسيره إلى الواو كما تقول : أتاني القوم ؛ زيدٌ وجعفرٌ وعمرٌ ، لا تدخل الواو في زيد ، لأنك أردت أن تُفسّر به القوم ، ومثل هذا قوله : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٦) يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ ﴿[الفرقان: ٦٨-٦٩] وَالْآثَامُ^(٧) فِيهِ نِيَّةُ الْعَذَابِ كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ ، ثم فسّره بغير الواو فقال : ﴿يُضَعَّفُ﴾ وفي

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) وقد رجّحه ابن عطية - رحمه الله - فقال : «ولفظه الأيام تعم المعنيين ؛ لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً» ٢٠٣ / ٨ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٦٨ بنحوه ، وورد بلا نسبة في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٣٠٦ / ١ ، وابن الجوزي ٣٤٦ / ٤ .

(٤) في (د) : (إحداهما) .

(٥) لم أقف على مصدره ، وفي هذا المعنى ورد حديث صحيح ؛ يقول الرسول ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم في الزهد ، والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥ / ٤ ، فقله : لأن الصبر والشكر من أفعال المؤمنين ؛ أي من خصائصهم ، ويؤيده في الحديث قوله : وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن .

(٦) في (أ) و(د) : (الأيام) ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الأظهر .

هذه السورة أدخل الواو لأن المعنى : أنهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضاً ، فقوله : ﴿ وَيَذْبَحُونَ ﴾ جنس آخر من العذاب لا تفسير لما قبله ، وما في هذه الآية مفسر^(١) في سورة البقرة^(٢) ، وما ذكرنا في معنى طرح الواو وإثباته كله معنى قول الفراء^(٣) .

٧. قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ عطف على قوله : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنْحَنَكُمْ ﴾ ، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ وهذا^(٤) إخبار عما قال موسى لقومه ، ومعنى ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ قال المفسرون : أعلم^(٥) ، قال الفراء : « تأذن وأذن بمعنى واحد^(٦) ، وربما قالت^(٧) : تفعل وأفعل في معنى واحد ، وهذا من ذلك^(٨) » ، ومثله : توعد وأوعد ، وهو كثير ، وذكرنا الكلام في تأذن في سورة الأعراف^(٩) .

(١) ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) انظر : البسيط ، تفسير سورة البقرة ٤٩ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٦٨ ، وورد هذا المعنى في تفسير الطبري ١٣/١٨٥ ، والثعلبي ٧/١٤٦ ، ومشكل إعراب القرآن ١/٤٤٦ ، والبيان في الإعراب ٢/٥٥ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/٨٥ ، والفريد في الإعراب ٣/١٤٩ .

(٤) أي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنْحَنَكُمْ ﴾ .

(٥) ورد في تفسير الطبري ١٣/١٨٥ ، ١٨٦ ، والسمرقندي ٢/٢٠١ ، والماوردي ٣/١٢٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/٣٣٦ ، وابن عطية ٨/٢٠٤ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٦٩ بمعناه ، ومع أن معناهما واحد ، لكن كما يقولون : زيادة المبنى يقتضي زيادة المعنى ، وقد أشار إلى هذا الفرق هنا الزمخشري - رحمه الله - في تفسيره ٢/٣٩٤ ، فقال : « ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل ، كأنه قيل وإذ أذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة » .

(٧) أي العرب .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢/٦٩ ، بتصرف ، وانظر : تفسير الطبري ١٣/١٨٥ ، ١٨٦ ، والثعلبي ٧/١٤٦ ، والزمخشري في الكشاف ٢/٣٩٤ ، والفريد في الإعراب ٣/١٥٠ .

(٩) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [١٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد لئن وحدثوني وأطعتموني لأزيدنكم نعمة»^(١) ، ومعنى شكر النعمة هو الاعتراف بحق المنعم ، والاعتراف بحق الله تعالى هو التوحيد والطاعة ، فلذلك فسرّه ابن عباس بهما ، ومعنى قوله : ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي مما يجب الشكر عليه ؛ وهو النعمة .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ﴾ أي جحدتم حقي وحق نعمتي ، ﴿إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ تهديد بالعذاب على كفران النعمة .

٨ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنُوكُمْ﴾ : عن خلقه وعن شكر العباد ، و(حَمِيدٌ) : مستحق للحمد في أفعاله ؛ لأنه مُتَفَضِّلٌ بفعله أو عادل فيه .

قال ابن عباس : «يريد لا يُنْقَصُ كفرُكم ملكوت الله شيئاً»^(٢) ولا تزيد طاعتكم الله ملكاً»^(٣) .

وقال أهل المعاني : هذا بيان أن^(٤) الله تعالى مجلٌ^(٥) عن لحاق المنافع والمضار .

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٣ بنحوه ، والوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٦ بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٣ ، والألوسي ١٣/ ١٩٠ .

(٢) التصويب من : (ع) ، وفي باقي النسخ : (شيء) وهو خطأ ظاهر .

(٣) لم أقف عليه ، وقد ورد بهذا المعنى حديث قدسي : «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .» أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤ .

(٤) ساقطة من (ع) .

(٥) في النسخ جميعها : (يجل) بالحاء ، والأظهر أنها بالجيم ، ومعنى (يجلٌ عن كذا : يعظم ، ومنه : أي عظم قدره) . انظر : تهذيب اللغة (جل) ١/ ٦٤٠ ، ومجمل اللغة ١/ ١٧٣ ، والصحاح (جل) ٤/ ١٦٥٨ .

٩. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: من بعد هؤلاء الذين ذكرهم ممن أهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه وجهان^(١) من التفسير؛ أحدهما: أن معناه والذين من بعدهم لا يحصى عددهم ولا يعرف تعيينهم وتحصيلهم إلا الله وحده، وهذا قول ابن عباس لأنه قال: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: لكثرتهم^(٢)، فأما النسابون الذين نسبوا القبائل إلى آدم فإنهم لا يدعون إحصاء جميع الأمم بعد عاد وثمود والإحاطة بمعرفة أجناسها وأنواعها لكنهم ينسبون بعضاً يعرفونه ويمسكون عن نسب بعض، وقوم من المفسرين يحملونه على أن أكثر أهل العلم يطلون من النسب ما جاوز عدنان، ويقولون أولئك أمم لا يعرف تعيينهم^(٣) غير الله - عز وجل -^(٤) ولهذا قال ابن مسعود في هذه الآية: «كذب النسّابون»^(٥)، وقال عروة بن الزبير: «ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء

(١) ذكر أن في تفسيرها وجهين، ولم يذكر إلا واحداً.

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣٠٨/١، بلفظه، وورد بمعناه بلا نسبة في تفسير الطبري ١٨٧/١٣، والسمرقندي ٢٠١/٢.

(٣) في (د): (هيتهم).

(٤) ولذلك جاءت الأقوال مضطربة في ذكر الأسماء والأعداد والسنوات في ما بين عدنان وإبراهيم عليه السلام. انظر: تاريخ الطبري ٥١٥-٥١٧، ودلائل النبوة للبيهقي ١٧٨/١-١٨٠، والروض الأنف ١١/١، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٢٠.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٨٧/١٣ بنصه من طرق، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٣/٥١٨، وتفسير السمرقندي ٢٠١/٢، والمآورد ١٢٤/٣، وانظر: تفسير البغوي ٤/٣٣٧، والزخشي ٢/٣٩٥، والفخر الرازي ١٩/٨٨، والخازن ٣/٧٢، والألوسي ١٣/١٩٢. وورد هذا الأثر مرفوعاً إلى النبي ﷺ في طبقات ابن سعد ١/٥٦، ولفظه: «عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد، ثم يمسك ويقول: كذب النسّابون، قال الله عز وجل: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]»، وأورده ابن عطية في تفسيره ٨/٢٠٦، وقال: «وفي مثل هذا قال رسول ﷺ: كذب النسّابون من فوق عدنان»، وأورده القرطبي في تفسيره ٩/٣٤٤ بصيغة التمرّض، قال: «وقد روي عن النبي ﷺ لما سمع النسّابين =

عدنان»^(١). وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : «بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرفون»^(٢).

قال ابن الأنباري : «فمن بنى على هذه الآثار ، قال مَنْ فوق عدنان منقطعة معرفتهم عن قلوب الناس ، إلا من كان من الأنبياء الذين نَوَّه الله بأسمائهم ، وعلى قول هؤلاء : لا يعرف النسابون أحداً من قال الله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (لأن الله تعالى)^(٣) أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم وبطلت أنسابهم»^(٤).

ينسبون إلى معد بن عدنان ثم زادوا فقال : «كذب النسَّابون» ، إن الله يقول : ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وكذلك أورده النسفي في تفسيره (هامش الخازن) : (٧١ / ٣) بصيغة التمریض أيضاً ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير وزاد نسبته إلى ابن عساكر ، ورمز له بالصحة ، وأورده مرة أخرى ورمز له بالضعف . [كما في فيض القدير ٥٥٠ / ٤ ، و (٥ / ١٠٩)] . وهذا الحديث ضعيف ؛ لأنه ورد عن طريق الكلبي ، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس ، والأصح أنه موقوف على ابن مسعود ، كما قال السهيلي في الروض الأنف ١ / ١١ ، وقد أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤٤ / ١ وحكم عليه بالوضع .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٥١٨ / ٣ بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٤٤ / ١٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٣٥ ، وعزاه إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير الشوكاني ٣ / ٩٩ ، وصديق حسن خان ٧ / ٨٩ .

(٢) ورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٥١٨ / ٣ ، وتفسير الماوردي ٣ / ١٢٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٣٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٣٥ ، وعزاه إلى أبي عبيد وابن المنذر . وهذه أوهى الطرق إلى ابن عباس .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (د) .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي : ٣٠٨ / ١ ، مختصراً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٤٨ ، مختصراً .

وقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ اختلفوا في تأويل هذه؛ فقال ابن مسعود: «عَضُّوا عَلَيْهَا غِيظًا»^(١)، والمعنى: سَبُّوا^(٢) الرسل وأبغضوهم وثقل عليهم مكانهم، وعَضُّوا على أصابعهم من شدة الغيظ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وابن زيد^(٣) واختيار ابن قتيبة^(٤)، واعتبروا هذا بقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] وقد مرَّ، وقال الكلبي: «أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا»^(٥).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «كان إذا جاءهم الرسول سَكَّتُوهُ وأشاروا بأيديهم إلى أفواه أنفسهم كما تُسَكَّتُ^(٦) أنت غيرك»^(٧). وقال مقاتل: «كانوا يأخذون أيدي الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم»^(٨).

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٤١/٢ بنحوه، والطبري في تفسيره ١٨٨/١٣ بنصه ونحوه من طرق، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ١٤٦/٧ ب، والماوردي ١٢٤/٣، وانظر: تفسير البغوي ٣٣٨/٤، وابن الجوزي ٣٤٨/٤، والفخر الرازي ٨٩/١٩، وتفسير القرطبي ٣٤٥/٩، والخازن ٧٢/٣.

(٢) في (ش) و(ع): (شتموا).

(٣) أخرجه الطبري ١٨٨/١٣، ١٨٩ عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيف)، وعن ابن زيد، وورد في تفسير الثعلبي ١٤٦/٧ ب، عن ابن عباس، انظر: تفسير ابن عطية ٢٠٧/٨، عنهما، والقرطبي ٣٤٥/٩، عنهما، والدر المنثور ١٣٥/٤، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) الغريب لابن قتيبة ٢٣٥.

(٥) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ١٤٦/٧ ب، وتفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٠٨/١، وانظر: تفسير البغوي ٣٣٨/٤، والفخر الرازي ٨٩/١٩، والخازن ٧٢/٣.

(٦) في (د): (سكت).

(٧) ورد في معاني القرآن للقرآن ٦٩/٢ بنحوه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٣٤٨/٤ بنحوه عن أبي صالح عن ابن عباس، وورد منسوباً إلى أبي صالح في تفسير الماوردي ١٢٤/٣، وتفسير القرطبي ٣٤٥/٩، وعلى هذا القول يكون الضميران في (أيديهم) و(أفواههم) عائدين على المكذبين.

(٨) تفسير مقاتل ١٩١/١ ب بنحوه، وعلى هذا القول يكون الضميران في (أيديهم) و(أفواههم) عائدين إلى الرسل. انظر: تفسير أبي حيان ٤٠٨/٥، وقد ضَعَفَ ابن عطية ٢٠٨/٨ هذا القول، وقال: «وهذا عندي لا وجه له».

وذكر الفَرَّاء والزَّجَّاج وابن الأنباري قولاً آخر وهو أن المعنى : ردوا نِعَمَ الرسل بأفواههم ، فالأيدي هاهنا المراد بها النِعَم .

قال الفَرَّاء : «أي ردوا ما لو قبلوه لكان نعماً من الله - عز وجل - عندهم»^(١) .

وقال الزَّجَّاج : «ردوا أيدي^(٢) الرسل : أي نِعَمَ الرسل ؛ لأن مجيئهم بالبينات نِعَمٌ»^(٣) .

وقال أبو بكر : «ويجوز أن يكون المعنى : ردوا نعم أنفسهم ؛ لأنها نعم»^(٤) من الله عليها^(٥) رفضوها وأطرحوها ، وجاء رجل (في) على معنى الباء ؛ لقيام بعض الصفات مقام بعض^(٦) ، وتقول : طيئ^(٧) : أدخلك الله في الجنة ، وأنشد الفَرَّاء :

وَأَرْغَبُ فِيهَا مِنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْسٍ لَسْتُ رَاغِبٌ^(٨)
أراد : أرغب بهذه المرأة عن هؤلاء .

(١) معاني القرآن للفَرَّاء ٢ / ٧٠ بنصه .

(٢) في (أ) و(د) ، و(ش) : (الذي) ، والمثبت من (ع) ، وهو الموافق للسياق والمصدر .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٦ بنصه .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٥) في (د) : (عليها) .

(٦) انظر : الأزهية ٢٧١ ، ووصف المباني ٤٥٢ ، والجنى الداني في حروف المعاني ٢٥١ .

(٧) قبيلة طيئ مشهورة ، تنسب إلى طيئ بن أد ، واسمه جُلْهُمَة ، سُمِّيَ طيئاً لأنه أول من طوى المناهل منازل الطريق من قبائلهم : بنو جديلة ، وبنو رومان ، وبنو جدعاء ، والثعالب ، وبنو تيم . انظر : الاشتقاق ٣٨٠ ، وجمهرة أنساب العرب ٣٩٨ .

(٨) نُسِبَ للفَرَّاء في تهذيب اللغة : (ذراً) ٢ / ١٢٧٣ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للفَرَّاء ٢ / ٧٠ ، وتفسير الطبري ١٣ / ١٨٩ ، وأبي حيان ٥ / ٤٠٩ ، والدر المنصور ٧ / ٧٣ . و(سِنْسٍ) حَيٌّ من قبيلة طيئ . الاشتقاق ٣٩٠ .

وقال أبو إسحاق : «ومعنى في أفواههم : بأفواههم ، أي ردوا تلك النعم بالنطق بالتكذيب بما جاءت به الرسل كما يقول : جلست في البيت وبالبيت»^(١) ، وهذا معنى قول مجاهد : «ردوا نعمهم بأفواههم»^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «مجاز هذا مجاز الممثل ، ومعناه : كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به» ، قال : «ويقال : ردَّ يده في فمه ، أي أمسك ولم يجب»^(٣) ،

- (١) معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/٣ ، بتصرف يسير .
- (٢) ورد في تفسير الطوسي ٢٧٨/٦ بنصه ، وورد عنه تفسيرها بقوله : «ردوا عليهم قولهم وكذبوهم» ، كما في تفسيره ٤١٠ ، وأخرجه الطبري ١٨٩/١٣ من طرق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٥١٨/٣ ، وتفسير السمرقندي ٢٠١/٢ ، والماوردي ١٢٥/٣ .
- (٣) مجاز القرآن ٣٣٦/١ ، بتصرف يسير ، وقد نُسب هذا القول إلى الأخفش كذلك لم أجده في معانيه . انظر : تفسير القرطبي ٣٤٦/٩ ، وأبي حيان ٤٠٩/٥ ، والدر المصون ٧٣/٧ ، وتفسير الألوسي ١٩٤/١٣ ، وقد اعترض ابن قتيبة على هذا القول ، وقال : «لم يُسمع أحد من العرب يقول : ردَّ يده في فيه ، إذا أمسك عن الشيء» . انظر : الغريب لابن قتيبة ٢٣٥/١ ، وردَّ أبو حيان على اعتراضه قائلاً : «ومن سمع حجة على من لم يسمع ، هذا أبو عبيدة والأخفش نقلًا عن العرب» ، انظر : تفسير أبي حيان ٤٠٩/٥ ، وقد أيد هذا الرد السمين ، وأورده بألفاظ أخرى ، أما ابن جرير ، فقد أورد قول أبي عبيدة غير منسوب إليه ، وضعفه من جهة أخرى ، فقال : «وهذا قول لا وجه له ؛ لأن الله - عزَّ ذكره - قد أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾» فقد أجابوا بالتكذيب» ، تفسير الطبري ١٨٩/١٣ ، وقد اعترض أبو حيان على ابن جرير كذلك ، فقال : «ولا يرد ما قاله الطبري ؛ لأن أبا عبيدة يريد أنهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يقتضيه مجيء الرسل بالبينات ؛ وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق للرسول» ، والحق إن اعتراض أبي حيان - على ابن جرير - ليس في محله ؛ فطالما أمكن حمل الكلام على ظاهره وعلى الحقيقة ، فلا حاجة إلى هذه التأويلات ، ففي كتاب القواعد للمقري ٤٩٧/٢ يقول في القاعدة (٢٥٦) : «كل ما له ظاهر فهو مصروف إلى ظاهره ، إلا لمعارض راجح ، وكل ما لا ظاهر له فلا يرجح إلا بمرجح» .
- ويقول الشنيطي في تفسيره ١٠٠/٣ : «والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها ، إلا بدليل من كتاب أو سنة» ، لذلك فالأرجح من هذه الأقوال في معنى الآية : هو القول الأول ؛ وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ؛ لكونه على ظاهره ولا يحتاج إلى تأويل ، وتؤيده آية آل عمران [١١٩] ، وقد رجَّح هذا القول كل من الطبري ١٨٩/١٣ ، والنحاس في معانيه ٥١٩/٣ ، وابن قتيبة في غريبه ٢٣٥/١ ، وأيد اختياره بقول الشاعر : (يُرْدُون في فيه عَشْرَ الحُسُود) يقول : يعني أنهم يغيظون الحسود حتى يعض أصابعه العشر .

ويكون المعنى على هذا : لم يجيبوا الرسل إلى ما دعوهم إليه ، فعبر عن ترك إجابتهم بوضع اليد في الفم ؛ وذلك أن الواضع يده في فمه لا يقدر على الكلام .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾ ؛ أي على زعمكم بالإرسال ؛ لأنهم لم^(١) يقرؤوا أنهم أرسلوا .

١٠-١٣ . قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ الآية ، هذا استفهام معناه الإنكار أي لا شك في الله ، والمعنى في توحيد الله ، ثم وُصف بما يدل على وحدانيته ؛ وهو قوله : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ ﴾ أي بالرسول والكتب .

وقال ابن عباس : ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ : إلى طاعته^(٢) .

﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ قال أبو عبيدة : « (من) زائدة »^(٣) ، وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب^(٤) . فإن حكمنا بزيادتها^(٥) فهو ظاهر ، وإن لم يحكم

(١) في (أ) و(د) : لو ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٢) ورد بلا نسبة في تفسيره الوجيز ١/ ٥٧٩ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٦ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٣٦ بنحوه ، ومن القائلين بزيادة (من) مطلقاً دون أي شروط أو قيود الأخفش . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٧٢ ، وإيضاح الشعر لأبي علي الفارسي ٢٥٧ ، والمحاسب ١/ ١٦٤ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣١٤ ، وشرح المفصل ٨/ ١٠ .

(٤) مذهب سيبويه وجهور البصريين أن (من) لا تزداد إلا إذا كان مجرورها نكرة في سياق نفي أو نهي أو استفهام ، وأن تكون فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ ؛ مثل : هل من رجل في الدار ، وما كلمت من أحد ، وما جاءني من أحد ، انظر : الكتاب ١/ ٣٨ ، ٢/ ١٣٠ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، والتعليق على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي ١/ ٦٧ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٥٠ ، والأصول لابن السراج ١/ ٤١٠ ، والبيان في الإعراب ١/ ٣٢٠ .

(٥) مسألة الزيادة في القرآن اختلف النحويون والمفسرون في القول بزيادة بعض الحروف في التنزيل . ومن هذه الحروف : (إن- أن- لا- ما- من- الباء- اللام- الكاف . .) والمقصود بأنها زوائد : أي تأتي في بعض الموارد زائدة يمكن الاستغناء عنها ، لا أنها لازمة للزيادة ويمكن الاستغناء عنها في كل حال . وفي المسألة مذهبان : المذهب الأول : إنكار القول بزيادة الحروف في أي التنزيل ، نقل الزركشي في =

البرهان ٧٢/٣ أن الطرطوسي قال في العمدة : «زعم المبرّد وثعلب ألا صلة في القرآن ، والدّهاء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصّلات في القرآن ، وقد وُجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره» . وممن يرى ذلك ابن السراج ، فقد نقل عنه ابن الحباز في التوجيه : «أنه ليس في كلام العرب زائد ، لأنه تكلم بغير فائدة ، وما جاء كذلك فمحمول على التوكيد» . البرهان ٧٢/٣ ، وممن نص على منع الزوائد في القرآن داود الظاهري - رحمه الله - فقد نقل عنه بعض أصحابه أنه كان يقول : «ليس في القرآن صلة بوجه» . البرهان ١٧٨/٢ .

وممن أنكر الصلة في القرآن الرازي ، فقد قال في ردّه على أبي عبيدة : «أما قوله إنها صلة ، فمعناه الحكم على كلمة من كلام الله تعالى بأنها حشو ضائع فاسد ، والعاقل لا يُجوز المصير إليه من غير ضرورة» . تفسير الرازي ٩٤/١٩ ، ويرى ابن مضاء في ردّه على النحاة تحريم دعوى الزيادة ، إذ يقول : «ومن بنى الزيادة في القرآن بلفظ أو معنى على ظنّ باطل قد تبين بطلانه ، فقد قال في القرآن بغير علم ، وتوجّه الوعيد إليه ، ومما يدل على أنه حرام ؛ الإجماع على أنه لا يزداد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته ، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ ، بل هي أخرى ؛ لأن المعاني هي المقصود ، والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها» . الرد على النحاة ٧٤ .

المذهب الثاني : تحويز القول بالزوائد في التنزيل ، يقول الزركشي في البرهان ٧٣/٣ : «ومنهم من جَوّزه وجعل وجوده كالعدم ، وهو أفسد الطرق» . وقد بينّ الزركشي مقصودهم بالزوائد بأنها من جهة الإعراب لا من جهة المعنى ، يقول : «ومرادهم أن الكلام لا يحتل معناه بحذفها ، لأنه لا فائدة فيه أصلاً ، فإن ذلك لا يُحتمل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم» . البرهان ٣٠٥/١ . وذكر ابن الخشاب أن الأكثرين ذهبوا إلى جواز إطلاق الزوائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف ؛ هذا للاختصار والتخفيف ، وهذا للتوكيد والتوطئة ، ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام . البرهان ٣٠٥/١ ، والأكثر من الذين أشار إليهم ابن الخشاب من النحاة ومنهم المبرّد الذي زعم الطرطوسي أنه ينكر دعوى الزيادة فقد قال في المنتضب ١٣٧/٤ : «وأما الزيادة التي دخولها في الكلام كسقوطها فقولك : ما جاءني من أحد ، وما كلمت من أحد ، وكقوله تعالى ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة : ١٠٥] إنها هو (خير) ولكنها توكيد» ، ومع قول النحاة بالزيادة ، فقد تحاشا بعضهم إطلاق لفظ الزيادة في القرآن ، واستعاضوا عنها بألفاظ مهذبة ؛ كالصلة ، والتوكيد ، والإلغاء . . ونحوها ، لكن بعضهم وللأسف استخدم عبارات لا تليق بالقرآن كالحشو واللغو . . ونحوها . انظر : شرح المفصل ١٢٨/٨ ، وما بعدها ، والأشبه والنظائر ١٥٦/٢ ، وما بعدها ، ويبدو أن الخلاف بين الفريقين خلاف صوري لا يتجاوز الألفاظ والعبارات ، لذلك فالأولى تجنب إطلاق لفظ : زائد في القرآن ، فضلاً عن (حشو) و(لغو) ، وإذا اضطر الإنسان إلى التعبير عن ذلك فليكن بلفظ (صلة) و(توكيد) .

بزيادتها فقال بعضهم هي: للتبويض^(١). وذكر البعض هاهنا وأريد به الجميع توسعاً^(٢).

وقال بعضهم: (من) هاهنا للبدل^(٣)، والمعنى: لتكون المغفرة بدلاً من الذنوب، فدخلت (من) لتضمن المغفرة معنى البدل من السيئة.

-
- (١) انظر: غرائب التفسير ١/ ٥٧٥، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٩٥، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٦، وأبو حيان ٥/ ٤٠٩، وابن جزي ٢/ ١٣٨، والألوسي ١٣/ ١٩٦، وصديق خان ٧/ ٩٢.
- (٢) ذكر المفسرون أقوالاً أخرى في توجيه معنى التبويض في الآية، انظر: الكشف ٢/ ٣٩٥، والرازي ١٩/ ٩٣-٩٤، وأبي حيان ٥/ ٤٠٩، وابن جزي ٢/ ١٣٨.
- (٣) انظر: غرائب التفسير ١/ ٥٧٥، والإملاء ٢/ ٦٧، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥١، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٧، والدر المصون ٧/ ٧٥، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٧، وقد أنكر الفخر الرازي -رحمه الله- ورود (من) للبدل في اللغة، فقال: «وأما قوله (أي الواحدي): المراد منه إبدال السيئة الحسنة، فليس في اللغة أن كلمة (من) تفيد الإبدال ١٩/ ٩٤»، وهذه الدعوى غريبة من الفخر الرازي، فإذا كان هو من يذهب كما ذهب غيره إلى عدم القول بأن (من) تأتي للبدل، فقد قال بذلك غيره، فكان ينبغي أن ينفي صحة القول بها عنده لا أن ينفيها من اللغة. ومن القائلين بها عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠]: الزمخشري ١/ ١٧٦، وأبو حيان ٢/ ٢٨٨، وابن هشام في مغنیه ٤٢٢، والزركشي في البرهان ٤/ ٤١٩، بل لقد قال أبو حيان -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿أَرْضِيئُكُمْ بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]: «تظافرت أقوال المفسرين على أن (من) بمعنى بدل؛ أي بدل الآخرة، كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ فِرْقَةً﴾ [الزخرف: ٦٠]: أي بدلاً منكم»، وقد أيد قوله بقول الشاعر:
- فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمٍ شَرْبَةً مُبْرَكَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ
- أي بدل ماء زمزم. والطهيان: عود ينصب في ناحية الدار للهواء تعلق فيه أوعية الماء حتى يبرد، تفسير أبي حيان ٥/ ٤١، وانظر: الإملاء ٢/ ٦٧، والدر المصون ٧/ ٧٥، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٧.

وقوله تعالى: ﴿يُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس: «ويمتدكم في الدنيا في النعيم والنضارة^(١) إلى الموت»^(٢).

قال المفسرون: معناه: لا يعاجلكم بالعذاب^(٣).

قال صاحب النظم: «أي إن لم تجيبوا إلى ما يدعوكم إليه عو جلتم بالعذاب عن أجل الموت المسمى لكم»^(٤).

(١) في (أ) و(د): (والعضارة)، ومطموسة في (ع)، والمثبت من (ش)، وهو الصحيح لانسجامه مع السياق والمعنى، و(النضارة) مأخوذ من النضرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤَمِّرُ نَاصِرَةً﴾ [القيامة: ٢٢]، قال الفراء: «معناه مشرقة بالنعيم» ٣٠٢/٢١٢.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٩٥/١٩، والألوسي ١٩٧/١٣.

(٣) ورد في تفسير الطبري ١٣/١٩٠، بنحوه، والسمرقندي ٢٠٢/٢ بمعناه، والثعلبي ١٤٧/٧ ابنه، والماوردي ٣/١٢٦ بنحوه، وانظر: البغوي ٤/٣٣٩، وابن الجوزي ٤/٣٥٠، والقرطبي ٩/٣٤٧، والخازن ٣/٧٢.

(٤) هذا القول يومئ إلى القول بالأجلين الذي يذهب إليه المعتزلة، وقد ذكره الزمخشري ٢/٣٩٥ صراحة فقال: «﴿يُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إلى وقت سباه الله وبين مقداره يبلغكموه إن أمتهم، وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت، يقول شارح العقيدة الطحاوية ٩٢ عن هذا المبدأ الاعتزالي: «وعند المعتزلة المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكان له أجلان، وهذا باطل»، والعدل والإنصاف يقتضي تقييد كلام الإمام ابن أبي العز، فليس كل المعتزلة يقولون بذلك، وقد ذكره الخليل بن أحمد أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - الذي عاش بين ظهرانيهم وتمذهب بمذهبهم أولاً عند حديثه عن الآجال، فقال: «اختلفت المعتزلة في ذلك على قولين: فقال أكثر المعتزلة: الآجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قُتل بأجله وإذا مات مات بأجله، وشذ قوم من جهلهم فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان لو لم يُقتل لبقى إليه، هو أجله دون الوقت الذي قُتل فيه». مقالات الإسلاميين ٢٥٦، وقد سَمَّى البغدادي - في أصول الدين ١٤٢ - الذين وافقوا أهل السنة في هذه المسألة - كأي الهذيل والجبائي، ومذهب أهل السنة في هذه المسألة - كما بينه الطحاوي - رحمه الله - هو: وقدّر لهم أقداراً وضرب لهم أجلاً. يعني أن الله قدّر آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فمن مات بأي نوع من أسباب الموت قتلاً أو مرضاً أو غرقاً أو حرقاً... فقد مات بأجله. شرح الطحاوية ٩٩، ١٠٠.

أما الرد على القائلين بالأجلين: فقد أشار ابن أبي العز - رحمه الله - في رده إلى أن هذا القول يقتضي =

وباقى الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّكُمْ فِي مِلَّتِنَا﴾ ظاهر ، ومعنى ﴿أَوْ لَنَعُودَنَّكُمْ فِي مِلَّتِنَا﴾ ذكرناه في قصة شعيب [الأعراف آية ٨٨] . وذكر ابن الأنباري هاهنا ، أن قوله : ﴿لَنَعُودَنَّكُمْ﴾ في الظاهر عطف على جواب اليمين ، ثم أجاب عن هذا وقال : «معنى الكلام لنخرجنكم من أرضنا حتى تعودوا في ملتنا ، ولكي تعودوا ، وإلا تعودوا»^(١) ، لقول امرئ القيس^(٢) :

..... إِنَّمَا نَحَاوُلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا

تجهيل الله - تعالى الله عما يقولون - فقال : «وهذا باطل لأنه لا يليق أن يُنسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة ، أو يجعل أجله أحد الأمرين ، كفعل الجاهل بالعواقب» . شرح العقيدة الطحاوية ١٠٠ .

(١) هذان المعنيان لـ (أو) بمعنى (حتى) أو (إلا أن) ذكرهما بعض المفسرين كالطبري ١٣/ ١٩١ ، ١٩٢ ، والثعلبي ٧/ ١٤٧ ، والبغوي ٤/ ٣٣٩ ، وأنكر آخرون أن يراد بها أي من القولين هنا ، وأنها على بابها أي التخيير يقول ابن العربي في رده عليهم : «وهو غير مفتقر إلى هذا التقدير ، فإن (أو) على بابها من التخيير ؛ خير الكفار الرسل بين أن يعودوا في ملتهم أو يخرجوا من أرضهم ، وهذه سيرة الله في رسله وعباده» . تفسير ابن العربي ٣/ ١١١٦ ، ويقول أبو حيان رحمه الله : «وتقدير (أو) هنا بمعنى (حتى) أو بمعنى (إلا أن) قول من لم ينعم (أي يبالغ) النظر في ما بعدها ؛ لأنه لا يصح تركيب (حتى) ولا تركيب (إلا أن) مع قوله ﴿لَنَعُودَنَّكُمْ﴾ بخلاف لألترمنك أو تقضييني حقي» . تفسير أبي حيان ٥/ ٤١١ ، وكذلك السمين - رحمه الله - ذهب مذهب شيخه ونقل كلامه دون نسبته إليه . الدر المنون ٧/ ٧٦ ، ويقول ابن عاشور رحمه الله : «و (أو) لأحد الشيئين . . وليست هي (أو) التي بمعنى (إلى) أو بمعنى (إلا)» تفسير ابن عاشور ١٣/ ٢٠٦ ، وحمل (أو) على بابها هو قول جمهور المفسرين ، وهو أولى بالترجح ما دام أن المعنى يستقيم ؛ ولأن هذا هو الأصل ، ولا يُصار إلى المعاني الأخرى إلا عند تعذر حملها على المعنى الأصلي ، أو وجود قرينة صارفة وداعية .

(٢) وصدره بتمامه :

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا

ديوانه ٦٤ ، وورد في الكتاب ٣/ ٤٧ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٧١ ، وشرح المفصل ٧/ ٢٢ ، والدر المنون ٩/ ٧١٣ ، وورد بلا نسبة في الخصائص ١/ ٢٦٣ ، ووصف المباني ٢١٢ ، وشرح الأشموني ٣/ ٥٢٧ ، والبيت من قصيدة قالها لعمر بن قميئة اليشكري حين استصحبه في مسيره إلى قيصر ، والشاهد : قوله (أو نموت) حيث نصب الفعل المضارع بإضمار (أن) ، (أو) بمعنى : (إلا) .

المعنى : إلا أن نموت وحتى نموت ، فكان يجب على هذا أن تكون (أو تعودوا)^(١) ، غير أنه غلب ظاهر الكلام ، ونُقل ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ عن لفظ الشرط إلى لفظ اليمين ، وأُشرك بينه وبين الذي قبله في اللفظ وإن كان مخالفه في المعنى ؛ كما قالوا : لو ترك عبد الله والأسد لأكله ، فنصبوا الأسد لأنه مخالف الأول ، ورفع بعضهم بالنسق^(٢) للتسوية بين اللفظين والمعنيين مختلفان حين أمن اللبس والإشكال ، وقال تعالى : ﴿نُقَلِّبُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [الفتح : ١٦] ، فعطف يُسَلِّمُونَ على تقاتلون تغليياً للفظ^(٣) ، والآخر على المعنى^(٤) ، وهذا الذي ذكرنا كله كلام أبي بكر ، وهو شرح ما ذكره الفرّاء في هذه الآية^(٥) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ قال صاحب النظم : أشار بقوله : ﴿ذَلِكَ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾ دون ما قبله لأنه قال : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ وخوفهم لا يكون سبباً لإهلاك الظالمين ، وإنما يكون سبباً لإسكانهم^(٦) الأرض ، وهذا يدل على أن (ذلك) يجوز أن يكون إشارة إلى شيء دون شيء مما تقدمه ، كقوله : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء : ٢٥] إشارة إلى إباحة تزويج الأمة . وقد ذكر قبله أحكاماً سوى هذا . وهو قوله : ﴿فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَلْتَمِثْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء : ٢٥] ثم قال : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ﴾ وهو في الظاهر كأنه متصل بهذه القصة ،

(١) أي اللفظة القرآنية لو كان في غير القرآن (أو تعودوا) بدلاً من ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ .

(٢) أي بالعطف .

(٣) لأن المعنى مشترك بين الأمرين ؛ أي يكون هذا ، أو يكون هذا ، كأنه قيل : يكن قتال أو إسلام . انظر : الكتاب ٤٧ / ٣ ، والمقتضب ٢٧ / ٢ ، والدر المصون ٧١٣ / ٩ .

(٤) أي الوجه الآخر للرفع ، رفعه على الاستثناف ، كأنه قال : تقاتلونهم أو هم يسلمون . انظر : الكتاب ٤٧ / ٣ ، وشرح الفصل ٢٣ / ٧ ، والدر المصون ٧١٣ / ٩ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٧٠ / ٢ - ٧١ .

(٦) في (أ) و(د) : (لأسكانهم) والمثبت من (ش) و(ع) .

وهو بالمعنى متصل بالقصة التي قبل هذا ، وهو قوله : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ إلى قوله : ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

والمقام هاهنا مصدر كالقيام ، يقال : قام قياماً ومقاماً^(١) .

ومعنى : ﴿خَافَ مَقَامِي﴾ ، قال ابن عباس : «خاف مقامه بين يدي»^(٢) .

وقال الكلبي : «مقامه بين يدي رب العالمين يوم القيامة»^(٣) ، وهذا قول أكثر المفسرين^(٤) .

وعلى هذا ، هو من باب إضافة المصدر إلى المفعول^(٥) ؛ كما تقول : ندمت على ضربك^(٦) ، وسُرَرْتُ^(٧) برويتك^(٨) ، ومنه : ﴿سُؤَالِ نَعْمِكَ﴾^(٩) [ص : ٢٤] ، و﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(١٠) [فصلت : ٤٩] .

(١) انظر : المحيط في اللغة (قوم) ١١٥٢ ، والمحكم لابن سيده ٦ / ٣٦٤ ، والمفردات للراغب ٦٩٠ ، وعمدة الحفاظ ٣ / ٤١٨ ، والقاموس المحيط ١٤٨٧ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١ / ٣١١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٥٠ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١ / ٣١١ بنصه .

(٤) ورد في معاني القرآن للفرأء ٢ / ٧١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٢٠ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٠٢ ، والثعلبي ٧ / ١٤٧ ب ، والماوردي ٣ / ١٢٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٤٠ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٤٨ ، والخازن ٣ / ٧٣ .

(٥) انظر هذه المسألة في : شرح جمل الزجاجي لابن هشام ٢٠١ ، وشرح ابن عقيل ٣ / ١٠٢ ، وشرح الأشموني ٢ / ٥٥٤ .

(٦) وتقديره : ندمت على ضربي إياك . انظر : تفسير الثعلبي ٧ / ١٤٧ ب .

(٧) في (أ) و(د) : (سرت) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٨) وتقديره : سررت برويتي إياك . انظر : تفسير الثعلبي ٧ / ١٤٧ ب .

(٩) وسياقها ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَيْكَ يَاعْلَاهُ﴾ ، والتقدير : لقد ظلمك بسؤاله إياك نعتك ، فحذف الهاء التي هي فاعل في المعنى ، والمفعول الأول ، وأضاف المصدر إلى المفعول الثاني . انظر : البيان في الإعراب ٢ / ٣١٤ ، والفريد في الإعراب ٤ / ١٦٠ .

(١٠) وسياقها : ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ ، والتقدير : لا يسأم الإنسان من دعائه الله بالخير ، =

قال الفرّاء : «وإن شئت قلت : ذلك لمن خاف مقامي عليه ومراقبتي»^(١) ؛
كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] . وعلى هذا
الوجه : المصدر مضاف إلى الفاعل ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾
[الرحمن : ٤٦] ، الوجهان^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَافَ وَعِيدٌ ﴾ ، الوعيد : اسم من أوعد إيعاداً^(٣) ؛ أي تهدد ،
معناه : الخبر عن العقاب على الإجرام ، قال ابن عباس : «خاف مما أوعدت من
العذاب»^(٤) .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ ذكرنا معنى الاستفتاح عند قوله : ﴿ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة : ٨٩] ، وللاستفتاح هاهنا معنيان ،

فحذف الفاعل والمفعول الأول ، والباء من المفعول الثاني ، وأضاف المصدر إلى المفعول الثاني . انظر :
البيان في الإعراب ٢ / ٣٤٢ ، والفريد في الإعراب ٤ / ٢٣٣ .

(١) هذا القول الذي نسبته إلى الفرّاء ، لم أجده في معاني القرآن للفرّاء ، إنما المذكور هو قول الجمهور حيث
قال معناه : «ذلك لمن خاف مقامه بين يدي» ، معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٧١ ، ولعل الواحدي نقله من
كتب الفرّاء الأخرى ، ويؤيده أن بعض المفسرين نسبوا معنى هذا القول إلى الفرّاء ، إلا أن يكونوا
نقلوه عن الواحدي - وهو احتمال قوي . انظر : الدر المصون ٧ / ٧٨ ، وحاشية الجمل على الجلالين
٢ / ٥١٨ ، وتفسير الألوسي ١٣ / ٢٠٠ .

(٢) فإذا قُدِّرَ إضافته إلى فاعله ، كان تقديره : خاف قيام ربه عليه ، وإذا قُدِّرَ إضافته إلى مفعوله كان
تقديره : خاف قيامه بين يدي ربه . انظر : تفسير أبي حيان ٨ / ١٩٦ ، والدر المصون ١٠ / ١٧٧ .

(٣) قال ابن السكيت : «قال الفرّاء : يقال وعدته خيراً ووعدته شراً بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير
والشر ، قالوا في الخير : وعدته ، وفي الشر : أوعدته ، وفي الخير : الوعد والعدة ، وفي الشر : الإيعاد
والوعيد ، وإذا قالوا : أوعدته بالشر أو بكذا ، أثبتوا الألف مع الباء كقولك : أوعدته بالضرب» .
إصلاح المنطق ٢٢٦ .

وانظر : تهذيب اللغة (وعد) ٤ / ٣٩١٥ ، والمحكم ٢ / ٢٣٦ ، وتهذيب إصلاح المنطق ١٨ ، واللسان
٨ / ٤٨٧٢ ، وعمدة الحفاظ ٤ / ٣٧٢ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ١ / ٣١١ بنصه ، وانظر : الرازي ١٩ / ١٠١ .

أحدهما : طلب الفتح بالنصرة^(١) ، والثاني : طلبه بالقضاء^(٢) ، وكلا المعنيين ذكره المفسرون .

قال ابن عباس : «يعني استنصروا»^(٣) .

وقال مجاهد وقتادة : «يعني الرسلُ استنصروا الله ، ودعوا على قومهم بالعذاب لما يؤسوا من إيمانهم»^(٤) ، كما قال نوح : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ ﴾ [نوح : ٢٦] ، وقول موسى : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ الآية . [يونس : ٨٨] ، وقال لوط : ﴿ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٠] ، وهذا المعنى اختيار أبي إسحاق ؛ قال : «سألوا الله أن يفتح عليهم ؛ أي^(٥) ينصرهم ، وكل نصر فهو فتح»^(٦) .

(١) بمعنى الاستنصار : أي طلبوا النصرة من الله .

(٢) بمعنى الاستقضاء : أي تحاكموا إلى الله وسألوه القضاء بينهم مأخوذ من الفُتاحة ؛ وهي الحكومة . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٠١ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١ / ١٩٢ ، بلفظه ، والثعلبي ٧ / ١٤٧ ب ، بلفظه ، والماوردي ٣ / ١٢٧ بنحوه ، والطوسي ٦ / ٢٨٢ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٥١ ، وابن كثير ٢ / ٥٧٨ .

(٤) تفسير مجاهد ١ / ٣٣٤ بنحوه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢ / ٣٤١ بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٣ / ٩٣ بنحوه من عدة طرق عنهما ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٠٣ ، عن قتادة ، والثعلبي ٧ / ١٤٧ ب ، عنهما ، والطوسي ٦ / ٢٨٢ عنهما ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٣٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عنهما .

(٥) في (أ) و(د) : (أن) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٦ بنصه .

وقال ابن زيد : «استَقْضُوا»^(١) ، وهو قول مقاتل ؛ قال : «يعني الأمم ؛ وذلك أنهم قالوا : اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ، شكّا منهم في صدقهم»^(٢) ، كقوله : ﴿ أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَآبَ كُلِّ جَبَّارٍ ﴾ ، وذكرنا معنى الجبار في قوله : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة : ٢٢] ، ومعنى الجبار هاهنا : المتكبر عن طاعة الله وعبادته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم : ١٤] ، قال أبو عبيد عن الأحمر^(٣) : «يقال فيه : جَبَرِيَّةٌ ، وَجَبْرُوءَةٌ ، وَجَبْرُوتٌ ، وَجُبُورَةٌ»^(٤) .

(١) لم أقف على هذا القول منسوباً إليه ، والذي نسب إليه ، قال : «استفتاحهم بالبلاء» ، أخرجه الطبري شاكر ١٦ / ٥٤٥ ، وورد في تفسير الماوردي ٣ / ١٢٧ ، والطوسي ٦ / ٢٨٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٥١ ، وابن كثير ٢ / ٥٧٨ .

(٢) تفسير مقاتل ١ / ١٩٢ أ ، بتصرف ، وانظر : تفسير السمرقندي ٢ / ٢٠٣ .

(٣) علي بن المبارك الأحمر النحوي صاحب الكسائي ، كان مؤدب الأمين ، وهو أحد من اشتهر بالتقدم في النحو واتساع الحفظ ، قال ثعلب : «كان يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب» ، جرت بينه وبين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد فغلبه ، توفي سنة ١٩٤ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : الأنساب للسمعاني ١ / ١٤٥ ، ونزهة الألباء ٨٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣١٣ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (جبر) ١ / ٥٣٢ ، بزيادة مصدر خامس هو (جُبُورَةٌ) .

وحكى الزَّجَّاج : الجَبْرِية ، والجَبْرِية ، بكسر الجيم والباء ، والتَّجْبَارُ ،
والجَبْرِياء ، فهي تسع لغات في مصدر^(١) ، وفي حديث امرأة حضرت النبي ﷺ
فأمرها بأمر فأبت^(٢) عليه فقال : «دَعُوها فإنها جَبَّارة»^(٣) أي مستكبرة^(٤) .

وقال الليث^(٥) : «قلب جبار ذو كبر ، لا يقبل موعظة»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿عَنِيدٍ﴾ اختلف أهل اللغة في اشتقاق العنيد ؛ فقال
النضر بن شَمَيْل : «العُنود : الخلاف والتباعد والتَّرك»^(٧) ، يقال : أشد ما عَنَدْتُ

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/٣ ، وقد أورد المصادر التسعة كلها . وتتبع هذه المصادر في عدة مراجع
فوجدتها قد بلغت ثمانية عشر مصدراً ، كلها بمعنى الكبر . انظر : المحكم (جبر) ٢٨٣/٧ ، واللسان
١/٥٣٥ ، والتاج ٦/١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) في (أ) و(د) : (فنايت) ، وهو تصحيف ، والمثبت من : (ش) و(ع) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع ٢٤٧ بنصه عن أنس ، والزار في كشف الأستار ٢٢٢/٤ وضعفه ،
والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣٧٥ ، وأبو يعلى في مسنده ٦/٣٤ ، والطبراني في الأوسط (مجمع
البحرين) ١/١٦١ ، وأبو نعيم في الحلية ٦/٢٩١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٩٩ ، وقال :
«وفيه يحى الحماني ، ضعفه أحمد ورماه بالكذب» ، فهذا الحديث ضعيف كما نص الزار على ضعفه ،
وأشار الإمام أحمد إلى ضعفه .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث ١/٢٣٦ .

(٥) الليث هو ابن المظفر كما سماه الأزهرى وقيل : ابن نصر كما في البلغة ، وقيل : ابن رافع ، بن سيار
الخرساني ، اللغوي النحوي صاحب الخليل ، أخذ عنه النحو واللغة ، وأملى عليه ترتيب كتاب العين ،
ويقال إن الخلل الذي وقع فيه كان من جهته ، كان بارعاً في الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو .
انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١/٤٧ ، وإنباه الرواة ٣/٤٢ ، وإشارة التعيين ٢٧٧ ، والبلغة ٤٧٤ ،
والبغية ٢/٢٧٠ .

(٦) لم أقف على مصدره ، ونقله الفخر الرازي عنه ١٩/١٠٢ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/٢٥٨٩ بنصه ، وانظر : اللسان (عند) ٥/٣١٢٤ ، والتاج ٨/٤٢٥ .

من قومك ، أي باعدت^(١) عنهم » ، قال أكثر أهل اللغة : وأصله من العُنْد^(٢) ، وهو الناحية ، يقال : فلان يمشي عُنْدًا ، أي ناحية^(٣) ، ومنه :

إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَا^(٤)

فمعنى عَانَدَ وَعَنْدَ : أخذ في ناحية معرضاً .

قال أبو حاتم عن الأصمعي : «عَنْدَ فلان عن الطريق ، يَعْنِدُ عُنُودًا إِذَا تَبَاعَدَ»^(٥) ، وروى شمر عن أبي عدنان^(٦) عنه^(٧) : «عَانَدَ فلان فلاناً إِذَا جَانَبَهُ ،

(١) في (ش) و(ع) : (تباعدت) .

(٢) (عند) مثلث الأول مختلف المعنى ؛ فالْعُنْدُ والعُنُودُ : الميل عن الشيء ، وَعَنْدَ : ظُرفٌ معلوم المعنى ، وقد يفتح عينه ويُضَم ، والعُنْدُ : جمع عُنُود ؛ وهي النافقة ترعى وحدها ، والسحابة الكثيرة المطر . انظر : إكمال المثلث بتثليث الكلام ٢/ ٤٥٣ ، والدرر المبثثة في الغرر المثلثة ١٥٢ .

(٣) انظر : جوهرة اللغة (عند) ٢/ ٦٦٥ ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٥٣ ، ومجمل اللغة ٣/ ٦٣١ ، والصحاح ٢/ ٥١٢ ، واللسان ٥/ ٣١٢٤ ، والقاموس ٣٠٢ ، والتاج ٥/ ١٣١ .

(٤) صدره :

إِذَا رَكِبْتُ فَاجْعَلَانِي وَسْطًا

ورد بلا نسبة في المقتضب ١/ ٢١٨ ، والجمهرة ٢/ ٦٦٦ ، والصحاح (عند) ٢/ ٥١٣ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤٨ ، وأمالى ابن الشجري ١/ ٤٢٢ ، ومغني اللبيب ٨٩٤ ، وورد برواية : «إِذَا نَزَلْتُ . . .» في مجاز القرآن ١/ ٣٣٧ ، والاقتضاب ٤١٥ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٤٥ ، والخزانة ١١/ ٣٢٣ ، وورد برواية : «إِذَا رَحَلْتُ . . .» في المحكم ٢/ ١٥ ، واللسان ٥/ ٣١٢٤ ، والتاج ٥/ ١٣٠ ، وورد برواية : «إِذَا رَجَلْتُ . . .» في أدب الكاتب ٤٩١ ، وورد برواية : «إِذَا رَكِبْتُ» في مقاييس اللغة ٤/ ١٥٣ ، معنى البيت : كان الشاعر قد كبر ، والرجل إذا كبر عاد كالصبي ؛ والصبيان يخافون بالليل ، فهو يقول : اجعلاني وسطكما فإنني لا أطيق أن أكون في الجانب .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٩ .

(٦) أبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي ، كان عالماً باللغة ، وراوية لأبي البداء الرياحي ، بصريٌّ شاعر ، صَنَّفَ في اللغة وغريب الحديث كتباً ، منها (كتاب القوس) و(غريب الحديث) . انظر : الفهرست ٧٢ ، وإنباه الرواة ٤/ ١٤٨ ، والبغية ٢/ ٨٠ .

(٧) الضمير عائد على الأصمعي .

وَدُمَّ عَائِدٌ : يَسِيلُ جَانِبًا^(١) ، ونحو ذلك قال الكسائي في ما روى عنه أبو عبيد : «عَنَدَتِ الطَّعْنَةُ ، إِذَا سَالَ دُمُّهَا بَعِيدًا مِنْ صَاحِبِهَا ، وَهِيَ طَنْعَةٌ عَائِدَةٌ ، وَعَنَدَ^(٢) الدَّمُ : إِذَا سَالَ فِي جَانِبِ^(٣) ، وَالْعُنُودُ مِنَ الْإِبِلِ : الَّتِي لَا يَخَالِطُهَا إِنَّمَا هُوَ فِي نَاحِيَةِ أَبْدَأَ^(٤) » ، وعلى هذا المعنى كلُّ كلامٍ أَكْثَرَ الْمُفْسِّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الْعَنِيدِ ؛ قَالَ قَتَادَةُ : «الْعَنِيدُ : الْمَعْرُضُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ»^(٥) ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٍ : «هُوَ الْمَجَانِبُ لِلْحَقِّ»^(٦) .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : «النَّاكِبُ عَنِ الْحَقِّ»^(٧) .

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : «الْمُخَالَفُ لِلْحَقِّ»^(٨) .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : «الَّذِي يَعْدِلُ عَنِ الْقَصْدِ»^(٩) .

-
- (١) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٢٥٨٨ / ٣ بنصه .
- (٢) في النسخ جميعها : (عندم) ، والعنَدَم : دُمُّ الْأَخْوِين ، والمثبت من المصدر المنقول عنه .
- (٣) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٢٥٨٨ / ٣ ، بتصريف يسير ، وانظر : اللسان (عند) ٣١٢٥ / ٥ ، والتاج ١٣١ / ٥ .
- (٤) نُسِبَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى اللَّيْثِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ ٣٤٩ / ٩ ، وعمدة الحفاظ ١٥٦ / ٣ ، وانظر : التهذيب (عند) ٢٥٨٨ / ٣ ، ومقاييس اللغة ١٥٣ / ٤ ، والمحكم ١٤ / ٢ ، واللسان ٣١٢٤ / ٥ ، والتاج ١٣٠ / ٥ .
- (٥) أخرج الطبري ١٣ / ١٩٤ بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة (عند) ٢٥٨٨ / ٣ بنصه ، واللسان (عند) ٣١٢٤ / ٥ بنصه ، وفي معظم المصادر أنه فسرها بقوله : الَّذِي يَأْبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٣٤١ ، والطبري ١٣ / ١٩٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٢١ ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١٤٧ ب .
- (٦) تفسير مجاهد ١ / ٣٣٤ بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٣ / ١٩٣ بنحوه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٠٣ بنحوه ، والثعلبي ٧ / ١٤٧ ب بنحوه ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٢١ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٤٠ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٤٩ .
- (٧) أخرجه الطبري ١٣ / ١٩٣ بنصه من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١٤٧ ب بنصه ، وانظر : الدر المنثور ٤ / ١٣٧ ، وتفسير صديق خان ٧ / ٩٧ .
- (٨) ورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١٤٧ ب بنصه .
- (٩) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٦ بنصه .

وقال قوم من أهل اللغة: أصله من: عَنَدَ الْحُبَارَى فرخه، إذا عارضه بالطيران أول ما ينهض كأنه يعلمه الطيران^(١)، ومنه المَثَلُ: كلُّ شيء يحب ولده حتى الحُبَارَى^(٢)، ويُحِبُّ عِنْدَهُ؛ أي اعتراضه، فالمعاند: المعارض لك بالخلاف^(٣).

قال ابن الأعرابي: «أَعْنَدَ الرجل، إذا عارض إنساناً بالخلاف، وأَعْنَدَ، إذا عارض بالاتفاق^(٤)، وعاند البعير خطامه؛ أي عارضه^(٥)، والعَنُود من الإبل، التي تُعَانِدُ الإبل فتعارضه^(٦)»، وقال قوم من أهل اللغة: «معنى عَنَدَ، إذا أبى قبول الشيء مع العلم به تكبراً عنه وبغياً وطغياناً^(٧)»، ومعنى ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: فاز الرسل بالنصرة، وخاب كل من كفر؛ لأنه لم يظفر بما تمنى.

-
- (١) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ بنصه، وانظر: اللسان (عند) ١٥/ ٣١٢٤، والتاج ٥/ ١٣٠.
- (٢) انظر: مجمع الأمثال ٢/ ١٤٦، والمستقصى في الأمثال للزمخشري ٢/ ٢٢٧. يضرب هذا المثل في الموق (أي الحمق) يقول: هي على موقها تُحِبُّ ولدها وتعلمه الطيران.
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨، والمحكم ٢/ ١٥، والتاج ٥/ ١٣٠.
- (٤) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨، بنصه.
- (٥) المصدر السابق بنصه.
- (٦) المصدر السابق بنصه منسوباً للقيسي.
- (٧) المصدر السابق بنحوه منسوباً لليث، وانظر: اللسان (عند) ٥/ ٣١٢٤، والتاج ٥/ ١٣٠.

١٦. قوله تعالى : ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [قال ابن عباس والمفسرون : «يريد أمامه جهنم»^(١) بين يديه»^(٢) ، ووراء يكون لخلف وقُدَّام ، وإنما معناه ما توارى عنك ؛ أي ما اسْتَتَرَ عنك^(٣) فعلى هذا إنما قيل (من ورائه) لما بين يديه ؛ لاستتاره عنه ، فصار كما يكون خلفه لما كان لا يراه . وذهب قوم إلى أن الوراء من الأضداد ؛ يكون الخلف والقُدَّام^(٤) ، وهو قول أبي عبيدة^(٥) ، وابن السكيت^(٦) ، وأبي الهيثم^(٧) .

قال أهل المعاني : وإنما جاز ذلك^(٨) لأنه ما من مكان إلا ويصح أن يكون خلفاً وقُدَّاماً ، ولما^(٩) كان ما هو خلف يجوز أن يصير قداماً ، جاز أن يقع الوراء على القُدَّام^(١٠) ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف : ٧٩] ، أي

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .
- (٢) ورد في تفسيره الوسيط ٣١٢ / ١ بنصه عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٣٥١ / ٤ بنحوه عن ابن عباس ، وانظر : الطبري ١٣ / ١٩٥ ، والثعلبي ٧ / ١٤٨ أ ، والماوردي ٣ / ١٢٧ .
- (٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٦ بنصه .
- (٤) انظر : ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي ٢٠ ، والسجستاني ٨٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٨ ، وتأويل مشكل القرآن ١٨٩ ، وجمهرة اللغة ١ / ٢٣٦ ، وقد أنكر الزَّجَّاج والنحاس أن تكون وراء من الأضداد ، ورجحاً أن تكون بمعنى الاستتار ، وهو ما ذهب إليه ثعلب ؛ فقد سئل لم قيل الوراء للأمام ، فقال : «الوراء اسم لما توارى عن عينك ، سواء أكان أمامك أم خلفك» . معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٢٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٥٢ ، وتفسير الشوكاني ٣ / ١٤٣ .
- (٥) مجاز القرآن ١ / ٢٣٧ بنحوه .
- (٦) الأضداد لابن السكيت (ثلاثة كتب في الأضداد) ١٧٥ ، وانظر : تهذيب اللغة (وري) ٤ / ٣٨٧٩ .
- (٧) ورد في تهذيب اللغة (وري) ٤ / ٣٨٧٩ بنحوه ، وأبو الهيثم هو الرازي ، تقدمت ترجمته .
- (٨) أي كون (وراء) من الأضداد .
- (٩) في (أ) و(د) : (إنما) ، والمثبت من (ش) و(ع) .
- (١٠) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ١٥٧ بنحوه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٠٥ بنحوه ، وانظر : الأضداد للسجستاني (ثلاثة كتب في الأضداد) ٨٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٨ .

أمامهم^(١)، ويقال: الموت من^(٢) وراء الإنسان؛ أي أمامه، وذكر ابن الأنباري وجهاً ثالثاً؛ وهو: أن وراء هاهنا بمعنى بعد^(٣)، والكناية فيه تعود إلى اليأس الذي دلّ عليه قوله: ﴿وَحَابٌ﴾ كأنه قال: من بعد يأسه^(٤) جهنم، كقول النابغة:

وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ^(٥)

أي وليس بعد الله مذهب.

وقال مقاتل: «مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ» يعني بعده^(٦)، وهذا على معنى أن جهنم تلحقه، وأن عاقبته تصير إليها؛ كما يقال: وراءك برد شديد؛ أي إنه يأتيك ويبلغك، وأنا من وراء هذا الأمر؛ أي أصل إليه طالباً، ومنه قول لبيد:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَيِّتِي
لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ^(٧)

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) (من) ساقطة من (ش) و(ع).

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٢، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٣، وورد بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧، وتهذيب اللغة (وري) ٤/ ٣٨٧٨، وتفسير الماوردي ٣/ ١٢٨، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٠، وقد انتصر ابن عطية لهذا المعنى في رده على الطبري وغيره ممن فسّروا (ورائه) (بأمامه)، وذكر أن (وراء) هاهنا على بابها؛ أي ما يأتي بعد في الزمان. انظر: تفسير ابن عطية ٨/ ٢١٧.

(٤) في (أ): (بانية)، وفي (د): (بابنية)، وفي (ش) و(ع): (ناسه)، والتصويب من تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٢.

(٥) صدره:

حلفت فلم أترك لنفسك ريةً

ديوان النابغة الذبياني ٢٧، وورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧، والأضداد لابن الأنباري ٧٠، وتهذيب اللغة (وري) ٤/ ٣٨٧٩، وتفسير الماوردي ٣/ ١٢٨، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٠، والألوسي ١٣/ ٣٠١، وهذا البيت من قصيدة قالها يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ويمدحه.

(٦) تفسير مقاتل ١/ ١٩٢، وعبارته: «من بعدهم»؛ يعني من بعد موته، وانظر: تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨، بنصه، ونقلها عنه.

(٧) شرح ديوان لبيد ١٧٠، وورد في الأضداد للسجستاني (ثلاثة كتب في الأضداد): ٨٣، والأضداد =

جعل الشيب وزمانه وراءه ، على معنى أنه يأتيه^(١) ويلحقه . وبقي شيء من الكلام في وراء سذكركه عند قوله : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الكهف : ٧٩] ، إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ الصديد في اللغة : ماء الجرح المختلط بالدم والقيح^(٢) ، يقال : أَصَدَّ الجرح .

قال ابن عباس : «يريد صديد القيح والدم الذي يخرج من فروج الزناة»^(٣) ، وهو قول القرظي^(٤) ، والربيع^(٥) .

وقال قتادة والكلبي : «هو ما يخرج من جلد الكافر ولحمه»^(٦) ، وتلخيص قوله : ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ : من مائع سائل هو صديد ، وقال أبو علي : «تقديره : من ماء ذي صديد» ، قال : «وهذا خلاف قوله : ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا﴾»^(٧) [الإنسان : ٢١] .

= لابن الأنباري ٦٩ ، وتهذيب اللغة (وري) ٣٨٧٨ / ٤ ، والأغاني ٩٩ / ١٤ ، واللسان (وري) ٤٨٢٣ / ١ ، وفي جميع النسخ : (وراء) بحذف الياء والمثبت هو الصواب ، والتصويب من الديوان وجميع المصادر السابقة .

(١) في (أ) و(د) : (ثابتة) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٢) انظر : مجاز القرآن : ٣٣٨ ، والغريب لابن قتيبة ٢٣٦ / ١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٧ / ٣ ، ونزهة القلوب ٢٩٧ ، وانظر : تهذيب اللغة (صد) ١٩٨٥ / ٢ ، ومقاييس اللغة ٢٨٢ / ٣ ، ومجمل اللغة ٥٣٢ / ٢ ، واللسان (صدد) ٢٤١٠ / ٤ .

(٣) ورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٤٨ / ٧ ، وتفسيره الوسيط ٣١٢ / ١ بنصه .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨ / ٧ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٣ / ٤ ، والخازن ٧٣ / ٣ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٥١٩ / ٢ ، وتفسير الألوسي ٢٠٢ / ١٣ ، وصديق خان ٩٨ / ٧ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨ / ٧ بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٥٢ / ٩ ، والألوسي ٢٠٢ / ١٣ .

(٦) أخرجه عن قتادة عبدالرزاق ٣٤١ / ٢ بنحوه ، والطبري ١٩٥ / ١٣ بنحوه من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ١٤٨ / ٧ بنصه عن قتادة ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٢ / ٤ عن قتادة ، وابن كثير ٥٧٨ / ٢ عن قتادة .

(٧) لم أقف على مصدره .

١٧. قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: جَرَعَ الماءَ واجْتَرَعَهُ جَرْعاً واجْتَرَعاً، فإذا تابع الجَرْعَ مرة بعد أخرى كالمُتَكَارِه، قيل: تَجَرَّعَهُ^(١)، فمعنى التَّجَرُّع: تناول المشروب جَرْعَةً جَرْعَةً على استمرار، وهو معنى قول ابن عباس: «يريد بالكُزْه»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَسِغُهُ﴾ ذكرنا معنى (كاذ) عند قوله: ﴿يَكَاذُ الْبَرُّ﴾ [البقرة: ٢٠] ويقال: ساغ الشراب في الحلق، يَسُوغُ سَوَغاً، وأسأغه الله^(٣).
وأنشد الفرَّاء^(٤):

وَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَاذُ أَغْصُ بِالمَاءِ الحَمِيمِ^(٥)

(١) ورد في تهذيب اللغة (جرع) ٥٨٥/١ بنصه تقريباً، وانظر: المحيط في اللغة (جرع) ٢٥٠/١، والتاج ٦٢، ٦١/١١.

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي: ٣١٤/١، بلفظه.

(٣) انظر: جهرة اللغة (سوغ) ٨٤٦/٢، وتهذيب اللغة ١٥٩٧/٢، ومجمل اللغة ٤٧٨/٢، ومقاييس اللغة ١١٦/٣، والصحاح ١٣٢٢/٤، والعياب الزاخر: غ/٤٨، واللسان ٢١٥٢/٤.

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٣٢٠/٢، بلا نسبة.

(٥) نُسب لعبدالله بن يعرب (جاهلي) في شرح التصريح على التوضيح ٥٠/٢، والدرر اللوامع ١١٢/٣ وفيه: (الفرات) بدل (الحميم) ولا فرق؛ لأن الفرّات هو الماء العذب، وكذا الحميم؛ لأنها من الأضداد. انظر: الأضداد لابن الأنباري ١٣٨، ونُسب ليزيد بن الصَّعِق (جاهلي) في خزانة الأدب ٤٢٦/١، ٤٢٩، ٥٠٥/٦، ٥١٠، وعجزة:

أغصُ بنقطة الماء الحميم

ورود بلا نسبة في شرح المفصل ٨٨/٤، وأوضح المسالك ١٤٩، وشرح ابن عقيل ٧٣/٣، وتذكرة النحاة ٥٢٧، وشرح الأشموني ٥٠٣/٢، وجمع الهوامع ١٩٤/٣، والمعنى: يقول لم يكن يهنا لي طعام ولا يلذ لي شراب، بسبب ما كان لي من الشار عند هؤلاء، فلما غزوتهم وأطفأت لهيب صدري بالغلبة عليهم ساغ شرابي ولذت حياتي.

قال المفسرون في هذه الآية : يتحسّاه ويشربه بالجرع لا بمرة واحدة لمرارته^(١) ، وقالوا (يكاد) صلة ؛ المعنى : ولا يسيغه^(٢) ، كقوله : ﴿لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: ٤٠] أي لم يرها ، قال ابن عباس : «لا يُجِيزُهُ»^(٣) .

وقال أهل المعاني : معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ : بعد إبطاء ، لأن العرب تقول : ما كدت أقوم ؛ أي قمت بعد إبطاء ، قال تعالى : ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يعني : فعلوا بعد إبطاء ؛ لتعذر وجودها ، فعلى هذا (كاد) ليس بصلة .

وقوله : ﴿لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: ٤٠] جاز أن تكون صلة ؛ لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمة^(٤) على عدم الرؤية ، فوضح^(٥) بذلك أن ﴿يَكْدِرْهَا﴾ مزيد للتوكيد ، والدليل على الإساءة قوله : ﴿يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الحج: ٢٠] ، ولا يكون الضمير^(٦) إلا بعد الإساءة ، وأيضاً فإن قوله : ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يدل على أنهم

(١) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ١٤٨/٧ ، وتفسيره الوسيط تحقيق سيبسي ٣١٤/١ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤١/٤ ، والفخر الرازي ١٠٣/١٩ ، وتفسير القرطبي ٣٥١/٩ ، والخازن ٧٣/٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٥٧/٣ ، وتفسير السمرقندي ٢٠٣/٢ ، والبغوي ٣٤١/٤ ، والزخشري ٢٩٧/٢ ، وابن الجوزي ٣٥٣/٤ ، والبيضاوي ١٥٨/٣ . وذهب آخرون كالفرّاء والطبري إلى أنها ليست صلة ؛ لأن العرب تستعمل (لا يكاد) في ما قد فعل وفي ما لم يفعل ، وذكروا هذه الآية مثلاً على ما فعل ، فقالوا : معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ ؛ أي يسيغه ، واستشهدوا على ما لم يفعل بقوله : ﴿لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ ؛ أي لم يرها . معاني القرآن للفرّاء ٧١/٢ ، وتفسير الطبري ١٣/١٩٥ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٠٣/١٩ ، وابن جزي ١٣٩/٢ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٥١٩/٢ ، وتفسير الشوكاني ١٤٤/٣ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨/٧ ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٢/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٥١/٩ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٥١٩/٢ .

(٤) بسبب الظلمات الثلاث ؛ ظلمة البحر ، وظلمة الموج ، وظلمة السحاب ، وهو ما أشارت إليه الآية . [النور: ٤٠] .

(٥) في النسخ جميعها (فوضع) بالعين ، وهو تصحيف ، والصواب بالحاء .

(٦) أي الكناية في يسيغه تعود على الكافر ، ولو لم تحصل له الإساءة لقال : (لا يكاد يُسَاغ) ونحوها .

أساغوا منه^(١) الشيء بعد الشيء ، فكيف يصح أن يقال بعده : لا يُسيغُه ، ألبتة ؟ فإن قيل فكيف وجه ما قاله المفسرون ؟

قيل : يُحْمَلُ على وجهين ؛ أحدهما : ذكره ابن الأنباري وهو أن المعنى : ولا يُسيغُ جمعه ؛ كأنه يُجرع البعض ، ولم يُسغِ الجميع لمرارته ، فوقع الجحدُ بعد إثباتِ التَّجرعِ ؛ على معنى إساعة الكل .

الوجه الثاني : أن معنى الإساعة في اللغة إجراء الشراب في الحلق على تَقَبُّلِ النَّفْسِ واستطابة المشروب^(٢) ، والكافر يتجرع ذلك الشراب على كراهته ولا يُسيغُه أي لا يستطيعه ولا يشربه شرباً بمرة واحدة ، فعلى ما ذكرنا من الوجهين يصح أن تكون (يكاد) صلة على ما ذكره المفسرون ، وقول من لم يجعل (يكاد) صلةً أمثل .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ذكر أهل المعاني في ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴾ وجهين ؛ أحدهما : أن هذا من باب حذف المضاف ؛ على معنى : ويأتيه همُّ الموت وألُـمُّه وكرْبُهُ^(٣) ، لأنه يستحيل أن يأتيه الموت ؛ عين الموت ، ثم لا يموت ، وقد قال الله : ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ .

(١) في النسخ جميعها (أساغوه منه) جمع بين الضميرين ، فأصبحت العبارة مضطربة ، وتستقيم العبارة بأحد الأمرين : إما أن تحذف الهاء فتصير (أساغوا منه الشيء بعد الشيء) أو تحذف (منه) وتصير العبارة (أساغوه ؛ الشيء بعد الشيء) . وكأن التصويب قد جرى في نسخة (ع) بطمس (الهاء) بألف غير واضحة .

(٢) لم يذكر المؤلف أهم خصائص الإساعة ؛ وهو السهولة والاستمرارية ، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة ١١٦ / ٣ : «السين ، والواو والغين أصل يدل على سهولة الشيء واستمراره في الحلق خاصة ، ثم يحمل على ذلك» اهـ . وكأنه ذكر لازم السهولة والاستمرارية ، وهو تقبل النفس واستطابة المشروب . وانظر : العباب الزاخر : غ / ٤٩ .

(٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢٠٣ / ٢ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٣ / ٤ بنصه ، وفي هذا التفسير نظر ؛ لأن همَّ الموت إنما كان عذاباً لأهل الدنيا لخشيته من المصير المجهول ، أما أهل =

والمعنى : أن الله تعالى حبس نفس الكافر في جسده على اجتماع آلام الموت وأفانينه^(١) عليه ليصل إليه الألم ، ومع ذلك لم يفارقه الروح فيستريح . الوجه الثاني : أنه أراد بالموت هاهنا : موت الضر والبلاء ؛ كما يقال : فلان ميت مما لحقه ، ومات فلان موتات بما أباح^(٢) عليه من البلية ؛ يعني : إنه كالميت وإن كان فيه روح ، كما ورد في الحديث : «إن الفقر مكتوب عند الله الموت الأعظم»^(٣) وقد قال الشاعر^(٤) :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءُ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيْبًا كَاسِفًا بِأَلْهِ قَلِيلَ الرَّخَاءِ^(٥)

الآخرة من الكفار فإن الموت لم يكن همًّا لهم ، بل هو راحة يتمنونه ، كما قال تعالى : ﴿وَنَادُوا بِمَحَلِّكَ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَيْكُ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الزخرف : ٧٧] ؛ لذلك فالأولى تفسيره بقول ابن عباس ، قال : «أي أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ؛ ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال : ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر : ٣٦] ، انظر : ابن كثير ٥٧٩ / ٢ ، والدر المنثور ١٣٩ / ٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم . والغريب عدم إيراده لهذا القول عن ابن عباس كما التزم ، وهو قريب من الوجه الثاني الذي أورده عن أهل المعاني .

- (١) ضُربوه وأنواعه . المحيط في اللغة (فن) ٣١٥ / ١٠ .
- (٢) البَوْحُ : ظهور الشيء ، وبَاحَ الشيء : ظهر ، وأَباح الشيء : أطلقه . اللسان (بوح) ٣٨٤ / ١ .
- (٣) لم أجده بلفظه ولا بمعناه في ما تيسر لي من المراجع .
- (٤) هو عدي بن الرَّعْلَاء الغساني (شاعر جاهلي) .
- (٥) ورد البيتان معاً في الأصمعيات ١٥٢ ، ومعجم الشعراء ٧٧ ، وشرح شواهد المغني ٤٠٥ / ١ ، وورد البيت الأول فقط في البيان والتبيين ١ / ١٢٤ ، والحيوان للجاحظ ٦ / ١٣٥ ، والعقد الفريد ٥ / ٤٧٦ ، والاشتقاق ٥١ ، وأُمالي ابن الشجري ١ / ١٢٤ ، وشرح المفصل ١٠ / ٦٩ ، والخزانة ٦ / ٥٣٠ ، ورواية معجم الشعراء : (الرخاء) بالحاء ، وفي باقي المصادر (الرجاء) بالjim ، ولا يختلف المعنى . (كاسفاً) : سيئاً حاله ، وقد ورد البيتان في شأن من تدعه الحرب سليماً معافى في ثياب من الذل والخزي ، فحياته ليست إلا موتاً .

فجعلله ميتاً ، وهذا قول أبي بكر ، وهو معنى قول الأخفش ؛ يعني : البلى التي تصيب الكافر في النار^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ قال ابن عباس : « يريد من كل شعرة في جسده »^(٢) . وقال الثوري : « من كل عِرْق »^(٣) ، وهذا قول أكثر المفسرين : جعلوا المكان من جسده^(٤) ، وروي عن ابن عباس في قوله من كل مكان : « أي من كل جهة ؛ من عن يمينه وشماله ، ومن فوقه وتحتة ، ومن قدامه وخلفه »^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ وَرَآيَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : « يريد أمامه يوم القيامة »^(٦) .

(١) ليس في معانيه ، وقد ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨/٧ ب بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٤/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٥٢/٩ ، وأبي حيان ٤١٣/٥ ، وتفسير الشوكاني ١٤٤/٣ ، والألوسي ٢٠٣/١٣ ، وصديق خان ٩٩/٧ ، وقد أنكر أبو حيان والألوسي هذا القول بحجة أن سياق الكلام عن أحوال الكافر في جهنم وما يلقي فيها . وهذا غير مسلم لهما ؛ لأن ما يلقاه الكافر في نار جهنم من أنواع العذاب هي من البلى والالام التي تصيبه ، لكن لا على سبيل الابتلاء والامتحان ؛ لأن ذلك زمنه الدنيا وقد ولى .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ٢١٤/١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٣/٤ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣١٤/١ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٣/٤ .

(٤) ورد بنحوه في معاني القرآن للقرءاء ٧٢/٢ ، والغريب لابن قتيبة ٢٣٦/١ ، وتفسير الطبري ١٩٦/١٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٣/٣ ، وتفسير السمرقندي ٢٠٣/٢ ، والثعلبي ١٤٨/٧ ب ، والماوردي ١٢٨/٣ .

(٥) ورد في معاني القرآن للقرءاء ٧٢/٢ بنحوه من طريق الكلبي (ضعيفة) ، وتفسير الماوردي ١٢٨/٣ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٤/٥ ، وتفسير القرطبي ٣٥٢/٩ ، والألوسي ٢٠٢/١٣ .

(٦) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٩٦/١٣ ، والثعلبي ١٤٨/٧ ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٣/٣ ، والمشكل لمكي ٤٤٦/١ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٢/٤ ، والقرطبي ٣٥٢/٩ ، والحاازن ٧٤/٣ .

وقال الكلبي : «يقول من بعد الصديد عذاب غليظ»^(١) ، وهذا اختيار أبي إسحاق وأبي بكر ؛ قال أبو إسحاق : «أي ومن بعد ذلك»^(٢) ، وقال أبو بكر : «ومن بعد هذا العذاب المذكور عذاب غليظ»^(٣) ، ومعنى غَلِظَ العذاب : اتصال الآلام وكثرتها ؛ كالشيء الغليظ الذي كثر أجزاؤه وتكاثف ، كما قلنا في : ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]

١٨ . قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية . اختلفوا في الرفع للمثل ، فقال الزَّجَّاج : «هو مرفوع على معنى : وفي ما يتلى عليكم»^(٤) ، وهذا مذهب سيويه^(٥) . وقال الفراء : «التقدير مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد ، فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه ، وذلك أن العرب تقدّم المضاف إليه لأنه أعرف»^(٦) ، ثم يأتي بالذي يخبر به عنه معه كهذه الآية ، ألا ترى أنه قدّم (الذين) ثم ذكر بعده الأعمال مضافة إلى الكناية عن الذين ؛ كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أَحْسَنَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧] ؛ أي خَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ ، ومثله قوله : ﴿وَيَوْمَ أَلْقَيْنَا تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] المعنى :

- (١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣١٤ / ١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٤ / ٥ بنصه .
- (٢) معاني القرآن وإعرابه ١٥٧ / ٣ بنصه .
- (٣) لم أقف على مصدره ، وقد بين ابن الأنباري في هذا القول أن الضمير في ورائه يعود على العذاب المتقدم ، وقد ورد هذا القول بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٠ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٤٤٦ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٨ / ٢٢٠ ، والبيان في غريب الإعراب ٢ / ٥٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٥٤ / ٤ ، وأبي حيان ٥ / ٤١٣ ، والدر المصون ٧ / ٨١ .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ١٥٧ / ٣ بنصه ، والتقدير كما بيّنه : «وفي ما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم ، أو مثل الذين كفروا بربهم في ما يتلى عليكم» .
- (٥) الكتاب ١ / ١٤٣ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢ / ١٨٠ ، ١٨١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١ / ٤٤٧ ، وتفسير أبي حيان ٥ / ٤١٤ ، والدر المصون ٧ / ٨١ .
- (٦) لأن المضاف غالباً ما يكون نكرة ، وتكون غامضة ومبهمة ، فيزيل المضاف إليه الغموض ويوضحه .

ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة»^(١)، وفي هذا أقوال ووجوه ذكرناها مستقصاة في قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [آية: ٣٥] في سورة الرعد.

وقوله تعالى: ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ قال الليث: «الرَّمَادُ دُقاق الفحم من حُرَاقَةِ النار، وصار الرَّمَادُ رماداً إذا صار هباءً أدق ما يكون»^(٢)، ورمد اللحم، إذا ألقاه في الرماد^(٣)، ومنه المثل: شوى أخوك حتى إذا أنضجَ رمدٌ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ قال ابن السكيت: عصفت الريح وأعصفت، فهي ريح عاصف ومُعَصِفَةٌ إذا اشتدت^(٥)، وقال الزَّجَّاج في باب الوفاق: عَصَفَتِ الرِّيحُ عُصُوفاً وأعصفت إعصافاً، إذا اشتد هبوبها^(٦)، قال الفراء: «جعل العُصُوفَ تابعاً لليوم في إعرابه»^(٧)، وإنما العُصُوف للرياح، وذلك جائز على وجهين: أحدهما^(٨): أن العُصُوفَ، وإن للريح، فإن اليوم قد يُوصَفُ به؛ لأن الريح تكون فيه، فجائز أن يقول: يومٌ عاصفٌ^(٩)؛ كما يقال: يومٌ باردٌ،

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٧٢، مختصراً، ووردت في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨ ب بنحوه، والظاهر أنه نقلها عن الثعلبي وبسطها.

(٢) ورد في تهذيب اللغة (رمد) ٢/ ١٤٦٦ بنصه.

(٣) انظر: جوهرة اللغة ٢/ ٦٣٩.

(٤) ورد في جوهرة اللغة ٢/ ٦٣٩، والأمثال لابن سلام ٦٦، ومجمل اللغة ١/ ٣٩٨، والمحيط في اللغة (رمد) ٩/ ٣٠٨، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٠، واللسان ٣/ ١٧٢٦، ويروى هذا المثل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويضرب للرجل يصنع المعروف ثم يفسده بالمن والأذى، ويضرب أيضاً للذي يبتدئ بالإحسان ثم يعود عليه بالإفساد.

(٥) ورد في تهذيب اللغة (عصف) ٣/ ٢٤٦٣ بنصه.

(٦) فعلت وأفعلت ٦٥ بنصه.

(٧) في النسخ جميعها: (إغوائه)، والتصويب من المصدر.

(٨) في (د): (إحداهما).

(٩) والتقدير: في يوم عاصفٍ ريحُه، ثم حذف (ريحه) للعلم به وجعلت الصفة لليوم. انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٤٤٧، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٥٧، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٥.

ويومٌ حارٌّ، والبرد والحر فيهما»^(١)، وقال أبو عبيدة: «العرب تفعل ذلك في الظرف»، وأنشد لجريز:

لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي الشَّرَى وَنَمِتَ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ^(٢)

فوصف الليل بالنوم لما كان فيه، ومثله: يوم ماطر، وليلة ماطرة^(٣)، وقال أبو حاتم: «هذا من كلام العرب، قال الله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أضاف إليهما وهما لا يمكن أن^(٤)، وقال: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]^(٥) ومنه قول جريز:

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ^(٦)

(١) معاني القرآن للفرّاء ٧٣/٢ بتصرف، وانظر: الطبري ١٣/١٩٧، وتهذيب اللغة (عصف) ٢٤٦٣/٣.

(٢) ديوان جريز ٤٥٤، وهو من قصيدة قالها يجيب بها الفرزدق. وورد في الكتاب: ٣٩/١، ومجاز القرآن ٣٩/١، والكمال للمبرّد ١٣٥/١، ٢١٩، والخزانة: ١/٤٦٥، وورد غير منسوب في المقتضب ١٠٥/٤، ٣٣١/٢، والكمال ١٣٥٦/٢، وأما ابن الشجري ١/٥٣، ٢/٢٩. (أم غيلان) هي بنت جريز. و(المطي) جمع مطيّة؛ وهي الراحلة التي يمتطى ظهرها؛ أي تركب. و(الشري) سير الليل.

(٣) مجاز القرآن ١/٣٣٩، بتصرف يسير.

(٤) لم أقف على مصدره، ومعنى الآية: بل مكرّم بنا في الليل والنهار. انظر: الكامل للمبرّد: ١/١٣٥، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥٤، وتفسير ابن الجوزي ٦/٤٥٧.

(٥) أي مضيئاً تبصرون فيه، وإنما أضاف الإبصار إليه؛ لأنه ظرف يُفعل فيه غيره. انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٤٦.

(٦) ديوان جريز ٢٠٣.

قال الفرّاء : «والوجه الآخر^(١) أن يريد : في يوم عاصفٍ الريح ، فيَحذف الريح ؛ لأنها قد ذُكرت^(٢) في أول الكلام ، كما قال^(٣) :

إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ الشَّمْسُ كَاسِفٌ^(٤)

يريد كاسف الشمس ؛ فحذفه لأنه قدّم ذكره ، ومضى مثل هذا في قوله : ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس : ٢٢] ، قال الزّجاج وغيره : «تأويله أن كل ما تقرب به الذين كفروا إلى الله فمُحِبَطٌ^(٥) غير منتفع به^(٦) ؛ لأنهم أشركوا فيها غير الله ؛ كالرماد الذي ذرّته الريح وصار هباءً لا ينتفع به» ، وذلك قوله : ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ؛ أي في الدنيا ، ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ : في الآخرة ، قال ابن عباس : «يريد لا يجدون ثواب ما عملوا»^(٧) .

- (١) أي من كلام الفرّاء في جعل العُصُوف تابعاً لليوم في إعرابه ، وقد فصل بين الوجهين بإقحام كلام أبي عبيدة وأبي حاتم لتوضيح الوجه الأول ، ولما طال الفصل أعاد نسبة الكلام إلى الفرّاء .
- (٢) في (أ) و(د) و(ع) : (ذكر) ، والمثبت من ش وهو الأنسب للسياق .
- (٣) في جميع المصادر جميعها من دون نسبة ، وذكر شاكر محقق تفسير الطبري ١٣ / ١٩٧ أن البيت لمسكين الدارمي لكن الرواية التي أوردها في ٧ / ٥٢٠ ليس فيها الشاهد ، وهي :
- إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمٌ اللّون كَاسِفٌ
- (٤) وصدّره :

وَيَضْحَكُ عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودُنَا

- ورد البيت في معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٧٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٥٤ ، والخزانة ٥ / ٨٩ ، وورد عَجْزُهُ في تهذيب اللغة (عصف) ٣ / ٢٤٦٣ ، وتفسير الطبري ١٣ / ١٩٧ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٥٣ ، والعباب الزاخر : ف / ٤٣٩ ، واللسان (عصف) ٥ / ٢٩٧٣ .
- (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٧ بنصه .
- (٦) (به) ساقط من (أ) و(د) .
- (٧) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي : ١ / ٣١٥ بنصه ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣ / ١٢٩ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٥٤ .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ قال ابن عباس : « يريد الخسران الكبير »^(١) ، وعلى هذا يعني بالضلال : ضلال أعمالهم وهلاكها وذهابها ، وإذا ذهبت أعمالهم ذهب الرماد في عُصُوف الريح ، فقد كَبُرَ خسارتهم ، ومعنى ﴿ الْبَعِيدُ ﴾ هاهنا : الذي لا يُرْجَى عَوْدُهُ ، فهو بعيد من العود ؛ لذهابه على الوجه الذي ذُكِرَ ، وقال الكلبي^(٢) : « الخطاء الطويل »^(٣) ، فعلى هذا المراد بالضلال هاهنا ضلال الكفار كقوله : ﴿ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٦٧] ؛ أي بعيد من الهدى والرجوع عنه .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ الآية . معنى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ هاهنا التنبيه^(٤) على خَلْق السموات والأرض ، وقرأ حمزة والكسائي : (خَالِقِ السَّمَوَاتِ) على فاعل^(٥) فمن قرأ : ﴿ خَلَقَ ﴾^(٦) أخبر بلفظ الماضي على فَعَل ؛ لأن ذلك أَمَرٌ ماضٍ ، ومن قرأ : (خَالِقٌ) قال هو كقوله : ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ ﴾ [فاطر : ١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [الأنعام : ٩٦] وكل هذا مما قد فُصِّلَ وَمَضَى ، ومعنى قوله : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ ذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [يونس : ٥] .

(١) ورد غير منسوب في تفسير القرطبي ٩ / ٣٥٤ ، والخازن ٣ / ٧٤ .

(٢) (الكلبي) ساقط من (د) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لأن الرؤية علمية وليست بصرية . انظر : تفسير السمرقندي ٢ / ٢٠٣ ، وابن عطية ٨ / ٢٢٣ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٥٤ .

(٥) انظر : السبعة ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١ / ٣٣٤ ، والحجة في القراءات ٢٠٣ ، وعلل القراءات ١ / ٢٨٧ ، والحجة للقراء ٥ / ٢٨ ، وحجة القراءات ٣٧٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٥ ، والتبصرة ٥٥٨ .

(٦) هم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم . انظر : المصادر السابقة .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس والكلبي : «يريد أميتكم يا معشر الكفار وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع ، وهو خطاب لأهل مكة»^(١) .

وقال أهل المعاني : دلّ بقوله : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (على قدرته على الإهلاك والإذهاب ؛ لأنه إذا قدر على خلق السموات والأرض)^(٢) قدر على إذهابهم بالهلاك ؛ لأن من قدر على الإيجاد قدر على الإفناء^(٣) . وأما الجديد ، فمصدره الجِدَّة ، ويقال : أجدُّ ثوباً واستجدّه ، إذا اتخذته جديداً^(٤) وأصله من قولهم : قُطِعَ عنه العمل في ابتداء أمره ، وقال المازني في قوله^(٥) :

أَرَسَمًا جَدِيدًا مِنْ سُعَادٍ تَجَنَّبُ^(٦)

-
- (١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣١٦/١ بنصه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٥/٤ ، والفخر الرازي ١٠٦/١٩ ، فيها عن ابن عباس ، ولم أقف عليه منسوباً للكلبي .
- (٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .
- (٣) ورد في تفسير الطوسي ٢٨٧/٦ بنحوه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢٩٨/٢ ، والفخر الرازي ١٠٦/١٩ ، وأبي السعود ٤١/٥ .
- (٤) انظر : في العين (جدّ) ٧/٦ ، وتهذيب اللغة ٥٥٥/١ ، والمحيط في اللغة ٣٩٢/٦ ، واللسان (جدد) ٥٦٢/١ .
- (٥) البيت للنابغة الذبياني .
- (٦) وعجزه :

عَفَتْ رَوْضَةُ الْأَجْدَادِ مِنْهَا فَيُثْقَبُ

ديوان النابغة الذبياني ١٤٣ ، وورد في معجم البلدان ٤٣١/٥ ، والتاج (ثقب) ٣٣٨/١ . (الرسم) : هو الأثر ، (عفت) : محت ، (يثقب) أي الريح تخرقه فتعفوا آية ؛ أي تمحو آثاره ، وقيل : (يثقبُ) اسم موضع بالبادية ، والبيت من قصيدة قالها يصف حوادث الدهر وصروفه في أهله ، يقول : ما بالك تحاذر المرور بديار سعاد بعد أن خرّقتها الريح وعفت آثارها .

«أراد بالجدید المقطوع الأثر لدروسه»^(١)، وفي ذكر الجدید في الآية دلیل على أنه^(٢) ذلك الخلق الذي يأتي بهم جديداً هم أفضل من الأول وأطوع لله، كما قال المفسرون^(٣)؛ لأنهم لو كانوا كالأول في العصيان لم يكن فائدة في إذهابهم والإتيان بغيرهم.

٢٠. قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ قال ابن عباس: «يريد لا يعز عليه شيء يريده»^(٤).

قال الكسائي: «ليس يعز على الله أن يميّتكم ويأتي بغيركم»^(٥).

وقال أهل المعاني: أي لا يمتنع على مَنْ قَدَرَ على خَلْق السموات والأرض أن يذهبكم ويأتي بخلق سواكم^(٦)، ومضى الكلام في معنى العزيز، ومعناه هاهنا: الممتنع بقوته.

٢١. قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ برز معناه في اللغة: ظهر بعد الخفاء، ومنه يقال للمكان الواسع البراز؛ لظهوره^(٧)، وقيل في قوله: ﴿وَتَرَى

(١) لم أقف عليه.

(٢) هكذا في النسخ جميعها: (أنه)، والأظهر: (أن).

(٣) ورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٤، والثعلبي ٧/ ١٤٩ ب، وانظر: تفسير البغوي ٤/ ٣٤٣، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٤، والخازن ٣/ ٧٤، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥٢٠.

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ بنصه.

(٥) لم أقف عليه منسوباً إلى الكسائي، وأورده المؤلف بنصه ونسبه للكلمي في الوسيط ١/ ٣١٦.

(٦) لم أقف عليه في كتب المعاني المتوفرة، وورد نحوه في تفسير الطبري ١٣/ ١٩٩، والطوسي ٦/ ٢٨٧، وابن عطية ٨/ ٢٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٥، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٦، والخازن ٣/ ٧٥، وابن كثير ٢/ ٥٨٠.

(٧) انظر: العين (برز) ٧/ ٣٦٤، وتهذيب اللغة ١/ ٣١٠، ومقاييس اللغة ١/ ٢١٨، واللسان ١/ ٢٥٥، والتاج ٨/ ٩.

الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴿[الكهف: ٤٧]﴾ أي ظاهرة بلا جبل ولا تل يستر ما وراءه^(١)،
وامرأة بَرَزَتْ، إذا كانت تظهر للناس^(٢)، وقد جاء برز بمعنى أُبْرَزَ في
قول لييد :

النَّاطِقُ الْمَبْرُوزُ وَالْمَحْتُومُ^(٣)

قال ابن هانئ^(٤) : «يقال : بَرَزَته برزاً ، بمعنى^(٥) أُبْرَزْتُهُ بَرَزاً^(٦) ، ويقال : قد
بَرَزَ فلان على أقرانه ، إذا فاقهم وسبقهم ، وأصله في الخيل ؛ إذا سبق أحدها قيل
قد بَرَزَ عليها^(٧) ، كأنه خرج من غمارها فظهر» .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ «يريد : في البعث يوم القيامة»^(٨) .

(١) انظر : التهذيب (برز) ٣١٠ / ١ ، واللسان ٢٥٥ / ١ ، والتاج ٩ / ٨ .

(٢) المصادر السابقة نفسها .

(٣) وصدده :

أو مُذْهَبٌ جَدَّدَ عَلَى الْوَاهِنِ

شرح ديوان لبيد ١١٩ ، وورد (برز) في العين ٣٦٤ / ٧ ، وتهذيب اللغة ٣١٠ / ١ ، ومقاييس اللغة
٢١٨ / ١ ، واللسان ٢٥٥ / ١ ، والتاج ٩ / ٨ ، ورواية غير الديوان : (ألوحه) . و(مُذْهَب) اللوح عليه
ذهب ، (الجلد) جمع جُدَّة ، وهي الطرائق ، (الناطق) الكتاب ، (المبرز) الظاهر ، وقيل : المكتوب
والمنشور ، (المختوم) غير الظاهر ، وقيل : الذي لم ينشر . قال أبو الحسن : «هو لوح ضمت إليه ألواح
من جوانبه ، كانوا يضعون عليه الكتب تعظيماً للملك ، لا تمسه إلا يد الملك ، يأخذ ما شاء ويترك ما
شاء» .

(٤) عبدالله بن محمد بن هانئ ، أبو عبد الرحمن النحويّ النيسابوري ، صاحب الأختفش ، كان عارفاً بعلم
الأدب ، بصيراً بالنحو ، له كتاب كبير في نوادر العرب وغرائب ألفاظها ، وفي المعاني والأمثال ، توفي
سنة ٢٣٦ هـ . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ٤٤ / ١ ، وإنباه الرواة ١٣١ / ٢ ، والبغية ٦١ / ٢ .

(٥) في (أ) و(د) : (برز المعنى) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الأنسب للسياق .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (برز) ٣١٠ / ١ وعبارته ، «قال ابن هانئ : أُبْرَزْتُ الكتاب : أخرجته ، فهو
مَبْرُوزٌ» .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (برز) ٣١٠ / ١ بنحوه .

(٨) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣١٦ / ١ بنحوه .

قال المفسرون : خرجوا من قبورهم^(١) . وورد هذا بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال ، لتحقيق كونه^(٢) كما ذكرنا في قوله : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الأعراف : ٥٠] ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف : ٤٤] ؛ لأنه أصدق وقوعه ؛ كأنه قد وقع وأتى ، ومعنى ﴿لِلَّهِ﴾ اللام هاهنا لام أجل ، وتأويله : لأجل أمر الله إياهم بالبروز^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «أي جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع»^(٤) ، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم الأتباع ، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ قال ابن عباس : «يريد الأتباع لأكابرهم الذين استكبروا عن عبادة الله»^(٥) ، ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ أي في الدنيا ﴿لَكُمْ تَعَا﴾ ، قال الفراء وأبو عبيدة وجميع أهل العربية : «التَّبُع جمع تابع مثل : خادَمٌ وخَدَمَ ، وغائبٌ وغَيَّبَ ، ونافرٌ ونَفَرَ ، وحارسٌ وحَرَسَ ، وراصدٌ ورَصَدَ»^(٦) .

قال الزَّجَّاج : «وجائز أن يكون مَصْدَرًا سُمِّيَ به ، أي كنا ذوي تبع»^(٧) .

-
- (١) ورد في تفسير الطبري ١٩٩/١٣ بنحوه ، وإعراب القرآن للنحاس ١٨٢/٢ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٠٤ ، بنصه ، والثعلبي ١٤٩/٧ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٣/٢ ، وابن الجوزي ٤/٣٥٦ ، والفخر الرازي ١٩/١٠٧ ، وتفسير القرطبي ٩/٣٥٥ ، والحاظن ٣/٧٥ .
- (٢) انظر : الزمخشري ٢/٢٩٨ ، والرازي ١٩/١٠٧ ، والفريد في الإعراب ٣/١٥٦ .
- (٣) انظر : تفسير القرطبي ٩/٣٥٥ .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٨ بنصه .
- (٥) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣١٦/١ .
- (٦) مجاز القرآن ١/٣٣٩ ، مختصراً ، ولم أجده في معاني القرآن للفراء ، ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٨ ، وتفسير الثعلبي ١٤٩/٧ ب .
- (٧) وانظر : المحكم (تبع) ٢/٤٢ ، وتفسير الزمخشري ٢/٢٩٨ ، وابن الجوزي ٤/٣٥٦ ، والفخر الرازي ١٩/١٠٨ ، والفريد في الإعراب ٣/١٥٧ ، واللسان (تبع) ١/٤١٦ ، والدر المصون ٧/٨٥ ، والتاج (تبع) ١١/٣٧ .
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٨ بنصه ، وانظر : الفريد في الإعراب ٣/١٥٧ .

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ (قال ابن عباس : «فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله»)^(١) ، ﴿ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْتُكُمْ ﴾ يريدون أنهم إنما دعوهم إلى الضلال ؛ لأن الله تعالى أضلهم ولم يهدهم ، فدعوا أتباعهم إلى ما كانوا عليه من الضلال ، ولو هداهم الله لدعوهم إلى الهدى ، هذا معنى قول ابن عباس : «لو أرشدنا الله لأرشدناكم»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا ﴾ إلى آخره ، قال الزجاج : ﴿ سَوَاءٌ ﴾ ابتداء ، و﴿ أَجَزَعْنَا ﴾ في موضع الخبر^(٣) ، والكلام في هذا قد سبق في قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة : ٦] ، وذكرنا معنى المحيص في قوله : ﴿ وَلَا يَحْجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء : ١٢١] .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ الآية . قال المفسرون : إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، اجتمع أهل النار باللائمة على إبليس لعنه الله ، فيقوم في ما بينهم خطيباً ويقول ما أخبر الله تعالى

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣١٦/١ بنصه غير منسوب ، وما بين القوسين ساقط من (د) .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٠٩/١٩ بنصه ، وورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣١٦/١ ، وتفسيره الوجيز ٥٨١/١ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٥٦/٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٥٨/٣ بنصه .

بقوله : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ ﴾ الآية .^(١) قال أبو إسحاق : « ذكر الله أمر إبليس وما يقوله في القيامة تحذيراً من إضلاله وإغوائه »^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ قال ابن عباس : « يريد حين قضى الله بين العباد ؛ فصار أهل الجنة إلى منازلهم وكرامتهم ، وأمر بأهل جهنم إلى العذاب »^(٣) ، وقال الضحاك : « فرغ من الأمر »^(٤) ، وهو معنى قول ابن عباس .

(١) ورد في تفسير مقاتل ١٩٢/١ ب بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٣/٢٠٠-٢٠١ بنحوه عن الشعبي والحسن والقرظي ، وورد في معاني القرآن وإعرابه ١٥٨/٣ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٠٤ بنحوه عن الحسن ، والماوردي ٣/١٣٠ ، مختصراً عن الحسن ، والثعلبي ٧/١٥٠ أ بنحوه عن مقاتل ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن ، وأخرجه الطبري ١٣/٢٠١ مرفوعاً بمعناه عن عقبة بن عامر ضمن حديث الشفاعة مختصراً ، وأخرجه الطبراني في الكبير ١٧/٣٢٠ ، من طريق عقبة بن عامر بمعناه وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/٣٧٦ وقال : « وفيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف » ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٤٠ ، وزاد نسبته إلى ابن المبارك في الزهد ، ولم أجده وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن عقبة ، وحكم عليه شاكر في تحقيق الطبري بالضعف ، وقال : « وهذا خبر ضعيف الإسناد لا يقوم » . وعلى هذا فدعوى قيام إبليس خطيباً في أهل النار على منبر من نار لا تصح لكونها موقوفة على الحسن والشعبي والقرظي ، ولا يقبل قولهم المجرد في مثل هذه القضية الغيبية ، والطريق الموصول الذي فيه إشارة هذه الدعوى ضعيف لا تقوم به الحجة ، فالله أعلم بكيفية هذا الحوار والنقاش بين إبليس وأهل النار .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٥٨/٣ بنصه .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٢٧١ بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في الغريب لابن قتيبة ٢٣٦ ، وتفسير الطبري ١٣/٢٠٠ ، والسمرقندي ٢/٢٠٤ ، والثعلبي ٧/١٥٠ ، وابن عطية ٨/٢٢٦ ، والفخر الرازي ١٩/١١٠ .

(٤) لم أقف عليه .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ قال مقاتل: «يعني كون هذا اليوم فصّدتكم»^(١) وعده، ووعدتكم أنه غير كائن فأخلفتكم»^(٢)، وقال أبو إسحاق: «أي وعد من أطاعه الجنة ووعد من عصاه النار، ووعدتكم خلاف ذلك»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ الْحَقُّ﴾ هو من باب إضافة الشيء إلى نعتة كقوله: ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]، ومسجد الجامع، على قول الكوفيين، والمعنى: وعدكم الوعد الحق^(٤)، وعلى مذهب البصريين يكون التقدير: وعد اليوم الحق، أو الأمر الحق^(٥)، أو يكون التقدير: وعدكم الحق ثم ذكر المصدر تأكيداً وفيه إضمار؛ لأن

(١) في (د): (فصّدتكم).

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٩٢ ب، بتصرف يسير.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٥٨/ ٣ بنصه.

(٤) الكوفيون يجوزون إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، وحجتهم أن ذلك ورد كثيراً في كتاب الله وكلام العرب، وقد قرّر هذه المسألة الفراء في عدة أماكن من معانيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩] فأضيفت الدار إلى الآخرة وهي الآخرة، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُو حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، والحق هو اليقين. انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣٠، ٥٥/ ٢، ٧٦/ ٣. وراجع هذه المسألة في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٣١٩، والإنصاف ٣٥٢، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٤٥، ٣٨٥، ٥٢٥، والبسيط شرح جمل الزجاجي ٢/ ١٠٨٦، والدر المصون ٤/ ٦٠٠، وجمع الهوامع ٤/ ٢٧٦.

(٥) ذهب البصريون إلى منع إضافة الموصوف إلى صفته؛ بحجة أن الإضافة إنما يراد بها التعريف والتخصيص، والشيء لا يعرف بنفسه؛ لأنه لو كان فيه تعريف لكان مستغنياً عن الإضافة، وإن لم يكن فيه تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد من التعريف، وتأولوا شواهد الكوفيين وأزالوا ما يوهم إضافة الموصوف إلى صفته، بحمله على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه، وعليه فتقدير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُو حَقُّ الْيَقِينِ﴾؛ أي حق الأمر اليقين، وقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ تقديره: ولدأر الساعة الآخرة. انظر: الأصول في النحو ٢/ ٨، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧، والإيضاح العضدي ٢٨٣، والخصائص ٣/ ٢٤، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٣١٩، ٣٥٥، ٤٩٠، والإنصاف ٣٥٢، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٤٥، ٣٨٥، ٥٢٥ وشرح الفصل ٣/ ١٠، وتفسير أبي حيان ٥/ ٣٥٣، والدر المصون ٤/ ٦٠٠، ويترجح في هذه المسألة قول الكوفيين؛ لصراحة أدلتهم =

تلخيصه : وعدكم وعد الحق فصدقكم ، وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد والوفاء به ، ولأنه ذكر في وعد الشيطان الإخلاف ، فدل ذلك على الصدق في وعد الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ الوعد يقتضي مفعولاً ثانياً ، وحذف هاهنا للعلم به والتقدير : ووعدتكم أن لا جنة ولا نار ولا حشر ولا حساب فأخلفتكم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ قال ابن عباس : « يريد من حجة أحتج بها عليكم ؛ أي بما أظهرت لكم حجة »^(١) ، ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴾ هذا من الاستثناء المنقطع ؛ أي لكن دعوتكم ﴿ فَاسْتَجَبْتُ لِي ﴾^(٢) قال : يريد فصدقتموني وقبلتم مقالتي ، وقال أبو إسحاق : « أي أغويتكم وأضللتكم فاتبعتموني »^(٣) ، ﴿ فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ حيث أجبتهموني وطاوعتموني من غير

التي ذكروها ولم تفتقر إلى التأويل الذي ذهب إليه البصريون . وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل .

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٧١ ، بمعناه ، وورد بمعناه غير منسوب في تفسير الثعلبي ١٥٠ / ٧ ، والبغوي ٤ / ٣٤٥ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٥٧ ، وتفسير القرطبي ١٩ / ٣٥٦ ، وابن كثير ٢ / ٥٨١ .

(٢) هذا ما ذهب إليه معظم المفسرين ؛ أن الاستثناء منقطع ؛ لأن الدعاء ليس من جنس السلطان . انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٢٠٠ ، والثعلبي ٧ / ١٥٠ ، والبغوي ٤ / ٣٤٥ ، وابن عطية ٨ / ٢٢٧ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٥٧ ، والفخر الرازي ١٩ / ١١١ ، والإملاء ٢ / ٨٦ ، والفريدي في الإعراب ٣ / ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٥٦ ، وأبي حيان ٥ / ٤١٨ ، والدر المصون ٧ / ٨٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٨ بنصه .

سلطان ولا برهان ، قال أهل المعاني : ولَوُم النفس يصح على الإساءة كما يصح حمدها على الإحسان^(١) ، كما قال^(٢) :

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ

فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلْوَمُهَا^(٣)

وقوله تعالى : ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد بمغيثكم ولا منقذكم»^(٤) وهو قول الجميع^(٥) .

وقال ابن الأعرابي : «المصارخ^(٦) المُسْتَغِيثُ ، والمُصْرِخُ المُغِيثُ»^(٧) ، يقال : صرخ فلان ، إذا استغاث وقال : واغوثاه ، وأصرخته : أغثته ، وقال

(١) لم أقف على هذا القول في كتب المعاني ولا كتب اللغة ، وهي قضية بديهية ظاهرة لا خلاف حولها ، ولا أدري ما وجه الغرابة في لوم النفس على الإساءة حتى يستشهد على ذلك بالبيت .

(٢) القائل هو الحارث بن خالد المخزومي ، أحد شعراء قریش المدعوين الغزاليين . الأغاني ٣/ ٣٠٨ .

(٣) ورد في مجاز القرآن ١/ ٣١ ، والعقد الفريد ١/ ٣٠٣ ، والأغاني ٣/ ٣١٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ١٩١ ، واللسان (غشا) ٦/ ٣٢٦١ ، والدر المصون ١/ ١١٥ ، ورواية المجاز والدر : «تبعْتُكَ» بدل (صَحِبْتُكَ) .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١١٤ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧١ بنصه .

(٥) ورد بلفظه في مجاز القرآن ١/ ٣٣٩ ، وغريب القرآن وتفسيره لليزيدي ١٩٧ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٠٠ ، وجمهرة اللغة ١/ ٥٨٦ ، وتهذيب اللغة (صرخ) ٤/ ١٩٩٩ ، وتفسير المشكل لمكي ٢١٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٥ ، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ٢٧٩ ، وتفسير أبي حيان : ٤١٩/ ٥ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٣٨٢ .

(٦) هكذا في النسخ جميعها ، ولم أقف على هذا التصريف في المصادر اللغوية التي رجعت إليها ، والذي ذكره المصدر ومصادر اللغة (الصَّارِخ) فلعله من تصحيف النساخ . انظر : تهذيب اللغة (صرخ) ٢/ ١٩٩٩ ، والمحيط ٤/ ١٤٥ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٤٨ ، والصاحح ١/ ٤٢٦ ، واللسان ٤/ ٢٤٢٦ ، والتاج ٤/ ٢٨٧ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (صرخ) ٢/ ١٩٩٩ بنصه ونسبه الأزهري لأبي الهيثم .

الفرَّاء : «أَصْرَحْتُ الرجل ، إذا أغثته إَصْرَاخاً ، وقد صَرَخَ الصَّارِخُ يَصْرِخُ ، وَيَصْرِخُ لغة قليلة ، صَرَخاً وَصَرَاخاً»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِينَ ﴾ القراءة الصحيحة فتح الياء^(٢) وهو الأصل^(٣) .

قال الزَّجَّاج : «وذلك أن [ياء]^(٤) الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حُرِّكَتْ إلى الفتح ؛ نحو غلامِي ، وذلك أن الاسم المضمَّر لما كان على حرف واحد وقد منع الإعراب ، حُرِّكَ بأخف الحركات^(٥) ، ويجوز إسكانها^(٦) ؛ لثقل^(٧) الياء التي قبلها كسرة^(٨) ، وإذا كان قبل الياء ساكن حُرِّكَتْ إلى الفتح لا غير^(٩) ، لأن

(١) لم أقف عليه ، والظاهر أنه من كتابه المصادر المفقود .

(٢) هي قراءة الجمهور ماعدا حمزة ، ولو وصفها بقراءة الأكثرين لكان أحسن ؛ لأن وصفه لها بالصحة يوهم تبنيّه لدعوى بعض النحويين في تضعيف قراءة حمزة ، مع أنه رد عليهم في آخر المسألة . انظر : السبعة ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١ / ٣٣٥ ، والحجة في القراءات ٢٠٣ ، وعلل القراءات ١ / ٢٨٨ ، والحجة للقراء ٥ / ٢٨ ، والمبسوط في القراءات ٢١٧ ، وحجة القراءات ٣٧٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٦ ، وتلخيص عبارات ١٠٨ ، والموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧١٠ ، والإنحاف ٢٧٢ .

(٣) تخصيصه قراءة الجمهور دون حمزة بهذا الوصف غير جيد أيضاً ؛ لأنه يشعر بالتقليل من شأن قراءة حمزة وهي قراءة سبعية لا فرق بينها وبين القراءات الأخرى ، ولأن الأصل في القراءة الرواية وليس القياس ، فهي سنة متبعة وليس قواعد نحوية مقننة ، ويقصد بالأصل ؛ أي عند النحويين كما صرح بذلك الأزهرى في شرح التصريح على التوضيح ٢ / ٦٠ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من المصدر ليستقيم الكلام .

(٥) وهي الفتحة .

(٦) أي الياء .

(٧) في النسخ جميعها (لنقل) ، والتصويب من المصدر .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٩ ، نقله بتصرف يسير .

(٩) وهذه حجتهم النحوية في رد قراءة حمزة ؛ حيث قالوا إن أصل (مصرخي) مصرخين جمع مصرخ ، أضيف لياء المتكلم فصارت (بمُصْرِخِي) وحذفت النون للإضافة فاجتمعت ياء الجمع - وهي ساكنة - وياء الإضافة ، فلو سكنها لاجتمع ساكنان بمصرخي فتعين الفتح ، فلما اجتمع مثلاًن : =

أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها ، فإذا كان قبلها ساكن صارت حركتها لازمةً
لالتقاء الساكنين ؛ نحو : ﴿ هُدَاى ﴾ [طه : ١٢٣] ، و ﴿ وَحَيَاى ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ،
و ﴿ عَصَاى ﴾ [طه : ١٨] ، ونحو هذا قال الفراء^(١) ، وقراءة حمزة (بِمُصْرَحِيٍّ) بكسر
الياء^(٢) وهو^(٣) قراءة الأعمش^(٤) ويحيى بن وثاب^(٥) .

- = الأول ساكن ، والثاني متحرك وجب الإدغام ، فصارت ياءً مفتوحةً مشددةً .
انظر : إعراب القراءات وعللها : ١ / ٣٣٥ ، وحجة القراءات ٣٧٧ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي
١ / ٤٤٨ ، والإملاء ٢ / ٦٨ ، وسراج القارئ ٢٦٥ .
(١) معاني القرآن للقرءاء ٢ / ٧٥ .
(٢) انظر : السبعة ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١ / ٣٣٥ ، وعلل القراءات : ١ / ٢٨٨ ، والحجة
للقرءاء ٥ / ٢٨ ، وحجة القراءات ٣٧٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٦ ، وتلخيص العبارات
١٠٨ ، والموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧٠٩ ، والإتحاف ٢٧٢ .
(٣) هكذا في النسخ جميعها ، والسياق يقتضي أن تكون (وهي) لأن الضمير يعود على القراءة ، وهي
مؤنثة .
(٤) انظر : علل القراءات ١ / ٢٨٩ ، والحجة للقرءاء ٥ / ٢٩ ، والموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧١٠ ،
وإبراز المعاني ٣ / ٢٩٣ ، وسراج القارئ ٢٦٥ ، والنشر ٢ / ٢٩٩ ، والإتحاف ٢٧٢ .
(٥) انظر : الحجة للقرءاء ٥ / ٢٩ ، وإبراز المعاني ٣ / ٢٩٣ ، وسراج القارئ ٢٦٥ ، والنشر ٢ / ٢٩٩ ،
ويحيى بن وثاب هو الإمام القدوة المقرئ ، شيخ القراء بالكوفة في زمانه ، تابعي ثقة حدث عن
ابن عباس وأبي هريرة ، أخذ القراءة عن علقمة ومسروق ، وأخذ عنه الأعمش ، كان حسن الصوت
بالقراءة ، مات ١٠٣ هـ .
انظر : غاية النهاية ٢ / ٣٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠ ، وتقريب التهذيب ٥٩٨ ٧٦٦٤ .

قال الفرّاء : «ولعلها من وهم القُرّاء^(١) فإنه قلّ من سلّم منهم من الوهم ، ولعله ظن أن الباء^(٢) في ﴿يَمْصَرِحُ﴾ خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك ، ومما يرى أنهم أوهموها فيه : ﴿قُولُوا مَا قَوْلَىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥] ظنّوا - والله أعلم - أن الجزم في الهاء ، والهاء في موضع نصب ، وقد انجزم الفعل قبلها بسقوط الياء منه» ، قال : «وسمعت بعض العرب^(٣) ينشد :

قُلْتُ^(٤) لَهَا هَلْ لَكَ يَا تَافِيٌّ قَالَتْ لَنَا مَا أَنْتَ بِالْمَرَضِيِّ^(٥)

(١) هذه اللفظة من أخف الألفاظ انتقاداً لهذه القراءة السبعية ، وكذلك الأسلوب ؛ حيث عزا الخطأ في ما يظن أنه خطأ إلى القراء لا القراء ، بخلاف بقية المنتقدين للقراءة خاصة البصريين حيث بالغوا في انتقاد القراءة ووصفوها بأقذع الصفات ؛ كالمنكرة ، والرديئة ، والمردولة ، والضعيفة ، والمكروهة ، والشاذة ، وأنها لحن . . انظر : معاني القرآن للأخفش ٥٩٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٨٣/٢ ، وتفسير الزمخشري ٣٠٠/٢ ، والإملاء ٦٨/٢ ، وإبراز المعاني ٢٩٤/٣ ، وحاشية ياسين على شرح التصريح ٦٠/٢ .

(٢) في (ش) و(ع) : (الياء) والمثبت موافق للمصدر .

(٣) هو الأغلب العجلي ، تأتي ترجمته في الصفحة التالية ، وكلمة (العرب) ساقطة من (د) .

(٤) في المصدر (قال) وهو الموافق لرواية المصادر جميعها التي وقفت عليها ما عدا علل القراءات ٢٨٨/١ .

(٥) ورد البيت منسوباً للأغلب في حاشية ياسين على شرح التصريح ٦٠/٢ ، والخزانة ٤٣٣/٤ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للفرّاء ٧٦/٢ ، والحجة في القراءات ٢٠٣ ، والمحاسب ٤٩/٢ (صدره) ، والفريد في الإعراب ١٥٩/٣ ، وتفسير أبي حيان ٤١٩/٥ ، (يا) حرف نداء ، (تا) منادى ؛ وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث ، (في) ضمير نصب متكلم أشبعت كسرتة فنشأ عنها ياء نحو منزلي من منزل والمعنى : أن رجلاً قال لامرأة تقدم ذكرها يا هذه المرأة ، هل لك رغبة في ؟ قالت له : لست بالمرضي فيكون لي رغبة فيك .

فخفض الياء من (فِي) فَإِنْ يَكْ ذَلِكْ صحيحاً ، فهو مما يلتقي من الساكنين فيُخَفَضُ الآخرُ منهما ، وإن كان له أصل في الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون : لم أَرَهُ منذ^(١) اليوم ، والرفع في الذال هي^(٢) الوجه^(٣) ، والخفض جائز ، فكذلك الياء من (مصرخي) خفضت ولها أصل في النصب ، انتهى كلامه^(٤) . وقال أبو إسحاق : «هذه القراءة عند جميع النحويين ردية مردولة لا وجه لها إلا وَجْهٌ^(٥) ضعيف ، وهو ما أجازَه الفَرَّاء من الكسر على أصل التقاء الساكنين» ، وأنشد :

قَالَ لَهَا هَلْ لَكَ يَا تَائِيٌّ قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ

وهذا الشعر مما لا يُلتفت إليه ، فليس يُعرف قائل هذا الشعر من العرب^(٦) ، ولا هو مما يحتج به^(٧) في كتاب الله^(٨) .

(١) في المصدر المنقول عنه (مُذٌ) .

(٢) الأولى (هو) لأنه يعود على مذكر ، وكذلك هو في المصدر .

(٣) لأنها مبنية على الضم . اللمع في العربية ١٣١ ، وقد اعترض السمين على الفَرَّاء في استشهاده على المسألة بهذا المثال لاختلافهما ؛ حيث لم يتوال الكسر في المثال بخلاف القراءة المستشهد لها . الدر المصون ٩٤ / ٧ .

(٤) معاني القرآن للفَرَّاء ٧٥ / ٢ ، نقل طويل تصرف فيه .

(٥) هكذا وردت مصغرة في النسخ جميعها مع أنها في المصدر مكبرة (وجه) ، فلعل لذلك دلالة إن كان من فعل الواحد لا النَّسَّاح ، وهو المبالغة في تضعيف هذا الوجه الذي يُحتج به للقراءة من جهة النحو .

(٦) بلى قد عُرف قائله ، هو الأغلب العجلي ، ولم يكن نكرة بل هو عَلمٌ في عدة ميادين ؛ فقد عدَّه ابن الأثير وابن حجر في الصحابة ، ومن شهداء الإسلام في نهاوند . انظر : أسد الغابة ١ / ١٢٦ ، والإصابة ١ / ٢٢٥ وعدَّه ابن قتيبة أَرْجَزَ الرُّجَاز ؛ لأنه أول من شَبَّه الرجز بالقصيد وأطاله ، وقبله بيتان أو ثلاثة ، انظر : الشعر والشعراء ٤٠٧ ، بل لقد بلغ من شهرته أن ينتسب إليه المشهورون ، يقول العجاج :

إني أنا الأغلب أضْحَى قد نُشِرَ المصدر السابق . وأكد أبو شامة نسبة البيت للعجلي بأنه راهب في كتابه . انظر : إبراز المعاني ٣ / ٢٩٥ ، فواجباً من دعوى الرَّجَّاج في استجهال هذا العَلم .

(٧) بلى هو مما يحتج به لتعزيد ثبوت قراءة متواترة تعرضت للإنكار .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٥٩ ، نقله بتصرف .

قال أبو علي : «زعم قطرب أن هذا لغة في بني يربوع^(١)؛ يزيدون على ياء (الإضافة ياء)»^(٢) وأنشد :

ماضٍ إذا ما همَّ بالمُضيِّ^(٣) قال لها هل لك ياتاني

قال : «وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر ، فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما ، وكالكاف في : أكبر منك^(٤) ، وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة^(٥) في قولك : هذا الشيء هُو ، وضربهُو ، ولحق الكاف أيضاً الزيادة^(٦) في قول من قال : أعطيتكاه وأعطيته ، في ما حكاه سيبويه^(٧) وهما أختا الياء ، وكما لحقت التاء الزيادة في نحو ما أنشد^(٨) :

رَمَيْتِيهِ فَأَصْمَيْتِ وَمَا أَخْطَأَتِ الرَّمِيَّةُ^(٩)

(١) هم أبناء يربوع بن حنظلة بن مالك ، من العدنانية ، وبنوه : رياح ، وثعلبة ، والحاتر ، وعمرو ، وصُبَيْر ، كانوا يُسمَّونَ الأحمال وبنوه : كليب ، وغُدَّانة ، والعَنْبَرُ سُمُّوا العَقْدَاء ؛ لأنهم تعاقدوا على أخيم رياح ، وصار الأحمال مع بني رياح . انظر : الاشتقاق ٢٢١ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٨ ، ٤٦٧ ، ونهاية الأرب ٣٩٨ .

(٢) ففي هذه اللغة ينطقون (فِي) هكذا (فِيي) المُوضح في وجوه القراءات ٧١٠ / ٢ ، وما بين القوسين ساقط من (د) .

(٣) في النسخ جميعها (بالرضي) والتصويب من المصدر .

(٤) في (أ) و(د) : (أكرمك) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق للمصدر .

(٥) وهي الواو .

(٦) وهي الألف والياء .

(٧) الكتاب ٤ / ٢٠٠ ، وأمثله مختلفة ؛ فقد مثل للمؤنث بـ (أُعْطِيكِهَا وَأُعْطِيكِه) ، وللمذكر بـ (أُعْطِيكَاهُ وَأُعْطِيكَاهَا) .

(٨) لم أقف على قائله ، ونسبه عبدالسلام هارون في فهرسته للخزانة ١٢ / ٢٨٠ للوليد بن يزيد ت ١٢٦ هـ .

(٩) ورد في الحجة للقراء ٤ / ٤١٦ ، ٥ / ٣٠ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٤٩ ، والفريد في الإعراب

٣ / ١٦٠ ، وإبراز المعاني ٣ / ٢٩٧ ، والدر المصون ٧ / ٩٣ ، والخزانة ٥ / ٢٦٨ ، برواية (فأقصدت) بدل (فأصميت) ولا يختلف المعنى ؛ لأن معنى الكلمتين واحد ، هو القتل ، والشاهد زيادة الياء في (رميته) ، والأصل (رميته) من دون ياء ؛ كما قيل (أقصدت) من دون ياء .

كذلك ألحقوا الياء الزيادة من المدّ ، فقالوا : (فِيّ) ثم حذفت الياء الزائدة على الياء^(١) كما حذفت من الهاء في قوله^(٢) :

وما لَهُ من مَجْدٍ تَلِيدٍ^(٣)

وكما حذفت الزيادة من الكاف ، في قول من قال : أَعْطَيْتُكَ وَأَعْطَيْتُكَ^(٤) ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء كما حذفت من أختيها^(٥) ، وأقرّت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة ، فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة^(٦) ، فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه^(٧) وإن كان غيرها أفشى منها ، وعضّده من

(١) في (ش) و(ع) : (التاء) ، والمثبت منسجم مع السياق وموافق للمصدر .

(٢) القائل هو الأعشى (جاهلي) أدرك الإسلام ولم يسلم ، مات سنة ٧ هـ .

(٣) والبيت بتمامه :

وما له من مجدٍ تليدٍ ، ولا له
من الريح حظٌ لا الجنوب ولا الصَّبَا
ديوانه ١٧٥ ، وروايته :

وما عنده مجدٌ تليدٌ ولا له
من الريح فضلٌ لا الجنوب ولا الصَّبَا
ورود في الكتاب ٣٠ / ١ ، وشرح شواهد الإيضاح ٤٥٨ ، وورد بلا نسبة في المقتضب ٣٨ / ١ ، وسر صناعة الإعراب ٦٣٠ / ٢ ، والإنصاف ٤٠٧ ، والشاهد في قوله : (وما له) حيث اختلس ضمة الهاء اختلاصاً ولم يشبعها حتى تشأ عنها واو ، لذلك فإن رواية الديوان ليس فيها الشاهد ؛ لأن الهاء في (عنده) مشبعة غير مختلصة . الانتصاف بهامش الإنصاف ٥١٦ / ٢ .

(٤) في النسخ جميعها (أعطيتك) ، والمثبت مصوب من المصدر وبه يستقيم الكلام .

(٥) أي الزيادة في الهاء والكاف في الأمثلة السابقة .

(٦) توضيح ذلك : أن اللفظة على لغة بني يربوع (مصرخيّ) فحذفت الياء الثانية فأصبحت (مصرخيّ) .

(٧) أي لغة بني يربوع .

القياس ما ذكرنا ، لم^(١) يجز لقائل أن يقول : إن القراءة بذلك لحن ؛ لاستقامة^(٢) ذلك في السماع والقياس^(٣) ، وما كان كذلك لا يكون لحناً^(٤) .

قوله تعالى : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ما هاهنا بمعنى المصدر ؛ أي كفرت بإشراككم إياي^(٥) مع الله في الطاعة^(٦) ، قال الزَّجَّاج : «إني كفرت بشرككم أيها الثُّبَاعُ إِيَّاي بالله»^(٧) وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد : إني»^(٨) جحدت بما كنتم تطيعونني في الدنيا ؛ وتلخيصه : جحدت أن أكون شريكاً لله في ما أشركتموني^(٩) ، وقال الفراء : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ هذا من قول إبليس ؛ يعني : كفرت بالله الذي أشركتموني به ، أي كفرت به من قبلكم فجعل (ما) في مذهب ما يؤدي عن الاسم^(١٠) ، وعلى هذا القول (ما) بمعنى (مَنْ) والقول هو الأول .

- (١) في (د) : (ما لم) .
- (٢) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المصدر (لاستفاضة) وهو أصوب لأن الاستفاضة من عوارض الرواية .
- (٣) الأصل في القراءة الرواية والسماع لا القياس ؛ لأن القراءة سنة متبعة فإذا ثبت الرواية ، لم تفتقر إلى قياس ولم يردها قياس ، يقول أبو عمرو الداني رحمه الله : «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها» . النشر : ١٠/١ .
- (٤) الحجة للقراء ٢٩/٥ ، وهو نقل طويل من قوله : قال أبو علي ، تصرف فيه بالتقديم والتأخير والاختصار .
- (٥) في (أ) و(د) : (آياتي) ، والمثبت من (ش) و(ع) .
- (٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٣٥٧/٤ ، والفخر الرازي ١١٥/١٩ ، وتفسير القرطبي ٣٥٨/٩ ، والفريد في إعراب القرآن ١٦١/٣ .
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ١٦٠/٣ ، نقله بنصه .
- (٨) في النسخ جميعها (إن) والصواب ما أثبتته ، وبه يستقيم الكلام .
- (٩) لم أقف عليه . وورد تلخيصه بنصه في تفسير الثعلبي ١١٥٠/٧ ، والوسيط تحقيق سيسي ٣١٩/١ ، والوجيز ٥٨١/١ .
- (١٠) معاني القرآن للفرّاء ٧٦/٢ بنصه تقريباً .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: «يريد المشركين»^(١)، قال المفسرون: هم الذين وضعوا العبادة والطاعة في غير موضعها^(٢).

٢٣. قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ذكرنا معنى التحية عند قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦]، قال ابن عباس: «يريد أن الله يُحييهم بالسلام من عنده، وبعضهم يُحيي بعضاً بالسلام»^(٣) وعلى هذا قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ مصدر مضاف، فإن جعلته مضافاً إلى الفاعل فهو تحية بعضهم بعضاً، وإن جعلته مضافاً إلى المفعول فهو تحية الله إياهم والملائكة، وقد ذكر ابن عباس الوجهين.

٢٤. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي بين الله شبهاً، ثم فسّر ذلك المثل، فقال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قال ابن عباس: «يريد لا إله إلا الله»^(٤)، وهو قول عامة المفسرين^(٥).

(١) ورد قوله بنصه بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣١٩/١، والوجيز ٥٨١/١، وتفسير ابن الجوزي ٣٥٧/٤.

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٠/٧ ب، بنصه.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي ١١/٤، لكنه جعل التحية من الملائكة لا من الله، وفي تنوير المقباس ٢٧١، قال: «يسلم بعضهم على بعض إذا تلاقوا»، وخلاصة القول في التحية أنها ثلاثة أنواع: تحية الله لهم، وتحية الملائكة لهم، وتحية بعضهم لبعض، ومن جعلها نوعين فقد جعل تحية الملائكة ضمن تحية الله؛ أي إن الملائكة ينقلون إليهم تحية الله.

انظر: تفسير السمرقندي ٢٠٥/٢، والثعلبي ١٥٠/٧، والماوردي ١٣١/٣، والبغوي ٣٤٦/٤، والثعلبي ١١/٤، والخازن ٧٦/٣، وتفسير الشوكاني ١٥٠/٣، وصديق خان ٢٣/٦. أخرجه الطبري ٢٠٣/١٣ بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/٢٧٣ (٢٠٦) بنصه، وورد في معاني القرآن للنحاس ٥٢٦/٣ بنصه، وانظر: تفسير الزخشي ٣٠١/٢، وابن عطية ٢٣٢/٨، وابن الجوزي ٣٥٨/٤، والفخر الرازي ١٢٠/١٩، وتفسير القرطبي ٣٥٩/٩، وابن كثير ٥٨٢/٢، والدر المنثور ١٤٢/٤، وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ورد بنصه في تفسير مقاتل ١٩٣/١، والسمرقندي ٢٠٥/٢، وهود الهواري ٣٢٦/٢، والثعلبي ١٥٠/٧، وتفسير المشكل لمكي ٢١٤، وانظر: تفسير البغوي ٣٤٦/٤، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ٢٧٩، وتفسير ابن كثير ٥٨٢/٢.

وقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد النخلة»^(١)، وهو قول أكثر أهل التأويل^(٢)، وأراد: كشجرة طيبة الثمرة، فاستغنى عن ذكرها بدلالة الكلام عليها، ﴿أَصْلُهَا﴾ أي أصل هذه الشجرة الطيبة ﴿ثَابِتٌ﴾، ﴿وَفَرْعُهَا﴾: أعلاها، قال: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾.

٢٥. ﴿تُؤْتِي﴾ أي هذه الشجرة، ﴿أَكْلُهَا﴾: ثمرها وما يؤكل منها، ﴿كُلِّ حِينٍ﴾ الحين: وقت من الزمان قلّ أو كثر، طال أو قصر^(٣)، واختلفوا في المراد بالحين هاهنا؛ فقال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد

(١) أخرجه الطبري ٢٠٦/١٣، بلفظه من طريق سعيد بن جبير صحيحة، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٥٢٦/٣، وانظر: تفسير الخازن ٧٦/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٤٤/٤، وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق، وورد عن ابن عباس بأنها شجرة في الجنة. انظر: تفسير الثعلبي ١١٥١/٧، والبغوي ٣٤٦/٤، وابن عطية ٢٣٤/٨، وابن الجوزي ٣٥٨/٤، وتفسير القرطبي ٣٦١/٩، والخازن ٧٧/٣، وورد عنه كذلك: أنها المؤمن. انظر: تفسير الطبري ٢٠٤/١٣، والأسماء والصفات للبيهقي ٢٧٣/١ (٢٠٧)، وتفسير الخازن ٧٧/٣، وابن كثير ٥٨٢/٢، والدر المنثور ١٤٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي حاتم. ولا خلاف بين هذه الأقوال؛ لأن المقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبهة به، وهو مشبه بها، كما في صحيح البخاري (٢٢٠٩) في كتاب البيوع، باب بيع الجمار وأكله، عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من الشجر شجرة كالرجل المؤمن»، فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أحدثهم، قال: هي النخلة، وفي رواية له: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم». (٦١) كتاب العلم، قول المحدث حدثنا، وأما كونها شجرة في الجنة غير معينة فلأن النخلة من أشرف الأشجار، فهي أولى من ينطبق عليها الصفات المذكورة في الآية. انظر: تفسير الطبري ٢٠٤/١٣، ٢٠٥، وابن عطية ٢٣٤/٨، والأمثال لابن القيم ٢٣٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٢/٢، بلفظه عن أنس، والطبري ٢٠٤-٢٠٦، بلفظه من عدة روايات عن أنس وابن مسعود ومسروق ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد، وورد بلفظه في الغريب لابن قتيبة ٢٣٦/١، وتفسير السمرقندي ٢٠٥/٢، وهود الهواري ٣٢٦/٢، والثعلبي ١٥٠/٧، والماوردي ١٢٣/٣، وتفسير المشكل ٢١٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٤٤/٤، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والرامهرمزي.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ١٢٥/٢، واللسان (حين) ١٠٧٣/٢، وعمدة الحفاظ ٥٤٩/١.

سته أشهر^(١)، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والحسن قالوا: «ما بين صرامها^(٢) إلى حملها ستة أشهر^(٣)».

وقال مجاهد وابن زيد: «كل سنة»^(٤)، وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة؛ قال: «هو ما (بين العام إلى العام)»^(٥) المقبل^(٦)، وقال في رواية أبي ظبيان^(٧): «كل حين: كل غدوة وعشية»^(٨)، وهو قول الربيع بن أنس^(٩).

(١) أخرجه الطبري ٢٠٨/١٣ بنصه من طريق سعيد بن جبير صحيحة، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٥٢٧/٣، والسمرقندي ٢٠٦/٢، والثعلبي ١٥١/٧ ب، انظر: تفسير ابن عطية ٢٣٦/٨، وابن الجوزي ٣٥٩/٤، والفخر الرازي ١٢٠/١٩.

(٢) الصّرام بكسر الصاد وفتحها: أو أن نُضج الثمرة وجَنّيها. انظر: اللسان (صرم) ٢٤٣٨/٤، ومتن اللغة ٤٤٩/٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٠٨/١٣ بنصه عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وأخرجه ٢٠٩/١٣، عن قتادة والحسن قالوا: «ما بين الستة الأشهر والسبعة».

وورد في تفسير الثعلبي ١٥١/٧ ب بنصه عنهم، والماوردي ١٣٢/٣ بمعناه عن الحسن، والطوسي ٢٩١/٦ بنحوه عن سعيد والحسن.

وانظر: تفسير البغوي ٣٤٧/٤ بنحوه عنهم.

(٤) تفسير مجاهد ١/٣٣٤، بلفظه، أخرجه الطبري ٢٠٩/١٣ بنصه عنها، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ١٥١/٧، عنها، والماوردي ١٣٢/٣ عن مجاهد، والطوسي ٢٩١/٦ عنها.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (ش) و(ع).

(٦) أخرجه الطبري ٢٠٩/١٣، ٢١٠ بنصه عن عكرمة صحيحة، وأورده في الدر المنثور ١٤٤/٤ عن عكرمة، والظاهر تلقّاه عنه. وورد بهذا الطريق في تفسير السمرقندي ١٠٦/٢، لكنه قال: «الحين: ما بين الثمرتين؛ يعني سنة». وورد تفسير الحين (بسنّة) عن ابن عباس من طريق عطاء بن السائب صحيحة في تفسير الطبري ٢١٠/١٣.

(٧) في النسخ جميعها: (ابن) والصحيح أبي ظبيان كما في تفسير الطبري وكتب التراجم.

(٨) أخرجه الطبري ٢٠٧/١٣ بنصه بعدة روايات من هذه الطريق، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٥٢٨/٣، وتفسير السمرقندي ٢٠٦/٢، والثعلبي ١٥١/٧ ب، والماوردي ١٣٣/٣، والطوسي ٢٩١/٦.

(٩) أخرجه الطبري ٢٠٩/١٣ بنصه، وورد في تفسير الثعلبي ١٥١/٧ ب بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٣٤٧/٤، وابن عطية ٢٣٦/٨.

وقال سعيد بن المُسيَّب : «كل حين يعني : شهرين ؛ لأن مدة إطعام النخلة شهران»^(١) ، قال أهل التأويل وأهل المعاني : شَبَّه الله تعالى الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في مَنْبَتِها ، وشَبَّه ارتفاع (عمله إلى السماء بارتفاع)^(٢) فروع النخلة ، وشَبَّه ما يكسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وزمان ، بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات [السَّنة]^(٣) كلها ؛ من الرُّطب والتمر وما يجري مجراها مما لا يعدم ولا ينقطع وجوده^(٤) .

(١) أخرجه الطبري ٢١٠/١٣ بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢٠٦/٢ ، والثعلبي ١٥١/٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٧/٤ ، وابن عطية ٢٣٦/٨ ، وابن الجوزي ٣٥٩/٤ ، والفخر الرازي ١٢٠/١٩ ، والدر المنثور ١٤٥/٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي ، هذه الأقوال التي وردت في تفسير (الحين) تندرج تحت قاعدة اختلاف التنوع ، ولا تناقض بينها لأمرين : الأول : أن (الحين) يحتمل كل هذه المعاني في اللغة ؛ إذ يطلق على الوقت القليل والكثير .

والثاني : أن كل مفسر نظر في تفسيره من وجه يختلف عن الآخر : فمن فسره (بسنة) أشار إلى أن النخلة لا تحمل في السنة إلا مرة واحدة ، ومن فسره (بسته أشهر) أشار إلى ما بين حملها وصرامها ، ومن فسره (بشهرين) أشار إلى مدة الجنين في النخل ، ومن فسره (بالغدوة والعشية) أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً ؛ صيفاً وشتاءً ، وقد رجح الطبري قول من فسره (بالغدوة والعشية) ؛ وذلك لكون الآية ضُربت مثلاً لعمل المؤمن وإخلاصه ورفع عمله إلى الله ، وهذا إنما يكون في كل يوم وليلة لا كل شهر أو سنة . انظر : تفسير الطبري ٢١٠/١٣ ، وابن عطية ٢٣٧/٨ ، وابن الجوزي ٣٥٩/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٦٠/٩ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من : (ش) و(ع) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، كما في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢١/١ ، والوجيز ٥٨٢/١ .

(٤) لم أقف عليه في كتب المعاني المطبوعة ، وورد هذا المعنى مختصراً وبعبارات متقاربة في تفسير الطبري ٢١٠/١٣ ، والسمرقندي ٢٠٦/٢ ، والماوردي ١٣١/٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٦/٤ ، ٣٤٧ ، وابن عطية ٢٣٣/٨ ، وابن الجوزي ٣٥٩/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٦١/٩ ، وابن كثير ٥٨٢/٢ .

وقال الزَّجَّاج : «جعل الله مثل المؤمن في نُطقه بتوحيده»^(١) ، والإيمان بنبيّه وأتباع شريعته الشجرة الطيبة ؛ فجعل نفع الإقامة على توحيده كنفع الشجرة التي لا ينقطع نفعها وثمرها»^(٢) ، وقال آخرون : إنما مَثَّلَ الله سبحانه الإيمان بالشجرة ؛ لأن الشجرة لا تستحق أن تسمّى شجرة إلا بثلاثة أشياء : عرق راسخ ، وأصل قائم ، وفرع عال ، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء : تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأبدان»^(٣) .

قال ابن الأنباري : «وكان غير مستنكر تشبيه الكلمة بالشجرة وهي من غير جنسها ، كما لا يُستنكر تشبيه الناس بالأسد والأقمار والبحار ، وجنس الإنسان يخالف هذه الأجناس ، ومعروف من كلامهم : عبد الله الشمس طالعة ، وزيد القمر منيراً ، وعمرو الأسد عادياً»^(٤) ، وبكر البحر زائراً»^(٥) .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ : «جميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين اسم كالوقت ، يصلح لجميع الأزمان كلها ، طالت أم قصُرت ، والمعنى في ﴿تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ : أنها يُتَنَفَّع بها في كل وقت ، لا

(١) في (ش) و(ع) : (توحيده) ، من دون باء

(٢) معاني القرآن وإعراجه ١٦٠/٣ ، ونقله بنصه .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٢/٧ ب ، بتصريف يسير ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٧/٤ ، والبقاعي

١٨٥/٤ ، وحاشية الصاوي على الجلالين ٢٨٤/٢ ، وتفسير الألوسي ٢١٦/١٣ ، وصديق خان ١١٠/٧ .

(٤) في (أ) و(د) : (عاريّاً) ، والمثبت من : (ش) و(ع) وهو الصحيح المتفق مع المعنى ، والظاهر أن الدال تصحفت إلى راء .

(٥) الزَّخْرُ : من خصائص البحر ، يقال : زَخَرَ يَزْخُرُ زَخْراً وزُخوراً ، إذا جاش ماؤه وارتفعت أمواجه . انظر : تهذيب اللغة (زخر) ١٥١٩/٢ ، والمحيط في اللغة ٢٧٥/٤ .

ينقطع نفعها ألبتة» ، قال : «والدليل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحيّة والمددوغ :

تَنَازَرَهَا^(١) الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تَطَلَّقَهُ حِيناً وَحِيناً تُرَاجِعُ^(٢)

قال : «المعنى أن السمَّ يخفُّ ألمه وقتاً ويعود وقتاً»^(٣) ، فعلى هذا ، الاختيار : أن يكون المعنى ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ ؛ أي كل وقت في جميع السنة ، وهو قول الضحاك ، قال : «كل ساعة ؛ ليلاً ونهاراً ، شتاءً وصيفاً ، تُؤكل في جميع الأوقات ، كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الأوقات كلها»^(٤) ، وقد قال ابن عباس : «يريد ستة أشهر طلع رخص»^(٥) وستة أشهر رطب رطيب»^(٦) ، فبين أن الانتفاع بالنخلة دائم في جميع السنة .

(١) في النسخ جميعها (تبادرها) بالباء والبدال من المبادرة ، وهو تصحيف ؛ إذ لا معنى للمبادرة هنا ، ويؤيده أن رواية الديوان وجميع المصادر (تناذرها) من الإنذار ؛ وهو التخويف ، أي خوف بعضهم بعضاً بأن تلك الأفعى من خبيثها لا تحيب راقياً .

(٢) البيت للنابغة الذبياني ، ديوانه ٥٤ ، وورد في المعاني الكبير ٦٦٣ / ٢ ، والكمال للمبرد ١٣٠ / ٣ ، وجهرة اللغة ٩٢٢ / ٢ ، وتهذيب اللغة (حان) ٧١٤ / ١ ، الإيضاح العضدي ٢٠٣ / ١ ، والصاح (نذر) ٨٢٦ / ٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٩ / ٣ ، وتفسير الماوردي ١٣٢ / ٣ ، والمخصص ٦٥ / ٩ ، وتفسير القرطبي ٣٦٠ / ٩ ، واللسان (حين) ١٠٧٤ / ٢ ، والخزانة ٤٥٩ / ٢ . ومعنى (تطلّقه) : أي تفارقه وتخفى الأوجاع أحياناً ، وتارة تشتد عليه ، وهكذا حال اللديغ ، ورواية الديوان والكمال والخزانة :

تَطَلَّقَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

ولا فرق في المعنى ؛ لأن الطور كالحين ، لكن لا شاهد على هذه الرواية .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٦١ / ٣ بنصه ، وورد في تهذيب اللغة (حان) ٧١٤ / ١ بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ٢٠٨ / ١٣ بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٥٢٨ / ٣ بنحوه ، وتفسير الثعلبي ١٥١ / ٧ بنصه .

وانظر : تفسير القرطبي ٣٦٠ / ٩ .

(٥) الرِّخْص : الشيء الناعم اللين . انظر : المحيط في اللغة (رخص) ٢٤٥ / ٤ .

(٦) أورده الواحدي بنصه غير منسوب في الوجيز ٥٨٢ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالَ لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: «يريد أهل مكة»^(١)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ لكي يتعظوا.

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ﴾ يعني: الشرك بالله في قول الجميع^(٢)، ﴿كَشَجَرَةٍ خَيِّثَةٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد الثوم»^(٣)، وروى مقاتل عن الضحاك عنه^(٤) «قال: هي الكُشُوث»^(٥)، وقال أنس بن مالك: «هي الحنظل»^(٦). فكما أنها أخبت الأشجار،

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢١/١ بنصه.

(٢) ورد بلفظه في تفسير مقاتل ١٩٣/١، والغريب لابن قتيبة ٢٣٦/١، وتفسير السمرقندي ٢٠٦/٢، وهود الهواري ٣٢٧/٢، والثعلبي ١٥٢/٧، وتفسير المشكل ٢١٤، وانظر: تفسير البغوي ٣٤٨/٤، والزمخشري ٣٠١/٢.

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢١/١، بلفظه، وانظر: غرائب التفسير ٥٧٩، وتفسير ابن الجوزي ٣٦١/٤، وتفسير القرطبي ٣٦٢/٩، والخازن ٧٧/٣، وورد عن ابن عباس أنه فسرهما بقوله: «هذا مثل ضربه الله، ولم تخلق هذه الشجرة على وجه الأرض». أخرجه الطبري ٢١١/١٣، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٢/٧، والماوردي ١٣٤/٣، وابن الجوزي ٣٦٠/٤، والقرطبي ٣٦٢/٩، والدر المنثور ١٤٥/٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وتفسير الألويسي ٢١٥/١٣.

(٤) أي ابن عباس.

(٥) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢١/١، بلفظه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٣٦٠/٤، والخازن ٧٧/٣، والألويسي ٢١٥/١٣. الكُشُوث: بالفتح وبالضم، وبالفتح أفصح، ويروى مقصوراً وممدوداً؛ الكُشُوثى والكُشُوثاء، قال الليث: «الكُشُوث نبات مجتث لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره، ويجعل في النبيذ»، وفي معجم متن اللغة، قال الشهابي: «هو جنس نباتات طفيلية مضرّة، سُوِّقَها صفر وشقر، خيطية طوال تلتف على حاضيتها وتنشعب فيه زوائد ماصة تمص نسغها، لا ورق لها، ويسمى في مصر والشام: الهالوك، يقول الشاعر:

هو الكُشُوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيماً ولا ظل ولا ثمر»

انظر: تهذيب اللغة (كش) ٣١٤٦/٤، والمحيط في اللغة ١٦١/٦، والصاحح ٢٩٠/١، واللسان ٣٨٣٠٨/٧، والتاج، ومتن اللغة ٦٨/٥.

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٢/٢، بلفظه عن أنس، والطبري: /شاذكر ٥٨٣/١٦، بلفظه عن أنس من عدة طرق، وورد بلفظه في الغريب لابن قتيبة ٢٣٦/١، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٧/٣، وتفسير الماوردي ١٣٤/٣، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٣٦٠/٤، وتفسير القرطبي ٣٦١/٩، والخازن

فكذلك الشرك أخبرث الكلمات ، وكما أنه لا ينتفع بها كذلك الشرك لا ينتفع صاحبه .

وقوله تعالى : ﴿ أَجْتَنَّتْ ﴾ قال ابن عباس : «اقتلعت»^(١) ، وقال السدي : «انتزعت»^(٢) ، وقال الضحاك : «استوصلت»^(٣) ، وقال الزجاج : «ومعنى ﴿ أَجْتَنَّتْ ﴾ في اللغة : أخذت جثتها بكاملها»^(٤) .

وهذا قول المؤرّج قال : «أخذت جثتها وهي نفسها»^(٥) .

- =
- ٣/ ٧٧ ، والدر المنثور ١٣/ ١٤٦ وعزاه إلى ابن مردويه . والحنظل : معروف ؛ وهو نبات مُرّ الجنى ، واحدته حنظلة ، ويسمى : الشرقي . انظر : اللسان (حنظل) ٢/ ١٠٢٥ ، ومتن اللغة ٢/ ١٨٠ . هذه عدة أقوال في تعيين الشجرة الخبيثة ، والأرجح أنها شجرة غير معينة ، ومن عيّنوها فهو على سبيل التمثيل ، وضابطها الخبيث ؛ وقد يكون خبيثا لرائحتها ، أو للونها ، أو هيئتها ، أو لطعمها ، أو لمضارها ، أو . . . انظر : تفسير ابن الجوزي ٨/ ٢٣٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٢١ .
- (١) انظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٦٢ ، بلفظه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ ب ، بلفظ : «اقتطعت» ، وورد بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٢ ، والسمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والبغوي ٤/ ٣٤٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ١٩٦ ، والدر المصون ٧/ ١٠٠ .
- (٢) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ ب ، بلفظه ، وورد بلفظه بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٢ .
- (٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ ب ، بلفظه ، وورد بلفظه غير منسوب في مجاز القرآن ١/ ٣٤٠ ، وغريب اليزيدي ١٩٧ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٧ ، وتفسير المشكل ١٤٢ ، وغرائب التفسير ١/ ٥٧٩ .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦١ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (جثث) ١/ ٥٣٨ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٣٩٨ ، واللسان ١/ ٥٤٣ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٥٣ .
- (٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٦٢ ، وصديق خان ٧/ ١١١ .

وقوله تعالى: ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: «يريد ليس لها أصل تام، فهي فوق الأرض لم ترسخ فيها، ولم تضرب فيها بعرق، كذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا ثبات ولا شيء»^(١).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ قال المفسرون: أي من أصل في الأرض^(٢)، والقرار مصدر سُمِّي به المُسْتَقَر، وهذه الأشجار التي ذُكرت في^(٣) تفسير الشجرة الخبيثة ليس لها مستقر في الأرض يبقى على الأرض فنفي أن يكون لها قرار لما كانت تتقلع بأدنى شيء، والكشوث لا قرار له في الأرض بثة، قال الزجاج: «المعنى أن ذكر الله بالتوحيد يبقى أبداً، ويبقى نفعه أبداً، وأن الكفر والضلال لا ثبوت له»^(٤).

٢٧. قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قال ابن عباس: «يريد الذين صدقوا محمداً ﷺ يشبههم بالقول الثابت وهو لا إله إلا الله»^(٥)، وهذا دليل على أنه أراد بالكلمة الطيبة كلمة الإخلاص، لأنه بعدما شبهها بالشجرة الطيبة التي لها أصل ثابت، سماها القول الثابت.

(١) أخرجه الطبري ١٣/٢١٣ بنحوه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيبي ١/٣٢٢ بنحوه، وانظر: تفسير صديق خان ٧/١١٢، وورد هذا المعنى غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/٣٦١، والفخر الرازي ١٩/١٢١.

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٣/٢١٣ بنحوه، والسمرقندي ٢/٢٠٦، بلفظه، والماوردي ٣/١٣٥، بلفظه، وانظر: غرائب التفسير ١/٥٧٩، وتفسير البغوي ٤/٣٤٩، وابن الجوزي ٤/٣٦١، وتفسير القرطبي ٩/٣٦٢، وصديق خان ٧/١١١.

(٣) في جميع النسخ وردت (و) قبل (في)، وهي زائدة جعلت السياق مضطرباً، لذلك حذفت.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٦١ بنحوه.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٩/٣٦٢ بنحوه، وورد بنحوه بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيبي ١/٣٢٢.

وقوله تعالى : ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال المفسرون : يشبههم بـ (لا إله إلا الله) في الحياة الدنيا على الحق والتمسك بالعُرى^(١) ، وإذا ثبتهم بها في الدنيا ثبتهم في الآخرة .

ومعنى ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ : قال ابن عباس : «يريد في القبر»^(٢) ، وهذا قول عامة المفسرين ؛ قالوا : إن هذه الآية وردت في فتنة القبر وسؤال الملكين ، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال ، وتثيته إياه بها على الحق^(٣) .

وروى ذلك البراء بن عازب مرفوعاً ، أن النبي ﷺ قال في قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ قال : «حين يقال من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد ﷺ»^(٤) ، والباء في : ﴿ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ من صلة التثيت ، على ما بينا ، ويجوز أن تكون من صلة آمنوا ، على معنى : الذين آمنوا بـ (لا إله إلا الله) يشبههم

(١) ورد في معاني القرآن للفرّاء ٧٧/٢ بنحوه ، وأخرجه عبدالرزاق ٣٤٢/٢ ، والطبري ٢١٧/١٣ بنحوه عن ابن طائوس عن أبيه ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٥٣٠/٣ ، وتفسير السمرقندي ٢٠٦/٢ ، والثعلبي ١٥٢/٧ ب ، والماوردي ١٣٥/٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٩/٤ ، وابن عطية ٢٣٩/٨ ، وابن الجوزي ٣٦١/٤ ، والحازن ٧٨/٣ .

(٢) أخرجه النسائي في تفسيره ٦٢٠/١ بنحوه من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، وانظر : تفسير صديق خان ١١٣/٧ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٢/٢ بنحوه عن قتادة ، والطبري ٢١٦/١٣ ، بنحوه عن ابن مسعود والمسيب بن رافع والربيع وقتادة ومجاهد ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ١٦٢/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥٣٠/٣ ، عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ١٥٣/٧ ب ، عن ابن عباس ، والماوردي ١٣٣/٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٤٩/٤ ، وابن عطية ٢٣٩/٨ ، وابن الجوزي ٣٦١/٤ ، وابن جزي ١٤١/٢ .

(٤) أخرجه بنحوه عن البراء بن عازب ابن أبي شيبه في مصنفه : الجنائز/ القبر ٥٦/٣ ، والبحاري (٤٦٩٩) في كتاب التفسير ، باب ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ ، ومسلم (٢٨٦٦) في كتاب الجنة ونعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، أبو داود (٤٧٥٠) في كتاب السنة ، والنسائي في تفسيره ٦١٩/١ ، وتفسير الطبري ٢١٤/١٣ .

على الحق في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، قال ابن عباس : «من دام على الشهادة في الدنيا يثبت الله عليها في قبره ويلقنهُ إياها»^(١) ، وإنما فُسر الآخرة هاهنا بالقبر ؛ لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا وصار^(٢) مجزئاً بالحسنات والسيئات فدخل في أحكام الآخرة ، قاله أبو بكر بن الأنباري ، وقد أشار إلى هذا المعنى أبو إسحاق ؛ فقال : ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ لأن هذا بعد وفاته^(٣) ؛ يريد هذا السؤال .

وقوله تعالى : ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ يعني : لا يُلقِّن^(٤) المشركين [و]^(٥) الكافرين ، حتى إذا سئلوا في قبورهم قالوا : لا ندري ، قال الفرّاء : «يُضِلُّهم عن هذه الكلمة»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ؛ أي من تثبيت المؤمن وتلقينه الصواب ، وإضلاله الكافر ، قال الفرّاء : «أي لا يُنكِّر له قدرة ولا يُسأل عما يفعل»^(٧) .

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٢٢ / ١٩ .

(٢) ساقطة من (أ) و(د) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٦٢ / ٣ بنصه .

(٤) أي لا يوفق ، كما في تفسير الطبري : ٢١٨ / ١٣ ، وتفسير القرطبي ٣٦٤ / ٩ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، كما في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢٤ / ١ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٧٧ / ٢ ولفظه : «أي عن قول لا إله إلا الله» .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٧٧ / ٢ بنصه ، لكن فيه «لا تنكروا» بالنهي ، وما ذكره الواحدي بالخبر هو الصواب المناسب للسياق ؛ فالسياق ليس في الأمر والنهي بل هو خبر ، ولعله وقع تصحيف في نسخ المصدر .

٢٨. قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال ابن عباس: «يريد كفار قريش»^(١)، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد، والضحاك^(٢)، وقتادة قال: «هم مشركو مكة، أنعم الله عليهم بالنبي ﷺ فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر»^(٣)، وذلك قوله: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ يعني: الذين اتبعوهم.

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: الهلاك، يقال رجل بائر، وقوم بُور^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، هذا قول جميع أهل اللغة^(٥)، وأراد بـ ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: جهنم، ألا ترى أنه فسرها فقال:

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٣/٢ ولفظه: «فقال: قريش أو قال: أهل مكة»، والبخاري: التفسير/ إبراهيم ١٧٣٥/٤ ولفظه: «هم كفار أهل مكة»، والنسائي في تفسيره ١/٦٢٣، ولفظه: «هم أهل مكة»، والطبري ٤٥٤/٧ بألفاظهم بعدة روايات، وقد أخرجوه كلهم من طريق عمرو بن دينار عن عطاء صحيحة، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٢، ولفظه: «هم قادة قريش يوم بدر»، والطوسي ٦/٢٩٤ بنصه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٥٦، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل لم أجده. وهذه العبارات التي وردت عن ابن عباس لا تنافي بينها؛ لأنها وصف لشيء واحد ببعض صفاته.

(٢) تفسير مجاهد ٣٣٥ بنصه، وأخرجه الطبري ١٣/٢٢٢ بنصه وبنحوه عنهم من طرق، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٣٦ بنحوه عن سعيد ومجاهد، والطوسي ٦/٢٩٤ بنصه عنهم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٢/٢ عن قتادة، ولفظه: «قال هم قادة المشركين يوم بدر»، والطبري ١٣/٢٢٢ بنحوه من طريقين، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٣٦ بنحوه، والطوسي ٦/٢٩٤ بنحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٥٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم. وفي نسخة (ش) و(ع) زيادة (به) بعد كلمة الكفر، والكلام مستقيم من دونها.

(٤) البور: مصدر بار الشيء يبور بُورًا: إذا هلك، والرجل بُور؛ أي هالك، الواحد والجمع فيه سواء، ويقال شيءٌ بائرٌ وبائرٌ وبُورٌ وبُورٌ: أي فاسد. انظر: الجمهرة ١/٣٣٠، وتهذيب اللغة (بار) ١/٢٥٤، والمحيط في اللغة (بور) ١٠/٢٧٠.

(٥) انظر بالإضافة إلى المصادر السابقة: غريب اليزيدي ١٩٧، والغريب لابن قتيبة ١/٢٣٧، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٢، وتفسير المشكل ٢١٤، وتفسير الزمخشري ٢/٣٠٢، والدر المصون ١٠٣/٧.

٢٩. ﴿جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيُنْسِ الْقَرَارُ﴾ ؛ أي المقر ، وهو مصدرٌ سُمي به .

٣٠. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قال ابن عباس : «يريد من الحجارة والخشب وغير ذلك»^(١) ، ﴿لِيُضِلُّوْا﴾ : الناس عن دين الله ، وقرأ الكوفيون بفتح الياء^(٢) والمعنى : أنهم لم ينتفعوا بما اتخذوا من الأنداد ، ولم يتخذوها^(٣) إلا ليزيغوا عن الطريق المستقيم الذي نُصبت الأدلة عليه ، وهذه لام العاقبة^(٤) ، وقد ذكرنا معناها في مواضع .

ثم أوعدهم بالعذاب فقال : ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ قال ابن عباس في هذه الآية : «لو صار الكافر مريضاً سقيماً ، لا ينام ليلاً ولا نهاراً ، جائعاً لا يجد ما يأكل ويشرب ، لكان هذا كله نعيماً عندما يصير إليه من شدة العذاب ، ولو كان المؤمن في الدنيا في أنعم عيشة لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة»^(٥) .

٣١. وقوله تعالى : ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال الفراء : «جُزمت ﴿يُقِيمُوا﴾ بتأويل الجزاء ، ومعناه معنى أمر ؛ كقولك : قل لعبدا الله يذهب عنا ، يريد : قل له : اذهب عنا ، فجزم بنية الجواب وتأويله الأمر ، ومثل هذا قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الجناتية : ١٤] ،

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣٢٦/١ بنصه .

(٢) لقد أخطأ الواحدي -رحمه الله- في ذلك ، فالذين قرؤوا بالفتح هم ابن كثير وأبو عمرو ويونس -أحد رواة يعقوب- وهؤلاء ليسوا كوفيين . انظر : التيسير ١٣٤ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٧١١/٢ ، والنشر ٢/٢٩٩ ، والإتحاف ٢٧٢ ، وتفسير الطبري ١٣/٢٢٤ .

(٣) في (أ) و(د) : (يتخذوا) والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح لانسجامه مع السياق .

(٤) يقول الفخر الرازي : «هي لام العاقبة ؛ لأن عبادة الأوثان سبب يؤدي إلى الضلال» . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/١٢٣ .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣٢٦/١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٣٦٣ .

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] هذا كلامه^(١) ومعنى هذا أن^(٢) قوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ معناه معنى الأمر؛ أي قل لهم يقيموا الصلاة، إلا أنه أُجري على ظاهر اللفظ كأنه جواب قوله: ﴿قُلْ﴾، وزاد ابن الأنباري لهذا بياناً فقال: «هذا على معنى: قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة، فُصِّرَ عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر، وجُعِلَ كالجواب للشرط المقدّر من الأمر، وهو أمر في الحقيقة»^(٣).

ومعنى قول أبي بكر: «جُعِلَ (كالجواب للشرط المقدّر)^(٤)» هو أن الأمر معه شرط مقدّر؛ كقول القائل: أطع الله يدخلك الجنة، معناه: إن أطعته يدخلك الجنة، لذلك التقدير في هذه الآية: إن يقل لهم يقيموا، هذا ظاهر الكلام، وهو في المعنى أمر على ما بيّنّا.

وقال أبو إسحاق: «قوله: ﴿يُقِيمُوا﴾ مجزوم بمعنى اللام؛ كأنه ليقيموا إلا أنها أسقطت؛ لأن الأمر قد دل على الغائب (بقل)، يقول: قل لزيد ليضرب عمراً، وإن شئت قلت: قل لزيد يضرب عمراً، ولا يجوز: يضرب زيد عمراً، بالجزم حتى يقول: ليضرب؛ لأن لام الغائب ليس هاهنا منها عوض إذا حذفها، وذكر وجهاً ثالثاً؛ وهو أن يكون المعنى: قل لعبادي الذين آمنوا

(١) معاني القرآن للفرّاء ٧٧/٢، بتصرف يسير.

(٢) وردت (أن) قبل هذا في النسخ جميعها، وهي زائدة أدت إلى اضطراب السياق، ولعلها من الناسخ، لذلك حذفت.

(٣) لم أقف على مصدره، وأورده ابن الجوزي في تفسيره ٣٦٣/٤ بنحوه، وهذا القول قال به المازني كما في إعراب القرآن للنحاس ١٨٤، والمبرد في المقتضب ٨٤/٢.

وقد رجحه أبو البركات الأنباري في البيان في غريب الإعراب ٥٩/٢، بينما ضَعَفَ العكبري في الإملاء ٦٩/٢، وأبو حيان ٤٢٦/٥، وابن هشام في المغني ٢٩٩.

(٤) ما بين القوسين من (ش)، وساقط من (أ) و(د) و(ع).

[أقيموا الصلاة^(١)] يقيموا الصلاة ؛ لأنهم إذا آمنوا وصدّقوا فإن^(٢) تصديقهم بقبولهم^(٣) أمر الله^(٤) ، فعلى هذا قوله ﴿يُقِيمُوا﴾ جواب أمر محذوف .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ قال أبو عبيدة : «البيع هاهنا : الفداء ، والخلال : المخالّة»^(٥) ، قال مقاتل : «إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ، ولا مخالّة ولا قرابة ، إنما هي أعمال يثاب بها قوم ويعاقب عليها آخرون»^(٦) ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة ٢٥٤] ، وقد مرّ .

وجميع أهل المعاني قالوا في الخلال هاهنا إنه : المُخالّة^(٧) ، وأنشدوا قول امرئ القيس :

وَلَسْتُ بِمَقْلِيٍّ^(٨) الْخِلَالِ وَلَا قَالِيٍّ^(٩)

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في الأصل ، والظاهر أنها ساقطة ؛ لأن المعنى مضطرب من دونها .

(٢) في النسخ جميعها (بأن) والمثبت مصّوب من المصدر .

(٣) في النسخ جميعها : (بقولهم) ، وهو تصحيف ، والمثبت هو الصحيح وموافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٦٢/٣ بنصه .

(٥) مجاز القرآن ١/٣٤١ ، ولفظه قال : ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ مجازه : مبيعة فدية ، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ ؛ أي مُخالّة خليل . الخُلّة : مُخالّة الخليلين ، وهي مصدر ؛ يقال : خالته مُخالّة وخُلّة وخلالاً ، وجمعها : خلال ، وهي الحبّ والمودة ، وهي أخص من الصداقة .

انظر : جوهرة اللغة ١/١٠٧ ، والمحيط في اللغة (خل) ٤/١٧٥ ، واللسان (خلل) ٢/١٢٥٢ .

(٦) تفسير مقاتل ١/١٩٣ ب ، بمعناه ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/٣٢٧ بنصه .

(٧) مجاز القرآن ١/٣٤١ ، بلفظه ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/٦٠٠ ، بمعناه ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٣ ، بلفظه ، وورد بلفظه في غريب القرآن لليزيدي ١٩٨ ، والغريب لابن قتيبة ١/٢٣٧ ، وتفسير الطبري ١٣/٢٢٤ ، وتفسير المشكل ٢١٤ .

(٨) في النسخ جميعها (بمُلفي) وهو تصحيف ، والتصويب من الديوان وجميع المصادر .

(٩) وصدّره :

صرُفْتُ الهوى عَنْهُنَّ من خشية الرّدى

ديوان امرئ القيس ١٢٦ ، وورد في تفسير الطبري ١٣/٢٢٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٣ ، =

قال أبو علي: «ويموز أن يكون جمع خُلَّة مثل: بُرْمَة وبرام^(١)، وعُلبَة وعِلاب^(٢)»، قال ابن الأنباري: «ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فأثبت الخُلَّة للمتقين؛ لأن لذلك اليوم أحوالاً ومواطن مختلفة، ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خُلَّة خليله^(٣)، يدل^(٤) على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرَّةُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] وفي بعضها يتعاطف أولياء الله بالمُخالَّة التي كانت بينهم.

٣٣. قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ قال ابن عباس: «يريد ليُعرف النهار من الليل، والليل من النهار»^(٥).

- = شرح ديوان الحماسة ٣/ ٣٢١، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٥ ب، وابن عطية ٨/ ٢٤٥، واللسان (خلل) ٢/ ١٢٥٢، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٢٧، والدر المصون ٧/ ١٠٨. (المقلي) المُبَغَض، اسم مفعول، و(القالبي): المُبَغَض، اسم فاعل، يريد أنه لم ينصرف عن الحسان لأنه أبغضهنَّ، ولا لأنهنَّ أبغضنه، ولكن خشية الفضيحة والعار، فهو متَّيم بحبهنَّ ولكنه صرف هذا الحب عنهنَّ خشية الهلاك، ولم ينصرف عنهنَّ لسوءٍ في طباعه.
- (١) البرْمَة قَدْر من حجارة، ويجمع بُرم وبُرم وبرام. انظر: جوهرة اللغة ١/ ٣٢٩، والمحيط في اللغة (برم) ١٠/ ٢٤٢.
- (٢) الحجة للقراء ٢/ ٣٥٥، بتصرف. العُلْبَة وعاء من جلد جنب البعير يُسوى على هيئة القصعة المدورة، كأنها نُحِتَتْ نحتاً أو خُرِطَتْ خُرْطاً، يُحْتَلَب فيها، وتُجمَع عُلباً وعِلاباً. انظر: جوهرة اللغة ١/ ٣٦٦، وتهذيب اللغة (علب) ٣/ ٢٥٤٢.
- (٣) لم أقف على مصدره، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير صديق خان ٧/ ١١٧.
- (٤) ساقط من (د).
- (٥) لم أقف عليه، والذي ذكره الطبري والثعلبي وغيرهما عن ابن عباس قولاً آخر؛ هو قوله: «دؤوبها في طاعة الله». انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٢٥، والثعلبي ٧/ ١٥٥ ب، والبغوي ٣/ ٣٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٥٨.

قال الزَّجَّاجُ : «معناه دَائِبِينَ^(١) في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره لا يَفْتُرَان»^(٢) ، ومعنى الدُّوُوبُ في اللغة : مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه ، دَابٌّ يَدَابُّ دَابًّا ودُوُوبًا^(٣) وقد ذكرنا هذا في قوله : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا ﴾ [يوسف : ٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لتبتغوا بالنهار من فضله وتقوموا بطاعته وفرائضه ، والليل لتسكنوا فيه ، وجعل ذلك راحة لكم»^(٤) .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ قال أبو علي : «المفعول محذوف تقديره من كل مسؤول شيئاً أو مسؤولاً أو نحو ذلك ، ومثله قوله : ﴿ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٦١] ؛ أي شيئاً ، فحذف المفعول ، وكذلك قوله : ﴿ وَأَوْثَقْتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٢٣] قال : «ويجوز في قياس قول أبي الحسن^(٥) أن يكون الجار والمجرور في موضع نصب ، وتكون (من) زيادة في الإيجاب كما تكون زيادة في غير الإيجاب»^(٦) ، وقال ابن الأنباري : «تقدير الآية : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ وما لم تسألوه ؛ لأننا لم نسأله شمساً ولا قمرأً ولا كثيراً من نعمه التي ابتدأنا بالإحسان إلينا بها ، فاكْتَفَيْ بالسؤال عن

(١) في النسخ جميعها : (آيتين) ، والمثبت هو الصواب والموافق للمصدر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٦٣ / ٣ بنصه تقريباً .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (دأب) ١١٢٧ / ٢ ، والمحيط في اللغة ٣٧٦ / ٩ ، ومقاييس اللغة ٣٢١ / ٢ ، والصحاح ١٢٣ / ١ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣٦٧ / ٩ ، مختصراً .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٠٠ / ٢ ، ورد القول مجملاً ففصله أبو علي .

(٦) لم أقف على قوله ، وانظر : التعليق على القول بالزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

غير^(١) المسؤول ؛ كقوله : ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾^(٢) [النحل: ٨١] ، قال : «ويجوز أن يكون المعنى : وآتاكم من كل ما تَتَمَنُّونَ وتَشْتَهُونَ وتُؤَثِّرُونَ»^(٣) ، قال الكسائي : «العرب تقول إذا أتيت فلاناً أعطاك سُؤْلَكَ ، وصرت منه إلى ما سألت ، لا يعنون السؤال بعينه ، ولكنهم يريدون ما يشتهي وَيَتَمَنَّى ويؤثر» ، هذا كلامه^(٤) ، وأما مفعول الإيتاء فهو على ما ذكره أبو علي^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ النعمة هاهنا اسم أقيم مقام المصدر يقال : أنعم الله عليه ، يُنْعِمُ إنعاماً ونِعْمَةً ، أقيم الاسم مقام الإنعام ؛ كقولك : أنفقت عليه إنفاقاً ونفقةً ، بمعنى واحد^(٦) ولذلك لم يجمع ؛ لأنه في مذهب المصدر ، ومعنى قوله : ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾ : لا يأتوا على جميعها بالعدِّ لكثرتها ، بيانه قوله : ﴿وَاحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] ؛ أي أحاط علمه باستيفاء عدد كل شيء .

(١) يدولي أن (غير) زائدة ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى ؛ لأنه إنما اكتفى في الجواب عن المسؤول وإن أعطاهم غير ما سألوا ، يؤيده ما استشهد به من القرآن وكلام العرب ، حيث اكتفى بها سألوا وإن أعطاهم أكثر مما سألوا . والله أعلم .

(٢) والتقدير : وسراييل تقيكم البرد ، فاكثفي بأحدهما لدلالته على الآخر . انظر : الفريد في الإعراب ١٦٨/٣ .

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٧٤٢/٢ ، وعبارته مختلفة ، قال : «سألت أبا العباس عن هذا فقال لي : من أضاف أي (كل) إلى (ما) ، أراد : «وآتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه» ، ومن نَوَّنَ أي كل ، أراد : «آتاكم من كل ما سألتموه» ؛ وذلك أنا لم نسأل الله شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعمه» . وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢٨/١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٦٥/٤ ، وتفسير الشوكاني ١٥٧/٣ ، وصديق خان ١١٩/٧ .

(٤) لم أجده ، وورد نحوه غير منسوب في معاني القرآن للنحاس ٥٣٣/٣ .

(٥) أي محذوف ، وتقديره : من كل مسؤول شيئاً أو مسؤولاً .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نعم) ٣٦١٥/٤ بنصه .

وقال الكلبي : « لا تحفظوها »^(١) ، وقال أبو العالية : « لا تطيقون عدّها »^(٢) ، والقولان قد فُسِّرَ بهما^(٣) قوله : ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] ، قال الفراء : « علم أن لن تحفظوا مواقيت الليل »^(٤) ، وقال غيره : معناه : علم أن لن تطيقوه^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ قال ابن عباس : « يريد أبا جهل ظلوم لنفسه كفَّار بنعمة ربه »^(٦) ، وقال أبو إسحاق : « هذا اسم للجنس ، فقصد به الكافر خاصة ؛ كما قال : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ [العصر : ١-٣] ؛ فالإنسان غير المؤمن ظلوم كفَّار »^(٧) ، قال المفسرون : ظلوم : كافرٌ شاكِرٌ غير من أنعم عليه ، واضعُّ الشكر غير موضعه ، ﴿ كَفَّارٌ ﴾ : جحود لنعم الله^(٨) .

-
- (١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢٨ / ١ ، بلفظه ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٠٨ / ٢ .
- (٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢٨ / ١ بنصه ، وورد بنصه بلا نسبة في تفسير البغوي ٣٥٤ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٣٦٧ / ٩ .
- (٣) في (ش) و(ع) : (فسرتها) ، وفي (د) : (فسرهما) .
- (٤) معاني القرآن للقرءاء ٢٠٠ / ٣ بنصه .
- (٥) أخرجه الطبري ١٤٠ / ٢٩ ، بلفظه عن الحسن وسعيد وسفيان ، وورد بلفظه في تفسير المشكل ٣٦٢ ، وتفسير الماوردي ١٣٢ / ٦ ، عن الحسن .
- (٦) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٢٩ / ١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٦٥ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٣٦٧ / ٩ ، والخازن ٨٠ / ٣ .
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ١٦٤ / ٣ بنصه .
- (٨) ورد في تفسير الطبري ٢٢٧ / ١٣ بنصه تقريباً ، والثعلبي ١٥٦ / ٧ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٣٥٤ / ٤ ، وابن الجوزي ٣٦٥ / ٤ .

٣٥. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ تفسير هذا قد سبق في سورة البقرة^(١).

وقوله تعالى : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ قال الفراء : «أهل الحجاز تقول : جَنَّبَنِي يَجْنِبُنِي خفيفة ، وأهل نجد تقول : أَجْنَبَنِي شَرَّهْ وَجَنَّبَنِي شَرَّهْ»^(٢) ، ونحو هذا قال الكسائي^(٣) ، وقال الزَّجَّاج : «أَجْنَبْتُهُ كَذَا وَكَذَا : جعلته ناحية منه وجانباً ، وكذلك جَنَّبْتُهُ وَجَنَّبْتُهُ»^(٤) ، وأنشد أبو عبيدة لأُمَيَّة بن الأَسْكَر :

وَتَتَفَضُّ مَهْدَهُ شَفَقاً عَلَيْهِ وَتَجْنِبُهُ قَلَائِصَ الصَّعَابَا^(٥)

قال أبو إسحاق : «ومعنى الدعاء من إبراهيم أن يُجَنَّبَ عبادة الأصنام ، وهو غير عابد لها ، على معنى : تُبَنِّئِي على اجتناب عبادتها ؛ كما قال : ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ؛ أي تُبَنِّئِي على الإسلام»^(٦).

(١) آية ١٢٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٧٨ / ٢ بنصه تقريباً .

(٣) لم أقف على مصدره .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٦٤ / ٣ ، بتصرف يسير .

(٥) ورد في مجاز القرآن ١ / ٣٤٢ ، وتفسير الطبري ١٣ / ٢٢٨ ، والثعلبي ٧ / ١٥٦ ب ، وورد في الأغاني ١٤ / ٢١ ، والخزانة ١٩ / ٦ ، برواية :

تَمْسُحُ مَهْدَهُ شَفَقاً عَلَيْهِ وَتَجْنِبُهُ أَبَاعِرَهَا الصَّعَابَا
(قلائص) جمع قُلُوص ، قال أبو منصور : «القُلُوص : الفتية من النوق ، بمنزلة الفتاة من النساء ، وربما سُمُّوا الناقة الطويلة القوائم قُلُوصاً» . انظر : تهذيب اللغة (قلص) ٣ / ٣٠٣٢ ، والصحاح ١٠٥٤ / ٣ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٦٤ / ٣ بنصه .

وقال غيره من أهل المعاني قوله : ﴿ وَبَيَّكَ ﴾ دعاء لمن أذن الله في أن يدعو له ؛ فكأنه قال : وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم ؛ لأن دعاء الأنبياء مستجاب ، وقد كان من نسله من عبد الصنم^(١) ، أو خص بهذه الدعوة أبناءه من صُلْبِهِ^(٢) .

والصَّنَم : الصورة التي تُعْبَد ، وجمعه أصنام^(٣) .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ قال أبو إسحاق وغيره : أي ضَلُّوا بسببها ؛ لأن الأصنام لا تعقل ولا تفعل شيئاً ؛ كما يقول : قد افْتَنَّنِي هذه الدار ؛ أي أَحْبَبْتُهَا وَاسْتَحْسَنْتُهَا وَافْتَنَّنْتُ بِسَبَبِهَا^(٤) ، فلما ضل الناس بسببها صارت كأنها أضلتهم ، فُنْسِبَ الفعل إليها .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَبْعَنِي ﴾ قال ابن عباس : « يريد على ديني بالتوحيد لك والمعرفة بك »^(٥) .

(١) وعلى هذا القول يكون دعاؤه من العام المخصوص . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٣٣ ، والدر المنثور ١ / ٢٥٢ .

(٢) لم أقف عليه في الكتب المطبوعة . وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٥٤ ، وابن عطية ٨ / ٢٥٠ ، والزمخشري ٢ / ٢٠٤ .

(٣) الصَّنَم معروف ، وهو أحص من الوثن ، والفرق بينها ؛ أن الصنم هو ما نحت على هيئة البشر ، والوثن ما كان منحوتاً على غير هيئة البشر .

انظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٢٥١ ، والفخر الرازي ١٩ / ١٣٣ ، والألوسي ١٣ / ٢٣٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٦٤ بنصه تقريباً .

(٥) ورد بنحوه مختصراً غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١ / ٣٣٠ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٦٨ ، والألوسي ١٣ / ٢٣٥ .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ قال ابن الأنباري : « يريد من المُتَدَيِّين بديني المتمسكين بحبلي ؛ كما قال ^(١) :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي ^(٢)
أراد : ولست من المتمسكين بحبلي ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [قال السدي : « معناه ومن عصاني ثم تاب » ^(٤) ، ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٥) له إن تاب وإن آمن ، لا أنه يقول : أن من كفر فإن الله يغفر له ، وقال مقاتل : « ومن عصاني في ما دون الشرك فإنك غفور رحيم » ^(٦) ، وشرح أبو بكر هذا فقال : « معناه : فمن عصاني فخالف في بعض الشرائع ، وعقد التوحيد معه فإنك غفور رحيم ، إن شئت تغفر له غفرت إذ كان مسلماً » ^(٧) ، وذكر وجهين آخرين ؛ أحدهما : أن هذا كان قبل أن يعلمه الله

(١) البيت للناطقة الديباني .

(٢) ديوان النابتة ١٣٨ ، وورد في الكتاب ٤ / ١٨٦ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٢٥٢ ، والخازن ٣ / ٨١ ، والدر المصون ٢ / ٥٢٦ . قال النابتة هذه القصيدة ردّاً على عُيَيْنَةَ بن حصن الفزاري الذي دعاه قومه إلى مقاطعة بني أسد ونقض حلفهم لما قتلوا رجلين من بني عبس ردّاً على قتلهم نضلة الأسدي ، فأبى عليه النابتة وتوعده بالمقاطعة إن حاول الإساءة إلى بني أسد . والمراد بالفجور : نقض الحلف .

(٣) لم أقف على مصدره ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير الخازن ٣ / ٨١ .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١٥٦ ب نصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٦٥ ، والفخر الرازي ١٩ / ١٣٤ ، والخازن ٣ / ٨١ ، والألوسي ١٣ / ٢٣٥ ، وصديق خان ٧ / ١٢٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٦) مقاتل هنا هو ابن حيان ، وقد وردت هذه العبارة بنصها منسوبة إليه في تفسير الثعلبي ٧ / ١٥٦ ب ، والبغوي ٤ / ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٦٥ ، والخازن ٣ / ٨١ ، والألوسي ١٣ / ٢٣٥ ، وصديق خان ٧ / ١٢٣ ، وفي تفسير مقاتل بن سليمان ١ / ١٩٤ أ ، قال : « ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم » .

(٧) وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة . انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢ / ٦٥٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

أنه لا يغفر^(١) الشرك ، كما استغفر لأبويه^(٢) ، وهو يُقدَّر أن ذلك غير محذور ، فلما عرف أنها غير مغفور لهما تبرأ منهما^(٣) . والآخر : ومن عصاني بإقامته على الكفر فإنك غفور رحيم ، يعني : أنك قادر على أن تغفر له وترحمه ؛ بأن تنقله عن الكفر إلى الإسلام وتهديه إلى الصواب^(٤) .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿ زَيْنًا إِنِّي أَخَسُّنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قال الفرَّاء : « ولم يأت منهم بشيء^(٥) يقع عليه الفعل ، وهو جائز أن يقول : قد أصبنا من بني فلان ، وقتلنا من بني فلان ، وإن لم يقل رجلاً ؛ لأن (من) تؤدِّي عن بعض القوم ؛ كقولك : قد أصبنا من الطعام وشربنا من الماء » ، ومثله : ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾^(٦) [الأعراف : ٥٠] ، قال أبو بكر : « ويجوز أن يقال :

(١) في النسخ جميعها (لا يغفر) بزيادة الكاف ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى ، لذلك حذف كما في تفسير الخازن ٨٢ / ٣ .

(٢) هذا من باب التوسع في الكلام ؛ لأن الآيات التي تحدثت عن استغفار إبراهيم - عليه السلام - ذكرت استغفاره لأبيه وحده . وانظر : الكلام حول أمه عند الآية (٤١) من هذه السورة .

(٣) هذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة : ١١٣] .

(٤) لم أقف على مصدره ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٦٥ / ٤ ، مختصراً ، والخازن ٨٢ / ٣ بنصه . يتحصل بذلك أربعة أقوال في تأويل الآية ، والأرجح : قول مقاتل ، لصراحته وخلوه من التكلف ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ١١٦] ، وهو ما رجحه الفخر الرازي من دون الإشارة إلى أنه قول مقاتل ، كذلك ضعف الأقوال الأخرى في تأويل الآية . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٣٣ - ١٣٥ .

(٥) في (أ) و(د) : (شيء) من دون الباء ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق للمصدر .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٧٨ / ٢ بنصه .

إن (من) دخلت لتوكيد الكلام ، والتقدير : ربنا إني أسكنت ذريتي^(١)
كما قال ذو الرُّمَّة :

تَبَسَّمْنَ عَنْ نَوْرِ الْأَقَاحِيِّ فِي الضُّحَى
وَفَتَّرْنَ مِنْ أَبْصَارٍ مَضْرُوجَةٍ نُجَلٍ^(٢)

وعلى ما ذكر الفراء (من) دخلت للتبعيض ، والتأويل : إني أسكنت بعض ذريتي ، وذلك أنه أنزل إسماعيل بعض ذرية إبراهيم ، يدل على هذا قول ابن عباس في هذه الآية : ﴿إِنِّي أَسَكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ «يريد : إسماعيل»^(٣) ، ﴿يَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ قال : «يريد وادي مكة ، ومكة كلها واد» ، والكلام في الوادي قد ذكرنا عند قوله : ﴿فَسَاكَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ [الرعد : ١٧] والقول الأول : اختيار أبي علي ، قال : «معناه إني أسكنت من ذريتي ناساً ، فحذف المفعول لدلالة الإسكان عليه»^(٤) .

(١) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١ / ٣٣٠ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٦٦ ، وتفسير الشوكاني ٣ / ١١٢ ، وصديق خان ٧ / ١٢٤ .

(٢) رواية الديوان كما في شرح ديوان ذي الرُّمَّة ١ / ٤٦٦ :

وتَبَسَّمْنَ عَنْ نَوْرِ الْأَقَاحِيِّ أَفْطَرَتْ
بَعُوعَسَاءٍ مَغْرُوفٍ تُغَامُ وَتُطَلَّقُ

وليس في رواية الديوان شاهد ، والشاهد في رواية المؤلف : (من) والتأويل : وفترن أبصار ، بإسقاط (من) لأنها جاءت للتوكيد . وورد البيت في مادة (ضرج) في تهذيب اللغة ٣ / ٢١٠٧ ، واللسان ٥ / ٢٥٧١ ، والتاج ٣ / ٤٢٢ ، وفي هذه المصادر اختلافان عن ما ذكره الواحدي هما : (الثرى) بدل (الضحى) ، و (عن) بدل (من) . وورد البيت في الأساس ٢ / ٤٦ ، باختلافين أيضاً (غُر) بدل (نَوْر) ، و (الثرى) بدل (الضحى) ، ومعنى (النَّور) الزَّهْرُ ، و (الأقاحي) نَبْتُ طَيْبِ الرِّيح ، زهره أبيضٌ حَسَنٌ ، فشبهه بياض أسنانها به ، و (مَضْرُوجَةٌ) : الضَّرْجُ الشَّقْ ، قال أبو عبيد : «عينٌ مَضْرُوجَةٌ : أي واسعة الشَّقِّ نجلاء ، والنجلُ سعة العين مع حُسْن . انظر : تهذيب اللغة (ضرج) ٣ / ٢١٠٧ ، واللسان ٥ / ٢٥٧٠ ، والتاج ٣ / ٤٢١ ، والمحيط في اللغة (نجل) ٧ / ١٠٨ .

(٣) أخرجه الطبري ١٣ / ٢٣٠ ، من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، مع زيادة وأمه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٤٧ .

(٤) لم أقف على مصدره . وهو قول الفراء .

وقوله تعالى : ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ قيل معناه : عند بيتك المحرم الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض حتى رفعته أيام الطوفان ؛ لأن إسكان الخليل إسماعيل مكة كان قبل بناءهما البيت ، وقيل : عند بيتك المحرم الذي قد مضى في سابق علمك أنه يحدث في هذا الوادي^(١) .

وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن عباس : «يريد ليعبدوك»^(٢) .

﴿فَجَعَلَ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ ، أبو عبيد عن الأصمعي «قال : هَوَى يَهْوِي هُويًا ، إذا سقط من علو إلى سفلى»^(٣) ، وقال ابن الأعرابي : «هَوَتْ الْعُقَابُ»^(٤) تَهْوِي هُويًا بالفتح ، إذا انقضت^(٥) على صيد أو غيره»^(٦) ، وقال الفرّاء في هذه الآية : «﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ تريد هم ؛ كما تقول : رأيت فلانًا يَهْوِي نحوك»^(٧) ، معناه : تنحط إليهم وتنحدر وتنزل^(٨) ، يقال هوى الحجر من رأس الجبل يهوي ، إذا انحدر وانصب»^(٩) ، هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف .

(١) ورد بنصه في تفسير الطبري ١٣/ ٢٣٣ ، والثعلبي ٧/ ١٥٧ ، أنظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٦ ، والخازن ٣/ ٨٣ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٢ ، بلفظه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ بنصه ، والصاح (هوى) ٦/ ٢٥٣٨ بنصه تقريباً .

(٤) طبر معروف ، وهو من العتاق ؛ أي الجوارح ، ويقع العقاب على الذكر والأنثى . انظر : اللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٨ .

(٥) (أ) و(د) : (نقضت) من غير ألف وبالفاء ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ بنصه تقريباً .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٧٨ بنصه .

(٨) هذا معنى الآية لا معنى القول ، وهو قول ابن الأنباري كما في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٨ ، وانظر :

تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٧ ، والخازن ٣/ ٨٣ .

(٩) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٧ بنصه .

فأما قول المفسرين ؛ فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد تحنُّ (١) إليهم زيارة بيتك» (٢) ، وفي هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لحج البيت لا لأعيانهم ، وفي هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ، ودعاء لسكان مكة (٣) من ذريته ؛ لأنهم يرتفقون (٤) بمن يأتي مكة لزيارة البيت (٥) ، وقال قتادة في قوله : ﴿ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ : «تنزع إليهم» (٦) ، وقال أبو إسحاق : «أي اجعل أفئدة جماعة من الناس تنزع إليهم» (٧) ، وهذا معنى قول مجاهد : «لو قال : أفئدة الناس ؛ لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند» (٨) ، وقال سعيد بن جبیر : «لو قال : أفئدة الناس ؛ لحجت إليه اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : ﴿ أَفئدة من الناس ﴾

(١) في (د) : (نحو) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٣٦٧/٤ ، والخازن ٨٣/٣ ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ١٣٨/٣ ، وتفسير القرطبي ٣٧٣/٩ .

(٣) في (د) : (مكان) .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وفي تفسير الخازن ٨٣/٣ : «بأنهم ينتفعون» ، وقد نقل المقطع من الواحدي ، ويستقيم المعنى بالعبارتين ، فعلى عبارة المخطوط (يرتفقون) مأخوذة من الرفق ، بمعنى أن القلوب تحن إليهم بسبب ارتفاقهم بالزوار والحجاج لبيت الله العتيق ، وعلى عبارة الخازن (ينتفعون) من الانتفاع ؛ فهم ينتفعون عن يقدم مكة حاجاً أو زائراً .

(٥) انظر : تفسير الخازن ٨٣/٣ ، نقله بتصرف بزيادة وحذف ، من بداية قول الأصمعي من دون نسبة للواحدي .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٣/٢ بنصه ، والطبري ٢٣٤/١٣ بنصه من طرق ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٦١/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٦٥/٣ بنصه .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبه ٤٣٠/٣ ، والطبري ٢٣٤/١٣ من طرق ، وليس فيها ذكر الترك والهند ، وورد في تفسير السمرقندي ٢٠٩/٢ مثلها ، والثعلبي ١٥٨/٧ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٣٥٧/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٧٣/٩ ، والخازن ٨٣/٣ ، كلهم بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٦١/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم .

فهم المسلمون»^(١)، وقال ابن عباس في قوله: ﴿أَفْعِدَّةٌ مِّنَ النَّاسِ﴾: «يريد من المؤمنين من ذريته ومن غير ذريته».

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة البقرة عند قوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال: «يريد كي يوحذوك ويعظموك».

٣٩. قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ قال ابن عباس: «وُلِدَ إِسْمَاعِيلُ لِإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً»^(٢)، ووُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَاثْنَتَيْ^(٣) عَشْرَةَ سَنَةً»^(٤).

٤٠. قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ ذكره على النعت ولم يذكره على الفعل؛ لأن النعت ألزم وأكثر من الفعل، كأنه قال: رب اجعلني من عادي إقامة الصلاة، ولو قال: اجعلني أقيم الصلاة، لم يكن فيه من المبالغة ما في المقيم، وذكرنا استقصاء هذا الفصل في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية [الإسراء: ٢٩].

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٠٩ من دون ذكر المجوس، والثعلبي ٧/١٥٨ بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٤/٣٥٧ بنصه، والفخر الرازي ١٩/١٣٧ بنصه.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في النسخ جميعها: (اثني)، وهو خطأ نحوي ظاهر.

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٧/١٥٨ بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٤/٣٥٧، وابن الجوزي ٤/٣٦٨، وتفسير القرطبي ٩/٣٧٥، والحازن ٣/٨٣، والبقاعي ٤/١٩٢، والألوسي ١٣/٢٤٢.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال الرَّجَّاجُ: «أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة»^(١)، وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، وقوله: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَسَاءٍ ثَمُوهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ قال ابن عباس: «يريد عبادتي»^(٢)، وهذا كقوله ﷺ: «الدُّعَاءُ مَخُ الْعِبَادَةِ»^(٣).

٤١. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال أبو إسحاق: «كان هذا الدعاء من إبراهيم لوالديه قبل أن يتبين له أن أباه عَدُوٌّ لِلَّهِ»^(٤)، وقد

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٥ بنصه. وانظر: مجاز القرآن ١/ ٣٤٢، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٧.

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٣، بلفظه، وانظر: تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٩، وورد بنحوه بلا نسبة في تفسير الطبري ١٣/ ٢٣٥، والثعلبي ٧/ ١٥٨ ب، والبغوي ٤/ ٣٥٨، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٥، والألوسي ١٣/ ٢٤٣. صحيح أن الدعاء يرد بمعنى العبادة في القرآن والسنة، لكن لا دليل هنا بتخصيصه بالعبادة، بل هو الدعاء بالمعنى المعروف؛ أي الطلب والقصد، والسياق والسباق يؤيده، كما أن قول ابن عباس ورد بلا سند، وأغلب الظن أنه من الطرق الضعيفة، وقد فسرت الآية بالدعاء المعروف، في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٩، وهود الهواري ٢/ ٣٣٤، والطوسي ٦/ ٣٠٢، وابن عطية ٨/ ٢٥٦، وابن كثير ٢/ ٥٦١.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) في كتاب الدعوات، باب جاء في فضل الدعاء ٥/ ٤٥٦ بنصه عن أنس، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وأورده التبريزي في المشكاة ٢/ ٦٩٣، وابن حجر في الفتح ١١/ ٩٧، والمنائوي في فيض القدير ٣/ ٥٤٠ ورمز له بالضعف، والهندي في الكنز ٢/ ٦٢، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٨٥، وكلهم عزاه للترمذي، والحديث ضعيف بسبب انفراد ابن لهيعة بروايته كما ذكره الترمذي رحمه الله، وقد ضَعَّفَ لسوء حفظه، ذكره البخاري والدارقطني والنسائي في الضعفاء. انظر: الضعفاء لكل من النسائي ١٤٥ والدارقطني ٢٦٥، والبخاري ٦٥، وتقريب التهذيب ٣١٩ (٣٥٦٣)، والجرح والتعديل ٥/ ١٤٥، وميزان الاعتدال ٣/ ١٨٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٥ بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٤/ ٣٥٨. وهذا القول هو الراجح؛ لموافقة آية التوبة ١١٤، وبعده عن التكلف كما في الأقوال التالية له، وقد صححه ابن جزي في تفسيره ٢/ ١٤٢، واختاره ابن كثير ٢/ ٥٩٥، ورجحه صديق خان في تفسيره ٧/ ١٢٩.

ذكرنا ذلك في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤]. ولعل الأمام كانت مسلمة، يدل على ذلك أنه ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه^(١)، وقال ابن الأنباري: «استغفر لأبويه وهما حيّان طمعاً في أن يهديا إلى الإسلام ويسعدا بالدين»^(٢)، وقال غيره: استغفر لهما بشرط الإيمان^(٣)، يدل عليه ما قال ابن عباس في هذه الآية: يريد: من لقيك مؤمناً مصداقاً فتجاوز عنه^(٤)، وهو معنى قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾، وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء^(٥).

- (١) انظر: تفسير البغوي ٤/٣٥٨، والرازي ١٩/١٤٠، والخازن ٣/٨٤، والألوسي ١٣/٢٤٣. إسلام أم إبراهيم روي عن الحسن - رحمه الله - (كما ذكر الألوسي) وليس هناك دليل ثابت على إسلامها، لكن لما خص والده بالاستغفار في جميع الآيات الواردة بهذا الخصوص [التوبة: ١١٤، ومريم: ٤٧، والشعراء: ٨٦، والممتحنة: ٤] ما عدا هذه الآية مع أن حقها مقدم على حق الوالد فيه إشارة إلى أنها كانت مسلمة والله أعلم.
- (٢) لم أقف على مصدره، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/٣٣٣ بنصه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٣٦٩، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/١٣٩، والزمخشري ٢/٣٨٢، والفريد في الإعراب ٣/١٧١.
- (٣) انظر: تفسير البغوي ٤/٣٥٨، والزمخشري ٢/٣٠٦، وابن جزري ٢/١٤٢، وصديق خان ٧/١٢٩، وقد ضَعَفَ الزمخشري هذا القول، وحجته أنه يأباه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه، فكيف يُستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم؟! ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/٣٣٣ بنصه.
- (٤) ورد بلفظه في معاني القرآن وإعرابه ٣/١٦٥، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٧، وتفسير الماوردي ٣/١٣٩، وانظر: غرائب التفسير ١/٥٨٢ ذكره واستغفبه، وتفسير الزمخشري ٢/٣٠٧، وابن الجوزي ٤/٣٦٩. وهو قول ضعيف فيه تكلف وتُعد عن الظاهر.

٤٢. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ قال

ابن عباس : «يريد المشركون أهل مكة»^(١) ، وكان سفيان بن عيينة إذا قرأ هذه الآية قال : «هذا تعزية للمظلوم ، ووعيد للظالم»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ قال شمر : «يقال : شخص الرجل بصره ، [وشخص البصر نفسه ، إذا سما وطمح وشصا»^(٣) ، كل ذلك مثل الشُّخُوصِ»^(٤) .

وقال ابن السكيت : «شَخَصَ بَصْرُهُ»^(٥) ، إذا فتح عينيه لا يَطْرِفُ»^(٦) .

قال الفرّاء : «أي لا يغمض من هول ما يرى في ذلك اليوم»^(٧) .

وقال ابن عباس : «يريد يوم القيامة تشخص فيه أبصار الخلائق إلى الهواء ، يريد : أنهم لعجائب ما يرون ، ولشدة الحيرة والدهشة لا يَغْتَمِضُونَ»^(٨) .

(١) لم أقف عليه ، والتعميم أولى من التخصيص .

(٢) انظر : الكشف ٣٠٦/٢ ، والرازي ١٤١/١٩ ، والخازن ٨٤/٣ ، والألوسي ٢٤٤/١٣ .

(٣) انظر : اللسان (طمح) ٢٧٠٢/٥ ، و(شصا) ٢٢٥٩/٤ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (شخص) ١٨٤٠/٢ نقله بنصه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٦) إصلاح المنطق ٢٦٣ بنصه ، وورد في تهذيب اللغة (شخص) ١٨٤٠/٢ بنصه ، والطَّرْفُ : تحريك الجفون في النظر ؛ يقال شخص بصره فما يَطْرِفُ . انظر : المحيط في اللغة (طرف) ١٦٠/٩ .

(٧) لم أجد قوله في معانيه ، وورد منسوباً إليه في تفسير القرطبي ٣٧٦/٩ ، وتفسير الشوكاني ١٦٤/٣ ، وصديق خان ١٣٠/٧ .

(٨) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٣٤/١ بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ٣٧٦/٩ ، وورد نحوه بلا نسبة في تفسير الرازي ١٤١/١٩ ، والخازن ٨٤/٣ ، وتفسير الشوكاني ١٦٤/٣ ، وصديق خان ١٣٠/٧ .

٤٣. قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال أبو إسحاق: «منصوب على الحال، المعنى: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطعين»، فعلى ما ذكره الألف واللام في: ﴿الْأَبْصَرُ﴾ يدل على الكناية؛ لأن التأويل بأبصارهم على ما ذكر، وأما تفسير الإهطاع^(١) فقال أبو عبيدة: «هو الإسراع»^(٢)، يقال: أهطع البعير في سيره واستهطع، إذا أسرع»^(٣)، وهو اختيار الزجاج؛ قال: «مهطعين: مسرعين»، وأنشد^(٤):

بِدِجْلَةٍ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ^(٥) بِدِجْلَةٍ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّامِعِ^(٦)

قال: أي مسرعين^(٧)، وأنشد أبو عبيدة:

بِمُهْطِعٍ سُوحٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ مِنْ أَوَالِ مُشْدَبٍ^(٨)

-
- (١) في النسخ جميعها (الانقطاع) وهو تصحيف ظاهر.
- (٢) مجاز القرآن ١/ ٣٢٤ ولفظه: «مسرعين».
- (٣) ورد بنصه في تهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩.
- (٤) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري ت ٦٩ هـ.
- (٥) في النسخ جميعها (رأهم)، والمثبت موافق للديوان وجميع المصادر.
- (٦) ديوانه ١٦٧، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٣، والوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٦٧، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٩، وفيه (دارهم) بدل (أهلها)، وورد غير منسوب في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦، وتهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٧٣، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٦، واللسان (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، والدر المصون ٧/ ١٢٠، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي إنهم مقبلون برؤوسهم إلى سماع الداعي.
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ بنصه.
- (٨) ورد بلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٣٤٢، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٩، وأبي حيان ٥/ ٤٢٩، والدر المصون ٧/ ١٢٠، وورد فيها عَنَانُهُ بَدَلًا مِنْ زِمَامِهِ، وورد منسوباً لأئيف بن جبلة في اللسان (أول) ١/ ١٧٥ وليس فيه الشاهد، برواية:

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ لِلْعَيْنِ جِذْعٌ مِنْ أَوَالِ مُشْدَبٍ
(السرْحُ) السرعة، يقال ناقةٌ سرْحٌ ومُنْسرحةٌ في سيرها: أي سريعة. (أول): بفتح أوله، قرية =

قال أبو عبيدة : «أهطع وهطع إذا أسرع مقبلاً خائفاً ، لا يكون إلا مع خوف»^(١) ، وقال أحمد بن يحيى : «المُهْطَعُ الذي ينظر في ذُلٍّ وخشوع»^(٢) ، وقال ابن جريج : «المهطع الساكت المنطلق إلى الهُتافِ إذا هتف هاتِفٌ»^(٣) ، وقال الليث : «يقال للرجل إذا أفرَّ وذُلَّ قد أهطع»^(٤) ، وأنشد :

وَنَمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطَعٌ^(٥)

= بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السِّيف ، ويشهد له قول ابن مقبل :
عَمَدُ الحِمْدِ بِهَا لِعَارِضِ قَرْيَةٍ وكأنها سُفُنٌ بِسَيْفٍ أَوَالِ
(الشَّدْبُ) القُشُورُ ، وَجَذَعٌ مُشَدَّبٌ : أي مَقَشَّرٌ ؛ إِذَا قَشَّرْتَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الشَّوْكِ ، وَالْمَشَدَّبُ : الْمِجْلُ الَّذِي يُشَدَّبُ
به .

انظر : معجم ما استعجم ٢٠٨ / ١ ، واللسان (شذب) ٢٢١٩ / ٤ ، والتاج (سرح) ٨٥ / ٤ .
(١) ليس في مجازه ، وورد في جهرة اللغة ٩١٧ / ٢ بنصه تقريباً ، وتهذيب اللغة (هطع) ٣٧٦٩ / ٤ بنصه ، وهو مصدره .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٤١ / ١٩ ، والدر المصون ١٢٠ / ٧ ، وعمدة الحفاظ ٢٩٤ / ٤ ، وتفسير الشوكاني ١٦٤ / ٣ ، وصديق خان ١٣١ / ٧ ، وورد في تهذيب اللغة (هطع) ٣٧٦٨ / ٤ بنصه منسوباً لأبي الفضل المنذري ، وأغلب الظن أنه يرويها عن ثعلب ؛ لأن كثيراً من روايات ثعلب يرويها الأزهري من طريق شيخه أبي الفضل المنذري . انظر : مثلاً روايته لقنع عنه ، في تهذيب اللغة (قنع) ٣٠٦١ / ٣ .

(٣) ورد بنصه غير منسوب في اللسان (هطع) ٤٦٧٤ / ٨ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (هطع) ٣٧٦٨ / ٤ بنصه .

(٥) وصدره :

تَعَبَّدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى

ورد البيت منسوباً إلى بُنْعٍ في الإِتْقَانِ ١٠١ / ٢ ، وورد بلا نسبة في تهذيب اللغة (هطع) ٣٧٦٨ / ٤ ، والصحاح (عبد) ٥٠٣ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ١٥٩ / ٧ ، والماوردي ١٤٠ / ٣ ، والأساس ٥٤٨ / ٢ ، والفريد في الإعراب ١٧٣ / ٣ ، واللسان (عبد) ٢٧٧٩ / ٥ .

فهذه أربعة أقوال لأهل اللغة في تفسير هذا الحرف ، وأما قول المفسرين :
فقال سعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة : «مسرعين»^(١) ، وقال سعيد عن
قتادة : «منطلقين عامدين إلى الداعي»^(٢) ، وقال نافع بن الأزرق لابن عباس :
«أخبرني عن قوله : ﴿مُهَطِعِينَ﴾ ما الإهطاع ؟ قال : النظر»^(٣) ، وفي ذلك يقول
الشاعر^(٤) :

إِذَا دَعَانَا فَأَهْطَعْنَا لِدَعْوَتِهِ دَاعٍ سَمِيعٌ فَلَقُونَا وَسَاقُونَا^(٥)

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣/٢٤٣ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٣/٢٣٧ بلفظه عن قتادة ، وبمعناه عن سعيد ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٨ ، عن قتادة . تفسير السمرقندي ٢/٢١٠ ، عن قتادة ، والماوردي ٣/١٤٠ ، عنهم ، والطوسي ٦/٣٠٣ عنهم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٦٣ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/٢٣٧ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١٥٨ بـ بنصه .

(٣) ورد في الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/٨٧ ، وانظر : الدر المنثور ٤/١٦٣ .

(٤) هو عمران بن حطان من رؤوس الخوارج ت ٨٤هـ .

(٥) ورد في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/٨٨ ، وتفسير ابن عطية ٨/٢٥٩ ، وأبي حيان ٥/٤٢٩ ، وورد بلا نسبة في الدر المصون ٧/١١٩ ، والدر المنثور ٤/١٦٣ . (لَفَّ) : بمعنى جمع . انظر : اللسان (لفف) ٧/٤٠٥٤ .

وهذا قول مجاهد والضحاك والكلبي والعوفي عن ابن عباس قالوا : «ناظرين مديمي النظر من غير أن يطفروا»^(١) ، ونحو ذلك قال أبو الضحى ؛ قال : «الإهطاع من التَّحْمِيجِ^(٢) الذي زدْتُم^(٣) النظر ولا يَطْرِفُ»^(٤) .

وهذه الأقوال توافق ما حكينا من أهل اللغة ، والجامع لهذه الأقوال قول من قال الإهطاع : إسراعٌ مع إدامة نظر^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قال ابن السَّكَيْت : «أقنع رأسه إذا رفعه»^(٦) ، قال النضر : «أقنع فلانُ رأسه ؛ وهو أن يرفع بصره ووجهه إلى السماء» ، قال : «والمقنع : الرافع رأسه إلى السماء»^(٧) ، وقال أحمد بن يحيى : «الإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع»^(٨) .

- (١) تفسير مجاهد : ٣٣٦ مختصراً ، ولفظه : «مديمي النَظْر» ، أخرجه الطبري ١٣ / ٢٣٧ مختصراً ونحوه عنهم ما عدا الكلبي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٣٨ مختصراً ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢١٠ مختصراً ، والثعلبي ٧ / ١٥٩ أ ، عن مجاهد قال : «مديمي النظر» ، وعن ابن عباس والضحاك قال : «شدة النظر من غير أن يطفروا» ، وعن الكلبي قال : «ناظرين» ، والماوردي ٣ / ١٤٠ بنحوه عن ابن عباس والضحاك ، وورد في الدر المنثور ٤ / ١٦٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد .
- (٢) في جميع النسخ (التجميع) ، وهو تصحيف ، والصحيح المثبت ، وهو موافق للطبري ، يقال : حَمَجَ تحميجاً ، أي نظر بخوف ، وتحميج العينين : غَوُورُهُمَا . انظر : المحيط في اللغة (حمج) ٢ / ٤١٨ .
- (٣) في (أ) : (ررتم) ، وفي (ش) : (زُتم) ، والمثبت من (د) و(ع) .
- (٤) أخرجه الطبري ١٣ / ٢٣٧ بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٣٨ ، بمعناه ، انظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٢٦٠ .

- (٥) وهو قول أبي عبيدة ، نسبة إليه النحاس في معانيه ٣ / ٥٣٨ ، ولفظه بعد أن ذكر قولين قال : «قال أبو عبيدة : وقد يكون الوجهان جميعاً ، يعني : الإسراع مع إدامة النظر» اهـ . ولم أجده في مجازه ، والذي فيه ١ / ٣٤٢ : «مهطعين ؛ أي مسرعين» ، وكذلك نسبة إليه ابن عطية ٨ / ٢٦٠ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٧٦ ، وأخطأ المحقق بنسبته إلى أبي عبيد .

- (٦) إصلاح المنطق ٢٣٨ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (قنع) ٣ / ٣٠٦٠ بنصه .

- (٧) تهذيب اللغة (قنع) ٣ / ٣٠٦١ ، نقله بنصه .

- (٨) تهذيب اللغة (قنع) ٣ / ٣٠٦٠ ، نقله بنصه .

ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : «تُقْنَعُ يديك في الدعاء» ؛ أي ترفعهما^(١) .

وقال أبو إسحاق : «المقنع الرافع»^(٢) ، وأنشد للشماخ :

يُبَاكِرُنَ الْعِضَاءَ بِمُقْنَعَاتٍ نَوَاجِذُهُنَّ كَالْحَدِّ الْوَقِيعِ^(٣)

أراد بأفواه مرفوعات إلى العِضَاءِ ، يصف إبلاً ترعى الشجر ، شبه أنيابها بالفؤوس المحدودة ، والحِدُّ الفؤوس بالكسر ، وعند الكوفيين الحَدُّ بالفتح جمع حَدَاةٌ ، فهما لغتان^(٤) ، ونحو ما قال أهل اللغة قال المفسرون في الإقناع ؛ قالوا :

(١) لم أقف على هذا اللفظ ، وورد بنحوه من طريقين ، ونصه : «قال رسول الله ﷺ : الصلاة مثني مثني ، تشهد في ركعتين ، وتخشع وتضرع وتمسك ثم تقنع يديك ، يقول : ترفعها . . » أخرجه أحد ١/ ٢١١ ، والترمذي : (٣٨٥) في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في التخشع في الصلاة ، كلاهما من طريق الليث بن سعد عن الفضل ابن العباس عن النبي ﷺ ، وأخرجه أبو داود (١٢٩٥) في كتاب الصلاة ، باب صلاة النهار ، والبيهقي في السنن : الصلاة / صلاة الليل والنهار مثني ٢/ ٤٨٨ كلاهما من طريق شعبة عن المطلب عن النبي ﷺ ، قال الترمذي : «سمعت البخاري يقول : رواية الليث بن سعد أصح من حديث شعبة ، وشعبة أخطأ في هذا الحديث في مواضع ، ثم ذكرها . انظر : علل الترمذي ١/ ٢٥٨ ، ٢٥٩ وقد حسن إسناد الليث أبو حاتم في علل الحديث لابن أبي حاتم ١/ ١٣٢ ، وقال صاحب تحفة الأحوذى ٢/ ٣٢٨ : «قال ابن حجر : إسناده حسن» . والصحيح أن الحديث ضعيف كما أشار صاحب التحفة نفسه لأن مداره على عبدالله بن نافع ، وهو مجهول ، وقال البخاري : «لم يصح حديثه» . انظر : التاريخ الكبير ٥/ ٢١٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ ، بلفظه .

(٣) ديوان الشماخ ٢٢٠ ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٣ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٣٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ تهذيب اللغة (حدا) ١/ ٧٥٥ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩ ، والطوسي ٦/ ٣٠٣ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٧ ، واللسان (قنع) ٦/ ٣٧٥٦ ، وفي رواية الديوان والزجاج والثعلبي : (يُبَادِرُنَ) بدل (يباكرن) . (يباكرن) يبادرن ويعاجلن ، (العضاء) هي شجر الشوك ؛ واحدها عَصَا وَعِصْهَةٌ وَعِصَاهَةٌ . (المُقْنَعَاتُ) جمع مُقْنَعٍ ، والمقنع من الإبل الذي يرفع رأسه خَلْقَةً . (النواجذ) الأضراس . (الوقيع) المحددة والمرققة بالمِقْعَةِ ؛ أي المطرقة . انظر : المحيط في اللغة (عضة) ١/ ١٠٩ ، واللسان (قنع) ٦/ ٣٧٥٤ .

(٤) انظر : إصلاح المنطق ١٤٩ ، والمنتخب من غريب كلام العرب ١/ ٣٣٣ ، وجمهرة اللغة ٢/ ١١٠٧ ، وتهذيب اللغة (حدا) ١/ ٧٥٤ ، والمحكم لابن سيده : (حدا) ٣/ ٣١١ ، والعباب الزاخر : أ/ ٤٠ .

﴿مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ﴾ : رافعي رؤوسهم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد^(١) ، قال الحسن : «وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ ؛ أي لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر ؛ فهي شاخصة . والطَرْفُ تحريك الجفون في النظر ، يقال : شخص بصره فما يَطْرِفُ^(٣) ، والطَرْفُ اسم جامع للبصر لا يُشْتَى ولا يُجْمَع^(٤) .

وتأويل قوله : ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ ؛ أي نظرهم إلى شيء واحد ، فكأن ذلك الشيء الذي ينظرون إليه قد ذهب بنظرهم نحوه ؛ فليسوا ينظرون إلى غيره ، هذا معنى قولنا : لا يرجع إليهم نظرهم .

وقوله تعالى : ﴿وَأَقْبَدَ لَهُمُ هَوَاءً﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد خرجت القلوب من مواضعها فصارت في الحناجر»^(٥) ، ونحو هذا قال قتادة : «انترعت حتى صارت في حناجرهم»^(٦) ، فعلى هذا ، الأفتدة : أريد بها مواضع القلوب ،

(١) تفسير مجاهد ٣٣٦ بنصه ، أخرجه عبدالرزاق ٣/٢٤٣ بنحوه عن قتادة ، والطبري : ٢٣٨ / ٢٣٩ ، بنصه عن الضحاك وابن عباس من طريق العوفي ضعيفة ، وبنحوه عن مجاهد وقتادة وابن زيد .

وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٨ بنحوه عن مجاهد وقتادة ، والماوردي ٣/١٤١ بنصه عن ابن عباس ومجاهد .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/٢٣٩ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١٥٩ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/٣٥٩ ، وابن عطية ٨/٢٦٠ ، وتفسير القرطبي ٩/٣٧٧ ، والخازن ٣/٨٥ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (طرف) ٣/٢١٨٠ بنصه ، وهو قول الليث ، وانظر : المحيط في اللغة (طرف) ٩/١٦٠ .

(٤) المصدر السابق بنصه .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/٣٣٥ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٣٧١ ، والفريد في الإعراب ٣/١٧٤ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/٣٤٣ ، بمعناه ، والطبري ١٣/٢٤١ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١٥٩ ب =

وذهب قوم من أهل اللغة إلى الفرق بين القلب والفؤاد ؛ فقال الليث : «القلب مضغَةٌ من الفؤاد معلقةً بالنيَّاط»^(١) .

وقال النبي ﷺ : «أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ قلوباً وألينُ أفئدة»^(٢) ، فوصف القلوب بالرقَّة والأفئدة باللين ، وكأن القلب أخصُّ من الفؤاد ، ولذلك قالوا : أصبت حبة قلبه^(٣) ، والهواء : ما بين السماء والأرض^(٤) ، والعرب تسمي كل خالٍ هواء^(٥) ، يقولون : بيت هواء ، إذا كان خالياً فقراً لا شيء فيه ، والمعنى في الآية : أن قلوبهم ارتفعت إلى حناجرهم من فزع ذلك اليوم وهوله ، وبقي موضعها

بنصه ، والماوردي ٣٤٣/٢ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٦٤/٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(١) ورد في تهذيب اللغة (قلب) ٣٠٢٦/٣ بنصه . والنياط : عرقٌ غليظٌ معلق بالقلب . انظر : المحيط في اللغة (نوط) ٢٢٠/٩ .

(٢) أخرجه بنحوه عن أبي هريرة أحمد ٢٣٥/٢ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٨٠ ، والبخاري (٤٣٨٨) في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعرين ، والبخاري في التاريخ الكبير ١/١٥٩ ، ومسلم (٥٢) في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن فيه ١/٧٢ ، والبيهقي في السنن في كتاب الصلاة ، باب ما يستدل به على ترجيح قول أهل الحجاز وعملهم ١/٣٨٦ ، وورد في تهذيب اللغة (قلب) ٣٠٢٦/٣ بنصه ، ومشكاة المصابيح : المناقب ، ذكر اليمن والشام ٣/١٧٦٥ ، وكنز العمال ١٢/٤٧ كلاهما عزاه للصحيحين . ويُردّ على الواحدي في استدلاله بالحديث على أن القلب أخص من الفؤاد- لوصف الحديث القلوب بالرقَّة والأفئدة باللين ، أن الروايات كلها التي وقفت عليها والتي جمعت بين القلوب والأفئدة إنما وصفت القلوب باللين والأفئدة بالرقَّة ؛ أي عكس ما ذكر ، ولم يوصف القلب بالرقَّة إلا في روايتين لأحمد ورواية للبخاري في تاريخه ، وهذه الروايات ذكرت القلب وحده ، فلا شاهد فيها ، بل ذهب النووي إلى عكس قول الواحدي ؛ فجعل الفؤاد أخص من القلب ، فقال : «وقيل الفؤاد غير القلب ، وهو عين القلب وقيل باطن القلب وقيل غشاء القلب» . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٤ ، ولعل سبب مخالفة رواية الواحدي لروايات كتب السنة التي ذُكرت ، أنه قد اعتمد في نقل هذا الحديث والتعليق عليه على كتاب تهذيب اللغة ؛ وكتب اللغة ليست دقيقة في نقل الأحاديث كالكتب المتخصصة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (قلب) ٣٠٢٦/٣ بنصه .

(٤) انظر : الصحاح (هوى) ٦/٢٥٣٧ ، واللسان ٨/٤٧٢٦ .

(٥) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٣/٢٤١ ، والثعلبي ٧/١٥٩ .

هواء لا شيء فيه كهواء ما بين السماء والأرض ، ولهذا المعنى قالوا للجبان : مُجَوَّفٌ هواء ، أي إنه لا قلب له ، ومنه قول حسان :

فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخْبٌ هَوَاءٌ^(١)

وقال زهير يصف ناقة :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِّنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءٌ^(٢)

أي لا قلب في صدره فهو خال ، وذهب آخرون إلى أن معنى الآية : أن قلوبهم عما ذهلوا من الفزع خلت عن العقول ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية العوفي ، وبه قال مجاهد ، ومُرة ، وابن زيد ، واختاره الأخفش ؛ فقال في قوله : ﴿ وَأَقْنِدَتْهُمْ هَوَاءٌ ﴾ «أي جَوَّفٌ لا عقول لها ولا خير فيها»^(٣) ، وعلى هذا

(١) و صدره :

ألا أبلغ أبا سفيان عني

ديوان حسان ٩ ، وورد في مجاز القرآن ١ / ٣٤٤ ، وتفسير الطبري ١٣ / ٢٤١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٤١ ، وتهذيب اللغة (جاف) ١ / ٥٢٢ ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١٥٩ ب ، والماوردي ٣ / ١٤١ ، والزنجشري ٢ / ٣٠٧ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٧١ ، وابن عطية ٨ / ٢٦٢ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٧٧ ، والبقاعي ٤ / ١٩٤ ، والعباب الزاخر : ف / ٧٧ . (المُجَوَّفُ) الجبان الذي لا قلب له ، كأنه خالي الجوف من الفؤاد ، (النَّخْبُ) الضعف ، يقال رجلٌ نَخْبٌ الفؤاد مَنخُوبٌ ؛ أي جبان . انظر : المحيط في اللغة (نخب) ٤ / ٣٦١ ، واللسان (جوف) ٢ / ٧٢٨ . وفي هذا البيت يصف حسانُ أبا سفيان بالجبن والضعف ، وأغلب الظن أنه كان قبل أن يسلم رضي الله عنها .

(٢) شرح ديوان زهير ٦٣ ، وورد البيت في معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٦٦ ، مع اختلاف يسير في كلمتين : (الظلماء) و(جؤجؤها) ، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٤٠ ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١٥٩ ب ، والزنجشري ٢ / ٣٠٧ (عجزه) ، وابن عطية ٨ / ٢٦٢ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٧٨ ، وأبي حيان ٥ / ٤٣٠ ، والدر المصون ٧ / ١٢٣ . (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب عليه ، (الصَّعْلُ) الدقيق العُنُق الصغير الرأس ، (الظلمان) جمع ظليم وهو ذَكَر النِّعَام ، (جؤجؤه) صدره ، (هواء) لا مخ فيه ، وقال الأصمعي : «جؤجؤه هواء : أي أنه مُتَنَخَّبُ العقل (أي جبان) وإنسا أراد أنه لا عقل له ، وكذلك الظليم هو أبداً كأنه مجنون» .

(٣) لم أجده في معانيه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١٥٩ ب بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٥٩ .

القول ، المراد بالأفتدة القلوب ، وهو الصحيح في اللغة^(١) ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] يعني القلب ، وقال امرؤ القيس :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَشْهَرِ

يعني أصاب قلبي ، الأزهري : «ولم أرهم يفرقون بينهما»^(٢) ، ويحتاج في هذا التفسير إلى تقدير المضاف ؛ كأن المعنى : وأفئدتهم ذات هواء ؛ أي خالية .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ هذا عطف على قوله : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا﴾ لأنه قد تم وصف الكفار وحالهم عند البعث في القيامة ، ثم عاد إلى خطاب النبي ﷺ وأمره بالإنذار فقال : ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس : «يعني أهل مكة»^(٣) ، قال : «ولو أن أهل مكة اتبعوا النبي ﷺ ما اختلف عليه اثنان» ، قال : «ويقال لو آمن الوليد بن المغيرة ما تخلف عن رسول الله ﷺ أحد» .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ (يوم) مفعول به ، والعامل فيه أنذرهم ؛ كما يقول : خوِّفه العقاب وخوِّفه الهلاك ، ولا يكون على الظرف ؛ لأنه لم يؤمر بالإنذار في ذلك اليوم^(٤) .

(١) وهذا القول هو الذي رجحه الطبري ١٣ / ٢٤١ ، وأيده بيت حسان السابق .

(٢) لم أجده في تهذيب اللغة ، وكلامه هذا يتناقض مع استشهاده بحديث : «أتاكم أهل اليمن» ؛ حيث فرق بين القلب والفؤاد ، إلا أن يكون هذا من كلام الواحدي ، وكلمة الأزهري صفة للقلب لا أنها علم ، وهو محتمل .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١ / ٣٣٥ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٧٢ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٧٨ ، والأولى حل الآية على العموم ، لعدم وجود تخصص .

(٤) انظر : البيان في غريب الإعراب ٢ / ٦١ ، والإملاء ٢ / ٧٠ ، والفريد في الإعراب ٣ / ١٧٤ .

وقوله تعالى: ﴿فَقُولُ﴾ عطف على ﴿يَأْتِيهِمْ﴾؛ يعني: فيقولون في ذلك اليوم، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال ابن عباس: «يريد أشركوا»^(١)، ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استمهلوا مدةً يسيرة لكي يجيبوا الدعوة ويتبعوا الرسل، قال ابن عباس: «يريدون الرجعة إلى الدنيا»، وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أنهم لما استمهلوا للإجابة صار كأنهم قالوا: أرجعنا إلى الدنيا أياماً؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف، وإنما كُلفوا الإجابة في دار [الدنيا فيجابون عن هذا الاستمهال، ويقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ [زَوَالٍ]﴾^(٢) قال مجاهد: «أي من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة»^(٣)؛ أي لا تبعثون».

قال ابن عباس: «يريد حلفتكم في الدنيا أنكم لا تبعثون»^(٤)، وهو قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

٤٥. قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قال المفسرون: يعني الأمم الكافرة قبلهم؛ قوم نوح وعاد وثمود، ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية^(٥)، وهذا احتجاج عليهم؛ يقول: كان ينبغي أن ينزجروا ويرتدعوا اعتباراً بمساكنهم، بعد ما تبين لكم كيف فعلنا

(١) انظر: تنوير المقباس ٢٧٤، بلفظه، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢١٠، والبغوي ٤/٣٥٨، وابن الجوزي ٤/٣٧٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع).

(٣) أخرجه الطبري ١٣/٢٤٢ بنصه، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٤٢ بنصه، والطوسي ٦/٣٠٥. وانظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٩٦، والألوسي ١٣/٢٤٨.

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/٣٣٥، وابن الجوزي ٤/٣٧٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/٢٤٣ بنحوه عن قتادة، وبمعناه عن ابن زيد، وورد في السمرقندي ٢/٢١٠ بنحوه، والثعلبي ٧/١٤٩ ب بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٤/٣٦٠، وابن الجوزي ٤/٣٧٢، والفخر الرازي ١٩/١٤٣.

بهم ، ﴿وَصَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ قال ابن عباس : «يريد الأمثال التي في القرآن»^(١).

٤٦ . قوله تعالى : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ [يعني مكرهم بالنبي ﷺ وما هموا به من قتله أو نفيه^(٢)]. ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾^(٣) ؛ أي قد عرف الله مكرهم ، وهو عالم به لا يخفى عليه ما فعلوا ، فهو يجازيهم عليه ، وقال أبو علي : «وعند الله جزاء مكرهم فحذف المضاف كما حذف من قوله : ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الشورى : ٢٢] ؛ أي جزاؤه» .

وقوله تعالى : ﴿وَلِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (إن) هاهنا يعني بها : ما ، واللام المكسورة بعدها يعني بها الجحد ، ومن سبيلها نصبُ الفعل المستقبل ، والنحويون يسمونها لام الجحود^(٤) ، ومثله قوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُطْلِعَكُمْ﴾ ، و﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، والجبال هاهنا مثلٌ لأمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام وأعلامه ودلالته ، على معنى أن ثبوت كثبوت الجبال الراسية ؛ لأن الله تعالى قد وعد نبيه ﷺ إظهار دينه على كل الأديان ، ويدل على صحة هذا المعنى قوله بعدُ : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ ؛ أي^(٥) فقد وعدك الظهور عليهم والغلبة لهم . ومعنى الآية : وما كان مكرهم ليزول منه ما

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٢ بنصه .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢١١ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٤٤ ، والخازن ٨٥/ ٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) ، (ع) .

(٤) هي لام زائدة بعد كون منفي - كان يكون - فينصب المضارع بعدها ب (أن) المضمرة ، وهي حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب ، ويسمى سيوي (لام النفي) ولها عدة شروط .

انظر : المغني ٢٧٨ ، والشامل ١٩٦ ، ومعجم القواعد العربية للذكر ٤٠٠ .

(٥) ساقطة من (ش) و (ع) ، وهي ثابتة في المصدر ؛ الحجة للقراء ٥/ ٣٣ .

هو مثلُ الجبال في امتناعه من أراد إزالته^(١)، هذا الذي ذكرنا معنى قول الحسن :
كان مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال^(٢)، قال : و(إن) هاهنا
بمعنى (ما)^(٣) ؛ كقوله : ﴿لَا تَخَذَنْهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾^(٤) [الأنبياء: ١٧]
وقوله : ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾^(٥) [الأحقاف: ٢٦] وهو كثير ، وهذا القول اختيار
أبي إسحاق^(٦) وأبي بكر وأبي علي^(٧) .

قال أبو علي : «وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا ، في تعظيم الشيء
وتفخيمه^(٨) ، قال ابن مقبل :

إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوَافِي فَلَنْ تَرَى لَهَا شَاعِرًا مِثْلِي أَطَبَّ وَأَشْعَرًا
وَأَكْثَرَ بَيْتًا شَاعِرًا ضَرَبَتْ بِهِ بُطُونُ جِبَالِ الشُّعْرِ حَتَّى تَيْسَّرَ^(٩)

(١) نقل طويل من الحجة للقراء ٣١/٥ - ٣٣ من قوله : قال أبو علي ، تصرف فيه بالاختصار والتوضيح ،
والتقديم والتأخير .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/٢٤٧ بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/٥٤٣ بنصه تقريباً ، وانظر :
تفسير البغوي ٤/٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤/٣٧٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٦٥ ، وعزاه
إلى ابن الأنباري .

(٣) لم يقل الحسن - رحمه الله - هذا بلفظه ، إنما ذكر الأمثلة التي دلت على معنى ذلك . انظر : تفسير
الطبري ١٣/٢٤٧ .

(٤) أي ما كنا فاعلين . (المصدر السابق) .

(٥) أي ما مكناكم فيه . (المصدر السابق) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٦٦ ، وهو اختيار الطبري ١٣/٢٤٧ ، وقد صوّبه وأيده بعدة أمور ،
انظرها .

(٧) الحجة للقراء ٣١/٥ .

(٨) الحجة للقراء ٣٣/٥ بنصه .

(٩) ديوان ابن مقبل ١٣٦ وفيه : (لها تالياً) بدل (لها شاعراً) ، (مارداً) بدل (شاعراً الثانية) ، (له) بدل (به) ،
(حُزُون) بدل (بُطُون) ، وورد في الحجة للقراء ٥/٣٣ ، والحلبيات ١٩٧ ، وتفسير الطوسي ٦/٣٠٧ ،
والشعر والشعراء ٢٩٨ ، وفيه : (تالياً بعدي) بدل (شاعراً مثلي) ، والبيت الثاني يختلف كثيراً ،
وأما ابن الشجري ١/١٠٨ ، وفيه : (حبال) بدل (جبال) ، ودلائل الإعجاز للجرجاني ٣٩١ ، =

فاستعار للشعر جبلاً ؛ يريد امتناعه على من أراده . هذا الذي ذكرنا معنى قراءة العامة^(١) ، وقرأ الكسائي : (لَتَزُولُ) بفتح اللام الأولى وضم الثانية^(٢) ، وعلى هذه القراءة معنى قوله : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ يعني الأمم الكافرة من قبل ؛ وهم الذين ذُكروا في قوله : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وهو معنى قول ابن عباس : «يريد ما مكر نمرود بإبراهيم» ، يجوز أن يعني أيضاً مكر الكفار بالنبِيِّ ﷺ كما ذكرنا ، ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ معنى (إِنْ) على هذه القراءة المخففة من الثقيلة ، قاله أبو علي^(٣) .

وقال أبو بكر : «(إِنْ) مع اللام يعني بها هاهنا : (قد) ؛ كما يقول العربي : إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَيُزَوِّرُنَا ، يريد : قد كان ، واللام في : ﴿لَتَزُولُ﴾ لام الجواب ، والمستقبل بعدها مرفوع ، والمعنى قد كانت الجبال تزول من مكرهم على تعظيم أمر مكرهم ؛ كقوله : ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبَّارًا﴾ [نوح : ٢٢] .

وقال أبو إسحاق : «وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال ، فإن الله ينصر دينه»^(٤) ، فإن قيل هذه القراءة على ما ذكرتم يُوجب أن الجبال قد زالت بمكرهم وهل كان ذلك ؟

= وفيه : (قائلاً بعدي) بدل (شاعراً مثلي) ، وفي البيت الثاني : (سائراً) مكان (شاعراً) ، و(حُزُون) مكان (يُطُون) ، ومعنى (أُطِب) أُعْرِف . ومعنى (مارداً) : المارد العاتي الشديد ، ويريد به الجيد السائر ، (حُزُون) : جمع الحزن ؛ وهو ما غلظ من الأرض في ارتفاع وخشونة .

(١) انظر : السبعة ٣٦٣ ، وعلل القراءات ١/ ٢٩٠ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ٣٣٧ ، والحجة للقراء ٥/ ٣١ ، والتيسير ١٣٥ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧١٣ ، والنشر ٢/ ٣٠٠ ، والإتحاف ٢٧٣ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٣٢ بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٧ بنصه .

والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما لأهل المعاني ، والثاني للمفسرين ؛ أما أهل المعاني فإنهم قالوا : هذا مبالغة في وصف مكرهم بالعظيم ، وإن لم يكن جبلاً قط زال لمكرهم ، فهذا على مذهب العرب في المبالغة ؛ يقول : وإن كان مكرهم قد بلغ من كِبَرِهِ وَعِظَمِهِ أَنْ يُزِيلَ ما هو مثل الجبال في الامتناع على من ^(١) أراد إزالته ثباتها ؛ كأنه قيل : لو أزال مكرهم الجبال لما أزال أمر الإسلام .

يدل على صحة ما ذكرنا قراءة جماعة من الصحابة : (وإن كاد مكرهم لتزول) بالبدال ^(٢) ، أي ^(٣) : قد قاربت الجبال أن تزول ، وهذا معنى قول أبي إسحاق ^(٤) وأبي بكر ^(٥) وأبي علي ^(٦) ؛ قال أبو علي : «ومثل هذا في تعظيم الأمر قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فِي السَّمَاءِ مُبَيَّنّاً عَلَى ابْنِ لُبَيْنَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ^(٧)

وهذا ليس على أنه شوهد صدع في السماء ، ولكنه مبالغة على معنى أن الأمر قد قرب من ذلك ، ومثله كثير في الشعر» ، وذكر ابن قتيبة باب ما أفرط الشعراء

-
- (١) في جميع النسخ (ما) والتصويب من الحجة للقراء ٣٢ / ٥ ليستقيم الكلام .
- (٢) قرأ بها عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وأنس بن مالك ، وابن عباس ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم ، وهي قراءة شاذة .
- انظر : تفسير الطبري ٢٤٥ / ١٣ ، وإعراب القرآن للنحاس : ١٨٧ / ٢ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه ٧٤ ، والمحاسب ٣٦٥ / ١ ، وإعراب القراءات وعللها ٣٣٧ / ١ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٧٤ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٣٨٠ / ٩ .
- (٣) ساقطة من (أ) و(د) .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ١٦٧ / ٣ .
- (٥) لم أقف على مصدره ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٧٤ / ٤ ، مختصراً .
- (٦) الحجة للقراء ٣٢ / ٥ .
- (٧) ورد بلا نسبة في الحجة للقراء ٣٢ / ٥ ، وتفسير الطوسي ٣٠٧ / ٦ ، وأبي حيان ٢١٨ / ٦ .

في وصفه ، وأنشد أبياتاً كثيرة ، ثم قال : « وهذا كله على المبالغة في الوصف » ،
وينوون في جمعه ^(١) : يكاد يفعل ^(٢) ، وأنشد أبو إسحاق قول الأعشى :

لَئِنْ كُنْتَ فِي جُبِّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ
لَيْسْتَ دَرَكَكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْرَهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكُمْ غَيْرُ مَنْجَمٍ ^(٣)

قال : « فإنها بالغ في الوصف ، وهو يعلم أنه لا يُرَقَّى ^(٤) أسباب السماء » ^(٥) .

وقال أبو بكر في قول الأعشى : « تأويله لئن كنت في ما تَقْدِرُ ويُقَدَّرُ لك في
قعر الأرض أو في السماء ، لَيَصِلَنَّ إِلَيْكَ مَنِي مَا تَكْرَهُ » . لذلك معنى ﴿ وَإِنْ كَانَتْ
مَكْرَهُهُمْ لَيَرْزُلَنَّ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ : عند أنفسهم وفي ما يَقْدِرُونَ ، فليس ينفعهم
ذلك إذا كان الله قد وعد على السنة رسله ظهور الحق على الباطل .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، ويحتمل أنها (جميعه) ؛ أي في جميع ما ذكروا ، وعلى المثبت أي ينوون في جمعه ،
من الجمع وإن كان مفرداً .

(٢) لم أقف عليه في كتبه المطبوعة .

(٣) ديوان الأعشى ٨٢ ، ورواية البيت الثاني تختلف عن الديوان ، وهي :

لَيْسْتَ دَرَكَكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهْرَهُ وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكَ لَسْتُ بِمُنْجَمٍ

وورد البيت الأول فقط في الكتاب ٢٨ / ٢ ، ومجاز القرآن ٣٠٢ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس
١٨٧ / ٢ ، وشرح المفصل ٧٤ / ٢ ، واللسان (ثمن) ٥٠٩ / ١ ، و(رقا) ١٧١١ / ٣ .

(تهرّهُ) : يقال هَرَّ الشيء يهره ويهره هَرّاً وهريراً ؛ أي كرهه ، (مُنْجَمٍ) : اسم فاعل من التنجيم ،
وهو الناظر في النجوم للتفكير والتدبر ، وهو أيضاً ادعاء علم الغيب بالنظر في النجوم ، وهو أيضاً
التجزيء ؛ ومنه قولهم نزل القرآن منجماً . وعلى هذه الرواية يكون المعنى : إن تهديدي لك ليس رجماً
بالغيب كما هو قول المنجم . (ملجم) من اللجام وهو معروف ؛ وهو جبل أو عصا تُدْخَلُ في فم الدابة
وتُلْزَقُ إلى قفاه ، والممسك عن الكلام مُثَلُّ بمن ألجم نفسه بلجام ، وعلى هذه الرواية ، المعنى : إن
لساني غير ملجم عنك ؛ لأنها من قصيدة قالها يهجو عمير بن المنذر . انظر : اللسان (لجم) ٧ / ٤٠٠٢ ،
و(هرر) ٨ / ٤٦٥٠ ، و(نجم) ٧ / ٤٣٥٨ .

(٤) في (أ) و(د) : (لا يرقك) ، وفي (ش) و(ع) : (لا تزول) والتصويب من المصدر .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٦٨ بنصه .

وأما المفسرون فإنهم ذهبوا إلى قصة نمرود مع التابوت والنسور ، وأن الجبال حين سمعت حفيف النسور والتابوت عند هبوطها ظنت أن ذلك أمرٌ من الله تعالى عظيم ، وأن الساعة قد قامت ففزعت وزالت ، وهذا يُروى عن علي - رضي الله عنه - ومجاهد وعكرمة^(١) .

قال مجاهد : « كان ذلك بختنصر »^(٢) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعِدُهُ رُسُلُهُ ﴾ قال الفراء : أضيفت ﴿ مُخْلَفًا ﴾ إلى الوعد ونُصبت الرسل على التأويل ؛ لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل ، فيقول أخلفت الوعد وأخلفت الرسل^(٣) ، وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كَسَوْتَك

(١) أخرجه الطبري ١٣ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، مفصلاً عن علي ومجاهد من طرق ، وورد مفصلاً في تفسير السمرقندي ٢ / ٢١١ عن علي ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٥٤ عن عكرمة ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٧٣ ، وما بعدها ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٨١ ، وابن كثير ٢ / ٥٩٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٦٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وابن الأباري عن علي رضي الله عنه . وهذه القصة ظاهرة الوضع أو أنها إسرائيلية ، إذ لم يرو فيها حديث مرفوع إلى النبي ﷺ بل وردت الروايات موقوفة على علي - رضي الله عنه - بطرق مضطربة وبأسانيد فيها جهالة ، كما أنها ليست من الطرق المشهورة عن علي - رضي الله عنه - فضلاً أن تكون من الصحيحة ، ولعل هذا سبب نفى ابن عطية : صحة نسبته لعلي - رضي الله عنه - كما ضعفها من جهة المعنى ، فقال : « وذكر ذلك عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وذلك عندي لا يصح عن علي ، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى ، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وُصف ، وبعيد أن يُعزَّر أحد بنفسه في مثل هذا » (٨ / ٢٦٥) . وقد انتقد الزجاج هذه القصة من قبل فقال : « وقيل هذا في قصة النمرود بن كنعان ، ولا أرى لنمرود هاهنا ذكراً » . معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٦٧ ، وكذلك نقل الرازي تضعيفها ، فقال : « قال القاضي لم أقف عليه ، وهذا بعيد جداً ؛ لأن الخطر فيه عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه ، وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ، ولا حجة في تأويل الآية ألبتة » . تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٤٤ .

(٢) أخرجه الطبري ١٣ / ٢٤٤ مفصلاً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٧٤ ، وابن كثير ٢ / ٥٩٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٦٦ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٣) يقول الزمخشري في تفسيره ٢ / ٣٠٧ : « فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ، ولم قدم المفعول الثاني =

الثوبَ وأدخلتكَ الدارَ ، فابداً بإضافة الفعل إلى الرجل ؛ تقول : هو كاسي عبدالله ثوباً ، ومدخله الدارَ ، ويجوز : هو كاسي الثوبِ عبدالله ، ومدخل الدارِ زيداً ؛ لأن الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبدالله فيقول : أدخلت الدارَ ، وكسوت الثوبَ ، ومثله قول الشاعر^(١) :

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ^(٢)

أي مدخل رأسه الظلَّ ، فقلب وأضاف مُدْخِلَ إلى الظلِّ [لأن الظل]^(٣) التبس برأسه^(٤) ، فصار كل واحد منهما داخلاً في صاحبه^(٥) ، قال ابن عباس : «﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ ﴾ : يا محمد ، ﴿ مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ يريد النصر والفتح وإظهار الدين»^(٦) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ قال : «يريد : أن الله منيع شديد الانتقام» . ومعنى الانتقام الجزاء بما كان من السيئات .

= على الأول ؟ قلت : قدّم الوعد ليُعلم أنه لا يخلف الوعد ، ثم قال : ﴿ رُسُلَهُ ﴾ ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد ، كيف يخلفه رُسُلُهُ الذين هم خيرته وصفوته ؟ ! .
(١) لم أقف عليه ، والبيت من الخمسين بيتاً التي لم يعرف لها قائل . ذكره عبدالسلام هارون محقق الكتاب ١٨١ / ١ ، بالحاشية .

(٢) ورد البيت في المصادر الآتية ، الكتاب ١ / ١٨١ ، وتأويل مشكل القرآن ١٩٤ ، وتفسير الطبري ١٣ / ٢٤٨ ، وابن عطية ٨ / ٤٧٨ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ١ / ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٨٢ ، والفريد في الإعراب ٣ / ١٧٧ ، وتفسير أبي حيان ٥ / ٤٣٩ ، والدر المصون ٧ / ١٢٨ ، والخزانة ٤ / ٢٣٥ ، والدر اللوامع ٦ / ٣٧ برواية (أكتع) بدل (أجمع) . والبيت وصف لهاجرة ألجأت الثيران إلى كُنُسِها ، فهي تدخل رؤوسها في الظل لما تجده من شدة القيظ وسائر جسدها بارز للشمس . ما بين المعقوفين من (ش) وساقط من باقي النسخ .

(٣) يقول الأعلام : «كان الوجه أن يقول : مُدْخِلَ رأسه الظلَّ ؛ لأن الرأس هو الدّاخل في الظل ، والظل هو المدخل فيه» . الدر اللوامع ٦ / ٣٧ .

(٤) معاني القرآن للقراء ٢ / ٧٩ ، نقل طويل مع تصرف يسير .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ١ / ٣٣٧ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٧٥ .

٤٨. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ الآية . ذكر الزَّجَّاج في نصب (يوم) وجهين ؛ أحدهما : أنه صفة لقوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(١) ، والآخر : أنه على معنى ينتقم يوم تبدل^(٢) ، وذكرنا في قوله : ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء : ٥٦] أن التبديل يقع على معنيين ؛ أحدهما : تبديل العين إلى غيره ، والثاني : تبديل الصورة والعين قائمة ، وقد ذكر المعنيان في هذه الآية ، قال ابن عباس : «الأرض هي تلك الأرض ، وإنما تُبدل أكامُها وجبالها وأشجارها»^(٣) ، ثم أنشد^(٤) :

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُ^(٥)

ونحو هذا روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : «يبدل الله الأرض غير الأرض فيبسّطها»^(٦) ويمدّها مدّ الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً»^(٧) .

- (١) وتقديره : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ ذكره الزَّجَّاج .
- (٢) معاني القرآن وإعرابه ١٦٩/٣ بمعناه ، حيث قال : «وإن شئت أن يكون منصوباً بقوله : (ذو انتقام)» .
- (٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٤/٢ ب بنصه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٣٠٨/٢ ، والفخر الرازي ١٤٦/١٩ ، والفريد في الإعراب ١٧٨/٣ ، وتفسير أبي حيان ٤٣٩/٥ ، والدر المنصور ١٣٠/٧ ، وتفسير أبي السعود ٦٠/٥ .
- (٤) نُسب إلى ابن عباس في المصادر السابقة عدا تفسير الفخر الرازي ، ونُسب إلى عبدالله بن شبيب في مجالس ثعلب ٤٩ .
- (٥) المصادر السابقة نفسها ، وتختلف رواية مجالس ثعلب في العجز ، وهي : وما الدهر بالدهر الذي كنت تعرف .
- (٦) في النسخ جميعها (فينشها) والتصويب من الطبري والثعلبي وباقي المراجع .
- (٧) الحديث جزء من حديث الصور الطويل ، أخرجه الطبري ٢٥٢/١٣ ، مختصراً ، والطبراني في معجمه الكبير ٢٦٦/٢٥ ، مطولاً ، والبيهقي في البعث ٣٣٨ ، مطولاً ، وطرفه : «إن الله - عز وجل - لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور» ، وأورده الثعلبي ١٤٤/٢ ب ، مختصراً ، وابن كثير ١٦٣/٢ ، مطولاً ، وورد مختصراً في تفسير ابن الجوزي ٣٧٥/٤ ، والفخر الرازي ١٤٦/١٩ ، وتفسير القرطبي ٣٨٣/٩ ، وابن كثير ٥٩٩/٢ ، وأبي السعود ٦٠/٥ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٥٣٤/٢ ، والحديث ضعيف ، وقد ضعفه ابن كثير رحمه الله ١٦٧/٢ ووصفه بالنعارة ؛ بسبب =

وقال الحسن : «هي هذه الأرض إلا أنها تُغَيَّرُ إلى صورة أخرى»^(١).

وأما تبديل السموات فقال ابن عباس في رواية أبي صالح : «وتبديل السموات بأن يزداد فيها وينقص منها»^(٢).

وقال ابن الأنباري : «باختلاف هيئتها ؛ كما ذكر الله تعالى أنها مرة كالمهل»^(٣)، وتكون كالدَّهَانِ»^(٤)، وعلى هذا القول معنى التبديل في الآية : تبديل الصورة باختلاف الهيئة ، والعين كما هي ، كما تقول : قد بدلت قميصي جُبة ؛ أن تقلب العين من حال إلى حال أخرى ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «قد يقول : بَدَّل زيدٌ ، إذا تغيرت حاله» ، فمعنى تبديل الأرض : تسيير جبالها وتفجير بحارها ، وكونها مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، وتبديل السموات : انتشار كواكبها وانفطارها ، وتكوين شمسها وخسوف قمرها .

قال : «وقوله : ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ ؛ أي وتبدل السموات غير السموات»^(٥)، ومثله قال أبو علي : قال : «وهو كقوله ﷻ : لا يُقْتَلُ مؤمنٌ بكافر ولا ذو عهد في عهده»^{(٦)(٧)}.

تفرد إسماعيل بن رافع وهو منكر الحديث ، وأكده أحمد شاكر - رحمه الله - فقال : «هو حديث ظاهر النكارة» . انظر : عمدة التفسير ١/ ٧٨٨ حاشية (٢) . (العكاظي) نسبة إلى سوق عكاظ ، (العوج) ما اعوج يمينا وشمالاً ، (الأمت) ما يرتفع مرة ويهبط أخرى . غريب اليزيدي ٢٥٠ .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤٥ ، بمعناه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٠٩ بنصه .
(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٥ ، لكن جعله تفسيراً لتبديل الأرض لا السماء ، حيث قال : «إنها تلك الأرض ، وإنما يزداد فيها وينقص منها» ، وكذلك أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٨ ، وعزاه إلى البيهقي في البعث ، ولم أجده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج : ٨] .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن : ٣٧] .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٩ بنصه .

(٦) المسائل الحلييات ٧٤ بنصه دون ذكر الحديث .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه في باب قود المسلم بالذمي ١٠/ ٩٩ بنحوه عن الحسن مرسلاً ، =

المعنى : ولا ذو عهد في عهده بكافر ، كما كان التقدير في الآية ؛ والسموات غير السموات ، وذهب قوم إلى تبديل العين ، فقال ابن مسعود : «تبدل بأرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يُسَفَك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة»^(١) ، ونحو ذلك قال ابن عباس في رواية الكلبي وعطاء^(٢) .

يؤكد هذا ما روى سَهْلُ بن سَعْدٍ عن رسول الله ﷺ قال : «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(٣) .

وأبو داود (٤٥٣٠) في كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم بالكافر (٢٧٥١) ، في كتاب الجهاد ، باب في السرية ترد على أملي العسكر ، بنصه ، وابن ماجه (٢٦٥٨) في كتاب الديات ، باب لا يقتل مسلم بكافر ، واللفظ له ، والنسائي ١٩ / ٨ ، في كتاب القسامة ، باب القود بين الأحرار والمالِك في النفس ، بنصه ، والحاكم ١٤١ / ٢ ، في كتاب الفتي ، باب لا يقتل مؤمن بكافر ، بنصه ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن ٢٩ / ٨ ، في كتاب الجنائيات ، باب في مَنْ لا قصاص بينه باختلاف الدين بنحوه ، كلهم عن علي إلا ابن ماجه عن ابن عباس ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود : (٢٧٥١) ، (٤٥٣٠) ، وصحيح النسائي ٩٨٤ / ٣ ، وصحيح ابن ماجه : (٢٦٥٨) .

(١) أخرجه بنصه عبد الرزاق ٣٤٤ / ٢ ، موقوفاً على عمرو بن ميمون راوي الحديث عن ابن مسعود والطبري ٢٥٠ / ١٣ ، من طرق ، والطبراني في الكبير ٢٣٢ / ٩ ، والحاكم ٥٧٠ / ٤ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ١٥٣ / ٤ ، وورد بنحوه في معاني النحاس ٥٤٤ / ٣ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢١١ ، والماوردي ١٤٣ / ٣ ، وأورده ابن حجر في الفتح ٣٨٣ / ١١ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، والبيهقي في الشعب لم أقف عليه ، وقال : «ورجاله رجال الصحيح وهو موقوف» .

(٢) أخرجه الطبري ٢٥١ / ١٣ ، من طريق العوفي ضعيفة ، ولفظه : «فزعم أنها تكون فضة» ، ورد في تفسير الماوردي ١٤٣ / ٣ مختصراً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي برواية عطاء ٣٧٦ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٣٨٤ / ٩ ، وابن كثير ٥٦٤ / ٢ .

(٣) أخرجه بنصه البخاري (٦٥٢١) في كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ومسلم (٢٧٩٠) ، في كتاب صفة الجنة والنار ، باب صفات المنافقين في البعث والنشور ٢١٥٠ / ٤ ، والطبري ٢٥٠ / ١٣ ، والطبراني في الكبير ١٥٥ / ٦ ، ١٧٤ . (عفراء) العفر بياض ليس بالناصع ، وقيل بياض يضرب إلى حمرة قليلاً ، (كقرصة النقي) : هو الرغيف المصنوع من الدقيق النقي من الغش والنخاله ؛ يسمى الحواري ، (ليس فيها معلم لأحد) قيل إنها مدرجة ؛ من كلام سهل - رضي الله عنه - أو غيره . =

وقال علي - رضي الله عنه - في هذه الآية : «الأرض من فضة والسماء من ذهب»^(١) ، ومذهب أكثر المفسرين ؛ عكرمة ، ومجاهد ، والقرظي ، وكعب ، على أن هذا التبديل هو تبديل العين^(٢) .

وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية وقالت : أين يكون الناس يومئذ ؟ قال : «على الصراط»^(٣) قوله تعالى : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ؛ أي

(المَعْلَم) : الشيء الذي يُستدل به على الطريق ، والمراد : أنها مستوية ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يمتد بها في الطرقات ؛ كالجبل والصخرة البارزة . انظر : فتح الباري ٣٨٢/١١ .

(١) أخرجه الطبري ٢٥١/١٣ ، وفيه (والجنة) بدل (والسواء) ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ١٤٤/٢ ، والماوردي ١٤٤/٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٦١-٣٦٢/٤ ، وابن الجوزي ٣٧٦/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٨٤/٩ ، والخازن ٨٦/٣ ، وأبي حيان ٤٣٩/٥ ، وابن كثير ٥٩٨/٢ ، والدر المنثور ١٦٨/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) وقد تعددت أقوالهم في ماهية التبديل على أقوال ؛ فقال مجاهد : «تبدل أرضاً بيضاء كأنها الفضة ، والسموات كذلك كأنها الفضة» . تفسير مجاهد ٣٣٦/١ ، وأخرجه الطبري ٢٥٠/١٣ . وقال كعب : «تصير السموات جناناً ، ويصير مكان البحر النار ، وتبدل الأرض غيرها» . أخرجه الطبري ٢٥٢/١٣ ، وورد في تفسير الماوردي ١٤٤/٣ ، والثعلبي ١٤٤/٢ ، والخازن ٨٦/٣ ، وابن كثير ٥٩٨/٢ ، وقال القرظي : «تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم» . أخرجه الطبري ٢٥٢/١٣ ، وورد في تفسير الثعلبي ١٤٤/٢ ، وانظر : تفسير البغوي ٤٦٢/٤ ، وابن الجوزي ٣٧٦/٤ ، وأبي حيان ٤٣٩/٥ ، وابن كثير ٨٩٨/٢ ، والخازن ٨٦/٣ ، وقال عكرمة : «تبدل الأرض بيضاء مثل الخبزة ، يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب» . أورده السيوطي في الدر المنثور ١٦٩/٤ ، وعزاه إلى البيهقي في البعث ، وهذا القول - أي تبديل العين - هو الأرجح ؛ لموافقته ظاهر الآية ؛ إذ هو الأصل في التبديل ، ويعضده الأحاديث الصحيحة والصريحة ، وقد رجحه جماعة من المفسرين ؛ منهم الطبري ٢٥٤/١٣ ، وتفسير القرطبي ٣٨٣/٩ ، والجمل في حاشيته على الجلالين ٥٣٤/٢ .

(٣) أخرجه بنصه أحمد ٣٥/٦ ، ومسلم (٢٧٩١) في كتاب صفة الجنة والنار ، باب في البعث والنشور ، والترمذي (٣١٢١) في كتاب التفسير ، باب من سورة إبراهيم ، وابن ماجه (٤٢٧٩) في كتاب الزهد ، باب ذكر البعث ، والطبري ٤٨٢/٧ بعدة روايات ، والحاكم في المستدرک ٨٨/٢ في كتاب التفسير ، باب سورة إبراهيم ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٥٤٥/٣ ، وتفسير السمرقندي ٢١٢/٢ ، والثعلبي ١٤٥/٢ .

ظهروا وخرجوا من قبورهم ، وهو كقوله : ﴿ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [إبراهيم : ٢١] ، وقد مرَّ .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ ﴾ قال ابن عباس : « يريد الذين أجرموا ، زعموا أن لله شريكاً وولداً ونظيراً »^(١) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يريد يوم القيامة ، ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ يقال : قرنت الشيء بالشيء ، إذا شددته به ووصلته ، والقرنُ اسم الجبل الذي شُدَّ به شيئان^(٢) ، وجاء هاهنا على التكثير لكثرة أولئك القوم .

وقوله تعالى : ﴿ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ جمع صَفْد وهو القيد ، يقال : صَفَدْتُ الرجلَ فهو مَصْفُودٌ ، والمصدر : الصَّفْد ، والاسم : الصَّفْد ، ومثله الصَّفَادُ : وهو كل ما يوثق به من نسع أو قد^(٣) ، ويقال أيضاً من هذا صَفَدْتَهُ بالتشديد ، ومنه الحديث : « صَفَدْتُ الشَّيَاطِينَ »^(٤) .

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سبسي ٣٣٨ / ١ بنحوه .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قرن) ٢٩٤٧ / ٣ ، واللسان ٣٦١٠ / ٦ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (صفد) ٢ / ٢٥٢٥ بنحوه ، وانظر : المحيط في اللغة (صفد) ٨ / ١١٧ ، والصاح ٢ / ٤٩٨ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٢٩٣ ، واللسان ٤ / ٢٤٥٨ . (النَّسْعُ) سِرٌّ يُصَفَّرُ عَلَى هَيْئَةِ أَعْنَةِ النِّعَالِ ، تَشَدُّ بِهِ الرِّجَالُ ، وَيَجْعَلُ زَمَاماً لِلْبُعِيرِ وَغَيْرِهِ ، (الْقَدَّ) سِرٌّ يُصْنَعُ مِنَ الْجِلْدِ ، تَخْصَفُ بِهِ النِّعَالُ ، وَتَشَدُّ بِهِ الْمَحَامِلُ . انظر : متن اللغة ٤ / ٥٠٦ ، ٥ / ٤٤٩ .

(٤) ونصه : « إذا جاء رمضان فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصَفَّدَتْ الشَّيَاطِينَ » أخرجه مسلم (١٠٧٩) ٢ / ٧ في كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان ، عن أبي هريرة ، وجاء برواية : « إذا كان أول ليلة من رمضان صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينَ . . . » ، أخرجه الترمذي (٦٨٢) ٣ / ٦٦ في كتاب الصيام ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ، وابن ماجه (١٦٣٨) ١ / ٣٠١ في كتاب أبواب الصيام ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ، والحاكم (٤٢١ / ١) في كتاب الصوم ، باب إذا كان أول ليلة ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، والبيهقي ٤ / ٣٠٣ في كتاب الصيام ، باب في فضل شهر رمضان .

قال أبو عبيد : «شُدَّتْ بالأغلال ، قال عمرو :

وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ»^(١)

قال : «وأما أَصْفَدْتُهُ بالألف ، فهو أن تعطيه وتصله ، والاسم منه الصَّفْد ، وكذلك الوثاق»^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : «صَفَدْتُهُ بالحديد وأصفدته ، ومثله في العطية»^(٣) ، إلا أن الاختيار في العطية أصفدته ، وفي الحديد صفدته»^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد بالأصفاد : سلاسل الحديد والأغلال»^(٥) .

(١) و صدره :

فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَا

انظر : ديوان عمرو بن كلثوم ٩٤ ، وورد في تفسير الطبري ١٣ / ٢٥٤ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٤١٢ ، وتفسير الثعلبي ٢ / ١٤٥ أ ، والماوردي ٣ / ١٤٥ ، والطوسي ٦ / ٣١٠ ، وشرح المعلقات للزوزني ١٨١ ، والفريد في الإعراب ٣ / ١٨٠ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٣٨٤ ، والدر المصون ٧ / ١٣١ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٥٩٩ ، وتفسير الشوكاني ٣ / ١٦٩ . (فأبوا) فرجعوا ، والأوب : الرجوع ، (النَّهَاب) الغنائم وما ينتهب ، قال أبو جعفر : «ومعنى البيت : ظفرنا بهم فلم نلتفت إلى أسلاهم ولا أموالهم ، وعمدنا إلى ملوكهم فصَفَدْنَاهُمْ في الحديد» ، قال : «وهذا أمدح وأشرف» .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (صفد) ٢ / ٢٠٢٥ ، بلفظه مختصراً .

(٣) وسمي العطاء صفداً لأنه يُقَيَّد من يعطيه ، ومنه : أنا مغلولُ أياديك ، وأسيرُ نعمتك . الدر المصون ٧ / ١٣٢ ، وقيل : لأنها تُقَيَّد المودة وترتبطها . تفسير الطوسي ٦ / ٣١٠ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٧٠ ، بتصرف يسير .

(٥) أخرجه الطبري ١٣ / ٢٥٥ ، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة . بلفظ : «في وثاق» ، وانظر : زاد المسير ٤ / ٣٧٧ ، ولفظه : «أنها الأغلال» ، والدر المنثور ٤ / ١٦٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٥٩٩ بلفظ : «القيود» .

قال الكلبي: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ كل كافر مع شيطان في غل^(١)، وقال عطاء: «وهو معنى قوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]؛ أي قُرنت نفوس المؤمنين بالخور العين، ونفوس الكافرين بالشياطين»^(٢)، وفي هذا المعنى أيضاً قوله: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢].

قال ابن عباس: «وقرناؤهم من الشياطين»^(٣)، وقال قوم في معنى: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: قُرَن بعضهم ببعض^(٤).

وقال ابن زيد: «قُرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال»^(٥)، فهذا^(٦) ثلاثة أقوال في معنى: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾.

٥٠. قوله تعالى: ﴿سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ السراويل جمع سِرْبَال وهو القُمُص، والفعل منه تسربلْتُ، وسربلتُ غيري^(٧).

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٩/١٤٧ بنصه، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢١٢ بنصه، والماوردي ٣/١٤٥ بنصه، والبغوي ٤/٣٦٣، وتفسير القرطبي ٩/٣٨٥، وأبي حيان ٥/٤٤٠.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٩/١٤٧ بنصه تقريباً.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٣٧٧، ولفظه: «أنهم يقرون مع الشياطين»، وورد غير منسوب في القرطبي ٩/٣٨٥، والأوسي ١٣/٢٥٦، وصديق خان ٧/١٣٨.

(٤) قاله ابن قتيبة في الغريب ١/٢٣٨ بنصه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٣٧٧، والخازن ٣/٨٧.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/٢٥٥ بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٥، بنحوه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٣٧٧، والفخر الرازي ١٩/١٤٨، ونسبه إلى زيد بن أرقم وهو خطأ، وتفسير الخازن ٣/٨٧، وصديق خان ٧/١٣٨.

(٦) هكذا في النسخ جميعها، والأولى: (هذه).

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٥، بنحوه، وانظر: جهرة اللغة (سربل) ٢/١٢٠، وتهذيب اللغة ٢/١٦٦٤، ١٦٦٥، والمحيط في اللغة ٨/٤٣٣، واللسان ٤/١٩٨٣.

قال امرئ القيس :

لَعُوبٌ تُنْسِينِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي^(١)

وقال الزَّجَّاج : «هو كل ما لُبِس»^(٢) .

والقطران : هناء الإبل .

قال الليث : «وهو شيء يَتَحَلَّبُ من شجر يقال له : الأَهْمَل»^(٣) .

(١) و صدره :

ومثلك بيضاء العوارض طفلة

ديوان امرئ القيس ١٢٤ ، وورد في تفسير الطبري ٢٥٥ / ١٣ ، والطوسي ٣١٠ / ٦ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ٤٧ / ١ ، والخزانة ٣٧٣ / ١ . و(العوارض) جمع العارض ؛ وهو صفحة الخد ، و(طفلة) ناعمة البدن ، و(لعوب) حسنة الدل .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٧٠ / ٣ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (قطر) ٢٩٩٠ / ٣ ، بنصه .

قال الفراء: «أهل الحجاز وبنو أسد يفتحون القاف ويكسرون الطاء، وبعض قيس^(١) وتميم^(٢) يقولون: قَطْران بكسر القاف وتسكين الطاء»^(٣)، وأنشد:

عَلَيْهِمْ سَرَائِلُ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ

جَمَالٌ بِهَا الْقَطْرَانُ مَطْلِيَّةٌ بُزِلُ^(٤)

وفيه لغة أخرى وهو فتح القاف وتسكين الطاء^(٥)، وبه قرأ عيسى بن عمر . قال أبو إسحاق: «وَجُعِلَتْ سَرَائِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنَّ الْقَطْرَانَ يَبَالِغُ فِي اشْتِعَالِ النَّارِ فِي الْجُلُودِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ الْمَبَالِغَةَ فِي إِحْرَاقِهِمْ بِغَيْرِ نَارٍ وَبِغَيْرِ قَطْرَانٍ

(١) قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، جد جاهلي، بنوه قبائل كثيرة، منها: (هوازن)، و(سليم)، و(غطفان)، و(باهلة)، وغلب اسم قيس على سائر العدنانية، حتى جعل في المثل في مقابل عرب اليمن قاطبة، فيقال: قيس ويمن. انظر: جهرة أنساب العرب ٢٤٣، ونهاية الأرب ٣٦٢، ومعجم قبائل العرب ٩٧٢/٣، والأعلام ٢٠٧/٥.

(٢) هم بنو تميم بن مُرَّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليامة، وامتدت إلى أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الخواضر والبادي. وُلِدَ لَتَمِيمِ الْحَارِثِ، وعمرُو، وزيد مَنَاة، وتفرعت منهم بطون بني تميم. انظر: جهرة أنساب العرب ١٩٨، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٧٩، ومعجم قبائل العرب ١٢٦/١، والأعلام ٨٧/٢.

(٣) لم أقف على مصدره.

(٤) لم أقف عليه. (بُزِلَ): قال الجوهري: «بَزَلَ الْبَعِيرُ يَبْزُلُ بَزُولًا: فَطَرَ نَابَهُ، أَيْ انشَقَّ، فَهُوَ بَازِلٌ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، وَرَبِّهَا بَزَلٌ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ، وَالْجَمْعُ بَزْلٌ وَبَزْلٌ وَبَوَازِلٌ». الصحاح (بزل) ١٦٣٣/٤.

(٥) أي قَطْرَان، وذكرها الطبري في تفسيره ٢٥٦/١٣، بصيغة التمریض منسوبة إلى عيسى بن عمر، لكنه قال بكسر القاف، وبالكسر كذلك قال ابن خالويه، كما في القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٤، لكنه جعلها مهموزة؛ قال: (قَطْرَان)، ووردت في تفسير الثعلبي ١٤٥/٢، بالجزم؛ قال: وقرأ عيسى بن عمر: (قَطْرَان) بفتح القاف وتسكين الطاء، وانظر: تفسير القرطبي ٣٨٥/٩، قال ابن جني: «وأما القطران ففيه ثلاث لغات: (قَطْرَان) على فَعْلَان (وهي القراءة المتواترة)، و(قَطْرَان)، و(قَطْرَان) والأصل فيها (قَطْرَان) فأُسْكِنَا عَلَى مَا يُقَالُ فِي كَلِمَةٍ: كَلِمَةٌ وَكَلِمَةٌ». انظر: المحتسب ٣٦٧/١.

لقدر على ذلك ، ولكنه عَذَّبَ بما يَعْقِلُ العبادُ العذابَ من جهته ، وحذَّره ما يعرفون حقيقته»^(١) .

قال ابن الأنباري : «والنار لا تُبطل ذلك القطران ولا يُفنيها ، كما لا يهلك أغلالها وأنكالها وحياتها وهوامها وأشجارها»^(٢) ، وللقطران أيضاً روائح خبيثة ، وقال غيره : «وفيه أيضاً عقاب بالتسويد لسواد دخانه»^(٣) .

٥١ . قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ هذه اللام تتعلق بقوله : ﴿وَتَعْنَى﴾ ؛ أي تغشى النار وجوههم ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا ، فمعنى ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ هاهنا من الكفار ؛ لأن جزاء المؤمن لا يقع بهذا^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ذكرنا معناه في سورة البقرة عند تمام المائتين منها .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٠ بنصه .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٤٩ ، مختصراً .

(٣) وخلاصة الأمر أنه يحصل لهم أربعة أنواع من العذاب بالقطران ؛ لذع القطران وحرقته ، وإسراع النار في جلودهم ، واللون الوحش ، وتنن الريح . الرازي ١٩/ ١٤٨ .

(٤) وقد تعقب الرازي الواحد في تخصيص ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ بالكافرين ، وأبقى اللفظ على عمومه ليشمل الجزاء الفريقين ، وكلاهما مصيب ، فالتخصيص مناسب للسياق والسباق ؛ حيث إن الكلام السابق واللاحق عن المجرمين فيخصهم الوعيد والتهديد ، ويكون متعلق اللام محذوف ؛ تقديره : يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من أنواع الكفر والمعاصي ، والتعميم مناسب بالنظر إلى أن ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله : ﴿وَبَرَزُوا﴾ ؛ أي الخلق كلهم ، فيكون ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ عاماً ؛ أي مطبوعة ومجرمة بحسبها ، وتكون الآيتان بينهما جملة معترضة . وهناك أقوال أخرى في توجيه التأويل . انظر : الرازي ١٩/ ١٤٩ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٤١ ، وأبي السعود ٥/ ٦١ .

٥٢. قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ قال ابن عباس : « يريد ما أنزلت إليك من قصة إبراهيم ودعائه لوالده وما تبرأ منه من عبادة الأصنام وما دعا للمؤمنين » ، وقال غيره من أهل العلم : ﴿ هَذَا ﴾ : القرآن ^(١) ، ﴿ بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ ، والبلاغ اسم يقوم مقام التبليغ ، قال أبو علي الجرجاني : « تأويله : فعلنا هذا ؛ يعني إنزال القرآن وما فيه من المواعظ لتبلغ الناس ، وهذا عطف على البلاغ بالفعل ، وهو قوله : ﴿ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ ^(٢) » ، قال ابن عباس : « ولتنذريا محمد قومك » ^(٣) ، ﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ ﴾ ؛ أي بما ذكر فيه من الحجج التي تدل على وحدانيته ، ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أَزْوَاجُ الْأَلْبَابِ ﴾ قال : « يريد وليتعظ أهل اللب والعقل والبصائر » .

* * *

(١) قاله ابن زيد ، أخرجه الطبري ٢٥٨ / ١٣ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ١٤٦ / ٣ ، والطوسي ٣١١ / ٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٧٠ / ٤ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢ / ٢١٢ ، والبغوي ٣ / ٣٦٣ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٧٨ ، والخازن ٨٧ / ٣ .

(٢) والتقدير : فعلنا هذا لتبلغ الناس ولينذروا به ، فعطف ﴿ وَلِيُنذِرُوا ﴾ على البلاغ ، وهو مصدر بمعنى التبليغ . وقد ورد في وجه عطف ﴿ وَلِيُنذِرُوا ﴾ تسعة أقوال ، ذكرها السمين في الدر المصون ٧ / ١٣٤ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيبوي ١ / ٣٣٩ بنصه .

تفسير

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. قوله عز وجل : ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ ذكرنا الكلام في هذا مستقصى في أول سورة يوسف ويونس ، وكذلك في سورة الرعد . وذكرنا في سورة الرعد أن الكتاب هناك يجوز أن يريد به التوراة ، ويجوز أن يريد به القرآن ، وهاهنا أيضاً يجوز فيه الوجهان ؛ أحدهما : أن يراد بالكتاب الذي كان قبل القرآن من التوراة والإنجيل ، ثم عطف عليه القرآن ، قال صاحب النظم : «تقدير هذه الآية في الكلام : زيد هذا صاحب الفرس وحمار تارة»^(١) ، وهذا معنى قول مجاهد وقتادة^(٢) .

-
- (١) المثبت من (ش) و(ع) ، وفي (أ) و(د) : (فاده) ، وهذا المثال صحيح من الناحية النحوية ، لكنه لا يليق التمثيل به في هذا الموضع ، ولو قال : هذا زيد صاحب الكتاب وقلم تارة ، لكان أليق بالمقام .
- (٢) أخرجه الطبري ١ / ١٤ عنهما من طريقين ، وورد في تفسير الطوسي ٦ / ٣١٧ عنهما ، وانظر : تفسير ابن عطية ٧ / ٢٧٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٧١ وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة ، ولم أجده في تفسير مجاهد .

وقال آخرون: الْكِتَابُ هو القرآن^(١)، وجمع بين الوصفين لما فيهما من الفائدتين، وإن كانا لموصوف^(٢) واحد؛ وذلك أن الْكِتَابَ يفيد أنه مما يُكتب ويُدون، ﴿وَقُرْآنٍ﴾ يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض^(٣)، ويكون كقوله^(٤):

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ (البيت)

وقد مر^(٥)، وذكرنا معنى (المين) في فاتحة سورة يوسف.

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٤٧، والطوسي ٦/ ٣١٧، وتفسير ابن عطية ٧/ ٢٧٦، والفخر الرازي

١٩/ ١٥١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢، والخازن ٣/ ٨٨.

(٢) في (ش) و(ع): (بالموصوف).

(٣) انظر: الفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٨٣.

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) أورده كذلك في نهاية السورة، والبيت كاملاً هو:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمُرْدَحَمِ

وقد ورد بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء: ١/ ١٠٥، وتفسير الطوسي ٦/ ٣١٧، والزخشي ١/ ٢٣،

والإنصاف ٣٧٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٢٧٨، والخزانة ١/ ٤٥١، ٥/ ١٠٧، ٦/ ٩١. (الْقَرْمِ)

السيد، (الهَمَام) الملك العظيم الهمة، (الكُتَيْبَةُ) جماعة الخيل، وهي الفصيل من الجيش، (الْمُرْدَحَمِ)

مكان المعركة. والشاهد: أنه عطف ابن الهمام، وليث الكُتَيْبَةِ، على القرم، وكلها أوصاف لشيء

واحد؛ هو الملك، وذلك جائز عند أهل اللغة. انظر: الانتصاف من الإنصاف، بهامش الإنصاف

٢/ ٤٧٠.

٢. قوله تعالى : ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وُقُرئ (رُبَّمَا) بالتخفيف ، قال السَّكْرِي^(١) : «رُبَّمَا وربَّما ورُبُّ ، حرف جر عند سيبويه^(٢) ، ويلحقها (ما) على وجهين : أحدهما : أن تكون نكرة بمعنى شيء ، وذلك كقوله :

رُبَّمَا تَكْرَهُ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ هَا فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ^(٣)

(١) الحسن بن الحسين بن العلاء ، أبو سعيد النحويُّ اللغويُّ ، المعروف بابن السكري ، أخذ عن أبي حاتم السجستاني ، والرياشي ، كان راوية للبصريين ، وكان ثقة ديناً صادقاً ، له كتاب الوحوش ، وكتاب النبات ، وأشعار هذيل مات سنة ٢٧٥هـ ، وقيل ٢٩٠هـ ، وكان مولده سنة ٢٠٢هـ ، انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٨٣ ، والفهرست ٢١٧ ، ونزهة الألباء ١٦٠ ، والبلغة : ٢٩٦ ، والبلغة : ٥٠٢/١ .

(٢) انظر : الكتاب باب الجر ١/٤١٩ .

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤٤٤ ، وفيه : (تجزع) بدل (تكره) ، وورد البيت في الكتاب ١٠٩/٢ ، ٣١٥ ، واللسان (فرج) ٦/٣٣٦٩ ، والخزانة ٦/١٠٨ ، ٩/١٠ ، وورد غير منسوب في البيان والتبيين ٣/٢٢٤ برواية (تجزع) ، والمقتضب ١/٤٢ ، وجمهرة اللغة ١/٤٦٣ ، وإيضاح الشعر ٢٩٥ ، ٤٤٥ ، ومعاني الحروف للرماني ١٥٦ ، وتفسير الطوسي ٦/٣١٤ برواية (تجزع) ، وأمثالي ابن الشجري ٢/٥٥٤ ، وأساس البلاغة ٢/١٩١ (فرج) ، وتفسير ابن عطية ٨/٢٧٧ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/٣٨٢ برواية (تجزع) ، وإنباه الرواة ٤/١٣٤ ، وشرح المفصل ٤/٣ ، وتفسير أبي حيان ٥/٤٤٣ ، وجمع الهوامع ١/٢٢ ، ٣١٦ ، وشرح الأشموني ١/١٩٢ . (الفرجة) بالفتح قيل : الراحة من حزن أو مرض ، و(الفرجة) بالضم : الخلل بين الشيئين ، (العقال) بالكسر الحبل الذي يشد به قوائم الإبل ، والمعنى : ربَّ شيء تكرهه النفس من الأمور الحادثة الشديدة ، وله فرجة سهلة سريعة تعقب الضيقَّ والشدة ؛ كَحَلِّ عقال الدابة .

(فما) في هذا البيت اسم لما يُقَدَّر من عَوْد الذكر إليه من الصفة ، المعنى : رب شيء تكرر النفوس ، وإذا عاد إليها الهاء كان اسماً ولم يجوز أن يكون الحرف ^(١) ، كما أن قوله سبحانه : ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ ﴾ [المؤمنون : ٥٥] لما عاد الذكر إليه علمت بذلك أنه اسم ، ويدل ذلك على أن (ما) قد تكون اسماً إذا وقعت بعد رب وقوع (من) بعدها ^(٢) في نحو قوله ^(٣) :

يَا رَبِّ مَنْ يُبْغِضُ أَذْوَادَنَا رُحْنَ عَلَى بَعْضَائِهِ وَاعْتَدَيْنِ ^(٤)

وكما دخلت على (مَنْ) وكانت نكرة ، كذلك تدخل على (ما) فهذا ضرب ، والضرب الآخر : أن تدخل (ما) كافة ، نحو الآية ، والنحويون يسمّون (ما) هذه الكافة ؛ يريدون أنها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذي كان له ، وهياتها لدخوله على ما لم يدخل عليه ، ألا ترى أن (رب) إنما تدخل على الاسم المفرد ؛ نحو : رب رجل يقول ذلك ، ولا تدخل على الفعل ؟ فلما دخلت (ما) عليها هياتها للدخول على الفعل كهذه الآية ^(٥) ، فإن قيل لم قال : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ ﴾ فجاء بعد ربها بفعل مستقبل ، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي كما يقال : ربما قصدني عبدالله ، ولا يكاد يستعمل المستقبل بعدها ؟ قال ابن الأنباري : «المستقبل في هذا بمنزلة

(١) ورد في تفسير الطوسي ٤٦٠ / ٦ بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (بعدها) ، والمثبت هو الصحيح ، وموافق للمصدر .

(٣) هو عمرو بن قميئة جاهلي .

(٤) ملحقات ديوانه ٨١ ، وورد في الكتاب ١٠٨ / ٢ ، والأزهية ١٠١ ، وأمالى ابن الشجري ٣ / ٦٤ ، ٢١٩ ، وورد بلا نسبة في الحيوان ٤٦٦ / ٣ ، والمقتضب ٤١ / ١ ، والمسائل البغداديات ٥٦٦ (صدره) ، وتفسير الفخر الرازي ١٥٢ / ١٩ ، وشرح المفصل ١١ / ٤ ، ومعجم الشعراء ٢٧ وقد نسبته إلى عمرو بن لّأي (جاهلي) . (الأذواد) ، جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل ما بين الثلاث إلى الثلاثين ، يعني أنهم أعزاء لا يستطيع أحد صد إبلهم عن مرعى ، مما لهم من قوة ومنعة ، (اغتدين) غدا يغدو غداً وغدواً ، واغتدى : بكر ، والاعتداء : الغدو . اللسان (غدو) ٣٢٢١ / ٦ .

(٥) الحجة للقراء ٣٦ / ٥ وهو نقل طويل مع اختصار يسير ، وانظر : تفسير الطوسي ٣١٤ / ٦ ، والفخر الرازي ١٥٢ / ١٩ .

الماضي ، وإنما جاز الماضي هاهنا وهو لأمر لم يأت ؛ لأن القرآن نزل وعده ووعيده وما كان فيه كأنه عيان ، فجرى الكلام في ما لم يكن منه كمجراه في الكائن ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا ﴾ [سبأ: ٥١] كأنه ماض وهو منتظر ؛ لصدقه ، وكذلك قوله : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١] وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، وهذا معنى قول الفراء في هذه الآية ^(١) ، وقال أبو علي الفارسي : «إنما وقع ﴿يَوَدُّ﴾ في الآية على لفظ المضارع ؛ لأنه حكاية لحال آتية ، كما أن قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [النحل: ١٢٤] حكاية لحال آتية أيضاً ، ومن حكاية الحال قول القائل ^(٢) :

جَارِيَةٌ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي تُقَطِّعُ الْحَدِيثَ بِالْإِيمَاضِ ^(٣)

قال : «ومن زعم أن الآية على إضمار (كان) وتقديره : ربما كان يود الذين كفروا ، فقد خرج بذلك عن قول سيبويه ^(٤) ، ألا ترى (كان) لا تضم عنده ، ولم يُجَزْ : وعبدالله المقتول ، وأنت تريد : كن عبدالله المقتول ؟» ، قال : «ويجوز أن يكون (ما) في هذه الآية صفة بمنزلة شيء ، و﴿يَوَدُّ﴾ صفة له ؛ وذلك أن (ما) لعمومها تقع على كل شيء ، فيجوز أن يعني بها الود ؛ كأنه في هذا الوجه أيضاً

(١) معاني القرآن للفراء ٨٢ / ٢ .

(٢) منسوب لرؤبة وهو في ملحقات ديوانه ١٧٦ وروايته :

لقد أتى في رمضان الماضي جارية في درعها الفضفاض

تُقَطِّعُ الْحَدِيثَ بِالْإِيمَاضِ أبيض من أخت بني إياض

(٣) ورد غير منسوب في تفسير الطوسي ٣١٤ / ٦ ، وغرائب التفسير ٥٨٥ / ١ ، والفريد في إعراب القرآن

١٨٥ / ٣ واللسان (رمض) ١٧٣٠ / ٣ ، والخزانة ١٥٦ / ١ ، والإنصاف : ١٢٤ برواية :

جارية في درعها الفضفاض

والمعنى أن القوم كانوا يتحدثون فأومضت امرأة فتركوا الحديث واشتغلوا بالنظر إليها لبراعة جمالها .

(٤) لأن هذا ليس من مواضع إضمار كان عنده ؛ فكان لا تضم عنده إلا حيث يكون حذف مقتضيها ،

وفي موضع تقوى الدلالة عليها . ذكره المنتجب في الفريد في إعراب القرآن ١٨٥ / ٣ ، وانظر : تفسير

أبي حيان ٤٤٤ / ٥ .

حكاية حال ، ألا ترى أنه لم يكن بَعْدُ ؟» انتهى كلامه .^(١) وقد تلي (ربما) الأسماء ، وكذلك (ربتها) ، أنشد ابن الأعرابي^(٢) :

مَآوِيَّ يَا رَبَّتِمَا غَارَةَ شَعَوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمِيسَمِ^(٣)

وإن قيل : لم^(٤) لم تكف (ما) (رب) عن العمل كما كفت (إن) في قولك : إنما الله ، وإنما زيد ؟ ! قيل الفرق بينهما أن (إن) حرف الابتداء ، فلما سُلِبَ العمل بالكف لم يبق للجملة معنى سوى الابتداء ، وحق الابتداء الرفع ، ومعنى (رب) وهو التقليل موجود في الاسم كل حال ، دخل عليه (ما) أو لم يدخل فتبين أثره في الاسم ، فأما قراءة من قرأه ﴿ رَبِّمَا ﴾ بالتخفيف^(٥) ؛ فلأنه حرف مضاعف ، والحروف المضاعفة قد تحذف نحو : إنَّ ، وأنَّ ، ولكنَّ ، قد حذفت^(٦) كل واحد من هذه الحروف ، وليس كل المضاعف يحذف نحو (ثُمَّ) ، لم يُحْكَ فيه الحذف^(٧) ،

(١) الحجة للقراء ٣٩/٥ بنصه .

(٢) البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي (جاهلي) .

(٣) ورد البيت منسوباً في نوادر أبي زيد ٢٥٣ ، والمعاني الكبير ٢/١٠٠٥ ، والخزانة ٩/٣٨٤ .

وورد غير منسوب في تهذيب اللغة (ماء) ٤/٣٣١٩ ، ٤/٣٨١٩ ، و(رب) ٢/١٣٣٩ ، و(موا) ٤/٣٤٦٧ ، والحجة للقراء ٥/٣٥ ، والإنصاف ٩٠ ، وشرح المفصل ٨/٣١ ، وأمالى ابن السجري ٢/٤١٣ ، واللسان (رب) ٣/١٥٥٢ ، والخزانة ١١/١٩٦ ، ورواية النوادر والمعاني والحجة والأمالى : (بل ربها) . (ماوي) : أراد ماوية ؛ من أسماء النساء ، فرَحَّم . (الشعواء) الغارة الكثيرة المنتشرة ؛ أراد الخيل التي تغير ، (الميسم) ما يوسم به البعير بالنار .

(٤) في (أ) و(د) : (لو) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح لاستقامة المعنى به .

(٥) هما نافع وعاصم . انظر : السبعة ٣٦٦ ، وإعراب القراءات السبع ١/٣٣٩ ، وعلل القراءات : ١/٢٩٣ ، والحجة للقراء ٥/٣٥ .

(٦) في النسخ جميعها : (خفف) ، والمثبت هو الصحيح لاستقامة الكلام ، وموافقة المصدر .

(٧) ورد في الحجة للقراء ٥/٤١ بنصه ، وانظر : تفسير الطوسي ٦/٣١٦ .

قال أبو إسحاق : «العرب تقول : رَبَّ رَجُلٍ جَاءَنِي ، ويخففون فيقولون : رَبَّ رَجُلٍ ، وأنشد^(١) :

أَسْمِيَّ مَا يُدْرِيكَ أَنْ رَبَّ فِتْيَةٍ بَاكَرْتُ لَذَّتْهُمْ بِأَذْكَنَ مُتَرَعٍ^(٢)

وَيُسْكُنُونَ أَيْضاً فِي التَّخْفِيفِ فيقولون : رَبَّ رَجُلٍ ، وأنشد بيت الهذلي :

أَزْهَيْرُ إِنْ يَشِبُّ الْقَذَالُ فَإِنِّي^(٣) رَبُّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَقْتُ بِهِيْضَلٍ^(٤)

والهَيْضَلُ جماعة متسلِّحة ، قال : «ويقولون : رَبُّتُ بِسُكُونِ التَّاءِ ، وَرَبَّتُ بفتح الراء ، ومثله : رَبَّ وَرُبَّمَا وَرَبَّتَمَا» ، حكى ذلك قطرب^(٥) ، قال أبو علي : «من الحروف ما دخل عليه حرف التأنيث نحو : ثُمَّ تُمِتْ ، ولا ولات^(٦) . فأما معنى الآية فهو ما رواه أبو موسى أن النبي ﷺ قال : «إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لهم : أَلَسْتُمْ مسلمين ؟

(١) للحادرة أو الحويدرة ؛ واسمه قطبة بن أوس الذبياني (جاهلي) .

(٢) ديوان الحادرة ٥٦ ، وورد في المفضليات ٤٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٧١ / ٣ ، وعلل القراءات : ٢٩٣ / ١ ، وشرح اختيارات المفضل ٢٢٥ / ١ ، وورد بلا نسبة في إعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٤٠ ، وفيه : (سُخِرْتُمْ) بدل (لذتكم) ، المُنْصَف : (١٢٩ / ٣) وفيه : (ما أدراك) ، وفي الديوان وجميع المصادر ما عدا علل القراءات بدايته برواية : (فَسَمِيَّ) ، وهو تَرْخِيمٌ سُمِيَّةٌ . (باكرتُ لذتكم) أسرع إليهم لأمتعهم ، (الأدكن المترع) الزَّقُّ المليء بالخمر .

(٣) في المصادر جميعها - ما عدا الديوان والزَّجَّاج والطوسي وابن الجوزي - (فإنه) .

(٤) شرح أشعار الهذليين ١٠٧٠ ، وورد في تفسير الطوسي ٣١٦ / ٦ ، وأمالى ابن الشجري ٤٨ / ٣ ، وإيضاح شواهد الإيضاح ٢٨٧ / ١ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٨٠ / ٤ ، والخزانة ٥٣٧ / ٩ ، وورد غير منسوب في المحتسب : (ع) ٣٤٣ / ٢ ، وأمالى ابن الشجري ١٧٩ / ٢ ، والإنصاف ٢٤٧ ، وشرح المفضل ٣١ / ٨ ، والمتع في التصريف ٦٢٧ / ٢ ، والمقرب ٢٠٠ / ٨ ، ورصف المباني ١٤١ ، ٢٧٠ ، والخزانة ٥٣٥ / ٩ ، وفي الديوان وجميع المصادر - ما عدا تفسير ابن الجوزي والمقرب والرصف والخزانة - برواية (لَجِب) بدل (مَرِس) ولا يختلف المعنى . (زهير) مرَّحَمٌ زهيرة ، وهي ابنته ، (القذال) ما بين الأذن والقفأ ، (مَرِس) ذو مَرَّاسَةٍ وشدة ، (لَجِب) من قولهم جيشٌ لَجِبٌ ؛ عرمرم ، ذو جَلَبَةٍ وكثرة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٧١ / ٣ بتصرف يسير .

(٦) الحجة للقراء ٤١ / ٥ بنصه .

قالوا: بلى، قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية^(١)، وعلى هذا أكثر المفسرين؛ أبو العالية ومجاهد والسدي ومقاتل وغيرهم، قالوا: أنزلت في تمنى الكفار الإسلام عند خروج من يخرج من النار من أهل الإسلام^(٢)، قال حماد^(٣): «سألت إبراهيم عن هذه الآية فقال: إن الكفار يقولون لأهل التوحيد ما أغنى عنكم لا إله إلا الله، فيأمر الله الملائكة والنبيين فيشفعون لهم، فيخرجهم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢/٤٠٥ بنحوه، والطبري في تفسيره ٢/١٤ بنحوه، والحاكم في المستدرک ٢/٢٤٢ بنحوه، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في البعث ٩١، وأورده ابن كثير في تفسيره ٢/٦٠٠، ٦٠١ وعزاه إلى الطبراني لم أقف عليه وابن أبي حاتم، وأوده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤٥، قال وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال عنه أبو داود: متروك، وبقية رجاله ثقات، وأورده السيوطي في الدر ٤/١٧٢ وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وورد دون سند في تفسير البغوي ٤/٣٦٧، ٣٦٨، وابن الجوزي ٤/٣٨٠، والفخر الرازي ١٩/١٥٤ وهذا الحديث يدور على خالد بن نافع الأشعري، وهو ضعيف بل قال عنه أبو داود: متروك، ولم يوافق الذهبي على تركه، وقال: «هذا تجاوز فلا يستحق الترك»، وقد حدث عنه أحمد ومسدد، الميزان ٢/١٦٦، ومع ذلك فالحديث ضعيف بهذا الإسناد؛ لضعف خالد الأشعري، لكن له شواهد عن ابن عباس وأنس رضي الله عنهما - لذلك صحح الألباني الحديث في تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم ٢/٤٠٦.

(٢) تفسير مجاهد ٣٣٩ مختصراً، وأخرجه عبد الرزاق ٢/٣٤٥ بنحوه عن مجاهد، والطبري ١٤/٣ بمعناه عن مجاهد وأبي العالية، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٧ عن مجاهد، وتفسير السمرقندي ٢/٢١٤ عن مجاهد وأبي العالية، والطوسي ٦/٣١٧ عن مجاهد، وتفسير ابن الجوزي ٤/٣٨١ عن مجاهد وأبي العالية، وابن كثير ٢/٦٠٠، ٦٠١ عن مجاهد وأبي العالية، ولم أقف على القول في تفسير مقاتل ولا منسوباً إليه ولا إلى السدي.

(٣) حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، أحد الأعلام، ثقة عابد، روى عن قتادة وابن أبي مليكة وثابت، وروى عنه ابن المبارك ووكيع وابن مهدي، قال ابن معين: «إذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الإسلام»، مات سنة ١٦٧ هـ، والجرح والتعديل ٣/١٤٠، والكاشف ١/٣٤٩، وتقريب التهذيب ١٧٨ رقم (١٤٩٩).

من النار»^(١)، ونحو هذا قال ابن عباس في رواية عطاء^(٢)، وروى مجاهد عن ابن عباس قال: «ما يزال^(٣) الله تعالى يرحم ويدخل الجنة ويشفع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، قال فذلك حين يقول: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية»^(٤).

وقال الضحاك: «إذا احتضر الكافر وعلم أنه صائر إلى جهنم ودَّ أنه كان مسلماً»^(٥)، قال الزَّجَّاج: «والذي أراه - والله أعلم - أن الكافر لما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم، ودَّ لو كان مسلماً»^(٦). فإن قيل (رب) موضوعه للتقليل وهي في التقليل نظيرة^(٧) (كم) في التكثير، وإذا قال الرجل: ربما زارنا فلان، دلَّ (ربما) على تقليل الزيارة، وتمني الكافر الإسلام يكثر ويتصل فلا يشاكره ربما. قال ابن الأنباري: «هذا الكلام معناه من الله التهديد، والمعنى: أن هذا لو كان مما يتمنى مرة واحدة من الدهر لكانت المسارعة

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٥ بنحوه، والطبري ١٤/ ٢ بنصه وبنحوه بعدة روايات، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٤، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٥٥٨، والطبري ١٤/ ٥، والبيهقي في البعث ٨٩، كلهم من طريق القاسم بن الفضل، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١، والدر المنثور ٤/ ١٧٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٣) في (أ) و(د): (ما أنزل)، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٥ بنصه، من طريق عطاء بن السائب (صحيحة)، وأورده الثعلبي ٢/ ١٤٥ بنصه، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/ ٣٥١ وصححه، والبيهقي في البعث والنشور ٨٩ بنصه، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٨١، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٤، والشوكاني ٣/ ١٢٤ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وهناد السريّ وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٤ بنحوه، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٨١، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢، والحاظن ٣/ ٨٨.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٢ بنصه.

(٧) في الجميع: (نظرة)، والمثبت هو الصحيح وبه يستقيم المعنى.

إليه عند الإمكان واجبة ، فكيف والتمني له يتصل ويكثر^(١) ، وإنما خوطبت العرب في القرآن بما تعقله ، والرجل يتهدد صاحبه فيقول له : لعلك ستندم على فعلك ، وهو لا يشك في أنه يندم ، ويقول : ربما تندم على هذا ، وهو يعلم أنه يندم كثيراً ، ولكن مجازة أن هذا لو كان يخاف منه ندم قليل ، لكان تركه واجباً ، فكيف إذا لم يتيقن قلة الندم من جهته ؟ والدليل على أن هذا ورد في التهديد قوله بعده : ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا ﴾ الآية ، وهذا كله معنى قول الرّجّاج ، قال : «وجائز أن تكون أهوال القيامة تشغلهم عن التّمتّي ، فإذا أفاقوا من سكرة من سكرات العذاب ودّوا ذلك»^(٢) ، وعبر بعض أهل المعاني عن هذين الجوابين بعبارة وجيزة ؛ فقال في الجواب الأول : التقليل أبلغ في التهديد ، كما يقول : ربما ندمت على هذا ، وهو يعلم أنه يندم ندماً طويلاً ؛ أي يكفيك قليل الندم فكيف كثيراً ، وقال في الجواب الثاني : إنه يشغلهم العذاب عن تمني ذاك إلا في القليل^(٣) ، قال أبو إسحاق : «ومن قال إن (رُبَّ) يُعْنَى بها الكثير ، فهو ضد ما يعرفه أهل اللغة»^(٤) .

٣. قوله تعالى : ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ يقول : دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم ، فتلك خلاقتهم ، ولا خلاق لهم في الآخرة ، وقال صاحب النظم : «المعنى ذرهم ولا تدع عليهم فيهلكوا»^(٥) ، وإذا تركهم خاضوا ولعبوا وأكلوا وتمتعوا ، وهذا كقوله : ﴿ يَخُونُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ [الزخرف : ٨٣] .

(١) تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٨٢ ، وورد هذا المعنى في تفسير الزمخشري ٢ / ٣١٠ ، والبيضاوي ١ / ٢٦٧ ، وابن جزي ٢ / ١٤٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٧٢ بتصرف .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٥٣ ، والخازن ٣ / ٨٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٧٣ بنصه .

(٥) وهو قول غريب لم أجده أحدًا من المفسرين قال به ، ووجه الغرابة أنه ثبت دعاؤه على الكفار في بعض المناسبات .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ ﴾ يقال : لَهَيْتُ عن ^(١) الشيء أَلْهَى لُهِيًا ^(٢) ، وجاء في الحديث : «إن ابن الزبير كان إذا سمع صوت الرعد لَهِيَ عن ^(٣) حديثه» ^(٤) قال الكسائي والأصمعي : «أي تركه وأعرض عنه» ، وكل شيء تركته فقد لَهَيْتَ عنه ^(٥) ، وأنشد ابن الأعرابي :

صَرَمْتُ جِبَالَكَ فَالَهُ عَنْهَا زَيْنَبُ وَلَقَدْ أَطْلَتَ عِتَابَهَا لَوْ تُعْتَبُ ^(٦)

ويقال : ألهاه الشيء ؛ أي شغله وأنساه وحمله على الترك والإعراض ، قال المفسرون في قوله : ﴿ وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ ﴾ يشغلهم الأمل عن الأخذ بحظهم من الإيثار والطاعة ^(٧) ، ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ ؛ أي فسوف يعلمون إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا .

-
- (١) في النسخ جميعها (من) والمثبت هو الصحيح وموافق لجميع المصادر .
 (٢) جبهة اللغة ٩٩١ / ٢ ، وتهذيب اللغة (لهي) ٣٣٠٤ / ٤ ، والصحاح (لها) ٢٤٨٨ / ٦ ، وتفسير الفخر الرازي ١٥٤ / ١٩ .
 (٣) في النسخ جميعها : (من) ، والمثبت هو الصحيح وموافق لجميع المصادر .
 (٤) لم أجده في كتب السنة ، وورد في تهذيب اللغة (لهي) ٣٣٠٤ / ٤ ، والصحاح (لها) ٢٤٨٨ / ٦ ، وتفسير الفخر الرازي ١٥٥ / ١٩ .
 (٥) المصادر السابقة .
 (٦) ورد غير منسوب في تهذيب اللغة (لهي) ٣٣٠٤ / ٤ ، وتفسير الفخر الرازي ١٥٥ / ١٩ .
 (٧) ورد في تفسير الطبري ٥ / ١٤ بنحوه ، والثعلبي ١٤٥ / ٢ بـ بنصه ، وتفسير البغوي ٣٦٨ / ٤ ، وابن الجوزي ٣٨٢ / ٤ ، والفخر الرازي ١٥٥ / ١٩ ، والخازن ٨٨ / ٣ .

٤. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس: «يريد من أهل قرية»^(١)، ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ يريد أجل ينتهون إليه، يعني أن لأهل كل قرية أجلاً مؤقتاً قد كتب لهم، لا نهلكهم حتى يبلغوه، نزلت هذه الآية حين استعجلوه بالعذاب^(٢)، ألا ترى أن بعد هذه الآية قوله: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ الآية.

قال الفراء: «للم يكن في (ولها) الواو كان صواباً؛ كما قال في موضع آخر: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] وهو كما تقول في الكلام: ما رأيت أحداً إلا وعليه ثياب، وإن شئت: إلا عليه ثياب»^(٣).

قال صاحب النظم: «والفرق بينهما أن دخول الواو يقلب حال ما بعدها إلى الابتداء، وخروجها منه يدل على أن ما بعدها في موضع حال، اعتباراً بقولك: ما أهلكنا من قرية إلا ظالماً أهلها، فيكون نصباً على الحال، فإذا دخلت الواو قلت: إلا وأهلها ظالمون، فقلبت الواو الحال^(٤) إلى أن جعلتها مبتدأة، فانقلبت رفعاً عن النصب»، وهذا فرق من حيث اللفظ، والمعنى واحد، أثبت الواو أو حذفها.

(١) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٤ بنصه، وتنوير المقباس ٢٧٦، وورد بلا نسبة في تفسير

البغوي ٤/ ٣٦٩، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٢.

(٢) لم يورده المؤلف في كتابه أسباب النزول، ولم أقف عليه في كتب الفن أو التفاسير.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٨٣ بنصه.

(٤) ساقطة من (د).

٥. قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ (من) زائدة مؤكدة كقولك : ما جاءني من أحد ، ﴿ أَجَلَهَا ﴾ : ما ضرب لها من الوقت ، قال ابن عباس : « يريد ما تتقدم الوقت الذي وُقت لها » ، ﴿ وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾ : لا يتأخرون عنه ، وهذا كقوله : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [الأعراف : ٣٤] الآية ، وقد مرَّ .

قال صاحب النظم : « معنی سَبَقَ إذا كان واقعاً على شخص ، جاز وخَلَفَ ، كقولك : سبق زيدٌ عمراً ؛ أي جازه وخلفه وراءه فاستأخر ، معناه قصر عنه ولم يبلغه ، وإذا كان واقعاً على زمان كان بالعكس من هذا ؛ كقولك : سبق فلانٌ الحولَ وعامٌ كذا ؛ أي مضى قبل إتيانه ولم يبلغه ، ومعنى : استأخر عنه ؛ أي جازه وخلفه وراءه » ، فقوله : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ ؛ أي لا تقصر عنه فلا تبلغه ؛ بأن تهلك قبل بلوغ الأجل ، ﴿ وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾ ؛ أي ما يتجاوزونه ويتأخر الأجل عنهم .

وقال الفرّاء في هذه الآية : « لم يقل : تستأخر ؛ لأن الأمة لفظها مؤنث ، فأخرج أول الكلام على تأنيثها وآخره على معنى الرجال »^(١) ، قال الكسائي : « رجع إلى الجماع لأنه رأس آية ، والآيات على النون ، وتقول : انطلقت العشيرة ففعلت ، وفعلوا ، كلُّ صواب »^(٢) .

٦. قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ ؛ أي القرآن ، قال ابن عباس في رواية عطاء : « هذا استهزاء منهم ؛ لو أيقنوا أنه نزل عليه الذكر ما قالوا : إنك لمجنون »^(٣) ، ولكنهم استهزؤوا ، كما قال

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ٨٤ بنصه .

(٢) لم أقف على قوله .

(٣) تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٨٣ ، وورد بمعناه غير منسوب في تفسير البغوي ٤ / ٣٦٩ ، والزنجشري ٢ / ٣١٠ ، والفخر الرازي ١٩ / ١٥٨ ، وتفسير القرطبي ٩ / ٤ .

قوم شعيب لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].
 وذكر أبو علي وجهاً آخر هو لأصحاب المعاني فقال: «الذين يقولون
 للنبي ﷺ مجنون لا يقرون بإنزال الذكر عليه، فهذا على ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي
 نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ عنده وعند من تبعه، كما قال تعالى: ﴿دُقْ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]؛ أي عند نفسك، وكما أخبر عن
 السحرة: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ومن آمن
 من السحرة لا يعتقدون فيه أنه ساحر، وإنما التقدير^(١) في ما يذهب إليه
 فرعون وقومه، أو في ما يظهرون من ذلك، وقد قال زهرة اليمن^(٢):

أَبْلُغْ كُلِّيًّا وَأَبْلُغْ عَنْكَ شَاعِرَهَا أَنِّي الْأَغَرُّ وَأَنِّي زَهْرَةُ الْيَمَنِ^(٣)
 (وأجابه جرير:

أَلَمْ يَكُنْ فِي وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بِهَا مَنْ حَانَ مَوْعِظَةٌ يَزَهْرَةُ الْيَمَنِ^(٤)^(٥)

(١) من قوله: (ادع لنا ربك) حتى هذا الموضع، ساقط من (أ) و(د).

(٢) وفي الخصائص أنه لبعض اليمانية، ولم أقف عليه.

(٣) ورد البيت في المسائل الحلبية ٨٢، ١٦١، والخصائص ٢/٤٦١، وسر صناعة الإعراب ١/٤٠٥،
 وتفسير ابن عطية ١٣/٢٨٧، وأبي حيان ٨/٤٠، والدر المصون ٩/٦٢٩، وبلا نسبة في المسائل
 العسكرية ٩٤.

(٤) ديوان جرير ٤٦٧، وليس فيه الشاهد لأنه برواية (با حارث اليمن)، وورد في المسائل الحلبية ٨٢،
 ١٦٢، المسائل العسكرية ٩٤، والخصائص ٢/٤٦١، وسر صناعة الإعراب ١/٤٠٥، وتفسير
 ابن عطية ١٣/٢٨٧، وأبي حيان ٨/٤٠، والدر المصون ٩/٦٢٩، وفي الأخيرين برواية (كان) بدل
 (حان)، (وسوم) جمع وسم، وهو أثر الكي بالنار، والمراد الأثر السيء الناتج عن هجائه، (حان) أي
 هلك. ومعناه: ألم تكن لك موعظة في الشعر الذي هجوتك به من قبل فكان كالنار التي أكويك بها
 وأقضي عليك يا من تسمي نفسك زهرة اليمن، والشاهد: قوله: (يا زهرة اليمن) أي يا من سمي
 نفسه زهرة اليمن، ولست عندي كذلك.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د).

يعني : عند نفسك ، لا أنه سَلَّمَ^(١) له هذه التسمية .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ يقال : جُنَّ فلان فهو مجنون ، وقد أَجَنَّهُ الله ، وبه جنون وجَنَّةً ومَجَنَّةً ، وأصله من الستر ، ومنه قيل للنبت الملتف مجنون ؛ لأن بعضه يستر بعضاً^(٢) ، وهذا الحرف مذكور في ما سبق .

٧ . وقوله تعالى : ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ قال الفراء والزجاج : «(لولا) و (لوما) لغتان معناهما : هلا»^(٣) ، وذكرنا الكلام في (لولا) قبل هذا ، و(لوما) لغة فيه ، ويستعملان في الخبر والاستفهام ، فالخبرُ مثْلُ قولك : لولا أنت لفعلت كذا ، ومنه قوله : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] والاستفهام كقوله : ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨] وكهذه الآية ، هذا قول الفراء ، قال : «(ولوما) الميم فيه بدل من اللام في (لولا) ، ومثله : استولى على الشيء ، واستومى عليه»^(٤) ، ومثله ما حكاها الأصمعي من قولهم : خالمته وخاللته ، إذا صادفته ، وهو خِلِّي وخِلْمِي^(٥) ، وقال عبيد :

لَوْ مَا عَلَى حُجْرِ ابْنِ أُمٍّ قَطَامٍ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا^(٦)

(١) في النسخ جميعها : (سلمه) وقد أدى إلى اضطراب المعنى ، والمثبت هو الصحيح ، ولعله من تصحيف النساخ .

(٢) جهرة اللغة ٩٢/١ ، و(جنن) في المحيط في اللغة ٦/٤٠٩ ، والصحاح ٥/٢٠٩٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٨٤ بنحوه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/١٧٣ بمعناه ، وانظر : معاني الحروف للرماني ١٢٤ .

(٤) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسير الفخر الرازي ١٩/١٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/٤ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (ولي) ٤/٣٩٥٨ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/١٥٩ ، واللسان (ولي) ٨/٤٩٢٤ ، والدر المصون ٧/١٤٤ .

(٦) ورد في الشعر والشعراء ١٦٦ ، والأغاني ٢٢/٨٨ برواية ليس فيها الشاهد ، وهي : هَلَا عَلَى حُجْرِ ابْنِ أُمٍّ قَطَامٍ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا وورد بهذه الرواية البيت في تهذيب اللغة (ولي) ٤/٣٩٥٨ ، واللسان (ولي) ٨/٤٩٢٤ .

وهذا في الاستفهام ، وقال ابن مقبل في الخبر :

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمْ بَبَعْضِ مَا فِيكُمْ إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي^(١)

قال ابن عباس : «يريد لولا^(٢) جئتنا بالملائكة حتى نصدقك»^(٣).

٨. قوله تعالى : ﴿ مَا نُنْزِلُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ هذا جواب لقولهم : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ ﴾ يقول الله تعالى : ما نزل الملائكة إلا بالعذاب ، قاله ابن عباس^(٤) ، وقال أبو إسحاق : «أي إنما^(٥) تنزل بآجال أو بوحى من الله»^(٦) ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ الآية [الأنعام: ٨].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد إذا نزلت الملائكة لم ينظروا ؛ أي لم يمهلوا»^(٧) ، ونحوه قال الزَّجَّاج : «أي لو نزلت الملائكة

(١) ديوانه ٧٦ وفيه : (لولا) بدل (لوما) في المرتين ، وليس في رواية الديوان الشاهد ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٦ ، وتفسير الطبري ٦/ ١٤ ، والثعلبي ٢/ ١٤٥ ب ، والطوسي ٦/ ٣١٩ ، والزنجشري ٢/ ٣١٠ ، وابن عطية ٨/ ٢٨٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٣ ، وتفسير القرطبي ١/ ٤ ، واللسان (بعض) ١/ ٣١٣ ، وفي النسخ جميعها (فوري) بدل (عوري) ولم يظهر لي المعنى به ، ولعلها تصحفت ، خاصة أنه في الديوان وجميع المصادر (عوري) .

(٢) (يريد لولا) ساقط من (أ) و(د) .

(٣) تنوير المقباس ٢٧٦ بمعناه ، وورد غير منسوب بمعناه في تفسير الطبري ١٤/ ٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والزنجشري ٢/ ٣١٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٣ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٤ بمعناه ، وتنوير المقباس ٢٧٦ بمعناه ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والخازن ٣/ ٨٩ .

(٥) في النسخ جميعها : (ما إن) ، والتصويب من المصدر .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٣ نصه .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٤٥ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧٦ بمعناه ، وغير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥ ، والماوردي ٣/ ١٤٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٩ ، والزنجشري ٢/ ٣١١ ، وابن عطية ٨/ ٢٨٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤ ، والخازن ٣/ ٨٩ .

لم ينظروا ، وانقطعت التوبات»^(١) ، يريد أن التكليف يزول ويسقط عند عيان الغيب .

وقال صاحب النظم : «أي إذا نزل الملك وجب العذاب من غير تأخير ولا انتظار إذا لم يؤمنوا ، وذلك أن تأويل (إذا) من كلمتين من (إذ) وهو اسم بمنزلة حين ، ألا ترى أنك تقول : أتيتك إذ جئتني ، ثم ضم إليها (أن) بضم إذ أن ، إلا أنهم استثقلوا الهمزة فحذفوها ، ومجيء (أن) دليل على إضمار فعل بعده على تأويل : وما كانوا إذ أن كان ما طلبوا»^(٢) ، وذكرنا الكلام في (إذا) عند قوله : ﴿ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ ﴾^(٣) [النساء: ٥٣] .

٩ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ﴾ قال ابن عباس : «يريد نفسه تبارك وتعالى» .

قال أهل اللغة : هذا من كلام الملوك ؛ الواحد منهم إذا فعل شيئاً قال : نحن فعلنا ، يريد نفسه وأتباعه ، ثم صار هذا عادة للملوك في الخطاب ، وإن انفرد بفعل الشيء قال : نحن فعلنا ، فخطبت العرب بما تفعل من كلامها^(٤) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٣/٣ بنصه .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٥٩/١٩ ، وصديق خان ١٤٨/٧ .

(٣) انظر : البسيط ، [النساء: ٥٣] . ومن آية [٤٢] إلى آية [٥٣] ساقط من النسخ ، والكلام عن (إذا) من الجزء الساقط .

(٤) تفسير ابن الجوزي ٣٨٤/٤ .

وقوله تعالى : ﴿ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن في قول عامة المفسرين ^(١) ، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ قال قتادة : « أنزله الله وحفظه من أن يزيد الشيطان فيه باطلاً أو يسقط منه حقاً » ^(٢) .

ونحو هذا قال أبو إسحاق : « أن يحفظ من أن يقع فيه زيادة أو نقصان » ، كما قال عز وجل : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ ^(٣) [فصلت : ٤٢] .

فإن قيل : لم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في الصحف ، وقد وعد الله حفظه ، وما حفظه الله ^(٤) فلا خوف عليه ؟

الجواب أن يقال : جُمِعَ لهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله إياه ، ولما أراد حفظه قيضهم لذلك ، وقال ابن الأنباري : « إنهم أرادوا تسهيل القرآن على الناس وتقريب مطلبه بالذي فعلوه ، لكي يسهل تناوله على من أراد حفظه وقراءته إذا رآه مجموعاً في صحيفة ، ولو لم يفعلوا ما كان يضيع إذ ^(٥) ضمن الله حفظه » .

قال أصحابنا : هذه الآية دلالة قوية على كون التسمية آية من كل سورة ^(٦) ؛ لأن الله تعالى قد وعد حفظ القرآن ، وحقيقة حفظه أن يحفظه من الزيادة والنقصان

(١) ورد بنصه في تفسير الطبري ٧/١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/٢١٥ ، والماوردي ٣/١٤٩ ، وتفسير

البغوي ٣/٤٤ ، وابن الجوزي ٤/٣٨٤ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/٣٤٥ بنصه ، والطبري ٨/١٤ بنصه ، وورد بنصه تقريباً في تفسير السمرقندي

٢/٢١٥ ، والطوسي ٦/٣٢٠ ، والماوردي ٣/١٤٩ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٣٨٤ ، وتفسير

القرطبي ١٠/٥ ، والدر المنثور ٤/١٧٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٧٤ بنصه .

(٤) وما حفظه الله ساقط من (أ) و(د) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٥) في (أ) و(د) : (إن) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٦) بين العلماء في مسألة البسمة اتفاق واختلاف ؛ اتفقوا جميعاً على أنها جزء من آية سورة النمل ،

واختلفوا هل هي آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ على ثلاثة أقوال ؛ طرفان ووسط : فذهب

الحنفية إلى أنها آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور ، وليست من الفاتحة ، وذهب المالكية إلى أنها =

على ما بيّنا ، فمن لم يجعل التسمية من القرآن لم يجعل القرآن محفوظاً عن الزيادة ، ولو جاز أن يُظنَّ بالصحابة أنهم زادوا التسمية جاز أن يظن بهم النقصان أيضاً ، وهذا يؤدي إلى الإلحاد ، وحكى الفراء جواز رجوع الكناية في (له) إلى محمد ﷺ المعنى : وإنا لمحمد حافظون^(١) .

قال ابن الأنباري : «ولمَّا ذَكَرَ الْإِنْزَالَ وَالْمُنْزَلَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ ، فَكُنِيَ عَنْهُ كَمَا كُنِيَ عَنِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] من غير أن يتقدم ذكره لمثل هذه العلة» ، وقال : «والقول الأول هو أوضح القولين ، وأحسنها مشابهة لظاهر التنزيل ، والله أعلم» .

١٠ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أي رسلاً ، فُحذف لدلالة الإرسال عليه ، ﴿ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد في الأمم الأولين»^(٢) ، ونحوه قال قتادة^(٣) في تفسير الشيع ، وقال الحسن

ليست آية لا من الفاتحة ولا من بداية السور ، وذهب الشافعية إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ، وهو ما أشار إليه الواحدي رحمه الله ، واختلفت الرواية عن أحمد ؛ فرويت عنه الأقوال الثلاثة كما في المغني ١٥١/٢ ، ١٥٢ ، وما ذكره الحنفية أرجح وتجتمع عنده الأدلة . انظر : تفصيل المسألة مع أدلة كل فريق في تفسير الجصاص ٨/١ ، وابن العربي ٢/١ ، والفخر الرازي ١٩٤/١ ، وتفسير القرطبي ٩٣/١ ، والألويسي ٣٩/١ ، تفسير آيات الأحكام للصابوني ٤٧/١ .

(١) معاني القرآن للفراء ٨٥/٢ بنصه ، وانظر : تفسير الطبري ٧/١٤ ، والسمرقندي ٢/٢١٥ ، وتفسير البغوي ٤/٣٧٠ .

(٢) أخرجه الطبري ٨/١٤ بلفظه ، من طريق علي بن أبي طلحة أصح الطرق ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٥ بـ بنحوه ، والطوسي ٦/٣٢٠ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٧٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وورد بلا نسبة في تفسير البغوي ٤/٣٧٠ ، والفخر الرازي ١٩/١٦٢ .

(٣) أخرجه الطبري ٨/١٤ بلفظه ، وورد في الثعلبي ٢/١٤٥ بلفظه ، والطوسي ٦/٣٢٠ بنحوه ، وورد غير منسوب في تفسير البغوي ٤/٣٧٠ ، والفخر الرازي ١٩/١٦٢ .

والكلبي: «فرق»^(١)، واختاره الزَّجَّاج^(٢)، قال الفرَّاء: «الشيع التَّبَاع، واحدٌ شيعَة، وشيعة الرجل أتباعه، والشيعَة الأمة التابعة بعضهم بعضاً في ما يجتمعون عليه من أمر»^(٣)، وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله: ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]. قال الفرَّاء: «وقوله: ﴿شَيْعَ الْأَوَّلِينَ﴾ إضافة الشيء إلى نفسه كقوله: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾»^(٤) [الواقعة: ٩٥].

١١. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قال ابن عباس: «يُعْزِي نبيه ﷺ وَيُصْبِرُهُ»^(٥)، يريد كما استهزأ بك قومك بعد طول إكرامهم لك، قال أهل المعاني: وإنما حمل الأمم على الاستهزاء استبعاد ما دُعوا إليه، والاستيحاش منه والاستنكار له، حتى توهّموا أنه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما كان عليه الأسلاف^(٦)؛ وذلك أنهم تعجلوا الراحة بإسقاط النظر عن أنفسهم، والتفكير في ما أورده الرسول من المعجزات ليدلهم على الحق، وفي هذه الآية دليل على أن كلّ واحدٍ من الرسل كان مبتلى بطائفة من المشركين، وما خلصت لرسول دعوة من الاستهزاء والتكبر.

- (١) ورد منسوباً إلى الحسن فقط في تفسير الثعلبي ١٤٥/٢ بلفظه، وتفسير القرطبي ٦/١٠، ونسب إلى الحسن والكلبي في تفسيره الوسيط، تحقيق سيبسي ٣٤٥/٢، والألوسي ١٧/١٤.
- (٢) معاني القرآن وإعرابه ١٧٤/٣ بلفظه.
- (٣) لم أجدّه في معانيه، وورد بنحوه منسوباً إلى الفرَّاء في تفسيره الوسيط، تحقيق سيبسي ٣٤٥/٢، وتفسير ابن الجوزي ٣٨٥/٤، والفخر الرازي ١٦٢/١٩، والحازن ٩٠/٣، والشوكاني ١٧٥/٣، وصديق خان ١٥٠/٧، وتهذيب اللغة (شاع) ١٨٠٧/٢، و(شيع) في المحكم ١٥٤/٢، والمصباح ٣٩٠/١.
- (٤) تفسير الفخر الرازي ١٦٢/١٩، وتفسير أبي حيان ٤٤٧/٥، والثعالبي ٢٠٨/٢.
- (٥) ورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ١٤٥/٢ بلفظه، وتفسير البغوي ٣٧٠/٤، وابن الجوزي ٣٨٥/٤، وتفسير القرطبي ٧/١٠.
- (٦) ورد في تفسير الطوسي ٣٢١/٦ بنصه تقريباً.

١٢. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسُكُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ، السَّلْكُ إدخال الشيء في الشيء ، كإدخال الخيط في المخيط ، والرمح في المطعون^(١) .

وقال الليث: «الله يسلك الكفار في جهنم؛ أي يدخلهم فيها»^(٢) ، ومن هذا قوله: ﴿مَاسَكِكُمْ﴾ [المدثر: ٤٢] وكل شيء أدخلته في شيء فقد سلكته فيه ، قال عديّ :

وَكُنْتُ لِرِزَازِ خَضَمِكَ لَمْ أَعْرِدْ وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ^(٣)

وذكر أبو عبيدة وأبو عبيد : سلكته وأسلكته بمعنى^(٤) ، وينشد بيت الهذلي :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي فُتَاتِهِمْ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا^(٥)

(١) انظر : تهذيب اللغة (سلك) ١٧٣٨/٢ ، والصحاح ١٥٩١/٤ ، واللسان ٢٠٧٣/٤ .
وانظر : تفسير الزمخشري ٣١١/٢ ، والرازي ١٦٢/١٩ ، والقرطبي ٧/١٠ ، والبيضاوي ٢٦٧/١ ،
والخازن ٩٠/٣ ، والدر المصون ١٤٨/٧ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (سلك) ١٧٣٩/٢ بنصه .
(٣) ورد في تفسير الطبري ٩/١٤ ، والأغاني ١٠٣/٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٤٦/٢ ، والطوسي ٣٢١/٦ ،
وابن عطية ٣٥٨/٧ ، وتفسير القرطبي ٧/١٠ (عجز) ، واللسان (سلك) ٤٤٢/١٠ ، وغير
منسوب في الدر المصون ١٤٨/٧ . (اللزاز) ما يترس به الباب ، (العرد) الشديد من كل شيء الصلب
المنتصب ، وعرد الرجل تعريداً أي فَرَّ ، والمعنى : أي كنت إلى جانبك - يخاطب النعمان - أمنع عنك
حتى في الأوقات العصيبة ، ولم أحجم ولم أراجع .

(٤) مجاز القرآن ٣٤٧/١ ، بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة (سلك) ١٧٣٩/٢ بنصه عن أبي عبيد ، وانظر :
جمهرة اللغة ٨٥٤/٢ .

(٥) شرح أشعار الهذليين ٦٧٥/٢ ، ومجاز القرآن ٣٧/١ ، وجمهرة اللغة ٨٥٤/٢ ، والصحاح (سلك)
١٥٩١/٤ ، والاقطصاب ٤٠٢ ، وأمالى ابن الشجري ٣٠/٣ ، والإنصاف ٣٦٩ ، وتفسير القرطبي
١١٩/١٢ ، واللسان (قتد) ٣٥٢٥/٦ ، و(سلك) ٢٠٧٣/٤ ، والخزانة ٣٩/٧ ، وورد منسوباً إلى
ابن أحرر في تهذيب اللغة (سلك) ١٧٣٩/٢ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ٩/١٤ ، وجمهرة
اللغة ٣٩١/١ ، ٤٩١ ، والمخصص ١٠١/١٦ ، وتفسير الطوسي ٣٢٢/٦ ، وأمالى ابن الشجري
١٢٢/٢ ، وتفسير ابن عطية ٢٨٧/٨ ، والدر المصون ١٤٨/٧ ، ومعجم البلدان ٣١٠/٤ .

بالوجهين ، وقد حقق ابن عباس هذا التفسير فقال : «يريد يسلك الشرك في قلوب المكذبين ، كما يسلك الخرزة في الخيط» .

وقال أبو إسحاق : «أي كما فعلَ بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدّم من الرُّسُل ، كذلك نَسَلُكُ الضلال في قلوب المجرمين»^(١) .

واختلفوا في المُكَنَّى في قوله : ﴿ نَسَلُكُهُ ﴾ ؛ فذكر ابن عباس : «الشرك»^(٢) ، وهو قول الحسن^(٣) ، وذكر الزجاج : «الضلال»^(٤) . وقال الربيع : «يعني [الاستهزاء]»^(٥) . وقال الفرّاء : «يعني التكذيب بالعذاب»^(٦) .

قال صاحب النظم : «الهاء كناية عن الاستهزاء»^(٧) ودلّ عليه الفعل ؛ كقولهم : من كذب كان شراً له ، والفعل يدل على المصدر ؛ كقوله : ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧] ؛ أي الشكر ، فأضمره لدلالة الفعل عليه ، وذكرنا مثل

وفي الديوان وجميع المصادر برواية (قُتائِدَة) وهي ثنية مشهورة ، (شَلًّا) معناه الطرد ، (الجمالة) أصحاب الجمال ، (الشُّردا) جمع شارد ، وهي الإبل النافرة ، قال ابن السيد : «إنه وصف قومًا هزُمُوا حتى أُلجئُوا إلى الدخول في قتائد ؛ وهي ثنية ضيقة» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٤ / ٣ بنصه .

(٢) تفسير ابن الجوزي ٣٨٥ / ٤ ، وصديق خان ١٥١ / ٧ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٥ / ٢ بلفظه ، والطبري ٩ / ١٤ بلفظه ، وتفسير ابن الجوزي ٣٨٥ / ٤ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٧ وابن كثير ٦٠٢ / ٢ ، والدر المنثور ١٧٦ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وصديق خان ١٥١ / ٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٧٤ / ٣ بلفظه .

(٥) لم أقف عليه منسوباً له ، ونُسب إلى قتادة في تفسير الماوردي ١٥٠ / ٣ ، وابن الجوزي ٣٨٥ / ٤ ، وورد غير منسوب في تفسير ابن عطية ٢٨٧ / ٨ ، والفخر الرازي ١٦٣ / ١٩ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٧ ، والدر المصون ١٤٧ / ٧ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٨٥ / ٢ بلفظه .

(٧) ما بين المعقوفين من (ش) و(ع) .

هذا كثيراً ، وأما ما ذكر المفسرون من الشرك والتكذيب والضلال فكلُّه داخل في الاستهزاء ، وهو من معاني الاستهزاء .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ إيماء بهذا التشبيه إلى ما كان منهم من الكفر والاستهزاء ، قال : وهذه آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند .

وقال أصحابنا : أضاف الله تعالى إلى نفسه سَلَكَ الكفر في قلوب الكفار ، وحَسُنَ ذلك منه ، فمن آمن بالقرآن فليستحسنه^(١) ، وأراد بالمجرمين المشركين الذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ .

(١) يَرُدُّ الواحدي - رحمه الله - بقوله هذا على المعتزلة القائلين بالتحسين والتقيح العقليين ، وهي من المسائل المشهورة التي اشتهد فيها النزاع بين المعتزلة والأشاعرة ، وقد وقع الفريقان في طرقي النقيض وجانب الصواب في المسألة ، على النحو الآتي : ذهب المعتزلة إلى أن العقل قد يُعلم به حُسْن كثير من الأفعال وقُبْحُها ، ومقتضى ذلك أن يكون فاعل القبيح أو تارك الحسن آثم ومعاقب في الآخرة ولو لم يرد شرع بذلك ، فيستحق العذاب لمجرد مخالفته العقل . انظر : المحصول في علم أصول الفقه ١/ ١٦٠ ، ومجموع الفتاوى ١١/ ٦٧٧ ، والمواقف في علم الكلام ٣٢٣-٣٢٦ .

وذهب الأشاعرة إلى النقيض ؛ فقالوا : إن العقل لا يُعلم به حُسْن الفعل ولا قبيحه ؛ ولذا فلا يثبت عندهم حسن ولا قبح قبل ورود الشرع ، وعليه فالقبيح ما قيل : لا تفعل ، والحسن ما قيل فيه : افعل ، أو ما أذن في فعله .

الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠١ ، ومجموع الفتاوى ١١/ ٦٧٧ ، والمواقف في علم الكلام ٣٢٧ .

وقد بينَّ شيخ الإسلام ابن تيمية منشأ الغلط عند الفريقين ، فقال : «إن الطائفتين اتفقوا على أن الحسن والقبح باعتبار الملاءمة والمنافرة قد يعلم بالعقل ، وهذا الذي اتفقوا عليه حق ، لكن توهموا بعد هذا أن الحسن والقبح الشرعيَّ خارج عن ذلك ، وليس الأمر كذلك ، بل هو في الحقيقة يعود إلى ذلك ، لكنَّ الشارع عرَّفَ بالوجود ، وأثبت المفقود ، فتحسينه : إمَّا كشفٌ وبيان ، وإمَّا إثباتٌ لأُمور في الأفعال والأعيان» .

انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٢٢ ، ومجموع الفتاوى ٨/ ٩٠ .

أما المذهب الحق في هذه المسألة فقد بينه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال : «وعامة السلف وأكثر المسلمين على أن الظلم والشرك والكذب والفواحش ونحوها سيئٌ وقبيحٌ قبل مجيء الرسول ، لكن العقوبة لا تستحق إلا بمجيء الرسول ، وعليه يدل الكتاب والسنة ؛ فإن فيها بيان أن ما عليه الكفار هو شرٌّ وقبيحٌ ، وسيئٌ قبل الرسل ، وإن كانوا لا يستحقون العقوبة إلا بالرسول» . انظر : مجموع =

١٣. قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ هذا عند الزَّجَّاج ابتداء كلام؛ كأن الله تعالى أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون^(١).

وقال الجرجاني: «قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ رفع موضعه نصب على تأويل أن لا يؤمنوا به، و(أن) الخفيفة تضر، فإذا أضمرت لم تعمل؛ كقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]»، فعلى هذا قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفسير للكناية في قوله: ﴿نَسَلُكُهُ﴾؛ كأنه قيل: نسلك في قلوب المجرمين ألا يؤمنوا به، فلما كفَّ ذِكْرُ (أن) عاد الفعل إلى الرفع، وهذا معنى قول الفراء؛ لأنه قال: «يجعل في قلوبهم ألا يؤمنوا»^(٢)، والكناية في (به) تعود إلى الذكر؛ الذي هو القرآن في قول ابن عباس^(٣)، وفي قول غيره يجوز أن تعود إلى الرسول^(٤)، ونظير هاتين الآيتين في المعنى واللفظ قوله في الشعراء: ﴿كَذَلِكَ سَلَكَتْهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿[الشعراء: ٢٠١، ٢٠٢]».

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، المفسرون على أن هذا تهديد لكفار مكة^(٥)؛ يقول: قد مضت سنة الله بإهلاك من كذب الرسول في القرون الماضية.

الفتاوى ٨/ ٩٠، ١١/ ٦٧٧، أصول الدين للبغدادى ٢٠٥. وفي هذه الآية ينفي المعتزلة سلك الله الكفر في قلوب الكافرين، بناءً على أصلهم هذا. انظر: كلام القاضي عبد الجبار على الآية في تفسيره متشابه القرآن ٤٢٥.

- (١) ليس في معانيه.
- (٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٨٥ بنصه.
- (٣) تنوير المقياس ٢٧٦ ونُسب إليه القولان؛ هذا والذي بعده، وورد غير منسوب في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٠، والبغوي ٤/ ٣٧٠ وابن عطية ٨/ ٢٨٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٥، والحاظن ٣/ ٩٠، والدر المنثور، والثعالبي ٢/ ٢٠٨.
- (٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٥، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠، وابن الجوزي ٤/ ٣٨٥، والحاظن ٣/ ٩٠، والدر المصون ٧/ ١٤٧.
- (٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٦، أ، بمعناه، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٠، والزحشري ٢/ ٣١١، والفخر الرازي ١٩/ ١٦٥، والحاظن ٣/ ٩٠.

وقال أبو إسحاق : «أي قد مضت سُنَّةُ الأولين بمثل ما فعله هؤلاء ، فهم يقتفون آثارهم في الكفر»^(١) ، وهذا أليق بظاهر اللفظ^(٢) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا ﴾ يقال : ظل فلان نهاره يفعل كذا ، إذا فعله بالنهار ، ولا تقول العرب : ظل يظل إلا لكل عمل بالنهار ، كما لا يقولون : بات [بييت ، إلا بالليل ، والمصدر]^(٣) الظلول ، فأما حذف إحدى اللامين فإنه جائز ، وسنذكر اللغة فيه عند قوله : ﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [طه : ٩٧] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ يقال : عرج يَعْرُجُ عُرُوجًا ، ومنه المعارج وهي المصاعد التي يصعد فيها ، وفي هذه الآية قولان للمفسرين ؛ أحدهما : أن قوله : ﴿ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ من صفة المشركين .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «فطفقوا فيه يصعدون ، يريد ينظرون فيه إلى ملكوت الله وقدرته وسلطانه ، وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون»^(٤) ، وهذا أيضاً قول الحسن ؛ قال : «هذا العروج راجع إلى بني آدم ؛ يعني فظل هؤلاء الكافرون فيه يعرجون»^(٥) .

وشرح أبو بكر هذا القول فقال : «معناه لو وَصَّلْنَا هؤلاء المعاندين للحق إلى صعود السماء الذي يزول معه كل شبهة لم يستشعروا إلا الكفر ، وجحدوا

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٣/٣ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/١٦٥ .

(٢) والقولان متلازمان ، فما ذكره الزَّجَّاج هو السبب ، وما ذهب إليه المفسرون هو العاقبة والمآل .

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (أ) و(د) ، وفي هامش نسخة (د) كتب [سقطت من النسخة القديمة] ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/١٦٧ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٦/٢ بنحوه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/٣٢٣ بنحوه ، وتفسير البغوي ٤/٣٧٠ ، ٣٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠/٨ ، والخازن ٣/٩٠ .

البراهين كما سائر المعجزات ؛ من انشقاق القمر ، وما خُص به النبي ﷺ من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والأنس أن يأتوا بمثله .

القول الثاني : أن هذا العروج للملائكة ؛ لأنه هو المعروف المشهور ، يقول : لو كُشف لهؤلاء عن أبصارهم حتى يعاينوا أبواباً في السماء مفتحة تصعد منها الملائكة وتنزل ، لصرفوا ذلك عن وجهه إلى أنهم سُحروا ورأوا بأبصارهم ما لا يتحقق عندهم ، وهذا قول ابن عباس^(١) وابن جريج وجماعة .

قال ابن جريج : «فظلت الملائكة تعرج فيه وهم ينظرون إليهم»^(٢) .

قال : وهذا راجع إلى قوله : ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

واختار الفرّاء هذا القول^(٣) ، وأبو إسحاق ذكر القولين جميعاً ؛ فقال : «اعلم أنهم إذا وردت عليهم الآية المعجزة قالوا : سِحْر ، وقالوا : ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ كما قالوا حين انشق القمر : هذا سِحْرٌ مُسْتَمِر» ، قال : «ويصلح أن يكون ﴿يَعْرُجُونَ﴾ للملائكة والناس» ، وقد جاء بهما التفسير ، وقال في قوله : ﴿يَعْرُجُونَ﴾ : «أي

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٦/٢ مختصراً عن ابن عباس من طريق قتادة ، والطبري ١٠/١٤ بنحوه ، عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن الضحاك ، وأخرجه مختصراً عن ابن عباس من طريق قتادة .

وورد مختصراً في معاني القرآن للنحاس ١٣/٤ عن ابن عباس ، وتفسير الطوسي ٣٢٣/٦ عن ابن عباس وقتادة والضحاك ، وتفسير ابن الجوزي ٣٨٦/٤ عن ابن عباس والضحاك ، وتفسير القرطبي ٨/١٠ عن ابن عباس وقتادة ، والخازن ٩٠/٣ عن ابن عباس والضحاك .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٧٦/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس .
(٢) أخرجه الطبري ١٠/١٤ بنحوه عن ابن جريج عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٨/٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن جريج عن ابن عباس ، وورد غير منسوب في تفسير البغوي ٣٧٠/٤ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٨٦/٢ .

يصعدون فيذهبون ويحيئون»^(١)، وقال الفرّاء : «فظلت الملائكة تصعد من ذلك الباب وتنزل»^(٢)، فقد زاد المجيء والنزول في تفسير العروج .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ قرئ بالتشديد^(٣) والتخفيف^(٤)، أي أغشيت وسُدَّت بالسَّحَرِ ، فتتخايل بأبصارنا غير ما نرى ، هذا قول أهل اللغة^(٥)، قالوا : وأصله من السَّكْر ؛ وهو سُدُّ البُتْقِ لثلا ينفجر الماء^(٦) ؛ فكأن هذه الأبصار مُنعت من النظر ، كما يمنع السَّكْرُ الماءَ من الجري ، والتشديد يوجب زيادة وتكثيراً .

وقال أبو عمرو بن العلاء : «هو مأخوذٌ من سُكْرِ الشَّرَابِ ؛ يعني أن الأبصار حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل وفساد اللب»^(٧)، فإذا كان هذا معنى التخفيف ، فسكران بالتشديد يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة .

-
- (١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٤ / ٣ مع تقديم وتأخير .
 (٢) معاني القرآن للفرّاء ٨٦ / ٢ بنصه .
 (٣) قرأ بها القراء السبعة ما عدا ابن كثير . انظر : السبعة ٣٦٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٤٣ ، وعلل القراءات ١ / ٢٩٥ ، والحجة للقراء ٥ / ٤٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٠ .
 (٤) قرأ بها ابن كثير وحده . المصادر السابقة .
 (٥) انظر : تهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩ / ٢ بنصه .
 (٦) انظر : تهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩ / ٢ بنصه ونسبه لليث ، والمحيط في اللغة ٦ / ١٨٤ ، واللسان ٤ / ٢٠٤٧ ، والتاج ٦ / ٥٣٥ .
 (٧) ورد في تفسير الطبري ١٢ / ١٤ مختصراً ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٤ ، وتهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩ / ٢ ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٨٦ ، والفخر الرازي ١٩ / ١٦٧ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٩ ، واللسان (سكر) ٤ / ٣٧٤ .

وقال أبو عبيدة: ﴿سُكِرَتْ أَبْصَرُنَا﴾: غَشِيَتْ سَمَادِيرُ^(١) فذهبت وخبأ نظرها، وأنشد^(٢):

جَاءَ الشِّتَاءُ وَاجْتَالَ الْقُبْرُ وَجَعَلَتْ عَيْنُ الْحَرُورِ تَسْكُرُ^(٣)
أَيُّ يَجْبُو حَرَهَا وَيَذْهَبُ^(٤).

وعلى هذا القول أصله من السكون؛ يقال: سَكِرَتِ الرِّيحُ، إذا سكنت، وسَكِرَ الْحَرُّ يَسْكُرُ، وِلِيلَةٌ سَاكِرَةٌ؛ لا رِيحَ فِيهَا^(٥)، قال أوس:

خُذِلْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةٍ فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلَا سَاكِرَةٍ^(٦)

(١) السَّادِيرُ: ضَعْفُ الْبَصَرِ وَغَشَاوَةُ الْعَيْنِ، وَيُقَالُ: هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَتَرَاءَى لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَعْفِ بَصَرِهِ عِنْدَ السُّكْرِ مِنَ الشَّرَابِ وَغَيْرِهِ.

انظر: باب الرباعي (سمدد) في تهذيب اللغة ١٧٥١/٢، والمحيط في اللغة ٤٢٩/٨.

(٢) للمثنى بن جندل الطهوي. عاش في العصر الأموي، وأخباره في سمط اللالكى ٦٤٤.

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ١٧٥/٣، وتهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩/٢، واللسان (سكر) ٢٠٤٨/٤، و(قبر) ٣٥١٠/٦، وورد في بعض المصادر على النحو التالي:

جَاءَ الشِّتَاءُ وَاجْتَالَ الْقُبْرُ وَاسْتَخَفَّتِ الْأَعْيُ وَكَانَتْ تَطْهَرُ
وَطَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهَا مِغْفَرُ وَجَعَلَتْ عَيْنُ الْحَرُورِ تَسْكُرُ

وقد ورد بهذه الرواية في مجاز القرآن: ٣٤٨/١، وتفسير الطوسي ١٣/١٤، والطبري ٤٩٩/٧ ولم يذكر الشطر الثالث، والماوردي ١٥١/٣، وتفسير القرطبي ٨/١٠ أورد البيت الثاني فقط. (اجتال) اجتمع وتقبض، (قبر) قال الأزهري: يقال للقبرة قُبْرَةٌ وَقُبْرٌ؛ وهو طائر يشبه الحُمْرَةَ، وجمعها قنابر، (الحُرُورُ) حرُّ الشمس. انظر: تهذيب اللغة (قبر) ٢٨٧١/٣، و(سكر) ١٧١٩/٢، والمحيط في اللغة (حر) ٣١١/٢، و(قبر) ٤١١/٥، ومتن اللغة ٤٨١/٤.

(٤) مجاز القرآن ٣٤٧/١ بنصه ما عدا الشعر.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩/٢ بنصه، واللسان ٢٠٤٨/٤، والتاج ٥٣٥/٦.

(٦) ديوان أوس ٣٤، وقد ورد بالرواية التالية:

خُذِلْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةٍ بِصَحْرَاءَ شَرَجَ إِلَى نَاطِرَةٍ
تُرَادُّ لَيْلِي فِي طَوْلِهَا فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلَا سَاكِرَةٍ

ورد في تهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩/٢، وتفسير الماوردي ١٥١/٣ بدايته (فصرن)، والاقتضاب =

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ قال : «يَقَالُ سَكَرَتْ عَيْنُهُ تَسْكُرُ ، إِذَا تَحَيَّرَتْ وَسَكَنَتْ عَنِ النَّظَرِ»^(١) ، وعلى هذا معنى (سَكَرَتْ أَبْصَارُنَا) : سَكَنَتْ عَنِ النَّظَرِ ، ولا يتوجه على هذا القول قراءة من قرأ بالتخفيف .

قال أبو علي الفارسي : «مَعْنَى ﴿سَكَرَتْ﴾ صَارَتْ بِحَيْثُ لَا يَنْفِذُ نُورُهَا وَلَا تُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا» ، وكأن معنى التسكير قطع الشيء عن سننه^(٢) الجاري ، فمن ذلك تسكير الماء ؛ هو رُدُّهُ عَنْ سَبِيهِ^(٣) فِي الْجَزِيَّةِ ، وَالشُّكْرُ فِي الشَّرَابِ هُوَ : أَنْ يَنْقَطِعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَضَاءِ فِي حَالِ الصَّحْوِ ، فَلَا يَنْفِذُ رَأْيُهُ عَلَى حَدِّ نَفَاذِهِ فِي صَحْوِهِ ، وَعَبَّرُوا عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِمْ : سَكَرَانُ لَا يَبُتُّ^(٤) ، وَوَجْهُ التَّثْقِيلِ أَنَّ الْفِعْلَ مُسْنَدٌ إِلَى جَمَاعَةٍ ، وَهُوَ مِثْلُ : ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص : ٥٠] ، وَوَجْهُ التَّخْفِيفِ أَنَّ هَذَا النِّحْوَ مِنَ الْفِعْلِ الْمُسْنَدِ إِلَى الْجَمَاعَةِ قَدْ يُخَفَّفُ ، كَقَوْلِهِ :

مَا زِلْتُ أُغْلِقُ أَبْوَابًا وَأَفْتَحُهَا^(٥)

٤١٢ ، وَشَرَحَ الْجَوَالِيقِيُّ ٢٣٩ وَرَدَ فِيهَا بِرَوَايَةِ الدِّوَانِ ، وَتَفْسِيرَ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ١٦٧/١٩ ، وَتَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ٨/١٠ بِدَوَائِهِ (فَصَرَتْ) ، وَاللِّسَانُ (سَكَرَ) ٢٠٤٨/٤ . يَقُولُ : «خَذَلْتُ عَلَى أَنْ لَيْلَتِي سَاهِرَةٌ ؛ أَيْ سَاهِرَ صَاحِبِهَا ؛ كَمَا تَقُولُ نَهَارُهُ صَائِمٌ ؛ أَيْ يَصُومُ فِيهِ ، وَالطَّلَقُ الْيَوْمَ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا حَرَّ فِيهِ وَلَا بَرْدَ ، وَاسْتِطَالَ اللَّيْلَةُ لَمَا لَقِيَ فِيهَا مِنَ الْأَلَمِ وَالشَّدَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَوْسَ بْنَ حَجْرٍ انْطَلَقَ مُسَافِرًا حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ بَنِي أَسَدَ بَيْنَ مَكَانَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَرْجٌ ، وَلِلْآخَرِ نَاطِرُهُ ، جَالَتْ بِهِ نَاقَتُهُ فَصَرَعَتْهُ فَانْكَسَرَتْ فَخْدُهُ» .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٥/٣ بنحوه ، ويبدو أنه نقل قول الزَّجَّاجِ من تهذيب اللغة لتطابقه ، تهذيب اللغة (سكر) ١٧١٩/٢ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي ١٦٧/١٩ .

(٢) في الحجة : (سببه) والصحيح سننه ، ولعلها تصحيف من محقق الحجة .

(٣) في النسخ جميعها : (سننه) ، والمثبت هو الصحيح وموافق لما في الحجة ، والسَّيْبُ : مَخْرَجُ الْمَاءِ مِنَ الْوَادِي ، وَجَمْعُهُ سَيُوبٌ ، وَقَدْ سَابَ الْمَاءُ يَسِيبُ : إِذَا جَرَى . تهذيب اللغة (ساب) ١٥٨٤/٢ ، وَالْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ (سَيْب) ٣٩٧/٨ .

(٤) معناه : لَا يَقْطَعُ أَمْرًا ، وَقِيلَ : مَا يُبَيِّنُ كَلَامًا . انظر : تهذيب اللغة (بت) ٢٦٩/١ ، وَالْمَحِيطُ فِي اللَّغَةِ ٤١٥/٩ .

(٥) نُسِبَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ فِي الْمَصَادِرِ كُلِّهَا مَا عَدَا الْحِجَّةَ وَلَيْسَ فِي دِيْوَانِهِ ، وَنَسَبَ فِي الْحِجَّةِ ٤٤١/٣ لِلرَّاعِي =

وهذا على أن ﴿شَكَرْتُ﴾ بالتخفيف قد ثبت تعدّيه بهذه القراءة^(١)، ويجوز أن يكون من قرأ بالتخفيف أراد التثقيل، فحذفه وهو يريد به؛ كما جاء ذلك في المصادر وأسماء الفاعلين؛ نحو: عَمَرَك الله^(٢)، و:

..... دَلُّو الدَّالِيَّ^(٣)

النميري، وهو في ديوانه ٣٣ برواية:

ما زال يفتح أبواباً ويغلقها
دوني وأفتح باباً بعد إرتاج
(بعد إرتاج): بعد إغلاق، يقال: أَرْتَجْتُ الباب إرتاجاً؛ أي أغلقته إغلاقاً، ويقال لغلُق الباب:
الرتاج، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام: أرتج عليه.
وعجزه:

حتى أتيتُ أبا عمرو بنَ عمارٍ

ورد في الحجة للقراء ٤٣/٥، وتفسير الطوسي ٣٢٢/٦، وورد في الكتاب ٥٠٦/٣، ٦٣/٤، ٦٥،
وأدب الكاتب ٤٦١، وسر صناعة الإعراب ٤٥٦/٢، ٥٢٨، والاقضاب ٤٠٩، وشرح الجواليقي
٢٣٣، واللسان (غلق) ٢٩١/١٠، برواية:

ما زِلْتُ أفتحُ أبواباً وأغلقُها
حتى أتيت أبا عمرو بنَ عمارٍ

قال أبو حاتم السجستاني: «ويُقصَدُ بأبي عمرو: أبا عمرو بن العلاء المازني النحوي، والمعنى: لم أزل
أنصرف في العلم وأطويه وأنشره حتى لقيت أبا عمرو فسقط علمي عند علمه».
(١) قال أبو علي: «الفعل إذا بُني للمفعول فلا بُدَّ من تنزيله معدّى، فيكون تعدّيه على قراءة ابن كثير مثل:
شَتَرْتُ عَيْنَهُ، وشَتَرْتُهَا».

الحجة ٤٤/٥، و(الشَتَرُ) انقلاب في جَفَنِ العين الأسفل قلَّ ما يَكُونُ خَلْقَةً. والمحيط في اللغة (شتر)
٣٠٥/٧، وقال المنتجب: «بل هو من الأفعال التي سُمِعَ معدّى وغير معدّى؛ نحو: غاض الماء،
وغاضه الله، وصَبَقَ زيدٌ، وصَبَقَ، وسَعِدَ زيدٌ وسُعِدَ. الفريد في إعراب القرآن ١٩١/٣.

(٢) الشاهد: تخفيفها؛ والأصل تشديدها، قال سيبويه: «وكأنه حيث قال: عَمَرَك الله، وقعدك الله،
قال: عَمَرْتُك الله بمنزلة شَدْتُك الله، فصارت عَمَرَك الله منصوبةً بعَمَرْتُك الله». الكتاب ٣٢٢/١.

(٣) قطعة من بيت من رجز للعجاج يصف ماءً، وتماه:

يكشِفُ عن جَواتِه دَلُّو الدَّالِ

ورد في ملحقات ديوانه ٣٢١/٢، وأدب الكاتب ٦١٢، والصحاح (دلو) ٢٣٣٩/٦، وورد
غير منسوب في المقتضب ١٧٩/٤، والحجة للقراء ٢٥٤/٢، وإيضاح الشعر: ٥٨٠، ٥٩٠،
والمخصص ١٦٧/٩ نسبة لأبي علي، وفي المصادر جميعها: (الدَّالُّ) بدل (الدَّالِي) ولا فرق، (الدَّالُّ)؛
أي المُمَثِّل؛ وهو المستقي، (جواته) جمع جَمَّة، وهي المكان الذي يجتمع فيه ماء البئر، والشاهد: أن =

و﴿الرَّيْحَ لَوَفِّحْ﴾^(١) [الحجر: ٢٢] هذا الذي ذكرنا قول أهل اللغة وأصحاب المعاني .

فأمّا التفسير فقال ابن عباس في رواية عطاء : «تخبرت أبصارنا» ، ورؤي عنه أيضاً : «سُدَّتْ»^(٢) ، وهو قول مجاهد^(٣) .

وقال الحسن : «سُحِرَتْ»^(٤) ، وقال قتادة : «أُخِذَتْ»^(٥) .

وقال الكلبي : «أُغْشِيَتْ وَغُمِيَتْ»^(٦) .

= الأصل (السُّدِّي) فحذف الزيادة ، قال ابن قتيبة : «ولو قال الْعَجَّاجُ : (المُدِّي) لكان أشبه بها أراد ، ولكنه أراد القافية ، وعلم أن الدالي والسُّدِّي يجوز أن يوصفَ بهما المستقي بالدلو» . انظر : أدب الكاتب ٦١٢ ، والحجة للقراء ٢ / ٢٥٤ .

(١) الحجة للقراء ٥ / ٤٣ بتصرف يسير . والشاهد في (لواقح) أن أصلها (ملاقح) ؛ لأنها إذا أُلْفَحَتْ كانت مُلْفَحَةً ، وجمع المُلْفَحِ ملاقح ، ولواقح على حذف الزيادة . الحجة للقراء ٢ / ٢٥٤ .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٤٦ أ ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٨ ، والخازن ٣ / ٩٠ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤ / ١٢ بلفظه ، وورد بلفظه في تهذيب اللغة (سكر) ٢ / ١٧١٩ ، وتفسير الطوسي ٦ / ٣٢٣ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٨٦ ، وابن كثير ٢ / ٦٠٢ ، والدر المنثور ٤ / ١٧٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ورد بلفظه في الغريب لابن قتيبة ١ / ٢٣٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢١٦ ، والثعلبي ٢ / ١٤٦ أ ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٨ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤ / ١٢ بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢ / ٢١٦ ، والثعلبي ٢ / ١٤٦ أ ، والماوردي ٣ / ١٥١ ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٨ ، وقد روي هذا القول عن ابن عباس أيضاً في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٤ ، والدر المنثور ٤ / ١٧٦ روي عن قتادة بلفظ سُدَّتْ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والمؤكد أن قتادة رواه عن ابن عباس ، ويؤيده أن عبدالسزاق ٢ / ٣٤٦ ، والطبري ١٤ / ١٢ أخرجاه بلفظه عن قتادة عن ابن عباس ، وكذلك أورده ابن كثير ٢ / ٦٠٢ .

(٦) أخرجه الطبري ١٤ / ١٣ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٤٦ أ ، بنحوه ، والماوردي ٣ / ١٥١ بلفظه ، وتفسير البغوي ١٤ / ٣٧١ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٨ ، وابن كثير ٢ / ٦٠٢ .

وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ أي سحرنا محمد ﷺ. قال الكلبي: «يقولون سحرنا فلا نبصر»^(١)، ونظير هذه القصة قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا﴾^(٢) [الأنعام: ١١١] الآية، وقد مر.

١٦. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الآية. قال الليث: «البرج واحد من بروج الفلك؛ وهي اثنا عشر برجاً؛ كل برج منها منزلان ونصف»^(٣) منزل للقمر، وهي ثلاثون درجة للشمس، إذا غاب منها ستة طلعت ستة، ولكل برج اسم على حدة؛ فأولها الحمل، وأول الحمل الشَّرَطَان، وهما قَرْنَا الحمل؛ كوكبان أبيضان، وخلف الشَّرَطَيْنِ البُطَيْن، وهذه ثلاثة^(٤) كواكب، فهذان منزلان، والثريا من بُرج الحمل^(٥)، وذكرنا الكلام في معنى البروج في اللغة واشتقاقها في قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] قال ابن عباس في هذه الآية: «يريد بروج الشمس والقمر؛ يعني منازلهما»^(٦)، وقال الحسن ومجاهد وقتادة: «هي النجوم»^(٧).

- (١) وورد غير منسوب في تفسير البغوي ٣٧١/٤.
- (٢) والآية كاملة هي: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَهُنَّ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ والشاهد ظاهر.
- (٣) فالآية تؤكد عدم جدية القوم في الإيمان بالرسول مهما أظهر لهم من المعجزات الحسية التي طالبوه بها. هكذا في النسخ جميعها، وفي المصدر: (ثلث) وكذا في الممتع في شرح المقنع ٦٤.
- (٤) في النسخ جميعها: (ثلاث)، وهو خطأ نحوي ظاهر، ولعله من النسخ.
- (٥) ورد في تهذيب اللغة (برج) ٣٠٠/١ بنصه، وتفسير الفخر الرازي ١٦٨/١٩ ورد مختصراً، والخازن ٩١/٣، وصديق خان ١٥٣/٧.
- (٦) تفسير ابن الجوزي ٣٨٧/٤، وتفسير القرطبي ٩/١٠، والخازن ٩١/٣.
- (٧) تفسير مجاهد ٣٤٠ بنحوه، أخرجه الطبري ١٤/١٤ عن قتادة بلفظه، وفي رواية عن مجاهد وقتادة قال: «الكواكب»، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٥/٤ بنحوه عن مجاهد، وتفسير السمرقندي ٢١٦/٢ بلفظه، وتفسير الماوردي ١٥٢/٣ بلفظه عن الحسن ومجاهد، وتفسير ابن الجوزي ٦٠٣/٢ عن مجاهد وقتادة، وتفسير القرطبي ٩/١٠ عن الحسن وقتادة، والخازن ٩١/٣ عنهم، وابن كثير ٥٦٨/٢ =

قال أبو إسحاق : «يريدون نجوم هذه البروج ، وهي نجوم على صورة ما سميت به ؛ نحو : الحَمَل والثَّور وغيرهما ؛ فالبروج نجوم كما جاء في التفسير»^(١) ، وقال عطاء^(٢) : «وقال بعضهم : قصوراً»^(٣) ، فعلى هذا أريد بالبروج بيوت وقصور خلقها الله تعالى في السماء ، وقيل في قوله : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج : ١] هي قصور في السماء^(٤) ، وأصل هذا كله من الظهور وقد ذكرناه^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾ ؛ أي بالشمس والقمر والنجوم ، ﴿لِلنَّظِيرِ﴾ ؛ أي للمعتبرين بها والمستقلين على توحيد صانعها .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِمْ﴾ معنى الرجم في اللغة : الرمي بالحجارة ، ثم قيل للقتل : رجم ؛ لأنه يقصد به القتل ، ثم قيل لكل قتل رَجْم وإن لم يكن^(٦) بالحجارة ، ومنه قوله : ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ [الدخان : ٢٠] ؛ أي تقتلون ، والرجم : السب والشتم ؛ لأنه رمي بالقول القبيح ، ومنه قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾

عن مجاهد وقتادة ، والدر المنثور ١٧٧ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر عن مجاهد ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٥ / ٣ بنحوه .

(٢) هكذا في النسخ جميعها ، ويبدو أنها تصحفت عن عطية ؛ لأن هذه الرواية وردت عن عطية - وهو العوفي - في المصادر التالية .

(٣) ورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢ / ٢١٦ بلا نسبة ، والماوردي ٣ / ١٥٢ عن عطية . انظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٧١ عن عطية ، وابن الجوزي ٤ / ٣٨٧ عن ابن عباس وعطية ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٠ ، والخازن ٣ / ٩١ عن عطية ، وابن كثير ٢ / ٦٠٣ عن عطية ، والدر المنثور ٤ / ١٧٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن عطية .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٧ / ٥ بلفظه .

(٥) انظر : البسيط : [النساء : ٧٨] .

(٦) في (أ) و(د) : (وإن يكن) . والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح الذي يستقيم به الكلام .

[الملك: ٥]؛ أي مَرَامِي^(١)، والرجم: القول بالظن ومنه قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ لأنه يرمي الظن إليه، والرجم أيضاً اللعن والطرده والإبعاد والهجران^(٢)، وفسر بكل ذلك الشيطان الرجيم؛ وذلك أن الرمي بالحجارة والقول القبيح يوجب هذه المعاني، فسميت رجماً.

وقال أبو عبيدة: «رجيم: مرجوم بالنجوم»^(٣)، بيانه قوله: ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، قال ابن عباس: «كانت الشياطين لا تحجب عن السموات، فكانوا يأخذونها ويتحرون»^(٤) أخبارها فليقون على الكهنة، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد رسول الله ﷺ منعوا من^(٥) السموات كلها، فلما منهم أحد يريد استراق السمع إلا ورمي بشهاب^(٦)، فذلك قوله:

١٨. ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾، (بيان هذا قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ الآية [الجن: ٨]. قال أبو إسحاق: «موضع (من) نصب، المعنى: لكن من

(١) في النسخ جميعها: (مراماً) والمثبت هو الصحيح؛ كما في تهذيب اللغة (رجم) ٦٩/١١.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (رجم) ١٣٧٦/٢، والصحاح ١٩٢٨/٥، واللسان ١٦٠١/٣، والمفردات ٣٤٥.

(٣) مجاز القرآن ٣٤٨/١ بلفظه.

(٤) في (ش) و(ع): (ويتخبرون)، من الاستخبار، والمثبت من التحري وكلاهما صحيح.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د).

(٦) جزء من حديث طويل ورد في تفسير السمرقندي ٢/٢١٦، والثعلبي ٢/١٤٦، وتفسير البغوي ٤/٣٧٢، ٣/٣٧٣، والزمخشري ٢/٣١٢، والفخر الرازي ١٩/١٦٩، وتفسير القرطبي ١٠/١٠، والخازن ٣/٩١، وهذا القول غريب، وأغلب الظن أنه من طريق الكلبي، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس، ويؤكد نسبة الماوردي القول للكلبي ٣/١٥٢، وقد ورد حديث صحيح عن ابن عباس عن الحيلولة بين الشياطين وخبر السماء. انظر: صحيح مسلم (٤٤٩) كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، وطرفه: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب...».

استرق السمع^(١)»، قال : «وجائز أن يكون في موضع خفض على معنى إلا ممن^(٢)»، قال ابن عباس في قوله : ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾ : «يريد الخطفة^(٣) اليسيرة ، وذلك أن المارد من الشيطان يعلو فيرْمَى بالشهاب ؛ فتُصيب جبهته أو جبينه أو حيث شاء الله منه فيحرقه ولا يقتله ، ومنهم من يُجَبِّلُه فيصير غُولا يُضِلُّ الناسَ في البراري»^(٤).

وقوله تعالى : ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ ذكرنا معناه عند قوله : ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، ومعناه لحقه ، والشهاب شعلة نار ساطع ، ثم يُسمى الكوكب شهاباً والسنان شهاباً ؛ لبريقهما يُشَبَّهان بالنار ، قال ابن عباس في قوله : ﴿شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ : «يريد ناراً تَبِينُ لأهل الأرض» ، قال المفسرون : «إن الشهاب لا يخطئه أبداً وأنهم ليرْمُون ، فإذا توارى عنكم فقد أدركه»^(٥).

وقال أبو إسحاق : «هذا من آيات النبي ﷺ ومما حدث بعد مولده ؛ لأن الشعراء قبله لم يذكروا هذا في أشعارهم ، ولم يشبهوا الشيء السريع به^(٦) كما شبهوا بالبرق وبالسيل ، ولم يوجد في أشعارهم بيت واحد فيه^(٧) ذكر الكواكب المُنْقِضَةِ»^(٨) ، وقال أصحاب المعاني : إن الله تعالى سَمَّى ما تُرجم به الشياطين

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٧٦/٣ بنصه .

(٣) في (أ) و(د) : (الخطفة) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/١٥ مختصراً ، من طريق الضحاك عن ابن عباس منقطعة ، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٥٣ مختصراً ، وتفسير ابن عطية ٨/٢٩٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/١١ ، والخازن ٩١/٣ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٦ أ بنحوه .

(٦) (به) ساقط من (أ) و(د) ويقتضيها السياق .

(٧) في النسخ جميعها : (فيها) والصواب ما أثبتته ؛ لأن الضمير يعود إلى البيت وهو مذكر .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١٧٦/٣ بنحوه .

شهاباً، وهو في اللغة النار الساطعة^(١) ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم، فيجوز أن ذلك كما نرى ثم يصير ناراً إذا أدرك الشيطان، ويجوز أنهم يُرمون بشعلة نار من الهواء، ولكن لبعده عنا يخيل إلينا أنه نجم، والله أعلم بحقيقة ذلك.

١٩. قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ قال ابن عباس وغيره: «بسطناها على وجه الماء»^(٢)، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي﴾ وهي الجبال الثابتة لئلا تميد بأهلها؛ كما قال: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ اختلفوا في معنى موزون هاهنا، فذهب الأكثرون إلى أن معناه: المحصل المعلوم المقدور، ذلك^(٣) أن الوزن إنما يستعمل لبيان المقدار والإشراف على حقيقته، فوصف المعلوم بالموزون وإن لم يكن هناك وزن؛ لأن أوكد ما يتحصل به معرفة المقادير الوزن، قال ابن الأنباري: وأنشد:

وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ^(٤) عِنْدِي لِكُلِّ مُحَاصِمٍ مِيزَانُهُ^(٥)

يعني: قدر ما يستحق أن يجاب به من الكلام.

-
- (١) انظر: تهذيب اللغة (شهب) ١٩٤٢/٢، والمحيط في اللغة ٣/٣٩٥، والصاحح ١/١٥٩.
- (٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/١٧٠، وتفسير القرطبي ١٠/١٢، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ١٤٦/٢، وابن الجوزي ٤/٣٩٠، والخازن ٣/٩٢.
- (٣) في (ش) و(ع) زيادة (واو) قبل ذلك.
- (٤) ساقط من (د)، والمرّة: الشدة. المحيط في اللغة (مر) ١٠/٢٢٠.
- (٥) ورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/١٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/١٣، واللسان (وزن) ٨/٤٨٢٩، وتفسير الشوكاني ٣/١٨٠.

وهذا معنى قول ابن عباس^(١) وعكرمة وسعيد بن جبير والحكم ومجاهد ؛ قال عكرمة : ﴿مَوْزُونٌ﴾ : «بقدر»^(٢) .

وقال سعيد : «معلوم»^(٣) ، وقال الحكم : «مقدر»^(٤) .

وقال مجاهد : «مقدور بقدر»^(٥) .

وهذا القول اختيار أبي عبيدة^(٦) والزجاج وأبي بكر ، قال الزجاج : «أي من كل شيء مقدور جرى على وزنٍ من قَدَرَ الله لا يجاوز ما قَدَره الله عليه»^(٧) ، ويشهد لهذا التأويل قوله : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد : ٨] وهذا عام في كل ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض ما ليس من جنس الأرض مما يكون في المعادن ، وذلك للفظ^(٨) الإنبات ؛ لأنه إنما يستعمل في ما ينبت من الأرض ، ويستعمل في الحيوانات أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران : ٣٧] ويقال الرجل

(١) أخرجه الطبري ١٥ / ١٤ من طريق ابن أبي طلحة ، صحيحة ، ومن طريق العوفي ، ضعيفة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٧ / ٤ ، وتفسير الماوردي ١٥٣ / ٣ ، والطوسي ٣٢٦ / ٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٩١ / ٤ ، وتفسير القرطبي ١٣ / ١٠ ، والخازن ٩٢ / ٣ ، وابن كثير ٦٠٣ / ٢ ، والدر المنثور ١٧٧ / ٤ وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه الطبري ٧ / ٥٠١ ، بلفظه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٧ / ٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٩١ / ٤ ، والخازن ٩٢ / ٣ ، وابن كثير ٦٠٣ / ٢ ، والدر المنثور ٦٠٣ / ٢ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه الطبري ١٦ / ١٤ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ١٥٣ / ٣ ، والطوسي ٣٢٦ / ٦ ، تفسير ابن الجوزي ٣٩١ / ٤ ، وتفسير القرطبي ١٣ / ١٠ ، والخازن ٩٢ / ٣ ، وابن كثير ٦٠٣ / ٢ .

(٤) أخرجه الطبري ١٦ / ١٤ بلفظه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦٠٣ / ٢ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٤٠ بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٦ / ١٤ بلفظه ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ١٧ / ٤ ، وتفسير الطوسي ٣٢٦ / ٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٩١ / ٤ ، وتفسير القرطبي ١٣ / ١٠ ، والخازن ٩٢ / ٣ ، وابن كثير ٦٠٣ / ٢ .

(٦) مجاز القرآن ٣٤٨ / ١ قال : «بقدر» .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٧٦ / ٣ بنصه .

(٨) في النسخ جميعها : (اللفظ) ، وبالمثبت يستقيم الكلام .

يُنَبِّتُ الجارية ؛ أي يَغْذُوها وَيُحَسِّنُ الْقِيَامَ عليها ، حكاه الليث^(١) ، فأما الجواهر فقد دخلت تحت قوله : ﴿ وَالْأَرْضُ ﴾ ولا تدخل في الإنبات .

وذهب آخرون في قوله : ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ إلى حقيقة الوزن ، فقال عطاء : « يريد الثمار مما يكال أو يوزن »^(٢) .

وقال الكلبي : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ : « في الجبال » ، ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ ، وكل شيء يوزن وزناً^(٣) ، وهذا قول ابن زيد والحسن واختيار الفراء .

قال ابن زيد : « هي الأشياء التي توزن »^(٤) ، وقال الحسن : « الزعفران وما أشبهه »^(٥) .

وقال الفراء : « ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ ، يقول من الذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فذلك الموزون »^(٦) ، فذهب بعض هؤلاء الذين ذكرنا إلى ما يتحقق الإنبات فيه ، وهو الحسن وعطاء ، وعمَّ ابنُ زيد كل ما يوزن ، فدخل فيه ما يتحقق الإنبات فيه كالحبوب والثمار وما لا يتحقق كالذهب والفضة ، إلا أنه لا

(١) ورد في تهذيب اللغة (نبت) ٤ / ٣٤٩١ بنصه .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تفسير هود الهواري ٢ / ٣٤٥ ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٩١ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤ / ١٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ١٧ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢١٧ ، والثعلبي ٢ / ١٤٦ ب .

(٤) أخرجه الطبري ١٤ / ١٧ بنصه ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٢ / ١٤٦ ب ، والماوردي ٣ / ١٥٤ ، والطوسي ٦ / ٣٢٦ ، انظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٧٤ ، وابن عطية ٧ / ٢٩٣ ، وابن الجوزي ٤ / ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٣ ، والخازن ٣ / ٩٢ ، وابن كثير ٢ / ٦٠٣ ، والدر المنثور ٤ / ١٧٧ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) لم أقف على هذا القول ، والمنسوب إليه هو قول الكلبي السابق ، تفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٣ ، والخازن ٣ / ٩٢ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ / ٨٦ بنصه .

يجوز إطلاق الإنبات عليها [إلا] ^(١) إذا اجتمعت ؛ لأن بعضها يتحقق الإنبات فيه ، فاستعمل في غيره إذا اجتمع معه لاشتراكهما في الوزن ، والجمع بينهما في اللفظ ، والكلي والفرء خصا جواهر المعادن ، ولا يليق لفظ الإنبات بها ولا يحسن ، قال أبو بكر : «والقول الأول أثبت ؛ لأنه يحمل الآية فيه على العموم ، والقول الثاني يوجب اختصاصاً لم يأت به برهان ، على أنه على بُعد غير خارج عن الصواب ، والله أعلم» .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من الثمار والحبوب» ^(٢) ، وذكرنا الكلام في المعاش في سورة الأعراف ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد مما ملكتكم وما أنتم له برازقين ، إنما رزقهم عليّ وأنا خالقهم» ، وهذا قول مجاهد واختيار الزّجاج وأبي بكر ، روى ابن جريج عن مجاهد في قوله : ﴿ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴾ قال : «الدواب والأنعام» ^(٤) .

وقال الزّجاج : «الأجود - والله أعلم - أن يكون (من) هاهنا - أعني في قوله : ﴿ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴾ - يراد بها العبيد والدواب والأنعام ؛ أي وكُفيتُم مؤنة أرزاقها» ^(٥) .

(١) زيادة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، ولعلها سقطت .

(٢) تنوير المقياس ٢٧٧ بنحوه .

(٣) آية : [١٠] .

(٤) تفسير مجاهد ٣٤٠ بنصه عن ابن أبي نجیح ، وأخرجه الطبري ١٧/١٤ بنصه من طريق ابن جريج وابن أبي نجیح ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٨/٤ ، وتفسير الماوردي ٣/١٥٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/٣٩١ ، تفسير القرطبي ١٣/١٠ ، وأبي حيان ٥/٤٥٠ ، وابن كثير ٢/٦٠٣ ، والدر المنثور ٤/١٧٨ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٧٧ بنصه .

وقال أبو بكر : «تقديره وجعلنا لكم فيها معاش وعبيداً وإماءً يرزقهم ولا ترزقونهم» .

قال أبو إسحاق : «وموضع (مَنْ) نصبٌ من جهتين ؛ أحديهما : العطف على ﴿مَعِيشَ﴾ : وجعلنا لكم من لستم له برازقين ، وجائز أن يكون عطفاً على تأويل (لكم) ؛ لأن معنى قوله : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ : أعشناكم ، المعنى : أعشناكم ومن لستم له برازقين^(١) ؛ أي رزقناكم ومن لستم له برازقين . (وعلى هذا الوجه يجوز أن يدخل الطير والوحش في قوله : ﴿وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾^(٢) ؛ لأن الله تعالى أعاشهم كما أعاشنا ، وهو قول الكلبي في قوله : ﴿وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ قال : «يعني الوحش والطير»^(٣) ، ونحوه قال منصور ، ولا يجوز أن يفرد الوحش والطير والدواب عن الإماء والعبيد في هذه الآية ؛ لأن (من) لا يكاد يكون لغير ما يعقل ، فإذا جمع مع من يعقل ، غلب من يعقل بفضيلة العقل ، فجاز إيقاع (من) عليهم ، وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين^(٤) .

ووجه قول الكلبي ، حيث أفرد الوحش والطير والدواب والأنعام ، أن (من) لما^(٥) وصفت بالمعاش الذي الغالب عليه أن يُوصَفَ الناس به ، فيقال : الآدمي يتعيش ، ولا يقال : الفرس يتعيش ، جرت الهَوَامُّ وَالْوَحْشُ — لما وُصِفَتْ بوصف

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٧/٣ بنصه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) أخرجه الطبري ١٧/١٤ ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٤٧/٢ ، والماوردي ١٥٤/٣ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٩١/٤ ، وتفسير القرطبي ١٤/١٠ ، والدر المنثور ١٧٨/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وفي كل هذه المصادر كلها ورد منسوباً إلى منصور ، وفسرها بالوحش فقط ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي إلا في تفسير الفخر الرازي ١٧٢/١٩ ، والظاهر أنه نقله عن الواحدي .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٧٧/٣ ، والفريد في إعراب القرآن ١٩٢/٣ ، وتفسير أبي حيان ٤٥٠/٥ ، وهذا القول اختاره الطبري وصوّبه .

انظر : الطبري ١٨/١٤ .

(٥) في (ش) و(ع) : (ها) .

الناس - مجرى الناس في التسمية ، ألا ترى أن علامة جمعها جعلت كعلامة جمع الناس في قوله : ﴿ اَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ ﴾ [النمل : ١٨] ، ﴿ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] ، و ﴿ رَأَيْنُهُمْ لِي سَجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] ، وكان وقوع (من) على غير الناس في هذا الموضع كتصيير الواو و^(١) الياء لجمع^(٢) غير الناس حين وصفه بأوصاف الناس . هذا كلام أبي بكر ، ومعنى قول أبي إسحاق^(٣) ، وذكر الفراء أن (من) يجوز أن تكون في محل خفض على تقدير : وجعلنا لكم فيها معاش ولمن ، ثم قال : وقلما تردُّ العربُ حرفاً مخفوضاً على مخفوض قد كُنِّي عنه^(٤) ، وهو جائز على قراءة من قرأ : ﴿ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء : ١] خفضاً^(٥) ، وقد ذكرنا ذلك .

٢١ . وله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزَانَةٌ ﴾ ، الخزائن جمع الخزانة ، وهي اسم المكان الذي يُخزن^(٦) فيه الشيء أي يحفظ ، والخزانة أيضاً عمل الخازن^(٧) ، ويقال خَزَنَ الشيءَ يَخْزِنُهُ إذا أَحْرَزَهُ في خِزَانَةٍ^(٨) ، وعامة المفسرين على أن المراد بقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي من المطر^(٩) ؛ وذلك

(١) (الواو) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في (أ) و(د) : (الجميع) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو المناسب للسياق .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٧٧/٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٨٦/٢ ، بنصه تقريباً ، وهذه مسألة خلافية بين النحويين ؛ فأجازها الكوفيون ومنعها البصريون ، ولكل حجة في ما ذهب إليه ، والصحيح جواز ذلك ؛ لورود القراءة الصحيحة بذلك ، والقراءة حجة يجب أن تُخضع لها قواعد النحو ، ويُحكم بها عليها . انظر المسألة بالتفصيل في : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم : [٦٥] / ٢ / ٤٦٣ .

(٥) وهو حزمة وحده ، وقرأ الباقر بن النصب ؛ والأَرْحَامَ ، انظر : السبعة ٢٢٦ ، والحجة في القراءات ١١٨ ، وعلل القراءات : ١٣٧/١ .

(٦) في (أ) و(د) : (يخزن) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو المتفق مع لفظ الآية ، وموافق للمصدر .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (خزن) ١٠٢٧/١ بنصه تقريباً ، وانظر : المحيط في اللغة (خزن) ٤/ ٢٧٧ ، القاموس ١١٩٣ .

(٨) المصدر السابق بنصه ، وهو قول الليث .

(٩) ورد في تفسير الطبري ١٨/١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ ، والثعلبي ٢/ ١٤٧ ، والماوردي

٣/ ١٥٥ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٩٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٤ ، وتفسير =

أنه سبب الرزق ومعاش بني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش ،
فلما ذكر أنه يعطيهم المعاش بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش
عنده ؛ أي في أمره وحكمه وتدبيره .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد ما يكفي
خلقي» ، وقال الحكم : «ما من عام بأكثر مطر من عام ، ولكنه يُمَطَّرُ قَوْمٌ وَيُجْرَمُ
آخرون ، وربما كان البحر»^(١) ؛ يعني أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم
لا ينقصه ولا يزيده ، غير أنه يصرفه إلى من شاء حيث شاء كما شاء ، وقال أهل
المعاني في هذه الآية : خزائن الله - جل وعز - مَقْدُورَاتُهُ^(٢) ؛ لأنه يُقَدَّرُ أن يوجد
ما يشاء من جميع أجناس المعاني ، وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية :
﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قال : «يريد أَمْلِكُ خَزَائِنَهُ ، وأقول كن فيكون»^(٣) ،
يعني أنه - تعالى ذِكْرُهُ - لما قَدَرَ على إنشاء ما يريد كما يريد ، صارت الأشياء كأنها
عنده في خزائنها مُعَدَّةٌ ، وعلى هذا معنى قوله : ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ؛ أي

القرطبي ١٠ / ١٤ ، والخازن ٣ / ٩٣ ، وهذا التخصيص بالمطر فيه تحكم في اللفظ العام من دون دليل
قوي ، وقد اعترض عليه جماعة من المفسرين المحققين ، منهم ابن عطية والفخر الرازي والشوكاني
وصديق خان ، يقول الشوكاني : «(إن) هي النافية ، و(من) مزيدة للتأكيد ، وهذا التركيب عام ؛
لوقوع النكرة في حيز النفي مع زيادة (من) ، ومع لفظ شيء المتناول لكل الموجودات الصادق على
كل فرد منها ، فأفاد ذلك أن جميع الأشياء عند الله خزائنها لا يخرج منها شيء» . تفسير الشوكاني
٣ / ١٨٢ .

(١) أخرجه الطبري ١٤ / ١٩ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٤٧ أ بنصه ، وتفسير الفخر الرازي
١٩ / ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٤ ، وابن كثير ٢ / ٦٠٣ ، والدر المنثور ٤ / ١٧٨ وزاد نسبته إلى
ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة ، وقد أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣٢٤ ، لكن عن
الحسن لا عن الحكم كما قال السيوطي .

(٢) انظر : غرائب التفسير ١ / ٥٨٩ ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٩٢ ، والفخر الرازي ١٩ / ١٧٤ ، وتفسير
القرطبي ١٠ / ١٤ ، والخازن ٣ / ٩٣ .

(٣) في تنوير المقباس ٢٧٧ قال : «بيدنا مفاتيحه لا بأيديكم» ، وعنه في الدر المنثور قال : «ما نقص المطر
منذ أنزل الله ، ولكن تمطر أرض أكثر مما تمطر الأخرى» . والدر المنثور ٤ / ١٧٨ ، وعزاه إلى ابن المنذر
وابن أبي حاتم .

ما ننشئه وما نحدثه ، والإنزال يكون بمعنى الإنشاء والإحداث كقوله : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] ، وقوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] ، وقد مر^(١) ، والمعنى أننا ما نخلقه إلا بقدر معلوم لنا ، ولو شئنا أن نخلق أضعاف ذلك قدرنا عليه .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ ، قال ابن عباس : «يريد للشجر وللسحاب»^(٢) ، وهو قول الحسن وإبراهيم وقتادة والضحاك ، وأصل هذا من قولهم : لَقِحَتْ الناقةُ ، وَلَقَحَهَا الفحلُ إذا ألقي إليها الماء فحملته^(٣) ، فكذلك الرياح هي كالفحل للسحاب ، ألا ترى إلى ما

(١) لعل الأولى أن يقول : وسيأتي .

(٢) أخرجه الطبري ٢٢ / ١٤ بنصه عن ابن عباس والحسن ، وعن الباقرين قال : «للسحاب» ، ورواية ابن عباس من طريق الحجاج عن ابن جريج ، صحيحة .

وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣٥١ ، ٣٥٢ عن الحسن بنصه ، وعن إبراهيم بنحوه .
وورد في معاني القرآن للنحاس ١٩ / ٤ بنصه عن ابن عباس والحسن ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢١٧ عن ابن عباس قال : «للأشجار» ، وعن قتادة قال : «للسحاب» ، والماوردي ٣ / ١٥٥ عن ابن عباس : «للسجر» ، وعن الحسن وقتادة : «للسحاب» ، والطوسي ٦ / ٣٢٩ عن قتادة وإبراهيم والضحاك قالوا : «للسحاب» ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٣٩٤ ، عن الحسن وإبراهيم ، الفخر الرازي ١٩ / ١٧٥ عنهم ما عدا إبراهيم ، والخازن ٣ / ٩٣ عن ابن عباس والحسن وقتادة ، وابن كثير ٢ / ٦٠٤ عنهم ما عدا الحسن .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٧٩ وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر عن ابن عباس ، وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك ، وعن قتادة ، وعن إبراهيم .

(٣) انظر : جهرة اللغة (لحق) ١ / ٥٥٩ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٢٨٣ ، والمحيط في اللغة ٢ / ٣٥٢ . وورد في الطوسي ٦ / ٣٢٨ بنصه .

قال ابن مسعود في هذه الآية ؛ قال : «يبعث الله الرياح لتثقل السحاب فتحمل الماء وتمتجه في السحاب ثم تمر به^(١) فيدُر كما تدُر اللقحة»^(٢) .

وقال عبيد بن عمير : «يرسل الله المُبَشِّرَةَ فتَقُمُّ الأرض قِماً ، ثم يرسل المُمِثِرَةَ فتثير السحاب ، ثم يرسل المؤلِّفة فتؤلفه ، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر»^(٣) ، والأظهر في هذه الآية إلحاقها السحاب لقوله بعده : ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ، ولأن إلحاقها للسحاب ظاهر كما ذكرنا ، وإلحاقها للشجر لم يذكر كيف هو^(٤) ، فإن قيل كيف قال (لواقح) وهي مُلْقِحَةٌ ؟ والجواب ما ذهب إليه أبو عبيدة : «أن لواقح هاهنا بمعنى ملاقح جمع مُلْقِحَةٍ ، فحذفت الميم منه وردت إلى الأصل» ،

(١) (تمر به) ؛ المَرِيّ : مَسَحَ صَرَعَ الناقَةَ لِنَدَرٍ ، والريح تمرّ السحاب مَرِيّاً ؛ أي تجعل المطر يدر منه . (اللقحة واللقحة) : هي الناقة القريبة العهد بالنتاج : الحلوب الغزيرة اللبن ، تقول : لقحة فلان ، ولا تقول : ناقة لقحة ولقحة ، وإذا جعلتها نعتاً قلت : ناقة لقوْح ، والجمع لقح ولقاح . انظر : تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٣ ، و(مرى) ٤/ ٣٣٨٣ ، والمحيط في اللغة (لقح) ٢/ ٣٥٢ ، و(مرى) ١٠/ ٢٨١ ، ومتن اللغة ٥/ ١٩٧ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٠ ، بنحوه ، والطبراني في الكبير ٩/ ٣٥٣ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٧ بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١١٤٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٥ ، والخازن ٣/ ٩٣ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٤ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٤٥ وقال : «وفيه يحى الحمان وهو ضعيف» ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي ، لم أقف عليه .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٢١ بنصه ، وأبو الشيخ في العظمة ٤٤٤ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١١٤٧ بنصه ، والماوردي ٣/ ١٥٥ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦ ، والخازن ٣/ ٩٣ ، والدر المنثور ٤/ ١٧٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ذكر الطبري : «أن إلحاقها السحاب والشجر : عملها فيه» . تفسير الطبري ١٤/ ٢٠ .

وَأَنشُدْ لِنَهْشَلِ بْنِ حَرِّيٍّ^(١) يَرِثِي أَخَاهُ :

لِيُثَبِّتَ يَزِيدُ بَائِسُ ذُو ضَرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ^(٢)

أراد المطوحات ، فرد الحرف إلى أصل الثلاثي ، واحتج أيضاً بقول رؤية :

يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازٍ^(٣) لَيْلٍ غَاضٍ^(٤)

(١) نهشل بن حري بن ضمرة بن جابر النهشلي ، شاعر شريف مشهور ، هو وأبوه وجدّه شعراء ، كان حسن الشعر ، عدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الإسلام . انظر : طبقات فحول الشعراء ٥٨٣/٢ ، والشعر والشعراء : ٤٢٤ ، والخزانة ٣١٢/١ .

(٢) اختلف في نسبة البيت لنهشل ، فُنسب إلى أكثر من واحد ، وقد صوّب البغدادي نسبته إلى نهشل . انظر : الخزانة ٣١٣/١ ، وقد ورد البيت في تفسير الطبري ٢١/١٤ ، وابن عطية ٢٩٨/٨ ، وابن الجوزي ٣٩٣/٤ ، والفخر الرازي ١٧٥/١٩ وورد برواية :

لِيُثَبِّتَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخْصُومَةٍ وَخُتَّيْتُ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ
في الكتاب ٢٨٨/١ ، ٣٦٦ ، والإيضاح ١١٥ ، والخصائص ٣٥٣/٢ ، والمختص ٢٣٠/١ ، وتفسير الطوسي ٣٢٩/٦ والأساس ٨٣/٢ ، وأمالى ابن الحاجب ١٤٩/٢ ، وشرح شواهد الإيضاح ٩٤ ، وشرح الفصل ٨٠/١ ، واللسان (طيح) ٥/٢٧٣٤ ، والدر المصون ١٥٣/٧ ، ومعاهد التنصيص ٢٠٣/١ ، والخزانة ٣٠٣/١ ، معناه : هذا الممدوح الذي هو (يزيد) كان رجلاً عظيماً يُقصد في النصر وفي العطاء ، فيقصده الضارع للخصومة لينصره وهو المائل إليها ، ويقصده (المختبط) : الاختباط : طلب المعروف والكسب ، خبطه واختبطه ، والمختبط : الذي يسألك بلا وسيلة ولا معرفة ، (مما تطيح الطوائح) : وهو الذي أصابته شدة السنين ، والطوائح : الشدائد ؛ فيقصده هذا ليدفع عنه بالعطاء شدة ما أصابه من ذلك ، فلذلك وصفه بالنصر والكرم . وانظر : المحيط في اللغة (خبط) ٢٩٤/٤ .

(٣) في النسخ جميعها : (أزواج) ، والمثبت موافق للديوان وجميع المصادر .

(٤) ديوان رؤية ٨٢ وروايته :

بِالْعَيْسِ فَوْقَ الشَّرَكِ الرِّفَاضِ كَأَنَّمَا يَنْضَخُنَ بِالْخَضْخَاضِ
يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضٍ نَضُوقِدَا النَابِلِ النَوَاضِ

وورد في أدب الكاتب ٦١٢ ، وشرح الجواليقي ٣٠٠ ، واللسان (دلا) ١٤١٧/٣ ، و(غضا) ٣٢٦٩/٦ ، وورد غير منسوب في المقتضب ١٧٩/٤ ، والمختص ١٦٧/٩ . (العيس) الإبل البيض ، (الشرك) أحاديث الطريق ، الواحدة : شركة ، (الرفاض) المتفرقة يميناً وشمالاً ، (ينضحن) يعرقن ، (بالخضخاض) القطران الرقيق ، شبه عرق الإبل به وعرقها أسود ، (يخرجن) أي الإبل ، =

يريد : مُغَضٍّ ، وبقوله :

تَكْشِفُ عَنْ جَمَاتِهِ دَلُّو الدَّالِي (١)(٢)

يريد : المُنْذِلِي . قال أبو بكر : «وقد قال العرب : أَبْقَلَ النبت فهو بَاقِلٌ ، يجعلون باقلاً بدلاً من مُبْقِلٍ» ، ففي هذا دليل على تعيين لاقح عن مُلْقَح ، وإلى قريب من هذا ذهب الفَرَّاء ؛ فقال : «يجوز فاعِلٌ لِمَفْعَلٍ ، كما جاء لمفعول ؛ نحو : ماءٍ دافِقٍ ، وسرٌّ كاتِمٍ ، وليلٌ نائمٍ ، وكما قيل : المَبْرُوزُ في معنى المُبْرَزِ في قوله (٣) :

النَّاطِقُ الْمَبْرُوزُ وَالْمَحْتُومُ

= (الأجواز) جمع جَوْز ، وهو الوسط ، (غاض) مظلم ، (النضو) الخروج ، شبه خروجها من الليل بخروج القдах من الرمية .
(١) وعجزه :

عَبَايَةُ غُثْرَاءٍ مِنْ أَجْنٍ طَالُ

ورد في ملحقات ديوان العجاج ٣٢١ / ٢ ، وورد في أدب الكاتب ٦١٢ ، وشرح الجواليقي ٣٠١ ، واللسان (دلا) ١٤١٧ / ٣ ، وورد غير منسوب في المقتضب ١٧٩ / ٤ ، والمخصص ١٦٧ / ٩ .
(الجمات) : جمع جَمَّة ، وَجَمَّة البئر اجتماع مائها ، (الدَّالِي أو الدال) هو الجاذب للدُّلُو من البئر ليخرجها ، ويقال (الدالي) صاحب الدلو ، (عباءة) كساء ، (غثراء) مثل غبراء ؛ الكدر اللون ، (أَجْنٍ) يقال ماءً أَجْنٌ ، وماءً أَجْنٌ ؛ هو الماء المتغير بطول المكث ، وهو الذي غشيه العَرْمَضُ - الطُّحْلُبُ - والورق ، شبه ما على الماء من الطحالب والورق بسبب طول المكث بالعباءة ؛ لأنه لا يورد . انظر : المحيط في اللغة (أجن) ١٩١ / ٧ ، وشرح الجواليقي ٣٠١ ، واللسان (غثر) ٣٢١٤ / ٦ .

(٢) مجاز القرآن ٣٤٨ / ١ بنحوه .

(٣) البيت للبيد وقد سبق عزوه قريباً في ٤٢٦ .

وذلك أن هذه الأشياء لم يُرَدِّ البناءُ فيها إلى الفعل»^(١)، واختار أبو علي أيضاً قول أبي عبيدة فقال: «لواقح بمعنى ملاقح، على حذف الزيادة»، قال: «وكما حذفت الزيادة من الجمع هاهنا حذفت من المصدر في شعر أبي دُوَادٍ يذكر سحاباً:

لِقَحْنٍ ضَحِيًّا لِلْقَحِ الْجَنُوبِ وَأَصْبَحْنَ يُتْنَجْنَ مَاءَ الْحَيَاءِ^(٢)

فقوله: (لِلْقَحِ الْجَنُوبِ)، تقديره: لِالْقَاحِ الْجَنُوبِ، فحذف الزيادة من المصدر»^(٣).

وقال الزَّجَّاج: «يجوز أن يقال لها لواقح، وإن ألقحت غيرها؛ لأن معناها النسب»^(٤)، وشرح أبو بكر هذا القول فقال: «واحد اللواقح لاقح، ومعنى لاقح ذاتُ لَقَح، كما قالوا: تامر ولابن ونابل»، وأبو الهيثم اختار أيضاً هذا، وقال: «هذا كما يقال: دِرْهَمٌ وَاِزْنٌ، أي ذو وزن، ورامحٌ وسائفٌ، ولا يقال رَمَحَ ولا سَافَ»^(٥)، وهذا الذي ذكرنا قول هؤلاء وليس هذا بمعنى؛ لأنه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات اللقاح حتى يوافق قول المفسرين، فإن أرادوا بقولهم: (ذات لاقح) أن الريح هي الحامل نفسها لم يحتج فيها إلى القول بالنسب، ويكون معناه ما ذكره الفرّاء فقال: «جعل الريح هي التي تَلْقَحُ بمرورها على السحاب [و]»^(٦) التراب والماء، فيكون فيها اللَّقَاحُ، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة

(١) معاني القرآن للفرّاء ٨٧/٢ بتصرف.

(٢) ورد في الحجة للقراء ٢٥٣/٢.

(٣) ورد في الحجة للقراء ٢٥٣/٢ بتصرف يسير.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٧٧/٣ بنصه.

(٥) ورد قوله في تهذيب اللغة (لقح) ٤/٣٢٨٥ بتصرف يسير.

(٦) زيادة يقتضيهما السياق.

لاقح»^(١)، واختار ابن قتيبة هذا القول، وكـره قول أبي عبيدة، وقال: «العرب تسمي الرياح لواقح، والريـح لاقحاً، قال الطـرّمّاح:

قَلِقْ لِأَفْنَانِ الرِّيحِ لِلاقِحِ مِنْهَا وَحَائِلِ^(٢)

فاللاقح الجنوب، والحائل الشمال، يذكر بُرداً مدّه^(٣) على أصحابه في الشمس يستظلون به، ويُسمّون الشمال أيضاً عقيماً؛ لأنها لا تحمل، وإنما جعلوا الريح لاقحاً، أي حاملاً؛ لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتُصرّفه، وهذا في قول أبي وَجْزَة^(٤):

حَتَّى سَلَكَنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ فِي مَسَكٍ

مِنْ نَسْلِ جَوَابَةِ الْآفَاقِ مِهْدَاجٍ^(٥)

(١) معاني القرآن للقرّاء ٢/ ٨٧ بنصه.

(٢) ورد البيت في الحجة للقرّاء ٢/ ٢٥٢، والأزمّة والأمكنة للمرزوقي ٥٢٤، وتفسير ابن عطية ٢٩٧/ ٨، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٢.

(٣) في (د): (يريد أمده).

(٤) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد السعدي المدني، من بني سُليم، نشأ في بني سعد بن بكر فغلب عليه نسبهم، كان شاعراً مجيداً، ومحدثاً ثقةً، مات سنة ١٣٠ هـ. انظر: الشعر والشعراء ٤٦٩، والأغاني ١٢/ ٢٧٩، وتقريب التهذيب ٦٠٣ رقم (٧٧٥٣)، والخزانة ٤/ ١٨٢.

(٥) ورد في تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٥، و(هدج) ٤/ ٣٧٢٨، والأزمّة والأمكنة ٥٢٤ وفيه: (مَسَد) بدل من (مَسَك)، واللسان (هدج) ٨/ ٤٦٣٠، و(لقح) ٧/ ٤٠٥٩، و(مَسَك) ٧/ ٤٢٠٣. (سلكن الشوَى): الأتُن الحمير أدخلن شوَاهُنَّ؛ أي قوائمهن، (مَسَك): بالتحريك؛ الأسورة والخلاخيل من الذبيل - وهي قرون الأوعال - والعاج، واحدته مَسْكَة، (مهْدَاج): الهَدْجَةُ: رَزْمَةُ صوت الناقة وحينئذٍ على ولدها، ويقال للريح الحنون: لها هَدْجَةٌ ومِهْدَاج، فهو يذكر حميراً وردت ماء فأدخلت قوائمها في الماء، وهذا الماء من نسل جوابة الآفاق؛ أي ريح تجوب البلاد؛ أي هي أخرجته من الغيم واستدرّته، فجعل الماء لها نتاجاً ولداً، فالرياح على هذا هنّ اللواقح.

يعني الماء من نسل ريح جوابة للبلاد ، فجعل الماء للريح كالولد ؛ لأنها حملته في السحاب ثم مَرَّتْ^(١) السحاب حتى أَلْقَتْه ، قال : «ومما يوضح هذا قوله جل ذكره : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ حَيْثُ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الأعراف: ٥٧] أي حملت»^(٢) . وهذا القول اختيار الأزهري ، وقال بعد ما حكى قول ابن قتيبة : «فهذا على هذا المعنى لا يحتاج أن يكون لاقح بمعنى ذات لَقَح ، ولكنها حامل تحملُ السحاب والماء»^(٣) ، والله أعلم .

ويؤكد هذا الوجه أن المفسرين ذكروا في إلحاقها السحاب أنها تحمل الماء ، قال أبو إسحاق : «وجائز أن يقال للريح : لقحت إذا أتت بالخير ؛ كما قيل لها : عقيم إذا لم تأت بخير»^(٤) ، قال ابن الأنباري : «الريح اللاقح الذي يحمل الماء والسحاب على جهة التشبيه والتمثيل بالناقة التي تشتمل على ماء الفحل ، والذي يتولد عن الريح من السحاب ، والمطر بمنزلة الولد الذي تنتجه الناقة ، وهذا كما تقول العرب : قد لقحت الحرب وقد نتجت ولداً أنكدًا»^(٥) ، يُشَبِّهون ما تشتمل

(١) أي استدرته ، وجعلت المطر يدر .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ١٧٨ بتصرف .

(٣) تهذيب اللغة (لقح) ٤/ ٣٢٨٥ بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٧ بنصه .

(٥) الكلمة غير واضحة في النسخ جميعها كأنها : أيلد ، والتصويب من تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٦ . والنكدُ : الشؤم واللؤم ، وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نكدٌ ونكدٌ ، وصاحبه أنكدٌ ونكدٌ . المحيط في اللغة (نكد) ٦/ ٢١٤ .

عليه من^(١) ضروب الشر بما تحمله الناقة ، ويُشَبَّهون بما يتولد منها من القتل والنهب بما تضعه الناقة^(٢) ، يشهد لصحة هذا قول الشاعر^(٣) :

لَقَحَتْ حُرْبٌ وَائِلٌ عَنْ حِيَالٍ^(٤)

والرياحُ العقيمُ غيرُ لاقح ، إذا لم تحمل ما يتولد منه مطر ويصدر عنه روح وفرح^(٥).

(١) ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٤ ورد مختصراً ، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٦ ورد مختصراً غير منسوب .

(٣) هو الحارث بن عباد (جاهلي) .

(٤) وصدره :

قَرَّباً مَرَبِطَ النَعَامَةِ مَنِّي

ورد في الأصمعيات ٧١ ، والحيوان ٤/ ٣٦١ ، وأمالي القلي ٢/ ١٣١ ، والأزهية ٢٨٠ ، والاقتضاب ٤٤٣ ، وشرح الجواليقي ٢٦٦ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٦١٢ ، والحماسة البصرية ١/ ١٦ ، وورد بلا نسبة في معاني الحروف للرماني ٩٥ ، والمنصف ٣/ ٥٩ . (النعام) اسم فرسه ، (المربط) الموضع الذي تربط فيه ، (لقحت) حملت ، (عن حيال) بعد حيال ؛ أراد أنها هاجت بعد سكونها ، يقول ابن السيد : «والحيال : أن تضرب الناقة فلا تحمل ، وإنما ضرب ذلك مثلاً لما تولد عن الحرب وأنتج منها من الأمور التي لم تكن تحتسب بعد ذلك» .

(٥) خلاصة القول في (لواقح) أن فيها ثلاثة أقوال : أن الرياح ملقحة ، أو لاقحة ، أو ذات لقح ، وهذا الأخير محتمل لأحد القولين ، فتؤول المسألة إلى قولين ؛ إما ملقحة أو لاقحة ، وهو ما رجحه الطبري ١٣/ ٢٠ ، وهذا القول موافق للواقع المشاهد ؛ فالرياح لاقح لأنها تحمل السحاب وما فيه من الماء ، وتحمل اللقاح من الشجر الذكور إلى الإناث ، وهي ملقحة لأنها تلقح السحاب ببعضه ببعض ؛ فيدرُّ المطر وكذا فعلها في الأشجار ، ولا تعارض بين القولين ، لكن السياق هنا يرجح القول بأنها ملقحة للسحاب ؛ أي تلقح بعضه ببعض فيدرُّ المطر ، فالآية تشير إلى أثر الرياح في الجمع بين الشحنات الكهربائية الموجبة والسالبة في السحاب ، وهو ما أثبتته العلم الحديث ؛ حيث تقوم الرياح بتلقيح السحاب ، وذلك في عملية تتضمن إمداده بأكداس من جسيمات مجهرية صغيرة ، تسمى : نوى التكاثف ، ومن أهم خواص هذه النويات أنها تمتص الماء أو تدوب فيه ، وتحمل الرياح كذلك بخار الماء وتلقيح به السحاب لكي يمطر .

انظر : الإسلام في عصر العلم ٤٠٦ ، والمعجزة الخالدة : ٣٣٦ ، ومباحث في إعجاز القرآن ١٨٨ .

وقوله تعالى: ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ ، قال الأزهري : «العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري : أسقيتُ ؛ أي جعلته شرباً له ، وجعلت له منها مسقى ، فإذا كانت السقيا لشفته قالوا : (سقاء ، ولم يقولوا : أسقاه)^(١) ، الذي يؤكد ويبين هذا اختلاف القراء في قوله : ﴿شَقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦] فقرأوا باللغتين ، ولم يختلفوا في قوله : ﴿وَسَقَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الدهر: ٢١] وفي قوله : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ [الشعراء: ٧٩] .

وقال أبو زيد : «اللهم اسقنا إسقاء رِواء ، وأسقيت فلاناً رَكِيَّتِي»^(٢) ، إذا جعلت له منها مَسْقَى»^(٣) .

وقال أبو علي : «تقول : سقيته حتى روى ، وأسقيته نهراً ، جعلته شرباً له ، وقوله : ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ : جعلناه سُقيا لكم ، وربما قالوا في : أسقى سقى ؛ كقول لبيد يصف سحاباً :

أَقُولُ وَصَوْبُهُ مِنِّي بَعِيدٌ يُحِطُّ الشَّتُّ مِنْ قُلُلِ الْجِبَالِ
سَقَى قَوْمِي بَنِي مُجْدٍ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(٤)

-
- (١) تهذيب اللغة (سقى) ١٧١٥ / ٢ ، وما بين القوسين ساقط من (ش) و(ع) .
 (٢) الرِّكْوَةُ : شبهُ تَوْرٍ من آدم ، والجمع الرِّكَاءُ ، والرَّكْوُ : أن تحفر حوضاً مستطيلاً ، والرِّكْيَةُ : بئر تحفر ، وجمعها رَكِيٌّ وَرَكَيَا ، انظر : تهذيب اللغة (ركو) ١٤٥٦ / ٢ ، والمحيط في اللغة ٣١٧ / ٦ .
 (٣) النوادر في اللغة ٥٥٤ بمعناه ، وورد في تهذيب اللغة (سقى) ١٧٧ / ٢ بنحوه ، وأغلب الظن أنه نقل القول منه .
 (٤) شرح ديوانه ٩٣ ، وورد البيت الثاني في مجاز القرآن ٣٥٠ / ١ ، والنوادر في اللغة ٥٤٠ ، وتفسير الطبري ١٣١ / ١٤ والحجة للقراء ٧٥ / ٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٥٧ / ١ ، وتفسير الطوسي ٣٩٩ / ٦ ، وابن عطية ٣٠٠ / ٨ ، وابن الجوزي ٣٩٥ / ٤ ، والفخر الرازي ١٧٧ / ١٩ ، واللسان (سقى) ٢٠٤٣ / ٤ ، والألوسي ٣١ / ١٤ . (صوبه) مصاب مطره ، (الشَّتُّ) شجر من شجر السراة ، (قلل) أعالي ، (مجد) ابنة تيم بن غالب بن فهر ، وهي أم كلاب وكعب وعامر بني ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(فسقى قومي) ليس يريد به ما يُروى عِطَاشَهُمْ ، ولكن يريد رزقَهُمْ سَقِيًّا لبلادهم يُخْصِبُونَ بها ، وبعيدٌ أن يسألَ لقومه ما يُروى العطاش ، ولغيرهم ما يُخْصِبُونَ منه^(١) ، فأما سَقِيًّا السَّقِيَّةُ ، فلا يقال فيها أسْقَاهُ ، وأما قول ذي الرُّمَّة :

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ^(٢)

فمعنى (أسقيه) أدعوه بالسُّقيا ، وأقول : سَقَاهُ الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْشَرْنَاهُ ﴾ يعني لذلك الماء المنزل من السماء ، ﴿ بِخَزَائِنَ ﴾ ؛ أي بحافظين ، يقول ليست خزائنه بيدكم .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ يعني إذا مات جميع الخلائق لم يتبق سواه ؛ كقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ ﴾ الآية [مریم : ٤٠] . قال أهل المعاني : «لَمَّا كان يزول مُلْكُ كُلِّ مَلِكٍ بموته –ويكون الله عز وجل المالك الحيّ وَحْدَهُ– كان هو الوارث لجميع^(٣) الأملاك^(٤)» .

ومعنى ورث : تَمَلَّك ما كان يملكه الميت قبله ، وأملاك الخلائق تبطل وتزول بموتهم ، ويبقى المُلْك خالصاً لله وحده ، فكان وارثاً من هذا الوجه .

(١) الحجة للقراء ٧٥/٥ بتصرف .

(٢) ديوانه ٨٢١/٢ ، وورد في مجاز القرآن ١/٣٥٠ ، والنوادر في اللغة ٥٤٠ ، وتفسير الطبري ٢٢/١٤ ، والطوسي ٣٢٩/٦ ، وابن عطية ٨/٣٠١ ، وابن الجوزي ٤/٣٩٥ ، والفخر الرازي ١٩/١٧٧ ، واللسان (سقي) ٢٠٤٢/٤ . (أبثه) أي أخبره بكل ما في نفسي ، (ملاعبه) مواضع يُلْعَبُ فيها .

(٣) في (أ) و(د) : بجميع ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو المنسجم مع السياق .

(٤) ورد هذا المعنى في تفسير الطوسي ٦/٣٢٩ ، والفخر الرازي ١٩/١٧٧ ، والهازن ٣/٩٤ .

٢٤. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ قال الليث: «تقول: استقدم؛ أي تقدم، وضده استأخر؛ أي تأخر»^(١)، واختلف المفسرون في هذه الآية، فقال ابن عباس في رواية عطاء: «الْمُسْتَقْدِمِينَ» يريد أهل طاعة الله، و﴿الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ يريد عن طاعة الله^(٢)، وهذا قول الحسن قال: «المستقدمون في الطاعة، والمستأخرون عنها»^(٣).

وقال في رواية مَقْسَم: «المستقدمون الصف المتقدم، والمستأخرون الصف المتأخر»^(٤)، وهذا قول الربيع، قال: «حضر رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة، فازدحم الناس عليه فأنزل الله هذه الآية»^(٥)، واختار الفراء هذا القول، وقال: «معنى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ أي إِنَّا نجزيهم على ثباتهم»^(٦)، فإنا نعلم جميعهم».

(١) ورد في تهذيب اللغة (قدم) ٣/ ٢٩٠٤ بمعناه.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٧٧.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٥ بنحوه، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٨ بمعناه، والثعلبي ٢/ ١٤٧ ب بنحوه، وانظر: تفسير ابن العربي ٣/ ١١٢٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩، والخازن ٣/ ٩٤، والدر المنثور ٤/ ١٨١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٤) رواه الحاكم، تفسير الحجر ٢/ ٣٥٣ بنصه من طريق أبي الجوزاء (منقطعة بالجهالة)، وانظر: تفسير ابن العربي ٣/ ١١٢٧، والفخر الرازي ١٩/ ١٧٨، والدر المنثور ٤/ ١٧٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وقد أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨، والطبري ١٤/ ٢٦ بنحوه، من طريق واحد مسنداً إلى أبي الجوزاء.

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٧ ب بنصه، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٨٢ بلا سند، وانظر: تفسير الألوسي ١٤/ ٣٢، وابن الجوزي ٤/ ٣٩٦ عن أبي صالح عن ابن عباس، ولا يعتد بمثل هذا في أسباب النزول.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ٨٨ بنصه.

وقال الضحاك ومقاتل : «في صف القتال»^(١) .

وقال في رواية أبي الجوزاء : «كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله ﷺ فكان قوم يتقدمون إلى الصف الأول لثلاث يروها ، وآخرون يتأخرون ليروها - إذا ركعوا وجافوا أيديهم لينظروا من تحت آباطهم - فأنزل الله هذه الآية»^(٢) .

(١) تفسير الفخر الرازي ١٧٨/١٩ عنهما ، وابن الجوزي ٣٩٧/٤ عن الضحاك ، وتفسير البغوي ٣٧٧/٤ عن مقاتل ، والخازن ٩٤/٣ عن مقاتل ، والدر المنثور ١٨١/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل ، والذي في تفسير مقاتل هو نفس القول الذي أخرجه الطبري عن الضحاك في الآية ؛ قال : «الأموات والأحياء» ، انظر : تفسير مقاتل ١٩٦/١ ب ، والطبري ٢٤/١٤ ، والماوردي ١٥٦/٣ .

(٢) أخرجه بنصه تقريباً أحمد ٣٠٥/١ ، والترمذي (٣١٢٢) في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحجر ، وابن ماجه (١٠٤٦) في كتاب الصلاة ، باب الخشوع في الصلاة ، وابن خزيمة ٩٧/٣ في كتاب صلاة النساء في الجماعة ، باب التغليظ في قيام المأموم في الصف المؤخر إذا كان خلفه نساء ، والطبري ٢٦/٤ ، وابن حبان موارد الظمان ٤٣٣ في كتاب التفسير ، باب الحجر ، والطبراني في الكبير ١٢/١٧١ ، والحاكم ٣٥٣/٣ في كتاب التفسير ، باب الحجر ، وصححه ووافقه الذهبي ، وسنن البيهقي ٩٨/٣ في كتاب الصلاة ، باب الرجل يقف في آخر صفوف الرجال ، وأسباب النزول للواحدي ٢٨١ ، كلهم من طريق نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢١٧/٢ ، والثعلبي ١٤٧/٢ ب ، والماوردي ١٥٦/٣ ، وابن عطية ٣٠٢/٨ ، وابن الجوزي ٣٩٦/٤ ، والفخر الرازي ١٧٨/١٩ ، وتفسير القرطبي ١٩/١٠ ، والخازن ٩٤/٣ ، وأبي حيان ٥٠١/٥ ، وابن كثير ٦٠٥/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٨٠/٤ وزاد نسبه إلى أبي داود الطيالسي (٢٧١٢) ، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، وانظر : شرح المسند ٢٧٨/٢ ، وصحيح ابن ماجه (٢٤٧٢) . اختلف العلماء في تصحيح الحديث ؛ فصححه ابن خزيمة والحاكم والذهبي وشاكر والألباني ، وقد أعلّ الترمذي الحديث بالإرسال ؛ ورجع وقفه على أبي الجوزاء ، وتبعه القرطبي وقال : «هو الصحيح» ، واعتمده ابن كثير وقال : «حديث غريب جداً وفيه نكارة شديدة» ، وقد ناقش الألباني المضعفين للحديث ، فبين أن الإعلال مردود بورود الحديث موصولاً في مسند الطيالسي ورجاله ثقات ، وأما الغرابة فمنفية لورود روايات عدة للحديث - ذكرها - في أن الآية نزلت في صفوف الصلاة ، أما النكارة الشديدة التي ذكرها ابن كثير ، فلعله يقصد مضمون الرواية ؛ أنها توهم طعنًا في الصحابة ، وجوابه : «إذا ورد الأثر بطل النظر» ، ولأن هذا المسلك يفتح باباً لرد كثير من الأحاديث ، ويمكن دفع التهمة عن الصحابة بتخصيص الخبر على بعض المنافقين أو حديثي العهد بالإسلام .

انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٤٧٢) .

وعلى هذا القول معنى ﴿عَلِمْنَا﴾ : الوعيد والمحاسبة ، وروي عنه أيضاً أنه قال : «المستقدمون الأموات ، والمستأخرون الأحياء»^(١) ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد قال : «من مضى من الأمم السالفة ومن بقي ؛ وهم أمة محمد ﷺ»^(٢) ، وقال عكرمة : «المستقدمون من خلق ، والمستأخرون (من يخلقه بعد)»^{(٣)(٤)} ، وعلى قول هؤلاء معنى ﴿عَلِمْنَا﴾ التمدح بالعلم ؛ لأن علمه شامل لأعداد من مضى ومن بقي ، ومن خلقه ومن سيخلقه في ما بقي .

٢٦. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ قال ابن عباس وغيره : «يعني آدم»^(٥) ، والكلام في وزن الإنسان واشتقاقه قد تقدم في أول الكتاب ؛ عند قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة : ٨] .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٨/٢ بنحوه عن قتادة ، والطبري ٢٣/١٤ ، ٢٤ بنحوه من طريق قتادة عن ابن عباس ، ومن طريق العوفي (غير مرضية) ، وأخرجه - كذلك - عن قتادة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢١٨/٢ بمعناه عن قتادة ، والثعلبي ١٤٧/٢ بنبضه عن ابن عباس ، وبنحوه عن قتادة ، وانظر : تفسير ابن العربي ١١٢٧/٣ عن ابن عباس وفتحة ، وتفسير القرطبي ١٩/١٠ عنهما ، وأبي حيان ٤٥١/٥ عنهما ، وابن كثير ٥٦٩/٢ عنهما ، والدر المنثور ١٨١/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) تفسير مجاهد ٣٤١ بنصه ، وأخرجه عبدالرزاق ٣٤٨/٢ بنصه ، والطبري ٢٥/١٤ بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢١٨/٢ بنحوه ، والماوردي ١٥٦/٣ بنحوه ، وتفسير البغوي ٣٧٧/٤ ، وابن العربي ١١٢٧/٣ ، وابن الجوزي ٣٩٧/٤ ، والخازن ٩٤/٣ ، وتفسير أبي حيان ٤٥١/٥ ، وابن كثير ٦٠٤/٢ ، ٦٠٥ ، والدر المنثور ١٨٢/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) في معظم المصادر : (من لم يخلق) ، والمثبت في معناه ؛ لأن من يخلقه بعد ، أي في المستقبل ، هو من لم يخلق .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٨/٢ بنحوه ، والطبري ٢٣/١٤ بنحوه ، والثعلبي ١٤٧/٢ بنبضه تقريباً ، والماوردي ١٥٦/٣ بنحوه ، وتفسير البغوي ٣٧٧/٤ ، وابن الجوزي ٣٩٦/٤ ، والفخر الرازي ١٧٨/١٩ ، وتفسير أبي حيان ٤٥١/٥ ، وابن كثير ٦٠٤/٢ ، ٦٠٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٧/١٤ بلفظه من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، والماوردي ١٥٧/٣ بلفظه عن أبي هريرة والضحاك ، وورد بلفظه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢١٨/٢ ، والطوسي ٣٣٠/٦ .

وقوله تعالى: ﴿مِنْ صَلَّصِلٍ﴾ ، اختلفوا في معناه ، فقال قوم : هو طين حر يصلصل إذا نقر ؛ لِيُثْبِتَهُ ، يقال : صَلَّ الحديدُ وغيرُهُ يَصِلُّ صِلًا ، وصلصل إذا صَوَّتَ ، ومنه قول لبيد :

كُلَّ حِرْبَاءٍ إِذَا أُكْرِهَ ^(١) صَلَّ ^(٢)

وأشد ابن الأنباري ^(٣) :

عَنْتَرِيْسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْطُ كَعَدُوِ الْمُصَلِّصِلِ الْجَوَّالِ ^(٤)

(١) في النسخ جميعها : (أكرم) ، والمثبت موافق للديوان وجميع المصادر .

(٢) وصدده :

أَحْكَمَ الْجُنَيْثِي مِنْ عَوْرَاتِهَا

شرح ديوان لبيد ١٩٢ ، وورد في العين ٩٩ / ٦ ، والمعاني الكبير ١٠٣٠ / ٢ ، وجمهرة اللغة ١٤٣ / ١ ، ١٣٢٢ / ٣ وفيه : (نَعْتِهَا) بدل (عوراتها) ، وتهذيب اللغة (حكم) ٨٨٦ / ١ ، و(صل) ٢٠٤٦ / ٢ ، واللسان (حرب) ٨١٨ / ٢ ، و(جنت) ٦٩٦ / ٢ ، و(صلل) ٢٤٨٧ / ٤ ، و(حكم) ٩٥٢ / ٢ ، والتاج (جنت) ١٨٦ / ٣ . (الْجُنَيْثِي) بضم الجيم وكسرهما ، وبالنصب وبالرفع ؛ فمن قال : الْجُنَيْثِي بِالرَّفْعِ ونصب كَلَّا أَرَادَ : الْحَدَّادُ أَوْ الزَّرَّادُ ؛ أَيْ أَحْكَمَ صَنْعَةَ هَذِهِ الدَّرْعِ ، ومن قال : الْجُنَيْثِي بِالنَّصْبِ وَرَفَعَ كَلَّا - وهي رواية الأصمعي - أَرَادَ : السِّيفُ ؛ يَقُولُ هَذِهِ الدَّرْعُ لِأَحْكَامِ صَنْعَتِهَا تَمْنَعُ السِّيفَ أَنْ يَمْضِيَ فِيهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْكَمْتَهُ فَقَدْ مَنَعْتَهُ ، وَأَحْكَمَ هُنَا بِمَعْنَى رَدَّ ، (عوراتها) واحدها عورة ، وهي الْفُتُوقُ وَالْفُرَجُ فِي الدَّرْعِ ، (الْحَرَبَاءُ) مَسَارُ الدَّرْعِ ، وقيل هو رَأْسُ الْمَسَارِ فِي حَلَقَةِ الدَّرْعِ ، (صَلَّ) يقال صَلَّ الْمَسَارُ يَصِلُّ صِلًا ، إِذَا ضُرِبَ وَأُكْرِهَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الشَّيْءِ فَسَمِعَتْ صَوْتَهُ .

(٣) البيت للأعشى .

(٤) ديوان الأعشى ١٦٥ ، وورد في اللسان (صلل) ٢٤٨٦ / ٤ برواية (الصوت) بدل (السوط) ، وفي مجاز القرآن ٣٥١ / ١ ، والكامل ١٠٠ / ٣ برواية : (حُرْك) بدل (مسها) ، والغريب لابن قتيبة ٢٤١ / ١ (عجزه) ، وتفسير القرطبي ٢١ / ١٠ (عجزه) . (عَنْتَرَس : الضخم من الدواب ، والمقصود : الناقة الصلبة الغليظة ، الكثيرة اللحم ، الوثيقة الخلق ، وقد يُوصَفُ به الفرس . المحيط في اللغة (عترس) ٢ / ٢٥٠ ، ومتن اللغة ٤ / ٢١ .

قال يريد بالمصلصل الحمار المصوت ، وهذا قول الفرّاء^(١) والزّجاج^(٢) وأبي عبيدة^(٣) ، ونحوه قال الأخفش ، قال : « وكل شيء له صوتٌ فهو صلصالٌ من غير الطين »^(٤) ، وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي ، قال : « الصلصال : الطين اليابس »^(٥) ، وفي رواية إسرائيل^(٦) : « الصلصال الذي إذا قُرِعَ صَوَّت »^(٧) وروى عنه أبو صالح أنه الطين الحر الذي إذا نَضِبَ عنه الماء تشقق ، فإذا حُرِّك تقعقع^(٨) ، وهذا قول الحسن وقتادة في الصلصال .

-
- (١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٨٨ بمعناه .
 (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٨ بنحوه .
 (٣) مجاز القرآن ١/ ٣٥٠ بنحوه .
 (٤) ليس في معانيه ، وهو في التهذيب بنصه ، والغالب أنه نقله منه . انظر : تهذيب اللغة (صل) ١٢/ ٢٠٤٦ .
 (٥) أخرجه الطبري ١٤/ ٢٨ من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٥٧ بنصه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢١ ، والخازن ٣/ ٩٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٠٦ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
 (٦) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَّبَّيحي الهمداني ، أبو يوسف الكوفي ، أحد الأعلام ، ثقة تُكَلَّم فيه بغير حجة ، اعتمده البخاري ومسلم في الأصول ، روى عن السدي وجده أبي إسحاق ، وعنه وكيع وأبو نعيم ، مات سنة ١٦٢ هـ ، انظر : طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٤ ، والجرح والتعديل ٢/ ٣٣٠ ، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٨ ، وتقريب التهذيب ١٠٤ رقم (٤٠١) .
 (٧) ورد في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٥٣ بنحوه ، والطوسي ٦/ ٣٣٠ بمعناه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
 (٨) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ ، بنصه عن ابن عباس ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨ عن قتادة بمعناه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ عن ابن عباس ، والخازن ٣/ ٩٤ عن ابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ١٨٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الحسن .

قال المفسرون : «خلق الله آدم من طين فصوّره ومكث في الشمس أربعين سنة حتى صار صلصالاً كالخزف لا يدري أحد ما يُراد به ، ولم يروا شيئاً من الصورة يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح»^(١) .

(١) ما أشار إليه هنا جزء من خبر طويل مروي عن ابن عباس وبعض الصحابة ، أخرجه الطبري من طريقين ، وأشار إلى التعارض بين الروایتين ، ثم قال : «وهذا إذا تدبره ذو فهم ، علم أن أوله يفسد آخره ، وأن آخره يبطل معنى أوله» ، وأورد ابن كثير الروایتين ، وعقّب على رواية ابن عباس - التي فيها أنه مكث أربعين ليلة جسداً - قائلاً : «هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها» ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور ، وقال بعد الرواية الأخرى التي فيها أنه مكث أربعين سنة جسداً : «فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السّدي ، ويقع فيه إسرئيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم» . انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومابعدا ، والعظمة ٤٥٣ عن ابن زيد ، وتفسير السمرقندي ١/ ١٠٨ ، وابن كثير ١/ ٧٤ ومابعدا ، وأورد السيوطي في الدر المنثور : ١/ ٩٣ - ١٠٠ رواية ابن عباس ، وأورد الرواية الأخرى عن ابن مسعود وغيره ، وزاد نسبته إلى البيهقي وابن عساکر ١/ ١١٦ ، ومما يؤيد رد هذا القول - إضافة إلى انتقاد ابن جرير وابن كثير لأصل الخبر - التعارض بين الروایتين في المدة التي مكثها آدم قبل أن يُنفخ فيه الروح ، فإحدى الروایتين ذكرت أنها أربعين ليلة ، والأخرى ذكرت أنها أربعين سنة ، والغريب أن قضية مكث آدم مدة قبل نفخ الروح فيه ثابتة بالحدیث الصحيح ، لكن دون تعيين هذه المدة أو مكان الممكث - في الظل أو الشمس . «فمن أنس أن رسول الله ﷺ قال : لما صوّر الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلّق خلقاً لا يتمالك» رواه مسلم (٢٠٦١١) في كتاب البر والصلّة ، باب خلق الإنسان ، ومعنى لا يتمالك ؛ أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات ، وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بني آدم . صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٦٤ .

وقال آخرون : الصلصال المتن ، من قولهم : صَلَّ اللحم وأصل ، إذا أُنْتَنَ وتغيَّر^(١) ، ومنه قول الشاعر^(٢) :

رَأَيْتُكُمْ بَنِي الْخُذَوَاءِ لَمَّا دَنَا الْأَضْحَى وَصَلَّتِ اللَّحَامُ^(٣)
وقال زهير :

تُلْجَلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَيْضُ أَصَلْتُ فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ^(٤)

(١) تهذيب اللغة (صل) ٢/٢٠٤٦ بنصه .

(٢) هو أبو الغول الطهوي شاعر إسلامي من بني طهية .

(٣) ورد في نوادر أبي زيد ٤٣٣ وفيه : (أتى) بدل (دنى) ، وتهذيب إصلاص المنطق ٤١٦ ، واللسان (لحم) ٧/٤٠١٠ ، و(خذوا) ١٤/٢٢٥ ، و(ضحا) ٥/٢٥٦٠ ، وورد بلا نسبة في إصلاص المنطق ١٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٦٠ ، والمذكر والمؤنث للأبناري ١/٢٦٣ ، وتهذيب اللغة (ضحا) ٣/٢٠٩٦ ، ومقاييس اللغة (عجز) ٣/٣٩٢ ، ومجمل اللغة (عجز) ١/٥٧٤ ، الصحاح (ضحا) ٦/٢٤٠٧ ، والمخصص ١٣/٩٩ ، ١٧/٢٦ . (الخذواء) المسترخية ، وأصل الخذا : استرخاء الأذن ، يقال : أذن خذواء : مسترخية ، (اللحام) جمع لحم ، (صلت) أننت ، قال الشاعر البيت وهو يهجو قوماً ، يوضحه البيت الثاني وهو :

تَبَاعَدْتُكُمْ بِوُدِّكُمْ وَقُلْتُ لَعَكٌ مِنْكَ أَقْرَبُ أَوْ جُذَامٌ
يقول لهم : لما كثرت اللحوم فشبعتم واستغنيتم ، توليتكم بؤدكم عني ، ومعنى قوله (لعك منك أقرب أو جذام) يريد أنهم أنكروه حين شبعوا ، وأظهروا أنهم لا يعرفونه ، فسألوه عن نسبه فقالوا : أنت من جذام أم من عك ؟ وهما قبيلتان من قبائل اليمن ، وهو من تميم ، وإنما أنكروه لثلا يقوموا بحقه ، فهو يصفهم بالبخل ، وإن كان الشيء الذي سألهم كثيراً عندهم .

(٤) شرح ديوان زهير ٨٢ ، وورد في العين ٧/٦٢ ، وجمهرة اللغة ٣/١٢٦٠ ، وتهذيب اللغة (لج) ٤/٢٧٣٢ ، و(أنض) ١/٢١٨ ، ومقاييس اللغة ١/١٤٥ ، ٥/٢٠١ ، واللسان (لج) ٧/٤٠٠٠ ، و(أنض) : (١١٥/٧) ، و(صلل) ٤/٢٤٨٧ ، والتاج (أنض) ١٠/١٠ . (لجَلَجَ) : ردّد ، ومنه : لجَلَجَ اللقمة في فيه ، أدارها من غير مضغ ولا إساعة ، (أنض) يقال : لحم أنض : إذا بقي فيه هُبُوَّةٌ ؛ أي لم يَنْضَجْ ، وَانْضَتَّ إِنْبَاضاً ؛ أي انْضَجَّتْ فَنَضِجَ ، (الكشح) قال الليث : هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، قال الأزهري : «هما كشحان وهو موقع السيف من المتقلد» ، وقيل الكشحان جانباً البطن من ظاهر وباطن ، وقيل غير ذلك ، يقول : أخذت هذا المال ، فأنت لا تأخذه ولا تردّه كما يُلْجَلِجُ الرجلُ المضغة ، فلا يبتلعها ولا يلقها . انظر : تهذيب اللغة (كشح) ٤/٣١٤٦ .

قال ابن الأنباري : «والأصل في صَلَّال صَلال ، فأبدلت الصاد من اللام الثانية ، ومنه كثير» ، وهو قول مجاهد ، قال : «الصلصال المتن»^(١) ، واختاره الكسائي^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ ، قال ابن الأنباري : «(من) هاهنا مفسرة لجنس الصلصال ؛ كما تقول : أخذت هذا من رجل من العرب» .

وأما : الحَمَأُ ، فقال الليث : «الحَمَأُ بوزن فَعْلَة والجميع الحَمَأُ»^(٣) ، وهو الطين الأسود المتن»^(٤) .

-
- (١) الذي ورد في تفسير مجاهد ٣٤١ قال : «الصلصال الطين ، والحَمَأُ المسنون المتن» ، ورواية الواحدي أخرجها الطبري ٢٨ / ١٤ بلفظها ، ووردت في تفسير هود الهواري ٤٤٧ / ٢ بلفظه ، والثعلبي ١٤٨ / ٢ بلفظه ، والماوردي ١٥٧ / ٣ بلفظه ، والطوسي ٣٣١ / ٦ بلفظه ، وتفسير البغوي ٣٧٨ / ٤ ، وابن الجوزي ٣٩٧ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٢١ / ١٠ ، والخازن ٩٤ / ٣ ، وابن كثير ٦٠٦ / ٢ .
- (٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨ / ٢ ، وتفسير البغوي ٣٧٨ / ٤ ، وابن الجوزي ٣٩٧ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٢١ / ١٠ ، والخازن ٩٤ / ٣ .
- (٣) تفسير الفخر الرازي ١٨٠ / ١٩ ، وتفسير أبي حيان ٤٤٣ / ٥ ، والدر المصون ١٥٦ / ٧ .
- (٤) ورد في العين ٣١٢ / ٣ بنصه ، وتفسير الطبري ٢٨ / ١٤ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢١٨ / ٢ بنصه ، والماوردي ١٥٧ / ٣ بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ٢١ / ١٠ ، والفخر الرازي ١٨٠ / ١٩ ، والخازن ٩٤ / ٣ ، أبي حيان ٤٤٣ / ٥ ، والدر المصون ١٥٦ / ٧ .

وقال أبو عبيدة والأكثر: «حَمَاءٌ»^(١) تقديرها: حَمَاءٌ»^(٢)، وأنشد لأبي الأسود^(٣):

لَعْمُرُكَ مَا الْمَعِيشَةُ بِالتَّمَنِّي وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدَّلَاءِ
تَحِيَّ بِمِلْئِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَجِيَّ بِحَمَاءٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ^(٤)

(١) في النسخ جميعها: (حَمَاءٌ)، والتصويب من المصدر.

(٢) مجاز القرآن ١/١٣٤ وعبارته: «قال: (من حَمَاءٍ)؛ أي من طين متغير؛ وهو جميع حَمَاءٍ»، وضبطها المحقق بالتسكين، وهو الموافق للبيت الذي استشهد به، وهو القائل: «ولا يُعرف في كلام العرب الحَمَاءُ إلا ساكنة الميم»؛ كما في تفسير أبي حيان ٥/٤٤٣، والدر المصون ٧/١٥٦، لكن الغريب أن صاحب اللسان نسب إليه تحريكها، فقال: «وقال أبو عبيدة: واحدة الحَمَاءُ حَمَاءٌ؛ كَقَصْبَةٍ واحدة القَصْبِ»، وتبعه صاحب التاج. انظر: اللسان (حَمَاءٌ) ٢/٩٨٦، والتاج ١/١٤٠ فلعلهما وهما.

(٣) أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي البصري التابعي، أول من أسس النحو ووضع قواعده وأول من نقط المصحف، محدث فقيه شاعر سريع الجواب، كان ثقة في الحديث روى له البخاري ومسلم، حدث عن علي وعمر وابن عباس -رضي الله عنهم- وشهد صفين مع علي -رضي الله عنه- مات سنة ٩٩ هـ. انظر: أخبار النحويين البصريين ٣٣، وطبقات النحويين واللغويين ٢١، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/١٧٥، وإنباه الرواة ١/٤٨، وتقريب التهذيب ٦١٩ رقم (٧٩٤٠)، والبيغة ٢/٢٢.

(٤) ديوانه ١٢٦، وورد في المذكر والمؤنت للأنباري ١/٤١١ برواية:

فَمَا طَلَبَ الْمَعِيشَةَ بِالتَّمَنِّي تَحِيَّكَ بِمِلْئِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا
وورد البيت الثاني فقط في مجاز القرآن ١/٤١٣ كرواية المذكر بخلاف (تحيي)، وتفسير أبي حيان ٥/٤٤٣ كرواية الواحدي بخلاف (يحيك بميلئها)، والدر المصون ٧/١٥٦ كالواحدي بخلاف (بمليئها).

والجمع حمّاً، كما يقال ثمرة وتمّر، ونخلة ونخل، والحمّا أصله المصدر، نحو الجزع والهلّع، ثم يُسمّى به، ولا يعرف في كلام العرب الحمّا إلا ساكنة الميم^(١)، وهذا هو الصحيح، وقول الليث وهم، ويُذكر الفعل من هذا الحرف عند قوله: ﴿فِي عَيْنِ حَمَّةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿مَسْنُونٍ﴾ قال ابن السكيت: «سمعت أبا عمرو يقول في قوله: ﴿مَسْنُونٍ﴾؛ أي متغيّر»^(٢)، قال أبو الهيثم: «يقال: سنّ الماء فهو مسنون؛ أي تغيّر»^(٣)، وقال ابن قتيبة: «المسنون المتغير الرائحة»^(٤)، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] قال أبو عمرو الشيباني: «أي لم يتغير، من قوله: ﴿حَمّاً مَسْنُونٍ﴾»^(٥)، ذكرنا ذلك سورة البقرة: ٢٥٩.

قال الفراء: «المسنون المتغيّر؛ كأنه أخذ من: سنّنت الحَجَر على الحَجَر، إذا حككته عليه، والذي يخرج من بينهما يقال له: السنين»^(٦)، وسمّي المسنّ مسنّاً؛

(١) انظر: العين (جو) ٣/٣١٢، والمقصود والمدود للفراء ٤٩، والمحيط في اللغة (جو) ٣/٢٢٩، والصاح (حمأ) ١/٤٥، والمفردات ٢٥٩، والأساس ١٤٠، وعمدة الحفاظ ١/٥١٨، ومتن اللغة ٢/١٥٧، وقد وردت متحركة في العباب الزاخر للصغاني: أ/٤٥ قال: «الحمّا والحمّا: الطين الأسود»، وكذا وردت ساكنة ومتحركة في التاج (حمأ) ١/١٤٠، ونسب تحريكها إلى أبي على القالي في كتابه المقصور والمدود (لم أقف عليه)، وقال: «الحمّا: الطين المتغيّر، مقصور مهموز، وهو جمع حمّا، كما يقال قَصَبَةٌ وقَصَبٌ»، ومثله قال أبو عبيدة، ثم قال: «وقال أبو جعفر: وقد تُسَكَّن الميم للضرورة في الضرورة، وهو قول ابن الأنباري».

(٢) ورد في تهذيب اللغة (سن) ١٢/٣٠١ بنصه. والغريب أنه أورد قولين لأبي عمرو لكنه نسب عبارة التهذيب لابن السكيت - كما ذكرها الأزهرى - ولم ينسب عبارة إصلاح المنطق - التالية - لابن السكيت.

(٣) تهذيب اللغة (سن) ١٢/٣٠١ بنصه.

(٤) الغريب لابن قتيبة ٢٣٨ بلفظه.

(٥) إصلاح المنطق ٣٠٢ بنصه.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/١٧٧٨ بنصه، وانظر: تهذيب اللغة ٢/١٧٧٨ بنصه.

لأن الحديد يتغير بِحَكِّكَ عليه»^(١)، وعلى قوله يجب أن يكون المسنون المحكوك لا المتغير، وهذا القول في الحمأ المسنون يقوي قول مجاهد في الصلصال؛ أنه المتن، ومن قال: الصلصال الذي له صوت، قال: صَوَّرَ آدَمُ من حمأ مسنون ثم جف فصار صلصالاً، هذا الذي ذكرنا أحد الأقوال في المسنون، واختار الزَّجَّاج هذا القول؛ «مسنون: مُتَغَيَّرٌ، وإنما أخذ من أنه على سُنَّةِ الطريق، لأنه إنما يتغير إذا قام بغير ماءٍ جارٍ»^(٢).

وقال أبو عبيدة: «المَسْنُونُ المصبوب»^(٣)، والسَّنُّ الصَّبُّ يقال: سَنَّ الماء على وجهه سناً»^(٤)، وقال سيويه: «المسنون المصوَّر على صورة ومثال، من سُنَّة الوجَّه، وهي صورته»^(٥).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «المسنون الطين الرطب»^(٦)، وهذا يعود إلى قول أبي عبيدة؛ لأنه إذا كان رطباً يسيل وينسبط على الأرض فيكون مسنوناً؛ كأنه مصبوب.

(١) تهذيب اللغة (سن) ١٧٧٨/٢ بمعناه، وقد نسب الأزهري للفراء، ولم أجده في معانيه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٧٧٨/٢ بنصه.

(٣) مجاز القرآن ١/٣٥١ بلفظه.

(٤) تهذيب اللغة (سن) ١٧٧٨/٢ بنحوه.

(٥) لم أقف عليه في الكتاب، وهذه العبارة مطابقة لما في تفسير الثعلبي ١٤٨/٢ والظاهر أنه اقتبسها منه، وتفسير الرازي ١٩/١٨٠، والشوكاني ٣/١٨٥.

(٦) أخرجه الطبري ١٤/٣٠ بلفظه، من طريق علي بن أبي طلحة (أصح الطرق)، وورد في تهذيب اللغة (سن) ١٧٧٨/٢ بنحوه، والبغوي ٤/٣٧٨ بنحوه، وابن الجوزي ٤/٣٩٨، والرازي ١٩/١٨٠، والقرطبي ١٠/٢١، والحاظن ٣/٩٤، والسدر المنشور ٤/١٨٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

٢٧. قوله تعالى : ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَهُ﴾ الآية . اختلفوا في الجَّان مَنْ هو ؟ فقال عطاء عن ابن عباس : «يريد إبليس»^(١) ، وهو قول الحسن وقتادة ومقاتل ، وقال ابن عباس : «الجَّان هو أبو الجن»^(٢) ، وهو قول عامة المفسرين ، وسُمِّيَ جانا لتواريه عن الأعين ، كما سُمِّيَ الجن جنًّا لأنهم يتوارون عن أعين الناس ، والجنين متوار في بطن أمه ، ومعنى الجان في اللغة : الساتر ، من قولك جنَّ الشيء إذا ستره^(٣) . فالجان الذي ذكرناه هنا يحتمل أنه سُمِّيَ جانا لأنه يستتر نفسه عن أعين بني آدم ، أو يكون من باب الفاعل الذي يراد به المفعول ، كما يقول في : لابن وتامر ، وماءٍ دافق ، وعيشة راضية ، وقد ذكرنا في مواضع^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿خَلَقْنَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قال ابن عباس : «يريد من قبل خلق آدم»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُورِ﴾ اختلفوا في معنى (السَّمُوم) ، فقال ابن عباس في رواية الكلبي : «هي نارٌ لا دخان لها ، والصواعق تكون منها ، وهي

(١) ورد في تفسير مقاتل ١/١٩٦ بلفظه ، والثعلبي ٢/١٤٨ ، عن قتادة ومقاتل ، والماوردي ٣/١٥٨ عن الحسن ، وتفسير البغوي ٤/٣٧٩ عن قتادة ، وابن الجوزي ٤/٣٩٩ عن الحسن ، وقتادة ومقاتل ، والفخر الرازي ١٩/١٨٠ عنهم ، وتفسير القرطبي ١٠/٢٣ عن الحسن ، والخازن ٣/٩٥ عن قتادة ، وتفسير أبي حيان ٥/٤٥٣ عن الحسن وقتادة ، والدر المنثور ٤/١٨٣ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ٢/١٤٨ أ ، والماوردي ٣/١٥٨ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/٣٧٩ ، وابن الجوزي ٤/٣٩٩ من طريق أبي صالح ، والفخر الرازي ١٩/١٨٠ ، والخازن ٣/٩٥ ، وأبي حيان ٥/٤٥٣ ، وتنوير المقباس ٢٧٧ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢١٨ ، وأبي السعود ٥/٧٤ ، والشوكاني ٣/١٨٩ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جن) ١/٦٧١ ، والمحيط في اللغة ٦/٤١٠ ، والصحاح (جن) ٥/٣٠٩٤ .

(٤) منها عند تفسيره آية [٤٥] من سورة الإسراء .

(٥) تنوير المقباس ٢٧٧ بنصه ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/١٩٦ ب ، وتفسير السمرقندي ٢/٢١٨ ، والثعلبي ٢/١٤٨ ، والماوردي ٣/١٥٨ ، وابن الجوزي ٤/٣٩٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/٢٣ ، والخازن ٣/٩٥ .

نار بين السماء وبين الحجاب ، فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت ، والهدّة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب»^(١) ، ونحو هذا القول سواء رَوَى الفرّاء عن الحسن^(٢) .

وقال آخرون : من نار الريح الحارة ، وهو قول ابن مسعود ، قال : «هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان ، وتلا هذه الآية»^(٣) .

وعلى هذا فالريح الحارة فيها نار ، ولها لفتح وأوار^(٤) ، على ما ورد في الخبر أنها من لفتح جهنم ، ومعنى السموم في اللغة : الريح الحارة تكون بالنهار وقد تكون بالليل ، قيل : سُميت سموماً لدخولها بلطف في مسام البدن ، وهي الخروق الخفية التي تكون في جلد الإنسان ، يبرزُ منها عرقُه وبُخارُ باطنه^(٥) .

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢٣/١٠ ، وورد منسوباً إلى الكلبي - نفسه - في تفسير الماوردي ١٥٩/٣ ، وتفسير البغوي ٣٧٩/٤ ، وابن الجوزي ٤٠٠/٤ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٨٨/٢ .

(٣) أخرجه الطبري ٣٠/١٤ بنصه ، والطبراني في الكبير ٢٤٧/٩ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٤٨/٢ بنصه ، والطوسي ٣٣١/٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٤٠٠/٤ ، وتفسير القرطبي ٢٣/١٠ ، والخازن ٩٥/٣ ، وابن كثير ٦٠٥/٢ ، والدر المنثور ١٨٣/٤ ، ١٨٤ ، وزاد نسبته إلى الطيالسي والفرّايي وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في الشعب ، ولم أقف عليه فيها .

هذا القول ورد موقوفاً على ابن مسعود (كما في المصادر السابقة) ، وروي عنه مرفوعاً في مسند البزار البحر الزجار ٥/٢٥٠ وإسناده ضعيف كما أشار إلى ذلك الهيتمي في مجمع الزوائد ٣٨٨/١٠ ، وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعاً كما في تفسير الشوكاني ١٨٩/٣ ، ١٩٠ ، والألوسي ٣٤/١٤ .

(٤) الأوار بالضم : شدّة حر الشمس ولفح النار ووجهها والعطش ، وقيل الدخان واللهب . اللسان (أور) ١٦٩/١ .

(٥) انظر : المنتخب من غريب كلام العرب ١/٤٢٣ ، وتهذيب اللغة (سم) ٢/١٧٦٢ ، و(سمم) في الصحاح ٥/١٩٥٤ ، واللسان ٤/٢١٠٢ ، وعمدة الألفاظ ٢/٢٥٦ .

قال الفراء : «يقال أَسَمَّ يومنا هذا ، إذا كانت فيه السموم ، وإنه ليوم مُسَمِّ ، والعرب تقول : مَسْمُومٌ ، ولا يُقال : قد سَمَّ ، قال : وسمعت من يقول : قد سَمَّ يومنا»^(١) .

٢٩ .^(٢) قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ قال الكلبي : «يقول جمعت خلقه يعني عدلت صورته وسويته بالصورة الإنسانية»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء ، والروح جسم رقيق يحيا به البدن ، ونذكر الكلام فيها عند قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥] إن شاء الله ، ولما أجرى الله - عز وجل - الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح ؛ كأن قد نفخ فيه الروح ، وأضاف روح آدم إليه تكريماً لما كَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ ، وهي إضافة الملك .

وقوله تعالى : ﴿ فَخَرُّوا لَهُ ﴾ أمر من الوقوع ، قال الكلبي : «فَخَرُّوا له ساجدين سجدة تحية ولم تكن سجدة طاعة» ، ونحو هذا قال جميع المفسرين^(٤) ، وذكرناه وجه كيفية سجود الملائكة لآدم في سورة البقرة^(٥) ، ومعنى سجود التحية قد ذكرناه في قوله : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠] .

(١) لم أجده في معانيه ، وبعض هذا الكلام ورد في التهذيب منسوباً إليه . انظر : تهذيب اللغة (سم) ١٧٦٢/٢ .

(٢) لم يفسر الآية : [٢٨] .

(٣) ورد مختصراً بلا نسبة في تفسير الطبري ٣١/١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢١٨/٢ ، والطوسي ٣٣٢/٦ ، وتفسير البغوي ٣٨٠/٤ وابن الجوزي ٤/٤٠٠ ، والفخر الرازي ١٨٢/١٩ ، وتفسير القرطبي ٢٤/١٠ ، والخازن ٩٥/٣ ، والشوكاني ١٨٦/٣ بنحوه .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير الطبري ٣١/١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢١٩/٢ ، والثعلبي ١١٤٨/٢ ، والطوسي ٣٣٢/٦ ، وتفسير البغوي ٣٨٠/٤ ، والفخر الرازي ١٨٢/١٩ ، وتفسير القرطبي ٢٤/١٠ ، والخازن ٩٥/٣ .

(٥) آية [٣٤] .

٣٠. قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ قال الخليل وسيبويه :
«(أجمعون) تأكيد بعد تأكيد»^(١).

وسئل أحمد بن يحيى عن التوكيد بكلهم ثم بأجمعين في هذه الآية ، فقال : «لما كانت كلهم تحتمل شيئين تكون مرة اسماً ومرة توكيداً ، جاء بالتوكيد الذي لا يكون إلا توكيداً»^(٢). وسئل المبرّد عنها فقال : «لو جاء : فسجد الملائكة ، احتمل أن يكون سجد بعضهم ، فجاء بقوله : ﴿ كُلُّهُمْ ﴾ لإحاطة الأجزاء ، ولو جاء (كلهم) من غير ذكر أجمعين ، لاحتمل أن يكونوا سجدوا كلهم في أوقات مختلفة ، فجاءت (أجمعون) ليدل أن السجود كان منهم كلهم في وقت واحد ، فدخلت (كلهم) للإحاطة ودخلت (أجمعون) لسرعة الطاعة»^(٣).

وهذا معنى ما حكاه الزّجاج عنه ، فقال : «وقال محمد بن يزيد : (أجمعون) يدل على اجتماعهم»^(٤) بالسجود ، فسجدوا كلهم في حال واحد ، ثم قال : وقول سيبويه والخليل أجود ؛ لأن أجمعين معرفة ، فلا تكون حالاً»^(٥).

(١) لم أقف عليه في الكتاب ، وورد في معاني القرآن وإعرابه ١٧٩/٣ بنصه عنهما ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٨٠/٢ بنصه عنهما ، وتفسير السمرقندي ٢١٩/٢ بنصه عن الخليل ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٠٩/٨ ، وابن الجوزي ٤/٤٠٠ ، والفخر الرازي ١٩/١٨٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/١٩٦ ، وتفسير الخازن ٣/٩٥ .

(٢) في النسخ جميعها : (توكيد) وهو خطأ نحوي ظاهر ، وقد ورد قوله في تهذيب اللغة (كل) ٣١٧٨/٤ بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٣١٧٨/٤ بنصه تقريباً ، وورد مختصراً في إعراب القرآن للنحاس ٢/١٩٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/٢١٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/٧ ، والبسيط في شرح جمل الزّجاجي ١/٣٨٣ .

(٤) في (ج) : (اجماعهم) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٧٩ بنصه ، ويؤكد هذا أنه لو كان حالاً لا تأكيداً للزمه النصب ، كما أن الحال تكون نكرة و(أجمعون) معرفة . انظر : مشکل إعراب القرآن ٢/٧ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/١٩٧ .

قال النحويون : (كل) و(أجمعون) إذا أُكِّدَ بهما وجب تقديم (كل) على (أجمعين)^(١) ؛ لأن كلاً قد تستعمل مبتدأة كقولك : كلهم منطلقون ، ولا يجوز أن يقول : أجمعون [منطلقون ، فلما كانت (كل) قد استعملت مبتدأة ليس قبلها ما تتبعه ، وكان أجمعون]^(٢) لا تستعمل إلا تابعا ، وجب أن تتقدم الأقوى ؛ أعني (كل وأجمعون) من ظَرْفِ المعرفة ؛ لأن أجمع بمنزلة زيد ؛ في أن كل واحد منهما تعريفه بالوضع دون الألف واللام ، ودون الإضافة ودون الإشارة ، فإذا جمعته كان أيضاً معرفة ؛ لأن جمعه أقيم مقام إضافته ، وكان الأصل أن يقول : مررت بالقوم بأجمعهم ، فحذف لفظ الضمير وأقيم الجميع^(٣) بالواو والنون مقامه ؛ وذلك أن أجمع على وزن أفعّل ، ومن شرط أفعّل إذا أضيف إلى شيء أن يكون بعضه ، فلو قالوا : مررت بالقوم أجمعهم ، لثَوَّهَمُ أن^(٤) أجمع بعض القوم ، وإنما غرضهم أن يخبروا عن جميع القوم ، فلذلك عدلوا عن إضافة أجمع في اللفظ ، فأتوا بالواو والنون ليدلوا بذلك على استغراق المذكورين .

٣١ . وقوله تعالى : ﴿إِلَّا إِلَيْسَ﴾ أجمعوا على أن إبليس كان مأموراً بالسجود لأدم ، واختلفوا في أنه هل كان من الملائكة أم لا ؟ على ما ذكرنا في سورة البقرة ، فمن قال : كان من الملائكة ، جعل هذا الاستثناء من الجنس ، ومن قال : لم يكن ، جعله من الاستثناء المنقطع كما ذكرنا في سورة البقرة ، ومن جنس هذا يأتي الكلام عند قوله : ﴿إِلَّا إِلَيْسَ كَانَ مِنْ آلِ حِينَ﴾ [الكهف : ٥٠] إن شاء الله .

(١) انظر : شرح ابن عقيل ٢/٣٠٩ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَاجي ١/٣٨٠ ، وأوضح المسالك ٣/٣٣١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) (ش) و(ع) : (الجمع) .

(٤) (أن) ساقطة من (أ) و(د) .

٣٢. قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ قال أبو إسحاق: «موضع (أن) نصب باسقاط (في) وإفضاء الناصب إلى (أن)، المعنى: أي شيء يقع لك في أن لا تكون»^(١).

٣٣. وقوله تعالى: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾ قال ابن عباس: «يريد لحماً ودماً، وإبليس رُوحاني لا لحم ولا دم».

٣٤. وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد من جنة عدن، وقيل من السموات»^(٢)، وذكرنا هذا في سورة الأعراف^(٣)، ومعنى الرجيم قد مضى ذكره في هذه السورة^(٤).

٣٥. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَّا يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال ابن عباس: «يريد يوم الجزاء، حيث يجازى العباد بأعمالهم»^(٥)؛ مثل قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال الكلبي: «يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الحساب»^(٦)؛ لأنه أول من عصى الله، وقال أهل المعاني: «إن الله - عز وجل - قد لعنه والمؤمنون لعنة لازمة إلى يوم الدين، ثم يحصل حيثئذ على الجزاء بعذاب النار، فمعنى التوقيت بيوم الدين، أنه يكون

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٩/٣ بنصه .

(٢) ورد بنصه غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ١٨٣/١٩، وتفسير القرطبي ٢٦/١٠، والخازن ٩٦/٣، وهو قول غريب؛ لأن الآيات صريحة على أنهم - آدم وحواء وإبليس - كانوا في الجنة، ومنها أخرجوا واهبطوا، لا من مطلق السماء .

(٣) آية: [١٣] .

(٤) آية [١٧] .

(٥) تفسير الفخر الرازي ١٨٣/١٩ بنصه، وتنوير المقباس ٢٧٨ بمعناه .

(٦) ورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٣٤٨/٢، وتفسير البغوي ٣٨١/٤ غير منسوب للكلبي، والخازن ٩٦/٣ .

ملعوناً مبعداً عن رحمة الله من غير عذاب النار إلى يوم الدين ، ثم يضم له عذاب النار مع اللعنة يوم الدين .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ قال ابن عباس : «يريد النفخة الأولى حين تموت الخلائق»^(١) ، قال الكلبي : «إذا نفخ النفخة الأولى مات الخلائق كلهم ومات إبليس معهم»^(٢) ، وإنما سمي الوقت المعلوم ؛ لأنه^(٣) تموت (فيه الخلائق وإبليس ، واستنظر إبليس)^(٤) إلى^(٥) يوم القيامة لئلا يموت ؛ إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد ، فلم يُجِبْ إلى ذلك ، وقيل له : (إلى يوم الوقت المعلوم) ، وهو آخر أيام التكليف .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ قال أبو عبيدة : «معنى الباء هاهنا القسم»^(٦) ، وقال غيره : «هي بمعنى السبب»^(٧) ؛ أي بكوني غاوياً لأزين لقولك ؛ بمعصيته لِيَدْخُلَنَّ النار ، وبطاعته لِيَدْخُلَنَّ الجنة ، والكلام في الإغواء وفي هذه الباء ، وأكثر هذه القصة مذكور في سورة الأعراف^(٨) .

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٦٠ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٨٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، وفيهما : (إبليس) بدل (الخلائق) ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٧ بنصه ، والألوسي ١٤/ ٤٨ ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٨ ب ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨١ غير منسوب لابن عباس ، والفخر الرازي ١٩/ ١٨٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٥٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في النسخ جميعها (لا) فقط ولا معنى له ، والمثبت تصويب من تفسير الوسيط ٢/ ٣٥٦ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) في (أ) و(د) : (إذ) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٥١ بنحوه ، وتقديره : بالذي أغويتني .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣١٣ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣١٤ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٩٨ ، والحاظن ٣/ ٩٦ ، وأبي السعود ٥/ ٧٨ ، والألوسي ١٤/ ٤٩ .

(٨) آية [١٦] .

وقوله تعالى : ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني : لأولاد آدم ، ومفعول التزيين محذوف على تقدير : لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ؛ أي الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم لك عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد ، ومن فتح اللام^(١) فمعناه : الذين أخلصهم الله بالهداية والتوفيق والعصمة ، قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد الذين عصمتهم وأخلصتهم وأخلصوا لك»^(٢) ، قال المفسرون : يعني المؤمنين^(٣) ؛ وذلك أنه لا سلطان لإبليس على المؤمن بالإغواء ، وإنما يكون سلطانه على من عدل عن الهدى ، كقوله : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ [النحل : ١٠٠] ، فكأن إبليس قال : لأزينن لهم ولأغوينهم أجمعين ، إلا من عصمته بالإخلاص فإني لا أقدر على إغوائه .

-
- (١) هم نافع وعاصم وحزمة والكسائي . انظر : السبعة ٣٤٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٠٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٠٩ ، وشرح الهداية ٢/٣٧٥ ، والإتحاف : ٢٧٤ .
- (٢) لم أقف عليه بنصه ، وفي تنوير المقباس : «قال : المعصومين مني» . ٢٧٨ .
- (٣) أخرجه الطبري عن الضحاك ١٤/٣٣ بلفظه ، وذكره الثعلبي ٢/١٤٨ ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/٣٨١ ، والخازن ٣/٩٦ .

٤١. فقال الله تعالى : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ يعني : الإخلاص والإيمان طريق عليّ وإليّ ؛ أي إنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي فهو طريق عليّ ، وهذا معنى قول مجاهد قال : «الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يُعَرَّج على شيء»^(١) ، ونحو هذا قال الحسن : «يقول : هذا صراط إليّ مستقيم»^(٢) ، فعلى هذا الإشارة في قوله تعود إلى ذكر الإخلاص ، وقال الفرّاء : «يقول مرجعهم إليّ فأجازيهم ، لقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] قال : «وهذا كما يقول في الكلام : طريقك عليّ فأنا على طريقك ، لمن أوعده»^(٣) ، فهذا معنى قول الكلبي^(٤) ، والكسائي قال : «فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إليّ فأجازي كلاً بأعمالهم»^(٥) ، وعلى هذا الإشارة في قوله : ﴿ هَذَا ﴾ يعود إلى طريق العبودية .

(١) تفسير مجاهد ٣٤١ بنصه ، وأخرجه الطبري ٣٣/١٤ بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٢٦/٤ ، وتفسير هود الهواري ٣٩٤/٢ ، والماوردي ١٦١/٣ ، وانظر : تفسير القرطبي ٢٨/١٠ ، والخازن ٣/٩٦ ، والدر المنثور ٤/١٨٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، ومعنى (لا يعرّج على شيء) ؛ أي لا يميل ، لقولهم : عرّج النهر ؛ أي أماله ، وعرّج عليه ؛ أي عطف انظر : التاج (عرج) ٦/٩٤ ، وقد ذكر ابن القيم قول مجاهد هذا وقال : «وهذا مثل قول الحسن وأبين منه ، وهو من أصح ما قيل في الآية» . التفسير القيم ١٥ ، وقول الحسن الذي أشار إليه هو التالي لهذا القول .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨/٢ ب بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/٣٤ بنحوه ، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٦١ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/١٨٩ ، والخازن ٣/٩٦ . ذكر ابن القيم قول الحسن ثم قال : «وهذا يحتمل أمرين ؛ أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ؛ فقامت أداة (على) مقام (إلي) ، والثاني : أنه أراد التفسير على المعنى ؛ وهو الأشبه بطريق السلف ؛ أي صراط موصل إليّ» . التفسير القيم ١٥ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٨٩ بتصرف يسير .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨/٢ ب بنصه ، وانظر : تفسير الشوكاني ٣/١٨٨ ، وصديق خان ٧/١٧٠ ، وأورد ابن القيم قول الفرّاء السابق ونسبه للكسائي ، وقال : إنه على التهديد والوعيد ؛ تريد إعلانه أنه غير فائت لك ولا معجز ، ثم ردّه قائلًا : والسياق يأبى هذا ، ولا يناسبه لمن تأمله . انظر : التفسير القيم ١٦ .

وقال بعض أهل المعاني : لَمَّا ذَكَرَ إبليسُ أنه يغوي بني آدم إلا من عصمه الله بتوفيقه ، تضمن هذا الكلام تفويض الأمر إلى الله تعالى وإلى إرادته^(١) ، فقال الله تعالى : ﴿ هَذَا ﴾ أي تفويض الأمر إلى إرادتي ومشيتي طريق عليّ مستقيم ، ويؤكد هذا التأويل قراءة مَنْ قرأ : (عُليّ) بضم الياء^(٢) ، وهو مدح لذلك الطريق ؛ أي أن طريق التفويض والإيمان بالقَدَر طريق رفيع مستقيم^(٣) .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ قال ابن عباس : «استأثر الله عباداً واصطنعهم لنفسه ، فأخبر إبليسَ باصطناعه إيّاهم» ، وقال : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ أي قوة وحجة في إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال . وقال سفيان بن عيينة : «هؤلاء ثنية^(٤) الذين هداهم واجتباهم»^(٥) ، وقال الكلبي : «هؤلاء هم الذين استثنى إبليس»^(٦) .

-
- (١) ذكر الفخر الرازي هذا الكلام بنصه قائلاً : «قال بعضهم» ، تفسير الفخر الرازي ١٨٩/١٩ .
- (٢) هم : قيس بن عباد ، وابن سيرين ، وقتادة ، ويعقوب وغيرهم ، والقراءة من العشر ، وفي إيراد ابن جني لها في المحتسب ما قد يوهم أنها شاذة وليس كذلك . انظر : تفسير الطبري ٣٣/١٤ ، والمحتسب ٣/٢ ، الموضح في وجوه القراءات ٧٢٠/٢ ، والنشر ٣٠١/٢ .
- (٣) انظر : تفسير الطبري ٣٣/١٤ مختصراً عن ابن سيرين ، وعلل القراءات : ٢٩٦/١ ، الموضح في وجوه القراءات ٧٢٠/٢ ، وتفسير الفخر الرازي ١٨٩/١٩ وقد نقل هذا القول بنصه ونسبه للواحدي .
- (٤) أي استثناء ، ومنه قول كعب : «الشهداء ثنية الله في الأرض ، يتأول قول الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨]» ، فالذين استثناهم من الصعق – عند كعب – الشهداء . انظر : تهذيب اللغة (ثنى) ٥٠٧/١ .
- (٥) ورد في تفسير الثعلبي ١٤٨/٢ ب ، بنصه وهو جزء من قوله ؛ قال : «معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي ، وهؤلاء ثنية الله . . » ، تفسير البغوي ٣٨٢/٤ ، وابن عطية ٤٠٢/٤ ، وتفسير القرطبي ٢٨/١٠ ، والحاظن ٩٦/٣ .
- (٦) تفسير الفخر الرازي ١٩٠/١٩ .

٤٣. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال ابن عباس: «يريد إبليس وأشياعه ومن تبعه من الغاوين»^(١).

٤٤. ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ قال: «يريد لها سبعة أطباق؛ طبق فوق طبق»، وقال الفراء: «السبعة الأبواب أطباق بعضها فوق بعض»^(٢)، وهذا قول الحسن وقتادة وابن جريج^(٣)، قال علي بن أبي طالب: «إن الله تعالى وضع النيران بعضها فوق بعض، فأبوابها كأطباق اليد على اليد»^(٤)، ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي من أتباع إبليس جزء مقسوم، الجزء بعض الشيء، والجميع الأجزاء، وجزأته: جعلته أجزاء^(٥)، وهذا وعيد لأتباع الشيطان بالعذاب في جهنم بين أطباق النيران، قال الضحاك في هذه الآية: «هي سبعة أدراك بعضها فوق بعض؛ فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون، والثاني فيه اليهود، والثالث فيه النصارى، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون»^(٦).

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩/١٩٠، وورد نحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/٣٥، وتفسير البغوي ٤/٣٨٢، وتفسير القرطبي ١٠/٣٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٨٩ بنصه.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/٣٥، بمعناه عن قتادة وابن جريج، وورد في تفسير الطوسي ٦/٣٣٨ عنهم، وتفسير البغوي ٣/٥١، والفخر الرازي ١٩/١٩٠ كلاهما عن ابن جريج.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد ١٩٢ بنحوه، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/٧٣ بنحوه، والطبري: ١٤/٣٥ بنحوه من طرق عدة، والبيهقي في البعث ٢٦٨، بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٨ ب، بنحوه، وتفسير البغوي ٤/٣٨٢، وابن عطية ٤/٤٠٣، وتفسير القرطبي ١٠/٣٠، وابن كثير ٢/٦٠٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٨٥ وزاد نسبته إلى ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في صفة النار، وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (جزأ) ١/٥٩٥، والمحيط في اللغة (جزأ) ٧/١٥٢، والعياب الزاخر: أ/٣٣، وتفسير الفخر الرازي ١٩/١٩١ نقل هذا القول بنصه بلا نسبة.

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٨ ب بنصه، وتفسير البغوي ٤/٣٨٢، ٣٨٣، وابن عطية ٤/٤٠٣، =

٤٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ قال ابن عباس : «يريد الخائفين من الله الموحدين الذين لم يتخذوا له شريكاً» ، وقال الكلبي عنه : «إن المتقين للفواحش والكبائر»^(١) ، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني : عيون الماء والخمر^{(٢)(٣)} .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ ؛ أي يقال لهم ادخلوها بسلام ؛ أي بسلامة ، قال ابن عباس : «سلموا من سخط الله وأمنوا عذاب جهنم والموت»^(٤) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ يُروى أن المؤمنين يُجَسِّسون على باب الجنة فيقتص لبعضهم ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نُقُوا وهُدِّبُوا^(٥) ، فخلصت نياتهم من الأحقاد ، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الأعراف^(٦) .

والفخر الرازي ١٩ / ١٩٠ ، وابن كثير ٢ / ٦٠٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٨٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم . لاخلاف في أن للنار سبعة أبواب ، لكن تقسيم أهل النار على الأبواب بهذا التفصيل يفتقر إلى خبر صحيح عن الرسول ﷺ ، وهو ما لم أقف عليه ، ولم يذكره القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ولا ابن رجب في التخويف من النار .

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٩١ ، والألوسي ١٤ / ٥٦ ، وورد بنحوه غير منسوب في : تفسير القرطبي ١٠ / ٣٢ ، والحاظن ٣ / ٩٧ .

(٢) هذا تخصيص بلا دليل ، والأولى حمله على عمومه ، فإن كان القصد البيان والتمثيل ، فيقال : عيون من الماء والخمر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٢ / ٣٥٧ بنصه تقريباً .

(٥) يشير إلى الحديث الصحيح الوارد في ذلك ؛ قال رسول الله ﷺ : «إذا خلص المؤمنون من النار حُسِّبوا بقطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نُقُوا وهُدِّبُوا أُذن لهم بدخول الجنة» أخرجه البخاري (٢٤٤٠) في كتاب المظالم ، باب قصاص المظالم ، والطبري ١٤ / ٣٧ .

(٦) آية [٤٣] ، وانظر : البسيط تحقيق الفايز ٢ / ٦٦٥ .

وقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ قال الزَّجَّاج: «منصوب على الحال»^(١)، والكلام في الإخوان ذكرناه في قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

وقوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾، السَّرِيرُ معروف، والعدد أسرة، والجميع السُّرُر^(٢)، قال أبو عبيدة: «يقال سُرُر وسَرر بفتح الراء، وكل فعل من المضاعف فإن جمعه فُعل وفُعل؛ نحو: سُرُر وجُرُر، وسَرَر وجَرَر»^(٣)، قال المفضل: «بعض تميم وكلب»^(٤) يفتحون؛ لأنهم يستثقلون ضمتين متوالييتين في حرفين من جنس واحد، وقال بعض أهل المعاني: السرير مجلس سُرُور، قال الليث: «وسرير العيش: مستقره الذي اطمأنَّ عليه خَفَضَهُ ودَعَتُهُ»^(٥)، وأنشد:

وَفَارَقَ مِنْهَا عَيْشَةً غَيْدَقِيَّةً وَلَمْ يَحْشَ يَوْمًا أَنْ يَزُولَ سَرِيرُهَا^(٦)

-
- (١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٠ بنصه.
- (٢) ورد في تهذيب اللغة (سر) ٢/ ١٦٧١ بنصه، وانظر: المحيط في اللغة (سر) ٨/ ٢٤٠، ومجمل اللغة ١/ ٤٥٨، والصحاح ٢/ ٦٨٢.
- (٣) مجاز القرآن ١/ ٣٥١ بتصرف.
- (٤) قبيلة كلب هم بنو كلب بن وبرة بن تغلب، بطن من قُضاعة، من القحطانية، كانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام، ولده: ثور، وكلد، وأبو حُباب، ومن أضخم قبائل كلب: بنو كنانة بن بكر بن عوف، ينتهي نسبهم إلى ثور بن كلب، تفرع منها بطون ضخمة هم: بنو عدي، وزُهَيْر، وعُليم. انظر: جبهة أنساب العرب ٤٥٥، ومعجم قبائل العرب ٣/ ٩٩١.
- (٥) تهذيب اللغة (سر) ٢/ ١٦٧١ بنصه، وانظر: المحيط في اللغة (سر) ٨/ ٢٤٠، (الخَفَضُ): نقيض الرِّفْع، وعيش خَفَضٌ؛ أي في دَعَا وخَصِب. انظر: المحيط في اللغة (خفض) ٤/ ٢٣٧.
- (٦) ورد غير منسوب في تهذيب اللغة (سر) ٢/ ١٦٧١، واللسان (سر) ٤/ ١٩٩١، والتاج (سر) ٦/ ٥١٥. وورد برواية: (دَغَفَلِيَّة) بدل (غيدقية) في الصحاح ٢/ ٦٨٢، ومجمل اللغة ٣/ ٦٩٢. (غيدقية)؛ يقال: ماء غدق، ومطر مغدودق: كثير، والغيدق: الناعم. (دغفلية)؛ الدغفل: الزمان الخصب، وریش دغفل: كثير، فالمعنى واحد بالروايتين. انظر: المحيط في اللغة (غدق) ٤/ ٥٢٨، و(دغفل) ٥/ ١٦٩.

قال ابن عباس : «يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت والدُّر ؛
السرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية»^(١) ، وما بين عدن إلى أَيْلَة»^(٢) (٣) .

وقوله تعالى : ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾ التقابل : التواجه ، وهو نقيض التدابر ، قال
ابن عباس : «لا يرى»^(٤) بعضهم قفا بعض^(٥) ، حيث ما التفت رأى وجهاً يُجِبُّه^(٦)
يقابله» ، وقال مجاهد : «لا يرى الرجل من أهل الجنة قفا زوجته ولا زوجته قفاه»^(٧) ؛
لأن الأسرة تدور بهم كيفما شاءوا حتى يكونوا في جميع أحوالهم متقابلين .

(١) الجابية قرية من أعمال دمشق وبينها وبين حلب ستة فراسخ ، وبالقرب منها تل يسمى الجابية ، وفي
هذا الموضع خطب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطبته المشهورة وهو في طريقه إلى إيليا . انظر :
معجم البلدان ٢ / ٩١ ، والروض المعطار ١٥٣ .

(٢) أَيْلَة : بفتح أوله ، على وزن فَعْلَة ، مدينة على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر - الذي تشترك فيه
الحدود المصرية والفلسطينية والأردنية والسعودية ، قيل هي آخر الحجاز وأول الشام ، وقيل : هي
مدينة اليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا ، قيل : وقد سميت بأيلة بنت
مدين بن إبراهيم ، وهي التي يطلق عليها اليهود اليوم : (ميناء إيلات) .

انظر : معجم ما استعجم ١ / ٢١٦ ، ومعجم البلدان ١ / ٢٩٢ ، وأطلس العالم ٢٩ .

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٩ / ١٩٣ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٣٣ ، والخازن ٣ / ٩٧ ، والألوسي ١٤ / ٥٩ .

(٤) في (ش) و(ع) : (ألا يرى) ، بزيادة الألف .

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٨٩ وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وانظر : تفسير الشوكاني
٣ / ١٩٥ .

(٦) في (ج) : (يحييه) .

(٧) ليس في تفسيره ، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف ٧ / ٦٧ قال : «لا ينظر بعضهم في قفا بعض» ،
والطبري ١٤ / ٣٨ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ٢٨ بنحوه ، وانظر : تفسير أبي
حيان ٥ / ٤٥٧ ، وابن كثير ٢ / ٦٠٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٨٩ وزاد نسبته إلى هناد
وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٤٨. قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ النّصَبُ: الإعياء والتعب، يقال نَصَبَ يَنْصَبُ، وأنصَبَنِي هذا الأمر^(١)، أي لا يناهم فيها تعب، قال ابن عباس: «مِثْلُ نَصَبِ الدُّنْيَا؛ إِذَا مَشَى نَصَبَ، وَإِذَا جَامَعَ نَصَبَ»^(٢)، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ قال: يريد خلوداً لا زوال فيه.

٤٩. قوله تعالى: ﴿نِئْىَ عِبَادِى﴾ أثبت الهمزة الساكنة في ﴿نِئْىَ﴾ صورة ولم يثبت في ﴿دِفْءٍ﴾^(٣) و﴿جُزْءٍ﴾^(٤)؛ لأن ما قبلها ساكن فهي تحذف كثيراً وتلغى حركتها على الساكن قبلها^(٥)، ف﴿نِئْىَ﴾ في الخط على تخفيف الهمزة، وليس قبل همزة ﴿نِئْىَ﴾ ساكن، فأخروها على قياس الأصل.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّى أَنَا الْعَاقِرُ﴾ قال ابن عباس: «يريد لأوليائي، ﴿الرَّحِيمُ﴾: بهم».

٥٠. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ يريد لأعدائي.

(١) ورد بنحوه منسوباً لليث في تهذيب اللغة (نصب) ٤ / ٣٥٨١، وانظر: المحيط في اللغة (نصب) ٨ / ١٥٩، ومجمل اللغة ٣١ / ٨٧٠.

(٢) انظر: تفسير الوسيط تحقيق سبي ٢ / ٣٥٨.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ [النحل: ٥].

(٤) في قوله تعالى: ﴿هَآ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

(٥) انظر: أدب الكاتب ٢٦٦، والاقتضاب ١٦٨، والقواعد الموحدة في الكتابة والإملاء ١٧.

٥١. قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هذه القصة قد مضى ذكرها في سورة هود^(١) والضيف في الأصل مصدر ضاف يضيف ؛ إذا أتى إنساناً لطلب القرى ، ثم يسمى به ، ولذلك وحد اللفظ وهم جماعة^(٢) .

٥٢. ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ ؛ أي سلموا سلاماً ، فقال إبراهيم : ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ مختصر ، وشرحه في قوله : ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ ﴾ [هود: ٦٩] إلى قوله : ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود: ٧٠] ، وقد مر ، والوجل : الفزع ، قال الكسائي : «ومثله الواجل»^(٣) .

٥٤. قوله تعالى : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾ معنى (على) هاهنا الحال ؛ أي على حالة الكبر ، كقول النابغة :

عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا^(٤)

(١) آية : [٦٩] .

(٢) أصل الضيف مصدر بمعنى الميل ؛ ومنه ضافت الشمس للغروب ، أي مالت ، وضاف السهم إذا عدل عن الهدف ، ومنه الإضافة النحوية لأن فيها إضافة أحد الاسمين إلى الآخر على المجاز ، وسمي الضيف ضيفاً لميله إلى من ينزل به ، ولأن أصله مصدر استوى فيه الواحد والجمع ، وقد يجمع فيقال : أضيافٌ وضُيوفٌ وضيفانٌ . انظر : المحيط في اللغة (ضيف) ٥٢ / ٨ ، ومجمل اللغة ١ / ٥٧٠ ، والصحاح ٤ / ١٣٩٢ ، والمفردات ٥١٣ ، وعمدة الألفاظ ٢ / ٤٥٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) وعجزه :

وَقُلْتُ أَلْمَأْأَصُحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

ديوان النابغة الذبياني ٥٣ ، وورد في الكتاب ٢ / ٣٣٠ ، وجهرة اللغة ٣ / ١٣١٥ ، والأضداد لابن الأباري ١٤٠ ، وسر صناعة الإعراب ٢ / ٥٠٦ ، واللسان (وزع) ٨ / ٤٨٢٥ ، وشرح شواهد المغني ٢ / ٨١٦ ، والخزانة ٦ / ٥٥٠ . (المشيب) : الشيب ، (الصبا) : بالكسر والقصر ، اسم الصبوة ؛ وهي الميل إلى هوى النفس ، (أصح) : من الصحو ، وهو خلاف السكر ، (وازع) : ناهي وزاجر . يذكر الشاعر أنه بكى على الديار في حين مشييه ومعاتبته لنفسه على طرده وصباه .

أي في ذلك الوقت ، ومعنى : ﴿مَسَّيَ الْكِبَرُ﴾ أي بتغييره إيتاي عن حال الشباب التي أطمع فيها الولد إلى حال الهرم .

وقوله تعالى : ﴿فِيمَ تَبْشُرُونَ﴾ استفهام تعجب ؛ كأنه عجب من الولد على كبره ، هذا معنى قول مجاهد ^(١) ، وَفَتَحُ النون في (تَبْشُرُونَ) قرأه العامة ^(٢) ، وهذه النون علامة للرفع ، والفعل غير معدى إلى مفعول ، وقرأ نافع بكسر النون ^(٣) ، وذلك أنه عُذِّي إلى المضمر المنصوب ؛ لأن المعنى عليه ، فاجتمع نونان ^(٤) ؛ إحداهما التي هي علامة للرفع ، والثانية المتصلة بالياء التي المضمر المنصوب المتكلم ، فاستثقل النونين فحذف أحدهما وأبقى الكسرة التي تدل على الياء المفعولة ^(٥) ، وأنشد أبو عبيدة لأبي حَيَّة التَّمِيرِي :

أَبَالَمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَ مُسْلِقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي ^(٦)

- (١) ونص قوله ، قال : «عجب من كبره وكبر امرأته» . وقد ورد في تفسيره ٤١٦ ، وأخرجه الطبري ١٤ / ٤٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٩١ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٢) قرأها أبو عمرو وابن عامر وعاصم وهمة والكسائي . انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات ١ / ٢٩٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٤٥ ، والحجة للقراء ٥ / ٤٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢١ ، والتيسير ١٣٦ ، الموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧٢٢ .
- (٣) وكذا ابن كثير ، لكنه شدد النون ، أما نافع فخففها . انظر : المصادر السابقة .
- (٤) أي إن الأصل : (تَبْشُرُونِي) .
- (٥) انظر : علل القراءات ١ / ٢٩٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٤٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٠ ، والموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧٢٢ .
- (٦) ورد في مجاز القرآن ١ / ٣٥٢ ، وشرح شواهد الإيضاح ٢١١ ، واللسان (أبي) ١ / ١٨ ، والدر اللوامع ٢ / ٢١٩ ، والخزانة ٤ / ١٠٥ ، وورد غير منسوب في الكامل ٢ / ١٤٢ ، والمقتضب ٤ / ٣٧٥ ، والإيضاح العضدي ٢٦٠ ، والحجة للقراء ٥ / ٤٦ ، والمنصف ٢ / ٣٣٧ ، والخصائص ١ / ٣٤٥ ، والموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧٢٢ ، وشرح المفصل ٢ / ١٠٥ .

فاسقط النون التي هي علامة التأنيث في المخاطبة^(١)، وأنشد الفراء والزجاج^(٢):

تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي^(٣)

أراد فليئني، فحذف إحدى النونين، قالوا: والحذف بعد إدغام إحدى النونين (في الأخرى)^(٤) كقراءة ابن كثير: (تُبَشِّرُونَ)، ثم حذفت إحداهما لثقل التضعيف كما قالوا: رَبِّمَا وَرَبِّمَا^(٥)، وكما قالوا: إِنَّكَ فِي إِنَّكَ، أنشد الفراء^(٦):

لَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُرْمِلُونَ إِذَا اغْبَرَّ أَفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالَا
بِأَنَّكَ الرَّبِيعُ وَغَيْثٌ مَرِيعٌ وَقَدْماً هُنَاكَ تَكُونُ الشَّمَالَا^(٧)

(١) فالأصل: (تخوفيتني).

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي ت ٢١ هـ، من أبيات ثمانية قالها في امرأة لأبيه تزوجها بعده في الجاهلية.

(٣) شعر عمرو بن معدي كرب ١٨٠، وورد في الكتاب ٥٢٠/٣، ومعاني القرآن للفراء ٩٠/٢، ومجاز القرآن ٣٥٢/١، وشرح شواهد الإيضاح (عجز) ٢١٣، والخزانة ٣٧٢/٥، وورد غير منسوب في معاني القرآن وإعرابه ١٨١/٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٤٥/١، والحجة للقراء ٤٦/٥، والمنصف ٣٣٧/٢، وتفسير الطوسي ٣٤١/٦، وشرح المفصل ٩١/٣. (تراه كالثغام) الضمير يعود على الزوجة، والثغام: واحده ثغامة؛ وهو نبت له نور أبيض يشبه به الشيب، وقيل نبت يكون في الجبل يَبْيَضُ إذا يبس، (يُعَلُّ) أي يطيب شيئاً بعد شيء، وأصل العَلُّ: الشُّرْبُ بعد الشُّرْبِ، (يسوء الفاليات) يَحْزُنُهُنَّ؛ لأنهن يكرهن الشيب، و (الفاليات)؛ جمع فالية: وهي التي تفلّي الشعر؛ أي تُخْرِجُ القَمَلَ منه.

(٤) في (أ) و(د): (والأخرى).

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٨١/٣ بتصرف يسير.

(٦) البيتان من قصيدة لجنوب بنت العجلان بن عامر بن هذيل (شاعرة جاهلية) ترثي أخاها عمراً ذا الكلب، الخزانة ٣٩٠/١٠، ونُسب -خطأ- إلى كعب بن زهير في الأزهية ٦٢، وأمالى ابن الشجري ١٥٣/٣، ولم أجده في ديوانه.

(٧) ورد في شرح أشعار الهذليين ٥٨٥/٢، وفيه: (المُجْتَدُونَ) بدل (المُرْمِلُونَ)، وأما البيت الثاني فورد برواية:

بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعُ الْمُغِيثُ لِمَنْ يَعتريك وَكنتِ الشَّمَالَا

وورد البيت الثاني في الخزانة ٣٨٢/١٠، وشرح التصريح ٢٣٢/١، وفيهما: (ربيع)، و(وأنتك) بدل =

قال أبو علي : « المحذوف النون الثانية ؛ لأن التكرير بها وقع ، ولم تحذف الأولى التي هي علامة للرفع ، وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائدة ، ولأن علامة الضمير الياء دونها ، ونظيرُ حذفهم لها من المنصوب حذفهم لها من المجرور في قولهم ^(١) :

قَدْني مِنْ نَصْرِ الحُبَيْيْنِ قَدْني ^(٢)

(وقدماً) . وورد البيتان بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ٩٠ / ٢ ، والإنصاف ١٦٩ برواية (الصبيّة) بدل (الضيف) ، واللسان (أنن) ١٥٦ / ١ ، والخزانة ٤٢٧ / ٥ ، وورد البيت الثاني فقط وبرواية (وأُنْكَ) في أوضح المسالك ٦٦ ، والمغني ٤٧ ، وشرح الأشموني ٤٤١ / ١ . (والمرملون) هو من أرمل القوم ؛ إذا نفذ زادهم ، (المُجتدون) الطالبون ، (شمالاً) الشّمال ريح تهبُّ من ناحية القطب ، وخصها بالذكر لأن وقتها تقل الأرزاق وتنقطع السُّبل ويثقل فيه الضيف ، مما يجعل الجود فيه غاية لا تدرك ، (بأنك ربيع) ربيع الزّمان ، (والغيث) المطر والكلاء يَنْبُت بماء السماء ، (مريع) خَصيب كثير النَّبات ، (الثّلال) الذّخر ، وقيل : الغياث .

(١) اختلف في نسبته على أقوال ، انظرها في عزو البيت .

(٢) وعجزه :

ليس الإمام بالشّحيح المُلحد

نُسب إلى حميد بن مالك الأرقط (من شعراء الدولة الأموية) في التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (ملحق بأمالي القالي) ٦١ / ٣ ، واللسان (خبيب) ١٠٨٧ / ٢ ، وشرح شواهد المغني ٤٨٧ / ١ ، والخزانة ٣٩٣ / ٥ ، والدرر اللوامع ٢٠٧ / ١ .

ونُسب لحميد بن ثور في اللسان (لحد) ٤٠٠٥ / ٧ وليس في ديوانه .

ونُسب لأبي بجدة في شرح المفصل ١٢٤ / ٣ . وورد بلا نسبة في الكتاب ٣٧١ / ٢ ، ومجاز القرآن ١٧٣ / ٢ ، والنوادر لأبي زيد ٥٢٧ ، والمحتسب ٢٢٣ / ٢ ، وأمالي ابن الشجري ٢٠ / ١ ، ورصف المباني ٤٢٤ ، وأوضح المسالك ٢٣ ، وشرح ابن عقيل ١١٥ / ١ ، وشرح الأشموني ١٤٨ / ١ . الشاهد في : (قندي) و(قدي) أثبت نون الوقاية في الأول على الأصل ، وحذفها في الثاني على الضرورة ، وهو تأكيد للأول ، (قندي) : بمعنى حسبي ، وأراد (بالإمام) : عبد الملك بن مروان ، وعرض بوصف ابن الزبير بكونه شحيحاً ؛ أي بخيلاً ، وأراد (بالخبيين) : عبدالله بن الزبير - لأنه كان يكنى أبا خبيب - وأخاه مصعباً ، على التغليب .

فحذف وأثبت في بيت ، وقال الأعشى في حذف هذه النون اللاحقة مع الياء :

فَهْلَ يَمْنَعْنِي اِرْتِيَادِي الْبَلَا دَمِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنِي^(١)
وإنَّما هو يَمْنَعْنِي^(٢) ، وأما ابن كثير فإنه أدغم ولم يحذف^(٣) .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ قال ابن عباس : «يريد بما قضاه الله»^(٤) ؛ يريد أن الله تعالى قضى أن يخرج من ذريته مثل ما أخرج من صلب آدم وأكثر ، وذلك أن إسحاق كان هو الذي بُشِّرَ به إبراهيم ، ومن نسله جميع بني إسرائيل على كثرتهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَنِيطِيتِ ﴾ ؛ أي من الآيسين ، والقنوط : الإياس من الخير ، وهذا يدل على يأس إبراهيم من الولد واستبعاده ذلك على الكبر .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ ﴾ وُقِرَّي : ﴿ يَقْنَطُ ﴾ بفتح النون^(٥) ، قال أبو علي : «قنط يَقْنَطُ أعلى اللغات ، يدل على ذلك اجتماعهم في قوله :

-
- (١) ديوان الأعشى ٢٠٥ ، وورد في الكتاب ٣/ ٥١٣ ، ٤/ ١٨٧ ، والمحتسب ١/ ٣٤٩ ، وشرح المفصل ٩/ ٤٠ ، والدرر اللوامع ٥/ ١٥١ . (ارتيادي) ؛ الارتياذ : المجيء والذهاب ؛ أي لا يمنع من الموت التجول في آفاق الأرض حذراً منه ، ولا الإقامة في الديار تقربه قبل وقته . الدرر اللوامع ٥/ ١٥٢ .
- (٢) الحجة للقراء ٥/ ٤٥ ، ٤٦ بنصه .
- (٣) لذلك شدد النون .
- (٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٩٧ ، وورد غير منسوب في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٦ ، والخازن ٣/ ٩٨ .
- (٥) قرأها ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمة . انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات ١/ ٢٩٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٤٦ ، والحجة للقراء ٦/ ٤٧ ، والمبسوط في القراءات ٢٢١ ، والموضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٢٣ .

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾^(١) [الشورى: ٢٨] ، وحكاية أبي عبيدة تدل أيضاً على أن قَنَطَ أكثر^(٢) ؛ لأن مضارع فَعَلَ (يحيي) على يَفْعَلُ وَيَفْعُلُ ؛ مثل : فَسَقَ يَفْسُقُ يَفْسُقُ ، ولا يحيي مضارع فَعَلَ^(٣) على يَفْعُلُ^(٤) .

قال ابن عباس : « يريد : ومن يئس^(٥) من رحمة ربه إلا المكذبون »^(٦) ، وهذا يدل على أن إبراهيم لم يكن قانطاً ، ولكنه استبعد ذلك ، فظنت الملائكة به قنوطاً ، فنفي ذلك عن نفسه ، وأخبر أن القانط من رحمة الله ضال .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ قال الكلبي : « فما بالكم وما الذي جئتم له »^(٧) .

٥٨ . ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعنون : قوم لوط .

-
- (١) الحجة للقراء ٤٧/٥ بنحوه ، لكنه لم يجزم بأنها أعلى اللغات ، بل قال : « وكأنَّ يَقْنُطُ أعلى » .
- (٢) مجاز القرآن ١/٣٥٣ وليس في كلام أبي عبيدة ما يؤيد دعوى الواحدي ، إذ قال : « يقال : قَنَطَ يَقْنِطُ ، وقَنَطَ يَقْنُطُ قنوطاً » ، وليس في هذا ترجيح لإحدى اللغتين .
- (٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .
- (٤) هذا التعليل في الحجة للقراء ٤٧/٥ بنصه .
- (٥) في النسخ جميعها : (يأيس) وهو تصحيف ، ولم أجده في كتب اللغة ، قال اهل اللغة : يئسَ يئأسُ وَيئسُ لغات بمعنى القنوط . انظر : أدب الكاتب ٤٨٣ ، والكامل ٧٥٤/٢ ، واللسان (يأس)
- ٨/٤٩٤٥ ، ومتن اللغة ٨٢٩/٥ .
- (٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/٣٦٠ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧٩ بنحوه ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير الخازن ٣/٩٨ .
- (٧) ورد في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/٣٦٠ ، وأغلب المفسرين فسروه بنحوه . انظر : تفسير الطبري ١٤/٤١ ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٢٢ ، والطوسي ٦/٣٤٣ ، وتفسير البغوي ٤/٣٨٥ ، وابن الجوزي ٤/٤٠٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/٣٦ ، والخازن ٣/٩٨ .

٥٩. ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ استثنى ليس من الأول^(١)، وآل لوط : أتباعه والذين كانوا على دينه .

٦٠. وقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ استثناء من الضمير في ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾ فعادت إلى القوم المجرمين ؛ لأنه استثناء بعد استثناء ، فتعود إلى المستثنى منه أولاً ؛ كما تقول : فلان علي خمسة إلا درهمن إلا درهماً ، فيصير هذا إقراراً بأربعة^(٢) .

(١) أشار الزمخشري إلى أن الاستثناء إما أن يكون من قوم—وهو الأول—فيكون منقطعاً ؛ لأن آل لوط لم يندرجوا في القوم المجرمين ألينة ، وعلى هذا فالإرسال خاص بالقوم المجرمين ، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً ، وإما أن يكون الاستثناء من الضمير المستكن في (مجرمين) ، فيكون متصلاً ؛ أي أجرموا كلهم إلا آل لوط ، وعلى هذا التأويل يكون الإرسال إلى المجرمين وإلى آل لوط ؛ أولئك لإهلاكهم ، وهؤلاء لإنجائهم . انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٥ ، وأبي حيان ٥/ ٤٦٠ ، والدر المصون ٧/ ١٦٧ ، وقد رجح الواحدي—رحمه الله—أنه استثناء متصل ، وأيد هذا الوجه المتعجب الهمداني وحجته أن آله من قومه ، وإن اختلفت أفعالهم ، لكن الجمهور على أنه منقطع ؛ لانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط . انظر : مشكل إعراب القرآن ٢/ ٩ وتفسير ابن عطية ٨/ ٣٢٩ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٧١ ، والإملاء ٢/ ٧٦ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٠٤ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٦٠ .

(٢) وقد وافق الزمخشري على أنه استثناء من الضمير ، ولم يوافق على التعليل ؛ بدعوى أن الاستثناء بعد الاستثناء إنها يصح عند اتحاد الحكم ؛ كالمثال الذي ذكره الواحدي—رحمه الله—وقول المطلق : أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة ، أما هنا فقد اختلف الحكماء ؛ لأن (آل لوط) متعلق بأرسلنا أو بمجرمين ، و(إلا امرأته) قد تعلق بمنجوعهم ، فكيف يكون استثناء بعد استثناء ؟ ! يمكن اعتباره لو قيل : أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته . انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣١٦ ، وذهب أبو البركات ابن الأنباري إلى أنه استثناء من النفي ؛ أي من (آل لوط) فيكون إيجاباً ؛ وذلك أن الاستثناء من الإيجاب نفي ، ومن النفي إيجاب ، وهنا استثنى آل لوط من المجرمين ، فلم يدخلوا في الإهلاك ، ثم استثنى من آل لوط امرأته ، فدخلت في الهلاك . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٧١ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٦٠ .

وقوله تعالى : ﴿ قَدَّرْنَا إِنَّمَا لِمَنْ أَلْغَرِيَّتْ ﴾ معنى التقدير في اللغة : جعل الشيء على مقدار غيره ، يقال : قَدَّرَ هذا الشيء بهذا ؛ أي اجعله على مقداره ^(١) ، وقَدَّرَ الإلهُ الأقوات ؛ أي جعلها على مقدار الكفاية ، ثم يفسر التقدير بالقضاء ؛ فيقال : قضى الله عليه كذا ، وقَدَّرَ عليه ؛ أي جعله على مقدار ما يكفي في الخير والشر ، وقيل في معنى قَدَّرْنَا هاهنا : كتبنا ^(٢) ، وحكى الزَّجَّاج : «دَبَّرْنَا» ^(٣) ، وقيل : «قَضِينَا» ^(٤) ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ^(٥) : قَدَّرْنَا مخففاً ^(٦) ، يقال : قَدَّرْتُ الشيء وقَدَّرْتَهُ ، قال الهذلي :

وَمُفْرِهَةٌ عَنِسٍ قَدَّرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّتْ كَمَا تَتَّايُعُ الرِّيحُ بِالْقَفْلِ ^(٧)

- (١) انظر : المفردات ٦٥٨ ، و(قدر) في اللسان ٦/٣٥٧٨ ، والتاج ٧/٣٧٠ .
- (٢) ورد منسوباً إلى علي بن عيسى في تفسير الماوردي ٣/١٦٤ ، وانظر : تفسير الطوسي ٦/٣٤٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/٣٧ .
- (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨١ بلفظه .
- (٤) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٩ بلفظه ، وورد منسوباً إلى النخعي في تفسير الماوردي ٣/١٦٤ ، وتفسير البغوي ٤/٣٨٥ ، وابن الجوزي ٤/٤٠٦ ، والفخر الرازي ١٩/١٩٩ (نقل الفقرة كلها وبنصها من دون عزو) ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/٣٧ ، والخازن ٣/٩٩ ، والشوكاني ٣/١٩٣ ، وصديق خان ٧/١٨١ .
- (٥) شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحناط الأسدي الكوفي ، الإمام العلم راوي عاصم ، اختلف في اسمه كثيراً ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات ، قرأ عليه أبو الحسن الكسائي وغيره ، توفي سنة ١٩٣ هـ ، انظر : معرفة القراء الكبار ١/١٣٤ ، وغاية النهاية ١/٣٢٥ ، وجمال القراء ٢/٤٦٥ .
- (٦) انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات ١/٢٩٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٤٨ ، والحجة للقراء ٥/٤٨ ، والمبسوط في القراءات ٢٢١ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/٧٢٤ ، والنشر ٢/٣٠٢ .
- (٧) شرح أشعار الهذليين ١/٩٢ ، وفيه : (لِرَجْلِهَا) بدل (لِسَاقِهَا) ، وورد في الحجة للقراء ٥/٤٩ ، وتفسير ابن عطية ٨/٣٣١ ، واللسان (تبع) ١/٤٦٠ ، و(قفل) ١١/٥٦١ ، وورد غير منسوب في المنصف ٣/٧٠ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/٧٢٥ . (مفرهة) هي الناقة التي تلد الفُرَّة ؛ النوق الجميلات ، (عَنَس) الناقة القوية ، شُبَّهت بالصخرة لصلابتها ، (تَتَّايُع) : التتايع : التهاوت والإسراع ، (القَفْل) بالفتح ، ما يَبْس من الشجر ، ومعنى البيت ، يقول : قَدَّرْتُ ضربتي لساق هذه الناقة القوية - التي تلد الملاح - فخرت وتهاقت كما تفعل الريح بورق الشجر اليابس .

المعنى : قَدَّرْتُ ضربتي لساقها فضربتها^(١) ، فخرت ، ومن هذا قراءة ابن كثير : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ [الواقعة : ٦٠] خفيفاً^(٢) ، وقراءة الكسائي : ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾^(٣) [الأعلى : ٣] ، والمشددة في هذا المعنى أكثر استعمالاً ، كقوله : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ [فصلت : ١٠] ، وقوله : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَمِنْ الْغَيْرِ ﴾ في موضع مفعول التقدير ، والمعنى : قضينا أنها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون ، ولا تكون ممن يسري مع لوط فينجو .

٦١ . قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ قال أهل المعاني : يعني جاء لوطاً ؛ كما قال في سورة هود ؛ في ذكر هذه القصة : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ [هود : ٧٧] ، وآل الرجل يُذكر والمراد به الرجل ، كما ذكرنا في قوله : ﴿ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

٦٢ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ؛ أي غير معروفين ؛ لأنهم أتوه على صورة رجال مرد حسان^(٤) الوجوه فلم يعرفوهم ، فلم يعرفهم لوط ، وذكرنا معنى الإنكار عند قوله : ﴿ نَكِرَهُمْ ﴾ [هود : ٧٠] .

(١) ورد في الحجة للقراء ٤٨/٥ بنصه .

(٢) انظر : السبعة ٣٦٧ ، وعلل القراءات ٢٩٩/١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٥٠/١ ، والحجة للقراء ٤٨/٥ ، والموضح في وجوه القراءات ٧٢٤/٢ .

(٣) انظر : السبعة ٣٦٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٤٩/١ ، والحجة للقراء ٤٨/٥ ، وتلخيص العبارات ١٦٦ ، والموضح في وجوه القراءات ١٣٦٠/٣ ، والنشر ٣٩٩/٢ .

(٤) في (ج) : (حسناً) .

٦٣. وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ؛ أي بالعذاب الذي كانوا فيه يَشْكُون في نزوله على من كَذَّبَكَ ؛ أن المعذب بهذا العذاب الذي جئتنا به هم لا أنت ، ومعنى (بل) هاهنا نفى ؛ لإنكار لوط إِيَّاهم ؛ أي دع ذلك فإننا رسل ربك جئناك^(١) بعذابهم ، فلما بَيَّنُّوا له الأمر عرفهم .

٦٤. وقوله تعالى: ﴿ وَأَيُّنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ قال الكلبي : «بالعذاب»^(٢) ، وقيل باليقين»^(٣) ، والمعنى : بالأمر الثابت الذي لا شك فيه من عذاب قومك .

٦٥. قوله تعالى: ﴿ فَاسْرِ يَا هَلِكٍ يَقْطَعُ مِنَ الْإِيلِ ﴾ مفسر في سورة هود^(٤) .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْتَبِعْ أَذْبَرْهُمْ ﴾ قال ابن عباس : «يقول للوط اتبع آثار بناتك وأهلك لئلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب»^(٥) ، وكذلك قيل : ﴿ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ قال الكلبي : «يعني لا يتخلف منكم أحد»^(٦) ، وقال الزَّجَّاج : «لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من البلاء»^(٧) ، وقال غيره : «معناه الإسراع وترك الاهتمام

(١) في (ج) : (جئنا) .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٠١ / ١٩ ، أورد الفقرة كلها من دون عزو ، وورد منسوباً لمجاهد في معاني القرآن للنحاس ٣١ / ٤ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ٤٢ / ١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٢ / ٢ ، والثعلبي ١٤٩ / ٢ بلفظه ، والطوسي ٣٤٥ / ٦ ، وتفسير البغوي ٣٨٦ / ٤ ، وابن الجوزي ٤٠٦ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٣٨ / ١٠ .

(٣) ورد في تفسير الطبري ٤٢ / ١٤ ، وتفسير البغوي ٣٨٦ / ٤ ، والزخشري ٣١٦ / ٢ ، والنسفي ٩٩ / ٣ ، والحاغان ٩٩ / ٣ ، وأبي حيان ٤٦١ / ٥ ، والشوكاني ١٩٤ / ٣ ، وصديق خان ١٨٢ / ٧ .

(٤) آية : [٨١] .

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ٢٠١ / ١٩ .

(٦) ورد في تنوير المباس ٢٧٩ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٢٢ / ٢ ، والشوكاني ١٩٤ / ٣ ، وصديق خان ١٨٣ / ٧ .

(٧) معاني القرآن وإعراجه ١٨٢ / ٣ بنصه .

لَمَّا خَلَفَ وراءه»^(١)؛ كما يقول: امض لشأنك ولا تُعرج على شيء، وهذا مما تقدّم في سورة هود^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قال ابن عباس: «يعني الشام»^(٣)، وقال المفضل: «حيث يقول لكم جبريل»^(٤)، قال الكلبي: «أمرهم جبريل: امضوا إلى صُغَرَ»^(٥)؛ وهي إحدى قريات لوط^(٦)، ولم يكونوا يعملون مثل عمل سدوم، وهذا قول مقاتل^(٧).

(١) انظر: تفسير الخازن ٣/٩٩، وأبي السعود ٥/٨٤، قال ابن عطية: «وَنُهِوا عن النظر مخافة الغفلة وتعلق النفس بمن خَلَفَ، وقيل: بل لثلاث تنفطر قلوبهم من معانته ما جرى على القرية في رفعها وطرحها». تفسير ابن عطية ٨/٣٣٥.

(٢) آية: [٨١].

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٩ب، انظر: تفسير البغوي ٤/٣٨٦، وابن الجوزي ٤/٤٠٧، والفخر الرازي ١٩/٢٠١، والخازن ٣/٩٩، والألوسي ١٤/٦٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي ١٩/٢٠١، وورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/٤٠٧، والخازن ٣/٩٩.

(٥) في النسخ جميعها: (صفر)، والمثبت أقرب للصواب، والتصويب من تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/٣٦٢، وتفسير الثعلبي ٢/١٤٩ب، وهكذا ضبطه ياقوت، وأشار إلى القصة، بقوله: «وهي على البحيرة المقلوبة وبقية مدائن لوط، وإنها نجت لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة»، وكذلك ضبطها ابن كثير؛ قال: «فذكروا أنه ذهب إلى قرية (صغر) التي يقول الناس (غور زغر)، وقد ضبطت (صعرة) في تاريخ الطبري، والروض المعطار في خبر الأقطار، والحق أنه قد وقع اختلاف كبير في أسماء قرى لوط - عليه السلام - ولم يتفقوا إلا في اسم كبرى هذه القرى وهي: سدوم، وتقع بأرض الشام، لذلك قال السهيلي: «وسدوم أعظمها، وقد ذكرت الأسماء الأخر ولكن بتخليط لا يتحصل منه حقيقة». انظر: التعريف والإعلام ١٦٢، وتاريخ الطبري ١/١١٨، ١٢٢، ومعجم البلدان ٣/٤١١، تفسير القرطبي ٩/٨١، والكمال في التاريخ ١/٦٩، والروض المعطار ٣٠٨، وتفسير ابن كثير ٢/٦١٠، والبداية والنهاية ١/١٨١، والدر المنثور ٣/١٨٥.

(٦) تفسير ابن الجوزي ٤/٤٠٧.

(٧) الذي في تفسيره ١/١٩٨أ. قال: «إلى الشام»، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٤٩ب بمعناه، وانظر: تفسير القرطبي ١٠/٣٨.

٦٦. قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قال المفضل: «أي أوحينا إليه وألهمناه»^(١)، وقال بعضهم: «وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر»^(٢)، يقال: قضيت الأمر، إذا فرغت منه وأتممته، وقد ذكرنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا﴾ في سورة البقرة^(٣)، وقال ابن قتيبة: «أي أخبرناه»^(٤).

وقال صاحب النظم: «أي فرغنا منه»^(٥)؛ كقوله: ﴿ثُمَّ أَقْضَوْا إِلَيَّ﴾ [يونس: ٧١] وقد مرّ، ويقال: إن معنى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾: من الخبر؛ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الاسراء: ٤]؛ أي أخبرناهم به.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾؛ أي الأمر الذي أعلمناه إبراهيم أنا نهلكهم، في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ نَجْمِينَ﴾، فأومأ في قصة لوط إلى ما أخبر به إبراهيم من إهلاك قوم لوط، ثم ترجم قوله: ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ بقوله: ﴿أَنْتَ دَايِرٌ هَهُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ قال الزجاج: «موضع (أن) نصب، وهو بدل من قوله: ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ لأنه فسّر الأمر بقوله: ﴿أَنْتَ دَايِرٌ﴾»^(٦) المعنى: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع، ونحو هذا قال الفرّاء والكسائي^(٧).

(١) لم أقف عليه منسوباً إليه، وأخرجه الطبري منسوباً إلى ابن زيد ٤٣/١٤، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢٢٢، والماوردي ٣/١٦٥، وأبي حيان ٥/٤٦١، وأبي السعود ٥/٨٤، والشوكاني ٣/١٩٤.

(٢) ورد بنصه في تفسير الطبري ٤٢/١٤، والثعلبي ٢/١٤٩ ب.

(٣) آية: [١١٧]، وانظر: البسيط (النسخة الأزهرية) ١/٨٣ أ.

(٤) الغريب لابن قتيبة: ٢٣٨ بلفظه.

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الخازن ٣/٩٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٢ بتصرف يسير.

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/٩٠ بمعناه، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكسائي.

قال ابن عباس : «يريد أن هلاكهم في الصباح»^(١) ، ومضى الكلام في الدابر^(٢) .

٦٧ . قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴾ يعني مدينة لوط ؛ وهي سدوم ، ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ قال الكلبي وغيره : «بعملهم الخبيث طمعاً منهم في ركوبهم الفاحشة»^(٣) .

قال ابن عباس : «قالوا نزل بلوط ثلاثة مرد ما رأينا قط أصبح منهم ، فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه :

٦٨ . ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون ﴾ ، يقال : فضحه يفضحه فضحاً وفضيحة ، إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار ، (يقال : فضحه فافْضَحَ)^(٤) ، قال الفراء^(٥) : «ويقال فَضَحَكَ الصبح ، أي يَبْنِك للناس»^(٦) ، قال المفسرون : أراد أن من حق الضيف إكرامه ، فلا تفضحوني بقصدكم إيّاه بالسوء^(٧) ، والكريم يحافظ على ضيفه ويحامي عنه ، وقال المفضل : «لما دَفُّوا على لوط بابَه»^(٨) أشرف عليهم وقال :

(١) أخرجه الطبري ٤٣/١٤ بنحوه ، من طريق الحجاج عن ابن جريج صحيحة ، وتنوير المقباس ٢٧٩ .

(٢) سورة الأنعام [آية ٤٥] ، أورد أقوالاً في معنى الدابر ، فقال : «قال الأصمعي وغيره : الدابر الأصل ؛ يقال : قطع الله دابره أي أذهب أصله ، وقال ابن بزرج : دابر الأمر : آخره ، ودابر الرجل عقبه ، وقوله : قطع الله دابره : دعاء عليه بانقطاع العقب حتى لا يبقى أحد يخلفه» .

(٣) ورد في تنوير المقباس ٢٨٠ مختصراً ، وتفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٣٦٢/٢ بنصه غير منسوب ، وتفسير البغوي ٣٨٧/٥ ، وابن عطية ٣٣٧/٨ ، وابن الجوزي ٤٠٧/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٩/١٠ ، والخازن ٩٩/٣ .

(٤) انظر : جهرة اللغة ١/٥٤٥ ، واللسان (فصح) ٦/٣٤٢٥ ، وعمدة الألفاظ ٣/٢٧٩ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من : (د) .

(٦) ليس في معانيه .

(٧) ورد بنحوه في تفسير الطبري ٤٣/١٤ ، والثعلبي ١٤٩/٢ ب ، وتفسير البغوي ٣٨٧/٤ ، والخازن ٩٩/٣ ، وأبي السعود ٨٥/٥ ، والألوسي ٧١/١٤ .

(٨) في (أ) و(د) : (باب) من دون الضمير ، والمثبت من (ش) و(ع) .

هؤلاء ضيفي فلا تفضحوني عندهم ، فيعلموا أنه ليس لي عندهم
قَدْرٌ»^(١).

٦٩. وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ مذكور في سورة هود^(٢).

٧٠. فقالوا له : ﴿ أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الكلبي وأكثر المفسرين :
« المعنى : أولم نهك أن تضيف أحداً من العالمين »^(٣) ، قال الزَّجَّاج :
معناه : « أولم نهك عن ضيافة العالمين »^(٤) ، قال المفضل : « أولم نهك
أن تدخل أحداً بيتك ؛ لأننا نريد منهم الفاحشة »^(٥) ، والتفسير ذكره
الكلبي ، وتوجيه الكلام ذكره الزَّجَّاج ، والمعنى ذكره المفضل ، وقال
ابن عباس في رواية عطاء : « لا تتعرض لنا في شيء مما نريد ؛ يعني
أنهم قالوا نهيئك أن تكلمنا في أحد من الناس إذا قصدناه بالفاحشة ،
فيكون التقدير على هذا المعنى : أولم نهك عن منع العالمين أو حفظهم
أو حمايتهم ، فقال لهم لوط :

(١) ورد نحوه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٦٣/٢ ، وأبي السعود ٨٥/٥ ، والألوسي ٧١/١٤ .

(٢) آية : [٧٨] .

(٣) ورد في الغريب لابن قتيبة ٢٤١/١ ، وأخرجه الطبري ٤٣/١٤ بنصه منسوباً إلى قتادة ، وورد في
تفسير الثعلبي ١٤٩/٢ ب بنصه غير منسوب ، وتفسير البغوي ٣٨٧/٤ ، والخازن ١٠٠/٣ ،
وابن كثير ٦١٠/٢ ، والدر المنثور ١٩٢/٤ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن
قتادة ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/٣ بنصه .

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الخازن ١٠٠/٣ .

٧١. ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتٍ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ قال أبو إسحاق معناه : «إن كنتم تريدون لهذا الشأن^(١) ؛ يعني اللذة وقضاء الوطر فعليكم بالتزويج ببناتي»^(٢) ، قال قتادة : «أراد أن يقي أضيافه ببناته»^(٣) ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في سورة هود^(٤) .

قال الحسن و قتادة : «هؤلاء بناتي تزوجوهن»^(٥) ، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ كناية عن الجماع .

٧٢. قوله تعالى : ﴿لَعَنَرُكُ الْعَمْرُ وَالْعُمَرُ وَاحِدٌ ، وَاسْمِي الرَّجُلِ عَمْرٌ إِيجَالًا أَن يَبْقَى^(٦) ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَأَخْلَفَ الْعَمْرُ^(٧)

(١) في النسخ جميعها : البنات ، والتصويب من المصدر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣ / ٣ بتصرف يسير .

(٣) أخرجه الطبري ٤٤ / ١٤ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٤٩ / ٢ ب بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٩٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . ويلزم من هذا القول جواز زواج الكافر من المؤمنة في شرعه ؛ كما كان جائزاً في بداية الإسلام حتى نسخ بآية الممتحنة [١٠] ، وقيل عرضهن عليهم شريطة الإسلام قبل عقد النكاح ، وقيل قصد بنات أمته ؛ لأن النبي كالوالد لأمته ، وهو قول مجاهد ؛ ذكره معظم المفسرين .

(٤) آية [٧٨] .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٣٤٧ / ٦ بلفظه عنهما .

(٦) تهذيب اللغة (عمر) ٣ / ٢٥٦٥ بنحوه ، وانظر : في التاج (عمر) ٧ / ٢٥٨ وعزاه للمحكم ، ولم أجده في بابه .

(٧) عجزه :

وَتَغَيَّرَ الْإِخْوَانُ وَالِدَهُ

شعر عمرو بن أحمـر الباهليـك ٩٠ ، وورد في الاشتقاق ١٣ ، ومقاييس اللغة (خلف) ٢ / ٢١٢ وفيه : (وتنكر) ، وتفسير الفخر الرازي ١٩ / ٢٠٣ ، واللسان (عمر) ٥ / ٣١٠٣ ، والتاج (عمر) ٧ / ٢٥٨ وفيها : (وتبدل) ، وورد غير منسوب في جمهرة اللغة ٢ / ٧٧٢ ، وفي الديوان وجميع المصادر برواية : (بان) بدل (ذهب) ، والمعنى واحد ، (بان) : بمعنى انقضى ومضى عصره ، (أخلف) : تغيير ، (العمر) : واحد العُمُور ؛ اللحم الذي بين الأسنان .

وَعُمِّرَ الرَّجُلُ يَعُمِّرُ عَمَرًا وَعُمُرًا وَعُمْرًا ، فَإِذَا أَقْسَمُوا قَالُوا : لَعَمْرُكَ
وَعَمْرُكَ ، فَفَتَحُوا الْعَيْنَ لَا غَيْرَ ^(١) .

قال أبو إسحاق : «لأن الفتح أخف عليهم ، وهم يكثرون القسم (بِـلَعَمْرِي
ولَعَمْرُكَ) ؛ فلزموا الْأَخْفَّ عَلَيْهِمْ» ^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد وعيشك يا محمد» ^(٣) .

وقال في رواية أبي الجوزاء يقول : «بحياتك» ، وما حلف الله تعالى بحياة
أحد إلا بحياة النبي ﷺ ^(٤) ، وهذا قول أكثر أهل التأويل من المفسرين وأصحاب
المعاني ، قال الزَّجَّاج : «وفي هذا آية عظيمة في تفضيل النبي ﷺ» ، جاء في التفسير
أنه أقسم بحياة محمد ﷺ ^(٥) . وقال بعض أهل المعاني : «إذا قيل : لَعَمْرُكَ ، فكأنه

(١) انظر : المقتضب ١٧٧/٤ ، وغرائب التفسير ٥٩٢/١ ، وتفسير ابن الجوزي ٤٠٨/٤ ، والفخر
الرازي ٢٠٣/١٩ ، وشرح المفصل ٩٦/٩ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ٩٤٣/٢ ، و(عمر) في
تهذيب اللغة ٢٥٦٥/٣ ، والمحكم ١٠٥/٢ ، واللسان ٣٠٩٩/٥ ، والتاج ٢٥٨/٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/٣ بنصه تقريباً .

(٣) أورده البخاري - معلقاً - في صحيحه تفسير الحجر والفتح ٣٧٩/٨ ، وأخرجه الطبري ٤٤/١٤
بنحوه ، من طريق علي بن أبي طلحة (صحيحه) ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣٣/٤ ، والماوردي
١٦٦/٣ ، وتفسير ابن الجوزي ٤٠٨/٤ ، وابن كثير ٦١١/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور
١٩٢/٤ وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه بنحوه من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء أبي يعلى في مسنده ١٣٩/٥ ، والطبري في
تفسيره ٤٤/١٤ ، والثعلبي في تفسيره ١٥٠/٢ ، وأبو نعيم في الدلائل ٦٣/١ ، والبيهقي في الدلائل
٤٨٨/٥ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٣٣/٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٢/٢ ، والماوردي
١٦٦/٣ ، وتهذيب اللغة (عمر) ٢٥٦٤/٣ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٣٨٧/٤ ، وابن الجوزي
٤٠٨/٤ ، وابن عطية ٣٣٨/٨ ، وابن كثير ٦١١/٢ ، وأورده عياض في الشفا ٨٧/٢ ، والهيثمي
في المجمع ٤٦/٧ وعزاه لأبي يعلى وقال : إسناده جيد ، وابن حجر في المطالب ٣٤٦/٣ وزاد نسبه
للحارث ابن أبي أسامة ، والسيوطي في الدر المنثور ١٩٢/٤ وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر
وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/٣ بنصه .

قيل ومدة بقائك حيًّا»^(١)، وقال النحويون : ارتفع (لعمرك) بالابتداء والخبر محذوف ، المعنى لعمرك قَسَمِي ، وَلَعَمْرُكَ ما أَقْسَمُ به ، وحُذِفَ الخبرُ لأن في الكلام دليلاً عليه ، وباب القَسَم يحذف منه الفعل نحو : بالله لأفعلن ، والمعنى : أحلف بالله ؛ فيحذف (أحلف) لعلم المخاطب بأنك حالف ، فكذلك يحذف خبر الابتداء^(٢) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ : «كلمة من كلام العرب»^(٣) ، (يقولون في الإكرام والتبجيل ، قال أبو إسحاق : «ولستُ أُحِبُّ هذا التفسير ؛ لأن قوله : كلمة من كلام العرب»^(٤) لا فائدة فيه ؛ لأن القرآن كله من كلام العرب فلا بد أن يقال ما معناها»^(٥) ، وحكى أبو الهيثم أن النحويين يقولون في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ : لَدَيْنُكَ الذي تعمر ، وأنشد^(٦) :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ^(٧)

- (١) قال القاضي عياض : «اتفق اهل التفسير في أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ» . انظر : الشفا ٨٦ / ١ .
- (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٤ بنصه تقريباً ، انظر : المقتضب ٢ / ٣١٨ ، والإيضاح العضدي ٢٧٦ ، وشرح المفصل ٩ / ٩٩ ، والبسيط في شرح جمل الزَّجَّاجي ٢ / ٩٣٢ ، ٢ / ٩٤٣ ، والمحكم (عمر) ٢ / ١٠٥ ، وزاد المسير ٤ / ٤٠٨ ، والرازي ١٩ / ٢٠٣ .
- (٣) أخرجه الطبري ١٤ / ٤٤ بنصه ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير مقاتل ١ / ١٩٨ أ .
- (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .
- (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٣ بنصه .
- (٦) البيت لعمر بن أبي ربيعة ت ٩٣ هـ .
- (٧) ديوانه ٤٣٨ ، وورد في الشعر والشعراء ٣٧٤ وفيه (يجمعان) بدل : يلتقيان ، والأغاني ١٠ / ٢٣٢ ، والصحاح (عمر) ٢ / ٧٥٦ ، وأمالى ابن الشجري ٢ / ١٠٨ ، والروض الأنف ٣ / ١٣٥ ، وشرح المفصل ٩ / ٩١ (عجز) ، واللسان (عمر) ٥ / ٣١٠ برواية : (يجمعان) ، والخزانة ٢ / ٢٨ ، وورد غير منسوب في المقتضب ٢ / ٣٢٩ ، والقرطبي ١٠ / ٤١ ، وأبي حيان ٥ / ٤٦٢ ، والألوسي ١٤ / ٧٣ ، (كيف يلتقيان) : استفهام إنكاري تعجبي من تزويج الثريا بنت علي بن عبدالحارث - وكانت مشهورة بالحسن والجمال - بسهيل بن عبد الرحمن الزهري - وكان معروفاً بفتح منظره .

قال عَمَرُكَ اللهُ ؛ أي عبادتك الله^(١) .

وقال ابن الأعرابي : «عَمَرْتُ رَبِّي ، أي عبدته ، وفلان عامر لربه ؛ أي عابد» ، قال : «ويقال تركت فلاناً يَعْمرُ ربه ؛ أي يعبد»^(٢) ، فعلى هذا القول : العَمَرُ كالعمارة ، والعابد الله عامرٌ لدينه ، فَسَمِّيَ العابدُ عامراً ، ومعنى قوله : ﴿لَعَمْرُكَ﴾ ؛ أي لِعِبَادَتِكَ ، والمفسرون على القول الأول^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : أن قومك في ضلالهم يتسادمون»^(٤) ، ثم رجع إلى ذكر قوم لوط في الآية الثانية ، وقال الكلبي وعامة المفسرين : «﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني : قوم لوط»^(٥) ، ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ : في جهلهم وعماهم يمشون ولا يرجعون منه .

- (١) تهذيب اللغة (عمر) ٢٥٦٤/٣ بنصه ، وانظر : اللسان (عمر) ٣١٠٠/٥ ، والتاج ٢٥٨/٧ .
- (٢) تهذيب اللغة (عمر) ٢٥٦٥/٣ بنصه ، والمحكم ١٠٨/٢ ، واللسان ٣١٠٢/٥ .
- (٣) أي أنه قسم بحياة النبي ﷺ وهو قول الجمهور كما قال ابن العربي وعياض وأبو حيان .
- (٤) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٠/٢ أبلغه ، من دون الإشارة إلى المعنى بالضمير ، وانظر : تفسير الوسيط ٣٦٤/٢ ، بنصه عن عطاء ، وتفسير ابن الجوزي ٤٠٩/٤ مختصراً عن عطاء ، وإلى هذا ذهب الطبري ، فقال : «أي وحياتك يا محمد ، إن قومك من قريش ، لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون» ، وإليه ذهب السمرقندي . انظر : تفسير الطبري ٤٤/١٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٢/٢ .
- (٥) لم أقف عليه منسوباً ، وانظر : تفسير الزمخشري ٣١٧/٢ ، وابن عطية ٣٤١/٨ ، وابن الجوزي ٤٠٩/٤ وقال : «قاله الأكثرون» ، وتفسير أبي حيان ٤٦٢/٥ ، وابن جزري ١٤٨/٢ ، وأبي السعود ٨٦/٥ ، وتنوير المقباس ٢٨٠ ، وخلاصة القول في الضمائر في الآية ثلاثة أقوال : الخطاب للرسول ﷺ والضمائر تعود على كفار قريش ، وهو قول الطبري والسمرقندي ، وحجتهم الأثر المروي عن ابن عباس وعلى هذا القول ، الآية كلها اعتراض في ما بين القصة ، وانتصر لهذا القول علي القاري شرح الشفا ٧٢/١ ، واستدلواهم بقول ابن عباس - رضي الله عنها - ليس فيه دلالة وليس في محل النزاع ، فقول ابن عباس غايته أن القسم برسولنا ﷺ وليس بلوط . وليس هذا مختلفاً مع قول الجمهور الخطاب للرسول ﷺ والضمائر لقوم لوط ، وهو قول الجمهور ، وحجتهم - كما ذكر ابن عطية : عدم مناسبة السباق والسياق ؛ إذ يؤدي ذلك إلى انقطاع الضمائر ، وعليه فالقسم بنبينا ﷺ تشريفاً له ؛ لأن القصة تُقص عليه تعجباً له من حال قوم لوط ، وإقحام القسم في أثناء الكلام وقص القصص أسلوب عربي معروف ، وهذا هو القول الراجح الخطاب للوط ، والضمائر لقومه ، وانفرد =

وقال مجاهد : « في غفلتهم يضطربون »^(١) ، ومعنى السَّكرة هاهنا : غمور السهو والغفلة للنفس^(٢) ، وذكرنا أصله في اللغة عند قوله : ﴿ سَكِرْتُ أَبْصَرْنَا ﴾ [الحجر: ١٥] ، ومعنى العمه مذكور في سورة البقرة^(٣) ، وقول ابن عباس : « إن قوله : ﴿ إِنَّمَا لَفَى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ » إخبار عن مشركي قريش ، أليق بظاهر الآية^(٤) ؛ لأن^(٥) قول العامة نحتاج فيه أن نحمل الآية على حكاية حال ماضية^(٦) ؛ كقول الشاعر^(٧) :

جَارِيَةٌ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي تَقْطَعُ الْحَدِيثَ بِالْإِيْمَاضِ^(٨)
وقد ذكرنا لهذا نظائر .

به ابن العربي ، فقال : « ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلى ذكر محمد ﷺ وما الذي يمنع أن يُقسَم الله بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ؛ فكل ما يعطي الله من فضل ويؤتيه من شرف فلمحمد ﷺ ضعفاه ؛ لأنه أكرم على الله منه . . فإذا أقسم الله بحياة لوط فحياة محمد أرفع ، ولا يُنْجَرُ من كلام إلى كلام آخر غيره لم يجز له ذكرٌ لغير ضرورة » . تفسير ابن العربي ٣ / ١١٣٠ ، وقوله محتمل لولا ما في الآية من خطاب المواجهة .

(١) ليس في تفسيره ، ولم أقف عليه بنصه ، وأخرج عبدالرزاق ٢ / ٣٤٩ ، والطبري ١٤ / ٤٤ عن مجاهد قال : « يترددون » ، وكذلك ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٥٠ .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦ / ٣٤٨ بنصه ، تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٠٨ عن الأعمش ، وتفسير البقاعي ٤ / ٢٣١ .

(٣) آيه : [١٥] ، وعندها قال : « ومعنى يعمهون : يتحIRON ، وقد عمه يعمه عمه فهو عمه إذا حار عن الحق » .

(٤) لكن أثر ابن عباس الذي يشير إليه ، ضعيف لأنه من طريق عطاء وهو منقطع .

(٥) في (أ) و(د) : (أن) والمثبت من (ش) و(ع) وهو الأصح .

(٦) وهذا القول هو الراجح - كما سبق .

(٧) هو رؤية بن العجاج .

(٨) سبق عزوه .

٧٣. قوله تعالى: ﴿فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ﴾ يعني صيحة العذاب، قال المفسرون: «صاح بهم جبريل صيحة أهلكتهم»^(١)، وقال أهل المعاني: «ويموز أن يكون جاءهم صوت عظيم من فعل الله عز وجل»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ يقال: شَرَقَ الشَّارِقُ يُشْرِقُ شَرْقاً، لكل ما طلع من جانب الشَّرق، ومنه قولهم: ما ذَرَّ شَارِقٌ^(٣)؛ أي طلع طالع، فيدخل في هذا الفجر والكواكب والشمس والقمر، وأشرق له معان: أشرقت الشمس؛ إذا أضاءت بعد طلوعها، وأشرقت الأرض بضوء الشمس، أضاءت، ومنه أَشْرَقُ ثَبِيرٌ^(٤)، وأشرق القوم: دخلوا في وقت شروق الشمس^(٥)؛ مثل صَبَّحُوا وَأَمْسَوْا، والمفسرون على هذا في قوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ قالوا: داخلين في الإشراق^(٦).

(١) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/١٩٨، وتفسير السمرقندي ٢/٢٢٣، وتفسير ابن الجوزي ٤/٤٠٩، والفخر الرازي ١٩/٢٠٣، وأبي حيان ٥/٤٦٢، والشوكاني ٣/١٩٨، والألوسي ١٤/٧٤، وصديق خان ٧/١٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطوسي ٦/٣٤٨ بنصه.

(٣) مثل عربي، وورد برواية: (لا أفعل ذلك ما ذَرَّ شَارِق)، وبرواية: (لا آتيك ما ذَرَّ شَارِق)، ومعناه: لا أفعله أبداً، أو لا آتيك أبداً. انظر: الألفاظ الكتابية ١٨٦، وجمهرة اللغة ٢/٧٣١، وجمهرة الأمثال ٢/٢٨٢، ومجمل اللغة ١/٥٢٧، والصحاح (شرق) ٤/١٥٠٠، والمستقصى ٢/٢٤٨، واللسان (شرق) ٤/٢٢٤٥.

(٤) ثبير جبل بمكة، وهذا مثل يضرب في الإسراع والعجلة، ونصه: (أشرق ثبيرٌ كثيراً غير)، والمعنى: ادخل يا ثبير في الشروق كي تُسرع إلى الإغارة. انظر: المحيط في اللغة (شرق) ٥/٢٣٥، ومجمع الأمثال ١/٣٦٢، والمحكم (شرق) ٦/١٠٢ والمستقصى ١/٢٠٥، واللسان (ثبير) ١/٤٧٠، و(شرق) ٤/٢٢٤٦.

(٥) انظر: جمهرة اللغة (شرق) ٢/٧٣١، والمحيط في اللغة ٥/٢٣٤، ومجمل اللغة ١/٥٢٧، والصحاح ٤/١٥٠١، والمحكم ٦/١٠١، واللسان ٤/٢٢٤٤.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس ٤/٣٥، وتفسير السمرقندي ٢/٢٢٣، والثعلبي ٢/١٥٠، والطوسي ٦/٣٤٨، وتفسير البغوي ٤/٣٨٦، والنخشي ٢/٣١٨، وابن عطية ٨/٣٤١، والفخر الرازي ١٩/٢٠٣، وعمدة الحفاظ ٢/٣٠٤.

وقال الزَّجَّاج : «مصادفين لطلوع الشمس»^(١) .

فإن قيل : أليس قد قال : ﴿أَنْتَ دَايِرٌ هَتُولَاءٍ مَّقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ فوعدهم العذاب في وقت الصبح ، وهاهنا قال : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ؟ قيل إن جماعة من أهل المعاني قالوا في معنى ﴿مُشْرِقِينَ﴾ : مصبحين ؛ لأنهم داخلون في شروق الفجر ، وهو شارق ، وأما على قول المفسرين فيقال : إن أول العذاب كان مع طلوع الفجر ، ثم امتد ذلك إلى وقت شروق الشمس ، فكان تمام الهلاك مع الإشراق .

٧٤ . قوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ إلى آخر الآية ، مفسّر في سورة هود [آية : ٨٢] .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿لَا يَنْتَ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ يقال : توسمت في فلان خيراً ، إذا رأيت فيه أثراً منه ، وتوسمت فيه الخير أي تفرّست^(٢) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٤ بنصه .

(٢) تهذيب اللغة (وسم) ٤ / ٣٨٩٣ بنصه .

واختلفت عبارة المفسرين وأهل المعاني في تفسير المتوسمين ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «للمتفرسين»^(١) ، وهو قول مجاهد^(٢) والفرّاء^(٣) والزّجاج^(٤) وابن قتيبة^(٥) .

وقال الضحاك : «لنناظرين»^(٦) ، وقال مقاتل وابن زيد : «للمتفكرين»^(٧) .

-
- (١) ذكره في الوسيط ، تحقيق سيسي ٣٦٥ / ٢ ، وتنوير المقباس ٢٨٠ ، وورد غير منسوب في تفسير هود ٣٥٣ / ٢ .
- (٢) تفسير مجاهد ٣٤٢ / ١ بلفظه ، وأخرجه الطبري ٤٥ / ١٤ بلفظه من عدة طرق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣٥ / ٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٣ / ٢ ، والثعلبي ١٥٠ / ٢ ، والماوردي ١٦٧ / ٣ ، والطوسي ٣٤٩ / ٦ ، وتفسير البغوي ٣٨٨ / ٤ ، وابن عطية ٣٤٢ / ٨ ، وابن الجوزي ٤٠٩ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٤٢ / ١٠ ، وابن كثير ٦١١ / ٢ ، والدر المنثور ١٩٣ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .
- (٣) معاني القرآن للفرّاء ٩١ / ٢ بلفظه .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ١٨٤ / ٣ بلفظه .
- (٥) الغريب لابن قتيبة ٢٤١ / ٨ بلفظه .
- (٦) أخرجه الطبري ٤٦ / ١٤ بلفظه من طريقتين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣٥ / ٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٣ / ٢ ، والثعلبي ١٥٠ / ٢ بلفظه ، والماوردي ١٦٧ / ٣ ، والطوسي ٣٤٩ / ٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٤٢ / ٨ ، وابن الجوزي ٤١٠ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٤٣ / ١٠ ، وتفسير أبي حيان ٤٦٣ / ٥ ، وابن كثير ٦١١ / ٢ ، وورد منسوباً إلى ابن عباس في تفسير الطبري ٤٦ / ١٤ بلفظه ، والثعلبي ١٥٠ / ٢ ، وتفسير البغوي ٣٨٨ / ٤ ، والخازن ١٠٠ / ٣ ، وابن كثير ٦١١ / ٢ ، والدر المنثور ١٩٢ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٧) أخرجه الطبري ٤٦ / ١٤ بلفظه عن ابن زيد ، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٠ / ٢ ، بلفظه عن مقاتل ، والماوردي ١٦٧ / ٣ عن ابن زيد ، وتفسير البغوي ٣٨٨ / ٤ عن مقاتل ، وابن الجوزي ٤١٠ / ٤ عنها ، تفسير القرطبي ٤٣ / ١٠ عنها ، والخازن ١٠٠ / ٣ عن مقاتل ، وأبي حيان ٤٦٣ / ٥ عنها ، ولم أقف عليه في تفسير مقاتل ١٩٨ / ١ ، والذي في تفسيره هو قول الضحاك .

وقال قتادة : «للمعتبرين»^(١) ، وقال أبو عبيدة : «للمتبصرين»^(٢) ، وأنشد
لزهير :

وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ أُنِيقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ^(٣)

قال أبو إسحاق : «وحقيقته في اللغة ؛ المتوسمون النُّظَّارُ الْمُتَبَتِّتُونَ في
نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء ، فالتوسم : الناظر في السمة الدالة ، تقول
تَوَسَّمتُ في فلان ؛ أي عرفت ذلك فيه بالنظر»^(٤) .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ يعني مدينة قوم لوط ، وقد سبق ذكرها في
قوله : ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ﴾ [الحجر: ٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لِي مَقِيلٌ ﴾ قال ابن عباس : «على طريق قومك إلى
الشام»^(٥) ، يريد لبسيل معروف ، وقال قتادة ومجاهد والضحاك : «بطريق

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٩/٢ بلفظه ، والطبري ٤٦/١٤ بلفظه من طريقين ، وأبي الشيخ في العظمة ٥٠
بلفظه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢٢٣/٢ ، والثعلبي ١٥٠/٢ ، بلفظه ، والماوردي ١٦٧/٣ ،
والطوسي ٣٤٦/٦ ، وتفسير البغوي ٣٨٨/٤ ، وابن عطية ٣٤٢/٨ ، وابن الجوزي ٤١٠/٤ ،
وتفسير القرطبي ٤٣/١٠ ، والحاظن ١٠٠/٣ ، وأبي حيان ٤٦٣/٥ ، وابن كثير ٦١١/٢ ، والدر
المشور ١٩٢/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) مجاز القرآن ٣٥٤/١ بلفظه .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٧ ، وورد في شرح القصائد السبع الطوال ٢٥٢ ، وورد برواية : (للصديق) بدل
(اللطيف) في تفسير الماوردي ١٦٧/٣ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢٨٠/١ ، وتفسير القرطبي
٤٣/١٠ . (ملهى) اللهو أو موضعه ، (اللطيف) يعني نفسه ، يتلطف في الوصول إليهن ، (أنيق)
المعجب ، (التوسم) التثبت ، وقيل : الناظر الذي يتفرس في نظره ، كأنه يطلب شيئاً من سِمته ،
يعرفها به ، والوسامة : الحسن .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٨٤/٣ بتصرف يسير .

(٥) تفسير ابن الجوزي ٤١٠/٤ ، وورد غير منسوب في تفسير القرطبي ٤٥/١٠ ، وهو قول مقاتل
١١٩٨/١ .

واضح^(١)، ومعناه: طريق لا يَنْدَرَس ولا يخفى، فهو طريق مقيم للسابلة^(٢) والمارة، ومعنى الآية: أن الاعتبار بها ممكن لأن الآثار التي يُستدل بها مقيمة ثابتة بها.

٧٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: «لعبرة للمصدقين^(٣)، يريد أن أصحاب النبي ﷺ اعتبروا وصدقوا».

٧٨. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِمِينَ﴾ قال المفسرون: «هم قوم شعيب^(٤) كانوا أصحاب غياض^(٥) فكذبوا شعبياً فأهلكوا بعذاب يوم الظلة»، وقد ذكرت قصتهم في سورة الشعراء^(٦)، والأيك الشجر الملتف، يقال: أيكة وأيك، كشجرة وشجر^(٧).

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٤٩/٢ بلفظه عن قتادة، والطبري ٤٧/١٤ بلفظه عن قتادة، وبنحوه عن مجاهد والضحاك، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٣٦/٤، وتفسير هود الهواري ٣٥٤/٢، وتفسير ابن الجوزي ٤١٠/٤، عن قتادة، الخازن ١٠٠/٣ عن مجاهد، وأبي حيان ٤٦٣/٥ عن مجاهد وقاتدة، وابن كثير ٦١١/٢ عنهم، والدر المنثور ١٩٣/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) السَّابِلَةُ: الطريق المسلوكة، والناس المختلفون عليها في حوائجهم. انظر: تهذيب اللغة (سبل) ١٦٢٢/٢، والمعجم الوسيط ١/٤١٤.

(٣) وهو قول مقاتل ١١٩٨/١ أنبئه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ١٩٨ ب، والطبري ٤٨/١٤ عن ابن جريج، وتفسير السمرقندي ٢٢٣/٢، والثعلبي ١٥٠/٢، والماوردي ١٦٨/٣، والطوسي ٣٥٠/٦، وتفسير البغوي ٣٨٨/٤، والزمخشري ٣١٨/٢، وابن الجوزي ٤١٠/٤.

(٥) جمع غَيْضَةٍ؛ أي الأجمة: وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء. المغيض: مصدر، اسم مكان، انظر: جهرة اللغة ٩٠٧/٢، والصحاح (غيض) ١٠٩٧/٣.

(٦) الآيات [١٧٦-١٨٩].

(٧) انظر: جهرة اللغة ١٢٩٤/٣، وتهذيب اللغة (أيك) ٢٣٩/١، وعمدة الحفاظ ١٦٢/١، والمصباح المنير ١٣.

قال ابن عباس : «الأيك هو شجر المقل ، وهي التي يقال لها الدوم»^(١) .

وقال الكلبي : «الأيكة الغيضة»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «هؤلاء أهل موضع كان ذا شجر»^(٣) ، ومعنى (إن) و(اللام) التوكيد ، و(إن) هاهنا هي المخففة من الثقيلة .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون : «أخذها الحرّ أياماً ، ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا عن آخرهم»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَيْنَهُمَا﴾ يعني الأيكة ومدينة قوم لوط^(٥) .

﴿لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾ : لطريق واضح في قول عامة المفسرين^(٦) .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٠٤ / ١٩ ، وورد غير منسوب بنحوه في تفسير مقاتل ١٩٨ / ١ ب ، والثعلبي ١٥٠ / ٢ ، والماوردي ١٦٨ / ٣ ، وتفسير البغوي ٣٨٨ / ٤ ، وأخرج الطبري عن ابن عباس قال : «الأيكة ذات أجاص - جمع أجمة - وشجر كانوا فيها» . تفسير الطبري ٤٨ / ١٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٩٣ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣٠٤ / ١٩ ، وأخرجه الطبري ٤٨ / ١٤ بلفظه عن الضحاك ، وكذلك في معاني القرآن للنحاس ٣٦ / ٤ ، وورد غير منسوب في تفسير هود ٣٥٤ / ٢ ، والطوسي ٣٥٠ / ٦ ، والخازن ١٠٠ / ٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٨٥ / ٣ بلفظه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٩٨ / ١ ب ، والثعلبي ١٥٠ / ٢ ، وتفسير البغوي ٣٨٩ / ٢ ، وابن عطية ٣٤٥ / ٨ ، وابن الجوزي ٤١٠ / ٤ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠٤ / ١٩ ، والخازن ١٠٠ / ٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٤٨ / ١٤ ، وهود الهواري : ٣٥٤ / ٢ ، وابن الجوزي ٤١٠ / ٤ وقال : قاله الأثرون .

(٦) أخرجه عبد الرزاق ٣٤٩ / ٢ عن قتادة ، والطبري ٤٩ / ١٤ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك . وانظر : معاني القرآن للنحاس ٣٧ / ٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٣ / ٢ ، والثعلبي ١٥٠ / ٢ ، والماوردي ١٦٨ / ٣ ، وتفسير البغوي ٣٨٩ / ٢ ، والزخشري ١٨ ، وابن الجوزي ٤١٠ / ٤ ، والفخر الرازي ٢٠٤ / ١٩ ، وتفسير القرطبي ٤٥ / ١٠ ، وابن كثير ٦١١ / ٢ .

قال الفراء والزجاج : «إنما جعل الطريق إماماً ؛ لأنه يُؤمُّ ويُتبع»^(١) .

وقال ابن قتيبة : «لأن المسافر يأتى به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد»^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «الإمام كل ما ائتممت^(٣) به واهتديت به»^(٤) ، ومن هذا [قيل]^(٥) للحبل الذي يُمُدُّه البتاء : الإمام»^(٦) .

قوله تعالى : (مُبِين) يحتمل أنه مبين في نفسه ، ويحتمل أنه بينٌ لغيره ؛ لأن الطريق يهدي إلى المقصد .

٨٠ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾ قال المفسرون : «الحجر اسم وادٍ^(٧) كان يسكنه ثمود»^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن عباس والكلبي وعامة المفسرين : «يعني صالحاً وحده»^(٩) ، وقال أهل المعاني : «من كذب نبيه الذي بُعث إليه ، فكأنه كذب

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ٩١ ، بنصه ، معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٥ ، بنحوه .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١ / ٢٤١ . بنصه .

(٣) في النسخ جميعها : (ما تيممت به) ، والتصويب من المصدر .

(٤) مجاز القرآن ١ / ٣٥٤ بنصه .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٣٤٧ .

(٧) في (أ) و(د) : (إذا) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٣٤٩ ، والطبري ١٤ / ٤٩ عن قتادة ، وانظر : تفسير مقاتل ١ / ١٩٨ ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٣٧ عن قتادة ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٢٣ ، والثعلبي ٢ / ١١٥٠ ، والماوردي ٣ / ١٦٩ عن قتادة ، والطوسي ٦ / ٣٥١ .

(٩) لم أقف عليه منسوباً ، وورد في تفسير مقاتل ١ / ١٩٨ ب ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٢٣ ، والثعلبي ٢ / ١١٥٠ ، وانظر : تفسير البغوي ٤ / ٣٨٩ ، وابن الجوزي ٤ / ٤١١ ، والفخر الرازي ١٩ / ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٤٦ ، والخازن ٣ / ١٠١ .

جميع الأنبياء ؛ لأنهم مبعوثون بدين واحد ، ولا يجوز التفريق بينهم بالتصديق ، فعلى هذا يحسن وصفهم بتكذيب المرسلين^(١) .

٨١ . قوله تعالى : ﴿ وَءَايَنَّهُمْ ءَايَتُنَا ﴾ قال ابن عباس : « يريد الناقة » ، فكأن في الناقة آيات ؛ لخروجها من الصخرة ، ودُنُوِّ نَتَاجِهَا عند خروجها ، وعِظَم خلقها ؛ حتى لم تشبها ناقة أخرى ، وكثرة لبنها ؛ حتى كان يكفيهم جميعاً ، إلى غير ذلك مما فيها من الآيات^(٢) ، وأضاف الإيتاء إليهم وإن كانت الناقة آية لصالح ؛ لأنها آيات رسولهم ، فلو صدقوا بها كانت آيات لهم على من خالفهم .

(١) انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٨٩ ، والزمخشري ٢/ ٣١٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٦ ، وابن كثير ٢/ ٦١٢ ، والبقاعي ٤/ ٢٣٣ ، وأبي السعود ٥/ ٨٧ ، وصديق خان ٧/ ١٩١ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١١ ، وتنوير المقباس ٢٨٠ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل : ١/ ١٩٨ ب ، والثعلبي ٢/ ١٥٠ أ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٩ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٣ ، والخازن ٣/ ١٠١ .

٨٢. وقوله تعالى: ﴿وَكَاوُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوتًا﴾ قد ذكرنا نحتهم للجبال في سورة الأعراف^(١).

وقوله تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ قال ابن عباس: «يريد من عذاب الله»^(٢)، وقال الفرّاء وابن قتيبة: «آمنين أن يقع عليهم»^(٣).

٨٤. وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ أي ما دفع عنهم الضر، ﴿فَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال ابن عباس: «يريد من الأموال والأنعام والثمار»^(٤).
وقال الكلبي: «ما كانوا يعملون»^(٥).

قال المفسرون: «أي من أعمالهم القبيحة»^(٦).

٨٥. قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: «يريد الثواب والعقاب»، وقال في قوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥] «يريد بالعدل والثواب والعقاب، يفسر ذلك العدل الذي ذكره». قال أهل المعاني: «يعني أن الأمم التي ذكرها

(١) آية: [٧٤].

(٢) تنوير المقباس ٢٨٠، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢٢٤، والماوردي ٣/١٦٩، والطوسي ٦/٣٥١، والزخشري ٢/٣١٨، وابن الجوزي ٤/٤١٢، والفخر الرازي ١٩/٢٠٥، وتفسير القرطبي ١٠/٥٣.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/٩١ بمعناه، الغريب لابن قتيبة ١/٢٤١ بلفظه.

(٤) ورد غير منسوب في تفسير الوسيط، تحقيق سيسي ٢/٣٦٨، وابن الجوزي ٤/٤١٢، وتفسير القرطبي ١٠/٥٣، وابن كثير ٢/٦١٢، وصديق خان ٧/١٩٢.

(٥) تنوير المقباس ٢٨٠ بنحوه.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٤/٥١، والثعلبي ٢/١٥٠، وتفسير البغوي ٤/٣٨٩، والحاازن ٣/١٠١، وصديق خان ٧/١٩٢.

كفروا بالله وكذبوا رسله فأهلكهم ؛ لأنه خلق السموات والأرض بالحق ؛ أي بالعدل ، وهو أن يثيب المصدق ويعذب المكذب»^(١) .

ثم قال لنبيه : ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصِّحْ﴾ قال ابن عباس : «يريد عن المشركين» . ﴿الْصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ، قال الكلبي : «يقول أعرض إعراضاً جميلاً بغير فحش ولا جزع»^(٢) ، كأنه يقول : إن القيامة تأتي فيجازون بقيق أعمالهم فاصفح الآن .

قال المفسرون : «والصفح منسوخ بآية السيف»^(٣) .

- (١) تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، والخازن ٣/ ١٠١ ، والبقاعي ٤/ ٢٣٤ .
- (٢) تنوير المقباس ٢٨٠ بنصه ، وورد بنحوه وبمعناه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ ، والزخشي ٢/ ٣١٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٦ ، والبقاعي ٤/ ٢٣٤ ، وأبي السعود ٥/ ٨٨ .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ ب ، والطبري ١٤/ ٥١ عن قتادة والضحاك ومجاهد وسفيان بن عيينة ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٨٢ عن ابن عباس وقاتدة ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٧ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٥٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٠ ب ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣٢٩ عن قتادة ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٠ ، والطوسي ٦/ ٣٥٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٠ ، والزخشي ٢/ ٣١٨ ، وابن عطية ٨/ ٣٤٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٢ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٤ عن مجاهد وقاتدة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٤ ، وابن كثير ٢/ ٦١٢ ، ذكر القائلون بالنسخ في هذه الآية ، أنها نسخت بآيات السيف والقتال وبراءة . ودعوى النسخ بآية السيف - كما مر في الدراسة - قد توسع فيها المفسرون ، فنسخوا بها كثيراً من الآيات التي تظهر سماحة الإسلام ، ومداواة أهل الكفر والنفاق ، والحث على الصبر وتحمل الأذى عند الضعف ، ومن ذلك هذه الآية ، وفي دعوى نسخها نظر ؛ لعدم ثبوته عن الصحابة بطريق صحيح ، فلم ينسب إلا النحاس إلى ابن عباس ، ومع كونه من المبالغين في دعوى النسخ - كما قال الزرقاني - فقد أورد الخبر بصيغة التمریض ، ويؤيد القول بطلان دعوى النسخ في هذه الآية ، أنه لا تعارض بين الدعوة إلى الصفح الجميل والقتال - كما قال الجمل - لأن مورد الآيتين مختلف ، فالمسألة مطلوبة عند الضعف ، والمسابقة مطلوبة عند القوة ؛ لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا ، فانتفاء الحكم لا انتفاء علته لا يعد نسخاً ، بل حتى مع توافر القوة فإن العفو عند المقدرة والصفح الجميل مع الأعداء خلق محمود ، كما فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح مع كفار قريش ، ولهذا أنكر الفخر الرازي النسخ في هذه الآية ، وقال : «وقيل هو منسوخ =

٨٦. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ (قال ابن عباس : «يريد العليم»^(١)) بما خلق^(٢).

٨٧. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ الآية . اختلفوا في السبع المثاني ؛ ما هي ؟ فأكثر أهل التفسير والأثر أنها فاتحة الكتاب^(٣) ، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي هريرة^(٤) والحسن وأبي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير والربيع والكلبي وقتادة^(٥) ، وروي

بآية السيف ، وهو بعيد ؛ لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح ، فكيف يصير منسوخاً ؟! انظر : البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٠-٤٣ ، تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٠٦ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥٥٣ ، ومناهل العرفان ٢/ ١٥٠ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش) و(ع) .

(٢) ورد هذا المعنى غير منسوب في تفسير البيضاوي ٣/ ١٧٣ ، والخازن ٣/ ١٠١ ، وأبي السعود ٥/ ٨٨ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩٨ ب ، وهوود الهواري ٢/ ٣٥٥ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ .

(٤) أخرجه بلفظه عبدالرزاق ٢/ ٣٥٠ عن أبي هريرة ، والطبري ١٤/ ٥٥ عن علي وابن مسعود بعدة روايات ، والدارقطني ١/ ٣١٣ عن علي ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٨ عن علي وأبي هريرة ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٤ عن علي وابن مسعود ، والثعلبي ٢/ ١٥٠ ب . عنهم ، والطوسي ٦/ ٣٥٣ عن ابن مسعود ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٥ وزاد نسبه إلى ابن المنذر عن عمر ، وزاد نسبه - كذلك - إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن الضريس وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيوان عن علي ، وزاد نسبه - كذلك - إلى ابن الضريس وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود ، وزاد نسبه - كذلك - إلى ابن الضريس وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٩ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٥٦ عنهم ماعدا الضحاك والكلبي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٨ عن مجاهد وقتادة ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٠ ب بلفظه عنهم ما عدا قتادة ، والماوردي ٣/ ١٧٠ عن الربيع وأبي العالية والحسن ، والطوسي ٦/ ٣٥٣ عن الحسن ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٩٠ عن الحسن وسعيد وقتادة ، وابن عطية ٨/ ٣٥٠ عن الحسن ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٣ عن الحسن وسعيد ومجاهد وقتادة ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ عنهم ما عدا الربيع والكلبي ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٥٤ عن الحسن وأبي العالية والربيع ، والخازن ٣/ ١٠١ عن الحسن وسعيد ومجاهد وقتادة ، وابن كثير ٢/ ٦١٣ عن الحسن ومجاهد وقتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٩٦ وعزه إلى ابن الضريس عن مجاهد ، وزاد نسبه إلى ابن الضريس عن قتادة ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن أبي العالية .

ذلك مرفوعاً أن النبي ﷺ قرأ الفاتحة فقال : «هي السبع المثاني»^(١) رواه أبو هريرة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وسعيد بن جبير^(٢) ، واختيار الفراء^(٣) والزجاج^(٤) ، وعلى هذا سميت الفاتحة السبع المثاني لأنها^(٥) سبع آيات ، وهي تُثنى في كل صلاة ؛ تقرأ في كل ركعة ، قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «لأنه يثنى بها في كل ركعة مع ما يقرأ من القرآن»^(٧) ، قال أبو الهيثم : «أي يجعل اثنين ؛ من قولك : ثنيت الشيء ثنياً ؛ أي عطفته أو

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠٤) في كتاب التفسير ، باب الحجر بنصه ، وأبو داود (١٤٥٧) في كتاب الوتر ، باب فاتحة الكتاب بنحوه ، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب ولقد آتيناك سبعاً من المثاني بنحوه ، والطبري ٥٨ / ١٤ بنصه بعدة روايات ، والدارقطني في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ١ / ٣١٢ بنحوه ، والحاكم في كتاب التفسير ، باب الحجر (٢ / ٣٥٤) بنحوه ، وقال على شرط مسلم ، والثعلبي ٢ / ١٥٠ ب . بنصه .

(٢) أخرجه الطبري ١٤ / ٥٦ بنحوه وبروايتين ، من طريق الحجاج عن ابن جريج عن سعيد (صحيحة) ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٣٥٠ ، وابن الجوزي ٤ / ٤١٣ ، والحاظن ٣ / ١٠١ ، وابن كثير ٢ / ٦١٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٩٧ ونسبه إلى ابن مردويه من طريق سعيد .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ٩١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٥ .

(٥) في (أ) و(د) : (أنها) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٥١ ، بنصه عنهم ، تفسير السمرقندي ٢ / ٢٢٤ عن قتادة ، والطوسي ٦ / ٣٥٣ ، عن الحسن ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٩٠ عنهم ما عدا الربيع ، وابن الجوزي ٤ / ٤١٣ عن ابن عباس ، والحاظن ٣ / ١٠٢ عنهم ما عدا الربيع ، وابن كثير ٢ / ٦١٣ عن قتادة ، ووأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٩٦ وزاد نسبه إلى البيهقي في الشعب عن ابن عباس (لم أفق عليه) ، وزاد نسبه - أيضاً - إلى ابن الضريس عن قتادة .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٥ بنصه .

ضممت إليه آخر^(١)، ومنه يقال لركبتي الدابة ومرفقيه : مثاني ؛ لأنها تشنى بالفخذ والعصد^(٢)، قال امرؤ القيس :

وَيُخْدِي عَلَى صُمِّ صِلَابٍ مَلَا طِسٍ
شَدِيدَاتٍ عَقْدٍ لَيِّنَاتٍ مَثَانِي^(٣)

ومثاني الوادي مجانبته ومعاطفه^(٤)، فالفاتحة وآياتها مثاني ؛ لأنها تشنى في كل صلاة بإعادتها في كل ركعة على قول الأكثرين ، وعلى ما قال الزَّجَّاج : «تشنى غيرها مما يقرأ معها»^(٥)، (وقال بعض أهل المعاني : آيات الفاتحة سميت مثاني ؛ لأنها)^(٦) قُسِمَتْ قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ^(٧) ؛ بيانه ما رُوي أن النبي ﷺ قال : «يقول الله تعالى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ . .» الحديث مشهور^(٨).

(١) لم أقف عليه منسوباً إليه .

وانظر : الصحاح (ني) ٦/ ٢٢٩٤، واللسان ١/ ٥١١، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٣٣ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ بنحوه .

(٣) ديوانه ١٦٦، وفيه : (وَيُزْدِي) بدل (وَيُخْدِي)، (عفر) بدل (عقد)، و(مثنان) من دون ياء .

وورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧، واللسان (ثنى) ١/ ٥١٦ . (ويخدي) من الوخدان ، وهو ضرب من السير ، (صم صلاب) حوافر صلبة مصمتة ، (ملاطس) معاول ، شبهها بها لأنها تكسر ما تقع عليه من حجر وغيره ، (شديدات عقد) : يريد أن حوافره شديدات عقد الأرساغ ، (المثاني) المفاصل .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (ثنى) ١/ ٥٠٧ بنصه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٥ بنحوه .

(٦) ما بين القوسين من (ش) و(ع) وساقط من (أ) و(د) .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥١ بنحوه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤١٣ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠٧ .

(٨) أخرجه بنصه مالك في الموطأ (شرح الزرقاني) في كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الإمام ١/ ١٧٥ ، وأحمد ٢/ ٢٨٥ ، ومسلم (٣٩٥) في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة عن أبي هريرة ، وأبو داود : (٨٢١) في كتاب الصلاة ، باب من ترك قراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ، والترمذي (٢٩٥٣) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة فاتحة الكتاب ، والنسائي في كتاب الصلاة ، باب ترك قراءة البسملة في الفاتحة .

وقال بعضهم : هي مثنائي ؛ لأنها قسمان اثنان ؛ ثناء ودعاء^(١) ، وهذا كالقول الأول ؛ لأن الذي روي في الخبر أن الله تعالى يقول : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي . .»^(٢) معناه هذا ، وهو أن المصلي يقرأ الفاتحة ونصفها حق الربوبية من الثناء على الله ، ونصفها حظ العبودية من الدعاء والسؤال ، وقال الحسين بن الفضل : «سميت مثنائي ؛ لأنها نزلت مرتين اثنتين ؛ مرة بمكة في أوائل ما نزل من القرآن ، ومرة بالمدينة»^(٣) .

قال أبو إسحاق : «ويجوز - والله أعلم - أن يكون من المثنائي ؛ أي مما أثنى به على الله ؛ لأن فيها حمد الله وتوحيده ، وذكر ملائكته يوم الدين»^(٤) ، المعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يُثنى بها على الله^(٥) ، وقيل سميت

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٥١/٢ ب بنصه ، وتفسير البغوي ٣٩١/٤ ، والفخر الرازي ٢٠٧/١٩ ، والخازن ١٠٢/٣ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٥١/٢ ب بنصه ، وتفسير البغوي ٣٩١/٤ ، وابن الجوزي ٤١٤/٤ ، والخازن ١٠٢/٣ ، والفخر الرازي ٢٠٧/١٩ بلا نسبة . والقول بنزولها مرتين انفرد به الحسين بن الفضل ولم أقف عليه منسوباً إلى غيره ، والذين ذكروه - بلا نسبة - أوردوه بصيغة التمریض - كما في تفسير البغوي ٤٩/١ ، وابن كثير ١٠/١ وغيرهما - وقد نقل عنه ما يخالف ما انفرد به ، ففي أسباب النزول للواحدي ٢٢ قال : «وعند مجاهد أن الفاتحة مدنية ، قال الحسين بن الفضل : لكل عالم هفوة وهذه بادرة من مجاهد لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه» . والصحيح أن مجاهد لم ينفرد بالقول إنها مدنية ، بل روي - كذلك - عن أبي هريرة وعطاء بن يسار والزهري . انظر : تفسير ابن الجوزي ١٠/١ ، وتفسير القرطبي ١١٥/١٠ ، وابن كثير ١٠/١ ولعل الحسين رجع عن القول بأنها نزلت مرتين إلى ما ذهب إليه أكثر المفسرين أنها نزلت بمكة . وهذا هو الراجح لأمرين : أن سورة الحجر مكية بالإجماع ، وورد فيها هذه الآية ، وما كان الله ليمتنَّ على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة . أن الصلاة فرضت بمكة ، وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الفاتحة - كما قال : «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» ، ولا يصح القول أنه ﷺ أقام بمكة بضعة عشرة سنة يصلي بلا فاتحة ، فهذا مما لا يقبله العقول . انظر : أسباب النزول للواحدي ٢١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٨٥/٣ بنصه .

(٥) تهذيب اللغة (ثنى) ٥٠٧/١ بنصه .

آيات الفاتحة مثاني ؛ لأن كلماتها مُثَنَّاة ؛ مثل الرحمن الرحيم ، إِيَّاكَ وإِيَّاكَ ، الصراط وصراط ، عليهم وعليهم^(١) ، وفي قراءة عمر : وغير وغير^(٢) ، وهذه الآية على هذا القول تدل على فضيلة الفاتحة ؛ لأن الله تعالى امتن على رسوله بهذه السورة كما امتن عليه بجميع القرآن ، فأما دخول (مِنْ) قال أبو إسحاق : «فهي على ضربين تكون للتبعيض من القرآن ؛ أي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يُشْنَى بها على الله ، وآتيناك القرآن العظيم» ، قال : «ويجوز (من) للصفة ، والمعنى آتيناك سبعاً ، هي المثاني كما قال : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج : ٣٠] المعنى : اجتنبوا الأوثان ، لا أَنْ بَعْضَهَا رِجْسٌ»^(٣) .

وقال ابن عباس في رواية مجاهد وسعيد بن جبير : «المثاني السبع الطوال»^(٤) ، وهذا قول ابن عمر وسعيد بن جبير في بعض الروايات ومجاهد في رواية ابن أبي

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٥١/٢ ب ، بنصه ، وذكره الطبري ٦٠/١٤ مختصراً ، ونسبه إلى اهل العربية وضعفه ، وأورده الماوردي ١٧٠/٣ مختصراً ، وتفسير ابن الجوزي ٤/٤١٤ ، والفخر الرازي ٢٠٧/١٩ ، والخازن ٣/١٠٢ .

(٢) بَيَّنَّ ذلك الفخر الرازي ٢٠٧/١٩ فقال : «وفي قراءة عمر : (غير المغضوب عليهم وغير الضالين)» ولم أقف علي هذه القراءة ، ولو ثبتت عنه فهي شاذة ، ولعلها من قبيل التفسير .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٥ بتصرف يسير .

(٤) أخرجه أبوداود (٧٨٦) في كتاب الصلاة ، باب من جهر بها ، بنحوه من طريق سعيد ، والنسائي الافتتاح ، ولقد آتينا سبعاً من المثاني ٢/١٤٠ ، بنصه من طريق سعيد ، والطبري ١٤/٥٢ ، ٥٣ بلفظه بعدة روايات من الطريقتين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٣٨ من طريق مجاهد . وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٩/١١) رقم ١١٣٨ بنصه من طريق مجاهد ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٢٤ من طريق مجاهد .

وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير ، الحجر ٢/٣٥٥ بنحوه من طريق سعيد ، وقال على شرط الشيخين ، والثعلبي ٢/١٥١ ب ، بلفظه من الطريقتين ، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٧٠ ، وتفسير البغوي ٤/٣٩١ من طريق سعيد ، وابن عطية ٨/٣٥٠ ، وابن الجوزي ٤/٤١٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/٥٥ من طريق سعيد ، والخازن ٣/١٠٢ ، وابن كثير ٢/٦١٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٦ ، ١٩٧ وزاد نسبته إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس ، وزاد نسبه - كذلك - إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي من طريق سعيد .

نجيح ، وهي سبع سور من أول القرآن ؛ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً^(١) ، وهذه السور سميت مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والعبر والأخبار تُنبت فيها ، قاله ابن عباس^(٢) ، وأنكر الربيع هذا القول ، فقال : « لا أدري كيف يكون هذا القول وهذه الآية نزلت بمكة ولم ينزل من الطَّوْل شيء »^(٣) وقال : « من نصَّ^(٤) هذا القول : إن الله تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا وحكم بإنزاله عليه ، فهو من جملة ما آتاه وإن لم ينزل عليه بعد »^(٥) .

وروي عن جماعة من الصحابة أنهم قالوا : « المثاني السور التي هي دون الطَّوْل والمئين ، وفوق المُمَفَّصَل »^(٦) ، واختار أبو الهيثم هذا القول ، قال : « روي ذلك عن

(١) أخرجه الطبري ٥٢/١٤ عن سعيد بن جبير ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٥١/٢ ب ، وتفسير السمرقندي ٢٢٤/٢ ، والماوردي ١٧٠/٣ ، وقد اختلف في السورة السابعة ؛ ف قيل : إنها التوبة والأنفال معاً ، وقيل : إنها سورة يونس ، وهذان القولان مشهوران ، لكنهما لا يسلمان من الاعتراض ؛ أما الأول : فلأن كلاً من الأنفال والتوبة سورة قائمة بذاتها فعدهما سورة واحدة خلاف المعقول ، وعدهما سورتين - كما هما - يجعل الطول ثمانية لا سبعة ، وأما القول الثاني : فيعارض بأن سورة يونس يشبهها سور كثيرة في الطول ، بل منها ما هو أطول منها كالنحل ، لذلك فالأرجح أن السورة السابعة هي سورة التوبة منفردة . أفادني به الدكتور فضل عباس ، وقد أشار قبله السخاوي إلى احتمال أنها التوبة - دون مناقشة . انظر : جمال القراء ٣٤/١ ، والبرهان في علوم القرآن ٢٤٤/١ ، والإتقان في علوم القرآن ٢٠١/١ ، ومناهل العرفان ٣٤٥/١ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ٣٢٨ ، وإتقان البرهان لفضل عباس ٤٤٨/١ .

(٢) ورد في تفسير الماوردي ١٧١/٣ ، وتفسير ابن الجوزي ٤١٤/٤ ، والخازن ١٠٢/٣ ، وورد بلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢٠٨/١٩ ، وتفسير القرطبي ٥٥/١٠ .

(٣) أخرجه الطبري ٥٥/١٤ بنحوه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠٨/١٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٩٦/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن الربيع ، وورد بلا نسبة في تفسير القرطبي ٥٥/١٠ ، والخازن ١٠٢/٣ .

(٤) هكذا وردت في النسخ جميعها بتشديد الصاد ، ولعل مقصوده من نصَّ على هذا القول ؛ أي نصره .

(٥) تفسير الفخر الرازي ٢٠٨/١٩ ، تفسير القرطبي ٥٥/١٠ ، والخازن ١٠٢/٣ .

(٦) لم أقف عليهم .

رسول الله ﷺ ثم عن ابن مسعود وعثمان وابن عباس^(١)، يدل على صحة هذا ما روى ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلني ربي بالمفصل»^(٢)، والقول في تسمية هذه السورة^(٣) مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني^(٤).

وقال ابن عباس في رواية عطية: «القرآن كله مثاني»^(٥) وهو قول طاوس^(٦) وأبي مالك^(٧)، ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿كِنَبَأٌ مُّتَشَبِهٌ مَّثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]، فسَمَّى القرآن كله مثاني، قال أبو عبيد^(٨): «وسُمِّي القرآن مثاني لأن الأنبياء

(١) ورد في تهذيب اللغة (ثني) ٥٠٧/١ بنصه.

(٢) أخرجه أحمد ١٠٧/٤ بنصه، عن واثلة بن الأسقع، وأبو داود الطيالسي ١٣٦ بنحوه، وأخرجه الطبري ٤٤/١ بنصه، من طريقين عن أبي قلابة وعن واثلة، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١٥٤/٢ بنحوه عن واثلة، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧٥/٢٢ بنصه، من طريقين عن واثلة، وأخرجه الثعلبي ١٥١/٢ بنصه، عن ثوبان، وأورده الزركشي في البرهان ١/٢٤٤، وقال هو حديث غريب - ولا يقصد الغرابة الاصطلاحية؛ لوروده من عدة طرق - قال: «وفيه سعيد بن بشير لسين»، وأورده الهيثمي في المجمع ٤٦/٧ عن واثلة وعزاه إلى أحمد وقال: «فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات»، وأورده - كذلك ١٥٨/٧ عن أبي أمامة وعزاه إلى الطبراني، وقال: «وفيه ليث بن أبي سليم وقد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقد ذكر أحمد شاکر أن رواية أبي قلابة مرسلة، وتوقف في رواية واثلة، والحديث ضعيف في كل طرفة، لكنه ضعف منجبر كما أشار الهيثمي، وقد حسن الألباني رواية أحمد؛ حيث تابع عمران، سعيد بن بشير، وقال: «الحديث صحيح بمجموع طرق». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٤٨٠.

(٣) أي سورة الفاتحة.

(٤) وهو قول ابن عباس، وقد أنكره الربيع.

(٥) أخرجه الطبري ٥٧/١٤ بنحوه من طريق العوفي (غير مرضية)، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٢/٢ بلفظه، وتفسير الفخر الرازي ٢٠٩/١٩ عن ابن عباس وطاوس، وتفسير القرطبي ٥٥/١٠.

(٦) انظر: المصادر السابقة، وتفسير البغوي ٣٩٢/٤، وابن الجوزي ٤/١٤٤، والخازن ٣/١٠٢.

(٧) انظر: المصادر السابقة، وتفسير ابن الجوزي ٤/١٤٤.

(٨) في النسخ جميعها أبو عبيدة، والمثبت هو الصحيح، وهو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ت ٢٢٤هـ صاحب الغريب.

والقصص ثُنِيَتْ^(١) فيه^(٢)، وعلى هذا القول المراد بالسبع، أقسام القرآن، وهي سبعة أسباع، فالقرآن سبعة أقسام^(٣)، ويجوز أن يكون المراد بالسبع الفاتحة؛ لأنها سبع آيات من القرآن الذي هو مثاني^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ على هذا القول هو السبع المثاني، إلا أنه أدخل الواو فيه لاختلاف اللفظين^(٥)، كقوله^(٦):

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَيْبَةِ فِي الْمُزْدَحَمِ
وقد ذكرنا نظائر هذا كثيراً.

- (١) في النسخ جميعها: (بُنِيَتْ)، والمثبت هو الصحيح.
- (٢) غريب الحديث له ٤٤٣/١ بنصه، وانظر: تهذيب اللغة (ثنى) ٥٠٦/١ بنصه، ويبدو أنه اقتبسه من التهذيب للتطابق، وورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٥٢/٢، وتفسير البغوي ٣٩٢/٤، الخازن ١٠٢/٣.
- (٣) ورد بنحوه في تفسير الثعلبي ١٥٢/٢، والماوردي ١٧١/٣، انظر: تفسير البغوي ٣٩٢/٤، وابن الجوزي ٤/٤١٥، والفخر الرازي ١٩/٢٠٩، وتفسير القرطبي ١٠/٥٥. وهذه الأقسام قد أشار إليها العلماء عند حديثهم عن نزول القرآن على سبعة أحرف، يقول أبو شامة: «هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه، أنزله الله على هذه الأصناف، لم يقتصره على صنف واحد منها غيره من الكتب». وقد اختلف كثيراً في ماهية هذه الأقسام، فذكر السيوطي نقلاً عن ابن النقيب عن ابن حبان سبع عشرة قولاً، وأشهر هذه الأقوال أنها تدور حول: الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال. انظر: البرهان في علوم القرآن ١/٢١٦، والإتقان في علوم القرآن ١/٢٧٤-٢٧٧، والأحرف السبعة لعتار ١٣٧.
- (٤) وهذا القول اختاره الطبري، وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وأبي مالك. انظر: تفسير الطبري ٥٧/١٤.
- (٥) لعل توجيه الزمخشري أحسن؛ إذ قال: «فإن قلت كيف صحَّ عطف القرآن العظيم على السبع؟ وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قلت: إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءها ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل، ألا تسمى إلى قوله: ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ يعني سورة يوسف، وإذا عنيّ الأسباع فالمنعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم؛ أي الجامع لهذين النعتين؛ وهو الشناء أو التثنية والعظم». تفسير الزمخشري ٣١٩/٢، وهناك توجيهات أخرى، انظرها في تفسير ابن الجوزي ٤/٤١٦.
- (٦) سبق عزوه.

٨٨. قوله تعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ﴾ الآية . قال ابن عباس : «نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا ، فحظر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها»^(١) ، وقال في رواية عطاء : «ولا تتمنَّ ما فضلنا به أحداً من متاع الدنيا ، ولا يقع في قلبك حلاوتها ولا شيء من زيتهم»^(٢) ، فدل هذا التفسير على أن المراد بنهيه من مد العين نهيه عن التطلع إليه رغبة فيه ، وإنما يكون ماداً عينيه إلى الشيء إذا دام النظر نحوه ، وإدامة النظر إلى الشيء يدل على استحسانه وتمنيّه ، ولهذا فسره ابن عباس بالنهي عن التمني ، فكان ﷺ لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا ، حتى رُوي أنه نظر إلى نَعَم بني المِصْطَلِقِ^(٣) وقد عَيسَت في أبوالها وأبعارها ، (فَتَقَنَّعَ بثوبه وقرأ هذه الآية)^(٤) ، قال أهل المعاني : «وذلك أن يحف أبعارها وأبوالها على أفخاذها إذا نزلت من العمل أيام الربيع ، فيكثر شحومها ولحومها وهي أحسن ما تكون»^(٥) .

(١) أخرجه الطبري ٦١ / ١٤ بمعناه من طريق العوفي (غير مرضية) ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٧٠ / ٢ بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦١٤ / ٢ ، والدر المنثور ١٩٧ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢١٠ / ١٩ .

(٣) قبيلة بني المصطلق بطن من خزاعة ، من القحطانية ، وهم بنو المصطلق ، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ، وقد غزاهم النبي ﷺ في شعبان سنة ست من الهجرة ، ولقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع ، فهزمهم الله ، وقُتل من قُتل ، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفأهم عليه . انظر : الروض الأنف ٦ / ٤ ، ومعجم قبائل العرب ١١٠٤ / ٣ .

(٤) ورد في غريب الحديث لأبي عبيد ٣٨٠ / ١ بنحوه ، وتهذيب اللغة (عبس) ٢٣٠٧ / ٣ بنصه ، وانظر : النهاية لابن الأثير ١٧١ / ٣ ، والدر المنثور ١٩٧ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وتفسير الألويسي ٨١ / ١٤ .

(٥) ورد بنحوه في غريب الحديث ٣٨٠ / ١ ، وتهذيب اللغة (عبس) ٢٣٠٧ / ٣ ، وتفسير الفخر الرازي ٢١٠ / ١٩ بنصه .

وقوله تعالى : ﴿أَزْوَجًا مِّنْهُمْ﴾ قال الزَّجَّاج : «أي أمثالاً في النِّعم»^(١) ،
يعنى أن الأغنياء بعضهم أمثال بعض في الغنى والنعمة فهي أزواج ، وقال
ابن قتيبة : «أي أصنافاً منهم»^(٢) ، والزواج في اللغة الصنف^(٣) ، وقد ذكرنا ذلك ؛
يعني أصناف الكفار من المشركين واليهود وغيرهم ، وقال المفضل : ﴿أَزْوَجًا
مِّنْهُمْ﴾ ؛ أي رجالاً ونساءً أغنيانهم ، فلا تمدنَّ عينيك إلى ما أعطيناهم»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد على ما فاتك من
الدنيا» ، قال أهل المعاني : معناه : لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك ، وقال الحسن :
«لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من العذاب بكفرهم»^(٥) ، ونحو هذا قال الكلبي :
«لا تحزن على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب»^(٦) ، ثم نزل يوم بدر» .

وقوله تعالى : ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخفض معناه في اللغة : نقيض
الرفع ، ومنه قوله تعالى في صفة القيامة : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة : ٣] ؛ أي أنها
تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعة^(٧) ، فالخفض معناه الوضع ، والجناح
من الإنسان يده ، قال الليث : «يد الإنسان جناحاه»^(٨) ، ومنه قوله : ﴿وَاضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص : ٣٢] والعرب تقول : فلان خافض الجناح ،

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٨٦/٣ بنصه .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤١ بلفظه .

(٣) انظر : المحكم (زوج) ٣٦٥/٧ ، واللسان ١٨٨٦/٣ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الماوردي ١٧١/٣ ، وتفسير القرطبي ٥٧/١٠ .

(٦) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٣٧٠/٢ بنصه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي

٢/ ٢٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤١٦ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (خفض) ١٠٦٦/١ بنصه .

(٨) تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢١١ .

وخافض الطير ، إذا كان وقوراً ساكناً^(١) ومعنى الآية : كأنه يقول : لِنِ واسْكُنْ لهم .

قال ابن عباس : «يقول : لِنِ لهم الموعظة وارفق بهم ولا تغلظ عليهم»^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : «﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ : أَلِنِ جانبك»^(٣) ، ونحوه قال المفضل^(٤) ، فعلى هذا جناح الإنسان جانبه ، ومنه قوله : ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ [طه : ٢٢] والعرب تقول : فلان لين الجانب ، إذا كان سهل الخلق منبسطاً ، كما تقول في ضده : فلان منيع الجانب ، ومنه قوله : ﴿وَنَفَا بِجَانِبِهِ﴾ [فصلت : ٥١] .

٨٩ . قوله تعالى : ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ قال ابن عباس : «يريد أنذركم سطواتِ الله وسخطه وعذابه ، وأبين لكم ما يقربكم إلى الله ويبعدكم من الله» .

٩٠ . ﴿كَمَا أُنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ اختلفوا في المقتسمين من هم ؟ فقال ابن عباس في رواية عطاء : «هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن رسول الله ﷺ والإيمان به ، وهم ما بين ثمانية وثلاثين إلى الأربعين»^(٥) ، وقال مقاتل بن سليمان : «كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا عقاب»^(٦) مكة وطرقها ، يقولون

(١) ورد في تهذيب اللغة (خفض) ١٠٦٦/١ بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ٥٧/١٠ .

(٢) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٣٧٠/٢ بنحوه ، وابن الجوزي ٤١٦/٤ ، وتنوير المقباس ٢٨١ بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١٩٩/١ ، والطبري ٦١/١٤ ، والثعلبي ١١٥٢/٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٨٦/٣ بلفظه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) تفسير الفخر الرازي ٢١١/١٩ .

(٦) العَقَبَةُ : طريق وعر في الجبل ، والجمع عَقَبَ وعِقَاب . انظر : جهرة اللغة (عقب) ٣٦٤/١ ، والمحيط في اللغة ١٩٧/١ .

لمن سلكها : لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فإنه مجنون ، فكانوا يُنْفَرُونَ النَّزَّاعَ إِلَيْهِ بأنه ساحر وأنه كاهن وأنه شاعر»^(١) ، وهذا القول اختيار الفراء قال : «سُمُّوا مقتسمين لأنهم اقتسموا طُرُقَ مكة»^(٢) ، فأُنزل الله بهم جَرَبًا فماتوا شر ميتة ، وقال في معنى الآية : «يقول : أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين»^(٣) ، وتكون الكاف زائدة ؛ وزيادة الكاف قد توجد في مواضع من الكلام^(٤) ؛ كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ، وقول رُؤبة :

لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقِ^(٥)

قال النحويون : الكاف التي هي حرف جار قد تكون زائدة مؤكدة بمنزلة الباء في خبر ليس^(٦) ، وذكر صاحب النظم وجهاً آخر ، هو أن يكون التأويل : ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ : عذاباً ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ، وعلى هذا :

- (١) تفسير مقاتل ١/ ١٩٩ أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ أ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في معاني القرآن للفراء ٢/ ٩١ ، ومعظم الذين ذكروا هذا القول نسبوه للفراء ، ومقاتل سابق للفراء .
- (٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٢ بنصه .
- (٣) وهو كقول الفراء ؛ قال : «يقول أنذرتكم ما أنزل بالمقتسمين» ٢/ ٩١ .
- (٤) انظر التعليق على القول بالزيادة في : القرآن ، عند الآية [١٠] من سورة إبراهيم .
- (٥) ديوانه ١٠٦ ، وورد في سر صناعة الإعراب ١/ ٢٩٥ ، وشرح ابن عقيل ٣/ ٢٦ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٦٤ ، والخزانة ١/ ٨٩ ، وبلا نسية في المقتضب ٤/ ٤١٨ ، والمسائل البغداديات ٤٠٠ ، والإنصاف ٢٥٧ ، وشرح الأشموني ٢/ ٤٠٩ . (اللواحق) جمع لاحقة ، وهي الهزيلة الضامرة ، (الأقرب) جمع قُرب ، وهي الخاصرة ، (المقق) هو الطول ، وقيل الطول الفاحش في دقة ، والمعنى : هذه الخيول أو الأتُن حِماص البطون ، قد أصابها الهزال وضمرت بطونها مع ما بها من طول فاحش . والشاهد : (كالمقق) حيث جاءت الكاف زائدة ، لا تدل على معنى التشبيه ، إذ المقق : الطول ، ولا يقال في الشيء كالطول ، وإنما يقال : فيه طول . انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٢٩٢ ، والإنصاف ٣٠٠ .
- (٦) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٢٩١ بنصه ، والمقتضب ٤/ ٤١٨ ، وشرح ابن عقيل ٣/ ٢٦ .

المفعول محذوف وهو المشبه ، ودل عليه المشبه به ، وهذا كما تقول في الكلام : رأيت كالقمر في الحُسْن^(١) ؛ أي رجلاً ، وما تريد^(٢) . وقال ابن عباس في رواية أبي ظبيان : «المقتسمين هم اليهود والنصارى»^(٣) .

واختلفوا لم سُمّوا مقتسمين ؟ قال ابن عباس في هذه الرواية : «لأنهم جعلوا القرآن عضيّن ؛ آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه» .

وقال عكرمة : «لأنهم اقتسموا القرآن استهزاءً به ، فقال بعضهم سورة كذا لي ، وقال بعضهم سورة كذا لي»^(٤) .

وقال مجاهد : «لأنهم قسموا كتابهم فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه»^(٥) .

(١) نقل الفخر الرازي قول صاحب النظم وتوضيح الواحد له بنصه دون عزو . تفسير الفخر الرازي ٢١٢/١٩ .

(٢) يقصد تقديره : رجلاً أو ما تريد أن تقدّره .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٥) التفسير ، في كتاب الحجر ، باب قوله تعالى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ بنصه ، والطبري ٦١/١٤ بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤٣/٤ ، وتفسير هود الهواري ٣٥٦/٢ ، والثعلبي ١١٥٢/٢ ، والماوردي ١٧٢/٣ ، والطوسي ٣٥٤/٦ ، وتفسير البغوي ٣٩٣/٤ ، وابن عطية ٣٥٥/٨ ، وابن الجوزي ٤١٧/٤ ، والفخر الرازي ٢١٢/١٩ ، وتفسير القرطبي ٥٨/١٠ ، والخازن ١٠٣/٣ .

(٤) أخرجه الطبري ٦٢/١٤ بنحوه ، ورد في تفسير الثعلبي ١١٥٢/٢ ، بنحوه ، والماوردي ١٧٢/٣ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٥٥/٨ ، وابن الجوزي ٤١٧/٤ ، وتفسير القرطبي ٥٨/١٠ ، والخازن ١٠٣/٣ .

(٥) أخرجه الطبري ٦٣/١٤ بنحوه ، ورد في تفسير السمرقندي ٢٢٥/٢ لكنه قال : «فرقوا القرآن» ، والصحيح كما في كل الروايات فرقوا كتبهم ، والثعلبي ١١٥٢/٢ أبعناه ، والماوردي ١٧٢/٣ بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٥٥/٨ ، وابن الجوزي ٤١٧/٤ ، والخازن ١٠٣/٣ .

وقال مقاتل بن حيان : «اقتسموا القرآن ؛ فقال بعضهم : سحر (وقال بعضهم : شعر)^(١) وقال بعضهم : كذب ، وقال بعضهم : أساطير الأولين»^(٢) .

وقال ابن زيد : «المقتسمون هم قوم صالح تقاسموا ، من القسَم لا من القِسْمة»^(٣) ، ونحواً من هذا قال ابن قتيبة : «جعل المقتسمين : الذين تحالفوا على تكذيب محمد ﷺ وأن يذيعوا ذلك [بـ]»^(٤) كل طريق»^(٥) ، كما ذكرنا في القول الأول^(٦) .

٩١ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ، ﴿الَّذِينَ﴾ من صفة المقتسمين ، إلا على قول ابن زيد ، فإنه يكون ابتداءً وخبره في (لنسألنهم) ، وذكر أهل اللغة في واحد عضين قولين ؛ أحدهما : أن واحدها عِضَةٌ ؛ مثل : عزة ونزة وثبة ، وأصلها عِضُوة من : عَضَيْتُ الشيء ، إذا فَرَّقْتَهُ^(٧) ، وكل قطعة عضة ، وهي مما نقص منها وأُوْ ؛ وهي لام الفعل — مثل قِلَّة وعِرَّة — وبابها ، والتعضية التجزئة والتفريق ،

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٢/٢ أن بنه ، وتفسير الفخر الرازي ٢١٢/١٩ بنه .

(٣) أخرجه الطبري ٦٣/١٤ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٢/٢ أن بنحوه ، والماوردي ١٧٢/٣ بمعناه ، والطوسي ٣٥٤/٦ بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٥٥/٨ ، وابن الجوزي ٤١٨/٤ ، والفخر الرازي ٢١٢/١٩ ، وتفسير القرطبي ٥٨/١٠ ، وابن كثير ٦١٤/٢ .

(٤) إضافة يقتضيها السياق ؛ كما في المصدر .

(٥) الغريب لابن قتيبة ٢٤١ بنه .

(٦) وقد لخص الطبري الأقوال الواردة في المقتسمين ، فقال : «هم قوم صالح أو أهل الكتاب أو كفار قريش» ، ثم ذكر أن النص محتمل لأي من الفرق الثلاث ما دام أنه لم يخصص ، فوجب حمله على كل من اقتسم كتاباً لله بتكذيب بعض وتصديق بعض . انظر : تفسير الطبري ٦٣/١٤ ، ٦٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عضه) ٢٤٧٧/٣ ، والصحاح ٢٢٤١/٦ ، وعمدة الحفاظ ١١/٣ ، وتفسير الثعلبي ١٥٢/٢ ب .

ورواه أبو ظبيان عن ابن عباس في عشرين ما ذكرناه في المقتسمين ،
ويقال : عضيت الشاة والجزور تعضية ، إذا جعلتها أعضاء وقسمتها .

وفي الحديث : « لا تعضية في ميراث إلا في ما حمل القسم »^(١) ؛ أي لا تجزئة في ما [لا] ^(٢) يحتمل القسم ؛ كالجوهرة والسيف وغيرهما ، وهذا معنى قول المفسرين وأكثر أهل المعاني ؛ قال ابن عباس في قوله : ﴿ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ : « يريد جَزَّؤُهُ أَجْزَاءً ؛ فقالوا : سحر ، وقالوا : أساطير الأولين ، وقالوا : مفترى »^(٣) ، وهذا قول قتادة واختيار الزجاج^(٤) وأبي العباس^(٥) وأبي عبيدة^(٦) ، ويكون المعنى على هذا : جعلوا القول في القرآن عشرين حين اختلفت أقوالهم وتفرقت في وصف القرآن .

(١) أخرجه الدارقطني ٢١٩/٤ في كتاب الأقضية والأحكام ، باب المرأة تقتل إذا ارتدت ، بنحوه بروايتين عن أبي بكر ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٣٣/١٠ في كتاب آداب القاضي ، باب ما لا يحتمل القسمة ، بنحوه بروايتين ، وورد في النهاية ٢٥٦/٣ ، والكنز ٩/١١ ، والحديث ضعيف كما قال الشافعي : قال : « ولا يكون مثل هذا الحديث حجة لأنه ضعيف ، وهو قول من لقينا من فقهاءنا » ، وقال البيهقي : « وإنما ضعفه لانقطاعه » ، وهو قول الكافة ، وعلّة أخرى أن الحديث يدور على صديق بن موسى ، وهو ليس بحجة كما في الميزان ٢٨/٣ ، وقد أشار إلى ذلك الآبادي في ذيل سنن الدارقطني ٢١٩/٤ .

(٢) في النسخ جميعها من دون (لا) ، ولا يستقيم المعنى إلا بها ؛ لأن المراد النهي عن تفريق ما يكون تفريقه ضرراً على الورثة ؛ كأن تقسم جوهرة نفيسة أو ثوب نفيس فتتقص بذلك قيمته .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٥) في كتاب التفسير ، باب الحجر بنحوه عن ابن عباس ، والطبري : ١٤/٦٤-٦٦ عنهما بنحوه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٢٥ عنهما ، والحاكم ٢/٣٥٥ في كتاب التفسير ، باب الحجر بنحوه ، والماوردي ٣/١٧٣ عن ابن عباس ، والطوسي ٣/٣٥٤ عن قتادة ، وتفسير ابن الجوزي ٤/٤١٨ عنهما ، وتفسير القرطبي ١٠/٥٩ ، والخازن ٣/١٠٣ ، وابن كثير ٢/٦١٤ ، وتنوير المعباس ٢٨١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/١٩٨ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والفرياي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق ، عن ابن عباس .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٦ بنحوه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/٤١٩ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) مجاز القرآن ١/٣٥٥ بمعناه .

القول الثاني : أنها عِضَّة ، وأصلها عِضْهَة ، فاستثقلوا الجمع بين هاءين ، فقالوا : عِضَّة ؛ كما قالوا : شَفَّة والأصل شَفْهَة^(١) ، بدليل قولك : شافهت مشافهة ، وسَنَّة وأصلها سَنْهَة في أحد القولين^(٢) ، وعلى هذا ؛ الهاء لام وهي من العضة بمعنى الكذب ، ومنه الحديث : «إِيَّاكُمْ وَالْعِضَّة»^(٣) .

وقال ابن السكيت : «الْعِضِيَّةُ أَنْ يَعْضِبَهُ الْإِنْسَانُ وَيَقُولُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ»^(٤) ، وهذا معنى قول عكرمة واختيار الكسائي^(٥) ، وقول الخليل في ما روى عنه

(١) انظر : تهذيب اللغة (عضة) ٢٤٧٨/٣ ، ومجمل اللغة ٦٧٣/٢ ، والصاح ٢٢٤١/٦ ، وشرح الفصيح للزمخشري ٦١١/٢ ، وعمدة الحفاظ ١١١/٣ ، وتفسير الطبري ٦٥/١٤ ، والثعلبي ١٥٢/٢ ب .

(٢) ذكر أبو علي الفارسي أن لام الكلمة المحذوفة يجوز أن تكون واو أو هاء ؛ لقولهم في (سنة) (أُسْتُتُوا) -أجذبوا- ومنها ؛ (سنوات) ، أصلها واو ، وفي قولهم : (ساناه) -عامله بالسنة- ومنها : (نخلة سَنْهَاء) -أصابتها السنة- أصلها هاء ، وقولهم في (عضه) : (عِضَوَات) أصلها واو ، وفي قولهم : (عضاه ، وبغير عاضه ، وناقاة عاضهة) أصلها هاء . انظر : المسائل الحلييات ٣٤٥ ، والمسائل البغداديات ١٥٨ ، وسر صناعة الإعراب ٤١٨/١ ، والمحكم (عضه) ٥٩/١ .

(٣) جزء من حديث طويل يتكون من عدة فقرات ، كهجر المسلم ، والصدق والكذب ، وأحسن الكلام . . . وقد أخرجه عبدالرزاق في المصنف ، باب القدر ١١٦/١١ بنصه ، والطبراني في الكبير ٩٨/٩ بنصه ، قال محقق المعجم الكبير : «قال شيخ الإسلام في إقامة الدليل ٥٩ : رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم بأسانيد جيدة إلى محمد بن جعفر بن أبي كثير عن موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال . . . فذكره ، وهذا إسناد جيد ، لكن المشهور أنه موقوف على ابن مسعود . وأفاد كذلك المحقق أن الألباني ضعفه -دون أن يذكر أين . وورد برواية : ألا أنبئكم ما العِضَّة ؟ هي النميمةُ القالةُ بين الناس» ، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم النميمة .

(٤) إصلاح المنطق ٣٥٣ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (عضه) ٢٤٧٧/٣ بنصه ، وفيها : (الْعِضِيَّةُ) بدل (العضية) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (عضه) ٢٤٧٧/٣ ، وتفسير ابن عطية ٣٥٦/٨ .

الليث^(١). قال عكرمة : «العضة السحر بلسان قريش ، وهم يقولون للساحر : عاضه»^(٢).

وقال ابن الأعرابي : «العضة والتؤلة»^(٣) السحر»^(٤). وذكر الفراء القولين جميعاً في المصادر والمعاني^(٥) ، وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ جعلوه سحراً مفترى ، وجمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف ؛ فجعل الجمع بالواو والنون عوضاً مما لحقها من الحذف ، وقد ذكرنا شرح هذا عند قوله : ﴿ثَبَاتٌ﴾^(٦) [النساء : ٧١] وفي جمع أرض^(٧).

-
- (١) كتاب العين ٩٩ / ١ بمعناه .
- (٢) أخرجه عبدالرزاق ٣٥٠ / ٢ بنصبه ، والطبري ٦٦ / ١٤ بنصبه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤٣ / ٤ ، وتهذيب اللغة (عضه) ٢٤٧٧ / ٣ بنصبه ، وتفسير الماوردي ١٧٣ / ٣ ، وانظر تفسير الزمخشري ٣٢٠ / ٢ ، وابن عطية ٣٥٧ / ٨ ، وابن الجوزي ٤١٩ / ٤ ، وابن كثير ٦١٤ / ٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٩٨ / ٤ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .
- (٣) التؤلة والتؤلة : شيء يشبه السحر ، يُحبب المرأة إلى زوجها . المحيط في اللغة (تول) ٤٦٢ / ٩ .
- (٤) لم أقف عليه .
- (٥) معاني القرآن للفراء ٩٢ / ٢ مختصراً ، وتفسير الفخر الرازي ٢١٣ / ١٩ نقلهما عن الواحد بنصبه بلا نسبة .
- (٦) واحد الثبّات : ثبّة ، انظر : الغريب لابن قتيبة ١٢٧ / ١ ، وتهذيب اللغة (ثاب) ٤٦٥ / ١ ، وعمدة الحفاظ ٣١٧ / ١ .
- (٧) لم أقف على الآية التي أشار أنه تعرض فيها لجمع أرض ، وقد جمعت (أرضون) ، والقياس يقتضي جمعها (أرضات) لأنها مؤنث ، فلما حذفت الهاء - أي من أرضة - عوضوا عنها في الجمع بالواو والنون ، فقالوا (أرضون) وفتحوا الراء في الجمع ليدخل الكلمة ضرب من التغيير تميزاً لها لمخالفة الأصل ، وليعلم أن سبيلها لو جمعت بالتاء أن يفتح راؤها ، فيقال : (أرضات) . انظر : شرح المفصل ٥ / ٥ .

قال الفرّاء : «ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ، ويعرب نونها فيقول : عِضِيْنُكَ ، ومررت بعِضِيْنِكَ» ، وأنشد :^(١)

دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنْ سَنِئَهُ لَعِبْنَ بَنَّا شَيْباً وَشَيْئَتْنَا مُرْدَا^(٢)
قال وأنشدني بعض بني أسد^(٣) :

مِثْلَ الْمَقَالِي ضُرِبَتْ قُلِيْنُهَا^(٤)

قال : «وإنما يجوز هذا في ما نقص لأمها ؛ لأنهم توهموا أن النون أصلية وأن الحرف على فعيل ، ألا ترى أنهم لا يقولون هذا في الصالحين والمسلمين ؟ وكذلك

(١) البيت للصمة بن عبد الله القُشَيْرِي ت ٩٥ هـ .

(٢) ورد في تكملة الإيضاح العسدي ٢٠٧ ، وشرح شواهد الإيضاح ٥٩٧ ، وشرح المفصل ١١ / ٥ ، وشرح التصريح ٧٧ / ١ ، والخزانة ٥٨ / ٨ ، وورد بلا نسبة في المخصص ٦٦ / ٩ ، والاقتضاب ١٩٣ ، وأملّي ابن الشجري ٢ / ٢٦١ ، واللسان (نجد) ٧ / ٤٣٤٦ ، و(سنه) ٤ / ٢١٢٧ ، وأوضح المسالك ١٤ (صدر) ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٥ ، وفي بعض هذه المصادر (ذرائع) بدل (دعاني) ، والمعنى واحد ، وهو أمر ومعناه : اتركاني من ذكر نجد . (سنيته) : جمع سنة ، وهي هنا إما بمعنى العام وإما بمعنى القحط . (شيباً) : جمع أشيب ، وهو الذي ابيض شعره ، (مرداً) جمع أمرد ، وهو الذي لا شعر بعارضيه . والشاهد قوله : (سنيته) بإثبات النون ولم تسقط للإضافة ، وعلامة نصبه الفتحة لا الياء وإلا لقال : (سنيته) بحذف النون للإضافة وهذه لغة بني عامر ، فإنهم يعربون المعتل اللام بالحركات الثلاث على النون مع لزوم الياء ؛ لأنها أخف عليهم ، ولأن النون قامت مقام الذاهب من الكلمة ، ولو كان الذاهب موجوداً لكان الإعراب فيه كسائر المفردات ، وكذلك يكون ما قام مقامه . انظر : شرح التصريح على التوضيح ٧٧ / ١ .

(٣) لم أقف على القائل ، وفي المصدرين - الذين وقفت عليهما - نسب إلى الفرّاء .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (قلا) ٣ / ٣٠٢٥ ، واللسان (قلا) ٦ / ٣٧٣٢ ، القُلة والمَقْل والمَقْلَاء : عودان يلعب بهما الصبيان ، فالمَقْل العود الكبير الذي يُضرب به ، والقُلة الخشبة الصغيرة التي تُنصب ، وهي قَدْر ذراع ، وجمع المَقْلِي المَقَالِي ، الشاهد : (قُلِيْنُهَا) حيث جعل النون كالأصلية فرفعها ، وذلك على التوهم ، ووجه الكلام فتح النون لأنها نون الجمع .

قولهم : الثبات واللغات ، ربما أعربوا التاء منها بالنصب والخفض فيتوهمون أنها هاء وأن الألف قبلها من الفعل» ، وأنشد^(١) :

إِذَا مَا جَلَاَهَا بِالْإِيَامِ تَحَيَّرْتُ ثُبَاتًا عَلَيْهَا ذُلُّهَا وَاكْتِنَاهَا^(٢)

ولا يجوز ذلك في الصالحات والأخوات ، لأنها تامة لم يُنقص من واحدتها شيء ، قال : «وما كان من حرف نُقص من أوله مثل : زنة ولدة^(٣) ودية فإنه لا يقاس على هذا ؛ لأن نقصه من أوله لا من لأمه ، فما كان منه مؤنثاً أو مذكراً فأجره

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (جاهلي) .

(٢) ديوان الهذليين ٧٩ ، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٥٣ وفيهما برواية : (فلما اجتلاها) ، وورد في : أدب الكاتب ٤٤١ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٤٨ ، ٣/ ١٣٣٤ وفيهما (ثبات) بكسر التاء ، والمنصف ٣/ ٦٣ ، والمحتسب ١/ ١١٨ ، والاقطصاب ٤٠٣ ، وشرح الجواليقي ٢٢٦ ، واللسان (أيم) ١/ ١٩٢ ، وورد بلا نسبة في الخصائص ٣/ ٣٠٤ ، والمخصص ٨/ ١٨٢ ، ١١/ ٤٠ ، وشرح المفصل ٥/ ٤ .
(اجتلاها) : كشفها وأبرزها وأخرجها ، (الإيام) : الدخان ؛ وجمعه أَيْم ، وآم الدخان يَيْم إياماً : دخّن ، وآم الرجل إياماً إذا دخّن على النحل ليخرج من الخلية فيأخذ ما فيها من العسل ، وقيل : الإيام : عود يجعل في رأسه نار ثم يدخن به على النحل ليشتار العسل ، (تحيزت) : اجتمع بعضها إلى بعض ، ويقال : تفرقت ؛ صارت فرقا في كل حيّز شيء ، ويروى (تخبرت) من الخبرة ؛ أي بقيت لا تدري إلى أين تذهب ، (ثبات) : جمع ثبة ؛ وهو القطعة من القوم ومن كل شيء ، (الاكْتِنَاهُ) : الحزن .
والشاهد : (ثباتاً) حيث نُصبت بالفتحة وحققها الكسرة - كما هو الأصل في جمع المؤنث السالم - وحجة من نصبها أن لأم الكلمة مخذوف ولم تُرد إليه في الجمع كما حكى الكسائي : «سمعت لغاتهم بفتح التاء ، لأن أصل ثبة ثُبوة ، وأصل لُغة لُغوة» . انظر : شرح المفصل ٨/ ٥ .

(٣) ساقطة من (د) ، ولِدة الرجل : تزبته ، قال الجوهري : «والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، لأنه من الولادة ، وهما لدان والجمع لِدات ولِدُون» .

انظر : المحيط في اللغة (ولد) ٩/ ٣٥٧ ، والصحاح ٢/ ٥٥٤ ، واللسان ٨/ ٤٩١٥

على التمام ؛ مثل : الصالحين والصالحات ، تقول : (رَأَيْتَ لِدَاتِكَ) ^(١) [وَلِدَيْكَ] ^(٢) ولا تقل ^(٣) : لِدَيْنِكَ ، ولا : لِدَاتِكَ ^(٤) .

٩٢ . ٩٣ . قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن عباس : « عما كانوا يفترون ثم أجازيهم بأعمالهم » ^(٥) ، وقال الكلبي : « عن ترك لا إله إلا الله والإيمان برسله » ^(٦) .

قال أهل المعاني : « وهذا السؤال توبيخ وتقريع ، يُسألون يوم القيامة فيقال لهم : لم عضيتم القرآن وما حجتكم في ذلك ؟ فيظهروا خزائهم وفضيحتهم عند تعذر جواب يصح » ^(٧) ، وهذا معنى قول ابن عباس في ما روى عنه الوالبي في الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٣٩] قال : « لا يُسألون سؤال استفهام ؛ لأنه علم ما عملوا ، ولكن يُسألون سؤال تقريع ؛ فيقال لهم : لم عملتم كذا وكذا ^(٨) ؟ » فقوله : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ ﴾ أي سؤال

(١) ما بين القوسين كتب على هامش أ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في المصدر .

(٣) في النسخ جميعها : (ولا هنك) ولم يتبين لي معناها ، ولعلها من تصحيفات النساخ ، والتصويب من المصدر .

(٤) معاني القرآن للقرآن ٩٢ / ٢ ، ٩٣ وهو نقل طويل نقله بتصريف واختصار .

(٥) وهذا القول أولى الأقوال ؛ لكونه عاماً وشاملاً لجميع الافتراءات والمعاصي غير مقيد بنوع من المعاصي كما ذكر بعضهم .

(٦) انظر : تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٧١ / ٢ ، وورد في تنوير المقباس ٢٨١ بنصه ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٢٥ .

(٧) ورد بنصه تقريباً في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ٣٧١ / ٢ ، والطوسي ٦ / ٣٥٥ ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٤١٩ .

(٨) أخرجه الطبري ٦٧ / ١٤ بنحوه ، من طريق علي بن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٢ / ٢ بنحوه ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٩٤ ، وابن عطية ٨ / ٣٥٨ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٦١ ، والخازن ٣ / ١٠٤ ، وابن كثير ٢ / ٦١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث ، وروي عن ابن عباس توفيقاً آخر للآيتين ؛ =

استعلام واستخبار ، (وقوله : ﴿ لَسْتَعْلَنَهُمْ ﴾ ؛ أي سؤال تقريع وتوبيخ ، وهذا قول قطرب^(١)).

٩٤ . قوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ معنى الصَّدْع في اللغة : الشَّقُّ والْفَرْقُ والفَصْلُ^(٣) ، أنشد ابن السكيت لجرير :

هُوَ الْخَلِيفَةُ فَارْضُوا مَا قَضَى لَكُمْ بِالْحَقِّ يَصْدَعُ مَا فِي قَوْلِهِ جَنْفٌ^(٤)
يصدع : يفصل ، وأنشد الفراء^(٥) :

وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِيتِي وَأَصْدَعُ^(٦) بَيْنَ الْقَيْتَيْنِ رِدَائِيَا^(٧)
أي أشق ، وتصدع القوم ، إذا تفرقوا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴾ [الروم : ٤٣] ، قال الفراء : « يتفرقون »^(٨) ، فأما معنى الآية فقال ابن عرفة :

هو أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف ، فيسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها . انظر : تفسير الخازن ٣ / ١٠٤ ، ونسب لعكرمة في وضح البرهان في مشكلات القرآن ١ / ٤٩٧ ، والصحيح أن عكرمة رواه عن ابن عباس ، كما في تفسير الثعلبي ٢ / ١٥٢ ، وورد غير منسوب في كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٢٢٤ ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٣٠٠ .
(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٥٢ ب ، بنصه تقريباً ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٦١ ، والخازن ٣ / ١٠٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ش) ، (ع) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (صدع) ٢ / ١٩٨٧ ، والمحيط في اللغة ١ / ٣٢٤ ، والصحاح ٣ / ١٢٤١ .

(٤) ديوان جرير ٣٠٨ ، وورد في تهذيب اللغة (صدع) ٢ / ١٩٨٧ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩ / ٢١٤ .

(٥) ليس في معانيه ، والبيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي (جاهلي) .

(٦) ساقطة من (د) .

(٧) ورد في المفصليات ١٥٨ ، وجمهرة اللغة ٢ / ٦٥٣ ، والأغاني ١٦ / ٣٦٢ ، وذيل أمالي القالي ٣ / ١٣٣ ، والخزانة ٢ / ٢٠١ . (الشرب) جمع شارب ، (المطية) البعير ، (القينة) المغنية ، يريد أنه يعطي كلاً منها شطر رداؤه .

(٨) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٢٥ بلفظه .

«﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تَوْمَرُ ﴾؛ أي فرق بين الحق والباطل»^(١)، وروى أبو العباس^(٢) عن ابن الأعرابي في قوله: «﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تَوْمَرُ ﴾: «أي شَقَّ جماعتهم بالتوحيد»^(٣)؛ كأنه يقول: ادعهم إلى التوحيد لتفرق جماعتهم؛ بإجابة بعضهم إياك فيكون ذلك تَفَرُّقَ كلمتهم، هذا معنى قول ابن الأعرابي، فالصدع على هذا يعود إلى صدع جماعة المشركين، وقال غيره: «فَرَّقَ القول فيهم»^(٤)، وعلى هذا: الصَّدع يعود إلى دعوة النبي ﷺ وهو أن يفرقها في الناس فيذيعها فيهم وقال أبو إسحاق: «يقول أظهر ما تؤمر به؛ أخذ من الصَّديع وهو الصبح»، وقال: «وتأويل الصَّدع في الزُّجَاج، أن يبين بعضه من بعض»^(٥)، وهذا الذي ذكره أبو إسحاق يعود إلى الشَّق أيضاً، قال الأزهري: «وسمي الصبح صديعاً كما سُمي فلماً، وقد انصدع وانفلق وانفجر الصبح»^(٦)، وقال ابن قتيبة: «﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تَوْمَرُ ﴾؛ أي أظهر ذلك»، قال: «وأصله الفَرَق والفتْح؛ أي اصدع بحَقِّك الباطل»^(٧)، وهذا قول

-
- (١) تهذيب اللغة (صدع) ١٩٨٨/٢ بنصه .
 - (٢) في النسخ جميعها: (ابن عباس)، وهو تصحيف، والتصحيح من التهذيب .
 - (٣) تهذيب اللغة (صدع) ١٩٨٨/٢ بنصه، وورد غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠/٦١ .
 - (٤) تهذيب اللغة (صدع) ١٩٨٨/٢ بنصه، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٧٤ عن النقاش .
 - (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٦ بتصرف يسير، تهذيب اللغة (صدع) ١٩٨٧/٢ بنصه، ويبدو أنه نقله من التهذيب لا المعاني .
 - (٦) تهذيب اللغة (صدع) ١٩٨٨/٢ بنصه .
 - (٧) الغريب لابن قتيبة ٢٤٠ بنصه .

أهل اللغة والمعاني ، وقال ابن عباس : «أظهر»^(١) ، وقال الأخفش وأبو عبيدة : «افرق»^(٢) ، وقال المؤرج : «افصل»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿يَمَّا تُوْمَرُ﴾ قال الفراء : «أراد فاصدع بالأمر ، و(ما) مع الفعل بمنزلة المصدر ، وكذلك لم يعد إليه عائد من الصلة كقولك : ما أحسن ما ينطلق ؛ لأنك تريد : ما أحسن انطلاقتك ، وما أحسن ما تأمر ؛ أي أمرك ، ومثله قوله : ﴿يَتَأَبَّتْ أَفْعَلٌ مَا تُوْمَرُ﴾ [الصفات : ١٠٢] كأنه قيل له : افعَل الأمر الذي تؤمر ، قال : «ويجوز أن يكون المعنى : بما تؤمر به ، فحذف الجار ؛ لأن العرب قد تقول : إني لأمرك وأمر بك ، وأكفرك وأكفر بك» ، وأنشد^(٤) :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَأَنْصِثُوهَا فَإِنَّ الْأَمْرَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ^(٥)

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٢/٢ ب ، وتفسير البغوي ٣٩٥/٤ ، والخازن ١٠٤/٣ ، وتنوير المقباس ٢٨١ بلفظه ، وهذه الرواية أوهى الطرق ؛ لأنها من طريق محمد بن مروان عن الكلبي ، أخرجه أبو نُعيم في الدلائل ٢٧٠ ، وقد رويت عن الكلبي -نفسه- في تفسير هود ٣٥٨/٢ ، والماوردي ٣/ ١٧٤ ، والغريب إيراد الواحدي -رحمه الله- الأقوال الضعيفة عن ابن عباس وتركه للروايات الصحيحة والمشهورة في بعض المواضع ، ففي هذه الآية مثلاً ؛ ثبت عن ابن عباس تفسيرها (بأمره ، وافعل ما تؤمر) . انظر : تفسير الطبري ٦٧/١٤ من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، والثعلبي ٢/ ١٥٢ ب ، وتفسير البغوي ٣٩٥/٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٠ ، وابن كثير ٢/ ٦١٥ ، والدر المنثور ٤/ ١٩٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، ولعل سبب إيراده للروايات الضعيفة عن ابن عباس -مع ورود الروايات الصحيحة- أنه نظر إليها من جهة اللغة والمعنى لا من جهة السند ، فاختارها -على القوة سنداً- لهذه الحثيثة ، والمعروف عن الواحدي -رحمه الله- أنه يغلب عليه الاهتمام باللغة والعناية بها في تفسيره .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٥٥ بلفظه ، ولم أجد في معاني الأخفش ، وورد منسوباً للأخفش في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ بلفظه ، وتفسير البغوي ٣٩٥/٤ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٢ بلفظه .

(٤) البيت لِلْجَيْمِ بن صُعب ، وَحَذَامُ امرأته ، وهي ابنة الرِّيَّان ، سميت بذلك لأن ضَرَّتْها حذمت -قطعت- يدها بشفرة .

(٥) في نسخة (أ) أثبت عجز البيت في الهامش . ورد البيت في العقد الفريد ٣/ ٨٤ ، ٣٦٥ ، واللسان (رقش) ٦/ ٣٠٦ ، و(نصت) ٢/ ٩٩ ، وشرح التصريح ٢/ ٢٢٥ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٩٦ ، =

قال : يريد فأنصتوا لها .

وقال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ نُمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾^(١) [هود: ٦٨] ، وقال مجاهد في قوله : ﴿يَمَاتُؤْمَرُ﴾ ؛ «أي بالقرآن» ، قال : «أراد الجهر بالقرآن في الصلاة»^(٢) ، فعلى هذا المراد بالصدع الجهر والإظهار ، والباء في ﴿يَمَاتُؤْمَرُ﴾ من صلة معنى الصدع ، لا لفظه ؛ وهو الجهر ، وما تؤمر هو القرآن ؛ لأنه إنما تؤمر بما في القرآن ، و(ما) في هذا القول موصولة ، وليست بمعنى المصدر ، وتكون مع الجار في موضع نصب ، وأكثر المفسرين على أن المعنى اجهر بالأمر ؛ أي بأمرك ، يعني إظهار الدعوة ، قالوا : «وما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ أي لا تبال بهم ولا تلتفت إلى لائمهم إياك على إظهار الدعوة ولا تسمعها ، قال المفسرون : هذا منسوخ بآية القتال^(٤) ؛

ورود غير منسوب في ما ينصرف وما لا ينصرف ١٠١ ، وتفسير الطوسي ٣٥٥/٦ ، وشرح المفصل ٦٤/٤ وأوضح المسالك ١٣١/٤ ، وفي المصادر جميعها : (فصدقوها) بدل (فأنصتوها) و(القول) بدل (الأمر) .

- (١) معاني القرآن للفراء ٩٤/٢ بتصرف يسير . والشاهد ؛ أي كفروا بربههم .
- (٢) تفسير مجاهد ٤١٩ بنحوه ، وأخرجه عبد الرزاق ٣٥١/٢ مختصراً ، والطبري ٦٨/١٤ بنحوه من عدة روايات ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤٤/٤ بنحوه ، وتفسير هود الهواري ٣٥٨/٢ بنحوه ، وتهذيب اللغة (صدع) ١٩٨٧/٢ مختصراً ، وتفسير الثعلبي ١٥٣/٢ أنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٩٩/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢٢٥/٢ بنحوه ، والثعلبي ١٥٢/٢ ب ، بنصه ، وتفسير البغوي ٣٩٥/٤ ، وابن الجوزي ٤٢٠/٤ ، والفخر الرازي ٣١٥/١٩ ، وتفسير القرطبي ٦٢/١٠ ، والخازن ١٠٤/٣ ، وابن كثير ٦١٥/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٩٩/٤ .
- (٤) ورد في تفسير مقاتل ١١٩٩/١ بنحوه ، وأخرجه الطبري ٦٨/١٤ بنحوه عن ابن عباس من طريق العوفي (غير مرضية) ، وأخرجه كذلك عن الضحاك بنحوه ، وورد في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٨٣/٢ بصيغة التمریض ، وتفسير هود الهواري ٣٥٨/٢ بنحوه ، والثعلبي ١٥٣/٢ ، والماوردي ١٧٥/٣ بنحوه عن ابن عباس ، وتفسير البغوي ٣٩٥/٤ ، وابن عطية ٣٥٩/٨ ، وابن الجوزي ٤٢١/٤ ، تفسير القرطبي ٦٢/١٠ ، والخازن ١٠٤/٣ ، وأبي حيان ٤٧٠/٥ ، والدر المنثور ١٩٩/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي داود في ناسخه عن ابن عباس .

يعنون الإعراض عنهم وتركهم وما هم فيه ، فإن جعلنا معنى الإعراض عنهم ترك المبالاة بهم ، لا يكون منسوخاً^(١) .

٩٥ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ؛ بك ، وهم خمسة نفر من المشركين^(٢) : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد^(٣) يغوث ، سلط الله عليهم جبريل حتى قتل كل واحد منهم ؛ أي بأفة وكفى نبيه شرهم ، هذا قول عامة المفسرين^(٤) .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ رؤي عن ابن عباس : «فصل»^(٥) ، والمعنى : صلّ حمداً لله تعالى ، والتسبيح يكون بمعنى الصلاة ؛ لأن الصلاة لله تعالى تنزيه له عن الشريك .

(١) وهذا القول هو الأولى من دعوى النسخ ، وانظر : التعليق على دعوى النسخ بآية السيف ، عند الآية [٨٥] من هذه السورة .

(٢) المشهور أنهم خمسة ، وورد أنهم ثمانية ، وسبعة كذلك . انظر : تفسير الطبري ٦٨ / ١٤ ، ٦٩ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٢١ ، وأبي حيان ٥ / ٤٧٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٢٠٠ وزاد نسبته إلى الطبراني (ليس في روايته الشاهد) وابن مردويه ، وكما اختلف في العدد اختلف في صفة إهلاكهم ووقته وما جرى لكل واحد منهم .

(٣) (عبد) ساقطة من (ش) و(ع) .

(٤) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢ / ٣٥١ ، والطبري ١٤ / ٧٠ بروايات عدة ، والطبراني في مجمع البحرين ٦ / ٤٦ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤ / ٤٦ ، وتفسير هود الهواري ٢ / ٣٥٨ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٢٥ ، والثعلبي ٢ / ١٥٣ ، والماوردي ٣ / ١٧٥ ، والطوسي ٦ / ٣٥٦ ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٩٥ ، والزنجشيري ٢ / ٣٢٠ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٢١ ، والفخر الرازي ١٩ / ٢١٥ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٦٢ ، والخازن ٣ / ١٠٤ ، وأبي حيان ٥ / ٤٧٠ ، وابن كثير ٢ / ٦١٦ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٥٣ ب ، بلفظه ، وتفسير البغوي ٤ / ٣٩٧ ، والخازن ٣ / ١٠٥ ، وتنوير المقباس ٢٨١ .

وقال في رواية عطاء : «يقول : احمد ربك سَيَسْرُكَ فيهم» ، وعلى هذا معناه :
سبحه بالتحميد ؛ أي احمده ونزهه عن أن يستحق الحمد غيرُه .

وقال الضحاك : «أي قل سبحان الله وبحمده»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من المصلين»^(٢) ؛
لأن العبد أقرب ما يكون من الله إذا سجد ، ويؤيد هذا ما روي أن رسول الله ﷺ
كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(٣) .

٩٩ . قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ قال ابن عباس : «يريد
الموت»^(٤) ، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة والجميع^(٥) ، وسُمِّي الموت

-
- (١) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٣/٢ ب ، بنصه ، وتفسير البغوي ٣٩٧/٤ ، وابن الجوزي ٤٢٣/٤ .
(٢) تفسير ابن الجوزي ٤٢٣/٤ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/٢٠٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٧/٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٦/٢ ، وهود الهواري ٣٥٨/٢ ، والثعلبي ١٥٣/٢ بلفظه ،
والماوردي ١٧٦/٣ ، وتفسير البغوي ٣٩٧/٤ ، وابن عطية ٣٦١/٨ ، والخازن ١٠٥/٣ .
(٣) أخرجه الطبري ٢٦٠/١ بنصه عن حذيفة ، وورد في تفسير الزخشي ٦٦/١ ، وابن عطية ٢٧٦/١ ،
وتفسير القرطبي ٣٧١/١ ، وابن كثير ٦١٦/١٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٣ ، وورد
برواية : «كان إذا حزبه أمر صلى» ، أخرجه أحمد ٣٨٨/٥ ، وأبو داود (١٣١٩) في كتاب التطوع ،
باب وقت قيام النبي ﷺ ، والطبري ٧٣/١٤ ، وورد في فيض القدير ١٢٠/٥ ، والكنز ٦٩/٧ ،
والحديث مشهور ، وقد حسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١١٩٢) ، وصحيح الجامع الصغير
(٤٧٠٣) ، وأوضح من هذا الشاهد حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ، رواه مسلم
(٤٨٢) في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، وأبو داود (٨٧٥) في كتاب الصلاة ،
باب الدعاء في الركوع والسجود عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) تفسير ابن الجوزي ٤٢٣/٤ ، والفخر الرازي ٢١٦/١٩ ، وتنوير المقباس ٢٨١ .
(٥) تفسير مجاهد ٤١٩ بلفظه ، وورد في تفسير مقاتل ١/٢٠٠ ، وأخرجه عبدالرزاق ٣٥٢/٢ بلفظه عن
قتادة ، والطبري ٧٤/١٤ بلفظه عنهم ، وأورده البخاري في الفتح ٣٨٣/٨ معلقاً بصيغة الجزم عن
سالم بن عبدالله ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤٧/٤ عن مجاهد ، وتفسير السمرقندي ٢٢٦/٢ ،
وهود الهواري ٣٥٨/٢ عن مجاهد ، والثعلبي ١٥٣/٢ ب ، والماوردي ١٧٦/٣ عنهم ، والطوسي
٣٥٦/٦ عنهم ، وتفسير البغوي ٣٩٧/٤ ، والزخشي ٣٢٠/٢ ، وابن العربي ١١٣٩/٣ .

اليقين ؛ لأنه مُوقِن به جميعُ العقلاء ، فاليقين بمعنى المُوقِن به ، ولم يعرف الأصمعي فعلاً بمعنى مُفْعَل ، حتى قَرَّرَ له ذلك ابن الأعرابي ، واحتج عليه بقولهم : شيء مترَبِّصٌ وتَرَبُّصٌ^(١) ، وليل مُبْهِمٌ وبَهِيمٌ ، وشراب مُنَقَّعٌ ونَقِيعٌ^(٢) ، فإن قيل ؛ أي فائدة لهذا التوقيت ولا عبادة على الميت ؟ وإذا كانت العبادة تنقطع بالموت ، فلم قال حتى الموت ، وهو منقطع بالموت لا محالة ؟ !

قال أبو إسحاق : « مجاز هذا الكلام مجاز أبداً ؛ المعنى : اعبد ربك أبداً ؛ لأنه لو قيل : اعْبُدْ ربك بغير توقيت ، لجاز إذا عبد الإنسان مدةً أن يكون مطيعاً ، فإذا قال : ﴿ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ؛ أي أبداً وما دمت حياً ، فقد أمر بالإقامة على العبادة »^(٣) .

* * *

وابن عطية ٨ / ٣٦٢ عنهم ، وابن الجوزي ٤ / ٤٢٣ عن مجاهد ، وتفسير القرطبي ١٠ / ٦٤ عنهم ، والخازن ٣ / ١٠٥ ، وابن كثير ٢ / ٦١٦ ، ٦١٧ عنهم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٢٠٣ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .

(١) هكذا في النسخ جميعها ، والقياس يقتضي أن تكون : مُرَبِّصٌ وَرَبِّصٌ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨٧ بنصه ، وفي هذا رد على أهل الضلال الذين جعلوا للعبادة أجلاً تنتهي عنده ؛ لذلك فسروا اليقين بالمعرفة ، فإذا وصل أحدهم إلى مقام المعرفة سقط عنه التكليف . انظر : تفسير ابن كثير ٢ / ٦١٧ ، والألوسي ١٤ / ٨٧ ، والقاسمي ١٠ / ٧٥ .